

2-1-

989,097

671

757

P



المعهد العامة لكتبة الاسكندرية
رقم الترخيص: 767-89-909
دي. 1
رقم التسجيل: 77/11

2396

نراثنا

الخبز الطول

تأليف

أبي حنيفة

أحمد بن داود الذهري

(٨٢٨٢)

مراجعة

الدكتور جمال الدين الشبان

أستاذ التاريخ الإسلامى بكلية الآداب
جامعة الاسكندرية

تحقيق

عبد المنعم عامر

إدارة لإحياء التراث
وزارة الثقافة والإرشاد القومى



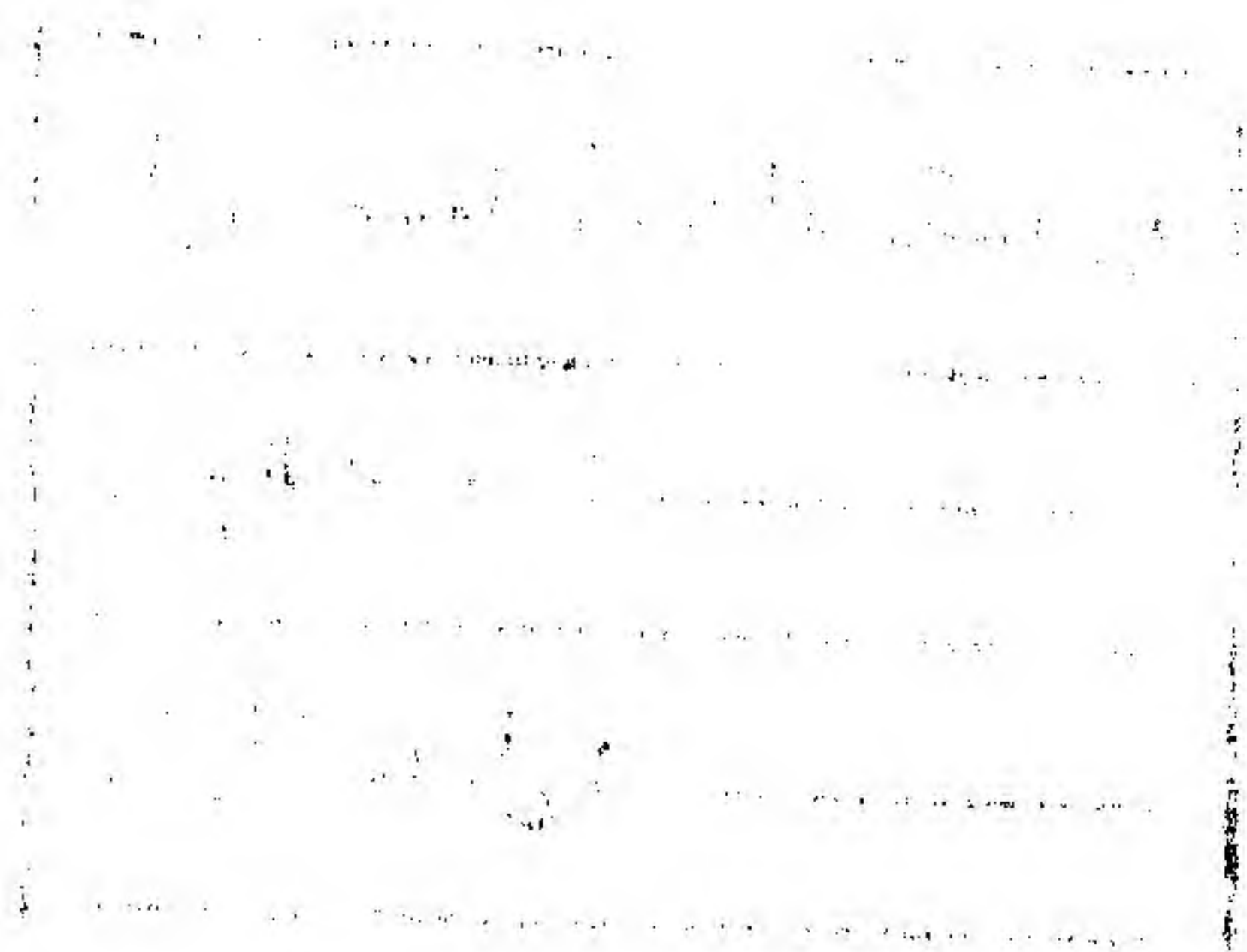
General Organization Of the Alexan-
dria Library (GOAL)

Bibliotheca Alexandrina

وزارة الثقافة والإرشاد القومى

الإقليم الجنوبي

الإدارة العامة للثقافة



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

تقديم

كتاب الأخبار الطوال لأبي حنيفة أحمد بن داود الدينوري من أهم المصادر التاريخية الأولى ، وفأية في سرد حوادث الحياة المعاشية والسياسية والحربية عند الفرس ، وفي الإبانة عن الأحداث الدقيقة في الدولة العربية من بعد ظهور الإسلام إلى آخر عهد الخليفة العباسي ، المعتصم بالله ، أبي إسحاق محمد بن هرون الرشيد ، المتوفى سنة ٢٢٧ هـ (٨٤٢ م) .

ويكاد كتاب الأخبار الطوال ينفرد بأنه من أوائل الكتب المتكاملة التي وضعت باللغة العربية لتأريخ حياة العزة القومية إبان الحكم العربي ، الذي شملت حدوده البلاد شرقاً وغرباً ، من الصين إلى المحيط الأطلسي ، فالكتاب يكشف إلى حد بعيد عما ابتكر الإسلام وأبدع في الحرب والإدارة والسياسة ، بعد أن انتشر حملة لوائه من جزيرتهم ، فساحوا في بلاد الله من الأرض المعمورة ، وأبانوا في مواقعهم العديدة عن عقول مثقفة ، ونفوس شريفة ، وبُعد نظر في إدارة الممالك والشعوب .

وتبدو القيمة التاريخية لكتاب الأخبار الطوال في أن مؤلفه قد عاصر بعضاً من حوادثه ، وأنه دَوَّنَ في كتابه تفاصيل ما شاهد ورأى ، وحقائق ما سمعه ممن شاهد قبله ورأى ، فهو يذكر في كتابه تاريخ مصر الأول للدولة العباسية ، ومكائد الملوين ، وبخاصة في خراسان ، وسقوط دولة الأمويين بعد فتنة المختار وقتل الأزارقة ، ويروي مقتل الحسين بن علي بن أبي طالب ، ويتحدث عن الخوارج ، ويسهب في وصف معركة القادسية ، والمبارك التي وقعت بين علي

ومعاوية ، ويعرض بالتفصيل الوافي أخباراً هامة عن تاريخ الإسكندر ، ودولة الساسانيين ، وفتح العراق على يد العرب ، ثم يتخير المؤلف من حياة الفُرس فترات ، يزودنا فيها حديثه عنها بمادة تاريخية تصلح للبحث المستفيض .

وليس بين المؤرخين العرب وغيرهم مَنْ هو أقدر من أبي حنيفة الدينوري على معالجة تاريخ الفُرس ، وعلى رواية تاريخ العرب في بلاد الفُرس ، فالدينوري فارسي الأصل ، تجرّى في عروقه دماء الفرس ، وتنصره في نفسه عِزة العرب وأجناد الإسلام ، وهو فوق هذا إنسان ، عاش رفيع القدر أصلاً ومعاشاً ، وقد صار إماماً من أئمة العلم واللغة والأدب .

وينسب أبو حنيفة أحمد بن داود وأجداده الأقربون إلى دينور Dinawer ويقال لها كثيراً دَيْنُور^(١) ، بسكون الياء وفتح النون ، وهي مدينة من أهم مدن الجبال في العصور الوسطى ، ومكانها وفق ما جاء في الخريطة التي أعدها الرحالة شتراوس Streuss على خط طول ٤٨° شرق جرينتش ، وعلى خط عرض ٣٤° شمالاً ، على ارتفاع نحو خمسة آلاف قدم ، وتقع على الطرف الشمالي الشرق لوادي خصيب ، يرويها نهر آب دينور ، الذي يسير في الركن الجنوبي الغربي للهضبة ، ثم ينفرج في وادي عريض .

ويرجع تأسيس مدينة دينور - التي تظهر في المصادر السريانية باسم دينهور - إلى عهد الجاهلية ، وكانت في عهد الخليفة عمر بن الخطاب أكثر مدن إقليم هَمَذَان عمارة ، وقد سلمها الوالي الفارسي للعرب عقب وقعة نهاوند الحاسمة ، أي حوالي سنة ٢١ هـ (٦٤٢ م) ، وعُرفت في أيام معاوية بن أبي سفيان بالاسم الجديد « ماه^(٢) الكوفة » ، لأن الضرائب المتحصلة منها كانت تستخدم لخير أهل الكوفة عامة ، ولدفع أعطيات جنود حاميتها خاصة .

(١) دائرة المعارف الإسلامية ، المجلد التاسع . (٢) كلمة فارسية بمعنى قصبة .

وقد ظهرت ماء الكوفة في التقسيم الإداري لدولة الأمويين في عهد معاوية ، بوصفها قسماً إدارياً للجبّال ذاطسُوجين^(١) ؛ دينور ، وتشمل الأراضي العليا ؛ وقريّيسين ، وتشمل الأراضي السفلى ؛ وكان يحده ماء الكوفة من الغرب بطسُوج حُوان ، ومن الشرف همّذان ، ومن الجنوب ماسبّذان ، ومن الشمال أذربيجان .

وازدهرت دينور ازدهارا كبيرا^(٢) في عهد الأمويين والعباسيين ، وكان سكانها خليطاً من الفرس والعرب ، ويعيش فيها حولها قبيلة شوهيجان الكردية عيشة البداوة في الأراضي المحيطة بها^(٣) .

وقد حل الخراب بمدينة دينور من جراء الاضطرابات ، التي حدثت في السنين الأخيرة من عهد المقتدر بالله ، الخليفة العباسي ، بعد أن انتقض عليه القائد مرّداويج الجيلائي ، وهزم الجيش الذي سيّره عليه ، واستولى على كورة الجبال بأسرها ، فسقطت دينور في يده عام ٣١٩ هـ (٩٣١ م) ، وهلك من أهلها آلاف عديدة .

ثم استقل بقصبة دينور أمير من أمراء الأكراد ، يدعى حسنويه ، واتخذها مملكة صغيرة له ، واستطاع الاحتفاظ بها مدة خمسين سنة ، إلى أن توفي سنة ٣٦٩ هـ (٩٧٩ م) ، وظلت دينور مدينة عامرة حتى لاقت مصيرها المحتوم ، في الخراب أثناء الفظائع التي حلت بالبلاد الإسلامية ، عقب الغزوات المغولية التي شنها تيمور .

ولقد زار خرائب دينور الحالية المهجورة الرحّالة Th. strauss ، ووصف الخرائب التي شاهدها وصفا موجزا ، فقال : « لا يحدّد دينور إلا آكام من الأرض ، نبشت

(١) الطسوج هو الناحية .

(٢) امتدح القزويني في خططه الجبل الفاخر الذي كان يصنع فيها ، وقد أشاد المقدسي في كتابه بأسواقها حسنة البناء وبالبساتين الزاهرة المحيطة بها .

(٣) مروج الذهب للمسعودي ج ٣ ص ٢٥٣ .

عدة مرات بحثا عن السِكة ، ولا يزال النقبون يثرون على أشياء كثيرة من هذا القبيل ، وبخاصة الفلاحون الذين يحرثون الحقول .

ويقول هذا الرحالة أيضا « إن ثمة آثارا في دينور لطريق قديم ، نحت في الصخر ، كان يصل دينور ببغداد ، وهذه الآثار لا تزال تشهد في عدة مواضع » .

وأبو حنيفة أحمد بن داود بن وَنْدٌ^(١) الدينوري ، مؤلف كتاب الأخبار الطوال ، قد ولد في العقد الأول من القرن الثالث الهجري ، بمدينة دينور ، من أعمال العراق العجمي ، ونشأ في أسرة من أصل فارسي ، وقد عاش معظم حياته في مدينة دينور ، وأمضى شبابه في الرحلات ، وقادته خطواته إلى قلب الحضارة العربية ، في بلاد ما بين النهرين دجلة والفرات ، ثم امتدت به أسفاره إلى المدينة النورة ، وإلى الأرض المقدسة فلسطين ، وإلى شواطئ الخليج العربي (الفارسي) ، فمأش فيها أزمانا ، طالت أو قصرت ، ولكنها تركت في نفسه ذكرا ، وفي فكره علما .

وقد أخذ أبو حنيفة دروسه عن البصريين والكوفيين ، وتلمذ في فقه اللغة على والد النحوي الكوفي ابن السكيت ، وعلى ابن السكيت نفسه ، ودرس معارف كثيرة ، وكان مفتتا في علوم النحو واللغة والهندسة والهيئة والحساب ، ثقة فيما يرويه ويمليه .

وانتقل أبو حنيفة إلى أصفهان سنة ٢٣٥ هـ (٨٥٠ م) وعاش بها مدة ، اشتغل فيها برصد الكواكب ، وتسجيل نتائج الأرصاد التي يقوم بها في معمله الفلكي ، ولقد شاهد الفلكي المشهور ، عبد الرحمن الصوفي ، المتوفى سنة ٣٧٦ هـ (٩٨٦ م) « المنزل الذي كان يستخدمه أبو حنيفة معملا للدراسات الفلكية » .

(١) بعض المؤرخين يذكرونها (وتند) وعليهم اعتمد مرجليوث في كتابه ج ١ ص ١٢٣ .

وإن المصادر التاريخية كلها تجمع على أن أبا حنيفة ، أحمد بن داود الدينوري ،
كان نحويًا لغويًا ، ومهندسًا منجماً حاسبًا ، راوية ثقة .

ويقول ^(١) العالم اللغوي ، أبو حيان التوحيدي ، في كتابه « تفریط الجاحظ » :
« قلت لأبي محمد الأندلسي - وكان من أصحاب السيرافي - قد اختلف أصحابنا في مجلس
أبي سعيد السيرافي ، في بلاغة الجاحظ وأبي حنيفة ، ووقع الرضى بحكمك ،
فما قولك ؟ »

فقال : « أنا أحقر نفسي عن الحكم لهما وعليهما » .

فقال : لا بد من قول .

قال : « أبو حنيفة أكثر ندوة ، وأبو عثمان أكثر حلاوة ، ومعاني
أبي عثمان لا تطفئ بالنفس ، سهلة في السمع ؛ ولفظ أبي حنيفة أعذب وأعرب ،
وأدخل في أساليب العرب » .

قال أبو حيان : والذي أقول وأعتقد ، وأخذ به ، وأستهم عليه ، أني لم
أجد في جميع من تقدم وتأخر إلا ثلاثة ، لو اجتمع الثقلان على تقيظهم ومدحهم ،
ونشر فضائلهم في أخلاقهم ، وعلمهم ، ومصنفاتهم ، ووسائلهم مدى الدنيا ، إلى
أن يأذن الله بزوالها ، لما بلغوا آخر ما يستحقه كل واحد منهم ؛ أحدهم ، هذا
الشيخ الذي أنشأنا له هذه الرسالة ، وبسببه جئنا هذه الكلفة - أغنى أبا عثمان
عمرو بن بحر - .

والثاني أبو حنيفة أحمد بن داود الدينوري ، فإنه من نوادر الرجال ، جمع بين
حكمة الفلاسفة ، وبيان العرب ، له في كل فن ساق وقدم ، ورؤاء وحكم ، وهذا
كتاب في الأنواء يدل على حظ وافر من علم النجوم وأسرار الفلك ؛ فأما كتابه في
النبات ، فكلامه فيه في عروض كلام أبدى بدوى ، وعلى طباع أفصح عربي ، ولقد

(١) معجم البلدان لياقوت الرومي ، الجزء الأول ، طبعة هندية .

قيل إن له في القرآن كتاباً ، يبلغ ثلاثة عشر مجلداً ، ما رأيته ، وإنه ماسبق إلى ذلك النمط ، هذا مع ورعه وجلالة قدره^(١) .

وقد حكى ابن رَوَاحَةَ البرُّوجَرْدِيُّ^(٢) قال : « زعموا أن أبا العباس المبرِّد ورد الدينور زائراً ليعسى بن ماهان ، فأول ما دخل عليه ، وقضى سلامه قال له : أيها الشيخ ، ما الشاة المَجْثَمَةُ التي نهى النبي صلى الله عليه وسلم عن أكل لحها ؟ قال : هي الشاة القليلة اللبن ، مثل اللَجْبَةِ .

فقال : هل من شاهد ؟

قال : نعم ، قول الراجز :

لَمْ يَبْقَ مِنْ آلِ الْجَمْعِيدِ نَسَمَةٌ إِلَّا عُنِيزٌ لَجْبَةٌ مُجْثَمَةٌ

فإذا بالحاجب يستأذن لأبي حنيفة الدينوري ، فأذن له .

فلما دخل قال له عيسى بن ماهان : ما الشاة المَجْثَمَةُ التي نهى النبي صلى الله عليه وسلم عن أكلها ؟

فقال : هي التي جثمت على ركباتها ، ونحرت من قفاها .

فقال : كيف تقول ؟ وهذا شيخ العراق - أبا العباس المبرد - يقول هي مثل اللجبة ، وهي قليلة اللبن ، وأنشد البيت .

فقال أبو حنيفة : « أَيْمَانُ الْبَيْعَةِ تَلْزِمُ أَبَا حَنِيفَةَ إِنْ كَانَ هَذَا الشَّيْخُ سَمِعَ هَذَا التفسير ، وإن كان البيت إلا لساعته هذه .

فقال أبو العباس المبرد : « صدق الشيخ أبو حنيفة ، أُنِفْتُ أَنْ أُرِدَ عَلَيْكَ مِنَ الْعِرَاقِ ، وَذَكَرِي مَا قَدْ شَاعَ ، فَأُولَ مَا تَسْأَلُنِي عَنْهُ لَا أَعْرِفُهُ .

فاستحسن منه هذا الإقرار .

وترك البهت » .

(١) وأما الثالث فهو أبو زيد البلخي ، وله مؤلفات قليلة .

(٢) إنباه الرواة للفظي ، طبعة دار الكتب سنة ١٩٥٠ ج ١ ص ٤١ .

نعم ، لقد كانت أبو حنيفة الدينورى عالماً بحق فى شتى العلوم والمعارف ،
حباؤه الله بعقلية علمية واسعة ، استوعبت معارف كثيرة ، وانفرد بها
عن علماء تلك الفترة وما تلاها ممن كان لهم شأن فى تاريخ الأدب العربى ، وعلوم
اللغة ، فلقد كان أبو حنيفة عالماً فى كثير من فروع العلوم ، وكان دائماً مجدداً ،
وظل مع كل هذا مبدعاً ، دون تكرار عن أسلافه ومعاصريه ، وإن لنا أن نشارك
أبا حيان التوحيدي وغيره من العلماء الناقدين آراءهم فى أبى حنيفة ، إذ يرون فيه
واحداً من ألمع ممثلى هذا العصر الزاهر فى تاريخ الأدب العربى .

وإن مؤلفات الجاحظ تثبت إثباتاً قاطعاً ما شهد به الجاحظ فى حرارة وتحمس
لأبى حنيفة ، وتوضح فى نفس الوقت الاختلاف الموجود بين الجاحظ وأبى حنيفة
من ناحية طبيعة عقل كل منهما ، وتأثره بالتكوين العلمى ، فآفاق أبى حنيفة
كانت أكثر اتساعاً من آفاق معاصريه ، بل ومن أساتذته الذين اتخذوا الرسائل اللغوية
وسيلة للشهرة ، وضحوا فى سبيلها بكل شئ ، وقد وسعت مدارك الدينورى كثيراً
من فروع المعرفة فى ذلك الوقت .

ولقد حظيت مؤلفات أبى حنيفة الدينورى بعناية رجال التراجم قديماً وحديثاً ،
فدوتوا قوائمها فى كتبهم ، وفى مصنفاتهم^(١) ، وبلغت عدة مجلداتها عشرين كتاباً
كما حققها المستشرق Flugel ، وكما ذكرها القفطى فى كتاب إنباه الرواة على
أنباء النجاة .

وهذه الكتب هى :

(١) تفسير القرآن ؛ ويقع فى ثلاثة عشر مجلداً ، وقد ذكره أبو حيان التوحيدي
ضمن مؤلفات الدينورى ، وأضاف إلى ذكره أنه لم يره .

(١) الفهرست لياقوت ، خزانة الأدب لابن العبري ، الجواهر المضيئة لعبد القادر ، إنباه
الرواة للقفطى ، كشف الظنون لحاجي خليفة .

(٢) كتاب الوصايا ؛ وموضوعه أحكام الوارث في الشريعة الإسلامية ، وقد أضاف إليه أبو حنيفة رسالة خاصة في الموضوع ، أوجز فيها بعض ما ذكره في الكتاب .

(٣) كتاب في حساب الدّور والعول ؛ ومباحثه تدور حول أجزاء الميراث التي تردّ على الورثة الأصليين إذا لم تستوفها أنصبتهم المفروضة ، وقد ذكره حاجي خليفة صاحب كتاب كشف الظنون بدون عنوان في فصل حكم الدور والوصايا .

(٤) كتاب إضلاح النطق ؛ وقد اعتبره بعض العلماء الأوربيين رسالة في النطق ، ومن المحققين من ينسب هذا الكتاب إلى ابن السكيت ؛ والحق أنه كتاب متكامل لأبي حنيفة ، وقد هدّبه أبو القاسم حسين بن عليّ المعروف بالوزير المغربي^(١) .

(٥) كتاب الجمع والتفريق ؛ ويشمل جزءاً من علوم البلاغة التي يوليها المؤلفون العرب قسطاً كبيراً من الدراسات العامة .

(٦) كتاب الشعر والشعراء ؛ ويغلب على هذا الكتاب صفة كتب التراجم ، وهو يشبه إلى حد كبير كتاب ابن قتيبة الذي يحمل نفس الاسم .

(٧) كتاب الردّ على رصّد الأصفهاني ؛ وقد كان الأصفهاني من طبقة أبي حنيفة ، وبينهما في هذا الكتاب مناقضات .

(٨) كتاب جواهر العلم ؛ وهو عبارة عن دائرة معارف صغيرة عن الخواص الدقيقة لمباحث العلوم .

(٩) كتاب ما يلحق فيه العامة ؛ وقد أورد فيه أبو حنيفة ما شاع بين الناس من أخطاء لغوية ، وأبان وجه الصواب فيها على أسس من المقاييس العربية السليمة .

(١٠) كتاب الفصاحة ؛ ويتضمن عدة مباحث عامة في علوم البلاغة .

(١١) كتاب النبات ؛ وهو مؤلف لا مثيل له في تاريخ النبات ، وقد اشتهر به صاحبه ، وتعتبر النسخة الأصلية لهذا الكتاب مفقودة ، ولكن بقيت منه مقتطفات عدة مدونة في كتب فقهاء اللغة وبخاصة ابن سيده ، وابن البيطار .

وهذا الكتاب يعد ثمرة لدراسة الشعراء الأقدمين دراسة لغوية ، وهو في منهجه مثل الكتب الأخرى التي تقل عنه كثيراً في الشمول ، والتي تشترك معه في الاسم ، ككتاب ابن زيد ، وكتاب الأصمعي .

ويبدو أن الغرض من تأليف هذا الكتاب هو شرح النباتات الكثيرة التي ذكرها الشعراء العرب في أشعارهم ، وتوضيح لدلولاتها ، حتى يعلم العقل العربي العام النبات الأولى لحياة العربية .

ومن ثم فقد اقتصر الكتاب على نباتات بلاد العرب ، والنباتات الأجنبية التي تأقلت فيها .

ولهذا الكتاب أهمية عظمى لدى علماء العرب ، الذين اعتمدوا عليه في مؤلفاتهم حيناً طويلاً من الزمان ، واعتبروه دائرة معارف نباتية عربية على درجة كبيرة من الوفاة والوضوح ؛ وإنه لمن القدرة الفائقة أن يصنف أبو حنيفة الدينوري - وهو فارسي الأصل - مؤلفاً علمياً في نباتات التربة العربية ، ويكون لهذا المؤلف ذلك الصيت الذائع في المباحث العلمية .

ويبدأ هذا الكتاب بوصف تفصيلي لأنواع تربة بلاد العرب ، وتركيبها ، ومناخها ، وتوزيع مائها ، والأحوال العامة اللازمة لنمو النباتات ؛ ثم يتناول الكتاب تصنيف النباتات بصفة عامة ، وتركيب كل نبات على حدة ، مقسماً النبات إلى ثلاثة أنواع ، نباتات تزرع ليققات الناس بها ، ونباتات برية ، ونباتات تشمر ما يؤكل ؛ ويتناول الكتاب النوع الثاني من النباتات حسب أماكن وجودها ، ثم وفق طبيعتها وخواصها ، وعلى قدر قيمتها الاقتصادية .

وقد أصبح هذا المؤلف عمدة فقهاء اللغة المتأخرين في أسماء النباتات ، وكتب

عنه على بن حمزة البصرى قسما فى مؤلفه المعروف ، باسم كتاب التنبيهات على أغلاط الرواة .

(١٢) كتاب البيان ، وقد ذكره العالم غازيرى Casiri عند وصفه مخطوطات مكتبة الإسكوريال بأسبانيا ، وبعد دراسته قائمة المؤلفين الذين ذكرهم ابن العوام ، كما ذكره أيضا حاجى خليفة ، وقال عنه الذهبى فى كتاب تاريخ الإسلام : « إنه يتألف من ستين مجلدا » .

ويرى المستشرق الروسى كراتشكوفسكى Kratchkovsky ، أن هذا الكتاب ليس من مؤلفات أبى حنيفة الدينورى ، وإنما هو من بين مؤلفات الكاتب عبد القادر الجرجانى ، صاحب الجواهر المضيئة ، ويقول كراتشكوفسكى : « إن غازيرى قد وقع فى خطأ ، فكتاب البيان هو كتاب النبات ، وأنه ربما اشتبه على « غازيرى » الرسم قريب الشكل بين كلمتى النبات والبيان ، وهو الخطأ الذى يقع فيه الناسخون كثيرا ؛ ويدلل كراتشكوفسكى على رأيه بأن ابن العوام صاحب كتاب فى الزراعة والطب البيطرى ، وقد جاء ذكره لأبى حنيفة فى معرض كتابه علم النبات الذى يعنى ابن العوام ، ويتسق موضوعه مع موضوعات كتابه .

(١٣) رسالة فى الطب مجموعة فى ورقات قليلة ؛ ولم تحظ هذه الرسالة بشهرة عظيمة بين المؤلفات .

(١٤) كتاب البحث فى حساب الهند ؛ ويرويه بعض الباحثين الأوربيين بأنه كتاب التخت فى حساب الهند .

(١٥) كتاب الجبر والمقابلة .

(١٦) كتاب نواذر الجبر .

ولم يتناولهما الرواة بكثير من الذكر .

(١٧) كتاب الأنواء ؛ وهو كتاب يلى كتاب النبات فى الشهرة لكثرة ما به من أسانيد ، وقد ذكره ياقوت الحموى فى معجمه فقال : « إن كلام أبى حنيفة فى كتاب الأنواء يدل على حظ وافر من علم النجوم وأسرار الفلك ومعجائب القبة السماوية » .

ويؤكد حاجي خليفة في حماس شديد أن أبا حنيفة قد ركز في هذا الكتاب كل علوم العرب .

وقد اعتبر البيروني إمام الفلك ، هذا الكتاب اعتبارا كبيرا وسجل منه في لوحاته أجزاء كاملة ، اقتبسها كلها من أبي حنيفة .

(١٨) كتاب القبلة والزوال ؛ وقد ذكره المترجمون باختصار في كثير من المصادر .

(١٩) كتاب الكسوف ؛ وقد جاء ذكره في كتاب خزانة الأدب ، لابن العنبري ، وفي معجم الأدباء لياقوت ، وذكره عنهما حاجي خليفة في كتاب كشف الظنون ، ويرى المستشرق كراتشكوفسكي أن هذا الكتاب هو نفس كتاب الرصد للدينوري الذي صنّفه بأصبهان سنة ٢٣٥ هـ كما يذكر كراتشكوفسكي أن ما جاء بكتاب كشف الظنون من أن الدينوري قد ألف كتاب الرصد لركن الدولة حسن بن بويه الديلمي محدود ، لأن أبا حنيفة الدينوري لم يعاصر ركن الدولة ، وأن ما وقع فيه حاجي خليفة في كتابه « كشف الظنون » قد سبقه إليه كل من البيروني والبتاني وعبد الرحمن الصوفي .

(٢٠) كتاب البلدان أو كتاب كبير ، وقد جاء ذكره في كتاب كشف الظنون تحت عنوان تاريخ أبي حنيفة ، وليس لهذا الكتاب شهرة كبيرة . ويروي المسعودي أن ابن قتيبة قد انتحل لنفسه هذا المؤلف ، وأنه قد فعل هذا في كثير من كتب أبي حنيفة الدينوري ، وكان هذا الأمر شائعا في ذلك الوقت ، وقد ساعد عليه عوامل عديدة ، وله في التاريخ نظائر كثيرة .

(٢١) كتاب الأخبار الطوال

ولقد ظل كتاب الأخبار الطوال لأبي حنيفة الدينوري مجهولا حقبا طويلة من الزمان ، تعرض فيها لأدوار عديدة من الظهور والاختفاء ، شأنه في ذلك شأن كثرة من المخطوطات العربية ، حتى كانت سنة ١٨٧٧ م ونشرت قائمة المخطوطات العربية ،

المودعة خزانات معهد اللغات الشرقية في بطرسبرج (لنينجراد) ، وفيها دراسة
لمخطوطة الكتاب كتبها البارون ف . روزن V. Rosen المستشرق الذي كان
قد نشر قبل هذا بوقت قصير الجزء الخاص بسقوط الأمويين من الكتاب .

وأظهر روزن رغبته في نشر المخطوط كاملاً ، عندما تنهياً له الأسباب العلمية
للنشر ، ولكن وقف في سبيل متابعتها لهذا المشروع قيامه بأعمال أخرى ، فأقنع
زميله المستشرق جرجاس Guirgass بالقيام بهذا العمل ، وبخاصة بعد أن استعان
المؤرخ نولدكه Noldeke بكتاب الأخبار الطوال في مؤلفه عن تاريخ الساسانيين .

وشرع جرجاس في تحقيق المخطوط بما عهد عنه من دقة ، وكان مقدراً أن يظهر
الكتاب على الناس منشوراً في فبراير سنة ١٨٨٧ م ، ولكن المنية عاجلت جرجاس
العالم الروسي ، فصمم روزن على نشر ما حققه جرجاس ، دون أن يضيف إليه شيئاً ،
رغبة منه في ألا يحرم الأوربيين المشتغلين بالشئون الشرقية من كتاب تم إعداده .

وقد أعدّ روزن العدة لعمل الفهارس الفنية للكتاب ، وظل يباشر طبع
الكتاب إلى أن مات في ٢٣ يناير سنة ١٩٠٨ .

فقام من بعده آخر تلاميذه كراتشكوفسكي ، يكمل العمل الذي بدأه أستاذه
بمعاونة المؤسسة العلمية للنشر « بريل Brill » ، وكان عليه أيضاً أن يتابع عمل
الفهارس التي بدأها قبله روزن .

وقد جمع المستشرق كراتشكوفسكي نسخاً خطية مختلفة للكتاب قام بمقارنتها ،
وتصحيح الأخطاء التي حشرت بين سطورها ، وكانت هذه المخطوطات هي :
(١) نسخة لنينجراد رقم ٨٢٢ ، وعدد أوراقها ٢٥٠ صحيفة بمقاس

١٦٠ × ٢٣٥ مليمتراً ، ومسطرتها أربعة عشر سطراً ، كتبت كلها بخط واحد ،
عدا المقدمة والنهاية وبعض الصفحات ، فإنها قد كتبت بخط مخالف . وقام بكتابة
هذه المخطوطة الناسخ المشهور كمال الدين في سنة ٦٥٥ هـ .

ويصف كراتشكوفسكي هذا المخطوط ، فيقول : « إنه نسخ نسخاً جيداً ،

ولا يتبين الإنسان فيه أية صعوبة إلا في المواضع الثالثة بمامل الزمن ، أو بقرض الشؤس ، ويجد القارئ للمخطوط بعض الملاحظات القصيرة والتصويبات في الهوامش مكتوبة بنفس اليد ومصحوبة بكلمة : أظنه أوصح ؛ وأما الملاحظات الطويلة التي تبدأ بكلمة حاشية فقد كتب معظمها محمد بن جعفر بن محمد بن عبد الله ابن بدر .

(ب) نسخة أخرى ، بجامعة ليدن تحت رقم ١١٢٢ ، وعدد أوراقها ٢١٩ صحيفة ، مقاسها ٢١٠ × ١٥٠ سم ، ومسطرتها ٢١ سطرا في الأول ، و ١٩ سطرا في النهاية ، ويبدأ النص فيها من صحيفة ٣ ا حتى صحيفة ١٩ ب ، وناسخها غير مذكور ، وقد تمت كتابتها عام ١٠٠٠ هـ ، ويرجح كراتشكوفسكي أنها قد نسخت في المدينة المنورة ، لما يبدو على الخط من طابع مميز للخط المدني في ذلك الوقت .

(ج) نسخة ثالثة ، كتبت سنة ١٠٦١ هـ بمكتبة ليدن تحت رقم ٢٤٣٦ ؛ وهي منسوخة عن النسخة السابقة .

ويرى المستشرق كراتشكوفسكي أن النسخة الأولى من هذه المخطوطات الثلاث هي الأصل ، وأنها أصح النسخ ، وأقربها إلى عصر المؤلف ، وعليها اعتمد كراتشكوفسكي في تحقيقاته ، وإضافاته ، وفهارسه التي نشرها سنة ١٩١٢ بعد أن نشرت مؤسسة بريل الكتاب بتاريخ سنة ١٨٨٨ ، وهي السنة التي بدأ فيها البارون روزن تحقيقه فيها .

ولما طبع الكتاب ونشرته مؤسسة بريل انتقلت نسخ قليلة منه إلى بلاد الشرق الأوسط ، وقامت مطبعة السعادة بالقاهرة بإعادة طبعه كما حققه جرجاس بدون تعليقات أو إضافات ، وبغير تحقيق .

الكشف عن أقدم مخطوطات الكتاب

وبعد موت كراتشكوفسكي ، وفي سنة ١٩٥٧م كشف في مكتبة رفاعة الطهطاوى بمدينة سوهاج عن نسخة خطية لكتاب الأخبار الطوال مسجلة تحت رقم ٧٣ تاريخ ، وهى مخطوطة أم ، تعتبر أقدم من تلك المخطوطات الثلاثة التى عرفها الغرب ، وقد رجع إليها كثيرا المغفور له رفاعة رافع الطهطاوى فى تصانيفه التاريخية . وقبل أن تنشرها مؤسسة بريل ، ولو أن المستشرق كراتشكوفسكى قد علم أمر هذه المخطوطة لصوب كثيرا من عمل أستاذه جرجاس ، ولاعتبرها أصلا للمخطوطات . وتحمل هذه المخطوطة فى الصحيفة الأخيرة منها تمليكاً باسم المفضل بن جعفر ابن طاهر ، تاريخه سنة تسع وسبعين وخمسمائة من الهجرة ، ومطالمة للشيخ أحمد ولى الدين الهنيدى العربى الساعدى الدمشقى ، وخاتم وقف للمرحوم محمد رفاعة ، ويوجد على بعض هوامشها تعليقات شروح قليلة ، وإضافات ترحم ، بعضها بخط المغفور له رفاعة رافع الطهطاوى رائد الحركة الوطنية فى العصر الحديث .

وعدد أوراق هذه المخطوطة فى مجلداتها إحدى وثمانون ومائة ورقة ، ذات لون واحد ومقاسها ١٩٨ × ٢٣٦ ملمترا ، ومسطرتها واحد وعشرون سطرا ، فى كل سطر منها اثنتا عشرة كلمة ، وقد كتبت كلها بخط قديم ، بقلم واحد ، وبالحرير الأسود . والتزم الناسخ فيها مد ما بين الحرف الأول والثانى من الكلمات التى تبدأ بها رؤوس الموضوعات .

ويوجد فى ثنايا هذه المخطوطة على شتات وتفرق بعيد خطوط حمراء ، تحت بعض الكلمات ، وضبط لكلمات أخرى بالحرير الأحمر يرجع أنها من عمل المغفور له رفاعة رافع الطهطاوى ، إذ أنها تكاد تكون محصورة فى حوادث التاريخ التى أرخها رفاعة فى كتابيه « أنوار توفيق الجليل » و « نهاية الإيجاز فى سيرة ساكن الحجاز » ؛ وتحوى مادة الورق فى صنعه علامات مائية مميزة ، وهى عبارة عن خطوط طولية بيضاء ، امتازت بها صناعة الورق فى القرن السادس الهجرى .

وقد كتب على صحيفة العنوان اسم الكتاب ، ومن تحته فهرست موجز لأبوابه بخط مماثل لخط متن الكتاب ، وعليها خاتم وقف محمد رفاعة ، ويبدأ المتن من الصحيفة الثانية حتى نهاية صحيفة ٣٦١ في اتساق تاريخي منتظم ، وتعقيب مطرد إلى حد ما في آخر كل كراسة ، غير أن بالكتاب خرما بين صيفتي ١٧ و ١٦ ، مقداره ورقتان ؛ وقد أشرت إليه في مكانه ، واعتمدت في إثباته وتحقيقه على النص المقابل له في النسخة التي نشرتها مؤسسة بريل ١٨٨٨ م ، وعلى المصادر التاريخية الأخرى .

وتنتظم حوادث هذه المخطوطة قصة آدم عليه السلام ، وقصص الأنبياء من بعده ، وتاريخ الوثنية عند الفرس وفي اليمن ، وقصة الإسكندر الأكبر ، ويعرض الكتاب تاريخ الساسانيين في خطوط واضحة المعالم ، وغزوات العرب الأولى على حدودهم عندما بدءوا دورهم الأساسي في المجال العالمي ، ويحكي بالتفصيل حملات خالد بن الوليد وأبي عبيدة الجراح ، وموقعة نهاوند ، والقادسية ، ويذكر سقوط إمبراطورية الفرس تحت سلطان العرب ، ولا يكاد الدينوري يعرض في كتابه لتاريخ الخلفاء الراشدين إلا بقدر صلته بفتح بلاد فارس .

ثم يروي الكتاب بعد هذا المتاعب التي لحقت بالمسلمين بعد مقتل عثمان بن عفان ، ويصور حرب صفين مبتدئاً بأمتع فصل من فصولها التاريخية ، ويفصل المنافسة بين معاوية وعليّ ، ويقصّ تاريخه مع الخوارج ، ويحكي ما آل إليه أمره ، ولا يفوت أبا حنيفة أن يبرز تاريخ الحسين بن عليّ ، رضي الله عنهما ، فيذكر حياته وأعماله ، ويصف مقتله كربلاء وصفاً دقيقاً مؤثراً ، مبيناً أسبابها ، وموضحاً تخاذل أهل العراق عن نصرة إمامهم الذي دعوه إليهم ، مما كان له أثره في تفتيت الجبهة العربية .

ولا يمس الدينوري تاريخ الحكم الأمويين إلا بالقدر الذي يتصل بالحركات

الدينية والسياسية في أيامهم ، فيذكر ثورة الأزارقة ، وبخاصة ثورة المختار ، ثم يصل إلى بدء ثورة الشيعة ، وقيام أبي مسلم الخراساني داعية لبني العباس ، فيوضح كل هذا في دقة ووقاية .

ثم يعود الدينوري فيكمل تاريخه في اختصار ودلالة من موت مروان بن محمد ، آخر الخلفاء من بني أمية ، وقيام الدولة العباسية ، إلى موت الخليفة المعتصم بالله في سنة ٢٢٧ هـ ، ولا يكاد يفصل في شيء من حوادث هذا التاريخ إلا في بعض الوقائع ، مثل إنشاء بغداد ، وقتل أبي مسلم الخراساني ، وثورة النفس الزكية ، وتاريخ الأمين والمأمون ، وثورة بابك .

وإنه لما يلفت النظر في كتاب الأخبار الطوال أن أباحنيفة قد وقف فيه عند سنة ٢٢٧ هـ ، وهي السنة التي مات فيها الخليفة العباسي المعتصم ، وأنه قد أهمل تدوين الحوادث التاريخية في الحقبة التي عاشها أبو حنيفة ، وعاصر فيها الأحداث التي كانت قائمة بين الأحزاب المتطاحنة على السيادة في الدولة ، وهي الحزب العربي ، والحزب الفارسي ، والحزب التركي ، تلك الفترة الزمنية التي تقع بين سنة ٢٢٧ هـ وسنة ٢٨٢^(١) هـ التي مات فيها أبو حنيفة ، كما يذكر معظم المؤرخين .

ويبدو لي أن أباحنيفة قد عني في كتابه بالتأريخ للحياة الفارسية في ظل الحكم ، فرسا كانوا أو عربا ، أكثر من عنايته بالتاريخ للحياة العربية في بلاد الفرس ، وأنه حين يعرض الحوادث يسوق دائما منابها الأولى ومراجعتها الأصلية وملابساتها الدخيلة ، ويذكر حولها كل ما يستبين به الباحث سبيله فيها إلى الحقائق ، وإن الفترة التي أهمل الدينوري تدوين حوادثها كانت فترة اضطراب سياسي ، وكان العصر عصر كيد وحذر .

وكانت المؤلفات في هذا العصر تلعب دورا كبيرا في توجيه سياسة الدولة ،

(١) وكانت وفاته يوم ٢٦ من جمادى الأولى سنة ٢٨٢ هـ (٢٤ من يولييه سنة ٨٩٥ م) .

وتركيز سلطان الحكم ، وفي بحث روح النقد الاجتماعي والسياسي ، وقد جرث المؤلفات الوبال على أصحابها أحيانا ، فكان القتل نهاية ابن المقفع بسبب كتابه « كلیلة ودمنة » ؛ وقد خشي أبو حنيفة إن هو أرّخ لهذه الفترة المضطربة أن يجر عليه كتابه الوبال ، وأن يتخذ منه مناهضوه مادة مسمومة تجلب عليه الشر .

وإن أبا حنيفة وهو عالم فلك وصاحب مرصد قد غاب عليه عقله العلمي في كتابة التاريخ ، فلم يتناول كتابه « الأخبار الطوال » حوادث قصيرة العمر لم تترسب مفاعلاتها ، فتكون تاريخا ، له مقدماته وله نتائجها ، مثل الفترة التي عاش فيها أبو حنيفة ؛ وقد أراد الدينوري أن يبني كتابه من الأخبار التاريخية التي طالت أزمانها ، وبعدت نتائجها ، وكثر الحديث عنها ، كما يدل على هذا عنوان الكتاب .

وإنه بالرغم من أن المعارف العلمية البحتة كانت تشغل بال الدينوري أكثر مما يشغله غيرها إلا أنه استطاع في كتاب « الأخبار الطوال » أن يكتسب نبوغا ممتازا في تصوير الحوادث التاريخية بأسلوب عربي مبين ، وبطراز فريد من النهج التأليفي ؛ فأبو حنيفة لا يذكر التاريخ موقتا ، عاما بعد عام ، كما يفعل مؤرخو العرب ، وإنما يحكي الحوادث والأحداث ، من بدئها إلى ماصارت إليه ، ويتبناها بما يلزم ذكره من ملابساتها ، مما جعل كتابه مجموعة أدبية من القصص التاريخية .

وإن المصادر التاريخية التي رجع إليها ، وروى عنها أبو حنيفة تعتبر جلّها مفقودة ، وليس في بطون الكتب المراجع المعروفة عنها إلا الإشارة إليها ، مثل كتاب الأنساب لابن السكيت النعمري ، مالك بن عبيد بن شراحيل ، وكتاب الملوك ، وأخبار الماضي لعبيد بن الشريفة الجرهمي ، الذي استقدمه معاوية بن أبي سفيان ليدون له التاريخ في كتاب ، وهما المؤرخان اللذان أشار إليهما أبو حنيفة في كتابه الأخبار الطوال (المصحيفة رقم ٧) .

وليس من شك في أن الدواوين الشعرية التي كانت معروفة في ذلك الوقت ،

للخوارج ، وللشيعة ، ولغيرهما من الطوائف المذهبية كانت من المراجع الهامة للذين يدونون التاريخ الإسلامي ، وقد ألفت كل هذه الدواوين بسبب المنازعات الطائفية التي سادت الحياة العربية بعد مقتل علي بن أبي طالب ، ولم يبق منها إلا تتف ماثورة ، ماثورة في الكتب العديدة . وأبو حنيفة الدينوري قد أطلع على هذه الدواوين ، وروى عنها ، كما روى عن أولئك الذين اشتركوا في الحوادث التاريخية وطال بهم العمر ، فأدر كههم أبو حنيفة ، وقاباهم في أسفاره المدينة لبلاد الدولة العربية .

ولقد حرص أبو حنيفة أن يذكر في كتابه « الأخبار الطوال » المصادر التي يروي عنها ، ولكنه لا يورد السند فيها كاملاً ، وإنما يذكر .. قال الهيثم ... وقال إسماعيل .. وقال الكلبي ... وقال الأصمعي ... وقال القمقاع الظفري ... وأحياناً يكتب بلفظ .. قال .. أو بنحو منه ؛ وإذا نحن أحصينا هذه المصادر فإن عدتها تبلغ واحداً وعشرين مصدراً ، وقد أفردت لها فهرساً خاصاً بها في آخر الكتاب .

وإن أبرز مؤرخ روى عنه أبو حنيفة هو الهيثم بن عدي ، وقد ورد اسمه في عشر مواضع من كتاب « الأخبار الطوال » ؛ وكان الهيثم راوية ، نقل كثيراً من كلام العرب ، وله من الكتب المصنفة عدة في التاريخ ، منها كتاب « هبوط آدم عليه السلام » وكتاب « افتراق العرب ونزولها منازلها » وكتاب « نزول العرب بخراسان والسواد » وكتاب « الخوارج » وكتاب « التاريخ على السنين » ؛ وقد توفي الهيثم بن عدي سنة تسع ومائتين ، كما ذكر ابن قتيبة في كتاب « المعارف » وقد ترك ثروة تاريخية ، استضاء بها المؤرخون من بعده .

وإذا كان أبو حنيفة قد أفاد كثيراً من مصنفات الهيثم بن عدي فإنه اعتمد إلى حد ما على الشعبي أبي عمرو عامر بن شراحيل ، والشعبي تابعي جليل القدر ، كوفي وافر العلم ، عظيم الدراية ، كثير الرواية ، وقد روى أن ابن عمر ،

رضي الله عنه ، مرت بالشعبي يوما ، وهو يحدث الناس بالغازي ، فقال ابن عمر :
« شهدت القوم وإنه لأعلم بها مني » .

وقال للزهري : « العلماء أربعة : ابن المسيب بالمدينة ، والشعبي بالكوفة ،
والحسن بالبصرة ، ومكحول بالشام » . ويقال إن الشعبي أدرك خمسمائة من
أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ ويروى أنه توفي الشعبي سنة أربع ومائة .
ورواية أبي حنيفة الدينوري عن الأصمعي أبي سعيد عبد الملك بن قريب الباهلي
رواية كثيرة في كتاب « الأخبار الطوال » ، وكان الأصمعي إماما في الأخبار
والنوادير ، والملح والغرائب ، كما كان صاحب لغة ونحو ، وهو من أهل البصرة ،
وقدم بغداد في أيام هرون الرشيد ، ويروى عن إسحاق الموصلي أنه قال : « لم أر
الأصمعي يدعي شيئا من العلم فيكون أحد أعلم به منه » . وكانت وفاة الأصمعي
في صفر سنة سبع عشرة ومائتين ، وقد عاش ثمانين سنة .

وكما روى أبو حنيفة عن المؤرخين السابقين له فقد نقل عنه كثير من المؤرخين
الذين جاءوا من بعده ، ومنهم من اعتمد عليه اعتمادا كبيرا ، كما فعل الفارقي أحمد
ابن يوسف بن علي بن الأزرق في تاريخه حين يتكلم عن الحروب والوقائع التي كانت
بين الفرس والروم ، وبين هؤلاء والمسلمين ، أو عن تاريخ ديار بكر ، وديار ربيعة
وميفارقين ؛ فإنه اعتمد على كتاب الأخبار الطوال اعتمادا كبيرا ، وأشار إليه مرارا
في كتابه ، فأبو حنيفة من أقرب المؤرخين عهداً بمجداث كتابه « الأخبار الطوال »
ومن أكثرهم معرفة بالبيئة الفارسية .

وإن كتب التاريخ القديمة ذات شأن واحد في معالجة تاريخ نشاط الجنس البشري
في حياته الأولى وكلها تسير على هذا النمط الذي سار عليه أبو حنيفة في كتاب « الأخبار
الطوال » ، من الاعتماد على المصادر الدينية ، وعلى القصص الشائع المتخلف في أدب
العموم ، وعلى الوقائع المترسبة في عقول الأجيال ، بعضها عن بعض ، وهذه كلها
تحتوي بعض المعارف من الميثولوجيا التاريخية ، التي تموزها الأسانيد المادية العلمية ، ولا
تفيد الباحث إلا بقدر ما فيها من مفاهيم تصلح لأن تكون مادة لدراسات وأبحاث علمية .

وفى كتاب الأخبار الطوال شيء من هذه الميثولوجيا ، التى وقع فيها المؤرخون القدامى ، وقد أثبتت الجهود العلمية والكشوفات الحديثة حقائقها ، فإذا هى تناقض مناقضة تامة ما كان يعرفه الناس عنها قديما ، ولقد ذكر أبو حنيفة فى كتابه « أن الوليد بن مصعب هو فرعون موسى عليه السلام » ، والمروف أن فرعون موسى هو منفتح بن رمسيس الثانى ، أحد ملوك الأسرة التاسعة عشرة ، وقد خلط أبو حنيفة بين الإسكندر الأكبر المقدونى وبين ذى القرنين ، صاحب الخضر ، الذى قص القرآن خبره فى حكاية يأجوج ومأجوج ، فذكر أنه ملك مدة ثلاثين عاما ، جال الأرض منها أربعا وعشرين سنة ، والثابت أن الإسكندر الأكبر قد عاش ستا وثلاثين سنة ، وأنه لم يملك هذه المدة التى ذكرها أبو حنيفة .

وإن هذه الأخبار ، ومثلها غيرها مما ورد فى كتاب « الأخبار الطوال » روايات شائعة فى كل كتب التواريخ القديمة ، وليس من شأنها التقليل مما لهذه الكتب من فوائد علمية ، صارت بها مصادر هامة من مصادر التاريخ العربى والإسلامى .

وينقسم كتاب الأخبار الطوال فى عرضه التاريخى إلى ثلاثة أقسام :

(١) الباب الأول ، ويتناول فيه أبو حنيفة الأحداث التاريخية مبتدئا بآدم ، عليه السلام ، والأنبياء ومن بعده ، وبأخبار العرب البائدة ، عاد وثمود وطسم وجديس ، وملوك الحبشة والفرس واليمن ، ومملكة داود ، وعرش بلقيس ، ودولة سليمان ، وبني إسرائيل ، وملك تبع : وفى هذا الباب يعرض الدينورى الأحداث عرضا سريعا لا يتقيد فيه بنظم بيتى ، ولا ترتيب زمنى ، ولكنه يحاول فى عرضه التاريخى أن يربط بين تاريخ المعجم وبين تاريخ الشعوب المجاورة .

(٢) الباب الثانى ، وهو الجزء الخاص بتاريخ بلاد الفرس ، وقد بدأ المؤلف بتاريخ الإسكندر وفتوحاته شرقا وغربا ، ثم خلص منه إلى ذكر ملوك الطوائف وأحوال بلادهم الذهبية والحربية ، وقد خص بلاد الفرس بكثير من الإفاضة ، فاستوعب

ملوكهم واحدا بعد واحد ، وذكر من أحوالهم قصصا تاريخيا رائعا ، صورته بأسلوب أدبي ممتاز .

وفي هذا الباب عرض أبو حنيفة أحوال الفرس والروم في عهد كسرى مقدمة لتاريخ العرب بعد ظهور الإسلام ، ويعتبر تصويره للحوادث التي وقعت بين هرمزد وبهرام من أمتع القصص التاريخية ذي المفاجئات الثيرة ، ومن أصدق العرض لما عليه نفس الإنسان من النزوع إلى الأثرة والذاتية .

(٣) الباب الثالث ، ويذكر فيه الدينوري حروب العرب مع المعجم ، والفتوحات الإسلامية في عهد عمر بن الخطاب ، وفي عهد الحكم من بعده ، كل هذا في بسط يتناول فيه أعمارهم ، ومأثور أقوالهم ، ومشهور أيامهم ، ويذكر فيه خلافتهم ، وما صارت إليه أمورهم ، دولة بعد دولة ، حتى يصل إلى موت المعتصم الخليفة العباسي

وهذا الجزء أهم أقسام الكتاب وأكبرها ، وقد عني فيه المؤلف بذكر تفاصيل الوقائع ، وربط الأسباب بمسبباتها ، والإبانة عن العوامل الذاتية والاتجاهات الشعوبية التي قوضت أركان الكيان العربي ، وفرقت المذهب الإسلامي إلى شيع ، وطوائف متنازعة قد نسيت في معترك نضالها السياسي الأهداف السامية ، التي قامت على تحقيقها الدولة الإسلامية في المجال الدولي ، تمكينا للمدالة ، ونشرا للاشتراكية الاجتماعية .

ويمتاز أسلوب أبي حنيفة الدينوري في كتاب الأخبار الطوال بأنه أسلوب منطقي ، يخاطب العقل قبل أن يثير العاطفة ، ويستهيى القارئ ، فيدفعه إلى قراءة الكتاب من أوله إلى آخره ، غير عجل ولا ضجر ، في لفظ سهل ، وجرس موسيقى متلاحق ، وعبرة متصلة أخاذا ، نسجها الدينوري نسجا فريدا .

ولم يكن أسلوب أبي حنيفة فريدا في عصره ، ولكن أسلوب زمانه كان فريدا في أساليب المصور ، ولغة أبي حنيفة في كتابه ليست علمية ولا فلسفية ولا تاريخية ، ولكنها نثر فيه كثير من الفن ، وفيه ميل إلى إحداث اللذة عند القارئ فوق العناية بتأدية

— خ —

الفكرة ، وقد تأثر أبو حنيفة إلى حد كبير بما تأثر به النثر في العصر الأول من عهد الدولة العباسية ، بأسلوب القرآن الكريم ، والفلسفة والفكر اليوناني ، والفن الفارسي ، وهي العناصر التي تفاعلت في كيان اللغة العربية .

ولقد عانيت في تحقيق الكتاب بإخراج النص في صورته التي نطق بها مؤلفه ، وكتبها عنه ناسخه ، وعمدت في سبيل هذا إلى المراجع الأخرى التي تناولت التاريخ لهذه الحقبة من الزمن إذا أشكل الرسم في تصحيح الأعلام أو تصويب النصوص ، وقسمت الكتاب إلى أبواب وفصول ، وأضفت إليه شروحا وإيضاحات في هوامشه ولم أشأ أن أعني القارئ فأملأ هوامش الكتاب بعرض كلمات تأثرت بنقط حروفها ، أو أجزاء كلماتها بفعل المثل والأرضة والرطوبة ، وقد بقي منها ما يدل عليها صراحة ، ودون أي احتمال لسواها ، وهذا حدث كثير في المخطوطة مثل :

شهر يار : شهر يار بكل مدحجج : بكل مدحج

انتقصه : انتقصه نزلت : رلت

خاصته : خاصته من تحت أخمصك الحشر : ... أحصك ...

فرس شقراء : فرس سقراء اليمينية : اليمينه

وقد صوّبت ما وقع فيه الناسخ من خطأ غير مقصود ، أوقعه فيه السماع مثل :

قطميرا : قطيرا بنات من الطير اجتمعن على سقر :

... سقر

يا أبا سعيد : يا ابن سعيد (الخدرى) طالوت : طالوك

إذا هفا فلا تؤنبه : ... لا تؤنبه نفخنبوه : نفخنبوه

حرقوص بن زهير : حربوص بن زهير تجفاف : تكفاف

ولم ألزم ما ألزمه الناسخ من اختزال الصيغ الدعائية ، فكتبت الصيغة كاملة

مثل « صلى الله عليه وسلم » بدل « صلعم » و « رضى الله عنه » بدل « رضه »

و « عليه السلام » بدل « عم » .

وقد غيّرت الإملاء القديم إلى المؤلف عليه الآن مثل : الحياة، والصلاة، وثلاث،
وآلاف، ومائة، وبخارى، وإسماعيل؛ بدل : الحيوة، والصلوة، وثلاث، وآلف،
ومئة، وبخارا، وإسماعيل .

وعمدت إلى متن الكتاب فجزأته إلى فقرات، ووضعت بين الجمل علامات الترقيم
حتى يسهل تناوله، ثم ذيلته بالفهارس العديدة ليكن الرجوع إليها في الإحاطة
بالتراجم، والأعلام، ومأثور القول؛ وأضفت إليه خريطة تبين الطبيعة الجغرافية
لحوادث التاريخ .

وإني بعد هذا الجهد أرجو أن أكون قد وُفِّت في نشر الكتاب إلى إظهار
فضل أبي حنيفة الدينورى، وإلى وضع كتاب الأخبار الطوال في مكانه اللائق
بين المصادر التاريخية للحياة العربية .

عبد النعم عامر

المعادي في جادى الآخرة ١٣٧٩
ديسمبر ١٩٥٩

كِتَابُ
الْأَخْبَارِ الطَّوَالِ

1

1

كتاب الأخبار الطوال

فيه ذكر ملوك الأرض من لدن آدم عليه السلام إلى انقضاء ملك يزيدجرد
ابن شهریار بن كسرى أبرويز ، وذكر من ملك من ملوك قحطان وملوك الروم
وملوك الترك في كل عصر وأوان ، وذكر الأئمة والخلفاء والحروب التي كانت ،
مثل يوم القادسية ، وفتوح العراق ، وانصرام دولة المعجم ، وحرب الجمل ،
وصقین ، ويوم النهروان ، ومقتل الحسين بن علي رضي الله عنهما ، وفتنة ابن الزبير ،
وخروج الأزارقة ، وحروبهم ، وأيامهم ، ومقتل المختار بن أبي عبيد ، وقصته ،
وسبب خروجه ، وخروج عبد الرحمن بن الأشعث على الحجاج ، وما كان بينهما ،
وذكر خلافة الوليد بن عبد الملك ، وعمر بن عبد العزيز إلى انقضاء ملك بني أمية ،
وخبير الدولة ، دولة بني هاشم ، وقصة أبي مسلم ، إلى خلافة المنصور ، وبنائه
مدينة بغداد ، وأيام الخلفاء من بعده إلى انقضاء أمر محمد الأمين ، والمأمون ،
إلى آخر أيام المعتصم ، وخبير بابك وحروبه وأيامه مختصرا من السير مقتصرا
عن الإطالة .

تأليف أبي حنيفة أحمد بن داود الدينوري رحمه الله

7

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

فوضت أمري إلى الله

[أولاد آدم]

قال أبو حنيفة أحمد بن داود الدينوري رحمه الله ، وجدت فيما كتب أهل العلم بالأخبار الأولى ، أن آدم عليه السلام كان مسكنه الحرم ، وأن ولده كثروا في زمان مهليل بن قينان بن أنوش بن شيث بن آدم ؛ وكان سيد ولد آدم في دهره ، والقائم بأمره ، وكذلك كان آباؤه إلى آدم عليهم السلام أجمعين ، ووقع بينهم التنازع في الأوطان ، ففرقهم مهليل في مهب الرياح الأربع ، وخص ولد شيث بأفضل الأرض ، فأسكنهم العراق .

[إدريس ونوح]

وكان أول نبي بعد شيث إدريس ، واسمه «أخنوخ بن يرد بن مهليل» ، وسمى إدريس ، لكثرة دراسته ، ثم بعث الله نوحا عليه السلام إلى أهل عصره ، وكان مسكنه بأرض العراق ، وهو نوح بن لَمَك بن مَثُوشَلَح ، فكذبوه ، فأغرقهم الله ، ونجى نوحا ومن كان معه في السفينة ، وكان جنوح السفينة واستقرارها على رأس الجودي ، جبل بقردي وبازبدي^(١) من أرض الجزيرة ، فلما مات نوح استخلف ابنه ساما ، فكان أول من وطد السلطان ، وأقام منار الملك بعد سام جهم ابن وَيَرَ نَجْهَان بن إيران ، وهو أرغشذ بن سام بن نوح ، وأعقم الله جميع من نجى مع نوح في السفينة إلا بنيه الثلاثة ، ساما وحاما ويافئا . وكان لنوح ابن رابع اسمه يام ، وهو الفريق ، ولم يكن له عقب ؛ وأما الثلاثة فكلهم أعقب .

(١) كورتان متقابلتان أولاهما شرق نهر دجلة والأخرى غريه ، وفي نسخة قرداي

وبازبدي .

وكان سام هو المتولى لأمر نوح من بعده ، وكان يشتو بأرض « جَوْخَى »
ويصيف بالموصل ، وكان طريقه في مبدئه ومنصرفه على شط دجلة من الجانب
الشرق ، فسمى لذلك سام راه^(١) ، وهو الذى تسميه المعجم « إيران » . وقد كان
تبوأ أرض العراق ، واختصها لنفسه ، فسمى إيران شهر ، وقام بالأمر بعده ابنه
(شالخ) ، فلما حضرته الوفاة أسند الأمر إلى ابن أخيه جم بن ويرنجهان بن أرغشذ
فثبتت أساس الملك ، ووطد أركانه وبني معاله ، واتخذ يوم النيروز عيداً^(٢) .

[اختلاف الألسن]

قالوا : وفي زمان جم تبليت الألسن ببابل . وذلك أن ولد نوح كثروا بها ،
فشجنت بهم ، وكان كلام الجميع السريانية ، وهى لغة نوح ، فأصبحوا ذات يوم ،
وقد تبليت ألسنتهم ، وتغيرت ألفاظهم ، وماج بعضهم فى بعض ، فتكلمت كل
فرقة منهم باللسان الذى عليه أعقابهم إلى اليوم ، فخرجوا من أرض بابل ، وتفرقت
كل فرقة جهة ، وكان أول من خرج منهم ولد يافث بن نوح ، وكانوا سبعة إخوة :
الترك ، والحزر ، وصقلاب ، وتاريس ، ومنسك ، وكمارى ، والصين . فأخذوا
ما بين الشرق والشمال ، ثم سار بعدهم ولد حام بن نوح ، وكانوا أيضاً سبعة إخوة :
السند والهند والزنج والقبط وحبش ونوبة وكنعان ؛ فأخذوا ما بين الجنوب
والدبور^(٣) ، وأقام ولد سام بن نوح مع ابن عمهم جم الملك بأرض بابل على تغير
ألفاظهم .

(١) أى طريق سام ، وكلمة راه Râh فارسية معناها طريق .

(٢) كلمة فارسية مركبة من : نو ؛ بمعنى جديد ، وروز بمعنى يوم ؛ ويوم النيروز عند
الفرس هو أول يوم من أيام السنة الشمسية حيث يفرح الناس به ستة أيام ، وقد كتب الحكيم
عمر الخيام النيسابورى رسالة عن النيروز بالفارسية ، عنوانها « نوروزنامه » وطبعت سنة ١٣٣٠ هـ
بتهران .

(٣) المراد الغرب ، فالدبور بفتح الدال ريح تهب من نحو المغرب تقابل ريح الصبا .

[الساميون]

وكان لسام بن نوح خمسة بنين : إرم وكان أكبرهم سنا ، وأرنخشذ ، وعالم ، وأليف ، والأسور ، نفص ولد إرم باللسان العربي عند تبلبل الألسن ، وكانوا أيضا سبعة إخوة : عاد ، وثمود ، وصحار ، وطسم ، وجديس ، وجاسم ، ووبار ؛ فارتحل عاد مع من تبعه حتى حل بأرض اليمن ؛ ونزل ثمود بن إرم ما بين الحجاز إلى الشام ؛ ونزل طسم بن إرم عُمان والبحرين ، ونزل جديس بن إرم اليمامة ، ونزل صحار ما بين الطائف إلى جيل طيء ، ونزل جاسم ما بين الحرم إلى سفوان^(١) ، ونزل وبار بن إرم ما وراء الرمل بالبلاد التي تعرف بوبار ، وهؤلاء العرب الأولى انقروا عن آخرهم .

١٠ قالوا : ولما خرج هؤلاء تحركت قلوب سائر ولد نوح للخروج من بابل ، فخرج خراسان بن عالم بن سام ، فاتخذ خراسان خطة ، وفارس بن الأسور بن سام ، والروم بن أليف بن سام ، وإرمين بن نورج بن سام ، وهو صاحب إزمينية ، وكرمان بن تارح بن سام ، وهيطل بن عالم بن سام ، وولده من وراء نهر بلخ^(٢) ، وتسمى بلاد الهياطلة ؛ ونزل كل رجل منهم مع ولده في الأرض التي سميت به ، ونسبت إليه ، فلم يبق مع الملك جم بأرض بابل إلا ولد أرنخشذ بن سام .

١٥ قالوا : ولما كثرت عاد باليمن تجبروا وعتوا ، وعليهم شديد بن عمليق بن عاد ابن إرم بن سام بن نوح ، فوجه إلى ولد سام ابن أخيه الضحاك بن علوان بن عمليق ابن عاد ، وهو الذي تسميه المعجم بيورأسف ، فصار إلى أرض بابل ، وهرب منه جم الملك ، فطلبه الضحاك حتى ظفر به ، فأخذه ، وأشره بميثار^(٣) ،

(١) سفوان واد من ناحية بدر .

(٢) نهر في شمالي أفغانستان تقع عليه مدينة بلخ عاصمة دولة آل سبكتكين وقد دمرت مدينة بلخ على يد جنكيزخان ، وكانت محاطة بسور وفيها قلعة وجوامع ومدارس .

(٣) الميثار بالهمز هو الميثار بالنون ، وأشرت الحشبة أشرا إذا شققها مثل نشرتها .

فاستولى على ملكه . وكان الذى وجه إلى ولد حام بن نوح ابن عمه الوليد بن الريان ابن عاد بن إرم ، وكان ملكهم يومئذ مصر بن القبط بن حام الذى تبوأ أرض مصر ، فسار إليه الوليد بن الريان حتى قتله ، واستولى على ملكه .

ومن ولد الوليد بن الريان الوليد بن العزيز مصر ، صاحب يوسف عليه السلام ، ومن ولدهما الوليد بن مصعب فرعون موسى عليه السلام ، وكان جالوت الجبار الذى قتله داود النبى من ولد الوليد بن الريان .

وكان الذى وجه شديد بن عمليق إلى ولد يافث بن نوح ابن أخيه غانم بن علوان أخو الضحّاك بن علوان ، وكان ملك ولد يافث بن نوح يومئذ فراسياب بن تُوذِل ابن الترك بن يافث بن نوح ، فغلب على ملكه أيضا ، واستولى على أرضه ، ومن ولد غانم بن علوان فيما يقال قُورٌ ملك الهند الذى قتله الإسكندر مبارزة ، ويقال إن رُسْتَمُ الشديد من ولد غانم .

[الضحّاك]

قالوا : وإن الضحّاك الذى تسميه العجم بيوراسف عندما كان من غلبته جَمَ الملك وقتله إياه واطمئنانه فى الملك وفراغه أخذ يجمع إليه السحرة من آفاق مملكته ، ويتعلم السحر حتى صار فيه إماما ، وبنى مدينة بابل^(١) ، وجعلها أربعة فراسخ فى أربعة ، وشحنها بجنود من الجبابرة وسماها (خوب) ، وسام أولاد أرغشذ الخسف ، ونبتت فى منكبىه سلعتان كهيئة الحيتين ، تؤذيانه حتى يطعمهما آدمغة الناس فتسكنان . قالوا : فكان يؤتى كل يوم بأربعة رجال جسام فيذبجون

(١) بابل عاصمة الكلدانيين القدماء ، ومكانها يبعد عن بغداد بمقدار ٩٣ ك . م إلى الجنوب على شاطئ نهر الفرات ، وقد بناها نمرود وشيد بها معبدا كبيرا لعبادة الشمس وقد زادت شهرتها فى التاريخ القديم بعد خراب نينوى وعظم عمرانها حتى إن حداثتها المعلقة اعتبرت من عجائب الدنيا السبع ، وقد استعملت أنقاض بابل فى تعبير بغداد فى عهد أبى جعفر المنصور ، وتقوم الآن بعثات أوربية بالتنقيب عن آثارها بجوار قرية « حله » فعثرت على بعض الآثار وعلى كتيبات من عهد بخت نصر والملوك القدماء .

وتؤخذ أدمغتهم فيمُدَى بها تانك الحيتان . وكان له وزير من قومه ، فولى وزارته رجلا من ولد أرغشذ يسمى أرُميَايِيل ، فكان إذا أثنى بالرجال ليذبجوا استجيا منهم اثنين ، وجعل مكانهما كبشين من النعم ، وأمر الرجلين أن يذهبا حيث لا يوجد أثرهما ، فكانوا يصيرون إلى الجبال ، فيكونون فيها ، ولا يقربون القرى والأمصار ، فيقال إنهم أصل الأكراد^(١) .

[بعثة هود]

وملك بعد شديد بن عمليق أخوه شَدَّاد بن عمليق بن عاد بن إرم ، فمتا ، وتجر ، فبعث الله إليه هوداً عليه السلام رسولا ، وكان من صميم قومه وأشرافهم ، وهو هود بن خالد بن الخلود بن العيص بن عمليق بن عاد ، فلم يحفل به ، فأهلكه ، ومن كفر منه من عاد ، كما قد قصه الله تبارك وتعالى في كتابه ، وهو أصدق الحديث^(٢) .

قال : ونشأ في ذلك الدهر عابر بن شالِخ بن أرغشذ بن سام بن نوح ، فولد له فالخ بن عابر ، ثم ولد له بعد ذلك قحطان بن عابر ، قال : وإنما سمي قحطان لقحطه القحوط ، وطرده بالسحاء والجود ، ثم ولد له لام بن عابر ، فكان أعبد أهل عصره ، وكانت أسفار آدم وشيث ونوح وقعت إليه ، فدرسها ، وعلمها . ثم إن الضحاك البَيَّوَرَّاسِيَّ طلبه ليفتنه عن دينه ، فهرب منه بأهله وولده من مدينة بابل حتى حل بمفازة من أرض الروم ، فقبره بها ، ويقال : إن مكان قبره معروف حتى الآن .

(١) جمع كرد ، وهم قوم يسكنون الحدود الغربية لإيران وما يجاورها ، ويتكلمون لغة شبيهة باللغة الفارسية .

(٢) الآيات من ٢١ - ٢٦ من سورة الأحقاف .

[نمرود بن كنعان]

ولما أهلك الله عاداً مع شداد ضعف ركن الضحاك ، ووهى أمره ، واجترأ عليه ولد أرغشذ بن سام ، وكان الوباء وقع في جنده ، ومن كان معه من الجبابرة ، فخرج يريد أخاه غانم بن علوان الذي ملكه شديد على ولد يافث ، ويستعين به على أمره ، فاستغنى ولد أرغشذ بن سام خروجه ، فأرسلوا إلى نمرود بن كنعان ابن جهم الملك ، وكان مستتراً هو وأبوه في طول ملك الضحاك ، بجبل دُنبَاوند^(١) ، فأتاهم ، فلكوه عليهم ، فصمد [و] صمد من كان بأرض بابل من أهل بيت الضحاك ، فقتلهم أجمعين ، واستولى على ملك الضحاك ، وباع ذلك الضحاك فأقبل نحوه ، فظفر به نمرود وضربه على هامته بجُرْز^(٢) حديد ، فأثخنه ، ثم شده وثاقاً ، وأقبل به إلى غار في جبل دُنبَاوند ، فأدخله فيه وسد عليه ، واستدف^(٣) الملك لنمرود واستوسق ، وهو الذي يسميه المعجم فريدون .

قالوا : ولما توفي هود عليه السلام اجتمع ولد إرم بن سام من أقطار الأرض ، فلكوا مرثد بن شداد ، وذلك في أول ملك نمرود بن كنعان ، ففراهم نمرود في آخر ملكه ، وقد وهى أمرهم ، فقدر عليهم . وقالوا : فالغ وقحطان أخوان ، وهما ابنا عابر ، ففالغ جد إبراهيم عليه السلام ؛ وأما قحطان فأبو اليمن ؛ ويروى أن ابن المقفع كان يقول : « يزعم جهال المعجم ومن لا علم له أن جهم الملك هو سليمان ابن داود ، وهذا غلط ، فبين سليمان وبين جهم أكثر من ثلاثة آلاف^(٤) سنة » ، ويقال : إن نمرود بن كنعان فرعون إبراهيم من ولد جهم . وكان ابن عم آزر بن تارح أبي إبراهيم ، وهو إبراهيم بن آزر بن تارح بن ناخور بن أرغوا بن شالخ بن أرغشذ

(١) جبل في نواحي الري .

(٢) عمود من الحديد وجمع جرز أجزاء وجرزة وفي بعض النسخ الأورية جرد حديد والصواب ما ذكرناه .

(٣) استتب واستقام .

(٤) ثلاثة آلاف . في الأصل ثلاثة ألف .

الذي سمته المعجم إيران ، ومن ولد أرغشذ جميع العرب ، ومنهم أيضا ملوك المعجم وأشرافهم من أهل العراق وغيرهم .

[قحطان]

قالوا : ولما انقرضت عاد من أرض اليمن وبادوا ، وذلك في عصر نمرود ابن كنعان ، أقطعها نمرود ابن عمه قحطان بن عابر ، فسار إليها في ولده ، حتى نزلها ، وبها بقايا قليلة ممن آمن بهود عليه السلام من عاد ، فجاورهم قحطان بها ، فلم يكن إلا قليل حتى انقرضوا وبادوا ، وصفت الأرض لقحطان .

ويقال : إن السائر إليها يعرّب بن قحطان بعد وفاة أبيه ، فسار إليها في إخوته وأولادهم ، فقطنها ، فكانت أمّ يعرّب دون إخوته من عاد ، فتكلم بلسان أمه . وذكر عن ابن الكيس النمرى ^(١) أنه قال : إن قحطان تزوج امرأة من المالقي ، فولدت يعرّب ، وجرّهم ، والمعتّم ، والمتمكس ، وعاصم ، ومنيع ، والقطامي ، وعاصم ، وجرّهم ، فتكلموا جميعا بلسان أمهم بالعربية ؛ وكان قحطان في عصر نمرود . وذكر عن ابن الشّرية ^(٢) أنه قال : كان الذي خرج إليها يعرب بن قحطان في ولده ، وكان أكبرهم سنا ، وأعظمهم قدرا .

[ثمود]

قالوا : وإن ثموداً قفّت ما كانت عليه عاد من الكفر بالله ، والعتوّ عليه ، فأرسل الله إليهم صالحا رسولا ، فكان من أشرفهم منصبا ، وأكرمهم حسبا ، فدعاهم إلى توحيد الله ، فلم يقبلوا منه ، ولم يراعوا ؛ فأهلكهم الله عز وجل ، كما نص في كتابه ، وهو أصدق الحديث ^(٣) . ويقال : إنه كان بين مهلك عاد ومهلك ثمود خمسمائة عام ، وكان ذلك في عصر إبراهيم عليه السلام .

(١) وكان من أعلم الناس بالنسب (الاشتقاق لابن دريد) ، وابن الكيس النسابة هو مالك ابن عبيد بن شراحيل بن الكيس (جمهرة الأساب) .

(٢) كذا في الأصل ، وهو عبيد بن شرية الجرهمي ، من صنعاء ، وقد استفدته معاوية ابن أبي سفيان ، ليدون له التاريخ في كتاب ، فكتب له كتاب الملوك وأخبار الماضي .

(٣) الآيات : من ٤٥ إلى ٥٣ من سورة النمل .

[إبراهيم]

وفي آخر ملك نمرود ، وتسميه المعجم « فريدون » تجبر نمرود ، وعتا ، ولهج
بعلم النجوم ، واجتلب النجمين من آفاق الأرض ، وحباهم بالأموال ، واختار
سبعة نفر من أهل بيته ، فسماهم « الكوهبارين »^(١) فولاهم أموره ، ووكل كل
رجل منهم بعمل أفردة به .

وكان آزر أبو إبراهيم أحد السبعة الذين اختار [هم] . وقد كان دان له الشرق
والغرب ، فكان من أمر مولد إبراهيم ما قد جاءت به الآثار ؛ وكان أول من آمن
بإبراهيم امرأته سارة ، وكانت من أجمل أهل عصرها . ولوط كان ابن أخته ،
فأقام إبراهيم مع أبيه ما شاء الله ، ثم خرج مهاجراً له ، وخرجت معه سارة ؛
وكان أبو لوط من أهل مدينة « سدوم »^(٢) وكانت أمه بنت آزر ؛ وإنما كان قدم
إلى بابل زائراً لجدّه آزر ، فأمن إبراهيم ، فأقام معه ببابل مؤازراً له على أمره ،
فلما خرج إبراهيم عليه السلام مهاجراً خرج معه لوط ، فلحق بأبيه وأهل بيته
بمدينة سدوم ، وهي فيما بين أرض الأردن وتخوم أرض العرب ، وسار إبراهيم
حتى أتى أرض مصر .

[هجرة جرهم والمعتمر]

قالوا : وإن ولد قحطان كثروا بأرض اليمن ، فوقع بينهم التباغى والتحاسد ،
فاجتمع ولد يعرب بن قحطان على جرهم بن قحطان وولد المعتمر بن قحطان ، فنفوهم
عن اليمن وأرضه ، فسارت جرهم نحو الحرم ، وسار بنو المعتمر نحو الحجاز ،
ورئيس جرهم مُصَاص بن عمر بن عبد الله بن جرهم بن قحطان ، وأرادوا نزول الحرم ،

(١) في بعض النسخ الأوربية الفوهيارتين . والصحيح ما ذكر ، والمعنى « المختارون » .

(٢) سدوم مدينة قديمة في فلسطين أحرقت بنار سماوية لارتكاب أهلها الفحشاء وعدم
طاعتهم نبيهم لوطا ، ويقال إنها سميت باسم قاضيه الذي كان يضرب به المثل في الجور والظلم .

فمنهم الماليق من ذلك ، فاقتتلوا ، فغلبتهم جرم على الحرم ، ونفوهم منه ، ونزلت جرم الحرم .

فلما قطنوه بلغ ذلك بنى العتمر بن قحطان ، فأقبلوا من أرض الحجاز حتى أتوا الحرم ، وسألوا جرم السكني معهم ، فأبت عليهم جرم ، ورئيس بنى العتمر السميذع بن عمرو بن قنطور بن العتمر بن قحطان ، فتداعى الفريقان للحرب ، فبحرهم هذه سميت قَمَيْقَمَانِ وَالطَّابِخِ وَأَجْيَادِ وَفَاضِحِ ، لأن به فضحت بنو العتمر ، وقتل السميذع ، وكان الظفر لجرم .

[نمرود وأولاده]

قالوا : وكان لنمرود ثلاثة بنين : أيرج ، وسلم ، وطوس ، فقوض إلى أيرج ملكه ، وجعل سلماً على ولد حام ، وطوساً على ولد يافث ، فحسد أيرج أخواه ، إذ خصه أبوه بالأمر دونهما ، وهو أصغر سناً منهما ، فاغتلاه ، فقتلاه ، فصير الملك إلى ابن ابنه منوشهر بن أيرج ، وصرفه عن ابنيه : سلم ، وطوس ، ثم مات . فملك منوشهر بن أيرج ؛ وفي عصر منوشهر كثرت قحطان باليمن ، فلكوا عليهم سبأ بن يشجب ؛ واسم سبأ عبد شمس .

[أولاد إسماعيل]

قالوا : وفي ذلك العصر توفي إسماعيل بن إبراهيم عليهما السلام ، وخلف ثلاثة بنين ، قيذر بن إسماعيل ، ونابت بن إسماعيل ، وهو كان القيم بأمر مكة والحرم بعد إبراهيم ، ومدّين بن إسماعيل ، وهو الذي صار إلى أرض مدين ، فنزلها ؛ ومن ولده شعيب النبي عليه السلام ، وقومه الذين أرسل إليهم .

[غلبة جرم على الحرم]

قالوا : ولما توفي نابت بن إسماعيل غلبت جرم على البيت والحرم ، فخرج قيذر ابن إسماعيل بأهله وماله يتبع مواقع القطر فيما بين كاظمة ، وغمر ذي كندة ،

والشَّعْمَيْنِ ، وما والى تلك الأرضين حتى كثر ولده ، وانتشروا في جميع أرض
تهامة ، والحجاز ، ونجد .

[بنو قحطان]

٥ فلك سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان أرض اليمن طول ملك منوشهر مائة
وعشرين سنة ، ثم مات ، وملك بعده ابنه حمير بن سبأ ، وجعل ابنه كهلان
وزير حمير .

[نهاية ملك منوشهر]

١٠ قالوا : ولما أتى لملك منوشهر مائة سنة وعشرون سنة سار إليه فراسياب
ابن فايش بن نودسف بن الترك بن يافث بن نوح . وذلك حين ملك حمير أرض
اليمن . وكان مسيره من ناحية الشرق في جموع من ولد يافث بن نوح ، حتى انتهى
إلى أرض بابل ؛ وخرج إليه منوشهر الملك في جنوده ، ففقت جموع منوشهر ،
وقفا فراسياب إثر منوشهر حتى لحقه ، فقتله ، واستولى على ملكه ، وجلس
على سريره .

١٥ وسام ولد أرخشذ الخسف ، وهدم ما كان بأرض بابل من الحصون ، وعور^(١)
ما كان فيها من العيون ، وطم^(٢) ما كان فيها من الأنهار ، وقحط الناس في ملكه
قحطا شديدا ؛ وكان أهل إيران شهر في ملكه في أعظم بلاء .

[زاب بن بودكان]

٢٠ فلما تم لملك فراسياب تسع سنين ظهر زاب بن بودكان بن منوشهر بن أيرج
ابن نمرود بأرض فارس ، فخلع فراسياب ، ودعا لنفسه ، قال إليه جميع ولد سام
ابن نوح للجهد الذي نألمهم في ملك فراسياب ، فسار إلى فراسياب حتى نفاه عن

(١) أئلف عيون الماء . (٢) طم : جف .

مملكته ، وعمد إلى المدن والحصون التي هدمها فراسياب ، فأعاد بناءها ، وحفر
الأنهار والقنى التي كان طمها ، وأصلح كل ما كان فراسياب أفسده ، وكرى
بالعراق أنهاراً عظيمة سماها الزبابة ، اشتق اسمها من اسمه ، وهي الزبابة الأعلى ،
والزبابة الأوسط ، والزبابة الأسفل ، وابتنى المدينة العتيقة ، وسماها طيسفون^(١) ،
ثم سار في إثر فراسياب ، وقد أقام بخراسان في جموعه ، وعساكره ، فزحف إليه
فراسياب فاقتتلوا ، وأقبل أرسنأس الذي كان منوشهر أمره بتعليم الناس الرمي
بالنشاب ، وقد وتر قوسه وفوق^(٢) فيها نشابة ، فأقبل حتى دنا من فراسياب ،
فلما تمكن رماه رمية خالطت فؤاده ، وخر ميتاً ، وانصرف ولد يافث حين قتل
ملكهم حتى لحقوا بأرضهم ، وكان زاب قد أصابته جراحات كثيرة ، فمات منها
بعد مهلك فراسياب بشهر . وفي ذلك العام مات حمير بن سبأ .

قالوا : كان ملك الوليد بن مُصعب فرعون موسى عليه السلام^(٣) على جميع
أرض ولد حام ، وهي المملكة التي تعرف بملك مصر بن حام .
وقالوا : « ولما توفي يوسف بن يعقوب وإخوته بأرض مصر بقي أعقابهم بها ،
وكثروا فيها ، وكانوا في زمان موسى عليه السلام ستمائة ألف رجل ، وكان ملك اليمن
في زمن موسى الملقطاط بن عمرو بن حمير بن سبأ » .

[كيقباز بن زاب]

وكان ملك أرض بابل كيقباز بن زاب ، وكان الملقطاط يلقب بالرائش ، لأنه رايش
قرمه وأغنهم ، وكانت ملوك الأرض كلها قد دانوا لكيقباز ، واتقوه بالإتاوة^(٤) ،

(١) يذكرها الجغرافيون العرب باسم طيسفون أو طيسفونج أو طوسفون ، والأوريون
باسم Atcsibhon ، وكانت مدينة بها قصر لكسرى وتبعد من بغداد مقدار ثلاثة فراسخ .

(٢) فوق النشابة : وضعها في وتر القوس .

(٣) عليه السلام : عم ، والمعروف بعد الكشف الفرعونية أن فرعون موسى هو منفتح
ابن رمسيس الثاني ، أحد ملوك الأسرة التاسعة عشرة .

(٤) الإتاوة : كل ما أخذ بالإكراه من رشوة أو خراج .

وكان له ثلاثة بنين : قابُوس ، وهو الذى ملك من بعده ، وكَيَّا بنُه ، وهو جد لهُرَّاسِيف الذى ملك بعد سليمان بن داود عليه السلام ، وقَيُّوس ، وهو جد الأشنانيتين الذين كانوا ملوك الجبل فى زمان الطوائف .

وفى عصره خرج موسى بن عمران من مصر هارباً من فرعون حتى أتى أرض مدين^(١) ، ونزل على شعيب ، فأجره نفسه ثمانى حجيج ، كما ذكر الله جل ثناؤه فى الكتاب الناطق^(٢) ، ثم خرج من عند شعيب لما قضى الأجل ، وسار بأهله ، فكان من أمره وإكرام الله إياه بتكليمه ورسالته ما قد قصه علينا فى كتابه ؛ وانصرف إلى شعيب ، ورد أهله إليه ، ومضى حتى بلغ رسالة ربه ؛ وفى هذا العصر بعث شعيب إلى قومه ، فكان منهم ما حكاه الله فى كتابه^(٣) .

[أبرهة]

قالوا : ثم ملك أرض اليمن أبرهة بن اللطاط ، وهو أبرهة ذو المنار ، سمي بذلك ، لأنه أمر بعمل المنار والإيقاد عليها بالليل ، ليهتدى بهسا جنوده ، وتوفى موسى ابن عمران عليه السلام ، وتولى أمر إسرائيل من بعده يوشع بن نون ، فخرج بنى إسرائيل من أرض مصر إلى أرض الشام ، فأسكنهم بفلسطين .

قالوا : وإن أبرهة تجهز وسار فى بشر كثير يؤم أرض المغرب ، واستخلف على ملسكه ابنه إفريقيس ، فأوغل فى أرض السودان ، فأعطوه الطاعة ، فجاز أرضهم ، وسار حتى انتهى إلى أمة من الناس ، أعينهم وأفواههم فى صدورهم ، ويقال إنهم أمة من ولد نوح عليه السلام ، غضب الله عليهم ، فبدل خلقهم ، فأعطوه الطاعة ، وانصرف راجعاً ، فرأى أمة من الناس ، يقال لهم النسناس ، للرجل والمرأة منهم نصف رأس ، ونصف وجه ، وعين واحدة ، ونصف بدن ، ويد واحدة ،

(١) قرية النبي شعيب .

(٢) الآيات ٢٣، ٢٤، ٢٥، ٢٦، ٢٧ من سور القصص

(٣) الآيات من رقم ١٧٦ إلى ١٩٠ من سورة الشعراء

ورجل واحدة ، يقفزون قفْزاً في أسرع من حُضر^(١) الفرس الجواد ، وهم يهيمون في الغياض التي على شاطئ البحر ، خلف رمل عاج^(٢) ، يعني رمل بلاد اليمن ، فسأل عنهم ، فأخبر أنهم أمة من ولد وبار بن إرم بن سام بن نوح .

[كيكائوس بن كيقباز]

- قالوا : وكان ملك العجم في عصر أبرهة بن الملطاط كيكائوس بن كيقباز ، وكان متشدداً على الأقوياء^(٣) ، رحباً بالضعفاء ، وكان منصوراً محموداً إلى أن خطرت منه خطرة ضلال ، فيما كان همّ به من الصعود إلى السماء ، فهو صاحب التابوت والنسور ، وكان قد وجد على ابنه سياوش ، ولم يكن له ولد غيره ، فأراد قتله ، فهرب منه ، فلحق بملك الترك ، فحل منه محلاً لطيفاً لما بلّاه واختبره ، ورأى عقله وآدابه وبأسه ونجدته ، ففوّض إليه أمره ، فلما رأى ذلك أهل بيت الملك حسدوه ، وخافوا أن يبرزهم الأمر ، فدسّوا إليه الغوائل^(٤) عند الملك حتى أقدم عليه ، فقتله ، وقد كان زوجه ابنته ، وحملت منه ، فأراد أن ييقر بطنها عن جنينها ، فناشده برأيان الوزير فيها ، وفي ولدها ألا يقتلها من غير جرم ، فقال له : « دونك ، نخذها إليك ، فإذا ولدت فاقتل ولدها » . فكانت عنده حتى ولدت غلاماً ، وهو كيكائوس الذي ملك بعده ، فأخرجه من مصر ، واسترضع له في سكان الجبال من الأكراذ ، فنشأ عندهم ؛ وقال للملك : « إنها ولدت جارية وقد قتلها » فصدقته .

[ملك كيكائوس]

وإن أهل فارس شنّوا كيكائوس لما أظهر من الجبروت والعتو والجراة على الله ،

(١) الحضر بضم الحاء وسكون الضاد ارتفاع الفرس في عدوه .

(٢) عاج : موضع بالبادية به رمل .

(٣) الأقوياء في الأصل : الأقرباء .

(٤) الغوائل جمع غائلة وهي الداهية والمصيبة .

وتأمرُوا على خَلْمِهِ ؛ وفشا ذلك حتى بلغ أم الغلام ، وقد أتى له سبع عشرة سنة ،
فدست رسولا إلى أهل فارس ، تعلمهم مقتل سياوش ، وأمر الغلام ؛ فاختاروا رجلا
من أفاضلهم ، يسمى « زَوَّ » ، فوجهوه إلى ابريان الوزير في الإقبال بالغلام ،
فقدم عليه ، وأعلمه ما أجمعت عليه أهل فارس ، فسلم إليه الغلام ، وحمله على فرس
أبيه سياوش الذي قدم عليه من العراق ، فسار به زَوَّ ، يكمن النهار ، ويسير الليل ،
حتى ورد يَمَّ جيجون^(١) ، وهو نهر بلغ بما يلي خوارزم ، فعبه سباحة على فرسه ،
وأقبل به ، حتى أورده دار الملك ، فخلعوا كيكائوس ، وملكوا الغلام ، وسموه
كيخسرو ، ومنحوه الطاعة ، فأمر بجذبه فحبس ، فلم يزل محبوساً حتى هلك .

[إفريقيس واليمن]

قالوا : وكان ملك كيوخسرو وملك إفريقيس بن أبرهة في عصر واحد ، وإن
إفريقيس تجهز يريد المغرب ، حتى أوغل في أرض طنجة والأندلس ، فرأى بلاداً
واسعة ، فابتنى هناك مدينة ، وسمّاها إفريقية اشتق اسمها من اسمها ، ونقل إليها
سكانا ، وهى المدينة التى ينزلها اليوم سلطان ذلك البلد وعظماؤها ، ثم انصرف إلى
وطنه ؛ وفى ذلك العصر نشأ معد بن عدنان ، وفيه انقرض ولد إرم من جميع
أرض العرب إلا بقايا من طسم وجديس ، غبروا بعمان والبحرين واليمامة .

[ملك ابن إفريقيس وهلال طسم وجديس]

ولما مات إفريقيس بن أبرهة ملك ابنه ذو جَيْشان بن إفريقيس ، فتجهز لغزو
كيخسرو ملك فارس ، وجمع جنوده ، وسار حتى نزل بنجران^(٢) ، وكان بُمّان

(١) جيجون : نهر من أكبر أنهار آسيا ينبع من جبال بامير ويمجرى نحو الغرب حتى يصب
في بحيرة أورال ، وفيضانه بين شهرى مايو واكتوبر ، وهو الآن حد فاصل بين أفغانستان
وجمهوريةات آسيا السوفياتية ، ويطلق المؤرخون العرب على البلاد الواقعة شمال جيجون بلاد
ما وراء النهر .

(٢) بنجران : موضع بالبحرين .

والبحرين واليمامة بشر كثير من ولد طسم، وجديس، ابني إرم بن سام، وكانوا من العرب العاربة، وكان ملكهم رجلا من طسم، يسمى عمليقا، وكان جائرا ظلوما، وبلغ من عتوه أن أمر ألا ترف امرأة من جديس إلى زوجها إلا بدءوه بها، فمكثوا بذلك دهرا طويلا.

- ٥ وإن رجلا من جديس تزوج عَفِيرَةَ بنت غِفَار أخت الأسود بن غِفَار عظيم جديس وسيدها، فلما أرادوا إهداءها أدخلت على الملك، فافترقها، ثم خلى سبيلها، فخرجت إلى قومها في دماؤها رافعة ثوبها عن عورتها، وهي تقول:

أَيْضَلُحُ مَا يُوتَى إِلَى فَتَيَاتِكُمْ وَأَنْتُمْ رِجَالٌ ثَوْرَةٌ عَدَدَ النَّمْلِ
فَلَوْ أَنَّكُمْ كُنَّا رِجَالًا وَكُنْتُمْ نِسَاءً لَكُنَّا لَا تَقْرُ عَلَى الذَّلِّ
١٠ فَبَعْدًا لِبَعْلٍ لَيْسَ فِيهِ حَمِيَّةٌ وَيَخْتَالُ يَمْشِي مِشْيَةَ الرَّجُلِ الْفَحْلِ
فحميت من ذلك جديس، فاغتالوا عمليقا، فقتلوه على غرة، وإمامهم الأسود

ابن غفار يرتجز، ويقول:

يَا لَيْلَةً مَا لَيْلَةُ الْعُرُوسِ جَاءَتْ تَمْشِي بِدَمٍ جَمِيسٍ (١)
يَا طَسْمُ مَا لَأَقِيَّتٍ مِنْ جَدِيسٍ إِيحْدَى لِيَا لِيكِ فَهَيْسَ هَيْسَ (٢)
١٥ فأبادوا طسما، فلم يفلت منهم إلا رجل يقال له، رياح بن مرة، فإنه مضى على وجهه حتى أتى ذا جيشان، وهو معسكر في جنوده بنجران، فمثل بين يديه،
ثم قال:

إِنَّكَ لَمْ تَسْمَعْ يَوْمَ وَلَا تَرَى كَيْوَمَ أَبَادَ الْحَيِّ طَسْمًا بِهِ الْمَكْرُ
أَتَيْنَاهُمْ فِي أَزْرَانَا وَنِمَالِنَا عَلَيْنَا الْمَلَأَ الْحُمُرُ وَالْحُلُلُ الْخَضْرُ
٢٠ فَصِرْنَا لُحُومًا بِالْمَرَاءِ وَطَعْمَةً تَنَازَعَهَا ذِيبُ الْوَشِيمَةِ وَالنَّمْرِ (٣)

(١) الدم الجيس: هو الدم المتجمد.

(٢) هيس هيس: كلمتان تقالان للخص عند إمكان الأمر والإغراء به.

(٣) الوشيمة: الشر والعداوة والضراوة.

فَدُونَكَ قَوْمًا لَيْسَ اللَّهُ فِيهِمْ وَلَا لَهُمْ مِنْهُ حِجَابٌ وَلَا سِتْرٌ
فَقَالَ الْمَلِكُ : كَمْ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ ؟ ، قَالَ : ثَلَاثٌ . فَقَالَ مِنْ حَضْرِهِ : كَذِبٌ ،
أَيُّهَا الْمَلِكُ ، بَيْنَكَ وَبَيْنَ الْقَوْمِ عَشْرُونَ لَيْلَةً ، فَأَمَرَ جُنُودَهُ بِالْمَسِيرِ نَحْوَ الْيَمَامَةِ ، فَنَفَى
مَسِيرَهُمْ ، وَقِصَّةُ الزَّرْقَاءِ ^(١) يَقُولُ الْأَعَشَى بَعْدَ ذَلِكَ بِدَهْرٍ طَوِيلٍ :
قَالَتْ أَرَى رَجُلًا فِي كَفِّهِ كَتِيفٌ أَوْ يَخْصِفُ النَّعْلَ ، لَهْفِي أَيْةً صَنَعًا
فَكَذَّبُوهَا بِمَا قَالَتْ ، فَصَبَّحَهُمْ ذُو آلِ جَيْشَانَ ، يُزِجِي الْمَوْتَ وَالشَّرْعَا
فَاسْتَنْزَلُوا أَهْلَ جَوٍّ مِنْ مَسَاكِينِهِمْ وَهَدَّمُوا مُشْرِفَ الْبُنْيَانِ ، فَأَتَضَعَا
فَأَمَّ جَدِيسَا ، وَاسْتَأْصَاهُمْ ، ثُمَّ رَحَلَ نَحْوَ الْعِرَاقِ يَرِيدُ كَيْخَسْرُو ، وَزَحَفَ
إِلَيْهِ كَيْخَسْرُو ، فَالْتَقُوا ، فَاقْتُلَ ذُو جَيْشَانَ ، وَانْفَضَّتْ جَمُوعُهُ .

[مَلِكُ الْفَنَدِ ذِي الْإِذْعَارِ]

فَلَمَّا كَتَّ الْيَمِينُ ابْنَهُ الْفَنَدَ ذَا الْإِذْعَارِ ، وَإِنَّمَا لَقِبَ ذَا الْإِذْعَارِ لِرُعْبِ النَّاسِ مِنْهُ ،
فَلَمْ تَكُنْ لَهُ هِمَّةٌ إِلَّا الطَّلَبُ بِثَارِ أَبِيهِ .

[هَجْرَةُ رَبِيعَةَ إِلَى الْيَمَامَةِ وَالْبَحْرَيْنِ]

قَالَ : وَبَقِيَتِ الْيَمَامَةُ وَالْبَحْرَيْنِ بَعْدَ قَتْلِ جَدِيسٍ لَيْسَ بِهِمَا أَحَدٌ إِلَى أَنْ كَثُرَتْ
رَبِيعَةٌ ، وَاتَّشَرَتْ ، وَتَفَرَّقَتْ فِي الْبِلَادِ ، فَسَارَتْ عِثْرَةٌ ^(٢) بِنِ اسْدَ بْنِ رَبِيعَةَ ،
تَتَّبَعَ مَوَاقِعَ الْغَيْثِ ، وَتَقَدَّمَهَا عَبْدُ الْعَزْزِيِّ بْنُ عَمْرِو الْعَمَزِيِّ حَتَّى هَجَمَ عَلَى الْيَمَامَةِ ، فَرَأَى
بِلَادًا وَاسِعَةً ، وَنَخْلًا وَقُصُورًا ، وَإِذَا هُوَ بِشَيْخٍ قَاعِدٍ تَحْتَ نَخْلَةٍ سَحْوَقٍ ^(٣) ،
يَرْتَجِزُ ، وَيَقُولُ :

تَقَاصَرِي ، أَجْنِرْ جَنَّاكَ قَاعِدًا إِنِّي أَرَى حَمْلَكَ يَنْمِي ^(٤) صَاعِدًا

(١) امْرَأَةٌ مِنْ قَبِيلَةِ جَدِيسٍ كَانَتْ تَبْصُرُ الشَّيْءَ مِنْ مَسِيرَةِ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ ، وَقَدْ حَذَرَتْ قَوْمَهَا
مِنْ هَجُومِ حَيْرٍ فَلَمْ يَصْدُقُوهَا حَتَّى صَبَّحَهُمْ حَسَانٌ فَاجْتَا حَمْلَهُمْ وَأَخَذَ الزَّرْقَاءَ فَشَقَّ عَيْنَهَا .

(٢) الْعِثْرَةُ بِالْكَسْرِ : نَسْلُ الرَّجُلِ وَرَهْطُهُ وَعَشِيرَتُهُ الْأَدْنَوْنَ .

(٣) النَخْلَةُ الطَّوِيلَةُ الْجُرْدَاءُ الَّتِي بَعْدَ ثَمَرِهَا عَلَى الْمَجْتَنِي . (٤) يَنْمِي : يَرْتَفِعُ ،

فقال له عبد المزي : مَنْ أَنْتَ أَيُّهَا الشَّيْخُ ؟ قَالَ : أَنَا مِنْ هِزَّانَ ، الْفُرَاغَةُ الْأَقْرَانُ ، هِزَّانَا ذُو جَيْشَانِ ، الْمَلِكُ الْقَرَمُ^(١) الْيَمَانِ ، فَأَعْمَلُ فِيهَا الْمُرَّانَ^(٢) ، فَلَمْ يَبْقَ بِهَذَا الْمَكَانَ غَيْرِي ، وَإِنِّي لَفَانٍ . فَقَالَ عَبْدُ الْمَزْيِ : وَمَنْ هِزَّانُ ؟ قَالَ : هِزَّانُ بْنُ طَسَمٍ أَخُو النَّهْيِ وَالْحَزْمِ ، وَابْنُ الشُّجَاعِ الْقَرَمِ .

- ٥ فَأَقَامَ عَبْدُ الْمَزْيِ أَيَّامًا ، ثُمَّ تَبَرَّأَ بِمَكَانِهِ ، فَضَى سَائِرًا حَتَّى سَقَطَ إِلَى الْبَحْرَيْنِ ، فَرَأَى بِلَادًا أَوْسَعَ مِنَ الْيَمَامَةِ ، وَبِهَا مَنْ وَقَعَ إِلَيْهَا مِنْ وَلَدِ كَهْلَانَ ، حِينَ هَرَبُوا مِنْ سَيْلِ الْعَرَمِ^(٣) ، فَأَقَامَ مَعَهُمْ ؛ وَسَارَتْ بَنُو حَنِيفَةَ عَلَى ذَلِكَ السَّمْتِ ، يَتَبِعُونَ مَوَاقِعَ الْفَيْثِ ، وَتَقْدِمُهُمْ عُبَيْدُ بْنُ يَرْبُوعَ ، وَكَانَ سَيِّدَهُمْ ؛ فَتَنَزَلَ قَرِيبًا مِنْهَا ، فَضَى غَلَامٌ لَهُ ذَاتَ يَوْمٍ حَتَّى هَجَمَ عَلَى الْيَمَامَةِ ، فَرَأَى نَخْلًا وَرَيْفًا ، وَإِذَا هُوَ بِشَيْءٍ مِنْ تَمَرٍ قَدْ تَنَازَرَتْ تَحْتَ النَّخْلِ ، فَأَخَذَهُ ، وَأَتَى بِهِ عُبَيْدًا ، فَأَكَلَ مِنْهُ ، فَقَالَ : ١٠ وَأَيُّكَ إِنْ هَذَا الطَّعَامُ طَيِّبٌ . فَارْتَفَعَ حَتَّى أَتَى الْيَمَامَةَ ، فَدَفَعَ فَرَسَهُ ، نَحَطَّ عَلَى ثَلَاثِينَ دَارًا وَثَلَاثِينَ حَدِيقَةً ، فَسَمِيَ ذَلِكَ الْمَكَانَ حَجْرًا ، فَهُوَ الْيَوْمَ قَصْبَةُ الْيَمَامَةِ ، وَمَوْضِعُ وَلَاتِهَا ، وَسَوْقُهَا ؛ وَتَسَامَعَتْ بَنُو حَنِيفَةَ بِمَا أَصَابَ عُبَيْدُ بْنُ يَرْبُوعَ ، فَأَقْبَلُوا حَتَّى أَتَوْا الْيَمَامَةَ ، فَقَطَّنُوهَا ؛ فَمَقَّبَهُمْ بِهَا إِلَى الْيَوْمِ . قَالَ : وَكَانَ دَاوُدُ النَّبِيُّ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي عَصْرِ ذِي الْإِذْطَارِ ، وَكَانَ مَلِكُ الْمَعْجَمِ كَيْخَسْرُ بْنُ سِيَاوُشَ . ١٥

[دَاوُدُ الْمَلِكُ]

وَكَانَ سُلْطَانُ بَنِي إِسْرَائِيلَ قَدْ وَهَى ، فَكَانَ مِنْ حَوْلِهِمْ مِنَ الْأُمَمِ يَغْزَوْنَهُمْ ، فَيَقْتُلُونَ ، وَيَأْسِرُونَ ، فَأَتَوْا نَبِيَهُمْ شُعَيْبًا ، فَقَالُوا : « ابْعَثْ لَنَا مَلِكًا ، نَقَاتِلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ »^(٤) . فَلَمَّا عَلَيْهِمْ طَالُوتُ ، وَكَانَ مِنْ سَبْطِ يُوسُفَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ^(٥) ،

(١) السَّيِّدُ ، وَالرَّائِسُ ؛ فَهُوَ يَشْبَهُ الْقَرَمَ مِنَ الْإِبِلِ وَاعْظَمُ شَأْنُهُ . (٢) الرِّمَاحُ الصَّلْبَةُ اللَّدْنَةُ .

(٣) الْعَرَمُ : السَّيْلُ الَّذِي لَا يَطَاقُ ، وَكَانَ قَوْمٌ سَبَأٌ فِي نِعْمَةٍ وَجَنَانٍ كَثِيرَةٍ ، فَلَمْ يَشْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ ، فَبَعَثَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ جَرْدًا تَقَبَّتْ سِدَاهُمْ ، فِيهِ أَبْوَابٌ ، فَأَنْبَثَتْ الْمَاءَ ، فَفَرَّقَتْ جَنَانَهُمْ .

(٤) الْآيَةُ رَقْمُ ٢٤٦ مِنْ سُورَةِ الْبَقَرَةِ . (٥) كَذَا فِي الْأَصْلِ

وكان الملك في بيت يهوذا ؛ وقد كان بقي في ذلك العصر من ولد عاد جالوت الجبار ، فسار غازياً ابني إسرائيل في جنوده ، فجمع طالوت بني إسرائيل ، وخرج لمحاربتهم ، فمروا بالنهر الذي نهام طالوت عن شربه ، وشربوا منه إلا ثلاثمائة رجل وسبعة عشر رجلاً ، عدد أهل بدر مع رسول الله صلى الله عليه وسلم .
 وكان داود النبي حينئذ حدث السن ؛ فلما تواقف الفريقان وضع داود - عليه السلام - حجراً في قذافة ، ثم فتكها ، ورماه ، فصك بين عيني جالوت ، فكانت نفسه فيه ، وانهزم جنوده ، وغنم بنو إسرائيل أموالهم ؛ فاجتمع بنو إسرائيل عند ذلك على تملك داود صلى الله عليه وسلم ، وخلع طالوت برضى منه ؛ وداود من سبط يهوذا بن يعقوب . قالوا : وكان ملك الروم في ذلك العصر « دَقِينُوس » صاحب الفتية أصحاب الكهف .

وذكر عن عبد الله بن الصامت ، قال : وجهني أبو بكر الصديق - رضى الله عنه -^(١) سنة استخلف إلى ملك الروم ، لأدعوه إلى الإسلام ، أو آذنه بحرب ، قال ، فمرت حتى أتيت القسطنطينية ، فأذن لنا عظيم الروم ، فدخلنا عليه ، فجاسنا ، ولم نسلم ؛ ثم سألنا عن أشياء من أمر الإسلام ، ثم صرفنا يومنا ذلك ؛ ثم دعا بنا يوماً آخر ، ودعا خادماً له ، فكلمه بشيء ، فانطلق ، فأناه بعتيدة^(٢) ، فيها بيوت كثيرة ، وعلى كل بيت باب صغير ، ففتح باباً ، فاستخرج خرقة سوداء ، فيها صورة بيضاء ، كهيئة رجل أجمل ما يكون من الناس وجهها ، مثل دائرة القمر ليلة البدر ، فقال : أتعرفون هذا ؟ قلنا : لا . قال : هذا أبونا آدم عليه السلام ؛ ثم رده . وفتح باباً آخر ، فاستخرج خرقة سوداء ، فيها صورة بيضاء ، كهيئة شيخ جنيل الوجه ، في وجهه تقطيب ، كهيئة المحزون المهموم ، فقال : أتعرفون من هذا ؟ قلنا : لا . قال : هذا نوح ؛ ثم فتح باباً آخر ، فاستخرج خرقة سوداء ، فيها صورة بيضاء^(٣) على صورة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم ، وعلى جميع الأنبياء ؛

(١) رضى الله عنه : رضه . (٢) نموذج مهبأ . (٣) خرم في الأصل ، مقداره ورقة .

فلما نظرنا إليه بكينا ؛ فقال : ما لكم ؟ فقلنا : هذه صورة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم ، فقال : أبدينكم ، إنها صورة نبيكم ؟ قلنا : نعم ، هي صورة نبينا ، كأننا نراه حيا ، فطواها ، وردّها ، وقال : أما إنها آخر البيوت إلا أنى أحيت أن أعلم ما عندكم ؟ ثم فتح بابا آخر ، فاستخرج منه خرقة سوداء ، فيها صورة بيضاء ، أجمل ما يكون من الرجال ، وأشبههم بنبينا محمد صلى الله عليه وسلم ، ثم قال : وهذا إبراهيم ؛ ثم فتح بيتا آخر ، فاستخرج صورة رجل آدم ^(١) ، كهيئة المحزون المفكر ، ثم قال : هذا موسى بن عمران ؛ ثم فتح بيتا آخر ، فاستخرج صورة رجل ، له ضفيران ، كأن وجهه دائرة القمر ، ثم قال : وهذا داود ؛ ثم فتح بيتا آخر ، فاستخرج صورة رجل جميل على فرس ، له جناحان ، ثم قال : وهذا سليمان ^(٢) ، وهذه الريح تحمله ؛ ثم فتح بيتا آخر ، فاستخرج صورة شاب جميل الوجه ، في يده عكازة ، وعليه مِدرعة ^(٣) صوف ، ثم قال : وهذا عيسى ، روح الله ، وكلته ، ثم قال : إن هذه الصورة وقعت إلى الإسكندر ، فتوارثها الملوك من بعده حتى أفضت إلى .

قالوا : وإن ذا الأذعار خرج في جنوده ، يطلب بثأر أبيه ذى جيشان الذى صار إلى أرض فارس ، فخارب كيخسرو ، فقتل في المعركة ، فأت ذو الأذعار في طريقه قبل أن يدرك ما أراد .

[ملك بلقيس]

فلما كنت اليمن عليهم الهدّهاد بن شرّحبيل بن عمرو بن مالك بن الرائش ، وكان الهدّهاد يلقب بذي شرّخ ، فأمر بجسيم ذى الأذعار ، فحمل ، ورجع بقومه إلى أرض اليمن ، فأمر به ، فدفن بصنماء ^(٤) في مقبرة الملوك . قالوا : وإن الهدّهاد

(١) أسمر ، والأدمة ، في الناس ، السمرة ، وفي الظباء ، لون مشرب يابضا ، وفي الإبل ، لون مشرب سوادا . (٢) سليمان : سليمان .

(٣) جبة مشقوقة من المقدم ، تلبس ، ولا تكون إلا من الصوف .

(٤) العاصمة الحالية لمملكة اليمن .

تزوج ابنة ملك الجن بأرض اليمى ، فولدت له بلقيس ، وهذا حديث منتشر ،
قد حملته الرواة .

قالوا : فلما أتى لها ثلاثون سنة حضر الهدهاد الموت ، فجمع وجوه حمير ،
فقال : يا قوم ، إني قد عجمت الناس ، واختبرت أهل الرأى والمقل ، فلم أرَ مثل
بلقيس ، وإني قد وليتها أمركم ، لتقيم لكم الملك إلى أن يبلغ ابن أخى ياسر ينعم بن
عمرو ، فرضوا بذلك ، فلكت بلقيس .

[ملك سليمان]

وفى أول ملكها توفى داود ، عليه السلام ، وورث سليمان ملكه ، وذلك كله
في عصر كيخسرو بن سياوش ؛ فلما ملك سليمان سار من أرض الشام إلى أرض
العراق بأهله وخزائنه ، فلاحق بخراسان ، فنزل مدينة بلخ^(١) ؛ وكان هو الذى بناها
قبل ذلك ، وأقبل سليمان حتى نزل العراق ، فبلغ كيخسرو نزول سليمان بأرض
العراق ، وما أعطى من عظيم السلطان ، فدخله فزع ، وأسف خامره ، فنهكه ،
فلم يلبث إلا قليلا حتى مات .

وإن سليمان سار من العراق إلى مرو^(٢) ، ثم سار منها إلى بلخ ، ثم سار من
بلخ إلى بلاد الترك ، فوغل فيها ، وجاوزها إلى بلاد الصين ، ثم عطف متيامنا
عن مطلع الشمس على ساحل البحر حتى أتى القندهار^(٣) ، ثم سار منها إلى
كسكر^(٤) ، ثم عاد إلى الشام ، فوافى تدمر ، وكانت موطنه .

قالوا : ووُجد في صخر بكسكر :

غَدَوْنَا طُلُوعَ الشَّمْسِ مِنْ أَرْضِ فَارِسٍ

فَهَا نَحْنُ قَدْ قَلْنَا بِبَلَدِ كَسْكَرٍ

(١) مدينة مشهورة بخراسان ، من أجل المدن بها ، وأكثرها غلة ؛ وقد افتتحها الأحف
ابن قيس في أيام عثمان بن عفان ، وينسب إليها خلق كثير ، منهم الحسن بن شجاع ؛ المحدث المشهور
(٢) مدينة بفارس .

(٣) القندهار : بلد على بعد ٣٠٠ كم. من كابل عاصمة أفغانستان ، ولها أهمية تجارية
كبيرة لوقوعها بين الهند وإيران . (٤) كسكر : كورة بين البصرة والكوفة ، عاصمتها واسط .

وَنَحْنُ وَلَا حَوْلَ سِوَى حَوْلِ رَبَّنَا

نَرْوَحُ إِلَى الْأَوْطَانِ مِنْ أَرْضِ تَدْمُرَ^(١)

- وكان داود عليه السلام ابتداءً ببناء مسجد بيت المقدس ، فتوفي قبل استتمامه ، فاستتمه سليمان^(٢) ، وأتم بناء مدينة إيليا^(٣) ، وقد كان أبوه ابتدأها قبله ، فبنى مسجدها بناء لم ير الناس مثله ، وكان يضيء في ظلمة الليل الجندس إضاءة السراج الزاهر ، لكثرة ما كان جعل فيه من الجواهر والذهب ، وجعل اليوم الذي فرغ فيه منه عيداً في كل سنة ، فلم يكن في الأرض عيد أبهى ولا أعظم خطراً منه ، ولا أحسن منظراً ؛ فلم يزل المسجد على ما بناه سليمان حتى غزا « بُخْتُ نَصْر » بَيْتَ الْقُدْسِ ، فَأَخْرَبَهَا ، ونقض المسجد ، وأخذ ما كان فيه من الذهب والفضة والجوهر ، فنقله إلى العراق .
- ١٠

- قالوا : وكان سليمان مطعماً للطعام ، فكان يُذبح في مطابخه كل غداة ستة آلاف ثور ، وعشرون ألف شاة . قالوا : ولما فرغ سليمان من بناء مسجد إيليا^(٤) تجهز سائراً إلى تهامة^(٥) ، يريد بيت الله الحرام ، فطاف به ، وكساه ، وذبح عنده ، وأقام سبعا ، ثم سار إلى صنعاء ، وتفقد الطير ، فلم ير الهدهد ؛ فكان من حديثه وحديث صاحبة سبأ — وهي بلقيس — ما قد قصه الله تبارك وتعالى في كتابه^(٥) ، إلى أن تزوجها ، وبني بأرض اليمن ثلاثة حصون ، لم ير الناس مثلاً ، وهي سَلْحِين ، وَبَيْتُون ، وَغُمْدَان ؛ وانصرف سليمان إلى الشام ، فكان يزورها في كل شهر ، فيقيم عندها ثلاثاً .
- ١٥

وإنه غزا بلاد المغرب: الأندلس، ووطنجة، وفرنجة، وإفريقية، ونواحيها من أرض

(١) تدمر: مدينة بأرض الشام . (٢) اسم قديم لمدينة القدس .

(٣) إلى هنا ينتهي الحرم في الأصل .

(٤) تهامة: أرض بالجزيرة العربية ما بين ذات عرق إلى مرحلتين من مكة ، وذات عرق أول

تهامة إلى البحر وجدة ، وتذكر بعض الكتب العربية ، أنها مكة .

(٥) سورة النمل ، الآيات من رقم ٢٠ إلى رقم ٤٤ .

بنى كنعان بن حام بن نوح ؛ وعليهم ملك جبار عاتٍ ، عظيمُ الملك ، فدعاه إلى الإيمان بالله ، وخلع الأنداد ، فتمرد عليه ، فقتله ؛ وأصاب ابنة له من أجمل الناس ، قسراًها ، ووقعت منه موقماً لطيفاً .

وقفل إلى الشام ، فأمر بمقصورة ، فبنيت لها ، وأفردها فيها مع ظئورتها^(١) وخدمها ، وكان سليمان لا يدخل عليها إلا وجدها باكية حزينة ، فكدر ذلك عليه حبه لها ، وعجبه بها ، وهى المرأة التى نال سليمان فى أمرها ما ناله من سلب ملكه ، وزوال سلطانه وبهائه ، حين اتخذت تلك المرأة تمثال أبيها فى داره ، وعبدته سرّاً من سليمان ؛ إلا أن اتخذها التمثال كان عن علم من سليمان ، وأذن لها ؛ أراد بذلك أن تسكن إذا نظرت إليه ، فتتسلى .

ويقال : إن سليمان بنى فى أقاصى بلاد المغرب مدينة من نحاس فى مفاوز الأندلس ، وأودعها خزائن من خزائنه ؛ وإن عبد الملك بن مروان كتب إلى عامله على بلاد المغرب ، موسى بن نصير - وكان من أبناء المعجم ، غير أن ولاءه كان لقيس - يأمره بالمسير إلى هذه المدينة ليعلم له علم خبرها ، ويكتب إليه ، وإن موسى بن نصير سار إليها ، وانصرف راجعاً حتى سار إلى القيروان ، وكتب بالخبر إلى عبد الملك ، يصف له المدينة ، وما لقي فى سفره إليها ، وما رآه عند مصيره نحوها .

[أرخبم بن سليمان]

قالوا : لما توفى سليمان قام بالأمر بعده أرخبم بن سليمان ، ففرقت بنو إسرائيل ، وهى أمره ، فكث بذلك إلى أن سار « بوخت نصر » - وهو « بوخت نرسى » عند المعجم - إلى بيت المقدس ، فهدمه .

[انقسام امبراطورية سليمان]

قالوا : وقام باليمن بعد بلقيس ياسر بنعم بن عمر بن شرخيل بن عمرو ، وكان

(١) الظئر مهموز ، الأنثى العاطفة على غير ولدها ، المرضعة له .

ابن أخى الهدهاد ؛ وإنما سمي ياسر ينعم لإنعامه على قومه . قالوا : وإن ياسر ينعم
تجهز غازياً لأرض المغرب ، حتى بلغ وادى الرّمل ، ولم يبلغه ملك قبله ، فأراد
أن يعبره ، فلم يجد مجازاً ، لأنه رمل فيما زعموا ، يجري كما يجري الماء ، فعسكر
على حافته ، ونصب عليه صنماً ، وكتب على جبهته « ليس ورأى مذهب ، فانصرف » ؛
وانصرف إلى بلاده .

[هدم مدينة « إيليا »]

قالوا : وإن فارس لما مات سليمان بن داود اجتمع عظامها وأشرافها ليختاروا
رجلاً من ولد كيقباز الملك ، فيملكوه عليهم ، فوَقعت خيرتهم على لُهرَاسف
ابن كيميس بن كيان بن كيقباز الملك ، فملكوه عليهم ، وإن لُهرَاسف عقد
لأبن عمه ، بخت نصر بن كانجار بن كيان بن كيقباز في اثني عشر ألف رجل
من خيله ، وأمره أن يأتي الشام فيحارب أرخبتم بن سليمان ، فإن كان الظفر له
قتل من قدر عليه من عطاء إسرائيل ، وهدم مدينة إيليا ؛ فسار بخت نصر حتى
أتى الشام ، فشنّ فيها النارات ، وعاث ؛ فانهزم ملوك الشام منه ، وهرب
أرخبتم من بيت المقدس ، فنزل فلسطين ، فتوفي بها .

وأقبل بخت نصر حتى ورد مدينة بيت المقدس ، فدخلها لا يمتنع منه أحد ،
فوضع في بني إسرائيل السيف ، وسبي أبناء الملوك والعظماء ، وهدم مدينة إيليا ،
فلم يدع فيها بيتاً قائماً ، ونقض المسجد ، وحمل ما كان فيه من الذهب والفضة
والجوهر ، وحمل كرسى سليمان ، وقفل راجعاً إلى العراق ؛ وكان في السبي
دانيال النبي عليه السلام ، فسار حتى قدم على لُهرَاسف الملك ، وهو نازل
بالسوس^(١) ، فمات دانيال عنده بالسوس .

[ملك العجم واليمن]

قالوا : ولما حضر لُهرَاسف الموت أسند الملك إلى ابنه بشتاسف ، وفي ذلك
(١) مدينة قديمة بأرض فارس ، تقع بإيالة خوزستان ، وقد اتخذها ملوك الفرس مشق لهم .

العصر مات ياسر بنعم صاحب اليمن ، وقام بالأمر بعده شمر بن إفرقيس بن أبرهة
ابن الرائيش ، وهو الذي يزعمون أنه أتى الصين وهدم مدينة سمرقند^(١) ، فيزعمون
أن وزير صاحب الصين مكر به ؛ وذلك أنه أمر الملك أن يجده ويخلى سبيله ،
فسار الأجدع إلى شمر ، فأخبره أنه نصح لصاحبه ، يعنى ملك الصين ، وأمره
بالنجوع^(٢) لشمر ، وإعطائه الطاعة والإتاوة ، فغضب عليه ، وجده ، وأنه سار
إلى شمر ليدله على عورة صاحب الصين جزاء بما فعل به ، فأغتر شمر بذلك ، وسأله
عن رأى ، فقال : إن بينك وبينه مفازة ، تقطع في ثلاثة أيام ، ومئاتها منها قريب ،
فاحمل الماء لثلاثة أيام ، وسر حتى أفاجئه بك من كئيب ، فتستبيح بلده ، وتأخذه
سليماً ، وأهله ، وماله . ففعل ؛ فسلك به مفازة لا ترام ؛ فلما ساروا ثلاثة ،
ونفذ الماء ، ولم يروا علماً ، ولا انتهوا إلى ماء ، قالوا له : أين ما زعمت ؟
فأعلمه أنه مكر به ، ووقى أهل بيته بنفسه ، لأنه قد علم أنه سيقتله ، وقال
قد أهلكتك ، فاصنع ما أنت صانع ، فمالك ولن تبعك في الحياة^(٣) مطمع .
فوضع شمر درعه^(٤) تحت رأسه ، وترس^(٥) حديد كان معه فوق رأسه ، يستكن به
من الشمس .

قالوا : وقد كان المنجمون قالوا له ، إنك تموت بين جبلي حديد ، فمات بين
درعه وترسه عطشا ، فلم يبق من جنوده أحد إلا هلك ، وقد سمعنا نحن بهذا
الحديث في غير قصة شمر .

(١) بلد في أرض كسكر فيما وراء نهر جيحون ، وهى من البلاد المشهورة في التاريخ القديم ،
ويقال إنها سميت باسم الذى بناها ، شمر أبو كرب ، ثم عربها العرب في كلامهم إلى سمرقند .

(٢) النجوع : الإتيان ، ونجم فلانا إذا أتاه طالبا معروفه .

(٣) الحياة : الحيوة .

(٤) الدرع : قميص من حديد يتدرع به في الحرب .

(٥) الترس من السلاح : ما يتوقى به .

[زرادشت ودعوته]

قالوا : وكان زَرَادُشْت صاحب المجوس أتى بُشْتَاْسِفَ الملك ، فقال : إني رسول الله إليك ، وأتاه بالكتاب الذي في أيدي المجوس ، فأمن له بُشْتَاْسِفَ ، ودان بدين المجوسية ، وحمل عليه أهل مملكته ، فأجابوه طوعاً وكرهاً .

وكان رُسْتَمُ^(١) الشديد عامله على سِجِسْتَانِ^(٢) وخراسان ، وكان جباراً مديد القامة ، شديد القوة ، عظيم الجسم ؛ وكان ينتمي إلى كيقباد الملك ، ولما بلغه دخول بُشْتَاْسِفَ في المجوسية ، وتركه دين آبائه غضب من ذلك غضباً شديداً ، وقال : ترك دين آبائنا الذي توارثوه آخرأ عن أول ، وصبا إلى دين محدث .

ثم جمع أهل سِجِسْتَانِ ، فزَيَّنَ لهم خلع بُشْتَاْسِفَ ؛ وأظهروا عصيانه ؛ فدعا بُشْتَاْسِفَ ابنه « أَسْفَنْدِيَاذَ » وكان أشد أهل عصره ، فقال له : يا بني ، إن الملك مفض إليك وشيكا ، ولا تصاح أمورك كلها إلا بقتل رُسْتَمُ ؛ وقد عرفت شدته وقوته ، وأنت نظيره في الشدة والقوة ، فانتخب من الجنود ما أحببت ، ثم سِرْ إليه .

فانتخب أَسْفَنْدِيَاذَ من جنود أبيه اثني عشر ألف رجل من أبطال العجم ، وسار نحو رستم ، وزحف إليه رستم ، فالتقيا ما بين بلاد سِجِسْتَانِ وخراسان ، فدعاه أَسْفَنْدِيَاذَ إلى إعفاء الجيشين من القتال ، وأن يبرز كل واحد منهما لصاحبه ، فأيهما قتل صاحبه استولى على أصحابه ؛ فرضى رستم بذلك ، وعاهده عليه ،

(١) رستم : بطل فارسي مشهور ، أفرد لبطولاته في الشهامة فصول تعتبر من أروع فصول الكتاب .

(٢) سجستان : ولاية واسعة ، مدينتها ذرنج ، وبينها وبين هراة ثمانون فرسخا إلى الجنوب ، وأرضها رملية ، والرياح فيها لاتسكن ، وهي واقعة الآن بين إيران وأفغانستان وعاصمتها نصر تاباد ، وفيها نشأ رستم بطل إيران الأسطوري ، وإليها ينسب أبو حاتم السجستاني اللغوي المعروف .

وحالفه ، فوقف العسكران ، وخرج كل واحد منهما إلى صاحبه ، فاقتتلا بين
الصفين ؛ فيقول العجم في ذلك قولاً كثيراً ، إلا أن رستم هو الذى قتل أسفندياز ،
وانصرف جنوده إلى أبيه بشتاسيف ، فأخبروه بمصاب ابنه أسفندياز ؛ فخامره
حزن أنهكه ، فرض من ذلك ، فات ؛ وأسند الملك إلى ابن ابنه بهمن
ابن أسفندياز .

قالوا : ولما رجع رستم إلى مستقره من أرض سيجستان لم يلبث أن هلك .

[ملك اليمن]

قالوا : وإن أهل اليمن لما بلغهم مهلك شمر وجنوده بأرض الصين اجتمعوا ،
فلكوا عليهم أبا مالك بن شمر ، وهو الذى ذكره الأعشى في قوله :

وَحَانَ النَّعِيمُ [أبا مالك] وَأَيُّ أَمْرِى صَالِحٍ لَمْ يُخَنِّ

وهو الذى يزعمون أنه هلك في طرف الظلمة^(١) التى في ناحية الشمال ، فدفن
على طرفها .

قالوا : وذلك ، أنه بلغه مسير ذى القرنين إليها ، وأنه أخرج منها جوهراً
كثيراً ؛ فتجهّز يريد الدخول فيها ، فقطع إليها أرض الروم ، وجاوزها حتى
انتهى إلى طرف الظلمة ، وتهاى لاقتحامها ، فات قبل أن يدخلها ، فدفن
في طرفها ، فانصرف من كان معه إلى أرض اليمن .

[ملك العجم ، وخلاص بنى إسرائيل]

قالوا : وملك بهمن بن أسفندياز ، فأمر ببقايا ذلك السبي الذى سباهم
بخت نصر من بنى إسرائيل ، أن يرُدُّوا إلى أوطانهم من أرض الشام ، وقد كان
تزوج قبل أن يفضى الملك إليه إبراهيم بنت سامال بن أرخبعم بن سليمان بن داود ،
وملك « رُوَيْيل » أخت امرأته أرض الشام ، وأمره أن يُخرج معه من بقى من ذلك
السبي ، وأن يعيد بناء إيليا ، ويسكنهم فيه ، كما لم يزالوا ، ويرد كرسى سليمان ،

(١) الأرض التى في شمال البحر الأسود .

فينصبه مكانه ، فخرج روييل بذلك السبي ، حتى ورد بهم إيليا ، وأعاد بناءها ،
وبنى المسجد . وسار بهمن إلى سيجستان ، وقتل من قدر عليه من ولد رستم
وأهل بيته ، وأخرب قريته .

قالوا : وقد كان بهمن دخل في دين بني إسرائيل ، فرفضه أخيراً ، ورجع
إلى المجوسية ، وتزوج ابنته « نخائي » وكانت أجمل أهل عصرها ، فأدركه الموت
وهي حامل منه ، فأمر بالتاج فوضع على بطنها ، وأوعز إلى عظماء أهل المملكة
أن ينقادوا لأمرها حتى تضع ما في بطنها ، فإن كان غلاماً أقروا الملك في يدها
إلى أن يشب ويدرك ، ويبلغ ثلاثين سنة ، فيسلم له الملك .

قالوا : وكان ساسان بن بهمن يومئذ رجلاً ذارواً وعقل وأدب وفضل ،
وهو أبو ملوك الفرس من الأكاسرة ، ولذلك يقال لهم الساسانية ، فلم يشك الناس
أن الملك يفضي إليه بعد أبيه ، فلما جعل أبوه الملك لابنته نخائي أنف من ذلك
أنفاً شديداً ، فانطلق ، فاقتنى غماً ، وصار مع الأكراد في الجبل ، يقوم عليها
بنفسه ، وفارق الحاضرة غيظاً من تقصير أبيه .

قالوا : فمن ثم يُعبر ولد ساسان إلى اليوم برعى الغنم ، فيقال ساسان الكردي ،

وساسان الراعي .

[نخائي زوج بهمن]

فلكت نخائي ، فلما تم حملها وضعت غلاماً ، وهو دارا بن بهمن ، ثم إنها
تجهزت غازية لأرض الروم ، فسارت حتى أوغلت في بلاد الروم ، وخرج إليها
ملك الروم في جنوده ، فالتقوا ، واقتتلوا ، فكان الظفر لنخائي ، فقتلت ، وأسرت ،
وغنمت ؛ فقتلت وقد حملت معها بناءين من بنائي الروم ، فبنوا لها بأرض فارس
ثلاثة إيوانات^(١) : أحدها وسط مدينة اصطخر^(٢) ، والثاني على المدرجة

(١) جمع إيوان، وهو البناء ذو الصفة العظيمة.

(٢) عاصمة إيالة فارس ، وفيها نشأ بعض علماء المسلمين .

التي يسلك فيها من إصطخر إلى خراسان ، والثالث على طريق « دَارَا بُجُرد »
على فرسخين من إصطخر .

[دارا بن بهمن]

فلما أتى لابنها دَارَا ثلاثون سنة جمعت عطاء الملكة ، ودعت بابنها دَارَا ،
فأقدمته على سرير الملك ، وتوجّته بالتاج ، وولّته الأمر .

[ملك تبّع بن أبي مالك]

قالوا : ولما هلك أبو مالك بطرف الظلمة اجتمع أشرف أهل اليمن ، فلكوا
أمرهم ابنه تبّع الأقران وإنما سمي لنجدته تبّع الأقران ، وقد قيل : بل هو
تبّع الأقرن . كل ذلك يقال .

فلما ملك تجهّز يريد بلاد الصين طالبا بثأر أبيه وجده ، فسار إليها ، فرّ
بسمرقند ، وهي خراب ، فأمر بينائها ، فأعيد ؛ ثم ركب المفازة حتى انتهى إلى
بلاد التبت^(١) ، فرأى مكانا واسعا ظاهر المياه مكتلثا ، فابتنى هناك مدينة ،
فأسكن فيها ثلاثين ألف رجل من أصحابه ، فهم التبتيّون ، وزيّهم إلى اليوم
زى العرب ، وهيئتهم هيئة العرب ؛ ثم سار إلى أرض الصين ، فقتل ، وأخرب
مدينة الملك ، فهي خراب إلى اليوم ؛ ثم قفل راجعا إلى اليمن ، وامتد ملكه ، إلى
أن ملك الإسكندر ، نفرج الملك عنه ، فصار في المقاول . قالوا ، وفي ذلك
المصر نشأ النضر بن كِنانة .

[دارا والروم]

قالوا : وإن دارا بن بهمن لما ملك تجهّز غازيا إلى أرض الروم ، فسار حتى
أوغل في أرضهم ، نفرج إليه الفيلفوس ملك الروم في جنوده ، فالتقوا ،

(١) التبت : سطح مرتفع في آسيا الوسطى تقع بين خطي عرض ٥٢٧، ٥٣٧ شمالا ، وبين
خطي طول ٥٩٦، ٥٧٦ شرقا ؛ وعاصمتها لhasa .

فاقتتلوا ، فكان الظفر لدارا ، فصالحه الفيلفوس على إتاوة يؤديها إليه كل عام ،
وهي مائة ألف بيضة ذهب ، في كل بيضة أربعون مثقالا^(١) ، وتزوج ابنته ؛ ثم
انصرف إلى فارس .

[ملك دار يوش]

فلما تم لدارا اثنتا عشرة سنة في الملك حضرته الوفاة ، فأُسند الملك إلى ابنه
دارا بن دارا ، وهو الذي يعرف بداريوش ، مُقارع الإسكندر ، فلما أفضى
الملك إلى دارا بن دارا تجبر ، واستكبر ، وطغى . وكانت نسخة كتبه إلى عماله :
من دارا بن دارا المضي لأهل مملكته كالشمس إلى فلان . وكان عظيم السلطان ،
كثير الجنود ، لم يبق في عصره ملك من ملوك الأرض إلا يخضع له بالطاعة ،
واتقاء بالإتاوة .

[نشأة الإسكندر]

ونشأ الإسكندر ؛ وقد اختلف العلماء في نسبه ؛ فأما أهل فارس فيزعمون أنه
لم يكن ابن الفيلفوس ، ولكن كان ابن ابنته ، وأن أباه دارا بن بهمن .
قالوا : وذلك أن دارا بن بهمن لما غزا أرض الروم صالح الفيلفوس
ملك الروم على الإتاوة ، فخطب إليه دارا ابنته ، وحملها بعد تزويجها إياه إلى وطنه ،
فلما أراد مباشرتها وجد منها ذفرا^(٢) ، فغافها ، وردّها إلى قيّمة نسائه ، وأمرها
أن تحتال لذلك الذفر ، فعالجتها القيّمة بحشيشة ، تسمى السندّر ، فذهب عنها بعض
تلك الرائحة ، ودعا بها دارا ، فوجد منها رائحة السندّر ، فقال : آل سندّر .
أى ما أشد رائحة السندّر ، وآل ، كلمة في لغة فارس يراد بها الشدة ؛ وواقعها ،
فماقت منه ؛ ونبا قلبه عنها لتلك الذفرة التي كانت بها ، فردّها إلى أبيها .

(١) المثقال : درهم وثلاثة أسباع درهم .

(٢) الذفر : الريح النتنة الكريهة .

الفيلفوس ، فولدت الإسكندر ، فاشتقت له اسماً من اسم تلك المشبة التي عولجت بها ، على ما سمعت داراً قاله ليلة واقمها ، فنشأ الإسكندر غلاماً ليبياً أدبياً ذهنياً ؛ فولاه جدّه الفيلفوس جميع أمره لما رأى من حزمه وضبطه ما رأى . ولا حضر الفيلفوس الوفاة أسند الملك إليه ، وأوعز إلى عظماء المملكة بالسمع والطاعة له .

[غلبة الإسكندر]

فلما ملك الإسكندر لم تكن له همّة إلا ملك أبيه داراً بن بهمن ، فسار إلى أخيه داراً بن داراً ، فخاربه على الملك . وأما علماء الروم فيأبون هذا ، ويزعمون أنه ابن الفيلفوس لصلبه ، وأنه لما مات الفيلفوس وأفضى الملك إلى الإسكندر امتنع على داراً بن داراً بتلك الضريبة التي كان يؤديها أبوه إليه .

فكتب إليه داراً بن داراً يأمره بحمل تلك الإتاوة ، ويعلمه ما كان بين أبيه وبينه من المودة عليها ، فكتب إليه الإسكندر « إن الدجاجة التي كانت تبيض ذلك البيض ماتت » . فغضب داراً من ذلك ، وآلى ليفزّون أرض الروم بنفسه حتى يخرّبها ؛ فلم يحفل الإسكندر بذلك ، ولم يعبأ به ؛ وكان الإسكندر جبّاراً معجباً ، وقد كان عتاً في بدء أمره عتواً شديداً ، واستكبر .

وكان بأرض الروم رجل من بقايا الصالحين في ذلك العصر ، حكيم فيلسوف ، يسمّى «أرسطاطاليس» ، يوحد الله ، ويؤمن به ، ولا يشرك به شيئاً ؛ فلما بلغه عتو الإسكندر وفضاظته وسوء سيرته أقبل من أقاصي أرض الروم حتى انتهى إلى مدينة الإسكندر ، فدخل عليه ، وعنده بطارقه^(١) ، ورؤساء أهل مملكته ، فثل قائماً بين يديه غير هائب له ، فقال له : أيها الجبّار العاتى ، ألا تخاف ربك الذي خلّقتك ، فسوّاك وأنعم عليك ، ولا تعتبر بالجباية الذين كانوا قبلك ، كيف أهلكهم الله حين قلّ شكرهم ، واشتدّ عتوّهم ...؟! في موعظة طويلة .

(١) البطارقة : جمع بطريق ، وهو الحاذق بالحرب وأمورها .

- فلما سمع الإسكندر ذلك غضب غضباً شديداً ، وهمّ به ، ثم أمر بحبسه ليجمعه
عظة لأهل مملكته . ثم إن الإسكندر راجع نفسه ، وتدبر كلامه لما أراد الله به
من الخير ، فوقع منه في نفسه ما غير قلبه ، فبعث إليه على خلاء ، فأصغى إليه ،
واستمع لموعظته وأمثاله وعبره ، وعلم أن ما قال هو الحق ، وأن ما خلا الله من
معبود باطل ، فارعوى واستجاب للحق ، وصح يقينه ؛ فقال لذلك العابد : فإني
أسألك أن تلمني ، لأقتبس من علمك ، وأستضيء بنور معرفتك . فقال له :
إن كنت تريد ذلك فاحسم أتباعك من الغشم والظلم وارتكب المحارم .
فتقدم الإسكندر بذلك ، وأوعد فيه ؛ وجمع أهل مملكته ورؤساء
جنوده ، فقال لهم : اعلّموا أنا إنما كنا نعبد إلى هذا اليوم أصناماً ،
لم تسكن تنفعنا ولا تضرنا . وإني آمركم ، فلا تردّوا عليّ أمري ، وأرضى لكم
ما أَرْضاه لنفسى ، من عبادة الله وحده لا شريك له ، وخلّع ما كنا نعبد من دونه ،
فقالوا بأجمعهم : قد قبلنا قولك ، وعلمنا أن ما قلت الحق ، وآمنا بإلهك وإلهنا .
فلما صحّت له نيات خاصّته ، واستقامت له طريقهم ، وطابقوه
على الحق أمر أن يعلن للعامة ، إنا قد أمرنا بالأصنام التي كنتم تعبدونها أن
تتكسر ، فإن ظننتم أنها تنفعكم أو تضركم فلتدفع عن أنفسها ما يحلّ بها ،
واعلموا أنه ليس لأحد عندي هودة في مخالفة أمري ، وعبادة غير إلهي ، وهو
الإله الذي خلقنا جميعاً . ثم أمر بتفريق الكتب بذلك في شرق الأرض ، وغربها ،
ليعامل الناس على قدر القبول والإباء ، فمضت رسله بكتبه بذلك إلى ملوك الأرض .
فلما انتهى كتابه إلى دارا بن دارا غضب من ذلك غضباً شديداً ، وكتب إليه :
« من دارا بن دارا المضيء لأهل مملكته كالشمس إلى الإسكندر بن الفيلفوس ؛
إنه قد كان بيننا وبين الفيلفوس عهد ومهادنة على ضريبة ، لم يزل يؤدّيها إلينا
أيام حياته ؛ فإذا أتاك كتابي هذا فلا أعلن ما بطأت بها ، فأذيقك وبال أمرك ،
ثم لا أقبل عذرَكَ ، والسلام » .

[دارا والإسكندر]

فلما ورد كتابه على الإسكندر جمع إليه جنوده ، وخرج متوجهاً نحو أرض العراق ، وبلغ ذلك داراً بن داراً ، فأحرز خزائنه وحرمه وأولاده في حصن همدان ، وكان من بنائه ، ثم لقي الإسكندر جاداً مستنفراً ، فواقعه وقائع كثيرة ، لم يجد الإسكندر مطمئناً فيه ، ولا في شيء منها ؛ ثم إنه دسّ إلى رجلين من أهل همدان ، كانا من بطانته وخاصة حرسه ، وأرغبهما ، فرغبا ؛ وغدرا بدارا : أتياه من ورائه حين صافّ الإسكندر في بعض أيامه ، ففتكا به ، وانقضت جموع داراً ، وأقبل الإسكندر حتى وقف على داراً صريماً ، فزل ، فجعل رأسه في حجره ، وبه رمق ، فجزع عليه ، وقال : « يا أخى ، إن سلمت من مصرعك خليت بينك وبين ملكك ، فاعهد إلىّ بما أحببت ، أف لك به » . ٥

فقال داراً : « اعتبر بي ^(١) ، كيف كنت أمس ، وكيف أنا اليوم ؛ أأست الذي كان يهابني الملوك ، ويذعنون لي بالطاعة ، ويتقونني بالإتاوة ؟ وها أنا [ذا] اليوم صريع فريد بعد الجنود الكثيرة والسلطان العظيم » .

فقال الإسكندر : « إن المقادير لا تهاب ملكاً لثروته ، ولا تحقر فقيراً لفاقته ، وإنما الدنيا ظل يزول وشيكا ، وينصرم سريماً » . ١٥

قال داراً : « قد علمت أن كل شيء بقضاء الله وقدره ، وأن كل شيء سواه فانٍ ، وأنا موصيك لمن خلفت من أهلي وولدي ، وسألك أن تزوج « رؤسك » ابنتي ، فقد كانت قرّة عيني وثمرة قلبي » .

فقال الإسكندر : « أنا فاعل ذلك ، فاخبرني من فعل هذا بك ، لأنتقم منه » . فلم يجر في ذلك جواباً داراً ، واعتقل لسانه بعد ذلك ، ثم قضى ؛ فأمر الإسكندر بقاتليه ، فصلبا على قبر دارا ، فقالا : أيها الملك ، ألم تزعم أنك ترفعنا على جنودك ؟ قال : قد فعلت . ٢٥

(١) اعتبر بي : اعتبرني .

ثم أمر بهما ، فرُججا حتى ماتا . ثم كتب إلى أم دارا وامراته بالتمزية ،
وما بمدينة همدان ؛ وكتب إلى أمه وهي بالإسكندرية أن تسير إلى أرض بابل ،
فتُجهز رؤسك بنت دارا بأحسن جهاز ، وتوجهها إليه إلى أرض فارس ،
ففعلت .

[فتوح الإسكندر]

ثم شخص الإسكندر نحو « فؤور » ملك الهند ، فالتقيا على تخوم^(١) أرض
الهند ، وإن الإسكندر دعا « فؤورا » إلى البراز ، وآلا يقتل الجمعان ، بعضهم بعضا
بينهما ، فاهتَبَاها^(٢) منه فؤور ، وكان رجلاً مديداً عظيماً أيّداً قويا ؛ فرأى الإسكندر
قليلاً قضيئاً^(٣) ، وبرز إليه ، فأجلى النّقع عن فؤور قتيلاً ، واستسلم له جنوده ،
فقبل سلمهم .

وسار حتى دخل أرض السودان ، فرأى ناساً كالغربان ، عُراة ، حُفاة ،
يهيمون في النّياض ، ويأكلون من الثمار ، فإن استثنوا^(٤) وأجدبوا أكل بعضهم
بعضاً ، فجاوزهم حتى انتهى إلى البحر ، فقطع إلى ساحل عدن من أرض اليمن ،
فخرج إليه تبّع الأقرن ملك اليمن ، فأذعن له بالطاعة ، وأقر بالإتاوة ، وأدخله
مدينة صنعاء ، فأنزله ، وألطف له^(٥) من أُلطف اليمن ، فأقام شهراً .

[الإسكندر في مكة]

ثم سار إلى تهامة ، وسُكان مكة يومئذ خُزاعة ، قد غلبوا عليها ، فدخل عليه
النّضر بن كِنانة ، فقال له الإسكندر : ما بال هذا الحى من خُزاعة نزولاً بهذا

(١) التخوم : الفصل بين الأرضين من الحدود والعالم . (٢) الاهتبال : الاغتنام .

(٣) القصف : النحافة . (٤) أصابتهم سنتهم بالجفاف وقلة الغلة .

(٥) ألطف له ، وألطفه ، أحسن إليه وبرّه .

الحرم ؟ ، ثم أخرج خزاعة عن مكة ، وأخلصه للنضر ، ولبنى أبيه ، وحج الإسكندر بيت الله الحرام ، وفرّق في ولد معد بن عدنان ، القاطنين بالحرم ، صلات وجوائز . ثم قطع البحر من جذّة يؤم بلاد المغرب .

[الإسكندر في بلاد المغرب]

وروى عن ابن عباس : أن نوحاً عليه السلام قسم الأرض بين ولده الثلاثة ؛ فخصّ ساماً بوسط الأرض التي تسقيه الأنهار الخمسة : الفرات ، ودجلة ، وسينجان ، وجيحان^(١) ، وقيسون ، وهو نهر بلخ ؛ وجعل لحام ما وراء النيل إلى منفح الدبور ؛ وجعل ليافت ما وراء قيسون إلى منفح الصبا .

وقالوا : الأرض أربعة وعشرون ألف فرسخ ، فبلاد الأتراك من ذلك ثلاثة آلاف فرسخ ، وأرض الخزر^(٢) ثلاثة آلاف فرسخ ، وأرض الصين ألفا فرسخ ، وأرض الهند والسند والحبشة وسائر السودان ستة آلاف فرسخ ، وأرض الروم ثلاثة آلاف فرسخ ، وأرض الصقالبة ثلاثة آلاف فرسخ ، وأرض كنعان ، وهي مصر ، وما وراءها مثل إفريقية ، وطنجة ، وفرنجة ، والأندلس ثلاثة آلاف فرسخ ، وجزيرة العرب وما والاها ألف فرسخ .

قالوا : وبلغ الإسكندر أمر قنّداقة ملكة المغرب ، وسعة بلادها ، وخصب أرضها وعظم ملكها ، وأن مدينتها أربعة فراسخ ، وأن طول الحجر الواحد من سور مدينتها ستون ذراعاً . وأخبر عن حال قنّداقة وعقلها وحزمها ، فكتب إليها : « من الإسكندر بن الفيلفوس الملك المسّط على ملوك الأرض إلى قنّداقة ملكة سمرة ؛ أما بعد ، فقد بلغك ما أفاء الله علىّ به من الملامد ، وأعطاني من العدة

(١) سينجان وجيحان هيران مآرس الأناضول قرب طرسوس

(٢) الأرض المحيطة ببحر قزوين

والنصرة ، فإن سمعت ، وأطعت ، وآمنت بالله ، وخلصت الأنداد التي تُعبد من دون الله ، وحملت إلى وظيفة الحراج ، قبلت منك وكففت عنك ، وتنكبت أرضك ، وإن آيت ذلك سرت إليك ، ولا قوة إلا بالله .

فكتبت إليه : « إن الذي حملك على ما كتبت به فرط بغيك ، وعجبك بنفسك ، فإذا شئت أن تسير فسر ، تذق غير ما ذقت من غيري ، والسلام » .

فلما رجع جواب كتابه أرسل إليها بملك مصر ، وكان في طاعته ، ليدعوها إلى الطاعة ، وينذرها وبال المعصية ، فسار إليها في مائة رجل من خاصته ، فلم يجد عندها ما يحب ؛ فرجع إلى الإسكندر ، فأعلمه ، فتجهز الإسكندر إليها ، ومضى في جنوده ، حتى انتهى إلى مدينة القيروان^(١) - وهي من مصر على شهر - فافتتحها بالمجانيق^(٢) ؛ ثم سار إلى القنطرة ، فكانت له ولها قصص وأنباء ؛ فمأهدها على الموادة والمسالمة ، وألا يطور بسلطانها وشيء مما في مملكتها . ثم سار من هناك قاصداً الظلمة التي في الشمال ، حتى دخلها ، فسار فيها ماشاء الله ، ثم انكفأ راجعا حتى إذا صار في تخوم أرض الروم ابتنى هناك مدينتين ، يقال لإحداها ، قافونية ، وللأخرى سوريرة .

١٥ [الإسكندر وبلاد الشرق الأقصى]

ثم هم بالاجتياز إلى أرض الشرق ، فقال له وزراؤه : « كيف يمكنك الاجتياز إلى مطلع الشمس من هذه الجهة ، ودون ذلك البحر الأخضر ، ولا تعمل فيه السفن ، لأن ماءه شبيه بالقيح ، ولا يصبر على ثقل ريحه أحد ؟ » فقال : « لا بد من السير ، ولو لم أسر إلا وحدي » . قالوا : « نحن معك حيث سرت » . فسار حتى قطع أرض الروم ، يوم مشرق الشمس ، ثم جاوزهم

(١) مدينة بتونس بناها عقبة بن نافع سنة ٥٥ هـ . واتخذت عاصمة لبلاد المغرب ، وبها جوامع كثيرة .

(٢) جمع منجنيق ، لفظه معربة من الفارسية ، وهو آلة للحرب ، ترمى بها الحجارة .

إلى أرض الصَّقالبة ، فأذعنوا له بالطاعة ، فجازم إلى أرض الخزر ، فأذعنوا له ،
فجازم إلى أرض الترك ، فأذعنوا له ، فسار في أرضهم حتى بلغ المفازة التي بينهم
وبين بلاد الصين ، فركبها ، وسار ، حتى إذا قَرُب من أرض الصين أجلس
وزيراً له يقال له « فينأوس » في مجلسه ، وأمره أن يتسمى باسمه ، وتسمى هو
فينأوس ، وقصد الملك حتى وصل إليه ، فلما دخل عليه قال له : « مَنْ أَنْتَ ؟ »
قال : « أنا رسول الإسكندر ، السَّطَّ على ملوك الأرض » ، قال : « وأين
خلفته ؟ » ، قال : « على تخوم أرضك » ، قال : « وبماذا أرسلك ؟ » ،
قال : « أرسلني لأنطلق بك إليه ، فإن أجبت أقرُّك في أرضك ، وأحسن
حَبَاءك^(١) ؛ وإن أبيت قتلك ، وأخرب أرضك ، فإن كنتَ جاهلاً بما أقول ،
فسل عن دَارَا بن دَارَا ملك إيران شهر ، هل كان في الأرض ملك أعظم مُلْكاً
منه ، وأكثر جنوداً ، وأقوى سلطاناً ، وكيف سار إليه ، واعتصبه نفسه ، وسلبه
مُلْكهُ ، وسَلَّ عن فور ملك الهند إلى ما آل أمره . »

قال ملك الصين : « يا فينأوس ، إنه قد بلغني أمر هذا الرجل ، وما أعطى
من النصر والظفر ، وكنت على توجيه وفدٍ إليه ، أسأله المِوَادعة ، وأصلحه على
الهُدنة ، فأبلغه ، أني له على السمع والطاعة ، وأداء الإِتاوة في كل عام ، فليست به
حاجة إلى دخول أرضي . »

ثم بعث إليه بِتَاجِهِ ، وبهدايا من تحف أرضه ، من السَّمُور^(٢) والقاقم ، والخز ،
والحرير الصيني ، والسيوف الهندية ، والسروج الصينية ، والسك ، والعنبر ، وصحف
الذهب والفضة ، والدروع ، والسواعد ، والبييض^(٣) ، فقبض ذلك الإسكندر .

(١) الحباء : العطاء .

(٢) السمور : حيوان يشبه الثعلب يتخذ من فروه بعض اللباس .

(٣) البيض جمع بيضة ، نوع من السلاح ؛ وابتاض الرجل : لبس البيضة .

[يأجوج ومأجوج]

وسار راجعا إلى عسكره ، وتنكب أرض الصين ، وسار إلى الأمة التي
قص الله جل ثناؤه قصتها ف (قَالُوا : يَا ذَا الْقُرْنَيْنِ ، إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ
مُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ) فكان من قصته وبنائه الرِّدْمَ ما قد أخبر الله به
في كتابه^(١) ، فسألهم عن أجناس تلك الأمم ، فقالوا : نحن نسمي لك مَنْ
بالقرب منا منهم ، فأما ما سِوَى ذلك ، فلا نعرفه ؛ هم يأجوج ومأجوج ، وتأويل
وتأريس ، ومِنْسَك وكُمَارِي .

فلما فرغ من بناء السِّدِّ بينهم وبين تلك الأم رحل عنهم ، فوقع إلى أمة من
الناس ، سحر الألوان ، صُهب الشعور ، رجالهم معزلون عن نسائهم ، لا يجتمعون
إلا ثلاثة أيام في كل عام ؛ فمن أراد منهم التزويج ، فإنما يتزوج في تلك الثلاثة
الأيام ، وإذا ولدت المرأة ذكراً ، وفَطَمَتُهُ دفعته إلى أبيه في تلك الثلاثة الأيام ،
وإن كانت أنثى حبستها عندها ؛ فارتحل عنهم ، وسار حتى صار إلى فُرْغَانَةِ^(٢) ،
فراى قوماً لهم أجسام وسِجَال ، فأعطوه الطاعة ؛ فسار من فُرْغَانَةِ إلى سَمَرْقَنْدَ ،
فزلها وأقام شهراً ؛ ثم رحل ، فسلك على بُخَارَى^(٣) ، حتى انتهى إلى النهر العظيم ،
فَعَبَّرَهُ في السفن إلى مدينة آمُويَةٍ ، وهي آمُلُ خِرَاسَانَ ؛ ثم سلك المفازة حتى
خرج إلى أرض قد غلب عليها الماء ، فصارت آجاما ومُروجا ، فأمر بتلك المياه ،
فَسُدَّتْ عنها حتى جفت الأرض ، فابتنى هناك مدينة ، وأسكنها قُطَانَا ، وجعل
لها رساتيق، وقرى، وحصونا، وسمّاها «مَرْخَانُوس» ، وهي مدينة مَرُوءِ^(٤) ، وتسمّى

(١) سورة الكهف ، الآية رقم ٩٤

(٢) إمالة كبيرة في تركستان، وصلت فيها العلوم والمعارف إلى أقصى حد من الرقي، إبان العهد الإسلامي بها، وظهر منها علماء وأدباء كثيرون ، وقد احتلها الروس سنة ١٨٧٦ م .

(٣) مدينة من أعظم المدن في آسيا الوسطى، وهي مركز هام للتجارة بين الصين والهندو الأفغان وروسيا، ولها نشاط كبير في العلم والصناعة والأسلحة، وقد فتحها العرب في عهد معاوية سنة ٥٥ هـ .

(٤) أشهر مدن خراسان ، بينها وبين نيسابور سبعون فرسخاً ، ومعنى لفظ مَرُوءِ الحجارة البيض التي يقتدح بها ،

أيضا ميلائنوس ؛ ثم اجتاز بنيسابور ، وطوس حتى وافي الرى^(١) ؛ ولم تكن أيامئذ ، وإنما بُنيت بعد ذلك في ملك فيروز بن يزدجرد بن بهرام جور ؛ ثم اجتاز من هناك على الجبل ، وحلوان^(٢) ، حتى وافي العراق ؛ فنزل المدينة العتيقة التي تسمى طيسفون^(٣) ، فأقام حولا ، ثم سار يريد الشام حتى أتى بيت المقدس .

[ملوك الطوائف]

فلما اطمأن بها ، قال لمؤدبه أرسطاطاليس : « إني قد ورتت أهل الأرض جميعا لقتل ملوكهم ؛ واحتوائى على بلدانهم وأخذى أموالهم ، وقد خفت أن يتضافروا على أهل أرضى من بعدى ، فيقتلونهم ويبيدونهم ليحنيهم على ؛ وقد رأيت أن أرسل إلى كل نبيه وشريف ، ومن كان من أهل الرياسة في كل أرض ، وإلى أبناء الملوك فأقتلهم » .

فقال له مؤدبه : ليس ذاك رأى أهل الورع والدين ، مع أنك إن قتلت أبناء الملوك وأهل النباهة والرياسة كان الناس عليك ، وعلى أهل أرضك أشد حنقا من بعدك ؛ ولكن لو بعثت إلى أبناء الملوك وأهل النباهة فتجمعهم إليك ، فتتوجههم بالتيجان ، وتملك كل رجل منهم كورة^(٤) واحدة ، وبلدا واحدا ، فإنك تشغلهم بذلك ، بتنافسهم في الملك ، وحرص كل واحد على أخذ ما في

(١) الرى : مدينة من أشهر مدن إيران ، وأقدمها ، وهى واقعة في أقصى شمال عراق العجم ، وقد كانت عاصمة السلجوقيين ، وفتحها عروة بن زيد الخيل أيام الخليفة عمر بن الخطاب سنة ٢٠ بأمر والى الكوفة عمار بن ياسر ، وقد نشأ فيها علماء كثيرون .

(٢) حلوان من المدن المشهورة بالعراق ، وتقع على بعد ١٦٠ كم. شمال شرق بغداد ، وقد كانت حلوان معمورة أيام الأكاسرة ، وفتحها هاشم بن عتبة بن أبي وقاص في عهد عمر بن الخطاب ، وهى مسقط رأس بعض العلماء .

(٣) ذكر الجغرافيون أنها كانت تقع على بعد ثلاثة فراسخ من بغداد ، وقد كان بها قصر لكسرى ، ويذكرها الأوربيون باسم اكتيسفون .

(٤) الكورة : الصقع والمدنية .

يدى صاحبه ، عن إهلاك بلادك ، فتلقي بأسهم بينهم ، وتجعل شغلهم بأنفسهم ؛
فقبل الإسكندر ذلك منه ، وفعله ؛ وهم الذين يقال لهم ملوك الطوائف .

[نهاية الإسكندر]

ثم هلك الإسكندر ببيت المقدس ، وقدمك ثلاثين سنة ، جال الأرض منها
أربعا وعشرين سنة ، وأقام بالإسكندرية في مبتدأ أمره ثلاث سنين ، وبالشام
عند انصرافه ثلاث سنين ، فجعل في تابوت من ذهب ، وحمل إلى الإسكندرية .
وبني [الإسكندر]^(١) اثنتي عشرة مدينة ، الإسكندرية بأرض مصر ، ومدينة
نَجْرَان بأرض العرب ، ومدينة مَرَوْ بأرض خراسان ، ومدينة جَيَّ بأرض أصبهان ،
ومدينة على شاطئ البحر تدعى صَيْدودا ، ومدينة بأرض الهند تدعى جَرَوِين ،
ومدينة بأرض الصين تدعى « قَرْنِيه » ؛ وسائر ذلك بأرض الروم .

قالوا : ولما توفي الإسكندر حمى كلُّ رجل من أولئك الذين ملكهم
حَيَّزَه^(٢) ، ودفنوا الحرب ، فلم يكن يغلب أحدهم صاحبه إلا بالحكمة والآداب ؛
يتراسلون بالمسائل ، فإن أصاب السئول حمل إليه السائل ، وإن بنى أحد منهم
على الآخر ، وانتقصه شيئا من حيزه أنكروا جميعا ذلك عليه ، فإن تمالى
أجمعوا على حربه ؛ فسموا بذلك ملوك الطوائف .

[ملوك اليمن]

وزعموا أن الملوك الأربعة^(٣) ، الذين لعنهم النبي صلى الله عليه وسلم ، ولعن
أختهم أبْضَعَة ، لما همَّوا بنقل الحجر الأسود إلى صنعاء ليطموا حجَّ العرب عن البيت
الحرام إلى صنعاء ، وتوجَّهوا لذلك إلى مكة ، فاجتمعت كِنَانَة إلى فِهْر بن مالك
ابن النضر ، فلقبهم ، فقاتلهم ، فقتل ابن فِهْر ، يسمَّى الحارثة ، لم يُعْقِب ؛

(١) بياض في الأصل . (٢) نواحي بلاده . (٣) ملوك كندة .

وُقِتِلَ من الملوك الأربعة ثلاثة ، وأسيرَ الرابع ، فلم يزل مأسورًا عندِ فِهْرَ بن مالك حتى مات .

وأما أُنْضَمَةُ ، فهي التي يُقال لها (المَنْقَفِير) ، ملكت بعد إخوتها بأخْبِث سيرة ، كانت تتخَيَّر الرجل على عينيها ، فَمَنْ أعجبها دعتَه إلى نفسها ، فَوَقَعَ بها ، لا يَقْدِرُ أحد أن ينكر عليها ، وأنها أبصرت فتى من قيس ، فأعجبها ، فدَعَتْهُ إلى نفسها ، فَوَقَعَ بها ، فألقَحَها غلامين في بطنٍ ، فسَمَّت أحدهما سَهْلًا ، والآخر عَوْفًا ؛ وفي ذلك يقول شاعر من شعراء قيس :

وَذِي تُوْمَةٍ فِي أُذُنِهِ وَضَفِيرَةٍ وَسِيمٍ جَمِيلٍ لَا يُخِيلُ نَحَايِلُهُ
إِذَا مَا رَأَتْهُ قَبِيلُهُ حَمِيرِيَّةٌ تَجُرُّ لَهُ حَبْلَ الشَّمُوسِ تَهَايِلُهُ

١٠ قالوا : وكان ذو الشَّنَائِرِ ملك عَنَسَ وَيْحَايِرُ^(١) ، وكان عظيم الملك ، كثير الجنود ، وكان مُلْكَه على عُمان ، والبحرين ، واليمامة ، وسواحل البحر .

[ملك أردوان بن أشه]

١٥ قالوا : ولم يكن في ملوك الطوائف الذين كانوا بأرض العجم ملك أعظم مُلْكًَا ، ولا أكثر جنودًا من أَرْدَوَانَ بن أشه بن أَشْغَانَ ملك الجبل ، كان إليه المَاهَانُ وَهَمَذَانُ ، وَمَاسَبَذَانُ ، وَمِهْرَجَانَقْدَقُ ، وَحُلُوانُ^(٢) ؛ وسائر الملوك إنما كان يكون إلى الرجل منهم كورة واحدة وبلد واحد . وكان الملك منهم إذا مات قام بالملك بعده ابنه أو حميمه ؛ وكان جميع ملوك الطوائف يقرُّون لِأَرْدَوَانَ ملك الجبل بفضله ، لاختصاص الإسكندر إياه دونهم بفضل الملك ؛ وكان مسكنه بمدينة نِهَاوَنْدُ^(٣) المتيقة .

٢٠ قالوا : وفي ذلك العصر بُعثَ المسيح عيسى بن مريم عليه السلام .

(١) قيلتان يَمْنِيَتَانِ . (٢) مدن بأرض فارس ، وبالعراق العجمي .

(٣) بلد من بلاد الجبل ، جنوبي همدان .

[أسعد بن عمرو]

قالوا : وإن أسعد بن عمرو بن ربيعة بن مالك بن صُبَّح بن عبد الله بن زيد بن ياسر ينعم الملك الذي ملك بعد سليمان بن داود ، صلى الله عليه وسلم ^(١) ، لما نشأ وبلغ ، أنف من ابتزاز قبائل ولد كهلان بن سبأ بن يشجب بن يعرب الملك حمير ؛ وكان الملك لهم ، وفي عصرهم ، فجمع إليه حمير ، وذلك بعد أن ملكت القاويل بأرض اليمن ، فكانوا سبعة ملوك ، توارثوا الملك مائتين وخمسين سنة ؛ فسار إلى ملك همدان ، فخاربه ، فظفر به ، ثم سار إلى ملك عَنَس ويحَاير ، ففعل به مثل ذلك ، وأتى ملك كندة ، وأعطى الظفر حتى اجتمع له ملك جميع أرض اليمن .

فلما اجتمع لأسعد الملك وجه ابن عمه القيطون بن سعد إلى تهامة والحجاز ، وجعله ملكا عليها ، فنزل يثرب ، فاعتدى وتجبّر ، حتى أمر أن لا تهدي امرأة إلى زوجها حتى يبدءوه بها ، وسلك في ذلك مسلك عمليق ، ملك طسّم وجديس ، إلى أن زوجت أخت لملك بن العجلان من الرضاغة ، فلما أرادوا أن يذهبوا بها إلى القيطون اندس معها مالك بن العجلان متفكرا ، فلما خلا له البيت عدّا عليه بسيفه ، فقتله ، وعدّوا على أصحابه ، فقتلوا أجمعين ؛ وبلغ ذلك أسعد الملك ، فسار إليهم ، فنزل بالمدينة على نهر يسمى ، بئر الملك ، فكان من قصته ما هو مشهور ، قد كتبناه في غير هذا الموضع .

[بعثة عيسى الرسول]

قالوا : ولما ابتعث الله عيسى بن مريم ، فأقبلت اليهود لتقتله ، فرفعه الله إليه ، أتوا يحيى بن زكرياء ، فقتلوه ، فسأط الله عليهم ملكا من ملوك الطوائف من ولد بُنْحَت نصر الأول ^(٢) ، فقتل بني إسرائيل ، وضربت عليهم الذلة والمسكنة .

(١) كذا في الأصل .

(٢) بنحْت نصر هو ملك الكلدانيين ، وقد ملك عرش بابل من عام (٧٤٧-٧٣٣) ق. م ، ويبدأ به تقويم بطليموس ، ويذكر البيروني أن الصيغة الفارسية لاسم بنحْت نصر هي « بنحْت نرس » ، ومعناها كثرة البكاء والأين .

[أردشير بن بابك]

قالوا : فلما تم ملوك الطوائف مائتا سنة ، وست وستون سنة ظهر أردشير ابن بابكان ، وهو أردشير بن بابك بن ساسان الأصغر بن فافك بن مَهريس ابن ساسان الأكبر بن بهمن الملك بن أسفندياذ بن بُشتَاسِف ، فظهر بمدينة إصطخر ، فدب في رد ملك فارس في نصابه ، واتسقت له الأمور ، فلم يزل يغلب ملكا ، ويقتل ملكا ، ويحتوى على ما تحت يده ، حتى انتهى إلى فرخان ملك الجبل ، وكان آخر ملك من ولد أردوان ، فكتب إليه أردشير ، بالدخول في طاعته ، فلما أتاه كتابه امتلا غيظا ، وقال لرسله : لقد ارتقى ابن ساسان الراعى مرتقى وعرا ؛ ولم يحفل به ، وكتب إليه : إن الميعاد بيني وبينك صحراء الهرمز دُجان في سلخ مَهَرماه^(١) ، فسبق أردشير إلى المكان ، فوافاه فرخان في سلخ مَهَرماه ، فاقتتلوا ، فقتله أردشير ، وسار من فوره حتى ورد مدينة نهاوند ، فنزل قصر الفرخان ، فأقام شهرا ، ثم سار إلى الري ، ثم إلى خراسان ، لا يأتي حيزا إلا أذعن له ملكه بالطاعة ، ثم سار إلى سجستان ، ثم إلى كرمان^(٢) ، ثم سار إلى فارس^(٣) ، فنزل مدينة إصطخر ، فأقام حولا ، ثم سار نحو العراق ، فالتقاء من كان بها من ملوك الطوائف بالأهواز ، فقاتلهم ، فقتلهم ،

(١) شهر من شهور السنة الشمسية الجلالية ، ووقته من ٢١ سبتمبر إلى ٢١ أكتوبر .
(٢) كرمان : ولاية مشهورة وناحية كبيرة معبورة ذات بلاد وقرى ومدن واسعة بين فارس وسجستان وخراسان .

(٣) فارس : إيالة من إيالات إيران ، وهي أكثرها عمارة ، يحدها من الجنوب الغربي بحر فارس ومن الغرب خوزستان (الأهواز) ومن الشمال عراق العجم ومن الشرق والجنوب الشرق إيالة كرمان ، وقد كانت فارس مركزا للدولة الإيرانية القديمة ، ثم أصبحت عاصمة لدولة الكيانية منذ عهد كيخسرو ، وبعد فتوح الإسكندر فقدت فارس مركزها كعاصمة ، ولكنها عادت ثانية إلى مركزها الأول بعد تأسيس الدولة الساسانية ، إذ اختار أردشير مؤسس الدولة الساسانية مدينة إصطخر ، وهي عاصمة فارس ، عاصمة له ولدولته . وقد فتح المسلمون فارس أيام عمر بن الخطاب ، واستمرت فتوحاتهم بها إلى عهد عثمان بن عفان ، ولما أصيبت مدينة إصطخر بالخراب ، صارت عاصمة فارس مدينة شيروز إلى أن انتقلت العاصمة إلى مدينة طهران .

ثم سار حتى عسكر بموضع الدائن اليوم ، فاختطها ، وبنائها ، فلما استوثق له الملك دعا بابنة أخ الفرخان ، التي أخذها من قصر الفرخان بهاوند ، ، وكانت ذات جمال ولُب ، وقد كان أفضى إليها ، وسألها من نسبها ، فأخبرته ، فقال لها : قد أسأت حين أعلمتني ، لأنني أعطيت الله عهداً ، إن أظهرني الله بالفرخان إلا أدع من أهل بيته أحداً ، ثم دعا أبرسام وزيره ، فقال : انطلق بهذه الجارية فاقتلها .

فأخذ أبرسام بيد الجارية ، فأخرجها لِيُنْفَذَ فيها أمره ، فلما خرجت قالت لِأَبْرَسَام : إني حاملٌ لأشهر ، فلما قالت له ذلك انطلق بها إلى منزله ، وأمر بالإحسان إليها ، وقال لِأَرْدَشِير : قد قتلتها .

وزعموا أنه جَبَّ نفسه^(١) ، وأخذ مَذَاكِرَهُ ، فجعلها في حُقٍّ^(٢) وختم عليه ، وأتى به أَرْدَشِير ، وسأله أن يأمر بعض ثقاته بإحرازه ، فإنه سيحتاج إليه يوماً ، فأمر أَرْدَشِير بالحُقِّ ، فَأُخْرِزَ .

ثم إن الجارية ولدت غلاماً كأجمل ما يكون من الغلمان ، وهو سَابُور بن أَرْدَشِير الذي ملك بعده ، وأن أَرْدَشِير أقام بالعراق حَوْلاً ، ثم سار إلى الموصل ، فقتل ملكها ، ثم انصرف ، وجعل يسير ، فسار إلى عُمان والبحرين واليامة ، ففرج إليه « سَنْطَرُوق » ملك البحرين ، فخاربه ، فقتله أَرْدَشِير ، وأمر بمدينة ، فأخربت .

قالوا : وإن أبرسام دخل على أَرْدَشِير يوماً ، وهو مُسْتَخْلٍ وحده ، مفكرٌ مهموم ، فقال : أيها الملك ، عمرك الله ، مالي أراك مهموماً حزيناً ، وقد أعطاك الله أَمْنِيَّتَكَ ، وردَّ الله إليك مُلْكَ آبائك ، فأنت اليوم « شاهان شاه » .

قال أَرْدَشِير : ذاك الذي أحزنني ، إني قد استحوذت على الأرض ، ودان لي جميع الملوك ، وليس لي ولد ، يَرِثُ مُلْكِي الذي أنصبت فيه نفسي . فلما سمع

(١) استأصل خصيته . (٢) الحق والحقة بالضم : وعاء من خشب ، والجمع حُقٌّ وأحقاق .

ذلك أبرسام قال في نفسه : هذا وقت إظهار أمر تلك المرأة الأشفائية ؛ وقد كان أتى على ابنها خمس سنين ، فقال : أيها الملك ، إني كنت استودعتك يوم أمرتني بقتل المرأة الأشفائية حقاً مختوماً ، وقد احتججت إليه ، فمر بإخراجه ، فأمر به أردشير ، فأخرج إليه ، ففتحه ، وأراه أردشير ، فإذا فيه مذاكيره ، قد ليست في جوف الحق . ٥

فقال له أردشير : ما هذا ؟ فأخبره الخبر ، وأعلمه حال الغلام ، ففرح أردشير بذلك ، ثم قال لأبرسام : ائتني بالغلام ، واجعله ما بين مائة غلام من أقرانه ، ففعل أبرسام ذلك .

فلما أدخلهم عليه تأملهم غلاماً غلاماً ، حتى إذا بلغ إلى سَابُور رأى تشابه ما بينه وبينه ، فتحرّك له قلبه ، فأمسك نفسه ، ولم يكمله ، وأمر بأن يُعطى الغلمان جميعاً صِوَالَجَةً^(١) ، ويُطرح لهم كرة في الرَّحْبَةِ ليلعبوا بين يديه مقابل الإيوان ، وقال لأبرسام : احتل أن تقع الكرة عندي في الإيوان ؛ ففعل . ١٠

ووقعت الكرة على بساطه ، فوقف جميع أولئك الغلمان على باب الإيوان ، ولم يجترئ واحد منهم أن يدخل ، فيتناول الكرة من بين يديه إلا الغلام ، فإنه اقتحم من بينهم على أيه ، فتناول الكرة من بين يديه . ١٥

فلما رأى ذلك أردشير مدّ يده ، فتناول الغلام ، وضّمه إليه ، وقبله ، وأمر به وبأمه أن تُرَدَّ إليه ، وهو سَابُور الذي ملك بعده ، وأكرم أبرسام ، وأقطعهم القطائع الكثيرة ، وأمر بأن تُصوّر صورة أبرسام على الدراهم والبُسُط حتى انقضى ملكهم .

٢٠ قالوا : وفي ملك أردشير بعث الله عيسى عليه السلام ، ويزعمون أنه بعث بأحد حواريّيه إلى أردشير ، وأنه جاء إلى مدينة طَيْسَفُون ، فنزل على أبرسام

(١) جمع صولجان : وهو العصا معقوفة الرأس مثل المضرب تقذف به الكرة ، وكان ملوك الفرس يتخذونه من الذهب شعاراً لهم .

فكان إذا أمسى استُخرج له سراج ، فيصلى طول ليله ، ويتلو الإنجيل ، فسأله أبرسام عن قصته ودينه ، فأخبره أنه رسول المسيح عيسى بن مريم ، فأفصى أبرسام الخبر إلى أردشير ، فدعا به ، فنظر إلى سمته وهدوئه ، وأراه الشيخ آيات من آيات المسيح ، فلم يبعد عند أردشير ، ولا هاجه بسوء .

[ملك الموصل وجرجيس]

٥

قالوا : وفي زمان ملوك الطوائف كانت قصة جرجيس ، وإتيانه ملك الموصل ، وكان جباراً متمرداً ، يعبد الأصنام ، ويحمل الناس على عبادتها ، وكان جرجيس من أهل الجزيرة ، وكان من أمره وأمر ذلك الملك ما قد أتت به الأخبار .

- ١٠ وكان أردشير هو الذي أكل آيين^(١) الملوك ورتب المراتب ، وأحكم السير ، وتفقد صغير الأمر وكبيره ، حتى وضع كل شيء من ذلك على موضعه ، وعهد هده المروف إلى الملوك ، فكانوا يمثلونه ، ويلزمونه ، ويتبركون بحفظه والعمل به ، ويعملونه درسهم ونصب أعينهم ؛ وبني من المدن ست مدائن ، منها بأرض فارس مدينة أردشير خُره ، ومدينة رام أردشير ومدينة هرمزدان أردشير ، وهي قصدة الأهواز ، ومدينة أستاذ أردشير ، وهي ١٥ كرخ ميسان ، ومدينة فوران أردشير ، وهي التي بالبحرين ، ومدينة بالموصل ، تسمى خرزاد أردشير .

[ملكيكر ب ملك اليمن]

- قالوا : وملك بعد أسعد ملك اليمن ، الذي كسا البيت ونحر عنده وطاف به وعظمه ابن عمه ملكيكر ب بن عمرو بن مالك بن زيد بن سهل بن عمرو ذي الأذعار ، ٢٠ فلك عشرين سنة لا يريح بيته ، ولا ينزوكا كانت الملوك قبله تفعله تخرجاً من الدماء .

(١) آيين الملوك : دستورهم ونظامهم .

[ملك التبابعة]

ثم ملك بعده ابنه تبّع بن ملكيكرب ، وهو تبّع الأخير ، وكانت التبابعة ثلاثة ، أولهم : شمر أبو كرب الذي غزا الصين ، وأخرب مدينة سمرقند ؛ والثاني تبّع أسعد الذي ذبح للبيت الحرام الذبائح ، وعلق عليه باب ذهب ؛ والثالث تبّع بن ملكيكرب ، ولم يسم غير هؤلاء الثلاثة من ملوك اليمن تبّعا ؛ وكان تبّع هذا الأخير في عصر سابور بن أردشير ، وفي عصر هرمز بن سابور ، وكان تبّع بن ملكيكرب كبير الشأن عظيم السلطان ، وهو الذي غزا بلاد الهند ، فقتل ملكها ، وهو من أولاد فؤد الملك الذي قتله الإسكندر ، ثم انصرف إلى اليمن ، ومات في ملك بهرام بن هرمز بن سابور بن أردشير .

ثم ملك من بعد تبّع ابنه حسان بن تبّع بن ملكيكرب ، وهو الذي غزا أرض فارس فيما يزعمون ، وهو الذي ضجرت الحميرية لكثرة غزوه بها ، وقلة مقامه بأرض اليمن ، فزبنوا لأخيه عمرو بن تبّع قتله ليملكوه عليهم ، فطابقوه جميعاً على ذلك إلا ذارعين فإنه أبي ذلك ، ولم يدخل فيه مع القوم ، فعدا عمرو على أخيه ، فقتله ، وملك من بعده ، وانصرف بقومه إلى اليمن ، فسلب الله عليهم السهر .

[سابور]

فلما ملك سابور بن أردشير غزا أرض الروم ، فافتتح مدينة قالوقية ، ومدينة قبدوقية ، وأثخن في الروم ، ثم انصرف إلى العراق ، وسار إلى أرض الأهواز ليرتاد مكاناً يبني فيه مدينة ، يُسكنها السّبي الذي قدم بهم من أرض الروم ، فبنى مدينة جنديسابور ، واسمها بالخوزية نيلاط ، وأهلها يسمونها نيلاب ؛ فكان سابور قد أسر « أليزيانوس » خليفة صاحب الروم ، فأمره ببناء قنطرة على نهر تستر على أن يخليه ، فوجه إليه ملك الروم ناساً من أرض الروم والأموال ، فبناها ، فلما فرغ منها أطلقه .

[ماني]

وفي زمان سابور ظهر ماني الزنديق^(١) ، وأغوى الناس ، ومات سابور قبل أن يظفر به ، وملك سابور إحدى وثلاثين سنة .

[هرمز]

- وأفضى الملك بعده إلى ابنه هرمز بن سابور ، فأخذ ماني ، فأمر به ، فسلخ جلده ، وحشاه بالثبن ، وعلقه على باب مدينة جنديسابور ، فهو إلى اليوم يُدعى باب ماني ، وتتبع أصحابه ومن استجاب له ، فقتلهم جميعا ، فلك ثلاثين سنة .

[أولاد هرمز]

- وأسند الملك إلى ابنه بهرام بن هرمز ، فلك سبع عشرة سنة ، ثم ملك ابنه بهرام بن بهرام ، ثم ملك ابنه نرسی بن بهرام بن بهرام ، فلك سبع سنين ، ومات . فلك ابنه هرمزدان بن نرسی ، فلك سبع سنين ، ومات ، ولم يكن له ولد يرثه الملك ، غير أن امرأته كانت حاملا لأشهر ، فأمر بالتاج ، فوضع على بطنها ، وتقدم إلى عطاء أهل فارس ألا يملكوا عليهم أحدا حتى ينظروا ما يولد له ، فإن كان ذكرا سموه سابور ، وأقرؤوه على الملك ، ووكلوا به من يحضنه ، ويقوم بأمر الملك إلى إدراكه ، وإن كان أنثى اختاروا رجلا لأنفسهم من أهل بيته ، فلكوه عليهم ، فولدت المرأة ذكرا ، وسموه سابور ، وهو المنبوز^(٢) بذى الأكتاف .

(١) ولد حوالي سنة ٢٤٠م ، وادعى أنه النبي الموعود الذي جاء اسمه في الإنجيل (ياراقليت) ، ودعا الناس إلى مذهب جديد بين المسيحية والزرذشت ، وقد قتل بأمر الملك بهرام سنة ٢٧٤م ، ويطلق عليه بعض المؤرخين اسم ماني النقاش ، وقد زعم ماني أن العالم مصنوع من أصلين : أحدهما نور ، والآخر ظلمة ، وهما أزليان .

(٢) السبز بالتحريك : اللقب .

[سابور ذو الأكتاف]

فشاع لامات هرمزدان في أطراف الأرضين أنه ليس لأرض فارس ملك ،
وأنهم يلوذون بصبي في مهد ، فطمعوا في مملكة فارس ، فورد جمع عظيم
من الأعراب من ناحية البحرين وكاظمة^(١) إلى أبرشهر وسواحل أردشيرخوره ،
فشنوا بها النارة ، وأتى بعض ملوك غسان على الجزيرة في جموع عظيمة
حتى أغار على السواد ، فكشت مملكة فارس حيناً لا يمتنعون من عدو لوهمي
أمر الملك .

فلما ترعرع الغلام كان أول ما ظهر من حزمه أنه استيقظ ليلة وهو
نائم في قصره بمدينة طيسفون بضواض الناس لازدحامهم على جسر دجلة
مقبلين ومدبرين ، فقال : ما هذه الضواض ؟ ، فأخبر ، فقال : ليعقد لهم جسر
آخر ، يكون أحدهما لمن يقبل ، والآخر لمن يدبر ، ففعلوا ، وتباشروا بما ظهر
من فطنته مع طفوليته .

فلما أتت له خمس عشرة سنة تجرد لضبط الملك ، ونفى العدو عنه ،
فتأهب ، وسار إلى أبرشهر ، فطرد من كان صار إليها من الأعراب ،
وقتلهم أخبث قتلة .

وكذلك فعل بالجزيرة ، فصار إلى الضيزن النسائي ، فحاصره في مدينته
التي على شاطئ الفرات مما يلي الرقة^(٢) ، فزعموا أن ابنة الضيزن ، واسمها
« ملكة » ، وزعموا أن أمها عمة سابور دختنوس ابنة نرسي ، وأن الضيزن
كان سبأها لما أغار على مدينة طيسفون ، فأشرفت ملكة على عسكر سابور ،
وهو محاصر لأبيها ، فرأت سابور ، فمشقته ، فراسلته ، على أن تدله على
عورة أبيها ، على أن يتزوجها ، فوعدها سابور ذلك ، ففعلت .

(١) موضع على البحر بينه وبين البصرة مرحلتان .

(٢) اسم بلد ، ومعناه كل أرض إلى جنب واد ينبسط فيها الماء أيام المد ، ثم ينحسر عنها
فتعد للنبات .

فأسكرت بالحصن^(١) حرس أحد الأبواب حتى ناموا ، وأمرت بفتح الباب ،
فدخل سابور وجنوده ، فأخذ الضيزن ، فقتله ، وخلع أكتاف أصحابه ، وخلعهم ،
وكذا كان يفعل بمن أسر من الأعداء ، فبذلك سُمي ذا الأكتاف .

ووفى لابنته بما وعدها ، ثم قتلها بعد : ربطها بين فرسين ، وأجراها ، فقطعها ،
وقال لها : أنتِ إذا لم تصلحي لأبيك لا تصلحين لى .

وأمر سابور فبنيت له مدينة الأنبار^(٢) ، وسمّاها فيروز سابور ، وكورها
كورة ، وبني بالسوس^(٣) مدينة ، وهى التى إلى جانب الحصن ، الذى يسمى
« سادانيال » الذى كان فيه جسد دانيال عليه السلام .

[الروم وسابور]

قالوا : وكان ملك الروم فى ذلك العصر « مانوس » وكان يدين فيما ذكروا
قبل أن يملك دين النصرانية ، فلما ملك أظهر ملة الروم الأولى ، وأحياها ، وأمر
بتحريق الإنجيل ، وهدم البيع ، وقتل الأساقفة ، فلما قتل سابور الضيزن
الفسانى غضب لذلك ، فجمع من كان بالشام من غسان ، وأقبل فيهم ، ومعه
جيوش الروم ، حتى ورد العراق .

ووجه سابور عيوناً ليأتوه بخبرهم ، فانصرف إليه عيونه ، وقد اختلفوا عليه ،
نفرج ايلاً فى ثلاثين فرساً ، ليشرف على عسكر الروم ، وقدم أمامه عشرة منهم ،
فأخذتهم الروم ، فأتوا بهم اليوبيانوس خليفة الملك وابن عمه ، فسألهم عن أمرهم ،
وتوعدّهم القتل ، فقام إليه رجل منهم مسيراً عن أصحابه ، فقال له : إن سابور
منك بالقرب ، فضمّ إلى خيلاً حتى آتاك به أسيراً .

(١) يقال إنه الزعفران . (٢) مدينة قرب بلخ ، وهى قصبة ناحية جوزجان .

(٣) مدينة فى إيران ، وقد فتحها العرب سنة ٦٣٨ م ، وظلت مزدهرة على أيامهم ، ثم خربت
فى القرون الوسطى .

وكانت بين اليُوبَيَّانُوس وسابور مودَّة وخلة ، فأرسل إلى سابور ينذره ،
فانصرف راجعا ، وسار الملك الرُّومي إلى باب مدينة طَيْسَفُون ؛ وخرج إليه سابور
في جنوده ، فهزمه الرُّومي حتى بلغوا قنطرة جازر ، واحتوى الرُّومي على مدينة
طَيْسَفُون ؛ ولم يقدروا على القصر لحصانته ، ومن فيه من الحُماة عنه ،
وثاب الناس إلى سابور ، فزحف إلى جمع الرُّوم ، فنجَّاهم عن المدينة ،
وعسكر ببابها ، وراسل ملك الرُّوم ؛ فبينما هم في ذلك إذ أتى ملك الرُّوم سهم
عائر ، وهو في مضربه ، وحوله بطارقه ، فأصاب مقتله ، فسقط في أيدي الروم
لمكانهم الذي هم به ، وإشراف عدوهم عليهم ، فطلبوا إلى اليُوبَيَّانُوس أن يتملك
عليهم ، فأبى ، وقال : لست أتملك على قوم مخالفين لي في ديني ، لأنى على
دين النصرانية ، وأنتم على دين الرُّوم الأول ، فقال له البطارقة والعظماء :
فإننا نحن جميعاً على مثل ما أنتم عليه ، غير أننا كنَّا نكاثم بذلك خوفاً من الملك ،
فتملك عليهم اليُوبَيَّانُوس ، ولبس التاج .

وبلغ سابور أمرهم ، فأرسل إليهم : أصبحتم اليوم في قبضتي وقدرتي ،
ولأقتلنكم بمكانكم هذا جوعاً وهزلاً ؛ فأجمع اليُوبَيَّانُوس على إتيان سابور ،
ليما كان بينهم من المودَّة ، فأبى عليه البطارقة والرُّوساء ، فخالفهم ، وأتاه ؛
فعرف له سابور يده عنده في إنذاره إياه تلك الليلة ، وجعل له اليُوبَيَّانُوس نصيبين^(١) ،
وحيزها عوضاً مما أفسدت الرُّوم من مملكته ، وكتب له بذلك .

وبلغ أهل نصيبين ذلك ، فانتقلوا عنها ضيقاً بالنصرانية ، وكراهية لتمليك
الفرس عليهم ، فنقل سابور إليها اثني عشر ألف أهل بيت من إصطخر ، فأسكنهم
فيها ، فمقبههم بها إلى اليوم ؛ وانصرفت الرُّوم إلى أرضها ، فلما تم لسابور
اثنان وسبعون سنة حضره الموت ، فجعل الأمر من بعده لابنه سابور بن سابور .
فلما تم لملكه خمس سنين خرج يوماً متصيِّداً ، فنزل بمكان ، وضربت

(١) انظر الخريطة، وهي مدينة فيما بين النهرين ، وقد اشتهرت قديماً بمدرستها السريانية

قُبَّتْهُ ، فجلس فيها ، فأقبل قوم من الفتاك ليلاً ، فقطعوا أطناب^(١) القُبَّة ، فسقطت عليه ، فمات .

[بهرام بن سابور]

فمات بعده ابنه بهرام بن سابور ، وكان على كرمان^(٢) ، فلما قُتِلَ أبوه قَدِمَ ، فقام بالملك ، فلما تمَّ للملك ثلاث عشرة سنة خرج يوماً مُتَّصِداً ، فرُمِيَ
بنشابة^(٣) ، فأصابته ؛ فلما أحسَّ بالموت أوصى إلى ابن أخيه يزدجرد بن سابور
ابن سابور ، وكان أصغر سنّاً منه .

[يزدجرد بن سابور]

فقام بالملك بعده ؛ وهو يزدجرد الذي يلقَّب بالأنيم ، وكان غليظاً سيئ الخلق ، لا يكافئ على حسن بلاء ، وكان مناناً ، لا يتجاوز عن زلة وإن صغرت ، ويماقب
على الصغيرة كما يعاقب على الكبيرة ، وما كان أحد يقدر على كلامه لفظاظته
وغلظته ، إلا أن وزراءه كانوا أخياراً مترفِّقين متماونين .

فَوُلِدَ له بهرام الذي يُقال له بهرام جور ، فدفعه إلى المنذر أبي النعمان
ليحضنه ، فسار المنذر بهرام إلى الحيرة^(٤) - وكانت داره - واختار له المنذر
الراضع ، وأحسن حضنته ، فلما بلغ التأديب بعث إليه أبوه بمؤدِّين من الفرس ،
وأحضره المنذر مؤدِّين من العرب ، فأحكم الأدبَيْن ، وكَمُلَ فيهما ، ونشأ
نشأ محموداً ، وبرع في الأدب والفروسيَّة ، وخرج عاقلاً لبيباً جميلاً بهيئاً ،

(١) أطناب جمع طناب بضمين ، وهو حبل طويل يشد به السرادق والقباب .

(٢) إقليم بين فارس وسجستان . (٣) النشاب هو النبل .

(٤) الحيرة : مدينة كبيرة بعراق العرب على الضفة اليمنى لنهر الفرات ، يقال إن الذي بناها هو بخت نصر ، وجددت في عهد الإسكندر ، وقد ظلت الحيرة عاصمة لدولة عربية قبل الفتح الإسلامي ، وفي عهد الإمام علي بن أبي طالب بنى بجوارها مدينة الكوفة واتخذت مقراً للخلافة الإسلامية ، وبقيت الحيرة خراباً إلى أن عثر فيها على قبر «علي المرتضى» ، فعادت إليها حياتها قرية صغيرة ، وتعرف الحيرة اليوم باسمي نجف ، ومشهد ، وتقع على بعد ٧٧ كم جنوب شرق كربلاء .

ومكّنه المنذر من اللهو والقيان ، فكان يركب النجائب ، وتركب وراءه الصنّاجات^(١) يُلهيه ويُطربّه ، وتجرد لطرْد الوحش على تلك الحال ، ففُضرب به المثل ، فتُؤتة ورخاء بال .

[مقتل عمرو بن تبع]

٥ قالوا : ولما قتل عمرو بن تبع أخاه حسان بن تبع وأشراف قومه تَضَمُّع أمر الحِمَيْرِيَّة ، فوثب رجل منهم لم يكن من أهل بيت الملك يُقال له صُهْبَان ابن ذى خَرْب على عمرو بن تبع ، فقتله ، واستولى على الملك .

[صُهْبَان والعَدْنَانِيون بِتِهَامَة]

قال : وهو الذى سار إلى تِهَامَة لمحاربة ولد معد بن عدنان ، وكان سبب ذلك أن معدّا لما انتشرت تباغت وتظالمت ، فبمشوا إلى صُهْبَان يسألونه أن يملك عليهم ١٠ رجلاً يأخذ لضعيفهم من قوَّيهم ، مخافة التمدد فى الحروب ، فوجه إليهم الحارث بن عمرو الكندى ، واختاره لهم ، لأن معدّا أخوّاله ، أمّه امرأة من بنى عامر بن صَمَّصَمَة ، فسار الحارث إليهم بأهله وولده ، فلما استقرّ فيهم ولى ابنه حُجْر بن عمرو ، وهو أبو امرئ القيس الشاعر ، على أسدٍ وكنانة ؛ وولى ابنه شَرْحَبِيل على قيس وتيم ؛ وولى ابنه معدى كَرِب ، وهو جدّ الأشعث بن قيس ، ١٥ على ربيعة .

فمكثوا كذلك إلى أن مات الحارث بن عمرو ، فأقرّ صُهْبَان كل واحد منهم فى مُلكه ، فلبثوا بذلك ما لبثوا ؛ ثم إن بنى أسد وثبوا على ملكهم حُجْر ابن عمرو ، فقتلوه ، فلما بلغ ذلك صُهْبَان وجهه إلى مُضَر عمرو بن نَابِل اللّخْمِيّ وإلى ربيعة كَبِيد بن النعمان الغسّانى ، وبعث برجل من حِمَيْر يسمّى أَوْفَى بن عُنُق الحَيَّة ، وأمره أن يقتل بنى أسد أبحر القتل ؛ فلما بلغ ذلك أسدًا وكنانة ٢٠

(١) جمع صنّاجة : وهن المغنيات ضاربات الدفوف .

استعدوا ؛ فلما بلغه ذلك انصرف نحو صُهبان ، واجتمعت قيس وتميم ، فأخرجوا ملكهم عمرو بن نابل عنهم ، فلحق بصُهبان ؛ وبقي مَعْدِي كَرِب جد الأشعث ، ملكاً على ربيعة ؛ فلما بلغ صُهبان ما فعلت مُضَر بعماله آلى لِيَمْزُونَ مُضَرَ بنفسه .

- ٥ وبلغ ذلك مُضَرَ ، فاجتمع أشرافها ، فتشاوروا في أمرهم ، فعلموا أن لا طاقة لهم بالملك إلا بمطابقة ربيعة إياهم ، فأوفدوا وفودهم إلى ربيعة ، منهم عوف بن مُنْقِذ التيمي ، وسُوَيْد بن عمرو الأسدي جد عبيد بن الأبرص ، والأخوص بن جعفر العامري ، وعُدَس بن زيد الحنظلي ، فساروا حتى قدموا على ربيعة ، وسيدهم يومئذ كُليب بن ربيعة التغلبي ، وهو كليب وائل ، فأجابتهم ربيعة إلى نصرهم ، وولّوا الأمر كُليباً ، فدخل على ملكهم لبيد بن النعمان ، فقتله ؛ ثم اجتمعوا ، وساروا فلقبهم الملك بالسُّلَّان ، فاقتتلوا ، ففُتَّ جموع اليمن ، وفي ذلك يقول الفرزدق لجرير :

لَوْلَا فَوَارِسُ تَغْلِبَ ابْنَةُ وَاِئِلٍ نَزَلَ الْعَدُوُّ عَلَيْكَ كُلَّ مَكَانٍ

- وانصرف الملك إلى أرضه مفلولاً ، فكث حَوْلًا ، ثم تجهَّز لمعاودة الحرب ، وسار ، فاجتمعت مَعَد ، وعليها كليب فتوافوا بخزازی^(١) ، فوجه كليب السِّفَّاح بن عمرو أمامه ، وأمره إذا التقى بالقوم ، أن يوقدوا نارا ، علامة جعلها بينه وبينه ، فسار السِّفَّاح ليلاً حتى وَاَقَى معسكر الملك بخزازی ، فأوقد النار ، فأقبل كليب في الجموع نحو النار ، فوافاهم صباحا ، فاقتتلوا ، فقتل الملك صُهبان ، وانقضت جموعه ، وفي ذلك يقول عمرو بن كلثوم :

- ٢٠ وَنَحْنُ غَدَاةٌ أَوْقِدَ فِي خَزَازِي رَفَدْنَا فَوْقَ رَفْدِ الرَّافِدِينَا
فلما قُتِلَ صُهبان زاد حِمِيرَ قَتْلُهُ اتِّضَاعًا وَوَهْنًا .

(١) جبل ، كانوا يوقدون عليه غداة الغارات .

[ملك ربيعة بن نصر اللخمي اليماني]

فجمع ربيعة بن نصر اللخمي جد النعمان بن المنذر قومه ومن أطاعه من ولد
كهلان بن سبأ ، فاعتصب حمير الملك ، فاجتمعت له أرض اليماني ، فلحقها
زمانا ، وهو ربيعة بن نصر بن الحارث بن عمرو بن لخم بن عدي بن مرة بن زيد
ابن كهلان بن سبأ بن يعرب بن قحطان . فلما استجمع لبيعة بن نصر أمر اليماني
رأى في منامه رؤيا هائلة ، ووجل منها ، فبحث إلى شق وسطيح السكاهين ،
فأخبرها بما رأى ، فأخبراه في تأويلها بما يكون من غلبة السودان على أرض اليماني ،
وبغلبة فارس بعدهم ، ثم بمخرج النبي صلى الله عليه وسلم ، فلما سمع ذلك أوجس
في نفسه خيفة ، فأحب أن يخرج ولده وخاصة أهله من أرض اليماني .

٥

[مسير عمرو اللخمي إلى الحيرة]

١٠

فوجه ابنه عمرا إلى يزيد جرود بن سابور ، ويقال بل كان ذلك في عصر سابور
ذي الأكتاف ، فأنزله الحيرة ، فيومئذ بُنيت الحيرة ، فضم عمرو إليه إخوته
وأهل بيته ، فمن هناك وقع آل لخم إلى الحيرة ، واتصاوا بالأكاسرة ، فجعلوا لهم
على العرب سلطانا .

[جذيمة والحيرة]

١٥

فلما مات خلفه من بعده ابنه جذيمة بن عمرو ، فزوج جذيمة أخته من ابن عمه
عدي بن ربيعة بن نصر ، فولدت له عمرو بن عدي الذي استطار به الجن ،
وله حديث ، فلم يزل جذيمة ملكا بالخورنق^(١) زمانا حتى دعت نفسه إلى تزويج
مارية ابنة الزبأ الغسانية ، وكانت ملكة الجزيرة ، ملكت بعد عمها الضيزن

(١) الخورنق بلد في بلخ ، وأما الخورنق قصر النعمان الأكبر فهو معرب اللفظ الفارسي
(خورنكاه) أي موضع الأكل .

الذى قتله سَابُور ، وكان له ولها حديث مشهور^(١) ، فقتلت جَذِيعَةً ، ثم قتلها قصيرٌ مولاه .

[عمرو بن عدى]

فلما هلك خلفه ابن أخته وابن ابن عمه عمرو بن عَدِيّ وهو جدُّ النعمان بن المنذر ابن عمرو بن عَدِيّ بن ربيعة ، قالوا : وكان ذلك في عصر يَزْدَجَرْد بن سَابُور ابن بَهْرَام جُور .

قالوا : وفي ذلك العصر توفى عبد مناف بن قُصَيّ ، وخلفه في سؤدده ابنه هاشم ابن عبد مناف . قالوا : وهلك يَزْدَجَرْد الأثيم ، وقد ملك إحدى وعشرين سنة ونصفاً ، وبَهْرَام جُور ابنه غائب بالحيرة عند المنذر بالخورنق ، فتماهدت عطاء فارس ألا يملكوا أحداً من ولد يَزْدَجَرْد لما نالهم من سوء سيرته ؛ منهم بسطام أَسْبُهَبَد السَّوَاد ، الذى تدعى مرتبته^(٢) هِزراف ، وَيَزْدَجُشْنَس فَاذُوسْفَان الزَّوَابِي ، وَفَيْرَك الذى تدعى مرتبته مِهْران ، وَجُودَرَز كاتب الجُند ، وَجُشْنَسَاذَرِيش كاتب الخراج ، وَفَنَّاخُسَرُو صاحب صدقات الملكة ؛ وغير هؤلاء من أهل الشرف والبيت ، فاجتمعوا ، واختاروا رجلاً من عِثْرَةٍ^(٣) أَرْدَشِير بن بَابُكَان ، يُقال له خُسَرُو ، فملكوه عليهم ، وبلغ ذلك بَهْرَام جُور ، وهو عند المنذر ، فأمر منذر بَهْرَام بالخروج ، والطلب بتراث أبيه ، ووجهه معه ابنه النعمان ، فسار بَهْرَام حتى قدم مدينة طَيْسَفُوف ، فنزل قريباً منها في الأبنية

(١) ملخص الحديث أن الزباء كانت قد دعت جذية إلى أن يفد إليها ويتزوج بها ، ويضم ملكها إلى ملكه ، فاستشار قومه فشجعوه على السير إليها إلا قصير بن سعد اللخمي ، فقد نصحه بأن لا يذهب لأن جذية كان قد وتر الزباء بقتل أبيها ، وأدرك قصير أن هذه الدعوة تخفى وراءها سرا ، ولكن جذية عزم على السير مخالفاً رأى قصير ، ولما ذهب إليها قتلته ، فقال قصير ، لا يطاع لقصير أمر ، وقد صار قوله مثلاً يضربه من لا يطاع أمره .

(٢) في الأصل مدينه .

(٣) عثرة الرجل بكسر العين وسكون التاء : رهطه وعشيرته الأدنون .

والفساطيط والقياب ، فلم يزل النعمان يسفر بينه وبين عطاء فارس وأشرافهم إلى أن
أناجوا وتابوا إلى بهرام .

[ملك بهرام جور]

وبسط بهرام من آمالهم ، وشرط لهم المدة وحسن السير ، فخلوا بينه وبين
الملك ، وسمعوا وأطاعوا ، وحباً^(١) بهرام النذر والنعمان ، وأكرمهما ، وكافأه
بيده عنده في تربيته ومماضته ، ففوض إليه جميع أرض العرب ، وصرفه إلى
مستقره من الحيرة .

ولما استتب لبهرام الملك آثر اللهو على ما سواه ، حتى عتب عليه رعيته ،
وطمع فيه من كان حوله من الملوك ، فكان أول من شخص صاحب الترك ،
فإنه نهض في جموعه من الأتراك حتى أوغل في خراسان ، فشن فيها الغارات ،
وانتهى النبا إلى بهرام ، فترك ما كان فيه من الاستهتار باللهو ، وقصد عدوه ،
فأظهر أنه يريد أذر بيجان ليتصيد هناك ، ويلهو في مسيره إليها ، فانتخب من
أبطال رجاله سبعة آلاف رجل ؛ فحملهم على الإبل ، وجنبوا الخيل ، واستخلف
على ملكه أخاه نرسي ، ثم سار نحو أذر بيجان ، وأمر كل رجل من أصحابه
الذين انتخبهم أن يكون معه باز وكلب ، فلم يشك الناس أن مسيره ذلك هزيمة
من عدوه ، وإسلام لملكه ، فاجتمع العطاء والأشراف ، فتآمروا بينهم ،
فاتفق رأيهم على توجيه وفد منهم إلى خاقان^(٢) صاحب الترك بأموال ، يبعثون بها
إليه ليصدوه عن استباحة البلاد .

وبلغ خاقان أن بهرام مضى هارباً ، وأن أهل المملكة مجمعون على الخضوع
له ، فأغتر ، وأمن هو وجنوده ، وأقام بمكانه ينتظر الوفود والأموال .

(١) أعطاه بلا جزاء ولا من .

(٢) خاقان : اسم لكل ملك من ملوك الترك ، وخقنوه على أنفسهم : رأسوه .

قالوا : وأن بهرام أمر بذيخ سبعة آلاف ثور وحمل جلودها ، وساق معه سبعة آلاف مهر حولي ، وجعل يسير الليل ويكن النهار ، وأخذ على طبرستان ، ثم تبطن ضفة البحر حتى خرج إلى جرجان ، ثم صار إلى « نسا » ثم إلى مرو .

وكان خاقان معسكرًا بها يكشمين^(١) حتى إذا صار بهرام من مرو على منقلة^(٢) ، وخاقان لا يعلم شيئًا من علمه أمر بتلك الجلود ، فنفيخت ، وألقى فيها الحصى ، وجفقت ، ثم علقها في أعناق تلك المهارة ، حتى دنا من عسكر خاقان ، وكانوا نزولًا على طرف المفازة ، على ستة فراسخ من مدينة مرو ؛ فخلّوا عن تلك المهارة ليلًا ، وطردها من ورائها ؛ فارتفع لتلك الجلود ، والحجارة التي فيها ، وعدو المهارة بها ، وضربها إياها بأيديها أصوات هائلة أشد من هدة الجبال والصواعق .

وسمعت الترك تلك الأصوات ، فلما سمعوها راعتهم ، ولا يدرون ما هي ، وجعلت تزداد منهم قربًا ، فأجلوا عن معسكرهم ، وخرجوا هربًا ، وبهرام في الطلب ، فتقطرت^(٣) دابة خاقان بخاقان ، وأدركه بهرام ، فقتله بيده ، وغنم عسكره ، وكل ما كان فيه من الأموال ، وأخذ خاتون امرأة خاقان .

ومضى بهرام على آثار الترك ليلته ويومه كله ، يقتل ويأسر ، حتى انتهى إلى أموية ، ثم عبّر نهر بلخ ، يتبع آثارهم ، حتى إذا صار إلى القرب فأذعن له الترك ، وسألوه أن يعلم حدًا بينه وبينهم ، لا يجاوزونه ، فحدّ لهم مكانًا وغلًا في أرضهم ، وأمر بمنارة ، فبنيت هناك ، وجعلها حدًا ، ثم انصرف إلى دار الملك ، ووضع عن الناس خراج تلك السنة ، وقسم في أهل الضعف والمسكنة شطر ما غنم ، وقسم الشطر الآخر بين جنده الذين كانوا معه ، فعمّ السرور أهل مملكته ، فلهوا جذلًا وابتهاجًا ، فبلغ أجر اللعاب^(٤) في اليوم عشرين درهما ، وصار لكليل الريحان بدرهم .

(١) قرية بمرو (٢) المنقلة مرحلة السفر زنة ومعنى .
(٣) تقطرت الدابة عثر براكبها فألقته على قطره . (٤) فرس اللعب .

فلما أتى له في الملك ثلاث وعشرون سنة خرج مُتَصَيِّدًا ، فوَقَعَتْ لَهُ عَانَةٌ ^(١) من الوحش ، فدفع فرسه في طلبها ، فذهبت به فرسه في جُرف مُفِيضٍ إلى غَمَرٍ من الماء ، فارتطم فيه ، ففرق .

وبلغ ذلك أمه ، فجاءت إلى ذلك المكان ، وأمرت بطلبه في ذلك المَور ^(٢) ، فاستخرجوا تَلَالًا من الحَصَى والرَّمْل ، فلم يدركوه ؛ ويقال إن ذلك المكان بموضع من الماء يسمّى دَايَ مَرَج ، سُمِّيَ بِأَمِّهِ ، لأن الأم بلسان الفُرس تسمّى داي ، وهو مرج معروف ، وهذا الحديث مشهور في الموضع ، هو كما وصفوا في الحديث هناك ، كَوَالٍ تَنْفُتِحُ فِي الْأَرْضِ إِلَى مَاءٍ لَا يُدْرِكُ لَهُ غَوْرٌ ، وذلك بِقُرْبِ آجَامٍ وماء راكد .

[يزددجرد بن بهرام]

فلما هلك بهرام ملكوا ابنه يزددجرد بن بهرام ، فسار بسيرة أبيه سبع عشرة سنة ، وحضره الموت وله ابنان : فَيَرُوزُ وَهَرْمُزُ ، وكان فَيَرُوزُ أكبرَ سِنًا .

[النزاع بين الأخوين]

فأستأثر هرمزد بالملك دون أخيه فَيَرُوزَ ، فهرب فَيَرُوزُ منه حتى لحق ببلاد الهَيَاطِلَةِ ^(٣) ، وهي تَخَارِستان والصَّغَانِيَانِ ^(٤) وكابُلِستان ^(٥) والأرضون التي خلف

(١) العانة : القطيع من حمر الوحش . (٢) المور هو البحيرة تفيض بها مياه الغياض والآجام فتتسع .

(٣) جنس من الترك أو الهند ، وكانت لهم شوكة وبلاء ، والهيطل : الجماعة القليلة يغازي بها . (٤) الصغانيان : لياالة كبيرة وراء نهر جيحون ، وكانت مسقط رأس علماء كثيرين : منهم رضى الدين أبو الفضائل حسن بن محمد الصغاني من أئمة اللغة ، ووصفها الجغرافيون العرب بأنها معمورة ، وتحوى ستة عشر ألف قرية ، وتكثر بها الحيوانات والأشجار والمراعى والطيور الكثيرة ، وتوجد الآن في تركستان الروسية .

(٥) كابلستان : لياالة واسعة في شمال شرق أفغانستان ، وكانت عاصمتها مدينة كابل الواقعة في حوض نهر كابل ، وتقع زابلستان في جنوب غربيها ، ويرى بعض الجغرافيين أنهما لياالة واحدة ، ولكن الشاهنامه تذكرهما على اختلاف .

النهر الأعظم بما يلي أرض بلخ ، فدخل على ملك تلك الأرض ، فأخبره بظلم أخيه إياه ، واحتوائه على الملك دونه ، وهو أصغر سناً منه ، وسأله أن يمدّه بجيش حتى يسترجع الملك . فقال : لن أجيبك إلى ما تسأل حتى تحلف أنك أكبر سناً منه ، فحلف فيروز ، فأمدّه بثلاثين ألف رجل ، على أن يجعل له حداً ليرمذ^(١) ، فسار فيروز بالجيش ؛ واتبعه جل أهل المملكة ، ورأوا أنه أحق بالملك من هرمزد لفظاظته هرمزد وشرارته ، فخاربه حتى استرجع الملك ، وأقال أخاه عثرته ، ولم يؤاخذه بما كان منه .

[فيروز بن يزدجرد]

قالوا : وكان فيروز ملكاً محدوداً ، وكل جُلّ قوله وفعله فيما لا يجدى عليه نفعه ، وإن الناس قحطوا في سلطانه سبع سنين متواليات ، فغارت الأنهار ، وفاضت المياه والعيون ، وقحلت الأرض ، وجفّ الشجر ، وموتت البهائم والطيور ، وهلك الأنعام ، وقل ماء دجلة والفرات وسائر الأنهار .

فرفع فيروز الخراج عن الرعية ، وكتب إلى عمّاله أن يسوسوا الناس سياسة ، وتوعدهم أنه إن هلك أحد في أرض واحد منهم جوعاً يُقيدُ العامل والوالى به ، فساس الناس في تلك الأزمنة سياسة لم يعطب فيها أحد من الناس جوعاً ، ونادى في الناس بالخروج إلى فضاء من الأرض ، فخرج جميع الناس من الرجال والنساء والصبيان ، فاستسقى الله ، فأغاثهم ، فأرسل السماء ، وعادت الأرض إلى حسن الحال ، وجرت الأنهار ، وجاشت العيون ، ورجع الناس إلى أحسن عادة الله عندهم في الرفاعة والرفاهة والخصب .

وبنى فيروز مدينة الرّى ، وسماها رام فيروز ، وابنتى بأذر بيجان مدينة

(١) بلد معروف بخراسان على الضفة الشمالية لنهر جيحون شمالى إيران ، وقد فتحها موسى ابن عبد الله بن خازم سنة ٦٩٠ م ، وفيها آثار يرجع تاريخها إلى العصر البوذى ، وإليها ينسب كثير من العلماء ، منهم أبو عبد الله الترمذى المحدث الفقيه الحنفى .

أُرْدَبِيل ، وسماها باز فَيُرُوز ، ثم استعد وتأهب لغزو الترك ، وأخرج معه الموبذ وسائر وزرائه ، وحمل معه ابنته فَيُرُوزْدُخْت ، وحمل معه خزائن وأموالا كثيرة ، وخلف على ملكه رجلا من عظماء وزرائه ، يسمى شُوخَر ، وتدعى مرتبته قارين ، وسار حتى جاوز النارة التي كان بهَرَام بناها حدًا بينه وبين الترك ، وأخبرها ، ووغل في أرضهم . ٥

ومَلِكُ الأتراكِ يومئذٍ أَخْشَوَان خاقان ، فأرسل ملك الترك إلى فَيُرُوز يعلمه أنه قد تعدَّى ، ويحذِّره عاقبة الظلم ، فلم يحفل فَيُرُوز بذلك ، فجعل خاقان يظهر كراهةً للحرب ، ويدافع إلى أن هبأ خندقًا ، عمقه في الأرض عشرون ذراعًا ، وعرضه عشرة أذرع ، وبعد ما بين طرفيه ، ثم غماه بأعواد ضِفاف ، وألقى عليه قَصَبًا ، وأخفاه بالتراب ، ثم خرج لمحاربة فَيُرُوز ، فواقفه ساعة ، ثم انهزم عنه . ١٠

وطلبه فَيُرُوز في جنوده ، فسلك خاقان مسالك قد فهمها بين ظهري ذلك الخندق ، وعطف عليه أَخْشَوَان وطَرَاخِنْتَه ، فقتلوه بالحجارة ، واحتوى أَخْشَوَان على معسكر فَيُرُوز وكل ما كان فيه من الأموال والحرم ، وأخذ الموبذ أسيرا ، وأخذ فَيُرُوزْدُخْت ابنة فَيُرُوز ، ولحق الفلَّ بشُوخَر ، فأعلموه بمصاب فَيُرُوز وجنوده ، فاستنهض شُوخَر الناس للطلب بثأر ملكهم ، فخف له جميع الناس من الجنود وأهل البلاد ، فسار في جموع كثيرة حتى وغل في بلاد الترك ؛ وهاب أَخْشَوَان ملك الترك الإقدام على شُوخَر لكثرة جموعه وعدته ، فأرسل إليه يسأله المَوَادَّعة على أن يردَّ عليه الموبذ وفَيُرُوزْدُخْت وكل أسير في يده ، وجميع ما أخذ من أموال فَيُرُوز وخزائنه وآلاته ، فأجابهُ شُوخَر إلى ذلك ، وقبضه ، وانصرف إلى بلاده وأرضه . ٢٠

[أبناء فيروز]

فلك بعد فيروز ابنه بَلاس بن فيروز ، فلک أربع سنين ، ثم مات ، فجعل شوخر الملك من بعده لأخيه قُبَّاذ بن فيروز . قالوا : وفي مُلك قُبَّاذ بن فيروز مات ربيعة بن نصر اللخمي ، ورجع الملك إلى حمير .

[ذو نواس واليمن]

فَوَلِيَهُمْ ذُو نُوَاس ، واسمه زُرْعَة بن زيد بن كعب كهف الظلم بن زيد بن سهل بن عمرو بن قيس بن جشم بن وائل بن عبد شمس بن النوث بن جدار بن قطن ابن عريب بن الرائي بن حمير بن سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان ؛ وإنما سُمِّيَ ذَا نُوَاس لِذُوَابَةِ^(١) كانت تنوس^(٢) على رأسه .

- ١٠ قالوا : وكان لدى نوّاس بأرض اليمن نارٌ يعبدها هو وقومه ، وكان يخرج من تلك النار عُنُقٌ يَمْتَدُّ فَيَبْلُغُ مقدار ثلاثة فراسخ ، ثم ترجع إلى مكانها ، ثم إن من كان باليمن من اليهود قالوا لدى نوّاس : أيها الملك ، إن عبادتك هذه النار باطلة ، وإن أنت دِنتَ بديننا أطفأناها بإذن الله تعالى ، لَتَعْلَمَنَّ أَنَّكَ على غرر من دينك ، فأجابهم إلى الدخول في دينهم إن هم أطفأوها ، فلما خرجت تلك العُنُقُ أَتَوْا بِالتَّورَةِ ، ففتحوها ، وجعلوا يقرءونها ، والنار تتأخر حتى انتهوا إلى البيت الذي هي فيه ، فما زالوا يتلون التوراة حتى انطفأت ، فتهوّد ذو نوّاس ، ودعا أهل اليمن إلى الدخول فيها ، فَمَنْ أَبَى قَتَلَهُ .

- ١٥ ثم سار إلى مدينة نَجْرَان^(٣) لِيَهُودَ مِنْ فِيهَا مِنَ النَّصَارَى ، وكان بها قوم على دين المسيح الذي لم يُبَدَّلْ ، فدعاهم إلى ترك دينهم والدخول في اليهودية ، فأبوا ، فأمر بملكهم ، وكان اسمه عبد الله بن التامر ، فَضْرِبَتْ هَامَتُهُ بِالسَّيْفِ ، ثم أُدْخِلَ

(١) الذوابة : شعر في أعلى الناصية . (٢) تتذبذب .

(٣) نجران بالفتح ، ثم السكون ، مدينة بينها وبين الكوفة مسيرة يومين فيا بينها وبين واسط .

في سور المدينة ، فضم عليه ، وخد للباقيين أخايد^(١) ، فأحرقهم فيها ، فهم أصحاب الأخدود الذين ذكرهم الله عز اسمه في القرآن^(٢) .

[الحبش واليمن]

وأفلت دؤس ذو ثعلبان ، فسار إلى ملك الروم ، فأعلمه ما صنع ذو نواس بأهل دينه من قتل الأساقفة ، وإحراق الإنجيل ، وهدمه البيع ؛ فكتب إلى النجاشي ملك الحبشة ، فبعث بأرياط في جنود عظيمة ، وركب البحر حتى خرج على ساحل عدن ، وسار إليه ذو نواس ، فخاربه ، فقتل ذو نواس ، ودخل أرياط صنعاء ، واسمها « دمار » ، وإنما صنعاء كلمة حبشية ، أي وثيق حصين ، فبذلك سُميت صنعاء .

فلما اطمأن أرياط وقتل اليهود وضبط اليمن ، درت عليه الأموال ، فجعل يؤثر بها من يحب ، فغضب حاشية الحبشة من ذلك ، فأتوا أبابكسوم أبرهة ، وكان أحد قادتهم ، فشكوا إليه الذي يصنع أرياط ، وبأيئوه .

وانصرفت الحبشة فرقتين ، إحداها مع أرياط ، والأخرى مع أبرهة ، واصطفوا للحرب ، فدعاه أبرهة للبراز ، فبرز إليه ، فدفع أرياط عليه حرابته ، فوقعت في وجه أبرهة ، فشرمته ؛ ولذلك سُمي الأشرم ، وضرب أبرهة أرياط بالسيف على مفرق رأسه ، فقتله ، وانحازت الحبشة إليه ، فلكهم ، وأقره النجاشي على سلطان اليمن ، فكث على ذلك أربعين عاما .

وبنى بصنعاء بيعة لم ير الناس مثلها ، وآذن في جميع أرض اليمن أن تحججها ، فاستغظمت العرب ذلك ، فدخل رجل من أهل تهامة ليلاً ، فأحدث فيها ، فلما أصبح القوم نظروا إلى السوأة السوأة في الكنيسة ؛ فقال أبرهة : من تظنون أنه فعل هذا ؟ قالوا : لم يفعله إلا بعض من غضب للبيت الذي بمكة ، لما أمرت بحجج

(١) الأخاديد : هي الحفر المستطيلة في الأرض كالخدة بالضم ، والمفرد أخدود .

(٢) الآيات : ٦٥، ٤، من سورة البروج

هذه البَيْعة ، فنضب أبرهة عند ذلك غضباً شديداً ، وتجهّز للمسير إلى مكة ليهدم الكعبة ، فأرسل إلى النجاشي ، فبعث إليه بفيل كالجبل الراسي ، يُقال له محمود ، فسار إلى مكة ؛ فكان من أمره ما قد قصّه الله في سورة الفيل .

[الحبشان وهدم الكعبة]

- ٥ قالوا : ولا أهلك الله أبرهة خلفه في ملكه بأرض اليمن ابنه يكسوم بن أبرهة ، فكان شراً من أبيه وأخبت سيرة ، فلبث على اليمن تسع عشرة سنة ثم مات . فملك من بعده أخوه مسروق ، وكان شراً من أخيه ، وأخبت سيرة .

[سيف بن ذي يزن]

- ١٠ فلما طال ذلك على أهل اليمن خرج سيف بن ذي يزن الحميري من ولد ذي نواس حتى أتى قيصر ، وهو بأنطاكية^(١) ، فشكى إليه ما هم فيه من السودان ، وسأله أن ينصرهم وينفيهم عن أرضهم ، ويكون ملك اليمن له ؛ فقال له قيصر : أولئك هم على ديني ، وأنتم عبدة أوثان ، فلم أكن لأنصركم عليهم .
- فلما يئس منه توجه إلى كسرى ، فقدم الحيرة على النعمان بن المنذر ، فشكى إليه أمره ، فقال له النعمان : ما كان سبب إخراج جدنا ربيعة بن نصر ١٥ إيانا عن أرض اليمن ، وإسكاننا بهذا المكان إلا لهذا الشأن فأقيم ، فإن لي وفادة في كل عام إلى الملك كسرى بن قباد ، وقد حان ذلك ، فإذا خرجت أخرجتك معي ، واستأذنت لك ، وتشفعت لك إليه فيما قصدت له ، ففعل واستأذن ، وتشفع ، فوجه كسرى بجيش ممن كان في السجون ، وأمر

(١) أنطاكية : مدينة غربي مدينة حلب بالإقليم الشمالي للجمهورية العربية المتحدة ، تبعد عنها بحوالي ٩٥ كم ، وقد كانت مدينة عظيمة بنيت سنة ٣٠١ ق.م. وتأثرت على مرور الزمن بالغزوات والحروب ، ولا تزال آثارها القديمة باقية .

عليهم رجلا منهم ، يقال له وَهْرُزُ بْنُ الْكَامَجَارِ ، وكان شيخا كبيرا ، قد أناف على المائة ، وكان من فرسان المعجم ، وأبطالها ، ومن أهل البيوتات والشرف ، وكان أخاف السبيل ، فحبسه كسرى .

فسار وهرز بأصحابه إلى الأُبلة^(١) ، فركب منها البحر ، ومعه سيف بن ذي يزن ، حتى خرجوا بساحل عدن ، وبلغ الخبر مسروقا ، فسار إليهم ، فلما التقوا وتوافقوا للحرب أسرع له وهرز بنشابة ، فرماه ، فلم يخطيء بين عينيه ، وخرجت من قفاه ، وخر ميتا ، وانفض جيشه ، ودخل وهرز صنعاء ، وضبط اليمن ، وكتب إلى كسرى بالفتح ، فكتب إليه كسرى ، يأمره بقتل كل أسود باليمن ، وبتمليك سيف عليها ، وبالإقبال إليه ، ففعل . وإن بقايا من السودان قد كان سيف استبقاهم ، وضمهم إلى نفسه ، يجمزون^(٢) بين يديه إذا ركب ، شدوا على سيف يوما ، وهم بين يديه في موكب ، فضربوه بحراجهم حتى قتلوه .

[الفرس واليمن]

فرد كسرى وَهْرُزُ إلى أرض اليمن ، وأمره ألا يدع بها أسود ولا من ضربت فيه السودان إلا قتله ، فأقام بها خمسة أحوال ، فلما أدركه الموت دعا بقوسه ونشابه ، ثم قال : أسندوني ؛ ثم تناول قوسه ، فرمى ، وقال : انظروا حيث وقعت نشابتي ، فابنوا لي هناك ناووسا ، واجعلوني فيه ، فوقعت نشابته من وراء الكنيسة ، وسمى ذلك المكان إلى اليوم « مقبرة وهرز » ؛ ثم وجهه كسرى إلى أرض اليمن بآدان ، فلم يزل ملكا عليها إلى أن قام الإسلام .

قالوا : وكان قبأذ عندما أفضى إليه الملك حدث السن من أبناء خمس عشرة سنة ، غير أنه كان حسن المعرفة ، ذكي الفؤاد ، رحيب الذراع ، بعيد الغور ، فوالى شوخر أمر الملكة ، فاستخف الناس بقبأذ ، وتهاونوا به لاستيلاء شوخر

(١) الأُبلة : بلدة في زاوية الخليج العربي على شاطئ نهر دجلة . (٢) يمدون

على الأمر دونه ؛ فأغضى قُبَادَ على ذلك خمس سنين من مُلكه ، ثم أنف من ذلك ، فكتب إلى سَابُور الرَّايزِي من ولد مِهْرَان الأكبر ، وكان عامله على بَابِل وخطَرَنِيَّة^(١) ، أن يقدم عليه فيمن معه من الجنود ، فلما قدم أفشى إليه ما في نفسه ، وأمره بقتل سُوخَرَ ، ففدا سَابُور على قُبَادَ ، فوجد سُوخَرَ عنده جالسا ، فمضى نحو قُبَادَ مجاوزاً لِسُوخَرَ ، فلم يَأْبَهُ له سُوخَرَ حتى أَوْهَقَهُ سَابُور ، فوقع الوَهَق^(٢) في عنقه ، ثم اجتَرَهُ حتى أخرجَه من المجلس ، فأثقله حديدا ، واستودعه السجن ، ثم أمر به قُبَادَ ، فَقُتِلَ .

[الديانة المزدكية]

فلما مضى للملك قُبَادَ عشر سنين أتاه رجل من أهل اصْطَخَرَ ، يُقال له مَزْدَك ، فدعاه إلى دين المزدكية ، فقال قُبَادَ إليها ، فغضبت الفُرس من ذلك غضباً شديداً ، وهموا بقتل قُبَادَ ، فاعتذر إليهم ، فلم يقبلوا عذره ، وخلصوه من الملك ، وحبسوه في محبس ، ووكلوا به ، ومَلَكُوا عليهم جاماسِيف بن فَيْرُوز أخا قُبَادَ .
وأن أخت قُبَادَ اندست لقُبَادَ حتى أخرجته بحيلة ، فسكت أياماً مُسْتَخْفِيَاً إلى أن أَمِنَ العَلَلَبَ ، ثم خرج في خمس نفر من ثِقَاتِهِ ، فيهم زَرَمِهَر بن سُوخَرَ نحو الهِيَاطِلَّة^(٣) ، يَسْتَنْصِرُ ملكها ، فأخذ طريق الأهواز ، فأنتهى إلى أرمشير ، ثم صار إلى قرية في حدِّ الأهواز وأصهبان ، فنزلها متنكراً ، وكان نزوله عند دِهَقَانِهَا^(٤) ، فنظر قُبَادَ إلى بنت لصاحب منزله ، ذات جمال ، ف وقعت بقلبه ، فقال لَزَرَمِهَر بن سُوخَرَ : « إني قد هويت هذه الجارية ، و وقعت بقلبي ، فانطلق إلى أبيها ، فاخطبها عليّ ، ففعل » .

(١) خطرنية: بلد كانت بأرض بابل

(٢) الهبل يرمى في أنشودة فتؤخذ به الدابة أو الإنسان ، والأنشودة كأنبوبة : عقدة يسهل انحلالها .

(٣) هياطلة Houyatila اسم لبلاد ما وراء النهر .

(٤) الدهقان بالكسر والضم رعيم فلاحى المعجم ورئيس الإقليم ، وهو لفظ معرب .

فأرسل قباد إلى الجارية بخاتمه ، وجعل ذلك مهرها ؛ فهيئت وأُدخِلَتْ عليه ، فخلا بها قباد ، وسُرَّ بها سرورًا شديدًا لَمَّا أَلْفَاها ذات عقل وجَمال وأدب وهيئة ، فأقام عندها ثلاثًا ، ثم أمرها بحفظ نفسها ؛ وخرج سائرًا حتى ورد على صاحب المياطلة ، فشكا إليه صنيع رَعِيَّتِهِ به ، وسأله أن يَمُدَّهُ بِمِيشٍ لِيَسْتَرْجِعَ مُلْكَهُ ، فأجابه إلى ذلك ، وشرط عليه أن يُسَلِّمَ له حِزَّ الصَّغَارِيَانِ ، ووجهه معه ثلاثين ألف رجل .

فأقبل بهم يريد أخاه ، فأخذ على طريقه الذي شَخَصَ فيه بَدِيثًا حتى نزل القرية التي تزوج فيها بتلك المرأة ، فنزل على أبيها ، وسأله عنها ، فأخبره أنها ولدت غلامًا ؛ فأمر بإدخالها عليه مع ابنها ، فدخلت ومعهما الغلام ، فابتهج به ، ورآه كأجمل ما يكون من الغلمان ، فسماه كسرى ؛ وهو كسرى أنو شروان الذي تولى الملك من بعده ، فقال لَزَرْمِيَهْرَ : « اخرج ، فسَلْ لِي عن هذا الرجل أبي الجارية هل له قديم شرف ؟ » ، فسأل عنه ، فأخبر أنهم من ولد فَرِيدُونِ المَلِكِ ، ففرح بذلك قباد ، وأمر بالجارية وابنها ، فَحَمِلَا معه .

ولَمَّا انتهى إلى مدينة طَيْسَفُون تَلَاوَمَتِ العِجَمُ فيما بينها ، وقالوا : « إِنَّ قُبَادَ تَنَصَّلَ إِلَيْنَا مِنْ شَأْنِ مَزْدَكَ ، وَرَجَعَ عَمَّا كُنَّا اتَّهَمْنَاهُ ، فَلَمْ نَقْبَلْ ذَلِكَ مِنْهُ ، وَظَلَمْنَاهُ حَقَّهُ ، وَأَسَانَا إِلَيْهِ » ، فخرجوا إليه جميعًا ، وفيهم « جاماسيف » أخوه الذي ملكوه ، فاعتذروا إليه ، فقبل ذلك منهم ، وَصَفَحَ عَنْ أَخِيهِ جاماسيف ، وغنهم ؛ وأقبل فدخل قصر الملكة ، وَوَصَلَ الجَيْشَ الذي أقبل بهم ، وَأَجَازَهُمْ ، وأحسن إليهم ، وَرَدَّهُمْ إِلَى مَلِكِهِمْ ، وأمر بالجارية ، فَأُنْزِلَتْ فِي أَفْضَلِ مَسَاكِنِهِ .

ثم إِنَّ قُبَادَ تَجَهَّزَ وَسَارَ فِي جُنُودِهِ ، غَازِيًا بِلَادَ الرُّومِ ، فَافْتَتَحَ مَدِينَةَ آمُدَ وَمِيَا فَارِقِينَ ، وَسَبَى أَهْلَهَا ، وَأَمَرَ فَبُنِيَتْ لَهُمْ مَدِينَةٌ فِيمَا بَيْنَ فَارَسَ وَالْأَهْوَازِ ، فَأَسْكَنَهُمْ فِيهَا ، وَسَمَّاها إِرْقُبَادَ ، وَهِيَ أَسْتَانُ الْأَعْلَى ، وَجَعَلَ لَهَا أَرْبَعَةَ طَسَاسِيِجَ : طَسُوجَ^(١) الْأَنْبَارِ ، وَكَانَ مِنْهَا هَيْتٌ وَعَانَاتُ^(٢) ، فَضَمَّهَا يَزِيدُ بْنُ مَعَاوِيَةَ حِينَ مَلَكَ

(١) الطسوج : هو الناحية . (٢) بلدان بأرض العراق .

إلى الحزيرة ؛ وطشوج بادوريتا ؛ وطشوج مسكين ، وكور كورة بهقباد
الأوسط ، وبهقباد الأسفل ، وضم إليها ثمانية طساسيج ، لكل كورة أربعة
طساسيج ، وهي الآستانات^(١) ، وشق كورة^(٢) أصبهان كورتين ، شق جى^(٣) ،
وشق التيمرة^(٤) .

- ٥ وكان قباز عدة من الأولاد ، لم يكن فيهم آثر عنده من كسرى ، لاجتماع
الشرف فيه ، غير أنه كان به ظنة ، أى سىء الظن ، فلم يكن قباز يحمد عليه ،
فقال له ذات يوم : « يا بُنى قد كملت فيك الخصال التى هى جماع أمور الملك ،
غير أن بك ظنة ، وإن الظنة فى غير موضعها داعية الأوزار ، ومُخِبطة للأعمال »
فاعتذر كسرى إلى أبيه مما وقع فى قلبه من ذلك ، واستصلح نفسه عنده .

١٠ [كسرى أنوشروان]

فلما أتى للملك قباز ثلاث وأربعون سنة حَضَرَهُ الموت ، ففَوَّضَ الأمر إلى
ابنه ، وهو أنوشروان^(٤) ، فملك بعد أبيه ، وأمر بطلب « مَزْدَك بن مَازْيَار »
الذى زَيَّنَ للناس ركوب المحارم ، فخرَّضَ بذلك السفُل على ارتكاب السيئات ،
وسَهَّلَ للنَّصَبَةِ الغُصْب ، وللظُلْمَةِ الظُّلْم ، فَطُلِبَ حتى وُجِدَ ، فأمر بقتله وصلبه ،
وَقَتَلَ مَنْ كَانَ فى مِلَّتِهِ .

١٥

ثم قسم كسرى أنوشروان المملكة أربعة أرباع ، وولى كل رُبْع رجلاً من
ثِقَاتِهِ ، فأحد الأرباع : خُرَّاسَان ، وَسِجِسْتَان ، وَكُرْمَان ، والثانى : أصبهان ،
وَقَمْ ، والجبل ، وأذَرَبِيجَان ، وَأَرْمِينِيَّة ، والثالث : فَارِس ، والأهواز إلى
البحرين ، والرابع : العراق إلى حد مملكة الروم . وبلغ كل رجل من هؤلاء الأربعة
غاية الشرف والكرامة .

٢٠

(١) جمع أستان وهو أربع الكور .

(٢) الكورة : هى المدينة الكبيرة أو الصقع .

(٣) جى وتيمرة قرستان بأصبهان . (٤) Nouschirwan

ووجه الجيوش إلى بلاد الهياطلة ، وافتتح تخارستان وزابلستان^(١) ،
وكابلستان والصغانيان .

وأن ملك الترك سينجبو خاقان جمع إليه أهل المملكة ، واستمد ، وسار نحو أرض
خراسان حتى غلبا على الشاش^(٢) ، وفرغانة ، وسمرقند ، وكش^(٣) ونسف^(٤) ،
وانتهى إلى بخارى .

وبلغ ذلك كسرى ، فمقد لابنه هرمز ، الذي ملك من بعده ، على جيش
كثيف ، ووجهه لمحاربة خاقان التركي ، فسار حتى إذا قرب منه خلى ما كان غلب
عليه ، ولحق ببلاده ؛ فكتب كسرى إلى ابنه هرمز بالانصراف .

[دولتا الفرس والروم في عهد كسرى]

قالوا : وإن خالد بن جبلة الغساني غزا النعمان بن المنذر ، وهو المنذر الأخير ،
وكانا منذرين ، ونعمانين ؛ فالمنذر الأول هو الذي قام بأمر بهرام جور ، والمنذر
الثاني الذي كان في زمان كسرى أنوشروان ، وكانوا عمال كسرى على تخوم أرض
العرب ، فقتل من أصحاب المنذر مقتلة عظيمة ، واستاق إبل المنذر وخيله ،
فكتب المنذر إلى كسرى أنوشروان يخبره بما ارتكب منه خالد بن جبلة .

فكتب كسرى إلى قيصر : أن يأمر خالدًا بإقادة المنذر و[من]^(٥) قتل من أصحابه ،
ورد ما أخذ من أمواله ، فلم يحفل قيصر بكتابه ، فتجهز كسرى لمحاربته ، فسار
حتى أوغل في بلاد الجزيرة ، وكانت إذ ذاك في يد الروم ، فاخترت على مدينة

(١) زابلستان : خطة واقعة جنوب أفغانستان وشمال بلوچستان ، وكانت محاطة بكابلستان
وخراسان وسيستان وسند ، ومن مدنها غزنة ، وهي إقليم جميل كثير المياه ، وأهله مشهورون
بالشجاعة .

(٢) مدينة بالقرب من فرغانة ؛ وتقع على مجرى نهر سيحون .

(٣) قرية على ثلاثة فراسخ من جرجان ، تقع على جبل ، وهي مسقط رأس تيمورلنك .

(٤) نسف : مدينة كبيرة بين جيحون وسمرقند ، لها أربعة أبواب ، وهي على مدرج بخارى

وبلخ ، والجبال منها على مرحلتين فيما يلي كش ، وبينها وبين جيحون مفازة لاجبل فيها ، ولها
نهر واحد يجري في وسط المدينة . (٥) في الأصل : ما .

دَارَا^(١) ومدينة الرها^(٢) ومدينة قنسرين^(٣) ومدينة منبج^(٤) ومدينة حلب حتى انتهى إلى أنطاكية ، فأخذها ؛ وكانت أعظم مدينة في الشام والجزيرة ، وسبي أهل أنطاكية ، وحملهم إلى العراق ، وأمر ، فبنيت لهم مدينة إلى جانب طيسفون ، على بناء مدينة أنطاكية ، بأزقتها ، وشوارعها ، ودورها ، لا يغادر منها شيئاً ، وسمّاها « زبرخسرو » وهي المدينة التي إلى جانب المدائن ، تسمى الرومية ، ثم سرحوا فيها ، فانطلق كل إنسان منها إلى مثل داره بمدينة أنطاكية ، وولى القيام بأمرهم رجلاً من نصارى الأهواز ، يقال له يزدفنا .

وأن قيصر كتب إلى كسرى يسأله الصلح ، ورد ما احتوى عليه من هذه المدن ، على أن يؤدي إليه ضريبة موظفة عليه في كل عام وكره كسرى البغى ، فأجابه إلى ما بذل ، ووكل بقبضه وتوجيهه إليه في كل عام شروين الدستبای ، فأقام مع ملك الروم هناك ومعه « خرين » مملوكه المشهور الخبر ؛ وكان نجدا فارسا بطالا . ولما قفل كسرى منصرفاً من أرض الشام أصابه مرض شديد ، فمال إلى مدينة حمص ، فأقام بها في جنوده إلى أن تماثل ، فكان قيصر يحمل إليه كفاية عسكره إلى أن شخص .

قالوا : وكان لكسرى أنوشروان ابن يسمى أنوش زاذ ، كانت أمه نصرانية ، ذات جمال ، وكان كسرى مُعجَباً بها ، وأرادها على ترك النصرانية ولدخول

(١) كان موقعها في أرض الجزيرة بين نصيبين وماردين ، ويقال لأنها بنيت بعد غلبة دارا على الإسكندر ، وقد فتحها الروم واتخذوها مركزاً هاماً ضد إيران ، وبذكر ابن بطوطة في رحلته « أنه رآها ، وهي تحوى منازل بيضاء وبها قلعة » ويوجد بجوار خرابها وآثارها اليوم قرية صغيرة .
(٢) مدينة ذات مياه جارية كثيرة ، تقع على بعد ١٩٠ كم شمال شرق حلب ، ١٤٥ كم جنوب غرب ديار بكر .

(٣) مدينة قديمة على بعد ٢٥ كم جنوب غرب الشام ، وقد فتحت على يد أبي عبيدة الجراح سنة ٨١٧ هـ ، وخربت أيام سيف الدولة بن حمدان في القرن الرابع .

(٤) مدينة في الإقليم الشمالي (سوريا) شمال شرق حلب ، حكمها الشاعر أبو فراس الحمداني ، وفيها أسره الروم .

في المجوسية، فأبت، فورث ذلك منها ابنها أنوش زاذ، وخالف أباه في الديانة، فغضب عليه، وأمر بحبسه في مدينة جُنْدَيْسَابُور.

فلما غزا كسرى بلاد الشام بلغ أنوش زاذ مرضه ومقامه بمحمص، استنقوى أهل الحبس، وبثَّ رسله في نصارى جُنْدَيْسَابُور، وسائر كُور الأهواز، وكسر السجن، وخرج، واجتمع إليه أولئك النصارى، فطرد عمَّال أبيه من كور الأهواز، واحتوى على الأموال، وأشاع بموت أبيه، وتهيباً للمسير نحو العراق. وكتب خليفته بمدينة طَيْسَفُون يُعلمه خبر ابنه، وما خرج إليه، فكتب إليه كسرى: « وَجَّهْ إِلَيْهِ الْجُنُودَ، وَأَكْشِفْ فِي حَرْبِهِ، وَاحْتِلْ لَأَخَذِهِ، فَإِنْ يَأْتِ الْقَضَاءُ عَلَيْهِ، فَيَقْتُلْ، فَأَهْوَنُ دَمٍ، وَأَضْيَعُ نَفْسٍ؛ وَاللَّيْبُ يَعْلَمُ أَنَّ الدُّنْيَا لَا يَخْلُصُ صَفْوُهَا، وَلَا يَدُومُ عَفْوُهَا، وَلَوْ كَانَ شَيْءٌ يَسْلَمُ مِنْ شَائِبَةِ إِذْنِ الْكَانِ الْغَيْثِ الَّذِي يُحْيِي الْأَرْضَ الْمَيِّتَةَ، وَالْكَانَ النَّهَارَ الَّذِي يَأْتِي النَّاسَ رُقُودًا فِيَبِئْسَ هُمْ، وَعُمِّيًّا فَيَضِيءُ لَهُمْ؛ فَكَمْ مَعَ ذَلِكَ مِنْ مُتَأَذِّرٍ بِالْغَيْثِ وَمُتَدَاعٍ عَلَيْهِ مِنَ الْبُنْيَانِ، وَكَمْ فِي سُيُولِهِ وَبُرُوقِهِ مِنْ هَالِكٍ، وَكَمْ فِي هَوَاجِرِ النَّهَارِ مِنْ ضَرَرٍ وَفَسَادٍ؛ فَاسْتَأْصِلِ الثُّؤُلُولَ^(١) الَّذِي نَجْمٌ بِحَدِّكَ، وَلَا يَهْوِلَنَّكَ كَثْرَةُ الْقَوْمِ، فَلَيْسَتْ لَهُمْ شَوْكَةٌ تَبْقَى، وَكَيْفَ تَبْقَى النَّصَارَى فِي دِينِهِمْ: أَنَّ الرَّجُلَ مِنْهُمْ إِنْ لَطِمَ خَدَّهُ الْأَيْسَرَ أُمَكَّنَ مِنَ الْأَيْمَنِ؟!؛ فَإِنْ اسْتَسْلَمَ أَنْوَشُ زَاذٌ وَأَصْحَابُهُ فَرُدَّ مَنْ كَانَ مِنْهُمْ فِي الْحَابِسِ إِلَى مَحَابِسِهِمْ، وَلَا تَزِدْهُمْ عَلَى مَا كَانُوا فِيهِ مِنْ ضَيْقٍ وَنَقْصٍ الْمَطْعَمِ وَالْمَلْبَسِ، وَمَنْ كَانَ مِنْهُمْ مِنَ الْأَسَاوِرَةِ^(٢) فَاضْرِبْ عُنُقَهُ، وَلَا يَكُنْ مِنْكَ عَلَيْهِمْ رَأْفَةٌ، وَمَنْ كَانَ مِنْهُمْ مِنْ سِفَلِ النَّاسِ وَأَوْغَادِهِمْ، فَخَلِّ سَبِيلَهُمْ، وَلَا تَعْرِضْ لَهُمْ؛ وَقَدْ فَهَمْتُ مَا ذَكَرْتَ مِمَّا كَانَ مِنْكَ فِي نِكَالِ الْقَوْمِ الَّذِينَ أَظْهَرُوا شَتْمَ أَنْوَشِ زَاذٍ، وَذَكَرُوا أُمَّهَ، فَاعْلَمْ أَنَّ أَوْلَئِكَ ذَوُو أَحْقَادٍ كَامِنَةٍ وَعِدَاوَةٍ بَاطِنَةٍ، فَجَعَلُوا شَتْمَ

(١) الثُّؤُلُولُ بالضم: حلة الثدى، وقد استعير للدلالة على ضالة الشأن وصغر الهمة.

(٢) القادة والرماة.

أنوش زاذ ذريعةً لشتمننا ، ومرقاةً إلى ذكرنا ، وقد وُقِّتَ في تأديبك إياهم ،
فلا ترخص لأحد في مثل مقاتلهم ، والسلام .

ثم إن كسرى عوفي من مرضه ، فانصرف في جنوده إلى دار مُلكه ، وقد
أخذ ابنه أنوش زاذ أسيراً ، وانتهى فيه إلى ما أمر به .

[الخراج في عهد كسرى]

٥

قالوا : وكانت ملوك الأعاجم يضعون على غلات الأرضين شيئاً معروفاً من
المقاسمات : النصف ، والثلث ، والرابع ، والخمس إلى العشر ، على قدر قرب الضياع
من المدن ، وعلى حسب الزكاء والرَّيْع ، فهُمْ قُبَاذٌ بِإِسْقَاطِ ذَلِكَ ، وَوَضَعَ الْخَرَاجَ ،
فَمَاتَ قَبْلَ أَنْ يَسْتَمَّ الْمَسَاحَةُ ، فَأَمَرَ كَسْرَى أَنْوَشَرَوَانَ بِاسْتِمَائِهَا .

- ١٠ فلما فرغ منها أمر الكتّاب ففصلوها ، ووضعوا عليها الوضائع ، ووظّف
الجزية على أربع طبقات ، وأسقطها عن أهل البيوتات والمرازية^(١) والأساورة^(٢)
والكتّاب ، ومن كان في خدمة الملك ، ولم يلزم أحداً لم يأت له عشرون سنة ،
أو جاز الخمسين . وكتب تلك الوضائع في ثلاث نسخ ، نسخة خلدها ديوانه ،
ونسخة بعث بها إلى ديوان الخراج ، ونسخة دُفِعتْ إلى القضاء في الكور ،
ليتموا الأعمال من اعتداء ما في الدستور الذي عندهم ؛ وأمر أن يُجَبَى الخراج
١٥ في ثلاثة أنجُم^(٣) ، وسمي الدار التي يُجَبَى فيها ذلك « سَرَايَ شَمَرَّة » ، وتفسيره
دار الثلاثة الأنجم ، وهي التي تُعرَفُ بالشَّمَرَجَ اليوم ، وقد قيل في تفسير ذلك
غير هذا ، أي إنما هي دار الحساب ، والحساب شَمَرَّة ، وهذا كلام معروف
في لغة فارس إلى اليوم ، يسمون الخراج الشَّمَرَّةَ بالشين على معنى الحساب ، ورفع
٢٠ خراج الرءوس عن الفقراء والزَّمَنَى ، وكذلك خراج الغلات ، ورفع عما نالته

(١) رؤساء الفرس . (٢) قواد الفرس ومجيدو الرمي بالسهم .

(٣) أوقات مضروبة ، والمفرد نجم .

الآفة على قدر ما أصاب منها ، ووكل بكل ذلك قومًا ثقاتًا ، ذوى عدالة ،
يُنْفِذُونَهُ ، ويحملون الناس منه على النصفة .

ولم يكن في ملوك العجم ملك كان أجمع لفنون الأدب والحكم ، ولا أطلبَ
للعلم منه ، وكان يقرب أهل الآداب والحكمة ، ويعرف لهم فضلهم ، وكان أكبر
علماء عصره بُزْزُجْمَهْر بن البختكان ، وكان من حكماء العجم وعقلائهم ، وكان
كسرى يُفَضِّلُهُ على وزرائه وعلماء دهره .

وكان كسرى وَلَّى رجلاً من الكتّاب نبياً مبروفاً بالعقل والكفاية ، يُقال له
بابك بن النهروان، ديوان الجند ؛ فقال لكسرى : « أيها الملك ، إنك قد قلّدتني
أمراً ، من صلاحه أن تحتمل لي بعض الغلظة في الأمور : عرض الجنود في كل
أربعة أشهر ، وأخذ كل طبقة بكمال آلاتها ، ومحاسبة المؤدّين على ما يأخذون
على تأديب الرجال بالفروسيّة والرّمي ، والنظر في مبالغتهم في ذلك وتقصيرهم ؛
فإن ذلك ذريعة إلى إجراء السياسة مجاريها .

فقال كسرى : ما المُجَاب بما قال بأخطى من الحُجِيب ، لاشتراكهما في
فضله ، وانفراد الحُجِيب بعدُ بالراحة ، فحقّق مقاتلتك ؛ وأمر ، فُبْنِيَتْ له في موضع
العرض مصنّبة^(١) ، وُبُسِطَ له عليها الفرش الفاخرة ؛ ثم جلس ، ونادى
مُنَادِيه : لا يبقين أحد من المقاتلة إلا حضر العرض ، فاجتمعوا ، ولم ير كسرى
فيهم ، فأمّهم ، فانصرفوا . وفعل ذلك في اليوم الثاني ، ولم ير كسرى
فانصرفوا ؛ فنادى في اليوم الثالث : أيها الناس ، لا يتخلّفن من المقاتلة أحد ،
ولا من أكرم بالتاج والسريّر ، فإنه عرض لا رخصة فيه ولا محاباة .

وبلغ كسرى ذلك ، فتسلّح سلاحه ، ثم ركب فاعترض على بابك ، وكان

(١) مرتفع يقعد عليه .

الذى يؤخذ به الفارسُ تَجْفَافًا^(١) ، ودرِعا وجَوْشَنًا^(٢) ، وبيضة ، ومِغْفَرًا^(٣) وساعدَيْن ، وساقَيْن ، ورُحْمًا ، وتُرْسًا ، وجُرْزًا^(٤) ، يُلْزِمُهُ مِنْطَقَتُهُ ، وطَبْرزِينَا وعمودًا ، وجُمْبَةً فيها قوسان بوتريهما ، وثلاثين نُشَابَةً ، ووترين ملفوفين ، يعلِّقُهُمَا الفارس في مِغْفَرِهِ ظَهْرِيًّا ؛ فاعترض كسرى على بابك بسلاح تام ، خلا الوترين اللذين يُسْتَظْهَرُ بِهِمَا ، فلم يحز بابك على اسمه ، فذكر كسرى الوترين ، فعلقهما في مِغْفَرِهِ ، واعترض على بابك فأجاز على اسمه ، وقال : لسيد الكماة أربعة آلاف درهم ودرهم . وكان أكثر من له من الرِّزْق ، أربعة آلاف درهم ، ففضل كسرى بدرهم ، فلما قام بابك من مجلسه دخل على كسرى ، فقال : أيها الملك ، لا تَكْمِئْنِي على ما كان من إغلاظي ، فما أردتُ به إلا الدُّرْبَةَ للمعدلة والإنصاف ، وحسم المحاباة .

١٠

قال كسرى : « ما غَلِظَ عَلَيْنَا أَحَدٌ فِيمَا يَرِيدُ بِهِ إِقَامَةَ أَوْدِنَا أَوْ صَلَاحَ مُلْكِنَا إِلَّا احْتَمَلْنَا لَهُ غَلِظَتَهُ كاحْتِمَالِ الرَّجُلِ شُرْبَ الدَّوَاءِ الْكَرِيهِ لِمَا يَرْجُو مِنْ مَنَفَعَتِهِ » .

١٥

قالوا : وكانت كَسَكَرُ كُورَةٍ صَغِيرَةٍ ، فزاد كسرى أَنْوَشَرَوَانَ فِيهَا مِنْ كُورَةِ بَهْرَسِيرٍ وَكُورَةِ هَرْمِزْدُخْرَةِ ، وَكُورَةِ مَيْسَانَ ، فَوَسَّعَهَا بِذَلِكَ ، وَجَعَلَهَا طَسُوجِينَ^(٥) ، طَسُوجَ جُنْدِيسَابُورَ ، وَطَسُوجَ الزَّندَوَرْدِ ؛ وَكُورَ بَجُوحِي كُورَةِ خِشْرُومَاهُ ، وَجَعَلَ لَهَا سِتَّةَ طَسَاسِيحَ ، طَسُوجَ طَيْسَفُونِ ، وَهِيَ الْمَدَائِنُ ، وَطَيْسَفُونُ قَرْيَةٌ عَلَى دَجَلَةٍ أَسْفَلَ مِنْ قَبَابِ مُحَمَّدٍ بِثَلَاثَةِ فَرَاسِخَ ، يُقَالُ لَهَا بِالنَّبَطِيَّةِ طَيْسَفُونَجَ ، وَطَسُوجَ جَازِرَ ، وَطَسُوجَ كَلَوَازِي ، وَطَسُوجَ نَهْرِ بُوقَ ، وَطَسُوجَ جَلُولَاءَ ، وَطَسُوجَ نَهْرِ الْمَلِكِ .

٢٠

(١) التجفاف بالكسر : آلة للحرب ، يلبسه الفرس والإنسان ليقيه .

(٢) الصدر يدرع به في الحرب .

(٣) المغفر - كعب - زرد من الدرع يلبس تحت القلنسوة أو حلق يتقنع بها المتسلح .

(٤) عمود من حديد . (٥) الطاسوج لفظ فارسي معرب ، معناه ، الناحية .

[تاريخ المعجم والتاريخ النبوي]

وَوُلِدَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي آخِرِ مُلْكِ أَنْوَشَرَوَانَ ، فَأَقَامَ بِمَكَّةَ إِلَى أَنْ بُعِثَ بَعْدَ أَرْبَعِينَ سَنَةً ؛ مِنْهَا سَبْعَ سِنِينَ بَقِيَتْ مِنْ مُلْكِ أَنْوَشَرَوَانَ ، وَتِسْعَ عَشْرَةَ سَنَةً مَلَكَهَا هُرْمُزُ بْنُ كَسْرَى أَنْوَشَرَوَانَ ، وَبُعِثَ وَقَدْ مَضَى مِنْ مُلْكِ كَسْرَى أَبْرُويزُ سِتَّ عَشْرَةَ سَنَةً ، فَأَقَامَ بِمَكَّةَ فِي نُبُوَّتِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَعَلَى عِثْرَتِهِ^(١) ثَلَاثَ عَشْرَةَ سَنَةً ، وَهَاجَرَ إِلَى الْمَدِينَةِ ، وَقَدْ مَضَى مِنْ مُلْكِ أَبْرُويزُ تِسْعَ وَعَشْرُونَ سَنَةً ، فَأَقَامَ بِالْمَدِينَةِ عَشْرَ سِنِينَ ؛ وَتَوَفَّى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ تَسْلِيمًا بَعْدَ مَوْتِ كَسْرَى أَبْرُويزَ ، فَكَانَ عَمْرُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ثَلَاثًا وَسِتِّينَ سَنَةً .

وَزَعَمُوا أَنَّ بَنَاتِ آوَى ظَهَرَتْ بِالْعِرَاقِ فِي آخِرِ مُلْكِ أَنْوَشَرَوَانَ ، وَكَانَتْ سَقَطَتْ إِلَيْهَا مِنْ بِلَادِ الْأَتْرَاكِ ، وَاسْتَفْظَعَ النَّاسُ ذَلِكَ ، وَتَعَجَّبُوا مِنْهُ ؛ وَبَلَغَ ذَلِكَ كَسْرَى فَقَالَ لِلْمُؤَبِّذِ^(٢) : « قَدْ كَثُرَ تَعَجُّبِي مِنْ هَذِهِ السَّبَاعِ الَّتِي غَزَتْ أَرْضَنَا » فَقَالَ الْمُؤَبِّذُ : « بَلَنْحَى أَيْهَا الْمَلِكُ فِيمَا يُؤَثَّرُ مِنْ أَخْبَارِ الْأَوَّلِينَ ، أَنْ كُلَّ أَرْضٍ يَغْلِبُ جُورُهَا عَدْلَهَا تَغْزُوهَا السَّبَاعُ » . فَلَمَّا سَمِعَ ذَلِكَ ارْتَابَ بِسِيرَةِ عُمَّالِهِ ، فَوَجَّهَ ثَلَاثَةَ عَشَرَ رَجُلًا مِنْ أُمَنَائِهِ الَّذِينَ لَا يَسْكُتُمُونَهُ شَيْئًا إِلَى آفَاقِ مَمْلَكَتِهِ مُتَنَكِّرِينَ ، لَا يُعْرِفُونَ ؛ فَانْصَرَفُوا ، فَأَخْبَرُوهُ عَنْ سُوءِ سِيرَةِ عُمَّالِهِ مَا غَمَّه ، فَأَرْسَلَ إِلَى تَسْمِينَ رَجُلًا مِنْهُمْ ، ذُكِرُوا بِسُوءِ السَّيْرِ ، فَضَرَبَ أَعْنَاقَهُمْ ؛ فَضَبِطَ عُمَّالَهُ أَنْفُسَهُمْ ، وَلِزَمُوا عَدْلَ السَّيْرِ .

[ملك هرمزد]

وَكَانَ لِكَسْرَى أَنْوَشَرَوَانَ عِدَّةُ بَنِينَ ، وَكَانُوا جَمِيعًا أَوْلَادَ سُوقَةِ وَإِمَاءَ إِلَّا ابْنَهُ هُرْمُزْدُ بْنُ كَسْرَى الَّذِي مَلَكَ بَعْدَهُ ، فَإِنَّ أُمَّهُ كَانَتْ ابْنَةَ خَاقَانَ التُّرْكِ ، وَأُمُّ أُمِّهِ

(١) العترة : نسل الرجل ورهطه ، وعشيرته الأدنون ممن مضى وغبر .

(٢) المؤبذ أو المؤبذان هو الحكيم من الفرس .

خاتون الملكة ، فعزم أبوه على تملكه من بعده ، فوضع عليه عيوننا ، يأتونه بأخباره ، فكان يأتيه عنه ما يحبه ، فكتب له عهدا ، واستودعه رئيس نساكهم في دينهم ، فلما تم للملك ثمان وأربعون سنة مات .

- فلما مات أنوشيروان ملك ابنه هُرْمُزْد بن كسرى ، فقال يوم مَلَكَ : « الْحِلْمُ عِمَادُ الْمَلِكِ ، والعقل عِمَادُ الدِّينِ ، والرفق ملاك الأمر ، والفطنة ملاك الفكرة ، أيها الناس ، إن الله خَصَّنَا بِالْمُلْكِ ، وعممكم بالعبودية ، وكرَّم مَلَكْتَنَا فَأَعْتَقَكُمْ بِهَا ، وأعزَّنَا ، وأعزكم بعزَّنَا ، وَقَلَّدَنَا الْحُكُومَةَ فَيْكُمْ ، وألزمكم الانقياد لأمرنا ، وقد أصبحتم فرقتين : إحداهما أهل قوة ، والأخرى أهل ضِعَّة ، فلا يستأكلن منكم قوى ضعيفا ، ولا يغشنَّ ضعيف قويا ، ولا تتوقنَّ نفس أحد من الغلبة إلى ضم أحد من أهل الضِعَّة ، فَإِنْ فِي ذَلِكَ وَهْنًا لِمَلَكْنَا ، وَلَا يَرُومَنَّ أَهْلٌ مِنْ أَهْلِ الضِعَّةِ الْاِخْذَ بِاِخْذِ الْغَلْبَةِ ، فَإِنْ فِي ذَلِكَ اِثْتَارَ مَانِحِبِ نِظَامِهِ وَزَوَالِ مَا نَحْوُلُ قَوَامِهِ ، وفوتَ مَا نَحْوُلُ دَرْكِهِ ، وأعلموا أيها الناس ، أَنْ مِنْ سَوْسِنَا الْعُطْفَ عَلَى الْأَقْوِيَاءِ مِنَ الْغَلْبَةِ ، ورفع مراتبهم ، والرحمة على الضعفاء ، والذَّبَّ عَنْهُمْ ، وحسم الأقوياء عن ظلمهم والتعدي عليهم ؛ وأعلموا أيها الناس أن حاجتكم إلينا في نفس حاجتنا إليكم ، وحاجتنا إليكم هي مسد لحاجتكم إلينا ، وأن الثَّغِيلَ مِمَّا أَنْتُمْ مُنْزِلُوهُ بِنَا مِنْ أُمُورِكُمْ عِنْدَنَا خَفِيفٌ ، والخفيف مما نحن مُجَسِّمُونَ كَمِ ثَقِيلٍ لِعِجْزِكُمْ عَمَّا نَحْنُ مُضْطَلَعُونَ بِهِ ، واضطلاعنا لما أَنْتُمْ عَاجِزُونَ ، وَإِنَّمَا تَحْمَدُونَ حَسْنَ مَلَكْتَنَا إِيَّاكُمْ ، وفضل سيرتنا فيكم إِذَا حَسَمْتُمْ أَنْفُسَكُمْ عَمَّا نَهَيْنَاكُمْ عَنْهُ ، وَلِزِمْتُمْ مَا أَمَرْنَاكُمْ بِهِ .

- أيها الناس ، مَيَّأُوا بَيْنَ الْأُمُورِ الْمُتَشَابِهَاتِ ، وَلَا تُسَمِّوْا النَّسْكَ رِيَاءً ، وَلَا الرِّيَاءَ مِرَاقِبَةً ، وَلَا الشَّرَارَةَ شِجَاعَةً ، وَلَا الظُّلْمَ حِزْمًا ، وَلَا رَحْمَةَ اللَّهِ نَقْمَةً ، وَلَا مُخَوِّفَ الْفُوتِ هُوَيْنًا ، وَلَا الْبِرَّ بِالْقُرْبَى مَلَقًا ، وَلَا الْعُقُوقَ مُوجِدَةً ، وَلَا الشُّكَّ اسْتِبْرَاءً ، وَلَا الْإِنْصَافَ ضَعْفًا ، وَلَا الْكِرَمَ مَعْجِزَةً ، وَلَا التَّبَرُّمَ عَادَةً ، وَلَا الْاِخْذَ

بالفضل ذُلًّا ، ولا الأدب عقلا ، ولا العماة غفلة ، ولا الغدر ضرورة ، ولا
 النزاهة تضيقا ، ولا التصنع عفا ، ولا الورع رهبة ، ولا الحذر جُبنا ، ولا
 الشره اجتهدا ، ولا الجنابة غما ، ولا القصد تقتيرا ، ولا البخل اقتصادا ،
 ولا السرف توسعا ، ولا السخاء سرفا ، ولا الصلف بعدهمة ، ولا النبيل صلفا ،
 ولا البذخ تجلدا ، ولا الحرمان استحقاقا ، ولا رفع الأندال صديعة ، ولا المجون
 ظرفا ، ولا التخلف تثبنا ، ولا الثبوت بلادة ، ولا النميمية وسيلة ، ولا السعاية
 دركا ، ولا اللين ضعفا ، ولا الفحش انتصافا ، ولا الهذر^(١) بلاغة ، ولا البلاغة
 تفقيما^(٢) ، ولا الليل في هوى الأشرار شكرا ، ولا المداهنة مواتاة ، ولا الإعانة
 على الظلم حفاظا . ولا الزهو مروءة ، ولا اللهو فكاهة ، ولا الحيف استقصاء ،
 ولا الاستطالة عزّا ، ولا حسن الظن تفريطا ، ولا إبطاء العشوة نصيحة ، ولا
 الغش كينسا ، ولا الرياء تعظفا ، ولا التواني تؤدة ، ولا الحياء مهابة ، ولا السفه
 صرامة ، ولا الدغل^(٣) استقامة ، ولا البغى استمادة ، ولا الحسد شفاء ، ولا
 العجب كمالا ، ولا الفتك حمية ، ولا الحقد مكرمة ، ولا الضيق احتياطا ، ولا التمسف
 انكاشا ، ولا النزق تيقظا ، ولا الأدب حرفة ، ولا الماتبة مفسدة ، ولا بُعد القدر
 سُتوا ، ولا مجارى التقادير أسباب الذنوب ، ولا ما لا يكون كائنا ، ولا كائنا ما لا يكون .
 اجتنبوا الرذولات من هذه الأمور المتشابهات ، وثابروا على ما تحفظون به
 عندنا ، فإن وقوفكم عند أمرنا منجاة لكم من سخطنا ، وتنكيبكم ممصيتنا
 سلامة لكم من عقابنا ، فأما العدل الذى نحن عليه مقتصرون ، وبه نصلح
 وتصلحون ، فأنتم فيه عندنا مُستَوون ، ستمرفون ذلك إذا قمعنا أهل القوة عن
 أهل الضعف ، وتوليئنا بأنفسنا أمر المضطهدين الملهوفين ، وأخضعنا أهل الضعة
 لأهل العلا بإزالنا إياهم منازلهم ، ورددنا من رام من أهل الضعة مرتبة
 لا يستوجبها إلا المستحقون منهم الحباء والشرف لنجدة توجد عنده ، أو
 بلاء حسن يظهر منه .

(١) سقط الكلام . (٢) التشدق في الكلام . (٣) الدخول في الأمور بما يفسدها .

واعلموا أيها الناس ، أننا فارقون بين سَوَطينا وسيفنا ، ومستعملوها بتثبث وحُسن روية ، فمن غَمِطَ نعمتنا وخالف أمرنا ، وحاول ما نهيناه عنه ؛ فإننا لا نكاد نصلح رعايانا ، ونضبط أمورنا إلا بتنكيل من خالف أمرنا ، وتمدّى سيرتنا ، وسمى في فساد سلطاننا ، ولا يطمئن أحد في رُخصة منا ، ولا يَرْجُونَ هَوَادَةَ عندنا ، فإننا غير مُدَاهنين في حق الله الذي قلّدنا ، فوطنوا أنفسكم على إحدى خلتين : إما استقامة بما تصلحون ، وإما مخافة على ما تتلفون ، فإن الصلاح حجّتان معتدّان لكم عندنا من تدبير ملكنا ، وضبطنا سلطاننا ، فلا تستصغروا وعيدنا ، وتهدّدنا ، ولا تحسبوا أن فعلنا يَقْصُرُ عن قولنا ، وإنما أحببنا أن نعلمكم رأينا في اجتناب الرُخص والمُحَاباة ، وحرصنا على الاعتذار قبل الإيقاع ، والأخذ بقصد السيرة والعدل في الرعية ، واختيار طاعتكم التي بها تكون ألفتكم واستقامتكم ، فتقوا بما بدأنا به من وعد ، وخافوا ما أظهرنا من وعيد ، ونحن نسأل الله أن يعصمكم من استدراج الشيطان وضلاله ، وأن يُسَدِّدَكم لما يقرب من طاعته ، وبلوغ مرضاته ، والسلام عليكم .

١٥ فلما سمع الناس ذلك تباشر به الضمفاء وأهل الضعة ، وفَتَّ ذلك في أغضاد العلية وساءهم ، فتتكبوا ما كانوا فيه من الاستطالة على الضمفاء ، والقهر لأهل الضعة ،

وكان هرمزد ملكا متحرّيا لحسن السيرة ، مثابرا على استصلاح الرعية ، رحيا بالضمفاء ، شديداً على الأقوياء ، وباغ من عدله وتحرّيه الحق أنه كان يسير في كل عام إلى أرض الماهين^(١) . فيصيف بها ، وكان يأمر عند مسيره إليها مُناديه ، فينادى في عسكره أن يتحاموا بالإضرار بالدهاقين^(٢) ، ويوكل بتمهيد ذلك ومماقبة من تمدّى أمره فيه رجلا من رِثاقته .

(١) الماهان: الدينور ونهاوند ، إحداهما ماء الكوفة ، والأخرى ماء البصرة .

(٢) الدهاقين جمع دهمقان وهو المزارع أو الفلاح .

وكان ابنه كسرى الذى ملك من بعده ، ويسمى أبرويز ، معه فى مسيره ،
فغار^(١) ذات يوم مركب من مراكبه ، فوقع فى زرع على طريقه ، فرتّع فيه ،
وأفسد ، فأخذ صاحب الزرع ذلك المركب ، فدفعه إلى الموكّل بذلك الأمر ،
فلم يمكنه معاقبة كسرى ، فرّق أمره إلى أبيه ، فأمر أن يُجذّع أذن الفرس ،
ويُحذف ذنبه ، ويُغرّم ابنه مقدار مائة ضعف مما أفسد الفرس من ذلك الزرع .

فخرج الموكّل بذلك من عند الملك ليُنْفِذَ أمر الملك ، فوجّه كسرى رهطاً
من المرازبة والأشراف إلى الموكّل بذلك ، ليسألوه التغييب عن ذلك ويدفع ألف
ضعف مما أفسد مركبه ، لما فى جذّع أذن الفرس وتبئير ذنبه من الطيرة ،
فلم يُجبههم الموكّل إلى ذلك ، وأمر بالمركب فجذّعت أذناه ، وبتّر ذنبه ، وغرّم
كسرى ما أصاب صاحب الزرع كنجوما كان يغرم سائر الناس ؛ فلم يكن للملك
هرمزد بن كسرى همّة ولا نهمة إلا استصلاح الضعفاء ، وإنصافهم من الأقوياء ،
فاستوى فى ملكه القوى والضعيف .

وكان هرمزد منصوراً مظفرّاً لا يروم تناول شيء إلا ناله ، لم يُهزم له جيش
قطّ ، وكان أكثر دهره غائباً عن الدائن . إمّا بالسواد متشتّياً ، وإمّا بالماء متصيّفاً .

فلما كانت سنة إحدى عشرة من ملكه حرق به الأعداء من كل وجه
فاكتنفوه اكتناف الوترسيّة^(٢) القوس ، أما من ناحية الشرق فإن شاهنشاه
الترك أقبل حتى صار إلى هراة^(٣) ، وطرّد عمّال هرمزد ، وأما من قبل المغرب
فإن ملك الروم أقبل حتى شارف « نصيبين » ليستردّ آمد^(٤) وميافارقين^(٥)

(١) غار الفرس يعبر ذهب كأنه منفلت . (٢) سينا القوس : طرفاه .

(٣) مدينة فى أفغانستان سكانها سنيون وبينهم طائفة من الشيعة ، وينسب بناؤها إلى
الإسكندر ، وهى مشهورة بجامعها القديم وفيها تصنع الطنافس .

(٤) آمد وهى ديار بكر ، مدينة على الشاطئ الأيسر لنهر دجلة ، فتحها عياض بن غنم النهري .

(٥) ميافارقين : قاعدة بلاد ديار بكر بين الجزيرة وأرمينية ، وقد سميت قديماً مارتيروبوليس

أو مدينة الشهداء لما جمع فيها من عظام الفرس المسيحيين .

وَدَارًا وَنَصِيبِينَ^(١) ، وَأَمَّا مِنْ قَبْلِ أَرْمِينِيَّةٍ فَإِنَّ مَلِكَ الْخَزَرِّ أَقْبَلَ حَتَّى أَوْغَلَ
فِي أَذْرَبَيْجَانَ ، فَبَثَّ النَّارَاتِ فِيهَا .

فَلَمَّا انْتَهَى ذَلِكَ إِلَى هَرْمَزْدَ بَدَأَ بِقَيْصَرٍ ، فَرَدَّ عَلَيْهِ الْمَدْنَ الَّتِي كَانَ أَبُوهُ
اِغْتَصَبَهَا مِنْهَا ، وَسَأَلَهُ الصَّلَاحَ وَالْوَادِعَةَ ، فَأَجَابَهُ قَيْصَرٌ إِلَى ذَلِكَ ، فَانصَرَفَ ؛
ثُمَّ كَتَبَ إِلَى عَمَلِهِ بِأَرْمِينِيَّةٍ وَأَذْرَبَيْجَانَ ، فَاجْتَمَعُوا وَصَمَدُوا صَمَدَ صَاحِبِ
الْخَزَرِّ ، حَتَّى تَقْوَهُ عَنْ أَرْضِهِ .

فَلَمَّا فَرَّغَ مِنْ ذَلِكَ كُلِّهِ صَرَفَ هَمَّهُ إِلَى صَاحِبِ التُّرْكِ ، وَكَانَ أَشَدَّ الْأَعْدَاءِ
عَلَيْهِ ، فَكَتَبَ إِلَى بَهْرَامِ بْنِ بَهْرَامٍ جُسْنَشْ ، عَامِلَهُ عَلَى تَمَرِ أَذْرَبَيْجَانَ
وَأَرْمِينِيَّةٍ ، وَهُوَ الْمَلَقَّبُ بِبَهْرَامِ شُورِيَّيْنِ ، يَأْمُرُهُ بِالْقُدُومِ عَلَيْهِ ، فَلَا بُدَّ أَنْ يَأْتِيَهُ ،
فَأَذِنَ لَهُ ، فَدَخَلَ عَلَيْهِ ، فَرَفَعَ مَجْلِسَهُ ، وَأَظْهَرَ كِرَامَتَهُ ، وَخَلَّاهُ ، وَأَخْبَرَهُ
بِالْأَمْرِ الَّذِي أَرَادَهُ لَهُ ، مِنْ التَّوَجُّهِ إِلَى شَاهِنْشَاهِ التُّرْكِ .

فَسَارَعَ بَهْرَامُ إِلَى طَاعَتِهِ وَاتَّبَاعِ أَمْرِهِ ، فَأَمَرَ هَرْمَزْدَ أَنْ يُسَلِّطَ بَهْرَامَ عَلَى
بُيُوتِ الْأَمْوَالِ وَالسَّلَاحِ ، وَأَنْ يُسَلِّمَ إِلَيْهِ دِيْوَانَ الْجُنْدِ ، لِيَخْتَارَ مِنْ أَحَبِّ عَلَى
عَيْنِهِ ، فَأَحْضَرَ بَهْرَامُ الدِّيْوَانَ ، وَجَمَعَ إِلَيْهِ الرَّاكِبِينَ وَالْأَشْرَافَ ، فَاتَّخَذَ
اِثْنَيْ عَشَرَ أَلْفَ رَجُلٍ مِنَ الْفَرَسَانِ ، لَيْسَ فِيهِمْ إِلَّا مِنْ أَنْفَاءِ الْأَرْمِينِ .

وَبَلَغَ ذَلِكَ الْمَلِكَ ، فَقَالَ لَهُ : « لِمَ لَمْ تَتَخَذَ إِلَّا هَذَا الْمَقْدَارَ ، وَإِنَّمَا تَرِيدُ
أَنْ تَسِيرَ بِهِمْ إِلَى ثَلَاثِمِائَةِ أَلْفِ رَجُلٍ ؟ » . فَقَالَ بَهْرَامُ : « أَلَمْ تَعْلَمْ أَيُّهَا الْمَلِكُ أَنَّ
قَابُوسَ حِينَ أُسِرَ فَخُبِسَ فِي حِصْنٍ مَسْفُورٍ إِنَّمَا سَارَ إِلَيْهِ رُسْتَمُ فِي اِثْنَيْ عَشَرَ أَلْفًا ،
فَاسْتَنْقَذَهُ مِنْ أَيْدِي مِائَتِي أَلْفٍ ، وَأَنْ أَسْفَنْدِيَادَ إِنَّمَا سَارَ إِلَى أَرْجَاسِفَ لِيَطْلُبَ مِنْهُ
الْوَتْرَ الَّذِي كَانَ لَهُ عِنْدَهُ فِي اِثْنَيْ عَشَرَ أَلْفًا ، وَأَنْ « كِيخسرو » إِنَّمَا أَرْسَلَ
« جَوْدَرُزَّ » لِيَطْلُبَ بِدَمِ أَبِيهِ سِيَاوُشَ فِي اِثْنَيْ عَشَرَ أَلْفًا ، فَظَهَرَ عَلَى ثَلَاثِمِائَةِ أَلْفٍ ؟
فَأَيُّ جَيْشٍ لَا يُفَلِّ بِاِثْنَيْ عَشَرَ أَلْفًا لَا يُفَلِّ بِشَيْءٍ أَبَدًا » .

(١) نصيبين مدينة فيما بين النهرين ، اشتهرت قديماً بمدرستها السمرانية .

فلما فصل بهرام بالجنود من الدائن ودَّعه الملك ، وقال له : « إِيَّاكَ وَالْبَغْيَ ،
فَإِنَّ الْبَغْيَ مَصْرَعُهُ بِصَاحِبِهِ ، وَعَلَيْكَ بِالْوَفَاءِ ، فَإِنَّ فِيهِ نَجَاةً لِمَحَاوِلِهِ ، وَإِيَّاكَ
أَنْ تَسِيرَ إِلَّا عَلَى تَعْيِيَةِ الْحَرْبِ ، فَإِذَا نَزَلْتَ فَاحْرَسْ عَسْكَرَكَ بِنَفْسِكَ ، وَامْنَعْ
جُنُودَكَ مِنَ الْعَيْثِ وَالْفُسَادِ ، وَإِيَّاكَ أَنْ تَعَزِّمَ حَتَّى تُرَوِّى ، وَلَا تُرَوِّى حَتَّى
تَسْتَشِيرَ أَهْلَ النَّصِيحِ وَالْأَمَانَةِ » ؛ ثُمَّ انصرفت الملك ، ومضى بهرام ، فأخذ على
طريق الأهواز . ٥

وبلغ ملك الترك قدوم الجيش لمحاربته ، وقد كان الملك هرمزد وجَّه إلى ملك
الترك رجلاً من مرازبته يسمَّى هرمزد جُرابزِين ، وكان من أدهى المعجم ، وأشدَّهم
خِلَابَةً وَكَيْدًا ، وأمره أَنْ يُعْلِمَهُ أَنَّهُ رَسُولُ الْمَلِكِ ، أَرْسَلَهُ لِمَصَالِحَتِهِ ، وإِعْطَانِهِ
الرَّضَى ؛ فَأَتَاهُ هَرْمَزْدُ جُرابزِين ، فاستعمل فيها الخديمة ، وكفَّه بها عن الفساد
فِي أَرْضِ خُرَاسَانَ ؛ فَلَمَّا عَلِمَ هَرْمَزْدُ أَنَّ بَهْرَامَ قَدْ دَنَا مِنْ هَرَاةَ خَرَجَ لَيْلًا ، فَلَحِقَ
بِهَرَامِ . ١٠

ولما بلغ ملك الأتراك ورود الجيش قال لصاحب حرسه : انطلق فائتني بهذا
الفارس الخَدَّاعَ ؛ فَطَلَبُوهُ ، فوجدوه قد هرب في جوف الليل .

وخرج خاقان من مدينة هَرَاةَ لِلِقَاءِ بَهْرَامِ ، وعلى مقدمته أربعمون ألفاً . ١٥
فلما التقوا أرسل إلى بَهْرَامِ : أَنْ انْضَمْ إِلَيَّ حَتَّى أُمَلِّكَكَ عَلَى إِيْرَانَ شَهْرَ ،
وَأَجْعَلَكَ أَخْصَ النَّاسِ بِي .

فأرسل إليه بَهْرَامُ كَيْفَ تَمَلِّكُنِي عَلَى إِيْرَانَ شَهْرَ ، وَإِنَّمَا مُلْكُهَا لِأَهْلِ
بَيْتِ فِينَا لَا يَجُوزُ أَنْ يُعْدُوهُمْ إِلَى غَيْرِهِمْ ، وَلَكِنْ هَلُمَّ إِلَى الْحَرْبِ .
فَمَضَى مَلِكُ التُّرْكِ مِنْ ذَلِكَ ، وَأَمَرَ ، فَضُرِبَ بُوقُ الْحَرْبِ ، وَتَرَاخَفَ ٢٠
الْفَرِيقَانِ ، وَمَلِكُ التُّرْكِ عَلَى سَرِيرٍ مِنْ ذَهَبٍ فَوْقَ رَايِيَّةٍ ، يُشْرِفُ عَلَى
الْفَرِيقَيْنِ .

فلما استمرت الحرب قصد بهرام للتَّلِّ فِي مِائَةِ فَارَسٍ مِنْ أَبْطَالِ جُنُودِهِ ، فَانْفَضَّ
عَنْهُ مَنْ حَوْلَ مَلِكِ التُّرْكِ ؛ فَلَمَّا رَأَى الْمَلِكُ ذَلِكَ دَعَا بِمَرْكَبِهِ ، وَاسْتَبَانَ لِبَهْرَامِ ،

فرماه بنشابة نفذته ، نحرّ صريما ، وانهزم الأتراك ؛ وقد كان شاهنشاه خلف
على ملكه ابنه « يُلْتَكِين » فلما آتاه مقتل أبيه استجاش^(١) الترك ، وأقبل
في دم داهم من أمم الأتراك ، وانضم إليه الفلّ .

وبلغ بهرام الخبر ، فأرسل في أقطار خراسان ، فاجتمع إليه بشر كثير
فسار مستقبلا لِيُلْتَكِين ، فالتقوا على شاطئ النهر الأعظم مما يلي الترمذ ، وهاب
كل واحد منهما صاحبه ، وجرت بينهما السفراء في الصلح .

وأرسل بهرام إليه « إنكم معاشر الخاقانية قتلتم ملكنا فَيُرُوذ ، فأهدرنا
دمه ، وقبلنا الصلح منكم ، فكذلك ، فافعلوا بنا » .

فأجابه يُلْتَكِين إلى الصلح على حكم هرمزد الملك ، وأقاما بمكانتهما .

فكتب بهرام إلى هرمزد بذلك ، فكتب إليه هرمزد : أن توجّه إلى
يُلْتَكِين مكرّما في خاصة طراحينته^(٢) وعظاء جنوده .

فتوجه يُلْتَكِين إلى العراق ، فلما دنا من المدائن خرج هرمزد ملتقيا له ،
وترجل كل واحد منهما لصاحبه ، وأظهر هرمزد إكرام يُلْتَكِين ، وأنزله معه
في قصره ، وأخذ كل واحد منهما عهدا وكيدا على صاحبه بالسالة ما بقيا ،
ثم أذن له ، فانصرف إلى مملكته .

ولما وغلّ في خراسان استقبله بهرام في جنوده ، وسار معه إلى حد مملكته ؛
وانصرف بهرام حتى أتى مدينة بلخ ، فزّلها ، ووجه إلى الملك هرمزد ما كان غنمه
من عسكر شاهنشاه ، ووجه إليه بذلك السرير الذهب ، فبلغ ما وجه إليه
وَقَرَّ^(٣) ثلاثمائة بعير .

فلما وصلت الغنائم إلى هرمزد ، وعرضت عليه ، وحوله وزرائه وعظاء

(١) طلب الجيوش منهم . (٢) جمع طرخان وهو الرئيس ، ويلقب به الأعيان في خراسان .

(٣) الوقر بالكسر : الحمل الثقيل .

مرازبتيه ، قال يَزْدَانُ جُشْنَسُ رَئِيسَ وِزْرَائِهِ : « أَيُّهَا الْمَلِكُ ، مَا كَانَ أَكْبَرُ
الْمَائِدَةِ الَّتِي مِنْهَا هَذِهِ اللَّقْمَةُ » ؛ فَوَقَعَتْ هَذِهِ الْكَلِمَةُ فِي قَلْبِ هَرْمَزْدَ ، وَارْتَابَ
بِأَمَانَةِ بَهْرَامَ ، وَظَنَّ أَنَّ الْأَمْرَ كَمَا قَالَ يَزْدَانُ جُشْنَسُ ؛ فَانْظُرْ كَمْ دَاهِيَةً دَهِيَاءَ
وَحُرُوبَ وَبَلَاءَ جَرَتْ هَذِهِ الْكَلِمَةُ .

٥ ودخل هَرْمَزْدُ مِنْهَا الْغَضَبَ وَالْغَيْظَ عَلَى بَهْرَامَ مَا أَنْسَاءَ حُسْنَ بِلَائِهِ ، فَأَرْسَلَ
إِلَى بَهْرَامَ بِجَامِعَةٍ وَمِنْطَقٍ امْرَأَةً وَمَنْزِلَ ، وَكَتَبَ إِلَيْهِ « إِنَّهُ قَدْ صَحَّ عِنْدِي
أَنَّكَ لَمْ تَبْعَثْ إِلَيَّ مِنْ تِلْكَ الْغَنَائِمِ إِلَّا قَلِيلًا مِنْ كَثِيرٍ ، وَالذَّنْبُ لِي فِي تَشْرِيفِ
إِيَّاكَ ، وَقَدْ بَعَثْتُ إِلَيْكَ بِجَامِعَةٍ ، فَضَمُّهَا فِي عُنُقِكَ ، وَمِنْطَقٍ امْرَأَةً ، فَتَنْطِقْ
بِهَا ، وَمَنْزِلَ ، فَلْيَكُنْ فِي يَدِكَ ، فَإِنَّ الْفِدْرَ وَالْكَفْرَانَ مِنْ أَخْلَاقِ
النِّسَاءِ » . ١٠

فَلَمَّا وَصَلَ ذَلِكَ إِلَى بَهْرَامَ كَظَمَ غَيْظَهُ ، وَعَلِمَ أَنَّهُ إِنَّمَا أَتَى مِنَ الْوُشَاةِ ،
فَوَضَعَ الْجَامِعَةَ فِي عُنُقِهِ ، وَصَيَّرَ الْمَنْطِقَ فِي وَسْطِهِ ، وَأَخَذَ الْمَنْزِلَ فِي يَدِهِ ، ثُمَّ
أَذِنَ لِعِظَمَاءِ أَصْحَابِهِ ، فَدَخَلُوا عَلَيْهِ ، ثُمَّ أَقْرَأَهُمْ كِتَابَ الْمَلِكِ إِلَيْهِ ، فَلَمَّا سَمِعَ أَصْحَابُهُ
ذَلِكَ يَتَسَوَّأُونَ مِنْ خَيْرِ الْمَلِكِ ، وَعَلِمُوا أَنَّهُ لَمْ يَشْكُرْ لَهُمْ حُسْنَ بِلَائِهِمْ ، فَقَالُوا :
نَقُولُ كَمَا قَالَ أَوَّلُو خَوَارِجِنَا لِأَرْدَشِيرَ : « مَلِكٌ وَلَا يَزْدَانُ » . وَنَحْنُ نَقُولُ : « لَا هَرْمَزْدَ
مَلِكَ ، وَلَا يَزْدَانُ جُشْنَسُ وَزِيرَ » . ١٥

وَكَانَتْ قِصَّةُ أَوَّلَى خَوَارِجِهِمْ : أَنَّ أَرْدَشِيرَ بَابَكَانَ كَانَ صَارَ إِلَيْهِ بَعْضُ
الْحَوَارِيِّينَ ، فَاسْتَجَابَ لَهُ ، وَدَخَلَ فِي دِينِ الْمَسِيحِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ،
وَكَانَ فِي عَصْرِهِ ، وَشَابِعَهُ عَلَى ذَلِكَ وَزِيرُهُ يَزْدَانُ ، فَغَضِبَ الْعَجَمُ لِذَلِكَ ،
وَهَمُّوا بِخَلْعِ أَرْدَشِيرَ حَتَّى أَظْهَرُوا لَهُمُ الرِّجُوعَ عَمَّا هُمَ بِهِ مِنْ ذَلِكَ ، فَأَقْرَؤُهُ
عَلَى الْمَلِكِ . ٢٠

فَقَالَ أَصْحَابُ بَهْرَامَ لِبَهْرَامَ : « إِنْ أَنْتِ تَابَعْتِنَا عَلَى خَلْعِ هَرْمَزْدَ وَالْخُرُوجِ
عَلَيْهِ ، وَإِلَّا خَلَعْنَاكَ ، وَرَأْسُنَا غَيْرُكَ ، فَلَمَّا رَأَى اجْتِمَاعَهُمْ عَلَى ذَلِكَ أَجَابَهُمْ
عَلَى أَسَفٍ وَهَمٍّ وَكَرَاهِيَةٍ .

وخرج هُرمزد جُرابزين ويَزْدك الكاتب من معسكر بهرام ليلا حتى قدما
المدائن ، وأخبرا هرمزد الخبر .

ثم إن بهرام سار في جنوده نحو العراق لمحاربة هرمزد الملك حتى ورد
مدينة الرّي فأقام ، واتخذ سِكَّة للدراهم بتمثال كسرى أبرويز ابن الملك ،
وصورته ، واسمه ، وضرب عليه عشرة آلاف درهم ، وأمر بالدراهم ، فحُمِلَت
سِرا حتى أُلقيت بالمدائن ، ففشت في أيدي الناس .

وبلغ ذلك الملك هرمزد ، فلم يَشْك أن ابنه كسرى يحاول الملك ، وأنه
الذي أمر بضرب تلك الدراهم ، وذلك الذي أراد بهرام بما فعل ، فهم الملك
بقتل ابنه كسرى ، فهرب كسرى من المدائن ليلا نحو أذرْبِيْجَان حتى آتاهما ،
وأقام بها ، ودعا الملك بِبَنْدَوِيَّة وبِسْطَلما ، وكانا خالي كسرى ، فسألهما عن
كسرى ، فقالا « لا علم لنا به » ، فارتاب بهما ، فأمر بحبسهما .

ثم إن الملك جمع نصحاءه ، فاستشارهم ، فقالوا : « أيها الملك ، إنك
عَجِلْتَ في أمر بهرام ، وقد رأينا أن توجه إلى بهرام بِبِزْدان جشنس ، فليس
بهرام بقاتله ، إذا آتاه فاعتذر إليه ، وباء بذنبه عنده ، وتكون قد
طَبِيتَ نفس بهرام ، ورددته إلى الطاعة ، وحقنت بذلك الدماء ؛ فقبل الملك
ذلك .

وبعث بِبِزْدان جشنس الوزير ، فلما تهيأ للمسير أرسل إليه ابن له كان
محبوسا في حبس الملك ببعض الجرائم ، يسأله أن يستوهبه من الملك ، ويخرجه
معه ، فإن عنده غناء ومعمونة في الأمور ، ففعل بِبِزْدان جشنس وأخرجه معه .
فلما صار بمدينة همدان ارتاب بابن عمه ذلك ، وكتب كتابا إلى الملك يعلمه :
أنه قد ردّه إليه ، ليأمر بقتله ، أو يرده إلى محبسه ، فإنه فاجرٌ فثاك ، وقال له :
« إني قد كتبت إلى الملك كتابا في بعض الأمور ، فأغذ السير به حتى تدفعه
إليه ، ولا تُطْلِعَنَّ على ذلك أحدا » .

فارتاب الرجل بذلك ، فلما تغيب عن يزْدَان جُشْنَس ، وفك الكتاب ، وقراه
فإذا فيه حتفه ، فرجع إلى يزْدَان جُشْنَس ، وهو مُسْتَخْلٍ ، فضربه حتى
قتله ، وأخذ رأسه ، فانطلق به إلى بهْرَام ، وهو بالرتى ، فالتقاء بين يديه ،
وقال : هذا رأس عدوك يزْدَان جُشْنَس الذى وُشى بك إلى الملك ، وأفسد
قلبه عليك ؛ فقال له بهْرَام : « يافاسق ، أقتلت يزْدَان جُشْنَس فى شرفه
وفضله ، وقد كان خرج نحوى ليمتد إلى مما كان منه ، ويصلح بينى وبين الملك ؟
ثم أمر به ، فضربت عنقه .

وبلغ من بيباب الملك من العظماء والأشراف والرازية مقتل يزْدَان جُشْنَس ،
وكان عظيمًا فيهم ، فشى بعضهم إلى بعض ؛ وعزموا على خلع الملك ، وتخليك
ابنه كسرى ، وكان الذى زَيْنَ لهم ذلك ، وحملهم عليه « بِنْدَوِيَّة وَبِسْطَام » خلا
كسرى . وكانا محتبسين ، فأرسلا إلى العظماء ، أن أريحوا أنفسكم من ابن
التركية ، يعنيان الملك هرمزد ، وقد قتل خيارنا ، وأباد سراتنا ، وذلك أنه كان
مُولِمًا بالعلية من أجل استطالتهم على أهل الضعف ، فقتل منهم خلقًا كثيرًا ،
فاتفقوا على يوم يجتمعون فيه لذلك ، فأقبلوا جميعًا حتى أخرجوا بِنْدَوِيَّة وَبِسْطَامَا
من الحبس ، وجميع من كان فيه .

[تولى كسرى أبرويز]

ثم أقبلوا إلى الملك هرمزد فنكسوه عن سريره ، وأخذوا تاجه ومنطقته
وسيفه وقياءه ، فأرسلوا بها إلى كسرى ، وهو بأذَرْبِيْجَان .
فلما انتهى ذلك إليه سار مُقْبِلًا حتى وَرَدَ المدائن ، ودخل الإيوان ، واجتمع
إليه العظماء ، فقام فيهم خطيبًا ، فكان مما قال : المقادير ترى الرء ما لا يخطر
بباله ، والأسباب تأتى على خلاف الهوى ، والبغى مصرعه لأهله ، والخائب
من أورطته رغبته ، والحازم من قنع بما قضى له ولم تتق نفسه إلى أكثر
منه . أيها الناس : ثابروا على ما يقربكم إلينا من طاعتنا وناصحتنا ، وإياكم

ومخالفة أمرنا ، والبنى علينا ، فإننا لكم بمنزلة العرَى والأركان .

فلما تفرق الناس عنه قام يمشى حتى دخل على أبيه ، وهو في بيت من بيوت القصر ، فقبل يديه ورجليه ، وقال : « يا أبتِ ، ما أحببت هذا الأمر في حياتك ، ولا أردته ، ولو لم أقبله لصُرف مِنّا ، وأُزيلَ عنا إلى غيرنا » .

فقال له أبوه : « صدقتَ وقد قبلتَ عذرك ، فدونك الأمر ، قفم به ، وقد عرضت لي إليك حاجة » .

قال : « يا أبتِ ، وما عسى أن يعرض لك إلى ؟ » .

قال : « تنظر الذين تولّوا نكسى عن السرير ، وأخذوا التاج عن رأسى ، واستخفّوا بى ، وهم فلان وفلان ، وسبّاهم ، فمَجَّلُ قتلهم ، واطلب لأبيك بشأره منهم » .

قال كسرى : « هذا لا يمكن يومنا هذا حتى يقتل الله عدونا بهرام ، ويستدف^(١) لنا الأمر ، فتنظر عند ذلك كيف أيرهم^(٢) وأنتقم لك منهم » . فرضى أبوه بذلك منه ، وخرج كسرى من عنده ، فجلس مجلس الملك .

وبلغ بهرام ما جرى ، وهو بالرّى ، وما كان من الأمر ، فغضب لهزمُزد غضباً شديداً ، وأدركته له حَمِيَّة ورِقَّة ، وذهب عنه الحقد ، فسار في جنوده جاداً مُجِدّاً ليقْتُلَ كسرى ومَنْ وَالآه على أمره ، ويردّ هُرْمُزد إلى مُلكه .

وبلغ كسرى فُصوله من الرّى ، وما يهّم به ، فكم ذلك عن أبيه ، وسار ملتقياً لبهرام في جنوده ، وقَدَّمَ رجلاً من رِقاته ، وأمره أن يأتى عسكر بهرام متنكراً ، فينظر سيرته ، ويعرف له كُنْه أمره .

فسار الرجل ، فاستقبل بهرام بهمَدان ، فأقام في عسكره حتى عرف جميع أمره ، ثم انصرف إلى كسرى ، فأخبره : أن بهرام إذا سار كان عن يمينه مرْدان سِيْنَه الرُّوَيْدَشِيّ ، وعن يساره يَزْدَجُشْنَس بن الحلبان ، وأن أحداً

(١) يستدف = يستقيم . (٢) أيرهم = أهلكهم .

من جنوده لا يُطِيع نفسه في اغتصاب أحد من الرعيّة مقدار حبة فما فوقها ؛
 وأنه إذا نزل المنزل دعا بكتاب كليلة ودمنة ، فلا يزال مُنكبّاً عليه طول نهاره .
 فقال كسرى لخاليه بندوقية وبسطام : « ما خِفْتُ بهرام قط نكوفي منه
 الساعة ، حين أُخْبِرْتُ بإدماؤه النظر في كتاب كليلة ودمنة ، لأن كتاب
 كليلة ودمنة يفتح للمرء رأياً أفضل من رأيه ، وحزماً أكثر من حزمه ، لما فيه
 من الآداب والفطن .

وأن كسرى وبهرام توفّقاً بالنهر وان ، فمسكر كل منهما بأصحابه في ناحية ،
 وخندق على نفسه ؛ ثم إن بهرام عقد جسراً ، وعبرَ إلى كسرى ؛ فلما تواقف
 الجمعان بدرَ بهرام حتى دنا من صفوف كسرى ، ثم صاح بأعلى صوته « تَبّاً
 لكم يامعشر المعجم ، في خلعكم ملككم ، أيها الناس : توبوا إلى ربكم مما
 فعلتم ، وانحازوا إلىّ بجماعتكم حتى نرد السلطان على ملككم قبل أن ينزل
 الله نقمته عليكم » .

فلما سمع أصحاب كسرى ذلك قال بعضهم لبعض « قد والله صدق بهرام ،
 وإن الأمر لعلّ ما قال ، فلهوا بنا تلافَ أمرنا ، ونصلح ما كان منا بإجابة
 بهرام إلى ما رأى » .

وانحازوا جميعاً ، فانضموا إلى بهرام ، ولم يبق مع كسرى إلا خالاه ، بندوقية
 وبسطام ، وهرمزد جُرازين ، والنخارجان ، وسابور بن أبركان ، ويزدك كاتب
 الجند ، وباد بن فيروز ، وشروين بن كامجار ، وكردى بن بهرام جُشنس
 أخو بهرام شُوين لأبيه وأمه ، وكان من ثقات كسرى وأحبائه .

فقال^(١) هؤلاء لكسرى : « أيها الملك ، ما تفعل ؟ ألا ترى إلى جميع
 الناس قد فارقوك ، وانحازوا إلى عدوك » . فغضب نحو المدائن حتى إذا انتهى إلى
 قنطرة « جودرز » التفت وراءه ، فإذا هو بهرام وحده ، قد ترك الناس خلفه حتى

(١) في الأصل : فقالوا .

دَنَا مِنْهُ وَمِنْ أَصْحَابِهِ ؛ فَوَقَفَ لَهُ كَسْرَى عَلَى طَرَفِ الْقَنْطَرَةِ ، وَوَتَرَ قَوْسَهُ ، وَكَانَ مِنْ رُؤَاةِ النَّاسِ ، فَوَضَعَ فِيهَا نُشَابَةً ، وَخَافَ أَنْ يَعْمِدَ بِرُمِيَّتِهِ بِهَرَامٍ ، فَلَا يَعْمَلُ السَّهْمَ فِيهِ لَجُودَةِ دَرْعِهِ ، فَأَرَادَ أَنْ يَعْمِدَ وَجْهَهُ ، فَلَمْ يَأْمَنْ أَنْ يَتَتَرَّسَ بِدَرَقَتِهِ^(١) أَوْ يَمِيلَ وَجْهَهُ عَنْ سَهْمِهِ ، فَرَمَى جَبْهَةَ فَرَسِهِ ، فَلَمْ يَخْطِئْ وَسْطَ جَبْهَتِهِ ، وَاسْتَدَارَ الْفَرَسُ مِنْ شِدَّةِ الرَّمِيَةِ ، ثُمَّ سَقَطَ .

وَبَقِيَ بِهَرَامٍ رَاجِلًا ، فَأَمَّنَ كَسْرَى رُكْعًا حَتَّى دَخَلَ الْمَدَائِنَ ، وَأَتَى أَبَاهُ ، وَلَمْ يَعْلَمْهُ أَنَّ بِهَرَامٍ إِنَّمَا يَحَاوِلُ رَدَّ الْمَلِكِ إِلَيْهِ غَيْرَ أَنَّهُ قَالَ لَهُ : « إِنْ أَصْحَابِي جَمِيعًا مَالُوا إِلَيْهِ ثُمَّ قَالَ « مَا الَّذِي تَرَى ؟ » قَالَ « أَرَى لَكَ أَنْ تَلْحَقَ بِقَيْصَرَ ، فَإِنَّهُ سَيَنْجِدُكَ ، وَيَنْصُرُكَ حَتَّى يَسْتَرْجِعَ لَكَ مَلِكًا » .

فَقَبَّلَ كَسْرَى يَدَيْ أَبِيهِ وَرَجْلَيْهِ ، وَوَدَّعَهُ ، وَسَارَ نَحْوَ الْبَحْرِ فِي أَصْحَابِهِ ، وَكَانُوا تِسْعَةً ، هُوَ عَاشِرُهُمْ ، فَقَالَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ : « إِنْ بِهَرَامٍ يُوَافِي الْمَدَائِنَ الْيَوْمَ أَوْ غَدًا ، فَيَمْلِكُ هَرْمَزَ ، فَيَكُونُ مَلِكًا كَمَا لَمْ يَزَلْ ، ثُمَّ يَكْتُبُ هَرْمَزَ إِلَى قَيْصَرَ ، فَيُرَدُّنَا إِلَيْهِ ، فَيَقْتُلُنَا جَمِيعًا ، وَلَيْسَ كَسْرَى بِمَلِكٍ مَا دَامَ أَبُوهُ حَيًّا » . فَقَالَ بِدُونِيَّةٍ وَبَسْطَامٍ خَالَا كَسْرَى « نَحْنُ نَكْفِيكُمْ ذَلِكَ » .

فَانْصَرَفَا عَلَى الْمَقْبَضِ ، ثُمَّ أَقْبَلَا حَتَّى دَخَلَا قَصْرَ الْمَمْلَكَةِ ، وَوَجَّعَا عَلَى هَرْمَزَ الْبَيْتَ الَّذِي كَانَ فِيهِ ؛ وَقَدْ شُغِلَ الْحِشْمُ بِالْبُكَاءِ وَالْعَوِيلِ ، لِهَرَبِ كَسْرَى مِنْ عَدُوِّهِ ، فَأَلْقِيَا عِمَامَةً فِي عُنُقِهِ ، نَحْنَقَاهُ حَتَّى مَاتَ .

ثُمَّ لَحَقَا بِكَسْرَى ، وَلَمْ يَخْبَرَاهُ بِذَلِكَ ، وَسَارُوا بِالرُّكُضِ الشَّدِيدِ يَوْمَهُمْ ، مَخَافَةَ الطَّلَبِ ، وَمِنْ الْغَدِ حَتَّى شَارَفُوا مَدِينَةَ هَيْتَ^(٢) ، وَانْتَهَوْا إِلَى دِيرِ رَهْبَانٍ ، فَنَزَلُوهُ ، فَأَتَوْهُمْ بِخَبْزِ شَعِيرٍ ، فَبَلَّوهُ بِالْمَاءِ ، وَأَكَلُوهُ ، وَأَتَوْهُمْ بِخَلٍّ ، فَنَزَّجُوهُ بِمَاءٍ ، وَشَرَبُوا مِنْهُ ، وَأَتَكَأَ كَسْرَى عَلَى خَالِهِ بَسْطَامٍ ، فَنَامَ لَشِدَّةِ مَا أَصَابَهُ مِنَ التَّعَبِ ، فَبَيْنَاهُمْ كَذَلِكَ إِذْ نَادَاهُمُ الرَّاهِبُ مِنْ صُومَعَتِهِ : أَيُّهَا النَّفَرُ ، قَدْ أَتَيْتُكُمْ الْخَيْلُ ، وَهُمْ بِالْبُعْدِ .

(١) الدَّرَقَةُ مَعْرَبٌ دَرِيحَةٌ ، وَالْأَرَقُ بِالْفَتْحِ الصَّلْبُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ ، وَالْأَرَقَةُ كَالْأَرَقِ يَتَخَذُهَا الْمُحَارِبُ لِيَحْمِيَ نَفْسَهُ مِنَ النَّشَابِ وَالسَّهْمِ .

(٢) بَلَدٌ عَلَى الْفَرَاتِ ، فَوْقَ الْأَنْبَارِ عَلَى جِهَةِ الْبَرِيَّةِ ، وَقَدْ سَمِيَتْ بِاسْمِ بَانِيهَا .

وقد كان بهرام ، حين وَاى المدائن ، فصادف هُرْمُرد الملك قتيلا ، ازداد عيظا
على كسرى وحنقا ، فوجه بهرام بن سياوشان فى ألف فارس على الخيل
العتاق . فلما نظر كسرى وأصحابه إلى الخيل سقط فى أيديهم ، وأيسوا من
أنفسهم ، فقالى بندوية لكسرى : أنا أخلاصك بحيلتى ، غير أنى أغرر بنفسى .
قال له كسرى : ياخال ، إنك إن وقيتنى بنفسك سلمت أو قتلت ، فكفاك
بذلك ذكرا باقيا وشرفا عاليا ، فقد خاطر أرسناس بنفسه فى أمر منوشهر ، وأتى
قراسياب ملك الأتراك ، وهو فى وسط جنوده ، فرماه بسهم فقتله ، وأراح زاب
الملك منه ، فأصاب بثأر منوشهر ، فقتل ، فبعده صيته فى الناس ، وعظم ذكره ،
وقد خاطر جودرز بنفسه بسبب سابور ذى الأكتاف حين قام بتدبير ملكه ،
وضبط سلطانه ، فحسده الناس لذلك ، فلما أدرك سابور ملكه على جميع أموره ،
وفوض إليه سلطانه .

قال له بندوية « قم ، فأتى عنك قبائك ، ومنطقتك ، وحل عنك سيفك ، وضع
تاجك ، واركب فى سائر أصحابك ، فتبطنوا هذا الوادى ، فأغذوا فيه السير ،
ودعوني والقوم » .

ففعل كسرى ما أمره ، وتبطن الوادى ، وسار فى بقية أصحابه ، وعمد بندوية إلى
قباء كسرى فلبسه ، وتنطق بمنطقته ، ووضع التاج على رأسه . ثم قال للهربان
« عليكم بالجبل ، فالحقوا به إلى أن ينصرف هذا الخيل ، وإلا لم آمن أن يقتلوكم .
عن آخركم » . فتركوا الصوامة جميعا ، وخرجوا عن الدير .

وصعد بندوية ، فصار على سطح الدير ، وقد أغلق عليه الباب ، وهو لابس
بزة كسرى ، فقام على رجله قائما ، حتى علم أن القوم قد رأوه جميعا ، ثم نزل إلى
الدير ، فخلع بزة كسرى ، ولبس بزة نفسه ، ثم عاد إلى سطح الدير ، وقد حصدت به
الخيل ، فقال « يا قوم ، من أميركم ؟ » فأتى بهرام بن سياوشيان وقال « أنا
أميرهم ، ماتشاء يا بندوية ؟ »

قال: إن الملك يُقرُّك السلام، ويقول، أنا إنما نزلنا آرنفا^(١)، وقد كللنا، وتعبنا، وليس عليك منا فوتٌ، فدعنا على حالنا في هذا الدير إلى العشاء، لنخرج إليك، وننطلق معك إلى بهرام، فيحكم فينا بما يرى.

قال بهرام بن سیاوشان « ذلك له، وعزازة ».

ثم نزل بندوية، والقوم مُحَدِّقُونَ بالدير، فلما أمسوا عاد بندوية إلى سطح الدير، وقال لبهرام بن سیاوشان: « إن الملك يقول لك: هذا المساء، وليست لنا أجنحة نطير بها، وقد حدقم بالدير، فدعنا ليلتنا هذه لنستريح، وامتن علينا بذلك، فإذا أصبحنا خرجنا إليك، ومضينا معك.

قال بهرام « وذلك له، وحُبًّا وكرامة ». ثم أمر أصحابه أن يكونوا فرقتين،

فرقة تنام، وأخرى تحرس نوابٍ.

فلما أصبح بندوية فتح الباب وخرج إلى القوم وقال: « إن كسرى قد فارقني لنذ أمس، هذا الوقت، ولو كنتم على نجائب كالريح ما لحقتموه، وإنما كان ما سمعتم مني مكيدة وحيلة. فلم يصدقوه، ودخلوا الدير، ففتشوه بيتا بيتا، فسقط في يد بهرام بن سیاوشان، ولم يدر ما يعتذر به إلى بهرام شويين. فحمل بندوية، وانصرف حتى دخل على بهرام شويين، وأخبره بالحيلة التي احتالها بندوية؛ فدعاه بهرام، وقال: « لم ترض بما كان منك من قتل الملك هرمزد، حتى خلصت الفاسق كسرى، فنجا مني؟ قال بندوية « أما قتلي هرمزد فلست أعتذر منه، إذ طنى وبني، وقتل صناديد المعجم، وألقى بأسهم بينهم، وفرق كلمتهم، وأما حيلتي في تخليص ابن أختي كسرى فلا لوم عليّ في ذلك، إذ كان ولدي.

قال بهرام: « أما إنه ليس ينعني من تعجيل قتلك إلا ما أرجو من ظفري بالفاسق كسرى، فأقتله، وأقتلك على أثره؛ ثم قال لبهرام بن سیاوشان « احبسه عندك مقيدا إلى أن أدعوك به ».

(١) أي منذ ساعة.

ثم إن بهرام جمع إليه وجوه الملكة ، فقال : « قد علمتم ما ارتكب كسرى من الوزر العظيم بقتل أبيه ، وقد مضى هاربا ، فهل ترضون أن أقوم بتدبير هذا الملك حتى يدرك شهریار بن هرمزد مدرك الرجال ، فأسلمه إليه » . فرضى بذلك فريق ، وأباه فريق . فمن أبي موسى الأرميني ، وكان من عظماء المرازبة ، وقال لبهرام : « أيها [الإسبيهد] ^(١) ، ليس لك أن تقوم بشيء من ذلك ، وكسرى صاحب الملك ووراثته في الأحياء » ، فقال بهرام : من لم يرضَ فليرتجل عن المدائن ، فإني إن صادفت بعد ثلاثة أحدا ممن لم يرض ثأويا بالمدائن ضربت عنقه .

فارتحل موسى الأرميني فيمن كان على رأيه ، وكانوا زهاء عشرين ألف رجل ، فساروا إلى أذربيجان ، فزلوها ينتظرون قدوم كسرى من الروم ؛ ولم يزل بندوية محتبسا عند بهرام بن سیاوشان ، فكان بهرام بن سیاوشان يحسن إليه في الطعام والشراب ليتخذ بذلك زلفةً عنده ، لما ظن أن كسرى سينصرف ، ويرجع إليه الملك ، وكان إذا جنَّ عليه الليل أخرجه من محبسه ، فأجلسه معه على شرابه ، فقال بندوية ذات ليلة لبهرام : يا بهرام ، إن ما أنتم فيه سيئ ضئيل ، ويذهب لظلم بهرام شوبين واعتدائه . فقال بهرام : والله لأعرف ما تقول ، وإني لأهمم بأمر . قال بندوية : وما هو ؟ قال : « أقتل غدا بهرام شوبين ، وأريح الناس منه ، ليرجع الملك إلى نظامه وعنصره » قال بندوية : « أما إذ كان رأيك ، فأطلقني من قيدي ، وردّ عليّ دابتي وسلاحي » ، ففعل . ولما أصبح بهرام بن سیاوشان تدرّع تحت ثيابه درعاً ، واشتمل على السيف ؛ فأبصرت ذلك امرأته ، وكانت بنت أخت بهرام شوبين ، فاستترأت به ، وبعثت إلى بهرام تُعلمه ذلك .

وابتكر بهرام إلى الميدان ، فكان لا يمر به أحد من أصحابه إلا ضرب جنبه بالصوّكجان ، فلم يسمع حس ^(٢) الدرع من أحد منهم ، حتى مر به بهرام

(١) كلمة فارسية Ispehbed معناها قائد ، وفي الأصل إسبيهد ، وهو تعريف ، فأصبهبد مدينة في بلاد الدي . (٢) الحس بالكسر : الحركة والصوت .

ابن سياوشان فضرب جنبه بالصَّوْكَجَان ، فلما سمع حسَّ الدرع استلَّ سيفه وضربه حتى قتله .

وتنادى الناس : قتل بهرام في الميدان ؛ فظنَّ بُندوية أن بهرام شويين المقتول ؛ فركب دابَّته ، ومضى نحو الميدان ؛ فلما علم أنَّ المقتول صاحبه خرج متنكراً ، يسير الليل ، ويكمن النهار ، حتى أتى أذربيجان ، فأقام مع مُوسيل وأصحابه هناك .

ولما سار كسرى من الدير سار يوماً و ليلة ، وتلقَّاهم أغرابيُّ ، فوقفوا عليه ، فسأله كسرى ، وكان يُحسن بالعربية شيئاً ، مَنْ هو ؟ فأخبر أنه من طيِّء ، وأن اسمه إياس بن قبيصة ، فقال له : « أين الحَيَّ ؟ » ، فقال : « قريبٌ » ، قال : « فهل من قرى ، فقد بلغنا الجوع ؟ » ، قال : « نعم » ، فعدَّوْا معه إلى الحَيِّ ، فزلوا به ، وسرَّحو خيلهم ترتع ، وأقاموا عنده يومهم ، فأحسن قراهم ، وزوَّدهم ، وخرج بهم حين أمسوا يَدُلُّهم الطريق ، حتى أخرجهم لثلاث بيالس^(١) من شاطئ الفرات . ثم انصرف .

وسار كسرى حتى انتهى إلى اليرموك ، فخرج إليه خالد بن جبلة الغسانيُّ ، فقراه ، ووجه معه خيلاً حتى بلغ قيصر ، فدخل عليه ، وأبَّته شأنه ، وما توجه له ، فوجده بحيث أمَّل من نصره ، ومعونته .

فقال له بطارقته : « أيها الملك قد علمت ما لقي مَنْ كان قبلك من آبائك من هؤلاء ، منذ زمان الإسكندر ، وكان آخر ما لقينا منهم اغتصاب جدِّ هذا إيانا مدن الشام التي لم تزل في أيدينا إرثاً من آبائنا منذ ألف عام ، فردَّها عليك أبو هذا حين أجلبت بخيلك ورجلك ، فدَّعِ القوم يشتغلُ بعضهم ببعض ، فإنَّ حرب العدو بعضهم بعضاً فتتحَّ عظيم » .

فقال قيصر لعظيم الأساقفة : « ما تقول أنت يا كبيرنا ؟ » . فقال : « لا يحلُّ لك خذلانه ، إذ كان مَبَغِيًّا عليه ، والرأى أن تنصره ، ليكون لك سلماً ما بقيت وبقى » .

(١) مراحل السفر .

- قال قيصر : « وهل يجوز للملوك أن يُستَجَارَ بهم فلا يُجِيرُوا ؟ » .
- فأخذ على كسرى اليهود والمواثيق بالسالة ، وزوّجَه ابنته مريم ، ثم عقد لابنه ثيادُوس في أبطال جنوده ، وفيهم عشرة رجال من الهَزَازِ مَرْدِين^(١) ، وقوّاهم بالأموال والعتاد ، وأمرهم بالمسير معه ، وشيّعهم ثلاثة أيام .
- فسار كسرى بالجيش ، فأخذ على أَرْمِينِيَّةٍ حتى إذا صار بأَذَرَ بِيَجَانَ انضمَّ إليه خاله بِنْدُويَّة ومُوسيل الأَرْمَنِيَّ ومن معه من مرازبته ومرازبة فارس .
- وبلغ خبره بهَرَامُ شُورِين ، فسار جادًّا بالجنود حتى وَاَفَاهُ بِأَذَرَ بِيَجَانَ ، فعسَّكَرَ على فرسخ من معسكر كسرى . ثم تراخفوا ، ونُصِبَ لكسرى وثيادُوس سرير من ذهب فوق رَابِيَّة تُشْرِفُ بهما على مُجْتَمَعِ القوم ، ولما تواقفت الخيلان أقبل رجل من الهَزَازِ مَرْدِين حتى دَنَا من كسرى ، فقال : « أَرِنِي هذا الذي غَلَبَكَ على مُلْكِكَ » . فدخلت كسرى أنْفَةً من تَعْيِيرِهِ إِيَّاهُ بذلك ، فكظمها ، غير أنه أراه بهَرَامُ شُورِين ، فقال : « هو صاحب الفرس الأَبْلَقُ الْمُعْتَجِر^(٢) بِالْعِمَامَةِ الْحَرَاءِ ، الواقف أمام أصحابه » .
- فمضى الرُّومِيَّ نحو بهَرَامِ شُورِين ، فناداه : أَنْ هَامَّ إِلَى الْمُبَارَاةِ ؛ فخرج إليه بهرام ، فاختلفا ضربتين ، فلم يصنع سيف الرومي شيئاً في بهرام ، لجودة دِرْعِهِ ؛ وضربه بهَرَامُ على مَفْرِقِ رَأْسِهِ ، وعليه الْبَيْضَةُ ، فَقَدَّ الْبَيْضَةُ ، وأفضى السيف إلى صدر الرُّومِيَّ ، فَقَدَّه حتى وقع نصفين ، عن يمين وشمال .
- وأبصر ذلك كسرى ، فَاسْتَعْرَبَ ضَحْكَاً ، فغضب ثيادُوس ، وقال : « تَرَى رجلاً من أصحابي يُمَدُّ بِالْفِ رَجُلٍ قَدْ قُتِلَ فَتَضْحَكُ ، كَأَنَّكَ مسرور بقتل الرُّومِ » ؛ فقال كسرى : « إِنْ ضَحَكِي لم يكن سروراً مني بقتله ، غير أنه عَيَّرَنِي بما قد سمعتَ ، فأحببت أن أعلم أَنَّ الذي غَلَبَنِي على مُلْكِي ، وهربت منه إليكم ، هذه ضَرْبَتُهُ » .

(١) جماعة من المحاربين المختارين ، وكانت عدتهم ألفاً . (٢) الاعتجار : لف العمامة دون التلحي .

وأن القوم اقتتلوا يومين ، فلما كان في اليوم الثالث دعا بهرام كسرى إلى
المبارزة ، فهم كسرى أن يفعل ، فنهض ثيادوس ، وأبى كسرى ، فخرج إلى بهرام ،
فتطاردا ساعة .

ثم إن كسرى ولى منهزماً ، وعارضه بهرام فاقتطعه عن أصحابه ؛ ومضى
كسرى نحو جبل ، وبهرام في أثره يهتف به ، ويده السيف ، وهو يقول :
« إلى أين يا فاسق ؟ » . فجمع كسرى نفسه ، فساعده القوة على تسنم الجبل ؛
فلما نظر بهرام إلى كسرى قد علا ذروة الجبل علم أنه قد نصير عليه ، فانصرف
خائساً ، وهبط كسرى من جانب آخر حتى أتى أصحابه ، ثم ابتكر^(١) الفريقان
على مصافهم في اليوم الرابع ، فاقتتلوا ، فكان الظفر لكسرى .

وانصرف بهرام في جنوده منهزماً إلى معسكره ، فقال بندوية لكسرى :
« أيها الملك ، إن الجنود الذين مع بهرام لو قد أمنوك على أنفسهم انحازوا إليك ،
فأذن لي أن أعطيهم الأمان عنك » ، فأذن له .

فلما أمسى بندوية أقبل حتى وقفت على رابية مشرفة على معسكر بهرام ،
ثم نادى بأعلى صوته : « أيها الناس ، أنا بندوية بن سابور ، وقد أمرني
الملك كسرى أن أعطيكم الأمان ، فمن انحاز إلينا منكم في هذه الليلة فهو آمن
على نفسه وأهله وماله » . ثم انصرف .

فلما أظلم الليل على أصحاب بهرام تجمعوا حتى لحقوا بمعسكر كسرى إلا
مقدار أربعة آلاف رجل ، فإنهم أقاموا مع بهرام .

ولما أصبح بهرام نظر إلى معسكره خائلاً قال : « الآن حسن الفرار » .
فارتحل في أصحابه الذين أقاموا معه ، وفيهم مردان سینه ويزدجشنس ، وكانا
من فرسان العجم .

فوجه كسرى في طلبه سابور بن أبركان في عشرة آلاف فارس ، فلحقه ،

(١) ابتكر وبكر وباكره بمعنى أي أتاها بكرة .

وعطف عليه بهرام في أصحابه ، فاقْتَتَلُوا ، فانهزم سَابُور ، ومضى بهرام على وجهه ،
 فرّ في طريقه بِقَرِيَّةٍ^(١) ، فنزلها ، ونزل هو ومَرْدَان سِينَه وَيَزْدَجُشْنَس بيتَ عجوز ،
 فأخرجوا طعاماً لهم ، فَتَعَشَّوْا وَأَطْعَمُوا فَضَلَّتَه العجوز ، ثم أخرجوا شراباً ،
 فقال بهرام للعجوز : « أَمَا عِنْدَكَ شَيْءٌ نَشْرَبُ فِيهِ ؟ » ، قالت : « عِنْدِي
 قَرَعَةٌ صَغِيرَةٌ » ، فَأَتَتْهُمْ بِهَا ، فَجَبَّوْا رَأْسَهَا ، وجعلوا يشربون فيها ، ثم أخرجوا
 نَقْلًا^(٢) ، وقالوا للعجوز : « أَمَا عِنْدَكَ شَيْءٌ يُجْعَلُ عَلَيْهِ النَّقْلُ ؟ » فَأَتَتْهُمْ
 بِمِنْسَفٍ^(٣) ، فَأَلْقَوْا فِيهِ ذَلِكَ النَّقْلَ ؛ فَأَمَرَ بهرام ، فَسُقِيَتِ العجوز ، ثم قال لها :
 « مَا عِنْدَكَ مِنَ الْخَبْرِ أَيُّهَا العجوز ؟ » ، قالت : « الْخَبْرُ عِنْدَنَا أَنَّ كَسْرَى أَقْبَلَ
 بِجَيْشٍ مِنَ الرُّومِ ، فَحَارَبَ بهرام ، فَغَلَبَهُ ، وَاسْتَرَدَّ مِنْهُ مُلْكَهُ » ، قال بهرام :
 « فَمَا قَوْلُكَ فِي بهرام ؟ » ، قالت : « جَاهِلٌ ، أَحْمَقٌ ، يَدَّعِي الْمُلْكَ ، وَلَيْسَ
 مِنْ أَهْلِ بَيْتِ الْمَمْلَكَةِ » .

قال بهرام : « فَمَنْ أَجَلَ ذَلِكَ يَشْرَبُ فِي الْقَرَعِ ، وَيَتَنَقَّلُ مِنَ الْمِنْسَفِ » .
 فجري مثلاً في العجم يَتَمَثَلُونَ بِهِ .

وسار بهرام حتى انتهى إلى أرض قُومِس^(٣) ، وبها قَارِنُ الْجَبَلِ النِّهَاوَنْدِيّ
 وَكَانَ وَالِي خِرَاسَانَ عَلَى حَرْبِهَا وَخِرَاجِهَا ، وَعَلَى قُومِسَ وَجُرْجَانَ ، وَكَانَ
 شَيْخًا كَبِيرًا قَدْ أَنَافَ عَلَى الْمَائَةِ ، وَكَانَ عَلَى تِلْكَ النَّاحِيَةِ مِنْ قَبْلِ كَسْرَى أَنْوَ
 شَرَوَانَ . ثُمَّ أَقْرَاهُ هُرْمُزْدُ بْنُ كَسْرَى ، فَلَمَّا أَفْضَى الْأَمْرُ إِلَى بِهِرَامَ عَرَفَ لَهُ
 قَدْرَهُ فِي الْعِجْمِ ، وَفَضْلَهُ ، فَأَقْرَاهُ مَكَانَهُ .

فلما انتهى بهرام إليه وجّه قَارِنُ ابْنَهُ فِي عَشْرَةِ آلَافِ فَارِسٍ ، فَحَالُوا بَيْنَ
 بِهِرَامَ وَبَيْنَ النُّفُوزِ ، فَأَرْسَلَ إِلَيْهِ بِهِرَامَ « مَا هَذَا جَزَائِي مِنْكَ ، إِذَا أَفْرَزْتَكَ
 عَلَى عَمَلِكَ ؟ » فَأَرْسَلَ إِلَيْهِ قَارِنُ : « إِنْ مَا عَلَى مَنْ حَقُّ الْمُلْكِ كَسْرَى وَحَقُّ

(١) النّقل بفتح النون وقد تضم وسكون القاف ما يتنقل به على الشراب .

(٢) المنسف كمنبر ما ينفذ به الحب ، وهو شيء طويل منصوب الصدر ، أعلاه مرتفع .

(٣) قومس ، تعريب كومس وهي كورة كبيرة واسعة قرب جبل طبرستان .

آبائه أعظم مما على من حقت ، وكذلك عليك ، لو عرفت ، إذ شرفك ،
فكافاته ، أن خلعت طاعته ، وسعرت مملكة المعجم ناراً وحرباً ، فكان قصارك
أن رجعت خائباً حسيراً ، وصرت أخذوتة لجميع الأمم .

فأرسل إليه بهرام : أن العنز يساوي درهمين مرتين : إذا كان عنقاً صغيراً ،
وإذا هرم وسقطت أسنانه لم يساو أيضاً إلا درهمين ، وكذلك أنت في هرمك
ونقصان عقلك .

فلما أتت قارن هذه الرسالة ، غضب وخرج في ثلاثين ألف فارس ورجل
من جنوده ، وتهيأ الفريقان للحرب . فلما التقوا قتل ابن قارن ، فانهزم أصحابه ،
حتى لحقوا بمدينة قوميس . ومضى بهرام على خوارزم ، فعبّر النهر ، ووغل
في بلاد الترك من ذلك الوجه يوم خاقان ليستجير به فيجيره ، ويمنع عنه .

وبلغ خاقان قدوم بهرام عليه ، فأمر طراخنته ، فاستقبلوه ، وأقبل حتى
دخل على خاقان ، فحيّاه بتحية الملك ، وقال : « إني أتيتك أيها الملك مستجيراً
بك من كسرى وأهل مملكته لتمننى وأصحابي » ، فقال له خاقان : « لك ولأصحابك
عندى الحماية والجوار والمواساة » .

ثم ابنتى له مدينة ، وبني في وسطها قصرًا ، فأزله وأصحابه فيها ، ودوّن لهم ،
وفرّض الأغطيات ، فكان بهرام يدخل على خاقان كل يوم ، فيجلس منه
بجلس إخوته ، وخاص أقاربه .

وكان لخاقان أخ يسمى « بنّاوير » وكانت له نجدة وفروسية ، فرآه بهرام
يتذرّع في منطقته غير هائب من الملك ، ولا موقراً لمجلسه ، فقال ذات يوم
لخاقان : « أيها الملك ، إني أرى أخاك بنّاوير يتذرّع في الكلام ، ولا يرعى
لمجلسك ما يجب أن يرعى لمجلس الملوك ، وعهدنا بالملوك لا يتكلم إخوتهم وأولادهم
عندهم إلا بما يسألون عنه » . فقال خاقان : « إن بنّاوير قد أعطى نجدة في
الحروب وفروسية ، فهو يُدلى بذلك ، على أنه يتربص بي الدوائر ، ويضمير لي
الحسد والمداوة » . قال له بهرام : « أفتحبب أيها الملك أن أريحك منه » .

قال : « بماذا ؟ » . قال : « بقتله » . قال : « نعم ، إن أمكنك ذلك من وجه لا يكون على فيه مسبة » . قال بهرام : « سأتى من ذلك ما لا يلزمك فيه عار ولا عيب » .

فلما أصبحوا من غدٍ أقبل بهرام ، فجلس عند خاقان مجلسه الذى كان يجلس فيه ، فأقبل بغاوير ، فجلس وجعل يتندرّع فى كلامه .
فقال له بهرام : يا أخى ، لِمَ لا تُوفى الملك حقّه ، وتُظهر للناس هيئته وإجلاله .

فقال له بغاوير : وما أنت وذلك أيها الفارس الطريد الشريد ؟
قال له بهرام : كأنك تصوّل بغرُوسيّة لست فيها بأكثر منى .
قال له بغاوير : فهل لك إلى مُبارزتى ، فأعزّك نفسك .
قال له بهرام : أمّا أنا فلا أحبّ ذلك ، فإنى متى غلبتك لم أقتلك لمكانك من الملك .

قال بغاوير : لكنى إن غلبتك قتلتك ، فأخرج بنا إلى الصحراء .
قال بهرام : على النصفّة إذا قال الملك ذلك ، وعلى أن لا قودّ على إن قتلتك ، ولا لائمة من الملك وطراختته .
قال : نعم .

فقال خاقان : مالك ولهذا الرّجلُ السّتجير بنا ، العائد بجوارنا ؟
قال بغاوير : أدعوه إلى النصفّة .
قال : وأى نصفّة ؟
قال : يقف لى وأقف له على مائتى ذراع ، فأرميه ، ويرمىنى ، فأبنا قتل صاحبه لم يكن عليه لوم ولا عقل^(١) .
قال له خاقان : إربّع^(٢) على نفسك ، لا أم لك .

قال : والله ليفعلنَّ أو لَا فَتَسْكُنَ بِهِ بَيْنَ يَدَيْكَ .

قال : فَذُوقْكَ إِذَنْ .

فخرج بَغَاوِيرُ وَبَهْرَامُ فِي نَفَرٍ مِنَ الطَّرَاحِينَةِ يَنْظُرُونَ ، وَوَقَفَ بَغَاوِيرُ مِنْ بَهْرَامِ
عَلَى مَائَتِي ذِرَاعٍ ، فَقَالَ بَهْرَامُ لِلطَّرَاحِينَةِ : لَا تَلُومُونِي إِنْ أَنَا قَتَلْتُهُ ، فَقَدْ بَغَى عَلَى
كَمَا تَرُونَ .

فقالوا : لَيْسَ عَلَيْكَ لَوْمٌ .

فصاح بَغَاوِيرُ بِبَهْرَامِ ، أَتَبْدَأُ أَنْتَ ، أَمْ أَبْدَأُ أَنَا ؟

فناداه بَهْرَامُ : بَلْ أَبْدَأُ أَنْتَ ، فَارْمِ ، فَأَنْتَ الْبَاغِي الظَّالِمُ .

فَوَتَّرَ بَغَاوِيرُ قَوْسَهُ ، وَوَضَعَ فِيهَا نُسَابَةً ، ثُمَّ نَزَعَ حَتَّى أَغْرَقَهَا ، ثُمَّ أَرْسَلَهَا ،
فَصَكَتْ بِهْرَامِ أَسْفَلَ مِنْ سُرَّتِهِ فِي وَسْطِ مَنْطِقَتِهِ ، فَفَنَذَتِ الْمَنْطِقَةَ وَالْدَّرْعَ
وَسَائِرَ اللَّبَاسِ حَتَّى انْتَهَتْ إِلَى صِفَاقٍ^(١) بَطْنُهُ الظَّاهِرُ ، وَاثَّرَتْ فِيهِ .

وَبَادَرَ بِهْرَامُ فَنَزَعَهَا ، وَوَقَفَ هُنَيْهَةً لَا يَضْرِبُ بِيَدِهِ إِلَى قَوْسِهِ مِنْ شِدَّةِ مَا أَصَابَهُ
مِنَ أَلَمِ الرَّمِيَةِ ؛ وَظَنَّ بَغَاوِيرُ بِأَنْ قَدْ قَتَلَهُ ، فَرَكِضَ نَحْوَهُ ، فَصَاحَ بِهْرَامِ : أَنْ ازْجِعْ
إِلَى مَكَانِكَ ، فَقَفَى لِي كَمَا وَقَفْتَ لَكَ ؛ فَانْصَرَفَ إِلَى مَكَانِهِ ، فَوَقَفَ ، وَأَخْرَجَ
بَهْرَامُ قَوْسَهُ ، فَوَتَّرَهَا^(٢) ، وَكَانَ لَا يُوتِّرُهَا سِوَاهُ ، ثُمَّ وَضَعَ فِيهَا نُسَابَةً ،
وَنَزَعَ حَتَّى أَغْرَقَهَا ، ثُمَّ أَرْسَلَهَا ، فَوَقَعَتْ مِنْ بَغَاوِيرَ فِي مِثْلِ الْمَوْضِعِ الَّذِي وَقَعَتْ
نُسَابَتُهُ مِنْ بِهْرَامِ ، فِي وَسْطِ الْمَنْطِقَةِ وَالْدَّرْعِ وَسَائِرِ اللَّبَاسِ ، وَمَرَقَتْ مِنَ الْجَانِبِ
الْآخِرِ ، لَمْ يَذْهَبْ شَيْءٌ مِنْ رِيشِهَا وَلَا عَقِبِهَا ، وَسَقَطَ بَغَاوِيرُ مَيِّتًا .

وَبَلَغَ ذَلِكَ خَاقَانَ ، فَقَالَ : لَا يُبْعِدُ اللَّهُ غَيْرَهُ ، قَدْ نَهَيْتُهُ عَنِ الْبَغْيِ ، فَأَبَى ؛
ثُمَّ تَقَدَّمَ إِلَى طَرَاخِينَتِهِ وَأَهْلِ بَيْتِهِ ، فَقَالَ : لَا أَعْلَمَنَّ أَحَدًا مِنْكُمْ نَوَى لِبَهْرَامِ
سُوءًا وَلَا مَكْرُوهًا .

(١) جلد . (٢) أَيْ جَعَلَ لَهَا وَتَرًا ، وَالْوَتَرُ مَحْرَكَةُ شُرْعَةِ الْقَوْسِ وَمَعْلَقُهَا .

فلما خلا بهرام بخاقان شكر له ما كان منه ، وقال : « لقد أرختني
من كان يتمنى موتي ، لَيْسْتَبْدَ بِالْمُلْكِ دُونَ وَلَدِي » ؛ ثم زاده إكراماً ومنزلة
وبراً ، وعَظُمَ قدر بهرام بأرض الترك ، واتخذ ميداناً على باب قصره ،
واتخذ الجَوَارِي والْقِيَان^(١) والجَوَارِح^(٢) ، وكان من أكرم الناس على
خاقان .

وإن كسرى عند انهزام بهرام وهربه أكرم ثيادوس ، ومن معه ،
فأحسن جوائزهم وصلاتهم ، وسرّحهم إلى بلادهم ، وولّى خاله بِنْدَوِيَّةَ دَوَاوِينَه
وبيوت أمواله ، ونفّذ أمره في جميع المملكة ؛ وولّى خاله بِسْطَامَ أرض
خراسان وقومس وجرجان وطبرستان ، ووجّه عمّاله في آفاق ، ووضع عن
الناس نصف الخراج .

ولما بلغ كسرى عظيم قدر بهرام عند خاقان وجسيم منزلته ببلاد الترك
خافه أن يستجيش ويعود إلى محاربتة ، فوجه هُرْمُزْدَ جُرَازِينَ إلى خاقان وإفداً
في تجديد العهد ، ووجّه معه بِالْطَّائِفِ وطُرف ، وأمره أن يتلطف بخاقان حتى
يُفْسِدَ قلبه على بهرام .

فسار هُرْمُزْدَ جُرَازِينَ حتى دخل على خاقان ، ومعه كتاب كسرى ،
وأوصل إليه هدايا كسرى وألطافه ، فقبلها خاقان ، وأمره بالمقام ليقضى
حوائجه ، فكان هرمزد يدخل على خاقان مع وفود الملوك ، فَيُحْيِيهِ بتحية
الملك .

ثم إنه دخل ذات يوم ، فرآه جالسا ، فقال : أيها الملك ، إني أراك
قد استصفيت بهرام وأسنتت منزلته ، ولم تفعل به من ذلك شيئاً إلا وما
كان فعل به ملكنا أكثر منه ، فكان جزاؤه منه أن خامه ، وأراد سفك دمه

(١) القينة : هي الجارية بيضاء اللون مغنية كانت أو غير مغنية ، وقيل تخص بالمغنية .

(٢) جمع جارحة وهي الطير والسباع الكواسب التي تتخذ في الصيد ، وتطلق الجارحة على
الذكر والأنثى .

وخرج على ابنه كسرى حتى نفاه من مملكته ، وما أحسب قُصَّارى أمرك منه إلا الغدر ونكث العهد ، فاحذره أيها الملك ، لا يُفسد عليك مُلكك . فلما سمع خاقان منه ذلك غضب غضباً شديداً ، وقال : « لولا أنك وافدٌ ورسول لمنعتك من الدخول إلىّ لما استبان لي من خرقك وعيبك بحضرتي أخي وصفيّ ، فلا تُمودنّ لثل هذا » .

فقال هُرمُزد جُرازين : أما إذ كان أيها الملك هذا رأيك فيه ، فأسألك أن تكتم عليّ ، لا يبلغه ذلك ، فيقتلني ، فقال : « هذا لك » .

فخرج هُرمُزد آيساً منه ، فاندسّ إلى امرأته خاتون - ومن النساء السخافة وكفران النعم - فدخل عليها ذات يوم ، فلم يصادف عندها أحداً يخافه ، فقال لها : « أيتها الملكة ، إنكم قد اصطفيتم بهرام ، ورفعتموه فوق قدره ، وليس بمأمون أن يفسد عليكم مُلككم كما أفسده على هُرمُزد ملكنا ، ثم قصّ عليها ما كان منه ، وقال : أيتها الملكة ، أقصد نسيت قتله عمك شاهان شاه واحتواءه على سريره وخزائنه ؟ فلم يزل يُذكرها هذا ، وأشباهه حتى أوقع في قلبها بغضَ بهرام والخوف منه على زوجها وولدها .

١٥ قالت : « وَيَحْك ، وما الذي يمكنني في أمره ، ومنزله من الملك منزلته ؟ » . قال : « الرَّأْي أن تدسّي إليه مَنْ يقتله ، فتأمني على زوجك وولدك » . فَأَمَرَتْ غلاماً لها قد عرفته بالفتك والإقدام ، فقالت له : « انطلق الساعة حتى تدخل على بهرام وتتلطف لتقتله ، ولا تأتني إلا بعد الفراغ منه » .

٢٠ فانطلق الغلام حتى استأذن على بهرام ، وفي حُجْزته خنجر ، قد ستره ، وكان ذلك اليوم يوم ورهام رُوز .

قالوا : وقد كان المُنْجَمُونَ قالوا في مولده ، إن مَنِيَّتَهُ في ورهام رُوز (١) ،

(١) روز بالفارسية بمعنى يوم . ويوم ورهام واحد من الأيام المعروفة عند الفرس .

فكان لا يخرج ذلك اليوم من منزله ، ولا يأذن لأحد إلا لثقائه وخاصته ، فدخل
الآذن ، فأعلمه أن رسول الملكة يطلب الإذن ، فأذن له ، فدخل ، فحيا بهرام
وقال : « إن الملكة قد وجهتني إليك برسالة ، فأخلى » .

فقام من عند بهرام ، فخرجوا . ودنا التركي منه ، كأنه يريد أن يساره ،
ثم استل الخنجر فبعجه^(١) به ، وخرج ، فركب دابته ، ومضى .

ودخل أصحاب بهرام عليه ، فصادفوه يستدعي ، ويده ثوب ينشف به الدم ،
فلما رأوه بتلك الحال بهتوا ، وقالوا : « كيف لم تهتف بنا ، فنأخذه ؟ » ،
فقال : « إنما كان كلباً أميراً بشيء فنفذه » ، وقال لهم : « إذا جاء القدر
لم يُفْنِ الحذر ، وقد خلفت عليكم أخي مردان سيئه ، فأطيعوا أمره » .

وأرسل إلى خاقان يعلمه أمره ، فأقبل خاقان نحوه وإلهام^(٢) ، فصادفه
قدمات . فوآراه في ناووس^(٣) ، وهم يقتل خاتون ، فحجز عن ذلك لكان
ولده منها .

وإن أصحاب بهرام تناظرُوا فيما بينهم ، فقالوا : « مآلنا عند هؤلاء خير ،
وما الرأى إلا الخروج عن أرضهم ، فإنهم غدرّة بالمهد ، كفرّة للإحسان ،
والانتقال إلى بلاد الديلم ، فإنها أقرب إلى بلادنا ، وأمكن للطلب بثأرنا من
ملوكنا الذين شردونا » ؛ فسألوا خاقان الإذن لهم في الانصراف ، فأذن لهم ،
وأحسن إليهم ، وقواهم ، وبذر قههم^(٤) إلى حدود أرضه .

وكان مع بهرام أخته « كُرْدِيَّة » ، وكانت من أجمل نساء المعجم ، وأبرعهن
براعةً ، وأكلمهن خلقاً ، وأفرسهن فرسيةً ؛ فخرج أصحاب بهرام وكُرْدِيَّة
أمامهم على دابة بهرام مسلحةً بسلاحه ، حتى انتهوا إلى نهر جيحون مما يلي
خوارزم ، فعبروا هناك ، وانصرف عنهم الطراخنة ، وأخذ أصحاب بهرام

(١) بعجه : شق بطنه . (٢) غضبان قد ذهب عقله من شدة الحزن .

(٣) الناووس : مقابر النصارى . (٤) خفرهم والمبذوق الخفير .

على شاطئ النهر ، ثم انْحَطُّوا إلى جُرْجَان ، وسلكوا طَبَرَسْتَان ، ثم لزموا ساحل البحر حتى انتهوا إلى بلاد الدَّيْلَم ، فسألوهم الشُّكْنَى معهم في بلادهم ، فأجابوهم إليه ، وكتبوا بينهم كتاباً : « أَلَا يَتَأَذَى أَحَدٌ بِأَحَدٍ » ، فأقاموا آمنين ، واتَّخَذُوا الْمَعَايِشَ وَالْقُرَى وَالزَّرَاع ، وأيديهم مع أيدي الدَّيْلَم في كل أمر .

فلما قُتِلَ بهرام رأى كسرى أن قد صَفَا له الملك ، فلم يكن له هِمَّةٌ إِلَّا الطَّلَب بِثَأْرِ أَبِيهِ هُرْمُزْد ، وأَحَبَّ أن يبدأ بِخَالَتِهِ بِنْدُويَةَ وَبِسَطَام ، ونَسَى أَيْدَى بِنْدُويَةَ عنده ، فحكَّت كسرى يُكَاثِرُهُمَا^(١) عَشْرَ سَنِينَ ، وأنه خرج في أيام الرِّبِيع كعادته ، يريد الجبل لِيَصِيفَ فِيهِ ، فنزل حُلُوان^(٢) وَبِنْدُويَةَ معه ، فأمر أن يضرب له قُبَّةٌ على الميدان ، لينظر إلى المرازبة إذا لعبوا الكرة .

فجلس على تلك القُبَّة ، فرأى شيرزاد بن البَهْبُودَان يضرب بالكرة وَيُجِيد ، فكان كلما ضَرَبَ ، فأجاد ، قال له كسرى « زِهْ سَوَار »^(٣) ، فأخصى الموكل ذلك مائة مرة قالها .

فكتب له إلى بِنْدُويَةَ بأربعمائة ألف درهم ، لكل مرة أربعة آلاف درهم ، فلما وَصَلَ الصَّكَّ إلى بِنْدُويَةَ قَذَفَهُ مِنْ يَدِهِ ، وقال : « إِنَّ بُيُوتَ الْأَمْوَالِ لَا تَقُومُ لِهَذَا التَّبَذِيرِ » .

وبلغ كسرى قوله ، فجعل ذلك ذَرِيعَةً إلى الوَثُوبِ بِهِ ، فأمر صاحب حرسه أن يأتيه ، فيقطع يديه ورجليه ، فأقبل صاحب الحرس لِيَنْفِذَ فِيهِ أَمْرَ كسرى ، فاستقبله بِنْدُويَةَ يريد الميدان ، فأمر به ، فَنُكِّسَ عَنْ دَابَّتِهِ ، وقطع يديه ورجليه ، وتركه مُتَشَحِّطًا فِي دَمِهِ بِمَكَانِهِ .

(١) يظهر لهما الرضى ، والكشر بسكون الشين : التبسم ، وكشر عن أسنانه أبقاها ، ويكون في الضحك وغيره . (٢) قرية بالعراق .

(٣) زه كلمة للاستحسان بمعنى مرحباً أو بارك الله ، وسوار معناها فارس ، وهو تعبير فارسي

فَجَعَلَ بِنْدَوِيَّةً يَشْتُمُ كَسْرِي ، وَيَشْتُمُ أَبَاهُ ، وَيَذْكُرُ غَدْرَ آلِ سَاسَانَ ، وَنَكْثَهُمْ ،
وَيُقَالُ كُلُّ ذَلِكَ لِكَسْرِي ، فَقَالَ لِمَنْ حَوْلَهُ مِنْ وَزَرَائِهِ : يَزْعُمُ بِنْدَوِيَّةً أَنَّ
آلَ سَاسَانَ غَدَرُوا نَكْثَةً ، وَيَنْسِي نَفْسَهُ فِي غَدْرِهِ بِالْمَلِكِ ، أَيْبِنَا ، حِينَ دَخَلَ عَلَيْهِ
مَعَ أَخِيهِ بَسْطَامَ ، فَأَلْقَا الْعِمَامَةَ فِي عُنُقِهِ ، ثُمَّ خَنَقَاهُ بِهَا ظُلْمًا وَعَدْوًا ، لِيَتَقَرَّبَا بِذَلِكَ
إِلَى ، كَأَنَّهُ لَيْسَ لِي بَوَالِد .

ثُمَّ رَكِبَ إِلَى الْمِيدَانِ ، فَرَبَّ بِنْدَوِيَّةً ، وَهُوَ مُلْقَى عَلَى قَارِعَةِ الطَّرِيقِ ، فَأَمَرَ
النَّاسَ أَنْ يَرْجُوهُ بِالْحِجَارَةِ ، فَرَجَوْهُ حَتَّى مَاتَ . وَقَالَ : هَذِهِ ، حَتَّى تَأْتِيَ أَخْتَهَا .
يَعْنِي مَا أَرَادَ مِنَ الْخَلِيقِ بَسْطَامَ بِأَخِيهِ بِنْدَوِيَّةً ؛ ثُمَّ أَمَرَ كَاتِبَ السَّرِّ أَنْ يَكْتُبَ
إِلَى بَسْطَامَ لِيُخَلِّفَ عَلَى عَمَلِهِ ثِقَةً ، وَيَقْدُمَ مُسْتَخْفِيًا لِيُنَظِرَهُ فِي بَعْضِ الْأُمُورِ ،
فَفَعَلَ بَسْطَامَ ذَلِكَ ، وَأَقْبَلَ عَلَى الْبَرِيدِ ، فَلَمَّا انْتَهَى إِلَى حَدِّ قَوْمِيسَ اسْتَقْبَلَهُ
مَرْدَانُ بَنُ قَهْرْمَانَ أَخِيهِ بِنْدَوِيَّةً ، فَلَمَّا نَظَرَ إِلَيْهِ مِنْ بَعِيدٍ رَفَعَ صَوْتَهُ بِالْبُكَاءِ
وَالْعَوِيلِ ، فَقَالَ لَهُ بَسْطَامُ : « مَا وَرَاءُكَ ؟ » فَأَخْبَرَهُ بِمَقْتَلِ أَخِيهِ ، فَلَمْ يَجِدْ
مَذْهَبًا فِي الْأَرْضِ ، فَعَدَلَ إِلَى مَنْ بِالْدَّيْلَمِ مِنْ أَصْحَابِ بَهْرَامِ .

وَبَلَغَ مَرْدَانُ سَيْنَةَ رَئِيسِ أَصْحَابِ بَهْرَامِ قُدُومَ بَسْطَامَ عَلَيْهِ ، فَفَرِحَ بِذَلِكَ ،
وَخَرَجَ مُتَقَفِّيًّا لَهُ فِي جَمِيعِ أَصْحَابِهِ ، لِشَرَفِ بَسْطَامِ فِي الْعِجْمِ ، وَفَضْلِهِ ؛
ثُمَّ أَقْبَلُوا بِهِ حَتَّى أَزَلُّوهُ مِنْزَلًا بَهِيًّا ، وَرَكِبَ إِلَيْهِ أَشْرَافُ تِلْكَ الْبِلَادِ ، فَأَقَامَ عِنْدَهُمْ
أَمِنًا ، ثُمَّ إِنَّ مَرْدَانَ سَيْنَةَ وَبَزْدَجُشْنَ وَالْعُظَمَاءَ قَالُوا لِبَسْطَامَ : مَا بَالُ كَسْرِي
أَحَقَّ بِالْمُلْكِ مِنْكَ ، وَأَنْتَ ابْنُ سَابُورَ بْنِ خُرْبُندَادَ مِنْ صَمِيمٍ وَلَدِ بَهْمَنِ بْنِ
أَسْفَنْدِيَاذَ ، وَإِنَّا لَأَخَوَةٌ بَنَى سَاسَانَ وَشُرَكَائِهِمْ ، فَهَلْ نُبَايِعُكَ وَنُزَوِّجُكَ
كُرْدِيَّةَ أُخْتِ بَهْرَامِ ، وَمَعْنَا سَرِيرَ ذَهَبٍ قَدْ كَانَ حِمْلُهُ بِبَهْرَامِ مِنَ الْمَدَائِنِ ، فَاجْلِسْ
عَلَيْهِ ، وَادْعُ لِنَفْسِكَ ، فَإِنَّ أَهْلَ بَيْتِكَ مِنْ وَلَدِ دَارَا بْنِ بَهْمَنِ سَيَنْحَلِبُونَ إِلَيْكَ ،
وَإِذَا قَوِيَتْ شَوْكَتُكَ ، وَكَثُرَ جُنْدُكَ ، سِرْتُ إِلَى الْغَادِرِ كَسْرِي ، فَخَارِبَتَهُ ،
وَحَاوَلَتْ مَلِكُهُ ، فَإِنْ نَلْتِ مَا تَرِيدُ فِذَاكَ الَّذِي نَحِبُّ وَنَحُبُّ ، وَإِنْ قُتِلَتْ قُتِلَتْ
وَأَنْتِ تَحَاوِلِ مَلِكًا ، وَإِنْ ذَلِكَ أَبْعَدُ لَصَوْتِكَ ، وَأَنْبَهُ لِدِكْرِكَ .

فلما سمع بسطام ذلك الكلام أضغى إليه ، وأجابهم إلى ما عرضوا عليه ،
فزوجه كُرْدِيَّةً ، وأجلسوه على سرير الذهب ، وعقدوا على رأسه التاج ،
وبأيموه عن آخرهم ، ودعوه مَلِكًا ، وتابعه أشراف البلاد ، وانحلب إليه
جِيلَانُ وَالْبَرُّ وَالطَّيْلَسَانُ^(١) ، وقوم كثير من أهل بيته من ناحية العراق ممن كان
يهوَاهُ وَيَهْوَى أَخَاهُ ، حتى صار في مائة ألف رجل .

فخرج إلى الدَّسْتَبِي^(٢) وأقام بها ، وبث السَّرايَا في أرض الجبل ، حتى بلغوا
حُلُوانَ والصَّيْمِرَةَ^(٣) وماسَبْدَانَ ، وهرب عمال كسرى ، وتحصن الدهاقين
في الحصون وددوس الجبال .

وبلغ ذلك كسرى ، فسقط في يده ، وعلم أنه لم يأخذ وجه الأمر في قتله
بندوية ، فأخذ الأمر من قبل الخديعة ، فكتب إلى بسطام : « إنه قد بلغني
مصيرك إلى الغدرة الفسقة ، أصحاب الفاسق بهرام ، وتزيينهم لك ما لا يليق بك ،
ثم حملوك على الخروج على الملكة والعيث فيها والفساد من غير أن تعلم ما أتوى
لك ، وما انطوى عليه في بابك ، فدع التماذي في النغي وأقبل إلى آئنا ،
ولا يوحشك قتل أخيك بندوية » .

فأجابه بسطام : « أن قد أتاني كتابك بما خبرت به من خديعتك ،
وسطرنت من مكيدتك ، فمت بغيطك ، وذق وبال أمرك ، واعلم أنك لست
بأحق بهذا الأمر مني ، بل أنا أحق به منك ، لأنني ابن دارا مقارع الإسكندر ،
غير أنكم يا بني ساسان غلبتمونا على حقنا وظلمتمونا ، وإنما كان أبوك ساسان راعي
غنم ، ولو علم أبوه بهمن فيه خيرا ما زوى^(٤) عنه الملك إلى أخته « خناني » .

فلما ورد كتابه على كسرى علم ألا طمع فيه ، فوجه إليه ثلاثة قواد في ثلاثة
عساكر ، كل عسكر اثنا عشر ألف رجل ، فنفذ العسكر الأول ، وعليه سائبور

(١) أقوام من سكان نواحي الديلم والخزر .

(٢) كورة كبيرة في ديباوند مقسومة بين الري وهمدان .

(٣) بلد بين ديار الجبل وديار خوزستان . (٤) نجاه وأزاله .

ابن أبركان ، ثم أردفه بالمسكر الثاني ، وعليه النُّخارجان ، ثم أردفهما بالثالث ، وعليه هُرْمُزْد جُرازين ؛ فلما اتَّصل ببسطام فصول المساكر نحوه سار حتى أتى هَمْدَانَ ، فأقام بها ، وَوَجَّهَ الرَّجَالَةَ إِلَى رِءُوسِ الْعِقَابِ^(١) ، لِيَنْعَمُوا النَّاسَ مِنَ الصَّعُودِ وَالنَّفُوذِ .

قال : فأقامت المساكر دون الجبل بِمَكَانٍ يُدْعَى قَلُوصَ ، وكتبوا إلى كَسْرِي يُعْلِمُونَهُ ذَلِكَ ، فخرج كَسْرِي بِنَفْسِهِ فِي خَمْسِينَ أَلْفَ فَارِسَ ، حَتَّى وَافَى جُنُودَهُ وَهُمْ مَعْسُكِرُونَ بِقَلُوصَ ، فَأَقَامَ عِنْدَهُمْ رِيثًا أَرَاهُ ، ثُمَّ سَارَ عَلَى رُسْتَاقِ^(٢) يَسْمَى شَرَّاهُ^(٣) ، فَنفَذَ مِنْهُ إِلَى هَمْدَانَ فِي طَرِيقٍ لَا جَبَلَ فِيهِ وَلَا عَقَبَةَ ، حَتَّى أَفْضَى إِلَى بَطْنِ هَمْدَانَ ، فَعَسَكَرَ هُنَاكَ ، وَخَنَدَقَ عَلَى نَفْسِهِ .

وسار إليه بِسُطَامَ فِي جُنُودِهِ ، فَاقْتَتَلُوا قِتَالًا شَدِيدًا ثَلَاثَةَ أَيَّامَ ، لَا يَنْهَزِمُ أَحَدٌ مِنَ الْفَرِيقَيْنِ عَنْ صَاحِبِهِ ، فَلَمَّا رَأَى كَسْرِي ذَلِكَ ، قَالَ لِكُرْدِي بْنِ بَهْرَامِ جُسْنَسِ أَخِي بَهْرَامِ سُورِيْنَ لِأَبِيهِ وَأُمِّهِ ، وَكَانَ مِنْ أَنْصَحِ الْمَرَاذِبَةِ لِكَسْرِي ، وَأَشَدَّهُمْ لَهُ وُدًّا ، وَأَسْرَعُهُمْ فِي طَاعَتِهِ نَهْوضًا ، فَقَالَ : « قَدْ تَرَى مَا نَحْنُ فِيهِ مِنْ شِدَّةِ هَذِهِ الْحُرُوبِ ، وَإِنِّي قَدْ رَجَوْتُ الرَّاحَةَ مِمَّا نَحْنُ فِيهِ بِبَابٍ لَطِيفٍ » . قَالَ : « وَمَا هُوَ أَيُّهَا الْمَلِكُ ؟ » قَالَ : « إِنَّ أُخْتُكَ كُرْدِيَّةَ امْرَأَةِ بِسُطَامِ مُتَشَوِّفَةٌ^(٤) لَا مَحَالَةَ إِلَى الرَّجُوعِ إِلَى أَهْلِهَا وَوِطْنِهَا ، وَأَنَا أَعْرِفُ أَنَّهَا إِنِ آثَرَتْ قَتَلَ بِسُطَامِ قَدَرَتْ لَطْمَانِيَّتَهُ إِلَيْهَا ، وَلَمَّا بَلَغْنِي مِنْ صَرَامَتِهَا وَإِقْدَامِهَا ، وَإِنِ هِيَ قَتَلَتْهُ فَلَهَا عَلَى ذِمَّةِ اللَّهِ : أَنْ أَتَزَوَّجَهَا وَأَجْعَلَهَا سَيِّدَةً نِسَائِي ، وَأَجْعَلَ الْمَلِكَ مِنْ بَعْدِي لَوْلَدٍ ، إِنْ كَانَ لِي مِنْهَا ، وَأَنَا كَاتِبٌ عَلَى ذَلِكَ بِخَطِّي ، فَارْسِلْ إِلَيْهَا حَتَّى تَعْرِضَ ذَلِكَ عَلَيْهَا ، وَتَنْظُرَ مَا عِنْدَهَا فِيهِ » . قَالَ لَهُ كُرْدِي : « أَيُّهَا الْمَلِكُ ، فَارْسِلْ لَهَا بِخَطِّكَ مَا تَطْمَئِنُّ إِلَيْهِ ، وَتَعْرِفَ صِدْقَ

(١) جمع عقب وهو المرق الصعب من الجبال .

(٢) معرب رستا بضم الراء وسكون السين ، وهو السواد والقرى .

(٣) في الأصل : شرَّاه ، (٤) في نسخة أخرى متشوفة ، والتشوف : التطلع والشوق .

قولك فيه ، لِأَوْجِهَ إِلَيْهَا بِالْكِتَابِ مَعَ امْرَأَتِي ، فَإِنِّي لَا أَتَقُ بِسِوَاهَا فِي كِتْمَانِ السِّرِّ .

فَكُتِبَ لَهَا كَسْرَى بِذَلِكَ ، وَأُكِّدَ ، فَأَخَذَ كُرْدِي الْكِتَابَ ، وَوَجَّهَهُ مَعَ امْرَأَتِهِ إِلَى كُرْدِيَّةَ . وَقَدْ كَانَ بِسْطَامَ خَرَجَ بِهَا مَعَهُ لَشِدَّةِ وَجْدِهِ بِهَا .

فَلَمَّا قَرَأَتْ كُرْدِيَّةَ كِتَابَ كَسْرَى عَرَفَتْ وَثَاقَتَهُ ، فَأَفْضَتْ بِسِيرَتِهَا إِلَى ظُثُورَتِهَا وَثِقَاتِهَا ، فَزَيَّنَ لَهَا ذَلِكَ لَتَشْوِقِيهِنَّ إِلَى أَوْطَانِهِنَّ . وَلَمْ يَنْكَرِ بِسْطَامَ مَجِيءَ الْمَرْأَةِ إِلَى كُرْدِيَّةَ لَمَّا عَرَفَ مِنْ أَلْفِ النِّسَاءِ وَتَزَاوُرِهِنَّ .

وَأَمَّا بِسْطَامُ أَنْصَرَفَ ذَاتَ عِشَاءٍ إِلَى مَضْرِبِهِ الَّذِي فِيهِ كُرْدِيَّةٌ تَعْبًا قَدْ مَسَّهُ الْكَلَالُ لَشِدَّةِ الْحَرْبِ ، فَدَعَا بِطَعَامٍ ، فَنَالَ مِنْهُ ، ثُمَّ دَعَا بِشَرَابِهِ ، فَجَعَلَتْ كُرْدِيَّةٌ تَسْقِيهِ صِرْفًا حَتَّى غَلِبَهُ السُّكْرُ ، فَنَامَ ، فَقَامَتْ إِلَى سَيْفِهِ ، فَوَضَعَتْ ظُبَّتَهُ (٢) فِي مُنْدُوتِهِ (٣) ، وَتَحَامَلَتْ عَلَيْهِ حَتَّى خَرَجَ مِنْ ظَهْرِهِ ، ثُمَّ خَرَجَتْ مِنْ سَاعَتِهَا ، فَتَحَمَلَتْ فِي حَشَمِهَا وَظُثُورَتِهَا ، وَقَدْ كَانَ أَخُوهَا كُرْدِي وَقَفَ لَهَا عَلَى الطَّرِيقِ فِي خَيْلٍ ، فَلَمَّا انْتَهَتْ إِلَيْهِ انْطَلَقَ بِهَا ، فَأَنْزَلَهَا فِي رَحْلِهِ .

وَلَمَّا أَصْبَحَ أَصْحَابُ بِسْطَامَ وَوَجَدُوهُ قَتِيلًا ارْتَحَلُوا هَارِبِينَ نَحْوَ بِلَادِ الدَّيْلَمِ ، فَوَجَّهَ كَسْرَى سَابُورَ بْنَ أَبَرْكَانَ فِي عَشْرَةِ آلَافِ فَارَسٍ ، وَأَمَرَهُ أَنْ يُقِيمَ بِقَزْوِينَ ، فَتَكُونُ مَسْلَحَةً هُنَاكَ ، وَتَمْنَعُ مِنْ أَرَادِ النُّفُوزِ مِنْ أَرْضِ الدَّيْلَمِ إِلَى مَمْلَكَتِهِ ؛ ثُمَّ تَزُوجُ كُرْدِيَّةَ ، وَتَضُمَّهَا إِلَيْهِ ، وَأَنْصَرِفَ إِلَى الْمَدَائِنِ ، وَنَزَلَتْ كُرْدِيَّةٌ مِنْ قَلْبِهِ بِمَوْضِعِ مَحَبَّةٍ شَدِيدَةٍ ، وَشَكَرَ لَهَا مَا كَانَ مِنْهَا ، وَزَاحَ عَنْ كَسْرَى مَا يَجِدُ فِي نَفْسِهِ مِنَ الْغَضَاظَةِ بِانْتِقَامِهِ مِنْ قَتْلِ أُمِّهِ ، وَاطْمَأْنَنَ لَهُ مَلِكُهُ وَهَدَأَ وَاسْتَقَرَّ .

(١) الْمُرَادُ مِنْ بَيْتِهَا الْحَانِيَةِ عَلَيْهَا وَالظُّثُورَةُ وَالظُّنْرُ : الْمَرْضَعَةُ غَيْرُ وَلَدِهَا .

(٢) الظُّبَّةُ : حَدُّ السَّيْفِ وَالسِّنَانِ وَالْخَنْجَرِ وَمَا أَشْبَهَ ذَلِكَ . (٣) لَحْمُ الثَّدْيِ أَوْ أَصْلُهُ .

[جرب أبرويز مع الروم]

قالوا : ثم إن ابن قيصر ملك الروم قدم على كسرى أبرويز ، فأخبره بأن بطارقة
الروم وعظماؤها وثبوا على أبيه قيصر وأخيه ثيادوس بن قيصر ، فقتلواهما جميعا ،
وملكوا عليهم رجلا من قومهم ، يسمى كوكسان ، وذكرة بلأبيه وأخيه
عنده ، فغضب أبرويز له ، ووجه معه ثلاثة قواد : أحدهم شاهين في أربعة وعشرين
ألف رجل ، فوغل في أرض الروم ، وبث فيها الغارات حتى انتهى إلى خليج
القُسْطَنْطِينِيَّة ، فعسكر هناك ؛ والقائد الآخر « بوبوذ »^(١) فسار نحو أرض مصر ،
فأغار ، وعاث ، وأفسد حتى انتهى إلى الإسكندرية ، فافتتحها عنوة ، وسار إلى البيعة
العظمى التي بالإسكندرية ، فأخذ أسقفها ، فعدبه ، حتى دله على الخشبة التي تزعم
النصارى أن المسيح صلب عليها ؛ وكانت مدفونة في موضع قد زرع فوقها الرياحين ؛
والقائد الثالث « شهر يار » فسار حتى أتى الشام ، فقتل أهلها قتلا ذريعا ، حتى
أخذها كلها عنوة .

فلما رأى عظماء الروم ما حل بهم من كسرى اجتمعوا ، فقتلوا الرجل الذي كانوا
ملكوه ، وقالوا « إن مثل هذا لا يصلح للملك » وملكوا عليهم ابن عم لقيصر
المقتول يسمى هرقل ، وهو الذي بنى مدينة هرقلية^(٢) ، فكانت هذه الغلبة التي
ذكرها الله تعالى في كتابه^(٣) :

وأن هرقل الذي ملكته الروم استجاش أهل مملكته ، وسار إلى القائد الذي
كان معسكرا على الخليج ، فخاربه حتى أخرجه من أرض الروم ، ثم صمد للذي كان
بأرض مصر ، فطرده عنها ، ثم عطف على شهر يار ، فأخرجه عن الشام ، فوافت

(١) في إحدى النسخ الأوربية رمبوزان ، ولقد كان استيلاء الفرس على مصر في عهد
ملكهم قبيش بن كورش سنة ٥٢٥ ق.م. وقد دخلت جيوش الفرس إلى مصر بقيادته .

(٢) مدينة بلاد الروم سميت باسم هرقلية بنت ملك الروم ، وهي بالقرب من صنفين من الجانب
الغربي .

(٣) سورة الروم الآيات من ١ إلى ٦

العساكر كلها الجزيرة ، وسار هرقل نحوهم ، فواقعهم ، فهزمهم حتى بلغ بهم
الموصل .

وذلك بلغ كسرى ، فخرج في جنوده نحو الموصل ، وانضم إليه قواده الثلاثة ،
وسار نحو هرقل ، فاقتتلوا ، فانهزم الفرس ؛ فلما رأى ذلك كسرى غضب
على عظماء جنوده ومرازيته^(١) ، فأمر بهم ، فحبسوا ليقتلهم .

[تولية شيرويه بن أبرويز]

ولما رأى أهل المملكة ذلك ترأسوا ، وعزموا على خلع كسرى ، وتمليك ابنه
شيرويه بن كسرى ، فخلعوه وملكوا شيرويه ، وحبسوا كسرى في بيت
من بيوت القصر ، ووكلوا به « حياؤس » رئيس المستميتة ، وكان ذلك سنة
تسع^(٢) من هجرة النبي ، صلى الله عليه وعلى آله وسلم .

وأن شيرويه أمر أن يُنقل بأبيه من دار الملكة ، فيحبس في دار رجل من
المرازبة ، يسمى « هرسةفتة »^(٣) ، فقع رأسه ، وحمل على بردون^(٤) ،
فانطلق به إلى تلك الدار ، فحبس فيها ، ووكل أمره حياؤس في خمائة من الجند
المستميتة .

ثم إن عظماء أهل المملكة دخلوا على شيرويه ، وقالوا : إنه لا يصلح أن
يكون علينا ملكان اثنان ، فإما أن تأمر بقتل أبيك وتنفر بالأمر ، أو نخلعك
ونرُد الأمر إليه كما كان .

فهدت شيرويه هذه المقالة ، فقال : « أجلوني يومى هذا » .

[بين الأب والابن]

ثم أمر يزدان جشنس رئيس كتاب الرسائل ، فقال له : انطلق عن رسالتنا

(١) المرزبة كمرحلة = رئاسة الفرس ، والواحد مرزبان بضم الزاى .

(٢) الموافقة سنة ٦٣٠ م . (٣) في بعض النسخ الأوربية : مارسفند .

(٤) مفرد براذين وهى من الخيل ما كان من غير تناج العرب .

لأينا ، وقل له : « إن الذي حلَّ بك عُقُوبَةٌ من الله للذي سلف من سوء أعمالك ، وأول ذلك ما كان منك إلى أبيك هُرْمُزْد ؛ ومنها حظرك علينا معاشرَ أولادك ، ومنعك إيانا البرّاح ، وحبسك إيانا في دار كهيئة المجلس بلا رِقَّة ولا رحمة ؛ ومنها كُفْرَانُكَ إناعام قيصر عليك وأياديه عندك ، فلم تحفظ فيه ابنه وأقاربه حين أتوك يسألونك أن ترد عليهم خشبة الصليب التي بعث بها إليك شاهين من الإسكندرية ، فرددتهم عنها بلا حاجة منك إليها ولا دَرَك لك في حبسها ؛ ومنها ما أمرت به من قتل الثلاثين الألف رجل من مرازبتك وعظماء أساورتك بزعمك أنهم أول من انهزم عن الروم ؛ ومنها كثرة ما جمعت من الأموال ، وكثرتها في خزائنك من جبايتكها عن الخراج بأعنف العُنف ، وإنما ينبغي للملوك أن يملأوا خزائنهم مما يغمنون من بلاد أعدائهم بنحور الخيل وصدُور الرِّماح ، لا مما يسألونه من رعيّتهم ؛ ومنها قتلك النُّعمان بن المنذر ، وصرفك ملك أرضه عن ولده وأهل بيته إلى غيرهم ، يعني إياس بن قبيصة الطائي ، فلم تحفظ فيهم ما كان يحفظه آبؤك ، من حضائنه بهرام جور جدك ، ومعاونته بعد أن خرج الملك عنه ، حتى رَدَّه عليه ، فكل هذه ذُنُوب ارتكبتها ، وآثام اقترفتها ، لم يكن الله ليرضى منك فأخذك بها » .

فانطلق يزْدَان جُشنس فأبلغ كسرى رسالة شيرُويه لم يخرم منها حرفا ، فقال له كسرى : قد أبلت ، فأدَّ الجواب كما أدَّيت الرسالة : « قل لشرويه القصير العُمُر ، القليل العَمَر ، الناقص العقل ، نحن مجيبوك عن جميع ما أرسلت به إلينا من غير اعتذار لتزداد علماً بجهلك ؛ أما رِضانا بما ارتكب من أيينا فإني ما اطلعتُ على ما دَبَّرَ القوم من الوُثوب به ، وقد علمتَ لما استوطَدَ لي السُّلطان أني لم أدع أحدا مالا على خلمه وأجلب عليه بارتكاب حقِّه إلا قتلتَه ، وختمت ذلك بِخَالِي بِنْدَوِيَّة وبِسْطام مع ما كان من قيامهما بأمرى ؛ وأما حظري عليكم معاشرَ أبنائنا فإني فرغتكم لتعلم الأدب ، ومنعتكم من الانتشار فيما لا يمينكم ، ولم أقصر في مطاعكم مع ذلك ومصارفكم وملابسكم وطيبكم ومراكبكم ، وأما أنت خاصة فإن النُّجَّمين قضوا في مولدك بَتَثْرِيْب مُلْكنا ، وفسخ سلطاننا على يدك ، فلم تأمرْ

- بقتلك ، ومع ذلك كتاب قرميسيا ملك الهند إلينا يعلمنا أن في انقضاء سنة ثمان وثلاثين من ملكنا يفضى إليك هذا الأمر ، فكتبنا ذلك الكتاب عنك ، مع علمنا أنه لا يفضى إليك إلا بهلاكنا ، وذلك الكتاب مع قضية مولدك عند شيرين صاحبتنا ، فإن أردت فدؤنك ، فاقراؤها لتزداد حسرة وثبورا ؛ وأما ما ذكرت من كُفْراني نعمة قيصر بمنى ولده وأهل بيته خشبة الصليب ، فأياها المائق ، إن أكثر من ذلك الخشب ثلاثون ألف ألف درهم فرقها في رجال الروم الذين قدموا معي ، وألف ألف درهم هدايا وجهتها إلى قيصر ، ومثل ذلك وصلت ابنه ثيادوس عند رجوعه إلى مملكته ، أفكنت أجود لهم بخمسين ألف ألف درهم وأبخل بخشبة لا تساوي شيئا ؟ إنما احتبستها لأرتهن بها طاعتهم ، ولينقادوا لي في جميع ما أريده منهم لعظيم قدر الخشبة عندهم ؛ وأما غضبي لقيصر وطلبي بثاره ، فقد قتلت به من الروم ما لم يحص عدده ؛ وأما قولك في أولئك المرازبة ورؤساء الأساورة الذين هممت بقتلهم فإن أولئك اصطنتهم ثلاثين سنة ، وأسنت أعطياتهم وأعظمت حُبوتهم^(١) فلم أحتج إليهم في طول دهرى إلا ذلك اليوم الذى فشلوا فيه وخاموا^(٢) ، فسَلَّ أيها الأخرق فقهاء هذه الملة تمن قصر فى نُصرة ملكه ، وخام عن محاربة عدوّه ، فسَيَخِرُّونَكَ أنهم لا يَسْتَوْجِبُونَ العفو ولا الرحمة ؛ فأما ما عنفتني به من جمع الأموال فإن هذا الخراج لم يكن منى بدعة ، ولم يزل الملوك يَحْبُونَهُ قبلى ليكون قوة للملك وظهرا للسلطان ؛ فإن ملكا من ملوك الهند كتب إلى جدى أنوشروان : أن مملكته شبيهة بباغ عامر عليه حائط وثيق ، وباب منيع ، فإذا انهدم ذلك الحائط أو تسكّرت الأبواب لم يؤمن أن ترعى فيه الحمير والبقر . وإنما عَنَى بالحائط الجنود ، وبأبوابه الأموال . فاحتفظ أيها السخيف العقل بتلك الأموال ، فإنها حصن للملك ، وقوام للسلطان ، وظهير على الأعداء ، ومفخرة عند الملوك ؛ وأما ما زعمت من قتل النعمان بن المنذر ، وإزالتي الملك عن آل عمرو بن عدى إلى إياس

(١) العطاء . (٢) خام عنه يخيم : نكس وجبن .

ابن قبيصة ، فإن النعمان وأهل بيته واطثوا العرب ، وأعلموهم توكفهم^(١) خروج الملك عنا إليهم ، وقد كانت وقعت إليهم في ذلك كُتُب ، فقتلته ، ووليت الأمر أغراييا لا يعقل من ذلك شيئا . انطلق إلى شيرويه ، فأخبره بذلك كله ؛ فأبلغه يزدان جُشنس ، لم يخرم منه شيئا ، فَعَلَتْ شيرويه كآبة .

٥ ولما كان من الغد اجتمع عظماء أهل المملكة ، فدخلوا على شيرويه كما فعلوا بالأمس ، نخاف على نفسه ، فجعل يرسل الرجل بعد الرجل من مرزبانته لقتل أبيه ، فلا يقدم عليه أحد ، حتى بعث بشاب منهم يسمى يزداك بن مرذان شاه مرزبان بابل وخطرنية ؛ فلما دخل عليه ، قال : مَنْ أَنْتَ ؟ قال : أنا ابن مرذان شاه مرزبان بابل وخطرنية ؛ قال له كسرى : أَنْتَ لَعَمْرِي صاحبي ، وذلك أَنِي قَتَلْتُ أَبَاكَ ظُلْمًا ، فضربه الغلام حتى قتله ، وانصرف إلى شيرويه فأخبره ، فَلَطَمَ شيرويه وجهه ، وَنَتَفَ شَعْرَهُ ، وَحَبَسَهُ ، وانطلق في عظماء أهل المملكة حتى استودعه النأوس ، ثم انصرف ؛ وأمر ، فَقَتَلَ الغلام الذي قَتَلَ أَبَاهُ . وفي ذلك العام الذي ملك فيه شيرويه توفي^(٢) رسول الله صلى الله عليه وسلم ، واستخلف أبو بكر رضى الله عنه .

١٥ ثم إن شيرويه لما ملك عمد إلى إخوته ، وكانوا خمسة عشر رجلا ، فضرب أعناقهم ، مخافة أن يفسدوا عليه ملكه ، فَسَلَطَتْ عَلَيْهِ الأمراض والأسقام حتى مات ، وكان ملكه ثمانية أشهر .

[بعد موت شيرويه]

فلكت فارس عليها بعده ابنه شيرزاد بن شيرويه ، وكان طفلا ، ووكلوا به رجلا يحضنه ، ويقوم بتدبير الملك إلى أن أدرك . ٢٠

(١) يتوكف الخبر : ينتظره ويتوقعه .

(٢) كانت وفاة الرسول محمد صلى الله عليه وسلم في ١٣ من شهر ربيع الأول سنة ١١ هـ . الموافق ٢٠ يونيه سنة ٦٣٢ م .

ولما بلغ شهر يار وهو مُقيم في وجه الروم قَتَلَ كسرى أقبِل في جنوده حتى
وَرَدَ المدائن ، وقد مات شيرويه وملك ابنه شيرزاد ؛ فَاغْتَصَبَ الأمر ، ودخل المدائن ،
فقتل كل مَن مَّالاً على قتل كسرى وخَلَعِه ، وقَتَلَ شيرزاد وحاضنه ، وتَوَلَّى
أمر الملك ، ودَعَا نفسه ملكاً ، وذلك في العام الثاني عشر من التاريخ [الهجري] ؛
فلما تم لملك شهر يار حَوْلُ أنف عظماء أهل المملكة من أن يلى مُلْكهم مَن
ليس مِن أهل بيت المملكة ، فَوَثَّبُوا عليه فقتلوه ، ومَلَّكُوا عليهم جُوان شير
ابن كسرى ، وكان طِفْلاً ، وأمه كُرْدِيَّةٌ أخت بهرام شُورِين ، فلك حَوْلًا ،
ثم مات .

فلَمَّكُوا عليهم بُوران بنت كسرى ، وذلك أن شيرويه لم يَدَع من إخوته
أحداً إلا قتلَه ، خَلا جُوان شير فإنه كان طِفْلاً ، فعند ذلك وَهَى سلطان فارس
وضَعَفَ أمرهم ، وفَلَّتْ شوكتهم .

[حروب العرب مع المعجم]

قالوا : فلما أَفْضَى الملك إلى بُوران بنت كسرى بن هُرْمُز شاع في أطراف
الأَرْضِينَ أنه لا ملك لأرض فارس ، وإنما يلودون بباب امرأة ؛ فخرج رجلان من
بكر بن وائل ، يقال لأحدهما المُنْثَى بن حارثة الشَّيْبَانِي ، والآخر سُؤَيْد بن قُطَيْبَةَ
المَجْلِي ، فأقبلا حتى نزلا فيمن جمعا بتخوم أرض المعجم ، فكانا يُغِيرَان على
الدَّهَّاقِينَ ، فيأخذان ما قدرا عليه ، فإذا طُلِبَا أُمْعَنَّا في البر فلا يتبعهما أحد ، وكان
المُنْثَى يغير من ناحية الحيرة ، وسُؤَيْد من ناحية « الأُبَلَّة » ^(١) وذلك في خلافة
أبي بكر ، فكتب المُنْثَى بن حارثة إلى أبي بكر رضى الله عنه يُعْلِمُهُ ضَرَاوَتَهُ بفارس ،
ويعرفه وَهَنَهُمْ ، ويسأله أن يَمُدَّهُ بجيش .

فلما انتهى كتابه إلى أبي بكر رضى الله عنه كتب أبو بكر إلى خالد بن الوليد ،

(١) الأُبَلَّة : بلد معروف قرب البصرة من جانبها البحري في زاوية الخليج ، وهي أقدم من
البصرة ، وكان فيها للفرس مسلح وقادة .

وقد كان فرغ من أهل الرُّدَّة ، أن يسير إلى الحيرة فيحارب فارس ، ويضم إليه
المُثنى ومن معه ؛ وكَرِهَ المُثنى ورُود خالد عليه ؛ وكان ظنُّ أن أبا بكر سيؤاخي
الأمر ، فسار خالد والمُثنى بأصحابهما ، حتى أناخا على الحيرة ، وتحصَّن أهلها في
القصور الثلاثة .

ثم نزل عمرو بن بَقِيلَة ، وحديثه مع خالد ، وأنه وجد معه شيئا من البيش^(١)
فاستفَّه^(٢) على اسم الله ولم يضره ذلك معروف ، ثم صالحوه من القصور الثلاثة على
مائة ألف درهم يؤدونها في كل عام إلى المسلمين ؛ ثم ورد كتاب أبي بكر على خالد
مع عبد الرحمن جميل الجمحي ، يأمره بالشُّخص إلى الشام ليُجدَّ أبا عبيدة بن الجراح
بمن معه من المسلمين ، ففضى ، وخلف بالحيرة عمرو بن حَزْم الأنصاري مع المُثنى ؛
وسار على الأنبار ، وانحطَّ على عين التمر^(٣) ، وكان بها مسلحة لأهل فارس ،
فرمى رجل منهم عمرو بن زياد بن حُذَيْفَة بن هشام بن المغيرة بنُشَابَة ، فقتله ،
ودُفِن هناك .

وحاصر خالد أهل عين التمر حتى استنزَلَهُمْ بنير أمان ، فضرب أعناقهم ،
وسبى ذراريهم ؛ ومن ذلك السبي أبو محمد بن سيرين ومُهران بن أبان مولى
عثمان بن عفان ، وقتل فيها خالد خفيرا كان بها من العرب يسمى هلال بن عُقبة ،
وملَّبه ، وكان من النمر بن قاسط ؛ ومَرَّ بجيٍّ من بني تغلب والنمر ، فأغار عليهم ،
فقتل وغنم حتى انتهى إلى الشام . ولم يزل عمرو بن حَزْم والمُثنى بن حارثة
يتطرقان أرض السواد ويُغيران فيها حتى توفي أبو بكر^(٤) رضي الله عنه .

(١) البيش بالكسر ، نبات كالزنجبيل فيه سم قاتل لسكل حيوان .

(٢) تناوله غير مسحوق (٣) بلدة في طرف البادية غربي الفرات

(٤) كانت وفاة أبي بكر و ٢١ هـ ٦٣٤ م الموافق أغسطس سنة ٦٣٤ م .

[الفتوحات الإسلامية في عهد عمر بن الخطاب]

- وولي عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، وكانت ولاية عمر سنة ثلاث عشرة ؛
ثم إن عمر رضي الله عنه عزم على توجيه خيل إلى العراق ، فدعا أبا عبيد بن مسعود ،
وهو أبو المختار بن أبي عبيد الثقفي فمقده له على خمسة آلاف رجل ، وأمره بالسير
إلى العراق ، وكتب إلى المثنى بن حارثة ، أن ينضم بمن معه إليه ؛ ووجه مع أبي
عبيد سليط بن قيس ، من بني النجار الأنصاري ، وقال لأبي عبيد : « قد بعثت
معاك رجلا هو أفضل منك إسلاما ، فاقبل مشورته » وقال لسليط : « لولا أنك
رجل عجول في الحرب لوليتك هذا الجيش ، والحرب لا يصلح لها إلا الرجل المكث »
فسار أبو عبيد نحو الحيرة ، لا يمر بحجر من أحياء العرب إلا استنفرهم ، فتبعه
منهم طوائف ، حتى انتهى إلى قس الناطف^(١) فاستقبله المثنى فيمن معه .
وبلغ المعجم إقبال أبي عبيد ، فوجهوا مردان شاه الحاجب في أربعة آلاف
فارس ، فأمر أبو عبيد بالجر ، فعقد ليبر إليهم . فقال له المثنى : « أيها الأمير
لا تقطع هذه الأجرة ، فتجعل نفسك ومن معك غرضا لأهل فارس » . فقال له أبو
عبيد « جئنت يا أبا بكر » . وعبر إليهم بمن معه من الناس ، وولي أبا محجن
الثقفي الخيل ، وكان ابن عمه ، ووقف هو في القلب ، وزحف إليهم الفرس ،
فاقتتلوا ، فكان أبو عبيد أول قتيل ، فأخذ الراية أخوه الحكم ، فقتل ، ثم أخذها
قيس بن حبيب أخو أبي محجن ، فقتل ، وقتل سليط بن قيس الأنصاري في نفر من
الأنصار كانوا معه ، فأخذ المثنى الراية ، وانهزم المسلمون .
فقال المثنى لعروة بن زيد الخيل الطائي « انطلق إلى الجسر ، فقف عليه ،
وحل بين المعجم وبينه » . وجعل المثنى يقاتل من وراء الناس ، ويحميهم حتى عبروا ؛
ويوم جسر أبي عبيد معروف ؛ وسار المثنى بالمسلمين حتى بلغ الثعلبية^(٢) ، فنزل ،

(١) موضع قريب من الكوفة على شاطئ الفرات الشرقي .

(٢) الثعلبية موضع بطريق مكة ، وفي الأصل « الثعلبية » .

وكتب إلى عمر بن الخطاب رضي الله عنه مع عمرو بن زيد الخليل ، فبكى عمر ، وقال لعمرو : « ارجع إلى أصحابك ، فمرهم أن يقيموا بمكانهم الذي هم فيه ، فإن المدد وارد عليهم سريعا » ، وكانت هذه الواقعة في شهر رمضان يوم السبت سنة ثلاث عشرة من التاريخ .

ثم إن عمر بن الخطاب استنفر الناس إلى العراق ، نجفوا في الخروج ، ووجه في القبائل يستجيش ، فقدم عليه مخنف بن سليم الأزدي في سبعمائة رجل من قومه ، وقدم عليه الحُصَيْن بن مَعْبَد بن زُرَّارَة في جَمْع من بني تميم زهاء ألف رجل ، وقدم عليه عدي بن حاتم في جَمْع من طي ، وقدم عليه أنس بن هلال في جَمْع من النمر بن قاسط ؛ فلما كثر عند عمر الناس عقد لجري بن عبد الله البجلي عليهم ، فسار جرير بالناس حتى وافي الثعلبية ، فضم إليه المثنى فيمن كان معه ، وسار نحو الحيرة ، فعسكر بدير هند^(١) ، ثم بث الخيل في أرض السواد ، تغير وتحصن منه الدهاقين ، واجتمع عظماء فارس إلى بوران ، فأمرت أن يتخير اثنا عشر ألف رجل من أبطال الأساورة^(٢) ، وولت عليهم « مهران بن مَهروية الهمداني » فسار بالجيش حتى وافي الحيرة ، وزحف الفريقان ، بعضهم لبعض ، ولهم زجل^(٣) كزجل الرعد ، وحمل المثنى في أول الناس ، وكان في ميمنة جرير ، وحملوا معه . وثار العجاج ، وحمل جرير بسائر الناس من الليسرة والقلب ، وصدقتهم العجم القتال ، فجال المسلمون جولة ، فقبض المثنى على لحيته ، وجعل ينتف ما تبمه منها من الأسف ، ونادى : « أيها الناس ، إلى ، إلى ، أنا المثنى » فتاب المسلمون ، فحمل بالناس ثانية ، وإلى جانبه مسعود بن حارثة أخوه ، وكان من فرسان العرب ، فقتل مسعود ، فنادى المثنى : « يامعشر المسلمين ، هكذا مضرع خياركم ، ارفعوا راياتكم » . وحض عدي بن حاتم أهل الليسرة ،

(١) مكان بالحيرة ، بنته أم عمرو بن هند ، وهو على طريق النجف ، ويسمى دير هند الكبرى ، وبالحيرة أيضا دير هند الصغرى الذي بنته هند بنت النعمان بن المنذر ، وهو الآن بالكوفة قرب خطبة بني دارم . (٢) الأساورة هم الفرسان المقاتلة ، مفردة أسوار . (٣) الجلبة .

وَحَرَّضَ جَرِيرُ أَهْلَ الْقَلْبِ ، وَذَمَّرَهُمْ^(١) ، وَقَالَ لَهُمْ : « يَا مَعْشَرَ بَجِيلَةٍ ، لَا يَكُونَنَّ أَحَدٌ أَسْرَعَ إِلَى هَذَا الْعَدُوِّ مِنْكُمْ ، فَإِنْ لَكُمْ فِي هَذِهِ الْبِلَادِ - إِنْ فَتَحَهَا اللَّهُ عَلَيْكُمْ - حُظُوءَةٌ لَيْسَتْ لِأَحَدٍ مِنَ الْعَرَبِ ، فَقَاتِلُوهُمْ التَّمَّاسَ إِحْدَى الْحُسَيْنَيْنِ » .

- فَتَدَاغَى الْمُسْلِمُونَ ، وَتَحَاضُّوا ، وَثَابَ مَنْ كَانَ أَنْهَزَمَ ، وَوَقَفَ النَّاسُ تَحْتَ رَايَاتِهِمْ ، ثُمَّ زَحَفُوا ، فَحَمَلَ الْمُسْلِمُونَ عَلَى الْعَجَمِ حَمْلَةً صَدَقُوا اللَّهَ فِيهَا ؛ وَبَاشَرَ مِهْرَانَ الْحَرْبَ بِنَفْسِهِ ، وَقَاتَلَ قِتَالًا شَدِيدًا ، وَكَانَ مِنْ أَبْطَالِ الْعَجَمِ ، فَقُتِلَ مِهْرَانٌ ؛ وَذَكَرُوا أَنَّ الْمُثَنَّى قَتَلَهُ ، فَانْهَزَمَتِ الْعَجَمُ لَمَّا رَأَوْا مِهْرَانَ صَرِيحًا ، وَاتَّبَعَهُمُ الْمُسْلِمُونَ ، وَعَبَدُ اللَّهِ بْنُ سُلَيْمٍ الْأَزْدِيُّ يَقْدُمُهُمْ ، وَاتَّبَعَهُ عُرْوَةُ بْنُ زَيْدِ الْخَيْلِ ، فَصَارَ الْمُسْلِمُونَ إِلَى الْجِسْرِ ، وَقَدْ جَاذَهُ بَعْضُ الْعَجَمِ ، وَبَقِيَ بَعْضٌ ، فَصَارَ مِنْ بَقِيَ مِنْهُمْ فِي أَيْدِي الْمُسْلِمِينَ ، وَمَضَتْ الْعَجَمُ ، حَتَّى لَحِقُوا بِالْمَدَائِنِ ،
١٠ وَانْصَرَفَ الْمُسْلِمُونَ إِلَى مَعْسِكَرِهِمْ ، فَقَالَ عُرْوَةُ بْنُ زَيْدِ الْخَيْلِ فِي ذَلِكَ :

- هَاجَتِ لِعُرْوَةَ دَارُ الْحَيِّ أَحْزَانَا وَاسْتَبَدَلَتْ بَعْدَ عَبْدِ الْقَيْسِ هَمْدَانَا
وَقَدْ أَرَانَا بِهَا ، وَالشَّمْلُ مُجْتَمِعٌ إِذْ بِالنَّخِيلَةِ قَتَلَ جُنْدِ مِهْرَانَا
أَيَّامَ سَارَ الْمُثَنَّى بِالْجُنُودِ لَهُمْ قَتَلَ الْقَوْمَ مِنْ رَجُلٍ وَرُكْبَانَا
سَمًا لِأَجْنَادِ مِهْرَانَ وَشِيعَتِهِ حَتَّى أَبَادَهُمْ مِثْنَى وَوُخْدَانَا
مَا إِنْ رَأَيْنَا أَمِيرًا بِالْعِرَاقِ مَضَى مِثْلَ الْمُثَنَّى الَّذِي مِنْ آلِ شَيْبَانَا
إِنَّ الْمُثَنَّى الْأَمِيرُ الْقَرْمُ لَا كَذِبٌ فِي الْحَرْبِ أَشْجَعُ مِنْ لَيْثٍ بِخَفَانَا^(٢)
١٥

- قَالُوا : وَلَمَّا أَهْلَكَ اللَّهُ مِهْرَانَ وَمَنْ كَانَ مَعَهُ مِنْ عِظَاءِ الْعَجَمِ اسْتَمَكَّنَ الْمُسْلِمُونَ مِنَ الْغَارَةِ فِي السَّوَادِ ، وَانْتَقَضَتْ مَسَالِحُ^(٣) الْفُرْسِ ، وَتَشَتَّتَ أَصْرُهُمْ ، وَاجْتَرَأَ الْمُسْلِمُونَ عَلَيْهِمْ ، وَشَنُّوا الْغَارَاتِ مَا بَيْنَ سُورَا^(٤) وَكَسْكَرَ^(٥) وَالصَّرَاةِ^(٦)
٢٠

(١) ذمهم حضهم على القتال .

(٢) القرم من الرجال : السيد العظيم ، والحفان : رثال النعام ، واحدته خفانة ، وهو فرخها .

(٣) جمع مسلحة بفتح الميم وهي الثغرة فيه الجنود . (٤) كورة قريبة من الفرات .

(٥) كورة واسعة ، كانت قصبتها بين الكوفة والبصرة . (٦) الصراة بالفتح : نهران

قرب بغداد ، أحدهما كبير والآخر صغير ، وقد سما باسم المحلة عند منبعهما .

إلى الفلاليج^(١) والأستانات ، فقال أهل الحيرة للمُثنى : « إنَّ بالقُربِ مِنَّا قرية فيها سوق عظيم ، تقوم في كل شهر مرة ، فتأتيها تجار فارس والأهواز وسائر البلاد ؛ فإن قدرت على الغارة على تلك السوق أصبَّتْ أموالاً رَغِيْبَةً » يعنون سوق بغداد ، وكانت قرية تقوم بها سوق في كل شهر .

٥ فأخذ المُثنى على البرِّ حتى أتى الأنبار^(٢) ، فتحصَّنَ منه أهلها ، فأرسل إلى بسفروخ مرزبانها ليسير إليه ، فيكأّمه بما يريد ، وجعل له الأمان ؛ فأقبل المرزبان حتى عبر إليه ، فخلَّاه المُثنى ، وقال : « إني أريد أن أُغيِّرَ على سوق بغداد ، فأريد أن تبعث مئى أدِلّاء ، فيدلوني على الطريق ، وتُسَوِّى لى الجسر ، لأُعْبُرُ الفُرَاتَ » ، ففعل المرزبان ذلك ، وقد كان قطع الجسر لثلاثين عرب إليه ، فعبر المُثنى مع أصحابه ، وبعث المرزبان معه الأدِلّاء ، فسار حتى وافى السُّوق ضَحْوَةً ، فهرب الناس ، وتركوا أموالهم ، فمَلَأُوا أيديهم من الذهب والفضة ، وسائر الأمتعة ، ثم رجع إلى الأنبار ، ووَافَى معسكره .

١٠ ولما بلغ سُوَيْدُ بْنُ قُطَيْبَةَ المَجْلَى أمر المُثنى بن حارثة ، وما نال من الظفر يوم مِهْرَانَ كتب إلى عمر بن الخطاب ، يعلمه وَهْنَ الناحية التى هُوَ بِهَا ، ويسأله أن يَمُدَّهُ بجيش . فندب عمر بن الخطاب لذلك الوجه عُتْبَةَ بْنَ غَزْوَانَ المَازِنِيَّ ، وكان حَلِيفًا لِبْنِي نَوْفَلِ بْنِ عَبْدِ مَنَافٍ ، وكانت له صُحْبَةٌ من رسول الله ﷺ ، وضم إليه أُنْفَى رجل من المسلمين ، وكتب إلى سُوَيْدِ بْنِ قُطَيْبَةَ يأمره بالانضمام إليه .

٢٠ فلما سار عُتْبَةُ شَيْعَةً عمر رضى الله عنه ، فقال : « يَا عُتْبَةُ ، إن إخوانك من المسلمين قد غلبُوا على الحيرة ، ونابليها ، وعبرت خيلهم الفُرَاتَ حتى وطئت بابل ، مدينة هَارُوتَ وَمَارُوتَ ومنازل الجبارين ، وإن خيلهم اليوم لَتُغِيرَ حتى تُشَارِفَ الدائن ، وقد بَعَثْتُكَ فى هذا الجيش ، فاقصد قصد أهل الأهواز ، فاشغَلْ أهل تلك الناحية ، أن يمدوا أصحابهم بناحية السواد على إخوانكم الذين هناك ، وقتلهم مما يلى الأُبُلَّةَ » .

(١) الفلاليج : قرى السواد من أرض فارس واحده فلوجة ، وبالقرب من بغداد فلولجان .

(٢) مدينة على الفرات غربى بغداد ، كانت الفرس تسميها فيروز ساپور .

فسار عُتْبَةَ بنَ غَزْوَانَ حتى أتى مكان البصرة اليوم ، ولم تكن هناك يومئذ
إلا الخُرَيْبَةُ ، وكانت منازل خَرِيبَةٍ ، وبها مَسَاحُ لِكِسْرَى تمنع العرب من العبث
في تلك الناحية ؛ فنزلها عُتْبَةُ بنَ غَزْوَانَ بأصحابه في الأَخْيَبَةِ والقِيَابِ ؛ ثم سار
حتى نزل موضع البصرة ، وهي إذ ذاك حجارة سُود وَحَصَى ، وبذلك سُمِّيَتْ
البصرة ، ثم سار حتى أتى الأُبْلَةَ ، فافتتحها عَنَوَةً ، وكتب إلى عمر رضي الله
عنه : « أما بعد ، فإن الله ، وله الحمد ، فتح علينا الأُبْلَةَ ، وهي مَرَقَى سفن البحر من
عُمان ، والبحرين ، وفارس ، والهند ، والصين ، وأغنمنا ذهبهم وفضتهم وذراتهم ،
وأنا كاتبٌ إليك ببيان ذلك إن شاء الله . »

وبعث بالكتاب مع نافع بن الحارث بن كَلْدَةَ الثَّقَفِيِّ ، فلما قدم على عمر رضي
الله عنه تَبَاشَرَ المسلمون بذلك ، فلما أراد نافع الانصراف ، قال لعمر : « يا أمير
المؤمنين . إني قد أَفْتَلَيْتُ^(١) فِلاَءَ بالبصرة ، واتخذت بها تجارة . فاكتب إلى عُتْبَةَ
ابن غَزْوَانَ أَنْ يُحَسِّنَ جَوَارِي . »

فكتب عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - إلى عُتْبَةَ : « أما بعد ، فإن نافع بن الحارث
ذكر أنه قد أَفْتَلَى فِلاَءَ ، وأحب أن يتخذ بالبصرة داراً ، فأحسن جواره ،
واعرف له حَقَّهُ ، والسلام . »

نُحِطَ له عُتْبَةُ بالبصرة خطة ، فسكان نافع أول من خط خطة بالبصرة ، وأول
من أَفْتَلَى بها الأفلاء ، وارتبط بها رِبَاطاً ؛ ثم إن عُتْبَةَ سار إلى المذار^(٢) ، وأظهره الله
عليهم ، ووقع مرزبانها في يده ، فضرب عنقه ، وأخذ بِرِزَّتِهِ ، وفي مِنطَقَتِهِ
الزُّمُرْدَ واليَاقوتَ ، وأرسل بذلك إلى عمر رضي الله عنه ؛ وكتب إليه بالفتح ،
فتبأشر الناس بذلك ، وأكْبَرُوا على الرسول ، يسألونه عن أمر البصرة ؛ فقال إن
المسلمين يَهْيَلُونَ بها الذهب والفضة هَيْلًا ، فرغب الناس في الخروج ، حتى كثروا
بها ، وقوى أمرهم ، فخرج عُتْبَةُ بهم إلى فُرَاتِ البصرة^(٣) ، فافتتحها ، ثم سار إلى

(١) أَفْتَلَيْتُ قَنِيةً ، وأفْتَلَى أَمَى اتَّخَذَ . (٢) المذار بفتح الميم بلدة بين واسط والبصرة .

(٣) البلاد قرب البصرة التي تسقى من نهر الفرات .

«دَسَتْ مِيسَانَ»^(١) فافتتحها بعد أن خرج إليه مرزبانها بجنوده ، فانتقوا ، فقتل
المرزبان ، وانهزمت المعجم ، فدخل مدينتها لا يئمنه شيء ، فخلف بها رجلا ، وسار إلى
« ابرقباد » فافتتحها ، ثم انصرف إلى مكانه من البصرة ، وكتب إلى عمر رضى الله عنه
بما فتح الله عليه من هذه المدن والبلدان ، وبعث بالكتاب مع أنس بن الشيخ بن
النعمان ، فاختلفت القبائل إليها حتى كثروا بها .

ثم إن عتبة استأذن عمر في القدوم عليه ، فأذن له ، فاستخلف المغيرة بن
شعبة ، ثم خطب الناس حين أراد الخروج خطبة طويلة ، قال فيها : « أعوذ بالله
أن أكون في نفسى عظيما ، وفي أعين الناس صغيرا ، وأنا سائر ، ولا حول
ولا قوة إلا بالله ، وستجربون الأمراء بعدى ، فتمرفون » . وكان الحسن
البصرى يقول ، إذا تحدث بهذا الحديث : قد جربنا الأمراء بعده ، فوجدنا له
الفضل عليهم .

وأن عمر رضى الله عنه أقر المغيرة على ثغر البصرة ، فسار بالناس نحو «مِيسَانَ» ،
فخرج إليه مرزبانها ، فخاربه ، فأظهر الله المسلمين ، وافتتح البلاد عنوة ، وكتب
إلى عمر بالفتح ، ثم كان من أمر المغيرة والنفر الذين رموه ما كان .

وبلغ ذلك عمر رضى الله عنه ، فأمر أبا موسى الأشعرى بالخروج إليها ، وأن
يصرف الخطط لمن هناك من العرب ، ويجعل كل قبيلة في محلة ، وأن يأمر الناس
بالبقاء ، وأن يبنى لهم مسجداً جامعاً ، وأن يشخص إليه المغيرة بن شعبة ؛ فقال
أبو موسى : « يا أمير المؤمنين ، فوجه مى نفراً من الأنصار ، فإن مثل الأنصار
في الناس كمثل الملح في الطعام » ؛ فوجه معه عشرة من الأنصار ، فيهم أنس
ابن مالك ، والبراء بن مالك ، فقدم أبو موسى البصرة ، وبعث إليه بالمغيرة بن شعبة ،
والنفر الذين شهدوا عليه ، فسألهم عمر رضى الله عنه ، فلم يصرحوا ، فجلدهم ،
وأمر المغيرة أن يلحق بالبصرة ، فيعاون أبا موسى على أمره ؛ ونظر أبو موسى
إلى زياد بن عبيد ، وكان عبداً مملوكاً لثقيف ، فأعجبه عقله وأدبه ، فاتخذهُ كاتباً ،
وأقام معه ، وقد كان قبل ذلك مع المغيرة بن شعبة .

(١) كورة كبيرة بين واسط البصرة والأهواز .

قالوا : فلما نظرت الفُرس إلى العرب قد حَدَقُوا بهم ، وبَثُوا الغارات في أرضهم قالوا فيما بينهما : إنما أُتينا من تَمَلَّك النساء علينا ؛ فاجتمعوا على يَزْدَجَرْدَ بن شَهْرِيَار بن كسرى أرويز ، فَلَكَوهُ عليهم ، وهو يومئذ غلام ابن ست عشرة سنة ، وثبتت طائفة على آزَمِيدُخت ، فَتَحَارَبَ الفريقان ، فكان الظفر لِيَزْدَجَرْدَ ، فَخُلِعَتْ آزَمِيدُخت ، وتَمَلَّك يَزْدَجَرْدَ ، فجمع إليه أطرافه ، واستجاش أقطار أرضه ، وولى عليهم رُسْتَم بن هُرْمُز ، وكان محنكا ، قد جربته الدهور ، فسار رستم نحو القادسية .

[موقعة القادسية]

وبلغ ذلك جرير بن عبد الله والمثنى بن حارثة ، فكتبوا إلى عمر رضى الله عنه ، يُخبرانه ، فندب عمر الناس ، فاجتمع له نحو من عشرين ألف رجل ، فَوَلَّى أمرهم سعد بن أبي وقاص ، فسار سعد بالجيش حتى وَافَى القادسية ، فضم إليه مَنْ كان هناك ، وتوفي المثنى بن حارثة رحمه الله ؛ فلما انقضت عِدَّة امرأة المثنى تزوجها سعد بن أبي وقاص ، وأقبل رستم بجنوده حتى نزل دير الأعور^(١) .
وأنَّ سعداً بَعَثَ طَلِيحَةَ بن خُوَيْلِد الأسدي ، وكان من فرسان العرب في جَمْعٍ لِيَأْتِيَهُ بِخَبَرِ الْقَوْمِ ، فلما عَايَنُوا سوادهم ، ورَأَوْا كَثَرَتَهُمْ قالوا لَطَلِيحَةَ :
« انصرف بنا » ، فقال : « لا ، ولكنى ماضٍ حتى أدخل عسكرهم ، وأعلم علمهم » . فَاتَّهَمُوهُ ، وقالوا له : « ما نحسبك تريد إلَّا اللِّحَاقَ بهم ، وما كان الله ليهديك بعد قتلك عُكَّاشَةَ بنِ مَحْصَنٍ وثابت بن أقرم » ؛ فقال لهم طَلِيحَةَ :
« مَلَأَ الرُّعْبُ قُلُوبَكُمْ » ؛ وأقبل طَلِيحَةَ حتى دخل عسكر الفُرس ليلاً ، فلم يزل يجوسه ليلته كلها ، حتى إذا كان وجه السَّحَرِ مَرَّ بفارس منهم يُعَدُّ بِألف فارس ، وهو نائم ، وفرسه مُقَيَّد ، فنزل ، فَفَكَ قَيْدَهُ ، ثم شَدَّ مِقْوَدَهُ بِشَعَرٍ^(٢) فرسه ،

(١) مكان بظاهر الكوفة ، بناء رجل من إياد ، يقال له الأعور .

(٢) ثغر الدابة بالتحريك السير الذي في مؤخر السرج .

وخرج من المعسكر ، واستيقظ صاحب الفرس ، فنادى في أصحابه ، وركب في أثره ، فلحقوه ، وقد أضاء الصبح ، فبدّر صاحب الفرس إليه ، ووقف له طليحة ، فاطعنا ، فقتله طليحة ، ولحقه فارس آخر ، فقتله طليحة ، ولحقه ثالث ، فأمره طليحة ، وحمله على دابته ، وأقبل به نحو عسكر المسلمين ، فكبر الناس ، ودخل على سعد ، وأخبره الخبر . ٥

وأقام رستم بدير الأعور معسكرا أربعة أشهر ، وأرادوا^(١) مطاولة العرب ليضجروا ، وكان المسلمون إذا فنيت أزوادهم وأعلافهم جرّوا الخيل ، فأخذت على البر حتى تهبط على المكان الذي يريدون ، وينبرون ، فينصرفون بالطعام والعلف والمواشى .

ثم إن عمر رضى الله عنه كتب إلى أبي موسى يأمره أن يمدّ سعدا بالخيال ، فوجه إليه أبو موسى الغيرة بن شعبة في ألف فارس ، وكتب إلى أبي عبيدة بن الجراح ، وهو بالشام يحارب الروم أن يمد سعدا بخيل ، فأمدّه بقيس بن هبيرة المرادي في ألف فارس ، وكان في القوم هاشم بن عتبة بن أبي وقاص ، وكانت عينه قُتيت يوم اليرموك ، وفيهم الأشعث بن قيس ، والأشتر النخعي ، فساروا حتى قدموا على سعد بالقادسية . ١٥

وأن يزدجرد الملك كتب إلى رستم يأمره بمناجزة العرب ، فزحف رستم بجنوده وعساكره حتى وافي القادسية ، فعسكر على ميل من معسكر المسلمين ، وجرت الرسل فيما بينه وبين سعد شهرا ، ثم أرسل إلى سعد : أن ابعت إلى من أصحابك رجلا ، له فهم وعقل وعلم ، لأكله ، فبعث إليه بالغيرة بن شعبة ، فلما دخل عليه قال له رستم : « إن الله قد أعظم لنا السلطان ، وأظهرنا على الأمم ، وأخضع لنا الأقاليم ، وذلّل لنا أهل الأرضين ، ولم يكن في الأرض أمة أصغر قدرا عندنا منكم ، لأنكم أهل قلة وذلة وأرض جدبة ، ومعيشة ضنك ، فما حملكم على تخطيكم إلى

(١) في الأصل : وأراد .

بلادنا ؟ فإن كان ذلك من قَحْطٍ نزل بكم ، فإننا نُوسِعُكم ونُفَضِّلُ عليكم ، فارجموا إلى بلادكم .

فقال له المغيرة : « أما ما ذكرت من عظيم سلطانكم ، ورفاهة عيشكم ، وظهوركم على الأمم ، وما أوتيتم من رفيع الشأن ، فنحن كل ذلك عارفون ، وسأخبرك عن حالنا : إن الله وله الحمد ، أنزلنا بقفار من الأرض ، مع الماء النّزر ، والعيش القشيف يا كل قَوِيَّتِنَا ضَعِيفِنَا ، ونقطع أرحامنا ، ونقتل أولادنا خشية الإملاق ، ونعبد الأوثان ، فبيننا نحن كذلك بعث الله فينا نبيا ، من صميمنا وأكرم أرومة ^(١) فينا ، وأمره أن يدعو الناس إلى شهادة أن لا إله إلا الله ، وأن نعمل بكتاب أنزله إلينا ، فأمننا به ، وصدّقناه ، فأمرنا أن ندعو الناس إلى ما أمره الله به ، فمن أجابنا كان له مالنا ، وعليه ماعيلنا ، ومن أبى ذلك سألناه الجزية ^(٢) عن يَدٍ ، فمن أبى جاهدناه ، وأنا أدعوك إلى مثل ذلك ، فإن أبيت فالسيف . »

١٠ وضرب يده مشيرا بها إلى قائم سيفه .

فلما سمع ذلك رسم تماظمه ما استقبله به ، واغتاز منه ، فقال : « والشمس ، لا يرتفع الضحى غداً حتى أقتلكم أجمعين » فانصرف المغيرة إلى سعد ، فأخبره بما جرى بينهما ، وقال لسعد « استعد للحرب » ؛ فأمر الناس بالتهيؤ والاستعداد ، فبات الفريقان يُكْتَبُونَ الكتائب ، ويعبّون الجنود ، وأصبحوا وقد صفّوا الصفوف ، ووقفوا تحت الرايات ؛ وكانت بسعد علة من خراج ^(٣) في نفذه قد منعه الركوب ، فوَلَّى أمر الناس خالد بن عَرْفُطَة ، وولى القلب قَيْس بن هُبَيْرَة ، وولى اليمين شَرْحَبِيل ابن السَّمْط ، وولى اليسرة هاشم بن عُتْبَة بن أبي وقاص ، وولى الرّجالة قيس بن خُرَيْم ، وأقام هو في قصر القادسيّة ، مع الحرّم والذرّية ، ومعه في القصر أبو محجن الثقفي محبوسا في شراب شربه .

٢٠

(١) الأرومة: الأصل والجمع أروم . (٢) الجزية هي عبارة عن المال الذي يعقد الكتابي

عليه الذمة . (٣) في الأصل: من جراح .

ثم إن سمدا تقدم إلى عمرو بن معدى كَرَبَ ، وقَيْس بن هيرة ، وشَرْحَبِيل بن السَّمَط ، وقال : إنكم شعراء وخطباء وفرسان العرب ، فدوروا في القبائل والرايات ، وحرّضوا الناس على القتال .

قال : ثم زحف الفريقان بعضهم إلى بعض ، وقد صُفَّ المعجم ثلاثة عشر صفا ، بعضها خلف بعض ، وصفت العرب ثلاثة صفوف ، فرشقتهم المعجم بالنشاب حتى فشَّت فيهم^(١) الجراحات ؛ فلما رأى قَيْس بن هيرة ذلك ، قال لخالد ابن عُرْفُطَة ، وكان أمير الأمراء : أيها الأمير ، إنا قد صيرنا لهؤلاء القوم غرضا ، فأحبل عليهم بالناس حملة واحدة ، فتطاعنُ الناس بالرماح مَلِيًّا ، ثم أفيضوا إلى السيوف .

وكان زيد بن عبد الله النَّخَعِي صاحب الحملة الأولى ، فكان أول قتيل ، فأخذ الراية أخوه أَرْطَاة ، فقتل ، ثم حملت بجيلة ، وعليها جرير بن عبد الله ، وحملت الأزْد ، ونار القتام ، واشتد القتال ، فانهزمت المعجم حتى لحقوا برستم ، وترجّل رستم ، وترجّل معه الأساورُ والمرابزة وعظماء الفرس ، وحملوا ؛ فجال المسلمون جولة . وكلم أبو مِحْجَن أم ولد سمدا ، فقال : أطلقيني من قيدي ، ولك على عهد الله إن لم أقتل أن أرجع إلى محبسي هذا ، وقيدي . ففعلت ؛ وحملته على فرس لسمدا أبلق^(٢) ، فاتتهى إلى القوم مما يلي الأزْد ، وبجيلة ، مما يلي اليمنة ، فجعل يحمل ، ويكشف المعجم ، وقد كانوا كثروا على بجيلة ، فجعل سمدا يعجب ، ولا يدرى من هو ، ويعرف الفرس .

وبعث سمدا إلى جرير بن عبد الله ، وكان معه لواء بجيلة ، وإلى الأشعث بن قَيْس ، ومعه لواء كِنْدَة ، وإلى رؤساء القبائل : أن احموا على القوم من ناحية اليمنة على القلب ، فحمل الناس عليهم من كل وجه ، وانتقضت تعبئة الفرس ، وقتل رستم ، وولت المعجم هاربة ، وانصرف إلى محبسه أبو مِحْجَن ، وطُلب رستم في المعركة ،

(١) في الأصل : بهم . (٢) في لونه سواد وياض .

فأصيب بين القتلى ، وبه مائة جراحة ، ما بين طعنة وضربة ، ولم يُدَرَّ من قتله ،
ويقال : بل ارتطم في نهر القادسيّة ، ففرق ؛ وانتهت هزيمة العجم إلى دير كعب ،
فزلوا هناك ، فاستقبلهم النُّخَارِجَان ، وقد وجهه يَزْدَجَرْدُمدداً ، فوقف بدير
كعب ، فكان لا يمر به أحد من الفلّ إلا حبسه قبّله .

- ٥ ثم عي القوم ، وكتبوا كتابهم وأوقفهم مواقفهم حتى وافقهم العرب ،
وتوافق الفريقان ، وبرز النُّخَارِجَان ، فنادى ، مَرْدُومَرْدُ ، أى رجلٌ ورجل ،
نخرج إليه زهير بن سليم أخو خنْف بن سُلَيْم الأزدى ؛ وكان النُّخَارِجَان سمينا
بدينا جسيما ، وزهير رجلا مربوعاً^(١) شديد العضدين والساعدين ، فرمى النُّخَارِجَان
نفسه عن دابته عليه ، فاعتركا ، فصرعه النُّخَارِجَان ، وجلس على صدره ، واستل
خنجره ليذبحه ، فوقعت إبهام النُّخَارِجَان في فم زهير ، فعضها ، واسترخى
النُّخَارِجَان ، وانقلب عليه زهير ، وأخذ خنجره وأدخل يده تحت ثيابه ، فبَعَجَه^(٢) ،
وقتله .

- ١٥ وكان بِرْدُون النُّخَارِجَان مدرّبا ، فلم يبرح ، فركبه زهير وقد سلبه سواربه
ودرعه وقبائه ومنطقته ، فأتى به سعدا ، فأغنه إياه ، وأمره سعد أن يتزيّ بزّيه ،
ودخل على سعد ، فكان زهير بن سليم أول من لبس من العرب السوارين ، وحمل
قيس بن هبيرة على جَيْلُوس رأس المستميّة ، فقتله ، وحمل المسلمون من كل جانب ،
فانهزمت العجم ، وبادر جرير بن عبد الله إلى القنطرة ، فعطفوا عليه ، فاحتملوه
برماحهم ، فسقط إلى الأرض ، ونلّقه أصحابه ، وهربت عنه العجم ، ولم يُصبه
شيء ، وعار فرسه^(٣) ، فلم يُلحق ، فأتى بِرْدُون من ركب الفرس في عنقه قلادة
زُمرّد ، فركبه ، وذهبت العجم على وجوهها حتى لحقت بالمدائن .

- ٢٠ وكتب سعد إلى عمر رضى الله عنه بالفتح . وكان عمر يخرج في كل يوم ماشيا
وحده ، لا يدع أحدا يخرج معه ، فيمشى على طريق العراق ميلين أو ثلاثة ،

(١) لا هو بالقصير ولا بالطويل .

(٢) شق بطنه . (٣) عار الفرس = خرج من يد صاحبه ، وذهب .

فلا يطلع عليه راكب من جهة العراق إلا سألته عن الخبر ؛ فبينما هو كذلك يوما طلع عليه البشير بالفتح ، فلما رآه عمر رضى الله عنه ناداه من بعيد : ما الخبر ؟ ، قال : فتح الله على المسلمين ، وانهزمت المعجم . وجعل الرسول يُخبّ ناقته ، وعمر يعدو معه ، ويسأله ، ويستخبره ، والرسول لا يعرفه ، حتى دخل المدينة كذلك ، فاستقبل الناس عمر رضى الله عنه ، يسلمون عليه بالخلافة وإمرة المؤمنين ؛ فقال الرسول ، وقد تحيّر : سبحان الله يا أمير المؤمنين ! أَلَا أَعْلَمْتَنِي ؟ فقال عمر : لا عليك . ثم أخذ الكتاب ، فقرأه على الناس .

وأقام سعد في عسكره بالقادسية إلى أن أتاه كتاب عمر ، يأمره أن يضع لمن معه من العرب دار هجرة ، وأن يجعل ذلك بمكان لا يكون بين عمر وبينهم بحر^(١) ؛ فسار إلى الأنبار^(٢) ليجمعها دار هجرة ، فكرهها لكثرة الذباب بها ، ثم ارتحل إلى كُوفَة ابن عمر^(٣) ، فلم يعجبه موضعها ، فأقبل حتى نزل موضع الكوفة اليوم ، فخطها خططا بين من كان معه ، وبني لنفسه القصر والمسجد .

وبلغ عمر أن سعداً علّق باباً على مدخل القصر ، فأمر محمد بن مسلمة أن يسير إلى الكوفة ، فيدعو بنار ، فيحرق ذلك الباب ، وينصرف من ساعته ؛ وأقبل محمد ، فسار حتى دخل الكوفة ، وفعل ما أمر به ، وانصرف من ساعته ، وأخبر سعد ، فلم يحرجوا ، وعلم أن ذلك من أمر عمر ، فقال بشر بن أبي ربيعة :

أَلَمْ خَيَالٌ مِنْ أُمَيَّةَ مَوْهِنًا وَقَدْ جَعَلْتَ إِحْدَى النُّجُومِ تَغُورُ
وَنَحْنُ بِصَحْرَاءِ الْعَذِيبِ وَدُونَهَا حِجَازِيَّةٌ إِنَّ الْحَلَّ شَطِيرُ
فَزَارَتْ غَرِيبًا نَازِحًا، جُلُّ مَالِهِ جَوَادٌ، وَمَفْتُوقُ الْغَرَارِ طَرِيرُ
وَحَلَّتْ بِبَابِ الْقَادِسِيَّةِ نَاقَتِي وَسَعْدُ بْنُ وَقَّاصٍ عَلَى أَمِيرُ
تَذَكَّرْ، هَذَاكَ اللَّهُ، وَقَعَ سَيُوفِنَا بِبَابِ قُدَيْسٍ وَالْمَكْرُ غَرِيرُ

(١) مدينة قديمة في العراق على نهر الفرات فتحها خالد بن الوليد سنة ٦٣٤ م ، وكانت مقرا للخلافة إلى أن تأسست مدينة بغداد .

(٢) تصغير الكوفة ، ومكانها قرب الكوفة المروفة ، وكل رملة يخاطها حصى تسمى كوفة .

عَشِيَّةً وَدَّ الْقَوْمُ لَوْ أَنَّ بَعْضَهُمْ
إِذَا رَزَتْ مِنْهُمْ إِلَيْنَا كَتِيبَةً
فَضَارَبْتُهُمْ حَتَّى تَفَرَّقَ جَمْعُهُمْ
وَعَمَرُوا أَبُو ثَوْرٍ شَهِيدٌ، وَهَاشِمٌ
يُعَارُ جَنَاحِي طَائِرٍ فَيَطِيرُ
أَتُونَا بِأُخْرَى كَالْجِبَالِ تَمُورُ
وَطَاعَنْتُ، إِنِّي بِالطُّعَانِ بَصِيرُ
وَقَيْسٌ، وَنُعْمَانُ الْفَتَى، وَجَسِيرُ

وقال عروة بن الورد :

لَقَدْ عَلِمْتَ عَمَرُوا وَنَبَهَانُ أَنْبَى
وَأَنِّي إِذَا كَرُّوا شَدَدْتُ أَمَامَهُمْ
صَبَرْتُ لِأَهْلِ الْقَادِسِيَّةِ مُعَلِّمًا
فَطَاعَنْتُهُمْ بِالرُّمَحِ حَتَّى تَبَدَّدُوا
بِذَلِكَ أَوْصَانِي أَبِي، وَأَبُو أَبِي
حَدَّثْتُ إِلَهِي إِذْ هَدَانِي لِدِينِهِ
أَنَا الْفَارِسُ الْحَامِي إِذَا الْقَوْمُ أَذْبَرُوا
كَأَنِّي أَخُو قَصْبَاءَ جَهْمٌ غَضَنَفَرُ
وَمِثْلِي إِذَا لَمْ يَصِيرِ الْقَرْنُ يَصِيرُ
وَضَارَبْتُهُمْ بِالسَّيْفِ حَتَّى تَسْكُرُ كَرُّوا
بِذَلِكَ أَوْصَاهُ ، فَلَسْتُ أَقْصِرُ
فَلِلَّهِ أَسْمَى مَا حَيَّيْتُ وَأَشْكُرُ

وقال قيس بن هبيرة :

جَلَبْتُ الْخَيْلَ مِنْ صَنَعَاءَ تَرْدِي
إِلَى وَادِي الْقُرَى فِدْيَارِ كَلْبِ
فَلَمَّا أَنْ زَوَيْنَا الرُّومَ عَنْهَا
فَأَبْنَا الْقَادِسِيَّةَ بَعْدَ شَهْرِ
فَنَاهَضْنَا هُنَاكَ جُمُوعَ كِسْرَى
فَلَمَّا أَنْ رَأَيْتُ الْخَيْلَ جَالَتْ
فَأَضْرِبُ رَأْسَهُ فَهَوَى صَرِيحًا
وَقَدْ أَبْلَى إِلَاهُ هُنَاكَ خَيْرًا
نُقَلِّقُ هَامَهُمْ بِمَهْنَدَاتِ
بِكُلِّ مُدَجَّجٍ كَاللَّيْثِ حَامِي
إِلَى الْيَرْمُوكِ وَالْبَلَدِ الشَّامِي
عَظَفْنَاهَا ضَوَامِرَ كَالْجِلَامِ
مُسَوِّمَةً دَوَابِرُهَا دَوَامِي (١)
وَأَبْنَاءَ الْمَرَاذِيَةِ الْعِظَامِ
قَصَدْتُ لِمَوْقِفِ الْمَلِكِ الْهُمَامِ
بِسَيْفٍ لَا أَفْلَ وَلَا كَهَامِ
وَفِعَلُ الْخَيْرِ عِنْدَ اللَّهِ نَامِي
كَأَنَّ فَرَاشَهَا قَيْضُ النِّعَامِ (٢)

قالوا : ولما انهزمت المعجم من القادسيّة وقُتِلَ صناديدهم مرُّوا على وجوههم حتى لحقوا بالمدائن ، وأقبل المسلمون حتى نزلوا على شط دجلة بإزاء المدائن ، فمسكروا هناك ، وأقاموا فيه ثمانية وعشرين شهرا ، حتى أكلوا الرطب مرتين ، وضَحَّوْا أَضْحِيَّتَيْنِ ، فلما طال ذلك على أهل السواد صالحه عامة الدهاقين بتلك الناحية .

ولما رأى يَزْدَجَرْدُ ذلك جمع إليه عظماء مَرازيقه ، فقسَّم عليهم بيوت أمواله وخزائنه ، وكتب عليهم بها القَبَالَات ^(١) ، وقال : إن ذهب ملكنا ، فأنتم أحق به ، وإن رجع رددتموه علينا ، ثم تحمّل في حُرْمه وحَشَمِه ، وخاصّة أهل بيته ، حتى أتى حُلوان ^(٢) ، فنزلها ، ووَلَّى خُرَزَاد بن هُرْمُزُ أخا رستم المقتول بالقادسيّة . الحرب ، وخلفه بالمدائن .

وبلغ ذلك سمدا ، فتأهَّب ، وأمر أصحابه أن يَتَقَتَّحُمُوا دجلة ، وأبتدأ ، فقال باسم الله ، ودفع فرسه فيها ، ودفع الناس ، فَسَلِمُوا عن آخرهم إلا رجلا غرق ، وكان على فرس شقراء ^(٣) ، فخرجت الفرس تنفض عُرقُها ، وغرق راكبها ، وكان من طيء ، يسمى سُلَيْك بن عبد الله ؛ فقال سَلْمَان ، وكان حاضرا يومئذ : يا معشر المسلمين ، إن الله ذلَّل لكم البحر ، كما ذلَّل لكم البرّ ، أما والذي نفس سَلْمَان بيده ، لِيُغَيِّرُنَّ فيه ، وَلِيُبَدِّلُنَّ .

قالوا : ولما نظرت الفرس إلى العرب قد أقحموا دوابهم الماء وهم يعبرون ، تنادوا « ديوان آمدند ، ديوان آمدند » ^(٤) ، فخرج خُرَزَاد في الخيل حتى وقف على الشريعة ، ونادى : يا معشر العرب ، البحر بحرنا ، فليس لكم أن تقهجموه علينا . وأقبلوا يرمون العرب بالنشاب ، واقتحم منهم ناس كثير الماء ، فقاتلوا ساعة ،

(١) القبالات جمع قبالة بفتح القاف وهو أن يتقبل العامل بخراج أو جباية أكثر مما أعطى ، وفي حديث ابن عباس : لما تم والقبالات فإنها صنار وفضلها ربا .

(٢) حلوان مدينة قديمة في العراق المعجمي فتحها العرب سنة ٦٤٠ وأحرقها السلجوقيون سنة ١٠٤٦ . (٣) في الأصل أشقر . (٤) جملة فارسية معناها : جاء الشياطين .

وكاثرتهم العرب ، فخرجت الفرس من الشريعة ، وخرج المسلمون ، وقاتلوهم مليا ؛
وانهزمت المعجم حتى دخلت المدائن ، فتحصنوا فيها ، وأناخ المسلمون عليهم ممالي
دجلة ؛ فلما نظر خرزاد إلى ذلك خرج من الباب الشرق ليلا في جنوده نحو جلولاء ،
وأخلى المدائن ، فدخلها المسلمون ، فأصابوا فيها غنائم كثيرة ، ووقعوا على كافور^(١)
كثير ، فظنوه ملجأ ، فحملوه في خبزهم ، فأمر عليهم .

٥

وقال مخنف بن سليم : لقد سمعت في ذلك اليوم رجلا ينادي : من يأخذ صحيفة
هراء بصحفة بيضاء . لصحفة من ذهب لا يعلم ما هي .

وكتب سعد إلى عمر رضي الله عنه بالفتح ، وأقبل عالج^(٢) من أهل المدائن إلى
سعد ، فقال : أنا أدلكم على طريق ، تدركون فيه القوم قبل أن يبعثوا في السير .
فقدمه سعد أمامه ، واتبعته الخيل ، فقطع بهم مخاض وصحارى .

١٠

[موقعة جلولاء]

ثم إن خرزاد لما انتهى إلى جلولاء أقام بها ، وكتب إلى يزيد جرد ، وهو بجلوان ،
يسأله المدد ، فأمدّه ، فخندق على نفسه ، ووجهوا بالذراري والأثقال إلى خاتين^(٣) ،
ووجه سعد إليهم بخيل ، وولى عليها عمرو بن مالك بن نجبة بن نوفل بن وهب بن
عبد مناف بن زهرة ؛ فسار حتى وافي جلولاء ، والمعجم مجتمعون قد خندقوا على
أنفسهم . فنزل المسلمون قريبا من معسكرهم ، وجعلت الأمداد تقدم على المعجم من
الجليل ، وأصبهان .

١٥

فلما رأى المسلمون ذلك قالوا للأمير عمرو بن مالك : « ما تنتظر بمناهضة القوم ،

(٥) الكافور : نبات له نور أبيض . (٦) العالج : الرجل من كفار المعجم .

(٢) جلولاء : مدينة في العراق على طريق خراسان ، وعندها انتصر العرب على جيش ملك
ساسان . (٣) خاتين : بلدة في العراق على الطريق بين بغداد وخراسان على نهر خلوان تشاي
وفيها اعتقل ومات النعمان الخامس ملك الحيرة على عهد كسرى الثاني ، وعندها حدثت وقعة بين
الفرس والعرب .

وهم كل يوم في زيادة؟ » . فكتب إلى سعد بن وقاص يعلمه ذلك ، ويستأذنه في مناجزة القوم ، فأذن له سعد ، ووجه إليه قيس بن هبيرة مددا في ألف رجل ، أربعمائة فارس ، وستمائة راجل .

وبلغ المعجم أن العرب قد أتاها المدد ، فتأهبوا للحرب ، وخرجوا ؛ ونهض إليهم عمرو بن مالك في المسلمين ، وعلى ميمنته حُجْر بن عدي ، وعلى ميسرته زهير بن جويئة ، وعلى الخيل عمرو بن معدى كرب ، وعلى الرجال طليحة بن خويلد ؛ فتزاحف الفريقان ، وصبر بعضهم لبعض ، فتراموا بالسهم حتى أنفدوها ، وتطاعنوا بالرماح حتى كسروها ، ثم أفضوا إلى السيوف وعمد الحديد ؛ فاقتتلوا يومهم ذلك كله إلى الليل ؛ ولم يكن للمسلمين فيه صلاة إلا إيماء والتكبير ، حتى إذا اصفرَّت الشمس أنزل الله على المسلمين نصره ، وهزَمَ عدوهم ، فقتلهم إلى الليل ، وأغنمهم الله عسكرهم بما فيه .

فقال محقن بن ثعلبة ، فدخلت في معسكرهم إلى فسطاط ، فإذا أنا بجارية على سرير في جوف الفسطاط ، كأن وجهها دارة القمر ، فلما نظرت إلى فرعت وبكت ، فأخذتها ، وأتيت الأمير عمرو بن مالك ، فاستوهبته إياها ، فوهبها لي ، فاتخذتها أم ولد .

وأصاب خارجة بن الصلت في فسطاط من فساطيطهم ناقة من ذهب مؤشجة بالؤلؤ والدُرَّ الفارد^(١) ، والياقوت ، عليها تمثال رجل من ذهب ، وكانت على كبر الطيبة ، فدفعها إلى المتولى لقبض الغنائم .

قال : ومرت الفرس على وجوها ، لا تلوى على شيء حتى انتهت إلى يز دجرد ، وهو بخلوان ، فسقط في يديه ، فتحمل بحرمه وحشمه وما كان معه من أمواله وخزائنه حتى نزل « قم »^(٢) و « قاشان » .

(١) منقطع النظير ، لا مثل له في جودته .

(٢) مدينة بين أصفهان وساعة ، وتذكر دائما مع قاشان ، وبينهما اثنا عشر فرسخا ، وكل أهلها حاليا شيعة إمامية ، ويقال إن آبار قم ليس في الأرض مثلها عذوبة وبردا .

وأصاب المسلمون يوم جَلُولَاء غنيمة لم يغنموا مثلها قط ، وسبوا سَبِيًّا كثيرا من بنات أحرار فارس ؛ فذكروا أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه كان يقول : اللهم إني أعوذ بك من أولاد سبايا الجَلُولِيَّات . فأدرك أبناؤهن قتال صِقِينَ ، فخلف عمرو بن مالك بجَلُولَاء جرير بن عبد الله البَجَلِيَّ في أربعة آلاف فارس مَسَاحَة بها ، ليردوا المعجم عن نفوذها إلى ما يلي العراق ، وسار ببقية المسلمين حتى وافي سعد بن أبي وقاص ، وهو مُقيم بالمدائن ، فارتحل سعد بالناس حتى ورد الكوفة ، وكتب إلى عمر رضى الله عنه بالفتح ، وأقام سعداً أميراً على الكوفة وجميع السواد ثلاث سنين ونصفاً ، ثم عزله عمر ، وولّى مكانه عَمَّار بن ياسر على الحرب ، وعبد الله بن مسعود على القضاء ، وعمرو بن حُنيف على الخراج .

قالوا : ولما انتهت هزيمة المعجم إلى حُلَوان ، وخرج يَزْدَجَرْد هارباً حتى نزل « قُم » و « قَاشَان » ومعه عطاء أهل بيته وأشرافهم ، قال له رجل من خاصته وأهل بيته ، يسمى هُرْمُزَان ، وكان خال شِيرُويَّة بن كسرى أبرويز : أيها الملك إن العرب قد اقتحمت عليك من هذه الناحية ، يعنى حُلَوان ، ولهم جمع بناحية الأهواز ، ليس في وجوههم أحد يردهم ، ولا يمنعهم من العيث والفساد ، يعنى خيل أبي موسى الأشمريّ ومن كان معه . قال يَزْدَجَرْد : فما الرأي ؟ قال الهرمزان : الرأي أن توجهني إلى تلك الناحية ، فأجمع إلى المعجم ، وأكون رِدْءاً في ذلك الوجه ، وأجمع لك الأموال من فارس والأهواز ، وأجملها إليك ، لتتقوى بها على حرب أعدائك ؛ فأعجبه ذلك من قوله ، وعَقَدَ له على الأهواز وفارس ، ووَجَّهَ معه جيشاً كثيفاً .

[يوم مدينة تُسْتَر]

فأقبل الهرمزان حتى وافى مدينة تُسْتَر^(١)، فنزلها، ورم حصنها، وجمع الميرة فيها
لحصار، إن رَهَقَه^(٢)، وأرسل فيها يليه يستنجدهم، فوافاه بشر عظيم، فكتب أبو
موسى إلى عمر، يخبره الخبر، فكتب عمر رضى الله عنه إلى عمار بن ياسر، يأمره أن
يوجه النعمان بن مُقَرَّن في ألف رجل من المسلمين إلى أبي موسى، فكتب عمار إلى
جرير، وكان مقبلاً بجلولاء، يأمره باللاحاق بأبي موسى، فخلف جرير بجلولاء عروة
ابن قيس البجلي في ألفي رجل من العرب، وسار ببقية الناس حتى لحق بأبي موسى،
فكتب أبو موسى إلى عمر يستزيده من المدد، فكتب عمر إلى عمار يأمره أن يستخلف
عبد الله بن مسعود على الكوفة في نصف الناس، ويسير بالنصف الآخر حتى يلحق
بأبي موسى، فسار عمار حتى ورد على أبي موسى، وقد وافاه جرير من ناحية
جلولاء.

فلما توافت العساكر عند أبي موسى ارتحل بالناس، وسار حتى أناخ على تُسْتَر،
وتحصن الهرمزان منه في المدينة، ثم تأهب للحرب، وخرج إلى أبي موسى؛ وعبي
أبو موسى المسلمين، فجعل على ميمنته البراء بن مالك أخا أنس بن مالك، وعلى ميسرته
مجزأة بن ثور البكري، وعلى جميع الناس أنس بن مالك، وعلى الرجال سلمة بن
رجاء.

وتزاحف الفريقان فاقتتلوا قتالا شديدا، حتى كثرت القتلى بين الفريقين، ثم
أنزل الله نصره، فانهمزمت الأعاجم حتى دخلوا مدينة تُسْتَر، فتحصنوا بها؛ وقتل
البراء بن مالك ومجزأة بن ثور، وقتل من الأعاجم في المعركة ألف رجل، وأسر
منهم ستمائة أسير، فقدمهم أبو موسى، فضرب أعناقهم.

(١) أعظم مدينة بخوزستان، معرب شوشتر، ومعناه التفضيل في الطيب والزهة، وهي مركز
بجاري هام، وسكانها شيعيون من العرب والإيرانيين، وقد سميت بلدهم « دار المؤمنين » لشدة
ورعهم. وإليها ينسب سهل التستري من علماء الصوفية. (٢) غشيه وأرهقه.

وأقام المسلمون على باب مدينة تُسْتَرَأَيَا كثيرة ، وحاصروا المعجم بها ، فخرج ذات ليلة رجل من أشرف أهل المدينة ، فأتى أبا موسى مُسْتَسِرًّا ، فقال « تَوَمَّنِي على نفسي وأهلي وولدي ومالي وضياعي حتى أعمل في أخذك المدينة عَنَوَةً ؟ قال أبو موسى : إن فعلت فلك ذلك . قال الرجل ، وكان اسمه سَيْنَةَ : ابعت مي رجلا من أصحابك . فقال أبو موسى : من رجل يَشْرِي نفسه ، ويدخل مع هذا المعجمي مدخلا لا آمن عليه فيه الهلاك ، ولعل الله أن يسلمه ، فإن يهلك فإلى الجنة . وإن يسلم عَمَّتْ منفعته جميع الناس ؟ .

فقام رجل من بني شيبان ، يقال له « الأشرس بن عوف » ، فقال : أنا . فقال أبو موسى « امض ، كلاك الله » . فمضى حتى خاض به دُجَيْل ^(١) ، ثم أخرجه من سَرَب ^(٢) حتى انتهى به إلى داره ، ثم أخرجه من داره ، وألقى عليه طَيْلَسَانَا ^(٣) ، وقال : امش ورائي كأنك من خدي . ففعل ، فجعل سينة يمر به في أقطار المدينة طولا وعرضا ، حتى انتهى به إلى الأحراس الذين يحرسون أبواب المدينة ، ثم انطلق حتى مرَّ به على الهرُمان ، وهو على باب قصره ، ومعه ناس من مَرَازِبَتِهِ ، وشمع أمامه ، حتى نظر الرجل إلى جميع ذلك ، ثم انصرف إلى داره ، وأخرجه من ذلك السرب ، حتى أتى به أبا موسى ، فأخبره الأشرس بجميع ما رأى ، وقال : وجّه مي مائتي رجل حتى أقصد بهم الحرس ، فأقتلهم ، وأفتح لك الباب ، ووافنا أنت بجميع الناس .

فقال أبو موسى : من يشتري نفسه لله ، فيمضي مع الأشرس ؟ . فانتدب مائتا رجل ، فمضوا مع الأشرس وسينة حتى دخلوا من ذلك النقب ، وخرجوا في دار سينة ، وتأهبوا للحرب ، ثم خرجوا والأشرس أمامهم ، حتى انتهوا إلى باب المدينة ؛ وأقبل أبو موسى في جميع الناس حتى وافوا الباب من خارج ؛ وأقبل

(١) نهر صغير متشعب من دجلة .

(٢) السرب حفير تحت الأرض أو القناة الجوفاء التي يدخل منها الماء .

(٣) معرب من الفارسية ، وهو نوع من الأكسية أسود اللون .

الأشرس وأصحابه حتى أتوا الأحراس، فوضعوا فيهم السيوف، وتداعى الناس، وأسندوا ظهورهم إلى حائط السور، وأبو موسى وأصحابه يُكَبِّرُونَ لتشتدّ بذلك ظهورهم، وأفضى أصحاب الأشرس إلى الباب، فضربوا القفل حتى كسروه، وفتحوا الباب، ودخل أبو موسى والسلمون، فوضعوا فيهم السيوف، وهرب الهرمزان في عظماء مَرَّازِبَتِهِ حتى دخلوا الحصن الذى فى جوف المدينة، وأخذ أبو موسى المدينة بما فيها وحاصروا الهرمزان حتى فنى ما كان أعدّ فى الحصن من الميرة، ثم سأل الأمان، فقال أبو موسى: أومِنِكَ على حكم أمير المؤمنين. فرضى بذلك، وخرج فيمن كان معه من أهل بيته ومرّازبته إلى أبي موسى، فوجّه به وبهم أبو موسى إلى عمر رضى الله عنه، ووجه معه ثلاثمائة رجل، وأمر عليهم أنس بن مالك، فساروا حتى انتهوا إلى ماء يُقال له « السَّمِينَةُ »^(١)، فأقبل أهل الماء يمدّونهم من النزول خوفاً من أن يُفَنِّوا ماءهم، فلما علموا أن أنسا صاحب القوم جاءوهم، فنزلوا، فقال رجل من أصحاب أنس لأنس: أخبر أمير المؤمنين بما صنع هؤلاء بنا، ليخرجوهم من هذا الماء. قال الهرمزان: وإن أراد مرید أن يُحوّلهم إلى مكان شرّ منه، هل كان يجده؟

ثم ساروا حتى وافوا المدينة، فأتوا دار عمر، وقد زينوا الهرمزان بقبائه^(٢) ومنطقته وسيفه وسواريه وتوأمتيه^(٣)، وكذلك من كان معه، لينظر عمر رضى الله عنه إلى زى الملوك والمرّازبة وهيئتهم، فكان من خبره ما هو مشهور.

وانصرف عمار بن ياسر فيمن كان معه من أصحابه إلى أوطانهم بالكوفة، وسار أبو موسى من تُسْتَر، حتى أتوا السوس^(٤)، فحاصرها، فسأله مزربانها أن يُؤمّنَه فى ثمانين رجلاً من أهل بيته وخاصّة أصحابه، فأجابته إلى ذلك؛ فخرج إليه، فعد ثمانين رجلاً، ولم يعد نفسه فيهم فأمر أبو موسى به، فضربت عنقه، وأطلق الثمانين الذين عدّهم، ثم دخل المدينة، فغنم ما فيها، ثم بعث منجّوف بن ثور إلى

(١) ماء لبنى الهجيم، تصغير سمّة: أول منزل من النجاج لقاصد البصرة

(٢) نوع من الثياب تجمع أطرافه. (٣) درتان الأدبى إحداهما نوأمة الأخرى.

(٤) بلدة بخوزستان.

- مِهْرَجَان قَدَق^(١) ، فافتتحها ، ومعه السائب بن الأقرع ، فانتفى السائب إلى قصر الهرمزان صاحب تُستر ، وكان موطنه الصَّيْمَرَة ، فدخل القصر ، وكان من المدينة على ميل ، فنظر في بعض البيوت إلى تمثال في الحائط مَادٍ إصبعه مُصَوَّبًا إلى الأرض ؛ فقال السائب « ما سُوبَّتْ إصْبَعُ هذا التمثال إلى هذا المكان إلا لأمر ، احفروا هاهنا » فحفروا ، فأصابوا سفطا^(٢) ، كان للهرمزان مملوءا جوهرا ، فاحتبس منه السائب فصّ خاتم ، وسرَّحَ بالباقي إلى أبي موسى ، وأعلمه أنه أخذ منه فصّا ، فسأله أن يهبه له ؛ ففعل أبو موسى ، ووجه بالسفط إلى عمر رضى الله عنه ، فأرسل عمر إلى الهرمزان ، وقال : « هل تعرف هذا السفط ؟ » فقال : « نعم ، أفقد منه فصّا » قال عمر : « إن صاحب المقسم استوثبه ، فوهبه له أبو موسى » ، فقال : « إن صاحبكم لبصير بالجواهر » .
- ثم إن عمر ولي عثمان بن أبي العاص أرض البحرين ، فلما بلغه فتح الأهواز سار بمن كان معه حتى أوغل في أرض فارس ، فنزل مكانا يسمى « تَوَجَّ »^(٣) فصيروه دار هجرة ، وبنى مسجدا جامعا ؛ فكان يحارب أهل أَرْدَشِير ، حتى غلب على طائفة من أرضهم ، وغلب على ناحية من بلاد سَابُور ، وبلاد إصْطَخَر ، وأَرَجَان ، فكث بذلك حَوْلًا ، ثم خلف أخاه الحَكَم بن أبي العاص على أصحابه ولحق بالدينة .
- وإن مرزبان فارس جَمَعَ جُمُوعًا عظيمة ، وزحف إلى الحَكَم ، فظفر به الحَكَم ، فقتله ، وكان اسمه « سَهْرُك » .

[وقعة نهاوند]

- ثم كانت وقعة نهاوند^(٤) سنة إحدى وعشرين [٦٤١ م] ؛ وذلك أن العجم لما قَتَلُوا بِجَلُولَاء ، وهرب يَزْدَجَرْد ، فصار بَقْمٌ ، ووجَّهَ رسله في البلاد يستجيش ، فغضب له أهل مملكته ، فتَحَلَّبت^(٥) إليه الأعاجم من أقطار البلاد ،
- (١) كورة حسنة واسعة ، ذات مدن وقرى ، قرب الصيمرة من نواحي الجبال ، عن يمين القاصد من حلوان العراق إلى همدان .
- (٢) السفط كالجوالق ، يعي فيه الطيب وما أشبهه من أدوات النساء .
- (٣) مدينة بفارس ، شديدة الحر ، قريبة من كازرون .
- (٤) مدينة عظيمة من أقدم المدن في الجبل ، وبها آثار حسنة للفرس ، وفي وسطها حصن عجيب البناء ، على السمك ، وبها قبور جماعة من الشهداء .
- (٥) جاءوا من كل أوب للنصرة .

فأتاه أهل قُومِسَ ، وطَبْرِسْتَان ، وَجُرْجَان ، وَدُنْبَاوَنْد ، والرَّيِّ ، وَأَصْبَهَان ، وَهَمْدَان ،
والمَاهِين ، واجتمعت عنده جموع عظيمة ، فَوَلَّى أمرهم مَرْدَان شاه بن هُرْمُز ،
وَوَجَّههم إلى نَهَاوَنْد .

وكتب عَمَّار بن يَاسِر إلى عمر بن الخطاب بذلك ، فخرج عمر بن الخطاب
رضي الله عنه ، ويده الكتاب حتى صعد المنبر ، فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال :
« يا معشر العرب ، إنَّ الله أَيْدَكُم بالإسلام ، وَأَلْفَ بَيْنَكُم بعد الفُرْقَةِ ،
وَأَغْنَاكُم بعد الفَاقَةِ ، وَأَظْفَرَكُم في كلِّ مَوْطِنٍ لقيتم فيه عدوَّكُم ، فلم تُفَلَّوْا ،
ولم تُغْلَبُوا ، وإنَّ الشيطان قد جمع جموعاً لِيُطْفِئَ نور الله ، وهذا كتاب عَمَّار
ابن يَاسِر ، يَذْكُرُ أَنَّ أَهْلَ قُومِسَ وَطَبْرِسْتَان وَدُنْبَاوَنْد وَجُرْجَان والرَّيِّ وَأَصْبَهَان
وَقُمِّ وَهَمْدَان والمَاهِين وَمَاسَبَذَان قد أَجْفَلُوا ^(١) إلى مَلِكهم ، ليسيروا إلى إخوانكم
بالكوفة والبصرة حتى يطردوهم من أرضهم ، وينزوكم في بلادكم ، فَأَشِيرُوا عَلَيَّ » .

فكَلَّمَ طَلْحَةَ بن عُبَيْد الله ، فقال : « يا أمير المؤمنين ، إنَّ الأمور
قد خَنَكَّتْكَ ، وإنَّ الدُّهُور قد جَرَّبَتْكَ ، وَأَنْتَ الْوَالِي ، فَمَرُّنَا نَطِيع ،
وَاسْتَنْهَضْنَا نَهَضٌ » . ثم تكَلَّمَ عثمان بن عفَّان ، فقال : « يا أمير المؤمنين ،
اكتب إلى أهل الشام ، فيسيروا من شامهم ؛ وإلى أهل اليمن ، فيسيروا من
يمنهم ؛ وإلى أهل البصرة ، فيسيروا من بصرتهم ؛ وَسِرُّ أَنْتَ بِأَهْلِ هَذَا الْحَرَمِ حَتَّى
تَوَافِيَ الْكُوفَةَ ، وَقَدْ وَافَاكَ الْمُسْلِمُونَ مِنْ أَقْطَارِ أَرْضِهِمْ وَآفَاقِ بِلَادِهِمْ ، فَإِنَّكَ إِذَا
فَعَلْتَ ذَلِكَ كُنْتَ أَكْثَرَهُمْ جَمْعًا وَأَعَزَّ نَفَرًا » .

فقال المسلمون من كلِّ ناحية « صَدَقَ عُثْمَان » ، فقال عمر لعلي رضي الله عنهما :
« مَا تَقُولُ أَنْتَ يَا أَبَا الْحَسَنِ ؟ » ، فقال علي رضي الله عنه : « إِنَّكَ إِنْ أَشْخَصْتَ
أَهْلَ الشَّامِ مِنْ شَامِهِمْ سَارَتْ الرُّومُ إِلَى ذَرَارِيِّهِمْ ، وَإِنْ سَيَّرْتَ أَهْلَ الْيَمَنِ مِنْ يَمَنِهِمْ
خَلَفَتْ الْحَبَشَةُ عَلَى أَرْضِهِمْ ، وَإِنْ شَخَصْتَ أَنْتَ مِنْ هَذَا الْحَرَمِ انْتَقَضَتْ عَلَيْكَ

الأرض من أقطارها ، حتى يكون ما تدع وراءك من العيالات أهمّ إليك مما قدّامك ، وإنّ العجم إذا رأوك عيانا قالوا ، هذا ملك العرب كلها ، فكان أشدّ لقتالهم ؛ وإنّا لم نقاتل الناس على عهد نبيّنا صلى الله عليه وسلم ولا بعده بالكثرة ، بل اكتب إلى أهل الشام أن يُقيم منهم بشامهم الثلثان ، ويشخص الثلث ، وكذلك إلى عمّان ، وكذلك سائر الأمصار والكُور .

فقال عمر : هو الرأى الذى كنت رأيت ، ولكنى أحببت أن تتأبّعونى عليه ، فكتب بذلك إلى الأمصار ، ثم قال : لأولين الحرب رجلا يكون غداً لأُسنة القوم جزراً^(١) . فولى الأمر النعمان بن مقرّن المزنى ، وكان من خيار أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكان على خراج كسكر ، فدعا عمر السائب بن الأقرع ، فدفع إليه عهد النعمان بن مقرّن ، وقال له : إن قُتل النعمان فولى الأمر حذيفة بن اليمان ، وإن قُتل حذيفة فولى الأمر جرير بن عبد الله البجليّ ، وإن قُتل جرير فالأمير المغيرة ابن شعبه ، وإن قُتل المغيرة فالأمير الأشعث بن قيس .

وكتب إلى النعمان بن مقرّن « إن قبلك رجلين هما فارسا العرب : عمرو بن معدى كرب ، وطلحة بن خويلد فشاورهما فى الحرب ، ولا تولّهما شيئا من الأمر » ، ثم قال للسائب : إن أظفر الله المسلمين فتولّ أمر المغنم ، ولا ترفع إلى باطلا ، وإن يهلك ذلك الجيش فأذهب ، فلا أرينك .

فسار السائب حتى ورد الكوفة ودفع إلى النعمان عهده ، ووافى الأمداد ، وخلف أبو موسى بالبصرة ثلثى الناس ، وسار بالثلث الآخر حتى وافى الكوفة ، فتجهّز الناس ، وساروا إلى نهاوند ، فزلوا بمكان يسمّى « الإسفيدهان »^(٢) من مدينة نهاوند على ثلاثة فراسخ ، قرب قرية يقال لها « قديسجان » ، وأقبلت الأعاجم يقودها مردان شاه بن هرمزد ، حتى عسكروا قريبا من عسكر المسلمين ، وخندقوا على أنفسهم ، وأقام الفريقان بمكانهما ، فقال النعمان لعمر وطلحة : « ما تريان ؟

(١) الجزر : القطع والاستئصال .

(٢) كذا فى الأصل ، والصواب « أسفيدبان » واحدة من قرى أصبهان .

فإن هؤلاء القوم قد أقاموا بكانهم لا يخرجون منه ، وأمدادهم تترى عليهم كل يوم »
فقال عمرو : « الرأى أن تشيع أن أمير المؤمنين توفى ، ثم ترحل بجميع من معك ،
فإن القوم إذا بلغهم ذلك طلبونا فنقف لهم عند ذلك » ، ففعل النعمان ذلك ،
وتباشرت الأعاجم ، وخرجوا في آثار المسلمين ، حتى إذا قاربوهم وقفوا لهم ،
ثم تراحفوا ، فاقتتلوا ، فلم يُسمع إلا وقع الحديد على الحديد ، وكثرت القتلى
من الفريقين ، وحال بينهما الليل ، فانصرف كل فريق إلى معسكرهم ؛ وبات
المسلمون لهم أنين من الجراح ، ثم أصبحوا ، وذلك يوم الأربعاء ، فتراحفوا ،
واقتلوا يومهم كله ، وصبر الفريقان ، ثم كان ذلك دأبهم يوم الخميس ، وتراحفوا
يوم الجمعة ، وتوافقوا ، وركب النعمان بن مقرن برذونا أشهب ،
ولبس ثياباً بيضاء ، وسار بين الصفوف ، يذمر المسلمين ، ويحضرهم ، وجعل ينتظر
الساعة التي كان الرسول صلى الله عليه وسلم يُقاتل فيها ، ويستنزِل النصر ،
وهي زوال النهار ، ومهبّ الرياح ، وسار في الرايات يقول لهم : « إني هاز لكم
الراية ثلاثاً ، فإن هزرتها أول مرة فليشدّ كل رجل منكم حزام فرسه ، وليستلم
شكّته ، فإذا هزرتها الثانية فصوبوا رماحكم ، وهزوا سيوفكم ، فإذا هزرتها
الثالثة ، فكبروا ، واحملوا ، فإني حامل » .

فلما زالت الشمس بأذن صلّوا ركعتين ركعتين ، ووقف ، ونظر الناس إلى
الراية ، فلما هزّها الثالثة كبروا ، وحملوا ، فانتقضت صفوف الأعاجم ، وكان
النعمان أول قتيل ، فحمّله أخوه سويد بن مقرن إلى فسطاطه ، فخلع ثيابه ،
فلبسها ، وتقلّد سيفه ، وركب فرسه ، فلم يشك أكثر الناس أنه النعمان ،
وثبتوا ، يُقاتلون عدوهم ، ثم أنزل الله نصره ، وانهزمت الأعاجم ، فذهبت على
وجوهها ، حتى صاروا إلى قرية من نهاوند على فرسخين ، تسمى « دزيريد »
فنزّلوها لأن حصن نهاوند لم يسمعهم ؛ وأقبل حذيفة بن اليمان ، وقد كان تولى
الأمر بعد النعمان ، حتى أناخ عليهم ؛ فحاصرهم بها .

قال : وإنهم خرجوا ذات يوم مستعدين للحرب ، فقاتلهم المسلمون ،
فانهزموا الأعاجم ، وانقطع عظيم من عظمائهم يسمى « دينار » فقال المسلمون بينه
وبين الدخول إلى الحصن ، واتبعه رجل من عبس ، يسمى « سمالك بن عبيد »
فقتل قوماً كانوا معه ، واستسلم له الفارس ، فاستأسره سمالك ، فقال لسمالك :
« انطلق بي إلى أميركم ، فأني صاحب هذه الكورة ، لأصلحه على هذه الأرض ،
وأفتح له باب الحصن » ، فانطلق به إلى حذيفة ، فصالحه حذيفة عليها ،
وكتب له بذلك كتاباً .

فأقبل دينار حتى وقف على باب حصن نهاوند ، ونادى من فيه « افتحوا باب
الحصن ، وانزلوا ، فقد آمنكم الأمير ، وصالحني على أرضكم » . فنزلوا إليه ، فبذلك
سميت « ماء دينار » . وأقبل رجل من أشراف تلك البلاد إلى السائب بن الأقرع ،
وكان على المغانم ، فقال له « أتصالحني على ضياعي ، وتؤمنني على أموالى ، حتى أدلك
على كنز لا يذرى ما قدره ، فيكون خالصاً لأمركم الأعظم ، لأنه شيء لم يؤخذ في
الغنيمة » .

وكان سبب هذا الكنز أن النخارجان الذي كان يوم القادسية أقبل بالمدد ،
فألحق المعجم قد انهزموا ، فوقف ، فقاتل حتى قتل ، وكان من أعظم الأعاجم ،
وكان كريماً على كسرى أبرويز ، وكانت له امرأة من [أكل] ^(١) النساء جمالاً ، وكانت
تختلف إلى كسرى ، فبلغ النخارجان ذلك ، فرفضها ، فلم يقربها ، وبلغ ذلك
كسرى ، فقال يوماً للنخارجان وقد دخل عليه مع العطاء والأشراف : « بلغنى أن لك
عينا عذبة الماء ، وأنت لا تشرب منها » . فقال النخارجان « أيها الملك ، بلغنى أن
الأسد ينتاب تلك العين ، فاجتنبها مخافة الأسد » فاستحلى كسرى جواب
النخارجان ، وعجب من فطنته ، فدخل دار نسائه ، وكانت له ثلاثة آلاف امرأة
لفراشه ، فجمعهن وأخذ ما كان عليهن من حلى ، فجمعه ، ودفعه إلى امرأة النخارجان ،

(١) في الأصل أجل .

ودعا بالصاغة ، فاتخذوا للنخارجان تاجا من ذهب مكللا بالجواهر الثمين ، فتوجه به ، فبقى ذلك التاج وتلك الحلى عند ولد بنى المرأة ؛ فلما وقعت الحرب بناحيتهما ساروا به إلى قرية لأبيهم ، سميت باسمه ، يقال لها « الخوارجان » وفيها بيت نار ، فاقتلوا الكانون^(١) ودفنوا الحلى تحته ، وأعادوا الكانون كهيئته .

فقال له السائب : إن كنت صادقا فأت آمن على أولادك وضياحك وأهلك وولدك ؛ فانطلق به حتى استخرجه في سفطين : أحدهما التاج ، والآخر الحلى .

فلما قسم السائب الغنائم بين من حضر القتال ، وفرغ حمل السفطين في خرجين على ناقته ، وقدم بهما على عمر بن الخطاب رضى الله عنه ، فكان من أمرهما الخبر المشهور ، اشتراها عمرو بن الحارث بعماء المقاتلة والذرية جميعا ، ثم حملهما إلى الحيرة فباع بفضل كثير ، واعتقد بذلك أموالا بالعراق ، وكان أول قرشى اعتقد بالعراق ، فقال عروة بن زيد الخيل يذكر أباهم :

أَلَا طَرَقَتْ رَحْلِي وَقَدْ نَامَ صُحْبَتِي	يَا بَوَانَ سِيرِينَ الْمَزْخَرَفِ خُلَّتِي
وَلَوْ شَهِدَتْ يَوْمِي جُلُولاَءَ حَرْبَنَا	وَيَوْمَ نَهَاوَنَدَ الْمَهُولِ اسْتَهَلَّتْ
إِذَا لَرَأْتُ ضَرْبَ امْرِئٍ غَيْرِ خَامِلٍ	مُجِيدٍ بِطَعْنِ الرُّمَحِ أَرْوَعَ مِصْلَتِ
وَلَمَّا دَعَوْا يَا عُرْوَةَ بْنَ مُهْلِلٍ	ضَرَبْتُ جُمُوعَ الْفُرْسِ حَتَّى تَوَلَّتْ
دَفَعْتُ عَلَيْهِمْ رَحْلَتِي وَفَوَارِسِي	وَجَرَدْتُ سَيْفِي فِيهِمْ ثُمَّ أَلَّتِي
وَكَمْ مِنْ عَدُوٍّ أَشْوَسَ مُتَعَرِّدٍ	عَلَيْهِ بِخَيْلِي فِي الْهَيْاجِ أَظَلَّتْ
وَكَمْ كُرْبَةٍ فَرَجْتُهَا وَكَرْبَةٍ	شَدَدْتُ لَهَا أَزْرِي إِلَى أَنْ تَجَلَّتْ
وَقَدْ أَضْحَتِ الدُّنْيَا لَدَى ذِمِّمَةٍ	وَسَايْتُ عَنْهَا النَّفْسَ حَتَّى تَسَلَّتْ
وَأَصْبَحَ هَمِّي فِي الْجِهَادِ وَنَيْتِي	فَلِلَّهِ نَفْسٌ أَدْبَرَتْ وَتَوَلَّتْ
فَلَا ثَرْوَةَ الدُّنْيَا نُرِيدُ اكْتِسَابَهَا	أَلَا إِنَّهَا عَنْ وَفَرَهَا قَدْ تَحَلَّتْ
وَمَاذَا أَرْجَى مِنْ كُنُوزٍ جَمَعْتُهَا	وَهَذِي الْمَنَايَا شُرْعًا قَدْ أَظَلَّتْ

[ولاية عثمان بن عفان]

وتوفي عمر بن الخطاب رضى الله عنه يوم الجمعة لأربع ليالٍ بقين من ذى الحجة سنة ثلاث وعشرين ، وكانت خلافته عشر سنين وستة أشهر ، واستخلف عثمان ابن عفان ، فعزل عمار بن ياسر عن الكوفة ، وولى الوليد بن عقبة بن أبي معيط ، وكان أخا عثمان لأمه ، أمهما أروى بنت أم حكيم بن عبد المطلب بن هاشم ، وعزل أبا موسى الأشعري عن البصرة ، وولاها عبد الله بن عامر بن كرز ، وكان ابن خال عثمان ، وكان حدث السن ، واستعمل عمرو بن العاص على حرب مصر ، واستعمل عبد الله بن أبي سرح على خراجها ، وكان أخاه من الرضاة ، ثم عزل عمرو بن العاص ، وجمع الحرب والخراج لعبد الله بن أبي سرح .

[الفتوحات في عهد عثمان]

ثم كانت غزوة سابور من أرض فارس ، وافتتاحها . وأميرها عثمان بن أبي العاص ، ثم كان فتح إفريقية سنة تسع وعشرين ، وأميرها عبد الله بن أبي سرح ، ثم كان فتح قبرس ، وأميرها معاوية بن أبي سفيان .
ثم إن أهل إصطخر نزعوا يداً من الطاعة ، وقدمها يزديجرد الملك في جمع من الأعاجم ، فسار إليهم عثمان بن أبي العاص وعبد الله بن عامر ، فكان الظفر للمسلمين ، وهرب يزديجرد نحو خراسان ، فأتى مرو . فأخذ عامله بها ، وكان اسمه « ماهوية » بالأموال ، وقد كان ماهوية صاهر خاقان ملك الأتراك ، فلما تشدد عليه أرسل إلى خاقان يعلمه ذلك ، فأقبل خاقان في جنوده حتى عبر النهر مما يلي آموية ، ثم ركب الفازة حتى أتى مرو ، ففتح له ماهوية أبوابها ، وهرب يزديجرد على رجليه وحده ، فمشى مقدار فرسخين حتى انتهى في السحر إلى رعى فيها سراج يتقد ، فدخلها ، وقال للطحان : « آوئى عندك الليلة » قال الطحان : « اعطنى أربعة دراهم ، فإني أريد أن أدفعها إلى صاحب الرما^(١) ، فناوله سيفه

(١) الرما : الحجر العظيم ، وتكتب بالياء والألف .

ومنطقته ، وقال : « هذا لك » ، ففرش له الطحان كساءه ، فنام يَزْدَجِرْد
لما ناله من شِدَّةِ التَّعَبِ ، فلما استنقل نوماً قام إليه الطَّحَّانُ بمنقار الرَّحَا ، فقتله ،
وأخذ سَلَبَهُ (١) ، وألقاه في النهر .

ولما أصبح الناس تداعوا ، فأجلبوا على الأتراك من كلِّ وجه ، فخرج خاقان
مُنهزماً حتى أُوغِّلَ في المَفازة ، فطلبوا الملك فلم يجدوه ، فخرجوا يَتَفَوَّنُ أثره حتى
انتهوا إليه ، فوجدوه قتيلاً مطروحاً في الماء ، وأصابوا بزَّته عند الطَّحَّانِ .

وذلك في السنة السادسة من خلافة عثمان ، وهي سنة ثلاثين من التاريخ (٢) ،
فعند ذلك انقضى مُلك فارس ، وأرَّخُوا عليه تاريخهم الذي يكتبون به اليوم .
وهرب مأهوية حتى نزل أبرشهر مخافة أن يقتله أهل مرو ، فمات بها .

وسار عبد الله بن خازم السلمي إلى سَرَخَس (٣) ، فافتتحها أيضاً ؛ وسار عبد الله
ابن عامر إلى كَرْمَان وسِجِسْتَان ، فافتتحتها .

[بيعة على بن أبي طالب]

ثم قُتِلَ (٤) عثمان رضي الله عنه ، فلما قُتِلَ بقي الناس ثلاثة أيام بلا إمام ، وكان
الذي يُصَلِّي بالناس الغافقي ، ثم بايَعَ الناس عَلِيّاً رضي الله عنه ، فقال : « أيها
الناس ، بايعتموني على ما بُويعَ عليه من كان قبلي ، وإنما الخيار قبل أن تقع البيعة ،
فإذا وقعت فلا خيار ، وإنما على الإمام الاستقامة ، وعلى الرعية التسليم ، وإن هذه بيعة
عامة ، من رَدَّهَا رغب عن دين الإسلام ، وإنها لم تكن فلتة » .

ثم إن عَلِيّاً رضي الله عنه أظهر أنه يريد السير إلى العراق ، وكان على الشام يومئذ
معاوية بن أبي سفيان ، وَلِيَّهَا لعمر بن الخطاب سُبَعا ، ووليها جميع ولاية عثمان

(١) السلب : كل ما على الإنسان من اللباس .

(٢) سنة ثلاثين من التاريخ الهجري أي ٦٥٠ م

(٣) مدينة قديمة بين نيسابور ومرو ، في وسط الطريق ، وهي مدينة معطشة ، ليس بها ماء .

(٤) وكان قتله في ١٨ ذي الحجة سنة ٣٥ (٣١ مايو ٦٥٥ م) .

رضى الله عنه اثنتى عشرة سنة ، فواتاه الناس على السير إلا ثلاثة نفر : سعد بن أبي وقاص ، وعبد الله بن عمر بن الخطاب ، وعبد بن مسلمة الأنصارى .

وبعث على رضى الله عنه عُمّاله إلى الأمصار ، فاستعمل عثمان بن حُنيف على البصرة ، وعُمارة بن حسان على الكوفة ، وكانت له هجرة ، واستعمل عبد الله ابن عباس على جميع أرض اليمن ، واستعمل قيس بن سعد بن عبادة على مصر ، واستعمل سهل بن حُنيف على الشام .

فأما سهل فإنه لما انتهى إلى تبوك ، وهى تخوم أرض الشام استقبله خيل معاوية ، فردّوه ، فانصرف إلى على ، فلم على رضى الله عنه عند ذلك أن معاوية قد خالف ، وأن أهل الشام بايعوه .

١٠ وحضر الموسم ، فاستأذن الزبير وطلحة عليًا فى الحج ، فأذن لهما ، وقد كانت عائشة أم المؤمنين خرجت قبل ذلك مُعتمِرة ، وعثمان محصور ، وذلك قبل مقتله بمشرين يوما ، فلما قضت عُمرتها أقامت ، فوافاها الزبير وطلحة .

وكتب على بن أبى طالب إلى معاوية « أما بعد ، فقد بلغك الذى كان من مصاب عثمان رضى الله عنه ، واجتماع الناس على ومبايعتهم لى ، فادخل فى السلم أو ائذن بحرب » . وبعث الكتاب مع الحجاج بن غزيرة الأنصارى ، فلما قدم على معاوية ، وأوصل كتاب على إليه ، فقراءه ، فقال : « انصرف إلى صاحبك ، فإن كتابى مع رسولى على إترك » ، فانصرف الحجاج ، وأمر معاوية بطومارين^(١) ، فوصل أحدهما بالآخر ، ولُفا ، ولم يكتب فيهما شيئا إلا بسم الله الرحمن الرحيم ؛ وكتب على العنوان « من معاوية بن أبى سفيان إلى على بن أبى طالب » .

٢٠ ثم بعث به مع رجل من عبس ، له لسان وجسارة ، فقدم العبسى على على ، فناول الكتاب ، ففتحه ، فلم ير فلم فيه شيئا ، إلا بسم الله الرحمن الرحيم ، وعند على وجوه الناس .

(١) الطامور والطومار : الصحيفة .

فقام العباسي ، فقال : « أيها الناس ، هل فيكم أحد من عبس ؟ » قالوا : نعم . قال : فاسمعوا مني ، وافهموا عني ، إني قد خلقت بالشام خمسين ألف شيخ خاضبي لحام بدموع أعينهم تحت قيص عثمان ، رافعيه على أطراف الرماح ، قد عاهدوا الله ألا يَشِيمُوا^(١) سيوفهم حتى يقتلوا قتلته ، أو تلحق أرواحهم بالله .

فقام إليه خالد بن زفر العباسي ، فقال : بش لعمر الله وافد الشام أنت ، أتخوف المهاجرين والأنصار بجنود أهل الشام وبكائهم على قيص عثمان ، فوالله ما هو بقميص يوسف ولا بحزن يعقوب ، ولئن بكوا عليه بالشام ، فقد خذلوه بالمراق .

ثم إن المغيرة بن شعبه دخل على علي رضي الله عنه ، فقال : « يا أمير المؤمنين ، إن لك حقَّ الصُّحْبَةِ ، فأقر معاوية على ما هو عليه من إمرة الشام ، وكذلك جميع عمال عثمان ، حتى إذا أتت طاعتهم وبيعتهم استبدلت حينئذ أو تركت » ، فقال علي رضي الله : « أنا ناظر في ذلك » .

وخرج عنه المغيرة ثم عاد إليه من غدٍ ، فقال : « يا أمير المؤمنين ، إني أشرت أمس عليك برأى ، فلما تدبّرت عرفته خطأه ، والرأى أن تعاجل معاوية وسائر عمال عثمان بالعزل ، لتعرف السامع المطيع من العاصي ، فتكفي كُلاً بجزائه »

ثم قام ، فتلقاه ابن عباس داخلا ، فقال لعلي رضي الله عنه : « فيم أذاك المغيرة ؟ » فأخبره علي بما كان من مشورته بالأمس ، وما أشار عليه به ؛ فقال ابن عباس : « أمّا أمس فإنه نصّح لك ؛ وأمّا اليوم فغشّك » .

وبلغ المغيرة ذلك ، فقال : « صدق ابن عباس ، نصّحت له ، فلما ردّ نصّحي بدّلت قولي » ، ولما خاض الناس في ذلك سار المغيرة إلى مكة ، فأقام بها ثلاثة أشهر ، ثم انصرف إلى المدينة .

ثم إن علياً رضي الله عنه نادى في الناس بالتأهب للمسير إلى العراق ، فدخل عليه سعد بن أبي وقاص ، وعبد الله بن عمر بن الخطاب ، ومحمد بن مسلمة ،

(١) شام السيف شيما : سله أو أغمدته وهو من الأضداد .

فقال لهم : « قد بلغني عنكم هناة كرهتها لكم » ، فقال سعد : « قد كان ما بلغك ، فأعطني سيفاً يعرف المسلم من الكافر حتى أقاتل به معك » .

وقال عبد الله بن عمر : « أنشدك الله أن تحملني على ما لا أعرف » .

وقال محمد بن مسلمة : « إن رسول الله صلى الله عليه وسلم أمرني أن أقاتل بسيفي ما قوتل به المشركون ، فإذا قوتل أهل الصلاة ضربت به صخر أحد حتى ينكسر ، وقد كسرتة بالأمس » . ثم خرجوا من عنده .

ثم إن أسامة بن زيد دخل ، فقال : « أعفني من الخروج معك في هذا الوجه ، فإني عاهدت الله ألا أقاتل من يشهد أن لا إله إلا الله » .

وبلغ ذلك الأشر ، فدخل على علي ، فقال : « يا أمير المؤمنين ، إنا وإن لم نكن من المهاجرين والأنصار ، فإننا من التابعين بإحسان ، وإن القوم وإن كانوا أولى بما سبقونا إليه فليسوا بأولى مما شركناهم فيه ، وهذه بيعة عامة ، الخارج منها طاعنٌ مستعقب ، كخض هؤلاء الذين يريدون التخلف عنك باللسان ، فإن أبوا فادّبرهم بالحبس » فقال علي : « بل أدعهم ورأيهم الذي هم عليه » .

ولما همّ على رضى الله عنه بالمسير إلى العراق ، اجتمع أشراف الأنصار ، فأقبلوا حتى دخلوا على علي ، فتكلم عتبة بن عامر ، وكان بدرياً^(١) فقال : « يا أمير المؤمنين إن الذي يفوتك من الصلاة في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، والسمي بين قبره ومنبره أعظم مما ترجو من العراق ، فإن كنت إنما تسير لحرب الشام ، فقد أقام عمر فينا ، وكفاه سعد زحف القادسية ، وأبو موسى زحف الأهواز ، وليس من هؤلاء رجل إلا ومثله معك ، والرجال أشباه ، والأيام دُول » ، فقال علي : « إن الأموال والرجال بالعراق ، ولأهل الشام وثبة أحب أن أكون قريباً منها » . ونادى في الناس بالمسير ، فخرج وخرج معه الناس .

(١) من شهدوا غزوة بدر .

[وقعة الجمل ^(١)]

قالوا : ولما قضى الزُّبَيْرُ وطلحة وعائشة حجَّهم تأمروا في مقتل عثمان ، فقال الزُّبَيْرُ وطلحة لعائشة : « إن أطعنا طلبنا بدم عثمان » . قالت : « ومن تطلبون دمه ؟ » ، قالوا : « إنهم قوم معروفون ، وإنهم بطانة على ورؤساء أصحابه ، فاخرجي معنا حتى نأتي البصرة فيمن تبعنا من أهل الحجاز ، وإن أهل البصرة لو قد رأوك لكانوا جميعاً يداً واحدة معك » . فأجابتهم إلى الخروج ، فسارت والناس حولها يمينا وشمالاً .

ولما فصل على من المدينة نحو الكوفة بلغه خبر الزُّبَيْرِ وطلحة وعائشة ، فقال لأصحابه : « إن هؤلاء القوم قد خرجوا يؤتمنون البصرة ، لما دبروه بينهم ، فسيروا بنا على أثرهم ، لعلنا نلحقهم قبل موافاتهم ، فإنهم لو قد وافوها لَمَالَ معهم جميع أهلها » ، قالوا : « سِرْ بنا يا أمير المؤمنين » . فسار حتى وافي ذا قار ^(٢) ، فأتاه الخبر بموافاة القوم البصرة ، ومبايعة أهل البصرة لهم إلا بني سعد ، فإنهم لم يدخلوا فيما دخل فيه الناس ؛ وقالوا لأهل البصرة : « لا نكون معكم ولا عليكم » ؛ وقعد عنهم أيضا كعب بن سُرٍّ في أهل بيته ، حتى أتته عائشة في منزله ، فأجابها ، وقال : « أكره ألا أجيب أُمِّي » ، وكان كعب على قضاء البصرة .

ولما انتهى الخبر إلى عليّ وجّه هاشم بن عُتبة بن أبي وقاص ليستنهض أهل الكوفة ، ثم أردفه بابنه الحسن وبعمار بن ياسر ، فساروا حتى دخلوا الكوفة ، وأبو موسى يومئذ بالكوفة ، وهو جالس في المسجد ، والناس محتوشوه ^(٣)

(١) وقعت في منتصف جمادى الآخرة سنة ٣٦ (نوفمبر ٦٥٦م) .

(٢) مكان قريب من البصرة ، اشتهر بيوم لبني شيان فيه ، وكان أبرويز أغزاهم جيشا فظفرت بنو شيان ، وهو أول يوم انتصرت فيه العرب على العجم .

(٣) احتوش القوم فلانا واحتوشوا عليه جعلوه وسطهم .

وهو يقول : « يا أهل الكوفة ، أطيعوني تكونوا جُرثومة ^(١) من جرائم العرب ،
ياؤى إليكم المظلوم ، ويأمن فيكم الخائف ؛ أيها الناس ، إن الفتنة إذا أقبلت شبهت ،
وإذا أدبرت تبينت ، وإن هذه الفتنة الباقرة ^(٢) لا يُدْرى من أين تأتي ، ولا من
أين تُوْتى ، شيموا سيوفكم ، وانزعوا أسِنَّةَ رماحكم ، واقطعوا أوتار قسيِّكم ،
والزموا قمعور البيوت ، أيها الناس ، إن النائم في الفتنة خير من القائم ، والقائم خير
من الساعي » .

فانتهى الحسن بن عليّ وعُمّار رضى الله عنهما إلى المسجد الأعظم وقد اجتمع
عالم من الناس على أبي موسى ، وهو يقول لهم هذا وأشباهه ، فقال له الحسن :
« اخرج عن مسجدنا ، وامض حيث شئت » . ثم صعد الحسن المنبر ، وعُمّار صعد
معه ، فاستنفر الناس ؛ فقام حُجْر بن عَدِيّ الكنديّ ، وكان من أفاضل أهل الكوفة
فقال : « انفرُّوا خِفَافًا وثِقَالًا ، رحّمك الله » فأجابه الناس من كل وجه : سمّا
وطاعة لأمر المؤمنين ، نحن خارجون على اليُسْر والمُسْر والشّدّة والرخاء .

فلما أصبحوا من الغد خرجوا مستعدّين ، فأحصاهم الحسن ، فكانوا تسعة
آلاف وستمائة وخمسين رجلا ، فوافوا عليّا بِذِي قار قبل أن يرتحل . فلما همّ بالسير
غَلَسَ الصُّبْح ؛ ثم أمر مناديا ، فنادى في الناس بالرحيل ، فدنا منه الحسن ، فقال :
« يا أبتِ أشرتُ عليك حين قُتلَ عثمان وراح الناس إليك وغدوا ، وسألوك أن تقوم
بهذا الأمر ألا تقبله حتى تأتيك طاعة جميع الناس في الآفاق ، وأشرتُ عليك حين
بلغك خروج الزبير وطلحة بعائشة إلى البصرة أن ترجع إلى المدينة ، فتقيم في بيتك ،
وأشرتُ عليك حين حُوصِرَ عثمان أن تخرج من المدينة ، فإن قُتل قُتل وأنت
غائب ، فلم تقبل رأيا في شيء من ذلك » .

(١) جرثومة كل شيء أصله ومجتمعه . (٢) يعني أنها مفسدة للدين ومفرقة بين الناس
ومشتتة أمورهم .

فقال له عليّ : « أما انتظاري طاعة جميع الناس من جميع الآفاق ، فإنّ البيعة لا تكون إلا لمن حضر الحرميّين من المهاجرين والأنصار ، فإذا رضوا وسلّموا وجب على جميع الناس الرضا والتسليم ؛ وأما رجوعي إلى بيتي والجلوس فيه ، فإنّ رجوعي لو رجعت كان غدرًا بالأمة ، ولم آمن أن تقع الفرقة ، وتتصدّع عصا هذه الأمة ؛ وأما خروجي حين حوَصِرَ عثمان فكيف أمكنني ذلك ؟ »

وقد كان الناس أحاطوا بي كما أحاطوا بثمان ، فأكفّف يا بُنيّ عما أنا أعلم به منك .

ثم سار بالناس ، فلما دنا من البصرة كتّبت الكتاب ، وعقدت الألوية والرايات ، وجعلها سبع رايات ، عقدت لحِمْيَرَ وهَمْدَانَ راية ، وولّي عليهم سعيد بن قيس الهمدانيّ ؛ وعقدت لمَذْحِجٍ والأشْعَرِيّين راية ، وولّي عليهم زياد بن النضر الحارثيّ ؛ ثم عقدت لطَيْيء راية ، وولّي عليهم عديّ بن حاتم ؛ وعقدت لقَيْسٍ وعَبْسٍ وذُبْيَانَ راية ، وولّي عليهم سعد بن مسعود الثقفيّ عمّ المختار بن أبي عبيد ؛ وعقدت لَكِنْدَةَ وحَضْرَمَوْتَ وقُضَاعَةَ ومَهْرَةَ راية ، وولّي عليهم حُجْرُ ابن عديّ الكنديّ ؛ وعقدت للأَزْدِ وبُجَيْلَةَ وخَثْعَمَ وخُزَاعَةَ راية ، وولّي عليهم مخنف بن سليم الأزديّ ؛ وعقدت لبَكْرٍ وتَغْلِبَ وأفْنَاءَ ربيعة راية ، وولّي عليهم محمّد بن الذّهليّ ؛ وعقدت لسائر قريش والأنصار وغيرهم من أهل الحجاز راية ، وولّي عليهم عبد الله بن عباس ، فشهد هؤلاء الجمل وصيفيّ والنهر ، وهم أسباع كذلك ، وكان على الرّجالة جُنْدُب بن زهير الأزديّ .

ولما بلغ طلحة والزبير ورود عليّ رضي الله عنه بالجيوش ، وقد أقبل حتى نزل « الخريّبة »^(١) فعبّاهم طلحة والزبير ، وكتبّاهم كتاب ، وعقدت الألوية ، فجعلوا على الخيل محمد بن طلحة ، وعلى الرّجالة عبد الله بن الزبير ، ودفعوا اللواء الأعظم إلى عبد الله بن حرام بن خويلد ، ودفعوا لواء الأزد إلى كعب بن سور ، وولّياه اليمنة ، وولّياه قريشًا وكنانة عبد الرحمن بن عتّاب بن أسيد ، وولّياه أمر

(١) محلة من محال البصرة ينسب إليها كثيرون ، وقد كانت مدينة لافرس خربت لتواتر الغارات عليها ، ولما مصرّت البصرة ابتنيت إلى جانبها .

الميسرة عبد الرحمن بن الحارث بن هشام ، وهو الذي قالت عائشة فيه : « ودَّتُ لو قعدت في بيتي ولم أخرج في هذا الوجه لكان ذلك أحبَّ إليَّ من عشرة أولاد ، لو رُزِقْتُهِنَّ من رسول الله صلى الله عليه وسلم على فضل عبد الرحمن بن الحارث ابن هشام وعقله وزُهدِهِ ». وولَّيَا على قَيْسٍ مُجَاشِعَ بن مسعود ، وعلى تَيْمِ الرِّبَابِ عمرو بن يَثْرِبِي ، وعلى قَيْسٍ والأنصار وثَقِيفَ عبد الله بن عامر بن كُرَيْزٍ ، وعلى خُزَاعَةَ عبد الله بن خَلَفِ الخُزَاعِيَّ ، وعلى قُضَاعَةَ عبد الرحمن بن جابر الرَّاسِبِيَّ ، وعلى مَذْحِجَ الرِّبِيعِ بن زِيَادِ الحَارِثِيَّ ، وعلى رِبِيعَةَ عبد الله بن مالك .

قالوا : وأقام على رضى الله عنه ثلاثة أيام يبعث رسله إلى أهل البصرة ، فيدعوهم إلى الرجوع إلى الطاعة والدخول في الجماعة ، فلم يجد عند القوم إجابة ، فزحف نحوهم يوم الخميس لعَشِيرِ مَضِينَ من جمادى الآخرة ، وعلى ميمنته الأَشْترُ ، وعلى ميسرته عَمَّارُ بن يَاسِرٍ ، والراية المُعْظَمَى في يد ابنه محمد بن الحَنْفِيَّةِ ، ثم سار نحو القوم حتى دَنَا بصفوفه من صفوفهم ، فواقفهم من صلاة الغداة إلى صلاة الظهر ، يدعوهم ويُناشِدُهُمْ ، وأهل البصرة وقوفٌ تحت رايتهم ، وعائشة في هَوْدَجِهَا أمام القوم .

قالوا : وإنَّ الزبير لما علم أنَّ عَمَّارًا مع عليّ رضى الله عنه ارتاب بما كان فيه ، لقول رسول الله صلى الله عليه وسلم : « الحقُّ مع عَمَّارٍ ، وتقتلك الفِئَةُ البَاغِيَّةُ » .

قالوا : ثم إنَّ عَلِيًّا دَنَا من صفوف أهل البصرة ، وأرسل إلى الزبير يسأله ، لِيَدْنُو ، فيكلمه بما يريد ؛ وأقبل الزبير حتى دَنَا من عليّ رضى الله عنه ، فوقفَا جميعاً بين الصفين حتى اختلفت أعناق فرسيهما ، فقال له عليّ : « نَاشَدْتُكَ الله يا أبا عبد الله ، هل تَذْكُرُ يوماً مررنا أنا وأنت برسول الله صلى الله عليه وسلم ويدي في يدك ، فقال لك رسول الله صلى الله عليه وسلم : أَتُحِبُّهُ ؟ ، قلت : نعم ، يا رسول الله ، فقال لك : أما إنك تُقاتله ، وأنت له ظالِمٌ... ؟ » ، فقال الزبير : « نعم ، أنا ذاكِرُهُ له » .

ثم انصرف على إلى قومه ، وقال لأصحابه : « احمِلوا على القوم ، فقد أعذرنا إليهم » ، فَحَمَلَ بعضهم على بعض ، فاقتتلوا باللقنا والسيوف . وأقبل الزبير حتى دنا من ابنه عبد الله ويده الراية العظمى ، فقال : « يا بُنَيَّ ، أنا منصرف » ، قال : « وكيف يا أبت ؟ » ، قال : « مالى فى هذا الأمر من بصيرة » ، وقد أذكركنى على أمراً ، قد كنت غفلت عنه ، فانصرف يا بُنَيَّ مئى » ، فقال عبد الله : « والله لا أرجع أو يحكم الله بيننا » . فتركه الزبير ، ومضى نحو البصرة لِيَتَحَمَّلَ منها ، ويمضى نحو الحجاز . ويُقال : إن طاحلة لما علم بانصراف الزبير هم أن ينصرف ، فعلم مروان بن الحكم ما يريد ، فرماه بسهم ، فوقع فى رُكْبَتِهِ ، فَتَرَفَ حتى مات .

وأقبل الزبير حتى دخل البصرة ، وأمر غلمانَه أن يَتَحَمَّلُوا ، فليحرقوا به ، وخرج من ناحية الخُرَيْبَةِ ، فرّ بالأخنف بن قيس ، وهو جالسٌ بفناء داره ، وحوّله قومه ، وقد كانوا اعتزلوا الحرب ، فقال الأخنف : « هذا الزبير ، ولقد انصرف لأمرى ، فهل فيكم من يأتينا بخبره ؟ » ، فقال له عمرو بن جرموز : « أنا آتيك بخبره » . فركب فرسه ، وتقلّد سيفه ، ومضى فى أثره ، وذلك قبل صلاة الظهر ، فليحقه ، وقد خرج من دور البصرة ، فقال له : « أبا عبد الله ، ما الذى تركت عليه القوم ؟ » ، قال الزبير : « تركتهم ، وبعضهم يضرب وجوه بعض بالسيف » ، قال : « فأين تريد ؟ » ، قال : « أنصرف لحال بالى ، فمألى فى هذا الأمر من بصيرة » . قال عمرو بن جرموز : « وأنا أيضاً أريد الخُرَيْبَةَ ، فسِرْ بنا » . فسارا حتى دنا وقت الصلاة ، فقال الزبير : « إن هذا وقت الصلاة ، وأنا أريد أن أقضيها » ، قال عمرو : « وأنا أريد أن أقضيها » ، قال الزبير : « أنت مئى فى أمان ، فهل أنا منك كذلك » ، قال : « نعم » . فنزلا جميعاً ، وقام الزبير فى الصلاة ، فلما سجد حمل عليه عمرو بالسيف ، فضربه حتى قتله ، وأخذ درّعه وسيفه وفرسه ، وأقبل حتى أتى عليّاً ، وهو واقفٌ ، والناس

يَجْتَلِدُونَ بِالسَّيْفِ ، فَأُلْقِيَ السِّلَاحُ بَيْنَ يَدَيْهِ ، فَلَمَّا نَظَرَ عَلَى رِضَى اللَّهِ عَنْهُ إِلَى السَّيْفِ ، قَالَ : « إِنَّ هَذَا السَّيْفَ طَالَمَا فَرَّجَ بِهِ صَاحِبُهُ الْكَرْبَ عَنْ وَجْهِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، أَبَشِرْ يَا قَاتِلَ ابْنِ صَفِيَّةٍ بِالنَّارِ » ، فَقَالَ عَمْرُو : « نَقْتُلُ أَعْدَاءَكُمْ ، وَتُبَشِّرُونَا بِالنَّارِ ؟! » .

٥ قالوا : ثُمَّ إِنَّ عَلِيًّا أَمَرَ ابْنَهُ مُحَمَّدَ بْنَ الْحَنْفِيَّةِ ، فَقَالَ : تَقْدِمُ بَرَايَتَكَ . وَكَانَ مَعَهُ الرَّايَةُ الْعَظْمَى ، فَتَقْدِمُ بِهَا وَقَدْ لَآثَ (١) أَهْلُ الْبَصْرَةِ بِعَبْدِ اللَّهِ بْنِ الزُّبَيْرِ ، وَقَلَّدُوهُ الْأَمْرَ ، فَتَقْدِمُ مُحَمَّدٌ بِالرَّايَةِ ، فَاسْتَقْبَلَهُ أَهْلُ الْبَصْرَةِ بِالْقَنَا وَالسَّيْفِ ، فَوَقَفَ بِالرَّايَةِ ، فَتَنَاولَهَا مِنْهُ عَلَى رِضَى اللَّهِ عَنْهُ ، وَحَمَلَ وَحَمَلَ مَعَهُ النَّاسُ ، ثُمَّ نَاولَهَا ابْنَهُ مُحَمَّدًا ، وَاشْتَدَّ الْقِتَالُ وَحَمِيَّتِ الْحَرْبُ ، وَانْكَشَفَ النَّاسُ عَنِ الْجَمَلِ ، وَقُتِلَ كَعْبُ بْنُ سُورٍ ، وَثَبَّتَ الْأَزْدُ وَضَبَّةً ، فَقَاتَلُوا قِتَالًا شَدِيدًا .

١٠ فلما رأى عليٌّ شِدَّةَ صَبْرِ أَهْلِ الْبَصْرَةِ جَمَعَ إِلَيْهِ حِمَاةَ أَصْحَابِهِ ، فَقَالَ : إِنَّ هَؤُلَاءِ الْقَوْمَ قَدْ سَحَّكُوا (٢) ، فَاصْدُقُوهُمْ الْقِتَالَ ، فَخَرَجَ الْأَشْتَرُ وَعَدِيُّ بْنُ حَاتِمٍ وَعَمْرُو بْنُ الْحَمَقِ وَعُمَارُ بْنُ يَاسِرٍ فِي عِدَدِهِمْ مِنْ أَصْحَابِهِمْ ، فَقَالَ عَمْرُو بْنُ يَثْرُبِ لِقَوْمِهِ ، وَكَانُوا فِي مَيْمَنَةِ أَهْلِ الْبَصْرَةِ « إِنَّ هَؤُلَاءِ الْقَوْمَ الَّذِينَ قَدْ بَرَزُوا إِلَيْكُمْ مِنْ أَهْلِ الْعِرَاقِ هُمُ قَتَلَةُ عُثْمَانَ ، فَعَلَيْكُمْ بِهِمْ » ، وَتَقْدِمُ أَمَامَ قَوْمِهِ بَنِي ضَبَّةً ، فَقَاتَلَ قِتَالًا شَدِيدًا ، وَكَثُرَتْ ١٥ النَّبْلُ فِي الْهُوْدَجِ ، حَتَّى صَارَ كَالْقُنْفُذِ ؛ وَكَانَ الْجَمَلُ مَجْفَفًا (٣) ، وَالْهُوْدَجُ مُطَبَّقٌ بِصَفَائِحِ الْحَدِيدِ .

٢٠ وصبر الفريقان بعضهم لبعض حتى كثرت القتل وثار القتام ، وَطَلَّتِ الْأُلُويَّةُ وَالرَّايَاتُ ، وَحَمَلَ عَلِيٌّ بِنَفْسِهِ ، وَقَاتَلَ حَتَّى انْثَنَى سَيْفُهُ ، وَخَرَجَ فَارِسُ أَهْلِ الْبَصْرَةِ عَمْرُو بْنُ الْأَشْرَفِ ، لَا يُخْرِجُ إِلَيْهِ أَحَدٌ مِنْ أَصْحَابِ عَلِيٍّ إِلَّا قَتَلَهُ ، وَهُوَ يَرْتَجِزُ ، وَيَقُولُ :

(١) اجتمعوا به ، ولآث به يلوث كلاً . (٢) المحك : التهادى في الغضب .
(٣) أى عليه تجفاف ، وهو ما يوضع على الخيل والإبل من حديد أو غيره في الحرب .

يَا أَمَّنَا يَا خَيْرَ أُمَّةٍ نَعْلَمُ وَالْأُمُّ تَنْذُو وَلَدَهَا وَتَرْحَمُ
أَلَا تَرَيْنَ كَمْ جَوَادٍ يُكَلِّمُ وَتُخْتَلَى هَامَتُهُ وَالْمِعْصَمُ

فخرج إليه من أهل الكوفة الحارث بن زهير الأزدي ، وكان من فرسان علي ،
فاختلفا ضربتين ، فأوهط^(١) كلُّ منهما صاحبه ، فخرّا جميعاً صريعين ،
يفحصان^(٢) بأرجلهما حتى ماتا .

قالوا : وانكشف أهل البصرة انكشافاً ، وانتهى الأشتر إلى الجمل ،
وعبد الله بن الزبير أخذَ بِخِطَائِمِهِ ، فرمى الأشتر بنفسه على عبد الله بن الزبير ،
فصار تحته ، فصاح عبد الله بن الزبير : « اقتلوني ومالك » ، فتاب إلى ابن الزبير
أصحابه .

فلما خاف الأشتر على نفسه قام عن عبد الله بن الزبير ، وقاتلَ حتى خُلصَ إلى
أصحابه ، وقد عار فرسه ، فقال لهم : « ما أنجاني إلا قول ابن الزبير : اقتلوني
ومالك ؛ فلم يدْرِ القوم مَنْ مالك ، ولو قال اقتلوني والأشتر لقتلوني » .

وقاتَلَ عَدِيَّ بنَ حاتم حتى فُقِئَتْ إحدى عينيه ، وقاتَلَ عمرو بن الحمق ،
وكان من عُبَاد أهل الكوفة ، ومعه النُّسَّاك قتالاً شديداً ، فضربَ بسيفه حتى
انثنى ، ثم انصرف إلى أخيه رياح ، فقال له رياح : « يا أخي ، ما أحسن ما نصنع
اليوم ، إن كانت الغلبة لنا » .

قالوا : ولما رأى عليّ لوث أهل البصرة بالجمل ، وأنهم كلما كشفوا عنه
عادوا ، فَلَاثُوا به ، قال لعمّار وسعيد بن قيس وقيس بن سعد بن عُبَادَةَ والأشتر
وابن بُدَيْل ومحمد بن أبي بكر وأشباههم من حماة أصحابه : « إن هؤلاء لا يزالون
يقاتلون ما دام هذا الجمل نصبَ أعينهم ، ولو قد عُقِرَ فَسَقَطَ لم تَدُبْتُ له ثابِتة » ،
فَقَصَّصُوا بذوى الجَدِّ من أصحابه قَصْدَ الجمل حتى كشفوا أهل البصرة عنه ، وأفضى

(١) الإيهاط : الإثخان ضرباً ، أو الرمي المهلك .

(٢) يثمرغان في التراب كما تفحص الدجاجة لتتخذ لها الحوصة تبيض فيها .

إليه رجل من مرّاد الكوفة ، يُقال له « أُعَيْنَ بنُ ضُبَيْعَةَ » ، فكشف عُرْقُوبَهُ بالسيف ، فسقط وله رُغَاءٌ ، ففرق في القَتْلَى ، ومَالَ الهَوْدَجَ بمائِثَةِ ، فقال علىّ لمحمد بن أبي بكر : « تَقَدَّمْ إِلَى أُخْتِكَ » ، فدَنَا محمد ، فأدخل يده في الهَوْدَجِ ، فنَأَتْ يده ثياب عائِشَةَ ، فقالت : « إِنَّا لِلَّهِ ، مَنْ أَنْتَ ، تَكَلَّمْتَ أَثْمَكَ » ، فقال « أَنَا أَخُوكَ مُحَمَّدٌ » .

ونَادَى علىّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فِي أَصْحَابِهِ : « لَا تَتَّبِعُوا مُوَلِّيَّاءَ ، وَلَا تَجْهَرُوا عَلَى جَرِيحٍ ، وَلَا تَنْتَهَبُوا مَالًا ، وَمَنْ أَلْقَى سِلَاحَهُ فَهُوَ آمِنٌ ، وَمَنْ أَغْلَقَ بَابَهُ فَهُوَ آمِنٌ » . قال : فجعلوا يَمْرُونَ بِالذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ فِي مَعْسَكِهِمُ وَالْتِمَاعِ ، فَلَا يَمْرُضُ لَهُ أَحَدٌ إِلَّا مَا كَانَ مِنَ السِّلَاحِ الَّذِي قَاتَلُوا بِهِ ، والدَوَابِ الَّتِي حَارَبُوا عَلَيْهَا ، فقال له بعضُ أَصْحَابِهِ : « يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، كَيْفَ حَلَّ لَنَا قِتَالَهُمْ ، وَلَمْ يَحُلْ لَنَا سَبْيُهُمْ وَأَمْوَالُهُمْ » . فقال علىّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : « لَيْسَ عَلَى الْمُؤَحِّدِينَ سَبْيٌ ، وَلَا يَنْغَمُ مِنْ أَمْوَالِهِمْ إِلَّا مَا قَاتَلُوا بِهِ وَعَلَيْهِ ، فَدَعُوا مَا لَا تَعْرِفُونَ ، وَالْزَمُوا مَا تُؤْمَرُونَ » .

قال : وأمر علىّ محمد بن أبي بكر أن ينزل عائِشَةَ فَأَنْزَلَهَا دَارَ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ خَلْفِ الْخَزَاعِيِّ ، وَكَانَ عَبْدُ اللَّهِ فِيْمَنْ قُتِلَ ذَلِكَ الْيَوْمَ ، فَنَزَلَتْ عِنْدَ امْرَأَتِهِ صَفِيَّةَ .

وقال علىّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لِمُحَمَّدٍ : « انْظُرْ هَلْ وَصَلَ إِلَى أُخْتِكَ شَيْءٌ ؟ » قال : « أَصَابَ سَاعِدُهَا خَدَشٌ سَهْمٌ ، دَخَلَ بَيْنَ صَفَاحِ الْحَدِيدِ » .

ودخل علىّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ الْبَصْرَةَ ، فَأَتَى مَسْجِدَهَا الْأَعْظَمَ ، وَاجْتَمَعَ النَّاسُ إِلَيْهِ ، فَصَعِدَ الْمَنْبَرَ ، فَحَمْدَ اللَّهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ وَصَلَّى عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، ثُمَّ قَالَ : « أَمَّا بَعْدُ ، فَإِنَّ اللَّهَ ذُو رَحْمَةٍ وَاسِعَةٍ وَعِقَابُ أَلِيمٍ ، فَمَا ظَنُّكُمْ بِي يَا أَهْلَ الْبَصْرَةِ جُنْدَ الْمَرْأَةِ وَأَتْبَاعَ الْبَهِيمَةِ ؟ رَغَا ، فَقَاتَلْتُمْ ، وَعُقِرَ ، فَانْهَزْتُمْ ، أَخْلَقْتُمْ دِقَاقَ ، وَعَهْدُكُمْ شِقَاقَ ، وَمَاؤُكُمْ زُعَاقٌ ^(١) ، أَرْضَكُمْ قَرْيَةً مِنَ الْمَاءِ ، بَعِيدَةً مِنَ السَّمَاءِ ،

(١) ماء زعاق ، صر غليظ لا يطاق شربه .

وايم الله ليأتين عليها زمان لا يرى منها إلا شُرُفات مسجدها في البحر ، مثل جُوجُو^(١) السفينة ، انصرفوا إلى منازلكم . ثم نزل ، وانصرف إلى معسكره ، وقال لمحمد بن أبي بكر : « سِرْ مع أختك حتى توصلها إلى المدينة ، وعَجِّل الحقوق بي بالكوفة » ، فقال : « أعفني من ذلك يا أمير المؤمنين » ، فقال علي : « لا أعفك منه ، ومالك بُدَّ » . فسار بها حتى أوردتها المدينة .

وشَخَّصَ عليٌّ عن البصرة ، واستعمل عليها عبد الله بن عباس ، فلما انتهى إلى المِرْبَدِ^(٢) التفت إلى البصرة ، ثم قال : « الحمد لله الذي أخرجني من شرِّ البقاع تُرَابًا ، وأسرعها خَرَابًا ، وأقربها من الماء ، وأبعدها من السماء » . ثم سار ، فلما أَشْرَفَ على الكوفة ، قال : « وَيَحْكُ يا كوفان ، ما أطيب هواءك ، وأغذى تُرْبَتِكَ ، الخارج منك بَذَنب ، والداخل إليك بِرَحمة ، لا تذهب الأيام والليالي ، حتى يحییء إليك كل مؤمن ، ويبغض القام بك كل فاجر ، وتعمرين ، حتى إنَّ الرجل من أهلك لِيَيْسَكُرَّ إلى الجمعة فلا يلحقها من بُعْد المسافة » .

قالوا : وكان مقدمه الكوفة يوم الإثنين لاثنتي عشرة ليلة خَلَّتْ من رجب سنة ست وثلاثين ؛ فقبل له : « يا أمير المؤمنين ، أتزل القصر ؟ » ، قال : « لا حاجة لي في نزوله ، لأنَّ عمر بن الخطاب رضى الله عنه كان يبغضه ، ولكني نازل الرَّحْبَةِ » ، ثم أقبل حتى دخل المسجد الأعظم ، فصلَّى ركعتين ، ثم نزل الرَّحْبَةَ ، فقال الشَّيْخُ يُحَرِّضُ عَلِيًّا على السير إلى الشام :

قُلْ لِهَذَا الْإِمَامِ قَدْ خَبَتِ الْحَرُ بُ ، وَتَمَّتْ بِذَلِكَ النِّعْمَاءُ
وَفَرَّغْنَا مِنْ حَرْبٍ مَنْ نَكَّتَ الْعَهْدُ د ، وَبِالشَّامِ حَيَسَةُ صَمَاءُ
تَنْفُثُ السُّمَّ ، مَا لِمَنْ نَهَشَتْهُ فَارْمِهَا قَبْلَ أَنْ تَعْصَّ شِفَاءُ

قالوا : وإنَّ أولَّ جمعة صَلَّى بالكوفة خطب ، فقال : « الحمد لله أحمده ،

(١) الجُوجُو : الصدر . (٢) المربد : فضاء وراء البيوت يرتفق به ، وبه سمي مربد البصرة .

وَأَسْتَعِينَهُ وَأَسْتَعِذُّ بِهِ ، وَأَتَوَكَّلُ عَلَيْهِ ، وَأَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الضَّلَالَةِ
وَالرَّدَى ، مَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ ، وَمَنْ يُضِلِّ اللَّهُ فَلَا هَادِيَ لَهُ ، وَأَشْهَدُ
أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ ، انْتَخَبَهُ
لِرِسَالَتِهِ ، وَاخْتَصَّهُ لِتَبْلِيغِ أَمْرِهِ ، أَكْرَمَ خَلْقِهِ عَلَيْهِ ، وَأَحَبَّهُمْ إِلَيْهِ ، فَبَلَّغَ
رِسَالَاتِهِ ، وَنَصَحَ لِأُمَّتِهِ ، وَأَدَّى الَّذِي عَلَيْهِ صَلَى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ؛ أَوْصِيَكُمْ
عِبَادَ اللَّهِ بِتَقْوَى اللَّهِ ، فَإِنَّ تَقْوَى اللَّهِ خَيْرُ مَا تَوَاصَى بِهِ عِبَادُ اللَّهِ ، وَأَقْرَبُهُ لِرِضْوَانِ
اللَّهِ ، وَأَفْضَلُهُ فِي عَوَاقِبِ الْأُمُورِ عِنْدَ اللَّهِ ، وَبِتَقْوَى اللَّهِ أُمِرْتُمْ ، وَلِلْإِحْسَانِ
خُلِقْتُمْ ، فَاحْذَرُوا مِنَ اللَّهِ مَا حَذَّرَكُمْ مِنْ نَفْسِهِ ، فَإِنَّ حَذَرَ بَأْسًا شَدِيدًا ،
وَاحْشُوا اللَّهَ خَشْيَةً لَيْسَتْ بِتَعْدِيرٍ ، وَاعْمَلُوا مِنْ غَيْرِ رِيَاءٍ وَلَا سُمْعَةٍ ، فَإِنَّ مَنْ عَمِلَ
لِغَيْرِ اللَّهِ وَكَلَّهَ اللَّهُ إِلَى مَا عَمِلَ ، وَمَنْ عَمِلَ مُخْلِصًا لَهُ تَوَلَّاهُ اللَّهُ ، وَأَعْطَاهُ أَفْضَلَ
نَيْتِهِ ، وَأَشْفَقُوا مِنْ عَذَابِ اللَّهِ ، فَإِنَّهُ لَمْ يَخْلُقْكُمْ عَبَثًا ، وَلَمْ يَتْرِكْ شَيْئًا مِنْ أَمْرِكُمْ
سُدًى ، قَدْ سَمِيَ آثَارُكُمْ ، وَعِلْمُ أَسْرَارِكُمْ ، وَأَخْصَى أَعْمَالَكُمْ ، وَكَتَبَ آجَالَكُمْ ،
فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ الدُّنْيَا ، فَإِنَّهَا غَرَارَةٌ لِأَهْلِهَا ، وَالْمَغْرُورُ مِنْ اغْتَرَّ بِهَا ، وَإِلَى
فَنَاءٍ مَا هِيَ ، وَإِنَّ الْآخِرَةَ هِيَ دَارُ الْقَرَارِ ؛ نَسْأَلُ اللَّهَ مَنَازِلَ الشُّهَدَاءِ ، وَمُرَافَقَةَ
الْأَنْبِيَاءِ ، وَمَعِيشَةَ السَّعْدَاءِ ، فَإِنَّمَا نَحْنُ بِهِ وَلَهُ .

ثُمَّ وَجَّهَ عُمَّالَهُ إِلَى الْبُلْدَانِ ، فَاسْتَعْمَلَ عَلَى الْمَدَائِنِ وَجُوحَى ^(١) كَاهَا يَزِيدُ بْنُ قَيْسٍ
الْأَرْحَبِيَّ ، وَعَلَى الْجَبَلِ وَأَصْبَهَانَ مُحَمَّدُ بْنُ سُلَيْمٍ ، وَعَلَى الْبِهْقُبَادَاتِ قُرْطُ بْنُ كَعْبٍ ،
وَعَلَى كَسْكَرٍ وَحِزَّهَا قُدَّامَةُ بْنُ عَجْلَانَ الْأَزْدِيَّ ، وَعَلَى بَهْرَسِيرٍ وَأُسْتَانِهَا عَدِيَّ
ابْنُ الْحَارِثِ ، وَعَلَى أُسْتَانَ الْعَالِي حَسَّانُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ الْبَكْرِي ، وَعَلَى أُسْتَانَ الزَّوَابِي
سَعْدُ ^(٢) بْنُ مَسْعُودِ الثَّقَفِيِّ ، وَعَلَى سِيَجِسْتَانَ وَحِزَّهَا رَبِيعِيُّ بْنُ كَاسٍ ، وَعَلَى
خِرَاسَانَ كَاهَا خُلَيْدُ بْنُ كَاسٍ .

(١) كورة واسعة في سواد بغداد . (٢) في الأصل : سعيد .

فَأَمَّا خُلَيْدُ بْنُ كَلَسٍ فَإِنَّهُ لَمَّا دَنَا مِنْ خِرَاسَانَ بَلَغَهُ أَنَّ أَهْلَ نَيْسَابُورٍ خَلَعُوا يَدًا
مِنْ طَاعَةٍ ، وَأَنَّهُ قَدِمَتْ عَلَيْهِمْ بِنْتُ لَكْسَرَى مِنْ كَابُلٍ ، فَعَمَلُوا مَعَهَا ، فَقَاتَلَهُمْ
خُلَيْدٌ ، فَهَزَمَهُمْ ، وَأَخَذَ ابْنَةَ كَسْرَى بِأَمَانٍ ، وَبَعَثَ بِهَا إِلَى عَلِيٍّ . فَلَمَّا أُدْخِلَتْ
عَلَيْهِ ، قَالَ لَهَا : « أَتُحِبِّينَ ابْنَ أَرْوَجٍ مِنْ ابْنِي هَذَا ؟ » يَعْنِي الْحَسَنَ ،
قَالَتْ : « لَا أَتَزَوِّجُ أَحَدًا عَلَى رَأْسِهِ أَحَدٌ ، فَإِنْ أَنْتَ أَحْبَبْتَ رَضِيتُ بِكَ » ،
قَالَ : « إِنِّي شَيْخٌ ، وَابْنِي هَذَا مِنْ فَضْلِهِ كَذَا وَكَذَا » ، قَالَتْ : « قَدْ أُعْطِيتُكَ
الْجَمْلَةَ » . فَقَامَ رَجُلٌ مِنْ عِظَمَاءِ دِهَاقِينَ الْعِرَاقِ ، يُسَمَّى نَرْسَى ، فَقَالَ :
« يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، قَدْ بَلَغَكَ أَنِّي مِنْ سِنْخٍ ^(١) الْمَمْلُوكَةِ ، وَأَنَا قَرَابَتُهَا ، فَزَوِّجْنِيهَا »
فَقَالَ : « هِيَ أَمْلَكَ بِنَفْسِهَا » ، ثُمَّ قَالَ لَهَا : « انْطَلِقِي حَيْثُ شِئْتِ ، وَانْكِحِي
مَنْ أَحْبَبْتَ ، لَا بَأْسَ عَلَيْكَ » .

وَاسْتَعْمَلَ عَلَى الْوَصِيلِ ، وَنَصِيبِينَ ، وَدَارَاءَ ، وَسَنْجَارَ ، وَآمُدَ ، وَمِيَا فَارْقِينَ ، وَهَيْتَ ،
وَعَانَاتَ ، وَمَا غَلَبَ عَلَيْهَا مِنْ أَرْضِ الشَّامِ الْأَشْتَرِ ؛ فَسَارَ إِلَيْهَا ، فَلَقِيَهُ الضَّحَّاكُ بْنُ
قَيْسِ الْفَهْرِيِّ ، وَكَانَ عَلَيْهَا مِنْ قَبْلِ مَعَاوِيَةَ بْنِ أَبِي سَفْيَانَ ، فَاقْتَتَلَا بَيْنَ حَرَّانَ ^(٢)
وَالرَّقَّةِ ^(٣) بِمَوْضِعٍ يُقَالُ لَهُ الْمَرْجُ إِلَى وَقْتِ الْمَسَاءِ . وَبَلَغَ ذَلِكَ مَعَاوِيَةَ ، فَأَمَدَّ
الضَّحَّاكَ بِعَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ خَالِدِ بْنِ الْوَلِيدِ فِي خَيْلٍ عَظِيمَةٍ ، وَبَلَغَ ذَلِكَ الْأَشْتَرُ ،
فَانْصَرَفَ إِلَى الْوَصِيلِ ، فَأَقَامَ بِهَا يُقَاتِلُ مَنْ أَتَاهُ مِنْ أَجْنَادِ مَعَاوِيَةَ ، ثُمَّ كَانَتْ
وَقْعَةُ صَفِينَ .

(١) السِنْخُ : الْأَصْلُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ .

(٢) حَرَّانُ : مَدِينَةٌ قَدِيمَةٌ فِيمَا بَيْنَ النَّهْرَيْنِ ، قَاعِدَةُ بِلَادِ مَضَرَ ، فَتَحَهَا الْعَرَبُ عَلَى يَدِ عِيَاضِ
ابْنِ غَنَمٍ سَنَةَ ٦٣٩ م ، وَقَدْ اشتهرت بالفلاسفة والعلماء أمثال ثابت بن قررة والبتاني .

(٣) الرَّقَّةُ : قَاعِدَةُ دِيَارِ مَضَرَ فِي الْجَزِيرَةِ عَلَى الْفَرَاتِ ، وَعِنْدَهَا قُطِعَ عَلَى بَنِي أَبِي طَالِبٍ نَهْرُ
الْفَرَاتِ فِي وَقْعَةِ صَفِينَ سَنَةَ ٦٥٦ م ، وَفِيهَا آثَارُ قَدِيمَةٍ .

[وقعة صفين ^(١)]

قالوا : وضربت الرُّكبان إلى الشام بنعيّ عثمان ، وتحريض معاوية على الطلب بدمه ، فبينما معاوية ذات يوم جالس إذ دخل عليه رجل ، فقال : « السلام عليك يا أمير المؤمنين » ، فقال معاوية : « وعليك ، مَنْ أَنْتَ ، لَهِ أَبُوك ؟ »
فقد رَوَّعَتْنِي بِتَسْلِيمِكَ عَلَيَّ بِالْخِلَافَةِ قَبْلَ أَنْ أَنَالَهَا ، فقال : « أَنَا الْحِجَّاجُ بْنُ خَزِيمَةَ بْنِ الصُّمَّةِ » ، قال : « فقيم قدمت ؟ » ، قال : « قدمت قاصداً إليك بنعيّ عثمان » ، ثم أنشأ يقول :

إِنَّ بَنِي عَمَّكَ عَبْدَ الْمُطَلِّبِ هُمْ قَتَلُوا شَيْخَكُمْ غَيْرَ الْكَذِبِ
وَأَنْتَ أَوَّلَى النَّاسِ بِالْوَثْبِ فَثَبَّ وَسِرُّ مَسِيرِ الْمُحْزَلِ ^(٢) الْمُثَلِّبِ

قال : ثم إنني كنت فيمن خرج مع يزيد بن أسد لنصر عثمان ، فلم نلحقه ، فلقيت رجلا ، ومعي الحارث بن زُفر ، فسألناه عن الخبر ، فأخبرنا بقتل عثمان ، وزعم أنه ممن شأيع على قتله ، فقتلناه ، وإنني أخبرك ، أنك تقوى بدون ما يقوى به عليّ ، لأن معك قوما لا يقولون إذا سكت ، ويسكتون إذا نطقت ، ولا يسألون إذا أمرت ؛ ومع عليّ قوم يقولون إذا قال ، ويسألون إذا سكت ، فقليلك خير من كثيره ، وعليّ لا يرضيه إلا سخطك ، ولا يرضى بالعراق دون الشام ، وأنت ترضى بالشام دون العراق ، فضاق معاوية بما أتاه به الحجاج بن خزيمة ذرعا ، وقال :

أَتَانِي أَمْرٌ فِيهِ لِلنَّاسِ غُمَّةٌ وَفِيهِ بُكَاءٌ لِلْمُيُونِ طَوِيلُ
مُصَابُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ ، وَهَذِهِ تَكَادُ لَهَا صُمُّ الْجِبَالِ تَزُولُ
فَلِلَّهِ عَيْنًا مَنْ رَأَى مِثْلَ هَالِكٍ أُصِيبَ بَلَا ذَخْلٍ وَذَاكَ جَلِيلُ ^(٣)

(١) كان مبدأ محاربات صفين في أول صفر سنة ٣٧ هـ (يولييه سنة ٦٥٧) .

(٢) المحزّل : المرتفع . (٣) الذحل : الثأر .

تَدَاعَتْ عَلَيْهِ بِالمَدِينَةِ عَصْبَةً فَرِيقَانِ ، مِنْهُمْ قَاتِلٌ وَخَذُولُ
دَعَاهُمْ ، فَصَمُّوا عَنْهُ عِنْدَ دُعَائِهِ وَذَلِكَ عَلَى مَا فِي النُّفُوسِ دَلِيلُ
سَأْنَمَى أَبَا عَمْرٍو بِكُلِّ مُتَقَفٍ وَبَيْضَ لَهَا فِي الدَّارِ عَيْنَ صَلِيلُ
تَرَكَتْكَ لِلتَّوَمِ الَّذِينَ تَظَافَرُوا عَلَيْكَ ، فَمَاذَا بَعْدَ ذَلِكَ أَقُولُ
فَلَسْتُ مُقِيمًا مَا حَيَّيتُ بِبَلَدَةٍ أَجُرُّ بِهَا ذَيْلِي وَأَنْتَ قَتِيلُ
وَأَمَّا الَّتِي فِيهَا مَسْوَدَةٌ بَيْنَنَا فَلَيْسَ إِلَيْهَا مَا حَيَّيتُ سَبِيلُ
سَأَلْتُهَا حَرْبًا عَوَانًا مُلْحَجَةً وَإِنِّي بِهَا مِنْ عَامِنَا لَكَفِيلُ

وكتب عليٌّ إلى جرير بن عبد الله البجليّ ، وكان عامل عثمان بأرض الجبل مع
زحر بن قيس الجعفيّ ، يدعوهُ إلى البيعة له ، فبايع وأخذ بيعة من قبله ، وسار
حتى قدم الكوفة .

وكتب إلى الأشعث بن قيس بمثل ذلك ، وكان مقبلاً بأذر بيجان طول ولاية
عثمان بن عفان ، وكانت ولايته مما عتب الناس فيه على عثمان ، لأنه ولّاه عند
مصاهرته إياه ، وتزوج ابنة الأشعث من ابنه ، ويقال إن الأشعث هو الذي افتتح عامة
أذر بيجان ، وكان له بها أثر ونصح واجتهاد ، وكان كتابه إليه مع زياد بن مَرْحَب ،
فبايع لعلّيّ ، وسار حتى قدم عليه الكوفة .

وإن عَلِيًّا أَرْسَلَ جرير بن عبد الله إلى معاوية يدعوهُ إلى الدخول في طاعته ،
والبيعة له ، أو الإيذان بالحرب ، فقال الأشر : « ابعت غيره فإني لا آمن مراهنته »
فلم يلتفت إلى قول الأشر . فسار جرير إلى معاوية بكتاب عليّ ، فقدم على معاوية ،
فألّفاه وعنده وجوه أهل الشام ، فناوله كتاب عليّ ، وقال : « هذا كتاب عليّ
إليك ، وإلى أهل الشام يدعوكم إلى الدخول في طاعته ، فقد اجتمع له الحرّمان ،
والمصران ، والحجازان ، واليمن ، والبحران ، وعمان ، واليمامة ، ومصر ، وفارس ،
والجبل ، وخراسان ، ولم يبق إلا بلادكم هذه ، وإن سأل عليها واد من أوديته
غرقها » .

وفتح معاوية الكتاب فقرأه : « بسم الله الرحمن الرحيم ، من عبد الله على أمير المؤمنين إلى معاوية بن أبي سفيان ، أما بعد فقد لزمك ومن قبلك من المسلمين بيعتي ، وأنا بالمدينة ، وأنتم بالشام ، لأنه بايعني الذين بايعوا أبا بكر وعمر وعثمان رضي الله عنهم ، فليس للشاهد أن يختار ، ولا للغائب أن يرد ، وإنما الأمر في ذلك للمهاجرين والأنصار ، فإذا اجتمعوا على رجل مسلم ، فسموه إماما ، كان ذلك لله رضي ، فإن خرج من أمرهم أحد بطعن فيه أو رغبة عنه رد إلى ما خرج منه ، فإن أبي قاتلوه على اتباعه غير سبيل المؤمنين ، وولاه الله ما تولى ، ويضليه جهنم وساءت مصيرا ، فادخل فيما دخل فيه المهاجرون والأنصار ، فإن أحب الأمور فيك وفيمن قبلك العافية ، فإن قبلتها وإلا فائذن بحرب ، وقد أكرت في قتلة عثمان ، فادخل فيما دخل فيه الناس ، ثم حاكم القوم إلى ، أحملك وأياهم على ما في كتاب الله وسنة نبيه ، فأما تلك التي تريدها ، فإنما هي خدعة الصبي عن الرضاع » .

فجمع معاوية إليه أشرف أهل بيته ، فاستشارهم في أمره ، فقال أخوه عتبة بن أبي سفيان : « استعن على أمرك بعمر بن العاص » وكان مقبلا في ضيعة له من حيز فلسطين ، قد اعتزل الفتنة . فكتب إليه معاوية « أنه قد كان من أمر علي في طلحة والزبير وعائشة أم المؤمنين ما بلغك ، وقد قدم علينا جرير بن عبد الله في أخذنا ببيعة علي ، فحبست نفسي عليك ، فأقبل ، أناظرك في ذلك ، والسلام » .

فسار ومعه ابنه عبد الله ومحمد حتى قدم على معاوية ، وقد عرف حاجة معاوية إليه ، فقال له معاوية : « أبا عبد الله ، طرقتنا في هذه الأيام ثلاثة أمور ، ليس فيها ورد ولا صدر » ، قال : « وما هن ؟ » قال : « أمّا أولهن ، فإن محمد بن أبي حذيفة كسر السجج وهرب نحو مصر فيمن كان معه من أصحابه ، وهو من أعدى الناس لنا ؛ وأمّا الثانية فإن قيصر الروم قد جمع الجنود ليخرج إلينا فيحاربنا على الشام ؛ وأمّا الثالثة فإن جريرا قد قدم رسولا إلى بن أبي طالب يدعونا إلى البيعة له أو إيذان بحرب » .

قال عمرو : « أما ابن أبي حذيفة فما يُعَمِّكَ من خروجه من سجنه في أصحابه ،
فارسيل في طلبه الخيل ، فإن قدرت عليه قدرت ، وإن لم تقدر عليه لم يضرك ؛
وأما قيصر ، فاكتب إليه تعلّمه ، أنك تردّ عليه جميع مَنْ في يدك من
أسارى الروم ، وتسأله المُوَادعة والمُصالحة تجده سريعاً إلى ذلك ، راضياً بالعفو منك ؛
وأما علي بن أبي طالب فإن المسلمين لا يسأون بينك وبينه » .

قال معاوية : « إنه مالأ على قتل عثمان ، وأظهر الفتنّة ، وفرّق الجماعة » .
قال عمرو : « إنه وإن كان كذلك ، فليست لك مثل سابقته وقرابته ،
ولكن ما لي إن شايئْتُكَ على أمرك حتى تنال ما تريد ؟ » .
قال : « حكمك » .

قال عمرو : « اجعل لي مِصْرَ طُعْمَةٍ ما دامت لك وِلَايَةٌ » .
فتلكا معاوية ، وقال : « يا عبد الله ، لو شئت أن أخدعك خدعتك » .
قال عمرو : « ما مثلي يُخدع » .
قال له معاوية : « ادن مني أسارك » .

فدنا عمرو منه ، فقال : « هذه خُدْعَةٌ ، هل ترى في البيت غيري وغيرك »
ثم قال : « يا عبد الله ، أما تعلم أن مصر مثل العراق ؟ » .
قال عمرو : « غير أنها إنما تكون لي إذا كانت لك الدنيا ، وإنما تكون
لك إذا غلبت عليّ » .

فتلكا عليه ، وانصرف عمرو إلى رَحْله ، فقال مُعْتَبَةُ لمعاوية : « أما ترَضَى
أن تشتري عمراً بمصر إن صَفَتْ لك قَلِيَّتُكَ^(١) لا تُغْلِبَ على الشام » .
وقال معاوية : « بئسَ عندنا ليلتك هذه » ، فبات مُعْتَبَةُ عنده ، فلما أخذ
معاوية مضجعه أنشأ مُعْتَبَةُ :

(١) القلية : مِرْقَةٌ تتخذ من لحوم الجزور وأكبادها .

أَيُّهَا الْمَانِعُ سَيْفًا لَمْ يُهَزَّ إِنَّمَا مِلْتَ عَلَى خَزَرٍ وَقَزَّ
 إِنَّمَا أَنْتَ خَرُوفٌ نَاعِمٌ بَيْنَ ضَرَعَيْنِ وَصُوفٍ لَمْ يُجَزَّ
 نَالَكَ الْخَيْرُ، فَخُذْ مِنْ دَرِّهِ شُجْبَهُ الْأَوَّلَ، وَاتْرُكْ مَا عَزَزَ
 وَاتْرُكِ الْحِرْصَ عَلَيْهَا ضِنَّةً وَاشْبُبِ النَّارَ لِمَقْرُورٍ يُكْزَ
 إِنْ مِصْرًا لِعَلِيٍّ أَوْ لَنَا يَغْلِبُ الْيَوْمَ عَلَيْهَا مَنْ عَجَزَ ٥

وسمع معاوية ذلك ، فلما أصبح بعث إلى عمرو ، فأعطاه ما سأل ، وكتب بينهما
 في ذلك كتابا ، ثم إن معاوية استشار عمرًا في أمره ، وقال ما ترى ؟

قال عمرو : « إنه قد أتاك في هذه البَيْعَةِ خبر أهل العراق من عند خير الناس ،
 ولست أرى لك أن تدعو أهل الشام إلى الخلافة ، فإن ذلك خطر عظيم حتى تتقدم
 قبل ذلك بالتَّوْطِئِ لِلْأَشْرَافِ مِنْهُمْ ، وإشراب قلوبهم اليقين ، بأن عَلِيًّا مَا لَا عَلَى ١٠
 قتل عثمان ، واعلم أن رأس أهل الشام شُرَحْبِيلُ بْنُ السَّمْطِ الْكِنْدِيُّ ، فارسل إليه
 ليأتيك ، ثم وُطِّنْ لَهُ الرِّجَالُ عَلَى طَرِيقِهِ كَاهُ ، يخبرونه بأن عَلِيًّا قَتَلَ عُمَانَ ،
 وليكونوا من أهل الرِّضَى عنده ، فإنها كلمة جَامِعَةٌ لك أهل الشام ، وإن تَعَلَّقَ هذه
 الكلمة بقلبه لم يخرجها شيء أبدا .

١٥ فدعا يزيد بن أسد ، وبُسَيْرُ بْنُ أَبِي أَرْطَاةَ ، وسفيان بن عمرو ، ومخارق بن الحارث ،
 وحمزة بن مالك ، وحابس بن سعد ، وغير هؤلاء من أهل الرِّضَا عند شُرَحْبِيلِ بْنِ
 السَّمْطِ ، فَوَطَّنَهُمْ لَهُ عَلَى طَرِيقِهِ ؛ ثم كتب إليه يأمره بالقدوم عليه ، فكان يلقى
 الرجل بعد الرجل من هؤلاء في طريقه ، فيُخْبِرُونَهُ أَنَّ عَلِيًّا مَا لَا عَلَى قتل عثمان ،
 ثم أَشْرَبُوا قَلْبَهُ ذَلِكَ .

٢٠ فلما دنا من دمشق أمر معاوية أشراف الشام باستقباله ، فاستقبلوه ، وأظهروا
 تهظيمه ، فكان كلما خلا برجل منهم ألقى إليه هذه الكلمة ، فأقبل حتى دخل على
 معاوية مغضبا ، فقال : « أبا الناس إلا أن ابن أبي طالب قتل عثمان ، والله لئن
 بايعته لنخرجنك من الشام » ، فقال معاوية : « ما كنت لأخالف أمركم ، وإنما أنا

واحد منكم . قال : فاردد هذا الرجل إلى صاحبه - يعني جريرا - فعلم عند ذلك معاوية أن أهل الشام مع شرحبيل ، فقال لشرحبيل : إن هذا الذي تهم به لا يصلح إلا برضى العامة ، فسر في مدائن الشام ، فأعلمهم ما نحن عليه من الطلب بثأر خليفتنا وبايعهم على النصره والمعونة .

فسار شرحبيل يستقرى مدن الشام ، مدينة بعد مدينة ، ويقول : « أيها الناس ، إن عليا قتل عثمان ، وإنه غضب له قوم فلقبهم ، فقتلهم ، وغلب على أرضهم ، ولم يبق إلا هذه البلاد ، وهو واضع سيفه على عاتقه ، وخائض به غمرات الموت حتى يأتاكم ، ولا يجد أحدا أقوى على قتله من معاوية ، فانهمضوا أيها الناس بثأر خليفتكم المظلوم . فأجابه الناس كلهم إلا نفرا من أهل حمص نساكا ، فانهم قالوا « نلزم بيوتنا ومساجدنا ، وأنتم أعلم » .

فلما ذاق معاوية أهل الشام ، وعرف مبايعتهم له قال لجرير « إالحق بصاحبك ، وأعلمه أنى وأهل الشام لا نجيبه إلى البيعة » ، ثم كتب إليه بأبيات كعب بن جعيل :

أَرَى الشَّامَ تَكَرَّهُ مُلْكَ الْعِرَاقِ	وَأَهْلُ الْعِرَاقِ لَهُمْ كَارِهُونَا
وَكُلُّ لِسَانِهِ مُبْغِضٌ	يَرَى كُلَّ مَا كَانَ مِنْ ذَلِكَ دِينَا
وَقَالُوا عَلَى إِمَامٍ لَنَا	فَقُلْنَا رَضِينَا ابْنَ هِنْدٍ رَضِينَا
وَقَالُوا نَرَى أَنْ تَدِينُوا لَنَا	فَقُلْنَا لَهُمْ لَا نَرَى أَنْ نَدِينَا
وَكُلُّ يَسْرٍ بَاعَ عِنْدَهُ	يَرَى غَثَّ مَا فِي يَدَيْهِ سَمِينَا
وَمَا فِي عَلَى لِمُسْتَعْتَبٍ	مَقَالَ سِوَى ضَمِّهِ الْمُحْدِثِينَا
وَلَيْسَ بِرَاضٍ وَلَا سَاخِطٍ	وَلَا فِي النُّهَاءِ وَلَا الْأَمْرِينَا
وَلَا هُوَ سَاءٌ وَلَا سَرٌّ	وَلَا بُدَّ مِنْ بَعْدِ ذَا أَنْ يَكُونَا

فلما قرأ على رضى الله عنه قال للنجاشي أجب ، فقال :

دَعَنْ مُعَاوِيَ مَا أَنْ يَكُونَا فَقَدْ حَقَّقَ اللَّهُ مَا تَحْذَرُونَا
أَنَا كَمِ عَلَى بِأَهْلِ الْعِرَاقِ وَأَهْلِ الْحِجَازِ فَمَا تَصْنَعُونَا

يَرَوْنَ الطَّعْمَانَ خِلَالَ الْعَجَاجِ وَضَرَبَ الْقَوَانِسَ فِي النَّقْعِ دِينًا
هُمْ هَزَمُوا أَجْمَعَ جَمَعَ الزُّبَيْرِ وَطَلْحَةَ وَالْمُعَشَرَ النَّاكِثِينَ
فَإِنْ يَكْرَهُ الْقَوْمُ مُلْكَ الْعِرَاقِ فَقَدِمَا رَضِينَا الَّذِي تَكْرَهُونَا
فَقُولُوا لِكَعْبِ أَخِي وَائِلِ وَمَنْ جَعَلَ الْغَتَّ يَوْمًا سَمِينًا
جَمَلْتُمْ عَلِيًّا وَأَشْيَاعَهُ نَظِيرَ ابْنِ هِنْدٍ أَمَا تَسْتَحُونَا ٥

ولما رجع جرير إلى عليّ كثر قول الناس في التهمة له ، واجتمع هو والأشتر
عند عليّ ، فقال الأشتر : « أما والله يا أمير المؤمنين ، لو أرسلتني فيما أرسلت
فيه هذا لما أُرخيت من خناق معاوية ، ولم أدع له بابا يرجو فتحه إلا سدّته ،
وَلَأَعَجَلْتَهُ عَنِ الْفِكْرَةِ » ، قال جرير : « فما يمنعك من إتيانهم ؟ ! » ، قال
الأشتر : « الآن وقد أفسدتهم ، والله ما أحسبك أتيهم إلا لتتخذ عندهم مودة ،
والدليل على ذلك كثرة ذكرك مساعدتهم وتخيؤفنا بكثرة جموعهم ؛ ولو أطاعني
أمير المؤمنين لحبستك وأشباهك من أهل الظلّة محبّسا لا يخرجون منه حتى يستتبّ
هذا الأمر » . فغضب جرير مما استقبله به الأشتر ، فخرج من الكوفة ليلا في أناس
من أهل بيته ، فلاحق بقرقيسيا ، وهي كورة من كور الجزيرة ، فأقام بها .

١٥ وغضب عليّ لخروجه عنه ، فركب إلى داره ، فأمر بمجلس له فأحرق ؛
فخرج أبو زرعة بن عمرو بن جرير ، فقال : « إن كان إنسان قد أجرم فإنّ
في هذه الدار أناسا كثيرا لم يُجرّموا إليك جرّما ، وقد روّعتهم » ، فقال عليّ :
« أستغفر الله » . ثم خرج منها إلى دار لابن عم جرير ، يُقال له ثوير بن عامر ،
وقد كان خرج معه ، فشعث فيها شيئا ، ثم انصرف .

٢٠ قالوا : ولما فرغ عليّ رضي الله عنه من أصحاب الجمل خافه عبّيد الله بن عمر
أن يقتله بالهرمزّان ، فخرج حتى لحق بمعاوية ، فقال معاوية لعمر : « قد أحيا
الله لنا ذكركم عمر بن الخطاب رضي الله عنه بقُدوم عبّيد الله ابنه علينا » . قال :

فأراده معاوية على أن يقوم في الناس فيُؤزِمَ عَلِيًّا دم عثمان ، فأبى ، فاستخفَّ به معاوية ، ثم أدناه بعد وقرَّبه .

قالوا : ولما عزم أهل الشام على نصر معاوية ، والقيام معه أقبل أبو مسلم الخولاني ، وكان من عبّاد أهل الشام ، حتى قدم على معاوية ، فدخل عليه في أناس من العبّاد ، فقال له : « يا معاوية ، قد بلغنا أنك تهتم بمحاربة علي بن أبي طالب ، فكيف تُناوئُه ^(١) وليست لك سابقته ؟ » ، فقال لهم معاوية : « لست أدعى أني مثله في الفضل ، ولكن هل تعلمون أن عثمان قُتِلَ مظلوماً ؟ » ، قالوا : [نعم] ^(٢) ، قال : « فلندفع لنا قتلته حتى نُسلمَ إليه هذا الأمر » .

قال أبو مسلم : « فاكتبُ إليه هذا الأمر ، حتى أنطلق أنا بكتابك » ، فكتب : ١٠

« بسم الله الرحمن الرحيم ، من معاوية بن أبي سفيان إلى علي بن أبي طالب ، سلامٌ عليك ، فإني أحمد إليك الله الذي لا إله إلا هو ؛ أما بعد ، فإن الخليفة عثمان قُتِلَ معك في المحلة ، وأنت تسمع من داره الهيمَة ^(٣) ، فلا تدفع عنه بقول ولا بفعل ، وأقسم بالله لو قُمتَ في أمره مقاماً صادقاً ، فنَهَنت ^(٤) عنه ما عدل بك من قبلنا من الناس أحداً ، وأخرى أنت بها ظنين ، إيواؤك قتلته ، فهم عَضْدُك ويدك وأنصارك وبطانتك ، وبلغنا أنك تبتهل ^(٥) من دمه ، فإن كنت صادقاً فأمكننا من قتلته ، نقتلهم به ، ونحن أسرع الناس إليك ؛ وإلا فليس لك ولا لأصحابك عندنا إلا السيف ، فوالله الذي لا إله غيره لنَطْلُبَنَّ قَتْلَةَ عثمان في البر والبحر حتى نقتلهم أو تلحق أرواحنا بالله والسلام » .

فسار أبو مسلم بكتابهِ حتى ورَدَ الكوفة ، فدخل على علي ، فناوله الكتاب ، فلما قرأه تسكَّم أبو مسلم ، فقال : « يا أبا الحسن ، إنك قد قُمتَ بأمرٍ ، ووليتَه ،

(١) في الأصل : تناويه . (٢) في الأصل : بلى .

(٣) الهيمَة : صوت الصارخ للفرع . (٤) النهية : الزجر والكف .

(٥) أي تتحلل .

ووالله ما نحبُّ أنه لغيرك إن أُعْطِيَ الحقُّ من نفسك ؛ إنَّ عثمانَ رضى الله عنه قُتِلَ مظلوماً ، فادفع إلينا قَتْلَتَهُ ، وأنتَ أميرُنا ، فإن خافك أحد من الناس كانت أيدينا لك ناصِرةً ، وألسنتنا لك شاهدةً ، وكنت ذا عُدْرٍ وَحِجَّةٍ » ، فقال له على : « اغدُ على الغداة » . وأمر به ، فَأُنْزِلَ ، وأُكْرِمَ .

٥ فلما كان من الغد دخل إلى على وهو في المسجد ، فإذا هو بزُهاء عشرة آلاف رجل ، قد لبسوا السِّلاحَ ، وهم ينادون : « كلُّنا قَتَلَةُ عثمان » ، فقال أبو مسلم لعلى : « إني لأرى قوماً مالَكَ معهم أمرٌ ، وأحسب أنه بلعنهم الذى قدمتُ له ، ففعلوا ذلك خوفاً من أن تدفعهم إلى » .

قال على : « إني ضربت أنف هذا الأمر وعينه ، فلم أرَ يستقيم دفعهم إليك ولا إلى غيرك ، فاجلس حتى أكتب جوابَ كتابك » . ثم كتب :

١٠ « بسم الله الرحمن الرحيم ، من عبد الله على أمير المؤمنين إلى معاوية بن أبي سفيان ؛ أما بعد ، فإن أخا خَوْلان قدم على بكتابٍ منك ، تذكُرُ فيه قَطْعى رَحِمِ عثمان ، وتألبي الناس عليه ، وما فعلتُ ذلك ، غير أنه رَحِمَ الله عَتَبَ الناس عليه ، فَمَنْ بين قاتلٍ وخاذِلٍ ، فجلستُ فى بيتى ، واعتزلتُ أمره ، إلا أن تَتَجَنَّى فتَجَنَّى ما بدَا لك ، فأما ما سألت من دفعي إليك قَتْلَتَهُ ، فإني لا أرى ذلك ، لعلى أنك إنما تطلب ذلك ذريعةً إلى ما تأمل ، ومِرْقاةً إلى ما ترجو ، وما الطَّلَبُ بدمه تُريد ؛ ولعمري لئن لم تنزع عن غِيِّكَ وشِقَاقِكَ لينزل بك ما ينزل بالشَّاقَّ العاصى الباغى ، والسلام » .

وكتب إلى عمرو بن العاص :

٢٠ « بسم الله الرحمن الرحيم ، من عبد الله على أمير المؤمنين إلى عمرو بن العاص ؛ أما بعد ، فإن الدنيا مَشْغَلَةٌ عن غيرها ، صاحبها مَنهُومٌ فيها ، لا يُصِيبُ منها شيئاً إلا ازداد عليها حِرْصاً ، ولم يَسْتَمْنِ بما نال عما لا يبلغ ، ومن وراء ذلك فِرَاقٌ ما جَمَعَ ؛ والسَّعيد مَنْ اتَّعَظَ بغيره ، فلا تُحِيطُ عمَلُك بمِجَاراةِ معاوية . فى باطله ، فإنه سَفِهَ الحقَّ واختارَ الباطل والسلام » .

فكتب إليه عمرو بن العاص :

« من عمرو بن العاص إلى علي بن أبي طالب ، أما بعد ، فإن الذي فيه صلاحنا وألفة ذات بيننا أن تجيبَ إلى ما ندعوك إليه ، من شورى تحملنا وإياك على الحق ، ويعذرنا الناس لها بالصدق والسلام . »

قالوا : ولما أجمع على السير إلى أهل الشام ، وحضرت الجمعة صعد المنبر ، فحمد الله وأثنى عليه ، وصلى على النبي صلى الله عليه وسلم ، ثم قال : « أيها الناس ، سيرُوا إلى أعداء السنن والقرآن ، سيرُوا إلى قتلة المهاجرين والأنصار ، سيرُوا إلى الجفأة الطغام الذين كان إسلامهم خوفاً وكرهاً ، سيرُوا إلى المؤلفة قلوبهم ليكفوا عن المسلمين بأسهم . »

فقام إليه رجل من قَزَارَةٍ ، يسمى أَرْبَدَ ، فقال : « أريد أن تسير بنا إلى إخواننا من أهل الشام فنقتلهم كما سرت بنا إلى إخواننا من أهل البصرة ، فقتلناهم ؟ كلاً ، ها الله ، إذا لا نفعل ذلك . »

فقام الأشر ، فقال : « أيها الناس ، مَنْ لهذا ؟ » فهرب الفزاري وسمى شُؤْبُوبَ^(١) من الناس في إثره ، فلاحقوه بالكُنَاسَةِ^(٢) فضربوه بنعالهم حتى سقط ، ثم وطئوه بأرجلهم حتى مات ؛ فَأُخْبِرَ بذلك على رضى الله عنه فقال : « قَتِيلَ عَمِيَّةَ ، لَا يُدْرَى مَنْ قَتَلَهُ » فدفع دِيَّتَهُ إلى أهله من بيت المال ، وقال بعض شعراء بني تميم :

أَعُوذُ بِرَبِّي أَنْ تَكُونَ مَنِيَّتِي كَمَا مَاتَ فِي سُوقِ الْبَرَازِينِ أَرْبَدُ
تَعَاوَرَهُ هَمْدَانُ خَصَفَ نِعَالِهِمْ إِذَا رُفِعَتْ عَنْهُ يَدٌ وَقَعَتْ يَدُ

وقام الأشر ، فقال : « يا أمير المؤمنين ، لا يؤيسنك من أنصرتنا ما سمعت من هذا الخائن ، إن جميع مَنْ تَرَى من الناس شيعتك ، لا يرغبون بأنفسهم عنك ،

(١) الشؤبوب : الدفعة من المطر ، والمراد جماعة . (٢) اسم موضع بالكوفة .

ولا يحبون البقاء بعدك ، فسيرُ بنا إلى أعدائك ، فوالله ما ينجو من الموت مَنْ خافه ،
ولا يُعطى البقاء مَنْ أحبّه ، ولا يعيش بالأمل إلا المغرور .

فأجابه جُلّ الناس إلى المسير ، إلا أصحاب عبد الله بن مسعود ، وعبيدة
السَّلْمَانِيّ ، والرَّبيع بن خُثَيْم في نحو من أربعمئة رجل من القُرّاء ، فقالوا :
« يا أمير المؤمنين ، قد شككنا في هذا القتال ، مع معرفتنا فضلك ، ولا غِنَى بك
ولا بالمسلمين عن يُقاتِلَ الشرّكين ، فواللّنا بعض هذه الثُّغُور لنُقاتِلَ عن أهله » .
فواللّهم نَمُرْ قَزَوين والرّبيّ ، ووالّى عليهم الرّبيع بن خُثَيْم ، وعقد له لواء ،
وكان أوّل لواء عُقدَ في الكوفة .

قالوا : وبلغ عليّاً أنّ حُجْر بن عَدِيّ وعمرو بن الحَمِق يُظْهَران شَتَمَ معاوية ،
ولعنَ أهل الشام ، فأرسل إليهما أن كُفّا عما يبلغني عنكما . فأتياه ، فقالا :
« يا أمير المؤمنين ، ألسنا على الحق ، وهم على الباطل ؟ » ، قال : « بلى ، وربّ
الكعبة المُسدّنة » ، قالوا : « فلمَ تمنعنا من شَتْمِهِم ولَعْنِهِم ؟ » ، قال :
« كرهت لكم أن تكونوا شَتّامينَ لَمَآئِنٍ ، ولكن قولوا : اللهم احقنْ دماءنا
ودماءهم ، واصلِحْ ذاتَ بيننا وبينهم ، واهدِهم من ضلالتهم ، حتى يعرف الحق
مَنْ جهله ، ويرعوى عن الغي مَنْ كَجَجَ به » .

قالوا : ولما عزم علىّ رضى الله عنه على الشُّخُوصِ أمر مُنادياً ، فنادى بالخروج
إلى المعسكر بالنُّخَيْلَةِ^(١) ، فخرج الناس مستعدين ، واستخلفَ علىّ الكوفة
أبا مسعود الأنصارى ، وهو من السبعين الذين بايعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم
ليلة العقبة . وخرج علىّ رضى الله عنه إلى النُّخَيْلَةِ ، وأمامه عَمَّار بن ياسر ،
فأقام بالنُّخَيْلَةِ معسكراً ، وكتب إلى عُمّاله بالقدوم عليه .

ولما انتهى كتابه إلى ابن عباس ندبَ الناس ، وخطبهم ، وكان أوّل مَنْ
تكلّم الأحنف بن قيس ، ثم قام خالد بن المُعَمَّر السدُوسى ، ثم قام عمرو بن مَرْحُوم

(١) موضع بالبادية قرب الكوفة على سمت الشام .

العَبْدِيُّ ، وكلّهم أَجَابَ ، فخلَفَ على البصرة أبا الأسود الدَّيْلِيَّ ، وسار بالناس حتى قدم على عليّ بالنُخَيْلَةِ .

فلما اجتمع إلى عليّ قَوَاصِيهِ ، وانضمت إليه أطرافه تَهَيَّأَ للمسير من النُخَيْلَةِ ، ودعا زِيَادَ بْنَ النَّضْرِ وَشُرَيْحَ بْنَ هَانِيٍّ ، فمعد لكل واحد منهما على ستة آلاف فارس ، وقال : « لَيْسَ كُلُّ واحد منكما منفرداً عن صاحبه ، فإن جمعتكما حرب ، فأنت يا زِيَادَ الأمير ، واعلم أن مقدّمة القوم عيونهم ، وعيون المقدّمة طلائعهم ، فإيّاكما أن تَسَامَاَ عن توجيه الطلائع ، ولا تسيرا بالكتائب والقبائل من لدن مسيركما إلى نزولكما إلّا بِتَعَبِيَّةٍ وَحَذَرٍ ، وإذا نزلتم بمَدُوٍّ أو نزل بكم ، فليكن معسكركم في أشرف المواضع ليكون ذلك لكم حِصْنًا حَصِينًا ، وإذا غَشِيَكم الليل فَحُفُُّوا عسكركم بالرِّمَاحِ وَالتَّرْسَةِ ، وَلِيَلِيَهُمُ الرَّمَاةُ ، وما أقمتم فكذلك فكونوا ، لئلا يصاب منكم غِرَّةٌ ، واحرّسوا عسكركما بأنفسكما ، ولا تَذُوقَا نوماً إلّا غِرَارًا ومُضْمَضَةً ، وليكن عندى خبركما ، فإنى ولا شئ إلا ما شاء الله حيث السير في إثركما ، ولا تُقاتلا حتى تُبْدَأَ أو يَأْتِيَكُمَا أمرى إن شاء الله » .

فلما كان اليوم الثالث من مخرجهما قام في أصحابه خطيباً ، فقال : « يا أيها الناس ، نحن سائرون غداً في آثار مقدّمتنا ، فإياكم والتخاف ، فقد خَلَفْتُ مَالِكَ بْنَ حَبِيبِ الْيَرْبُوعِيَّ ، وجعلته على الساقة ، وأمرته ألا يدع أحداً إلّا الحقه بنا »

فلما أصبح نادى في الناس بالرَّحِيلِ ، وسار ، فلما انتهى إلى رسوم مدينة بَابِلَ ، قال لمن كان يُسَيره من أصحابه : « إن هذه مدينة قد خُسِفَ بها مراراً ، فحرّكوا خيلكم ، وارخّوا أعنتها ، حتى تجوزوا موضع المدينة ، لعلنا نُدْرِكُ العصر خارجاً منها » . فحرّك ، وحرّكوا دوابهم ، فخرج من حدّ المدينة وقد حضرت الصلاة ، فنزل ، فصلى بالناس ، ثم ركب ، وسار حتى انتهى إلى دير كَعْبَ فجاوزه ، وأتى سَابَاطَ المدائن ، فنزل فيه بالناس ، وقد هَيَّئَتْ له فيه الأَنْزَالُ .

فلما أصبح ركب وركب الناس معه ، وإنهم لثمانون ألف رجل ، أو يزيدون ،

سوى الأتباع والخدم ، ثم سار حتى أتى مدينة الأنبار ، فلما وافى المدائن عقد لمُعْقِل بن قَيْس في ثلاثة آلاف رجل ، وأمره أن يسير على الموصل ونصيبين حتى يوافيه بالرقّة^(١) ، فسار حتى وافى حديثة الموصل ، وهي إذ ذاك المِصر ؛ وإنما بنى الموصل بعد ذلك مروان بن محمد .

- ٥ فلما انتهى مُعْقِل إليها إذا هو بكبشين يتناطحان ، ومع مُعْقِل رجل من خُثَم يزجر ، فجعل الخُثَمِيّ يقول : « إيه ، إيه » ، فأقبل رجلاً ، فأخذ كل منهما كبشاً ، فقاده وانطلق به . فقال الخُثَمِيّ لمُعْقِل « لا تُغْلِبُون ولا تَغْلِبُونَ » فقال مُعْقِل : « يكون خيراً ، إن شاء الله » .

- ١٠ ثم مضى حتى وافى علياً وقد نزل « البليخ »^(٢) فأقام ثلاثاً ، ثم أمر بجسر ، فعقد ، وعبر الناس ، ولما قطع على رضى الله عنه الفرات أمر زياد بن النضر وشُرَيْح ابن هانئ أن يسيرا أمامه ، فسارا حتى انتهيا إلى مكان يدعى « سُور الروم » لقيهما أبو الأعور السُّكُمِيّ في خيل عظيمة من أهل الشام ، فأرسلا إلى عليّ يعلمانه ذلك .

- ١٥ فأمر عليّ الأشتر أن يسير إليهما ، وجمعه أميرا عليهما ، فسار حتى وافى القوم ، فاقتتلوا ، وصبر بعضهم لبعض حتى جَنّ عليهم الليل ، وأنسلّ أبو الأعور في جوف الليل حتى أتى معاوية .

- ٢٠ وأقبل معاوية بالخيال نحو صِفِّين ، وعلى مقدمته سُفَيان بن عمرو ، وعلى ساقته بُسْر^(٣) بن أبي أرطاة العامريّ ، فأقبل سُفَيان بن عمرو ، ومعه أبو الأعور ، حتى وافيّاً صِفِّين ، وهي قرية خراب من بناء الروم ، منها إلى الفُرات غُلُوّة^(٤) ، وعلى شَطّ الفُرات مما يليها غَيْضَة^(٥) مُتَتَفَّة ، فيها نُزُور طولها نحو من فرسخين ، وليس في ذينك الفرسخين طريق إلى الفُرات إلا طريق واحد مفروش بالحجارة ،

(١) مدينة مشهورة على الفرات من الجانب الشرقى . (٢) نهر بالرقّة يجتمع فيه الماء من عيون .

(٣) في الأصل : بَسْر . (٤) الغلوة : قدر رمية بسهم وقد تستعمل في سباق الخيل .

(٥) الغيضة بالفتح : الأجمة ، ومجتمع الشجر في مفيض ماء .

وسائر ذلك خلاف وغرب مُلْتَفٍّ لا يُسَلِّك ، وجميع الغِيْضَةِ زور ووحل
إلا ذلك الطريق الذي يأخذ من القرية إلى الفُرَات .

فأقبل سفيان بن عمرو وأبو الأعور حتى سبقا إلى موضع القرية ، فنزلا هناك
مع ذلك الطريق ، ووافاهما معاوية بجميع الفَيْلَقِ ، حتى نزل معهما ، وغسکر
مع القرية ؛ وأمر معاوية أبا الأعور أن يقف في عشرة آلاف من أهل الشام على
طريق الشريعة ، فيمنع مَنْ أراد السلوك إلى الماء من أهل العراق .

وأقبل على رضى الله عنه حتى وَافَى المكان ، فصادف أهل الشام قد احتشوا على
القرية والطريق ، فأمر الناس ، فنزلوا بالقرب من عسكر معاوية ، وانطلق السَّقَّاءون
والغلمان إلى طريق الماء ، فحال أبو الأعور بينهم وبينه .

وأخبرَ على رضى الله عنه بذلك ، فقال لصَعَصَعَةَ بن صُوحان « إيت معاوية ،
فقل له ، إنا سِرْنَا إليكم لنُعْذِرَ قبل القتال ، فإن قبلتم كانت العافية أحب إلينا ،
وأراك قد حلتَ بيننا وبين الماء ، فإن كان أعجبَ إليك أن ندع ما جئنا له ، ونذر الناس
يقتتلون على الماء حتى يكون الغالب هو الشارب فعلنا .

فقال الوليد : « امنعهم الماء كما منعه أمير المؤمنين عثمان ، اقتلهم عطشاً ،
قتلهم الله » .

فقال معاوية لعمر بن العاص : ماترى ؟ .

قال : « أرى أن تُخَلِّيَ عن الماء ، فإن القوم لن يعطشوا وأنت رِيَّان » .

فقال عبد الله بن أبي سَرْح ، وكان أخا عثمان لأمه : « امنعهم الماء إلى الليل ،
لعلهم أن ينصرفوا إلى طرف الغيضة ، فيكون انصرافهم هزيمة » .

فقال صَعَصَعَةُ لمعاوية : « ما الذى ترى ؟ » .

قال معاوية : « ارجع ، فسيأتىكم رأيي » . فانصرف صَعَصَعَةُ إلى على ، فأخبره
بذلك .

وظل أهل العراق يومهم ذلك وليلتهم بلا ماء إلا من كان ينصرف من الغلمان
إلى طرف الغيضة ، فيمشى مقدار فرسخين ، فيستقي ، فعمَّ عَلِيًّا رضى الله عنه

أمرُ الناس غمًّا شديدًا ، وضاق بما أصابهم من العطش ذرعًا ؛ فأتاه الأشعث بن قيس فقال : « يا أمير المؤمنين ، أيمننا القوم الماء وأنت فينا ومعنا سيوفنا ؟ ولني الزحف إليه ، فوالله لا أرجع أو أموت ، ومُر الأشر فلينضم إلي في خيله » ، فقال له عليّ : « إيت في ذلك ما رأيت . »

فلما أصبح زاحف أبا الأعور ، فاقتتلوا ، وصدقهم الأشر والأشعث حتى نفيا ٥ أبا الأعور وأصحابه عن الشريعة ، وصارت في أيديهما ، فقال عمرو بن العاص لمعاوية : « ما ظنك بالقوم اليوم إن منعوك الماء كما منعتهم أمس ؟ » ، فقال معاوية : « دَع ما مضى ، ما ظنك بعليّ ؟ » ، قال : « ظنّي أنه لا يستحلّ منك ما استحلّت منه ، لأنه أذاك في غير أمر الماء . »

ثم تَوَادَعَ الناس ، وكفّ بعضهم عن بعض ، وأمر عليّ ألا يُمنع أهل الشام ١٠ من الماء ، فكانوا يسقون جميعًا ، ويختلط بعضهم ببعض ، ويدخل بعضهم في معسكر بعض ، فلا يعرض أحد من الفريقين لصاحبه إلا بخير ، ورجوا أن يقع الصلح .

وأقبل عُبيد الله بن عمر بن الخطاب حتى استأذن عليّ ، فأذن له ، فدخل عليه ، فقال له عليّ : « أَقْتَلْتَ الْهَرْمُزَانَ ظُلْمًا ، وقد كان أسلمَ على يديّ عمّي العباس ، وفرضَ له أبوك في ألفين ، وترجو أن تسلمَ مني ؟ » . ١٥

فقال له عُبيد الله : « الحمد لله الذي جعلك تطلبني بدم الْهَرْمُزَانَ ، وأنا أطلبك بدم أمير المؤمنين عثمان . »

فقال له عليّ : « ستجمعنا وإياك الحرب ، فتعلم . »

قال : فلم يزالوا يتراسلون شهرى ربيع^(١) وجادى الأولى ، ويفزعون فيما بين ذلك ، ٢٠ يزحف بعضهم إلى بعض ، فيحجز بينهم القراء والصالحون ، فيفترقون من غير

(١) ربيع الثانى من سنة ٣٧ هـ = أغسطس ٦٥٧ م .

حرب حتى فزعوا في هذه الثلاثة الأشهر خمسا وثمانين فرجة ، كل ذلك يحجز بينهم
القرءاء .

فلما انقضت جمادى الأولى بات على رضى الله عنه يُعَبِّي أصحابه ، ويكتب
كتائبه ، وبعث إلى معاوية يؤذنه بحرب ، فعَبَّى معاوية أيضا أصحابه ، وكتب
كتائبه .

فلما أصبحوا تراحفوا وتواقفوا تحت راياتهم في صفوفهم ، ثم تجاوزوا ، فلم
تكن حرب ، وكانوا بكرهون أن يلتقوا بجميع الفيلقَيْن مخافة الاستئصال ، غير أنه
يخرج الجماعة من هؤلاء إلى الجماعة من أولئك ، فيقتتلون بين العسكرين ، فكانوا
كذلك حتى أهلّ هلال رجب ، فأمسك الفريقان .

قالوا : وأقبل أبو الدرداء وأبو أمامة الباهلي حتى دخلا على معاوية ، فقالا :

« عَلَامَ تُقَاتِل عَلِيًّا ، وهو أحق بهذا الأمر منك ؟ » .

قال : « أقاتله على دم عثمان » .

قالا : « أو هو قتله ؟ » .

قال : « آوى قتلته ، فسكوه أن يُسَلَّم إلينا قتلته ، وأنا أول من يُبايعه من
أهل الشام » .

فأقبلا إلى على رضى الله عنه ، فأخبراه بذلك . فاعتزل من عسكر على زهاء عشرين
ألف رجل ، فصاحوا : « نحن جميعا قتلنا عثمان » .

فخرج أبو الدرداء وأبو أمامة فلحقا بيمض السواحل ، ولم يشهدا شيئا من
تلك الحروب .

وأن معاوية بعث إلى شُرَحْبِيل بن السمط ، وحبيب بن مسلمة ، ومعن بن يزيد
ابن الأخنس ، وقال : « انطلقوا إليه ، وسكوه أن يُسَلَّم إلينا قتلة عثمان ،
ويَتَخَلَّى مما هو فيه حتى نجعلها شورى بين المسلمين ، يختارون لأنفسهم من رضا
وأحبوا » .

فأقبلوا حتى دخلوا على على رضى الله عنه ، فبدأ حبيب بن مسلمة ، فتكلم

بما حمله معاوية ، فقال له عليّ : « وما أنت وذاك ، لا أمّ لك ، فليست هناك ؟ ! »
فقام حبيب مُغَضَّباً ، فقال : « والله لترينى بحيث تكره » ، فقال سُزَحْبِيلُ :
« أفلا تُسَلِّمُ إلينا قَتَلَةَ عُمَانَ ؟ » ، قال عليّ : « إني لا أستطيع ذلك ، وهم زهاء
عشرين ألف رجل » ، فقاما عنه ، فخرجا ، قالوا : فكث الناس كذلك إلى
أن انسَلَخَ المحرّم (١) .

٥

وفي ذلك يقول حابس بن سعد الطائي ، وكان صاحب لواء طيّء مع معاوية :

فَمَا بَيْنَ الْمَنَآيَا غَيْرُ سَبْعٍ بَقِيْنَ مِنَ الْمُحَرَّمِ أَوْ ثَمَانٍ
أَلَمْ يُعْجِبْكَ أَنَّا قَدْ هَجَمْنَا وَإِيَّاهُمْ عَلَى الْمَوْتِ الْعِيَانِ
أَيْنَهَانَا كِتَابُ اللَّهِ عَنْهُمْ وَلَا يَنْهَاهُمْ آيُ الْقُرْآنِ

١٠ فلما انسَلَخَ المحرّم بعث عليّ مُنَادِيّاً ، فنادى في عسكر معاوية عند غروب
الشمس : « إِنَّا أَمْسَكْنَا لِنَصْرِمَ الْأَشْهُرَ الْحَرَمَ ، وَقَدْ تَصَرَّمت ، وَإِنَّا نَنْبِذُ إِلَيْكُمْ
عَلَى سَوَاءٍ ، إِنْ اللَّهُ لَا يُحِبُّ الْخَائِنِينَ » .

١٥ فبات الفريقان يكتبُونَ الكُتَابَ ، وَقَدْ أَوْقَدُوا النيرانَ فِي الْعَسْكَرِينَ ، فَلَمَّا
أَصْبَحُوا تَزَاحَفُوا ، وَقَدْ اسْتَمْعَلَ عَلِيّ عَلَى الْخَيْلِ عُمَارُ بْنُ يَاسِرٍ ، وَعَلَى الرَّجَالِ عَبْدُ
اللَّهِ بْنُ بُدَيْلٍ بْنُ وَرْقَاءِ الْخَزَاعِيِّ ، وَدَفَعَ الرَّايَةَ الْعَظْمَى إِلَى هَاشِمِ بْنِ عُثْبَةَ الْمِرْقَالِ ،
وَجَعَلَ عَلَى الْمِيمَنَةِ الْأَشْعَثُ بْنُ قَيْسٍ وَعَلَى الْمَيْسِرَةِ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَبَّاسٍ ، وَعَلَى رَجَالِ
الْمِيمَنَةِ سُلَيْمَانُ بْنُ صُرَدٍ ، وَعَلَى رَجَالِ الْمَيْسِرَةِ الْحَارِثُ بْنُ مُرَّةَ الْعَبْدِيِّ ، وَجَعَلَ فِي
الْقَلْبِ مُضَرٌّ ، وَفِي الْمِيمَنَةِ رُبَيْعَةُ ، وَفِي الْمَيْسِرَةِ أَهْلُ الْيَمَنِ ، وَضَمَّ قَرِيشًا وَأَسَدًا وَكِنَانَةً
إِلَى عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبَّاسٍ ، وَضَمَّ كِنْدَةً إِلَى الْأَشْعَثِ ، وَضَمَّ بَكْرَ الْبَصْرَةِ إِلَى الْحَضَيْنِ (٢)
٢٠ ابْنُ الْمَنْذَرِ ، وَضَمَّ تَمِيمَ الْبَصْرَةِ إِلَى الْأَحْنَفِ بْنِ قَيْسٍ ، وَوَلَّى أَمْرَ خُزَاعَةَ عَمْرُو بْنُ
الْحَمِيقِ ، وَوَلَّى بَكْرَ الْكُوفَةِ نُعَيْمُ بْنُ هُبَيْرَةَ ، وَوَلَّى سَعْدَ رَبَابِ الْبَصْرَةِ خَارِجَةُ

(١) من سنة ٣٨ هـ .

(٢) فِي الْأَصْلِ : الْحَصِينَ .

ابن قدامة ، وولى بَجِيلَةَ رِفَاعَةَ بن شَدَّاد ، وولى ذُهل الكوفة رُوَيْمًا الشَّيْبَانِيَّ ،
 وولى حَنْظَلَةَ البصرة أَعْيَنَ بن ضُبَيْمَةَ ، وجعل على قُضَاعَةَ كلها عَدِيَّ بن حاتم ، وجعل
 على لَهَازِم الكوفة عبد الله بن بُدَيْل ، وعلى تميم الكوفة عُمَيْرَ بن عَطَّارِد ، وعلى الأزد
 جُنْدُب بن زهير ، وعلى ذُهل البصرة خالد بن العَمَر ، وعلى حَنْظَلَةَ الكوفة شَبَثَ
 ابن رَبِيعٍ ، وعلى هَمْدَان سعد بن قَيْس ، وعلى لَهَازِم البصرة خُزَيْمَةَ بن خازم ،
 وعلى سعد رباب الكوفة أَبَا صِرْمَةَ ، واسمه الطُّفَيْل ، وعلى مَذْحِجِج الأَشْجَر ، وعلى
 عبد قيس الكوفة عبد الله بن الطُّفَيْل ، وعلى عبد قَيْس البصرة عمرو بن حَنْظَلَةَ ، وعلى
 قَيْس البصرة شَدَّادًا الهَسَلَالِيَّ ، وعلى اللَفِيف من القَوَاصِي القَاسِم بن حَنْظَلَةَ
 الجُهْمَنِيَّ .

واستعمل معاوية على الخليل عبد الله بن عمرو بن العاص ، وعلى الرِجَالَةَ مُسْلِم
 ابن عَقَبَةَ ، لعنه الله ، وعلى الميمنة عبيد الله بن عمر بن الخطاب ، وعلى الميسرة حبيب
 ابن مسلمة ، ودفع اللواء الأعظم إلى عبد الرحمن بن خالد بن الوليد ، واستعمل على
 أهل دمشق الضَّحَّاك بن قَيْس ، وعلى أهل حِمص ذَا الكَلَّاع ، وعلى أهل قَنْسَرِينَ
 زُفَر بن الحارث ، وعلى أهل الأَرْدُن سَفْيَان بن عمرو ، وعلى أهل فِلَسْطِينَ مُسْلِمَةَ
 ابن خالد ، وعلى رِجَالَةَ دمشق بُسْر بن أَبِي أَرْطَاة ، وعلى رِجَالَةَ حِمص حَوْشَبَاءَ
 ذَا ظَلِيم ، وعلى رِجَالَةَ قَنْسَرِينَ طَرِيفَ بن حَابِس ، وعلى رِجَالَةَ الأَرْدُنَّ عبد الرحمن
 القَيْنِيَّ ، وعلى رِجَالَةَ فِلَسْطِينَ الحارث بن خالد الأَزْدِيَّ ، وعلى قيس دمشق هَمَام
 ابن قَبِيصَةَ ، وعلى قيس حِمص هَلَال بن أَبِي هُبَيْرَةَ ، وعلى رِجَالَةَ الميمنة حَابِس
 ابن ربيعة ، وعلى قُضَاعَةَ دمشق حسان بن بَجْدَل ، وعلى قُضَاعَةَ حِمص عَبَّاد
 ابن زيد ، وعلى كِنْدَةَ دمشق عبد الله بن جَوْث السَّكْسَكِيَّ ، وعلى كِنْدَةَ
 حِمص يَزِيد بن هُبَيْرَةَ ، وعلى النَّمِر بن قَاسِط يَزِيد بن أَسَد العِجْلِيَّ ، وعلى حِمَيْرَ
 هَانِيَّ بن عُمَيْر ، وعلى قُضَاعَةَ الأَرْدُن مُخَارِق بن الحارث ، وعلى لَخْمَ فِلَسْطِينَ نَابِل
 ابن قيس ، وعلى هَمْدَان الأَرْدُنَّ حمزة بن مالك ، وعلى غَسَّان الأَرْدُنَّ يَزِيد بن الحارث ،

وعلى أهل القواريص القعقاع بن أبرهة ، وعلى الخيل كلها عمرو بن العاص ، وعلى
الرجالة كلها الضحّاك بن قيس .

واصطف كل فريق منهم سبعة صفوف ، صفين في اليمينه وصفين في اليسرة ،
وثلاثة صفوف في القلب ، فكان الفريقان أربعة عشر صفًا ، فوقفوا تحت راياتهم ،
لا ينطق أحد منهم بكلمة ، نخرج رجل من أهل العراق يسمى حَجَل بن أثال ، وكان
من فرسان العرب ، فوقف بين صفوف أهل العراق وأهل الشام ، ثم نادى « هل
من مبارز ؟ وهو متقن بالحديد ؟ نخرج إليه أبوه أثال ، وكان من معدودي فرسان
أهل الشام متقنًا بالحديد ، ولم يعلم واحد منهما من صاحبه ؛ فتطاردا ، والناس قد
شخصت أبصارهم ، ينظرون ، فطعن كل واحد منهما صاحبه ، فلم يصنعا شيئًا ،
لكمال لَأَمْتَيْهِمَا^(١) ، فحمل الأب على الابن ، فاحتضنه حتى أشاله^(٢) عن سرجه ،
فسقط وسقط الأب عليه ، فأنكشفت وجوههما ، فمرف كل واحد منهما صاحبه ،
فانصرفا إلى عسكريهما ، ثم تفرق الناس يومئذ ، ولم يكن بينهما غير هذا .

فلما أصبحوا عادوا إلى مواقعهم ، كما كانوا بالأمس ، نخرج عتبة بن أبي سفيان
حتى وقف على فرسه بين الصفين ، فدعا جمعة بن هُبيرة بن أبي وهب القرشي ، ليخرج
إليه ، فأقبل جمعة حتى دنا من عتبة ، فتجاريا ما هم فيه ، وتقاولا حتى أغضب
جمعة عتبة ، فتناولوه عتبة بلسانه ، فانصرفا مغضبين ، وعسى كل منهما لصاحبه
كتيبة ، فاقتتلوا بين الصفين ، وأعين الناس إليهم ، وباشروا جمعة القتال ، فانهزم
عتبة ، وانصرف الفريقان لم يكن بينهما يومئذ إلا ذاك ، فقال النجاشي يذكر ما كان
بينهما :

٢٠ إِنَّ شَتَمَ الْكَرِيمِ يَأْعُتَبَ خَطْبُ فَأَعْلَمَنَّهُ مِنَ الْخَطُوبِ عَظِيمُ
أُمُّهُ أُمُّ هَانِيٍّ ، وَأَبُوهُ مِنْ لُؤَيٍّ بْنِ غَالِبٍ لَصِيمُ
إِنَّهُ لِلْهَبِيرَةِ بْنِ أَبِي وَه بٍ ، أَفَرَّتْ بِفَضْلِهِ مَخْزُومُ

(١) اللأمة : الدرع .

(٢) رفعه .

وقال أيضاً :

مَا زِلْتَ تَنْظُرُ فِي عِظْفَيْكَ أَهْبَةً لَا يَرْفَعُ الطَّرْفَ مِنْكَ التَّيَهُ وَالصَّلَفُ
لَمَّا رَأَيْتَهُمْ صُبْحًا حَسِبْتَهُمْ أَسَدَ الْعَرِينِ حَمَى أَشْبَالَهَا الْغَرْفُ^(١)
نَادَيْتَ خَيْلَكَ إِذْ عَصَّ السُّيُوفُ بِهَا عَوْجِي إِلَى ، فَمَا عَاجُوا وَمَا وَقَفُوا
هَلَّا عَطَفْتَ إِلَى قَتْلَى مُصْرَعَةً مِنْهَا السَّكُونُ وَمِنْهَا الْأَزْدُ وَالصَّدْفُ
قَدْ كُنْتَ فِي مَنْظَرٍ عَنْ ذَا وَمُسْتَمَعٍ يَأْعُتَبُ لَوْلَا سَفَاهُ الرَّأْيِ وَالْتَرَفُ

قالوا « وخرج الأشعث في يوم من الأيام في خيل من أبطال أهل العراق ،
فخرج إليه حبيب بن مسلمة في مثل ذلك من أهل الشام ، فافتتلوا بين الصفين ملياً
حتى مضى جُلّ النهار ، ثم انصرفوا وقد انتصف بعضهم من بعض .

وخرج يوماً آخر الرقال هاشم بن عتبة بن أبي وقاص في خيل ، فخرج إليه
أبو الأعور السلمي في مثل ذلك ، فافتتلوا بين الصفين جُلّ النهار . فلم يفر أحد
عن أحد .

وخرج يوماً آخر عمار بن ياسر في خيل من أهل العراق ، فخرج إليه عمرو
ابن العاص في ذلك ، ومعه شقة سوداء على قناة ، فقال الناس : « هذا لواء عقده
رسول الله ﷺ » ؛ فقال علي رضي الله عنه : « أنا مخبركم بقصة هذا اللواء :
هذا لواء عقده رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقال : مَنْ يَأْخُذْهُ بِحَقِّهِ ؟ ، فقال عمرو :
وما حقه يا رسول الله ؟ فقال : لا تقرّ به من كافر ، ولا تُقَاتِلْ به مسلماً » . فقد فرّ به
من الكافرين في حياة رسول الله ﷺ ، وقد قاتل به المسلمين اليوم . فاقتتل عمرو
وعمار ذلك اليوم كله ، لم يؤلّ واحد منهما صاحبه الدُّبُرُ .

وخرج في يوم آخر محمد بن الحنفية ، فخرج إليه عبيد الله بن عمر في مثل
عدده من أهل الشام ، فقال عبيد الله لابن الحنفية : « ابرُزْ لي » فقال محمد :

(١) الغرف : الشجر الكثيف اللثف ، أي شجر كان .

« نَزَالٍ » قال : « رِذَالِك ». فَنَزَلَا جَمِيعًا عَنْ فَرَسَيْهِمَا ، وَنَظَرَ عَلَى إِلَيْهِمَا ، فَخَرَكَ
فَرَسَهُ حَتَّى دَنَا مِنْ مُحَمَّدٍ ، ثُمَّ نَزَلَ ، وَقَالَ لِمُحَمَّدٍ : « امْسِكْ عَلَى فَرَسِي » فَفَعَلَ .
وَمَشَى إِلَى مُبَيِّدِ اللَّهِ ، فَوَلَّى عَنْهُ مُبَيِّدُ اللَّهِ ، وَقَالَ : « مَا لِي فِي مَبَارِزَتِكَ مِنْ حَاجَةٍ ،
إِنَّمَا أَرَدْتُ ابْنَكَ » فَقَالَ مُحَمَّدٌ : « يَا أَبَتِ^(١) ، لَوْ تَرَكَتَنِي أَبَارِزُهُ لَرَجَوْتُ أَنْ أَقْتُلَهُ »
قال : « لَوْ بَارِزْتَهُ لَرَجَوْتُ ذَلِكَ ، وَمَا كُنْتُ آمِنًا أَنْ يَقْتُلَكَ » . وَاقْتَتَلَتْ خِيَلَاهُمَا إِلَى
أَنْصَافِ النَّهَارِ ، ثُمَّ انْصَرَفَتْ ، وَكُلٌّ غَيْرُ غَالِبٍ .

وَخَرَجَ فِي يَوْمٍ آخِرِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبَّاسٍ فِي خَيْلٍ مِنْ أَهْلِ الْعِرَاقِ ، فَخَرَجَ إِلَيْهِ
الْوَلِيدُ بْنُ عُتْبَةَ فِي مِثْلِهَا مِنْ أَهْلِ الشَّامِ ، فَقَالَ الْوَلِيدُ : « يَا ابْنَ عَبَّاسٍ ، قَطَعْتُمْ
أَرْحَامَكُمْ ، وَقَتَلْتُمْ إِمَامَكُمْ ، وَلَمْ تُدْرِكُوا مَا أَمَلْتُمْ » ، فَقَالَ لَهُ ابْنُ عَبَّاسٍ : « دَعْ
عَنْكَ الْأَسَاطِيرَ ، وَابْزُزْ إِلَى » ، فَأَبَى الْوَلِيدُ ، وَقَاتَلَ ابْنَ عَبَّاسٍ يَوْمَئِذٍ بِنَفْسِهِ
قِتَالًا شَدِيدًا ، ثُمَّ انْصَرَفَا مُنْتَصِفَيْنِ .

وَخَرَجَ فِي يَوْمٍ آخِرِ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ فِي خَيْلٍ مِنْ أَهْلِ الشَّامِ ، فَخَرَجَ إِلَيْهِ سَعْدُ بْنُ
قَيْسِ الْهَمْدَانِيِّ فِي مِثْلِ ذَلِكَ مِنْ أَهْلِ الْعِرَاقِ ، وَعَمْرِو بْنُ تَجْزٍ :
لَا تَأْمَنَنَّ بَعْدَهَا أَبَا حَسَنٍ طَاحِنَةً تَدُقُّكُمْ دَقَّ الطَّحْنِ
إِنَّا نُمِرُّ الْحَرْبَ إِمْرَارَ الرَّسَنِ^(٢)

فَبَدَرَهُمْ مَنْ كَانَ مَعَ عَمْرِو فَتَى مِنْ أَهْلِ الشَّامِ ، يُسَمَّى حُجْرَ الشَّرِّ ، فَدَعَا لِلْبِرَازِ ،
فَبَرَزَ إِلَيْهِ حُجْرُ بْنُ عَدِيٍّ ، فَطَعَنَاهُ ، فَطَعَنَهُ حُجْرُ الشَّرِّ طَعْنَةً أَذْرَاهُ عَنْ فَرَسِهِ ، وَجَاحَهُ
أَصْحَابُهُ ، فَانْصَرَفَا وَقَدْ جَرَحَهُ السِّنَانُ ، فَخَرَجَ إِلَيْهِ الْحَكَمُ بْنُ أَزْهَرَ ، وَكَانَ مِنْ
أَشْرَافِ الْكُوفَةِ ، فَاخْتَلَفَا ضَرْبَتَيْنِ ، فَضْرِبَهُ حُجْرُ الشَّرِّ فَقَتَلَهُ : ثُمَّ نَادَى « هَلْ مِنْ
مَبَارِزٍ ؟ » ، فَبَرَزَ إِلَيْهِ ابْنُ عَمٍّ لِلْحَكَمِ يُسَمَّى رِفَاعَةَ بْنُ طَلِيقٍ ، فَضْرِبَهُ حُجْرُ الشَّرِّ
فَقَتَلَهُ ، فَقَالَ عَلَى : « الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي قَتَلَ هَذَا مُقْتَلِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ بَدِيلٍ » .

وَخَرَجَ فِي يَوْمٍ آخِرِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ بَدِيلِ الْخَزَاعِيِّ ، وَكَانَ مِنْ أَفْضَلِ أَصْحَابِ عَلَىٍّ

(١) فِي الْأَصْلِ يَا أَبَةَ . (٢) الرَّسَنُ : مَحْرَكَةُ الْحَبْلِ وَمَا كَانَ مِنْ زِمَامٍ عَلَى أَلْفٍ .

في خيل من أهل العراق ، فخرج إليه أبو الأعور السلمي في مثل ذلك من أهل الشام فاقْتَتَلُوا هَوِيًّا ^(١) من النهار ، فترك عبد الله أصحابه يعتركون في مجالهم ، وضرب فرسه حتى أحماء ، ثم أرسله على أهل الشام ، فشق جموعهم ، لا يدنو منه أحد إلا ضربه بالسيف حتى انتهى إلى الراية التي كان معاوية عليها ، فقام أصحاب معاوية دونه ، فقال معاوية : « ويحكم ، إن الحديد لم يؤذن له في هذا ، فعليكم بالحجارة » فرُث بالصخر حتى مات ، فأقبل معاوية حتى وقف عليه ، فقال : « هذا كبش القوم » هذا كما قال الشاعر :

أَخُو الْحَرْبِ إِنْ عَصَتْ بِهِ الْحَرْبُ عُضَّهَا وَإِنْ شَمَرَتْ عَنْ سَاقِهَا الْحَرْبُ شَمَرًا
كَلَيْتَ عَرِينِ بَاتَ يَحْمِي عَرِيْنَهُ رَمَتْهُ الْمَنَايَا قَصْدَهَا فَتَقَطَّرَا

قالوا : وكان فارس معاوية الذي ينتهي به حرث مولاة ، وكان يلبس بزة معاوية ، ويستلثم سلاحه ، ويركب فرسه ، ويحمل متشبها بمعاوية ، فإذا حمل قال الناس : « هذا معاوية » وقد كان معاوية نهى عن عليّ ، وقال « اجْتَنِبْهُ ، وَضَعْ رُمْحَكَ حَيْثُ شِئْتَ ». فخلا به عمرو ، وقال : « ما يمنعك من مبارزة عليّ ، وأنت له كُفء ؟ » ، قال : « نهاني مولاي عنه » ، قال : « وإني والله لأَرْجُو إن بارزته أن تقتله ، فتذهب بشرف ذلك » . فلم يزل يُزَيِّنُ له ذلك حتى وقع في قلب حرث .

فلما أصبحوا خرج حرث حتى قام بين الصفين ، وقال : « يا أبا الحسن ، ابرُزْ إليّ ، أنا حرث » ، فخرج إليه عليّ ، فضربه ، فقتله .

وبعث عليّ يوماً من تلك الأيام إلى معاوية : « لِمَ تَقْتُلُ النَّاسَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ ؟ ابرُزْ إليّ ، فَأَيُّنَا قَتَلَ صَاحِبَهُ تَوَلَّى الْأَمْرَ » . فقال معاوية لعمرو : « ما ترى ؟ » قال : « قد أنصفك الرجل ، فابرُزْ إليه » ، فقال معاوية : « أتخدعني عن نفسي ، ولم أبرز إليه ، ودوني عكَّ والأشعرون » . ثم قال :

(١) هوى بالضم وكفى ساعة من النهار أو من الليل .

مَا لِلْمُلُوكِ وَلِلْبِرَارِ وَإِنَّمَا حَظُّ الْمُبَارِزِ خَطْفَةٌ مِنْ بَارٍ
ووجد من ذلك على عمرو ، فَهَجَرَهُ أَيَامًا ، فقال عمرو لمعاوية : « أنا خارج
إلى عليّ غدا » .

فلما أصبحوا بَدَرَ عمرو حتى وقف بين الصفيين ، وهو يرتجز :
شُدًّا عَلَى شِكَّتِي لَا تَنْكَشِفُ يَوْمَ لِهَمْدَانَ وَيَوْمَ لِلصَّدْفِ ٥
وَلِتَمِيمٍ مِثْلُهُ أَوْ تَنْحَرِفُ وَالرَّابِعُونَ لَهُمْ يَوْمَ عَصِيفٍ
إِذَا مَشَيْتُ مِشْيَةَ الْعَوْدِ النَّظِيفِ أَطْعَمُهُمْ بِكُلِّ خَطِيٍّ ثَقِيفٍ (١)

ثم نادى : « يا أبا الحسن ، اخرج إليّ ، أنا عمرو بن الماص » . فخرج إليه
عليّ ، فَتَطَاعَنَّا ، فلم يصنمنا شيئاً ، فانتضى عليّ سيفه ، فحمل عليه ، فلما أراد
أن يُجَلِّلَهُ رَمَى بِنَفْسِهِ عَنْ فَرَسِهِ ، ورفع إحدى رجليه ، فَبَدَّتْ عَوْرَتُهُ ، فَصَرَفَ ١٠
عليّ وجهه ، وتركه . وانصرف عمرو إلى معاوية ، فقال له معاوية : « احمد الله
وسوءاء إستك يا عمرو » .

قالوا : وخرج عُبَيْدُ اللَّهِ بْنُ عَمْرِ بْنِ الْخَطَّابِ يوماً من تلك الأيام ، وكان من
فرسان العرب وأبطالها في خيل من أهل الشام ، وخرج الأشر في مثلها ، فاشتدَّتْ
بينهما الحرب ، فالتقى عُبَيْدُ اللَّهِ وَالْأَشْر ، فحمل عُبَيْدُ اللَّهِ عَلَى الْأَشْر ، وَبَدَّرَهُ الْأَشْرُ ١٥
يطعنه ، فأخطأه ، وأسرع الأشر في أصحاب عُبَيْدِ اللَّهِ ، فانصرف الفريقان ،
وللأشر الفضل .

وخرج يوماً آخر عبد الرحمن بن خالد بن الوليد ، وكان من معدودي رجال
معاوية ، فخرج إليه عَدِيٌّ بْنُ حَاتِمٍ فِي مِثْلِهَا ، فاقتتلوا يومهم كله ، ثم انصرفوا ،
وكل غير غالب . ٢٠

(١) الخطي الثقف : الرمح المعتدل .

وخرج يوماً ذو الكلاع في أربعة آلاف فارس من أهل الشام قد تبأعوا على الموت ، فحملوا على ربيعة ، وكانوا في ميسرة على ، وعليهم عبد الله بن عباس ، فتصدعتُ جُجوع ربيعة ، فناداهم خالد بن المعمر : « يا معشر ربيعة أسخطم الله » فثابوا إليه ، فاشتد القتال حتى كثرت القتلى ، ونادى عبيد الله بن عمر : « أنا الطيبُ ابن الطيب » ، فسمعه عمار ، فناداه : « بل أنت الخبيثُ ابن الطيب » . ثم حمل عبيد الله ، وهو يرتجز :

أَنَا عُبَيْدُ اللَّهِ يَنْمِينِي عُمَرُ خَيْرُ قُرَيْشٍ مَنْ مَضَى وَمَنْ غَبَرَ
غَيْرَ رَسُولِ اللَّهِ وَالشَّيْخِ الْأَعْرُ أَبْطَأَ عَنْ نَصْرِ ابْنِ عَفَّانَ مُضَرُ
وَالرَّابِعُونَ ، فَلَا أُسْقُوا الْمَطَرُ

فضرب شمر بن الرَيَّان العجلي ، فقتله ، وكان من فرسان ربيعة .

[مقتل عبيد الله بن عمر بن الخطاب]

فلما أصبحوا خرج عبيد الله فيمن كان معه بالأمس ، وخرجت إليهم ربيعة ، فاقتتلوا بين الصفين ، وعبيد الله أمامهم يضرب بسيفه ، فحمل عليه حرث بن جابر الحنفي ، فطعنه في لبتة^(١) ، فقتله ؛ وقد اختلفوا في قتله ، فقالت^(٢) همدان :

قتله هانيء بن الخطاب ، وقال[ت] حضرموت : قتله مالك بن عمرو الحضرمي ، وقالت ربيعة : حرث بن جابر الحنفي ، وهو المجمع عليه ، فقال كعب بن جُمَيْل يرثيه :

أَلَا إِنَّمَا تَبْكِي الْعَيُونَ لِفَارِسٍ بِصِفَيْنِ أَجَلَتْ خِيْلُهُ وَهُوَ وَاقِفُ
فَأَضْحَى عُبَيْدُ اللَّهِ بِالقَاعِ مُسْلِمًا تَمَجُّ دَمًا مِنْهُ وَالْعُرُوقُ النَّوَارِفُ
يَنُوءُ وَتَعْلُوهُ سَبَائِبُ مِنْ دَمٍ كَمَا لَاحَ فِي جَيْبِ الْقَمِيصِ الْكَفَائِفُ^(٣)
وَقَدْ ضَرَبَتْ حَوْلَ ابْنِ عَمٍّ نَبِينًا مِنْ الْمَوْتِ شَهْبَاءَ الْمَنَّاكِبِ شَارِفُ^(٤)

(١) النحر وموضع الفلادة من الصدر . (٢) في الأصل : فقال .

(٣) السبائب جمع سببية وهي الشقة الرقيقة من الثياب ، والكفائف طرر القميص التي لا

أهداب لها . (٤) يعني أن الكتيبة قد صارت مناكبها شهباء لما يعلوها من الحديد .

تَمُوجُ تَرَى الرَّايَاتِ مُجَرًّا كَأَنَّهَا إِذَا صُوبَتْ لِلطَّمَنِ طَيْرٌ عَوَا كَيْفُ
جَزَى اللَّهُ قَتْلَانَا بِصِفِّينِ خَيْرَ مَا جَزَى عِبَادًا غَادَرْتَهَا الْمَوَاقِفُ

[مقتل ذي الكلاع]

قالوا : وخرج ذو الكلاع في يوم من تلك الأيام في كتيبة من أهل الشام من
عكّ ولخّم ، فخرج إليه عبد الله بن عباس في ربيعة ، فالتقوا ، ونادى رجل من
مَذْحِجِ العراق « يا آل مَذْحِج ، خذّموا ^(١) » فاعتزّت مَذْحِجُ عكّا يضربون
سوقهم بالسيوف ، فيبركون . فنادى ذو الكلاع .. يا آل عكّ ، بروكا كبروك
الإبل .

وحمل رجل من بكر بن وائل يسمّى خنْدِفاً على ذي الكلاع ، فضربه بالسيف
على عاتقه ، فَقَدَّ الدَّرْعَ ، وَفَرَّ عَاتِقَهُ ، فخرّ ميتاً ؛ فلما قُتِلَ ذو الكلاع تَمَحَّكَتْ
عكّ ، وصبروا لِمَعْضِ السيوف ، فلم يزالوا كذلك حتى أمسوا .

وكان أهل العراق وأهل الشام أيام صِفِّينِ إذا انصرفوا من الحرب يدخل كل
فريق منهم في الفريق الآخر ، فلا يعرض أحد لصاحبه ، وكانوا يطلبون قتلاهم ،
فيخرجونهم من المعركة ، ويدفنونهم .

قالوا : وإن عَلِيّاً رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَشَاعَ أَنَّهُ يَخْرُجُ إِلَى أَهْلِ الشَّامِ بِجَمِيعِ النَّاسِ ،
فِيقاتلهم حتى يحكم الله بينه وبينهم ، ففرغ الناس لذلك فرعاً شديداً ، وقالوا : « إنما
كنا إلى اليوم تخرج الكتيبة إلى مثلها ، فيقتتلون بين الجمعين ، فإن التقينا بجميع
الفيّالقين فهو فناء العرب » .

وقام [عليّ] في الناس خطيباً ، فقال : « ألا إنكم مُلَاذُوُ القومِ غداً بجميع
الناس ، فأطيلوا الليلة القيام ، وأكثروا تلاوة القرآن ، وسألوا الله الصبر والعفو ،
والتقوّم بالجدّة » .

(١) في الأصل : خدموا والصواب : خذموا أي أسرعوا في السير .

فقال كعب بن جُعيل :

أَصْبَحَتِ الْأُمَّةُ فِي أَمْرِ عَجَبٍ وَالْمُلْكُ بِمَجْمُوعٍ غَدًا لِمَنْ غَلَبَ
أَقُولُ قَوْلًا صَادِقًا غَيْرَ الْكَذِبِ إِنَّ غَدًا تَهْلِكُ أَعْلَامُ الْعَرَبِ

واجتمع أهل الشام إلى معاوية ، فمرضهم ، فنَادَى مُنَادِيهِ : « أين الجند المقدّم ؟ »
فخرج أهل حِمص تحت راياتهم ، وعليهم أبو الأعور الشَّكَمِيُّ ، ثم نَادَى : « أين
أهل الأزدن ؟ » ، فخرجوا تحت راياتهم ، وعليهم زُفَر بن الحارث السَّكَلَابِيُّ ،
ثم نَادَى : « أين جُند الأمير ؟ » فجاء أهل دمشق تحت راياتهم ، وعليهم الضَّجَّاحُ
ابن قَيْس ، فأطافوا بمعاوية ، فمَقَّدَ لعمر بن العاص على جميع الناس ، وساروا
حتى وقفوا بإزاء أهل العراق .

وقعد معاوية على منبر ينظر منه فوق رَابِيَةِ إلى الفريقين إذا اقتتلوا ، وأقبلت
عكَّ الشام ، وقد عَصَبُوا أَنْفُسَهُمْ بِالْعِائِمِ ، وَطَرَحُوا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ حَجَرًا ، وقالوا :
« لَا نُؤَلِّي الدُّبُرَ أَوْ يُؤَلَّى مَعَنَا هَذَا الْحِجَرُ » ، فَصَفَّوْهُمُ عَمْرُو خَمْسَةِ صُفُوفٍ ، ووقف
أمامهم يرتجز :

يَا أَيُّهَا الْجَيْشُ الصَّلِيبُ الْإِيمَانُ قُومُوا قِيَامًا ، فَاسْتَعِينُوا الرَّحْمَنَ (١)
إِنِّي أَنَا فِي خَيْرٍ فَأُبْكَا أَنْ عَلِيًّا قَتَلَ ابْنَ عَفَّانَ
رُدُّوا عَلَيْنَا شَيْخَنَا كَمَا كَانَ

وأنشأ رجل من أهل الشام يقول :

تَبَكَّى الْكِتَابَةُ يَوْمَ جَرَّ حَدِيدَهَا يَوْمَ الْوَعَى جَزَعًا عَلَى عُثْمَانَ
يَسْأَلُونَ حَقَّ اللَّهِ لَا يَمْدُونَهُ وَسَأَلْتُمُ لِعَلِيٍّ السُّلْطَانَا
فَأَتُوا بِبَيِّنَةٍ بِمَا تَسْأَلُونَهُ هَذَا الْبَيَانُ ، فَأَخْضِرُوا الْبُرْهَانَا

ولما أصبح على رضى الله عنه غُلَسَ (٢) بصلاة الفجر ، ثم أمر أصحابه ، فخرجوا

(١) في الأصل : الرحمان . (٢) صلى الفجر في أول وقته .

- تحت راياتهم ، ثم جعل يدور على رايات أهل الشام ، فيقول : « مَنْ هَؤُلَاءِ ؟ »
 فَيَسْمُرُونَ لَهُ ، حتى إذا عرفهم ، وعرف مراكزهم ، قال لأزد الكوفة :
 « اكفوني أزد الشام » ، وقال لخشتم : « اكفوني خشتم » ، فأمر كل قبيلة
 من أهل العراق أن تكفيه أختها من أهل الشام ؛ ثم أمرهم أن يحملوا من كل ناحية
 حملة رجل واحد ؛ فحملوا ، وحمل على رضى الله عنه على الجمع الذى كان فيه معاوية
 ٥ في أهل الحجاز من قريش والأنصار وغيرهم ، وكانوا زهاء اثني عشر ألف فارس ،
 وعلى أمامهم ، وكَبَرُوا وكَبَرَتِ الناس تكبيرة ارتجت لها الأرض ، فانتقضت
 صفوف أهل الشام ، واختلفت راياتهم ، وانتهوا إلى معاوية ، وهو جالس على
 منبره ، معه عمرو بن العاص ، ينظران إلى الناس ، فدعا بفرس ليركبه .
- ثم إن أهل الشام تداعوا بعد جوتهم ، وثابوا ، ورجعوا على أهل العراق ،
 ١٠ وصَبَرَ القوم بمضهم لبعض إلى أن حَجَزَ بينهم الليل ، قُتِلَ في ذلك اليوم أناس
 كثير من أعلام العرب وأشرافهم ؛ فلما أصبحوا دخل الناس بعضهم في بعض ،
 يستخرجون قتلاهم ، فيدفنونهم يومهم ذلك كله .
- ثم إن علياً قام في عَشِيَّة ذلك اليوم في أصحابه ، فقال : « أيها الناس ، اغدوا
 على مصافكم ، وازحفوا إلى عدوكم ، وعضوا الأبصار ، واخفضوا الأصوات ،
 ١٥ وأَقِلُّوا الكلام ، واثبتوا ، واذكروا الله كثيراً ، ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب
 ريحكم ، واصبروا ، إن الله مع الصابرين » .
- وقام معاوية في أهل الشام ، فقال : « أيها الناس ، اصبروا وصابروا ،
 ولا تتخاذلوا ولا تتواكلوا ، فإنكم على حق ، ولكم حُجَّة ، وإنما تُقَاتلون
 ٢٠ مَنْ سَفَكَ الدَّمَ الحَرَامَ ، فليس له في السماء عاذر » .
- وقام عمرو ، فقال : « أيها الناس ، قَدِّمُوا المُسْتَلِئِمَةَ وأَخِّرُوا الحُسْرَ (١) ،
 وأعيرونا جماجمكم اليوم ، فقد بلغ الحق مقطعه ، وإنما هو ظالم أو مظلوم » .

(١) الحاسر خلاف الدارع ، ويقال للرجالة في الحرب الحسر لأنه لا درع عليهم ولا يبيض

فبات الفريقان طول تلك الليلة يتعبون للحرب ، ثم غدّوا على مصافهم ، وحمل الفريقان بعضهم على بعض ، وحمل حبيب بن مسكمة ، وكان على ميسرة معاوية ، على ميمنة على رضى الله عنه ، فانكشفوا وجالوا جولة ، ونظر على إلى ذلك ، فقال لسهل بن حنيفة : « انهض فيمن معك من أهل الحجاز حتى تُعين أهل الميمنة ؛ فمضى سهل فيمن كان معه من أهل الحجاز نحو الميمنة ، فاستقبلهم جموع أهل الشام ، فكشفوه ومن معه حتى انتهوا إلى على ، وهو في القلب ، فجال القلب وفيه على جولة ، فلم يبق مع على إلا أهل الحفظ والنجدة ، فحث على فرسه نحو ميسرته ، وهم وقوف يُقاتلون من إزائهم من أهل الشام ، وكانوا ربيعة .

قال زيد بن وهب : « فإني لأنظر إلى على ، وهو يمر نحو ربيعة ، ومعه بنوه : الحسن والحسين ومحمد ، وإن النبل ليمر بين أذنيه وعاتقه ، وبنوه يَقُونَهُ بأنفسهم ، فلما دنا على من الميسرة ، وفيها الأشر ، وقد وقفوا في وجوه أهل الشام يُجَالِدُونَهُمْ ، فناداه على ، وقال : « إيت هؤلاء المهزمين ، فقل : أين فراركم من الموت الذي لم تُعْجِزُوهُ إلى الحياة التي لا تبقى لكم » .

فدفع الأشر فرسه ، فعارض المهزمين ، فناداهم : « أيها الناس ، إلى إلى ، أنا مالك بن الحارث » فلم يلتفتوا إليه ، فظن أنه بالاستعراف ، فقال : « أيها الناس أنا الأشر » فتابوا إليه ، فزحف بهم نحو ميسرة أهل الشام . فقاتل بهم قتالا شديدا حتى انكشف أهل الشام ، وعادوا إلى مواقعهم الأولى .

ورتب الأشر ميمنة على رضى الله عنه والقب مراتبهما قبل الجولة ، فلما عادوا إلى مواقعهم جعل على يسير في الصفوف ويؤنّبهم على ما كان من جولاتهم ، وذلك ما بين صلاة العصر والمغرب .

قال : ثم إن أهل الشام حملوا على تميم ، وكانوا في الميمنة ، فكشفوهم ، فناداهم زحر^(١) بن نهشل : يا بني تميم ، إلى أين ؟ قالوا : « ألا ترى إلى ما قد غشنا ؟ ! »

(١) في الأصل : زجر .

فقال : « وَيَحْكُم ، أفراراً واعتذاراً؟! إن لم تُقاتِلوا على الدين ، فقاتلوا على الأحساب ، احمِلوا مي . فحمل وحملوا ، فقاتل حتى قُتِلَ ، وهو أمامهم ، وحمل الناس جميعاً بعضهم على بعض ، واقتتلوا حتى تكسرت الرماح وتقطعت السيوف ، ثم تكادَموا^(١) بالأفواه ، وتحاثوا بالتراب ، ثم نادوا من كل جانب : « يا معشر العرب ، مَنْ للنساء والأولاد ، الله الله في الحرمات » .

وإن عَلِيّاً رضي الله عنه لينغمس في القوم ، فيضرب بسيفه حتى ينشئ ، ثم يخرج مُتَخَضِّباً بالدم حتى يُسَوِّيَ له سيفه ، ثم يرجع ، فينغمس فيهم ، وربيعه لا تترك جهداً في القتال معه والصبر ، وغابت الشمس ، وقربوا من معاوية ، فقال لعمر : « ما ترى ؟ » قال : « أن تخلى سُرَادِقُك » .

١٠ فنزل معاوية عن المنبر الذي كان يكون عليه ، وأخلى السُرَادِقَ ، وأقبلت ربيعة ، وأمامها عليّ رضي الله عنه حتى غشوا السرادق ، فقطموه ، ثم انصرفوا ، وبات عليّ تلك الليلة في ربيعة .

[مقتل هاشم بن عتبة بن أبي وقاص المرقال]

١٥ فلما أصبح عليّ غادى^(٢) أهل الشام القتال ، ودفع رايته العظمى إلى هاشم بن عُتْبَةَ ، فقاتل بها نهاره كله ، فلما كان العشيّ انكشف أصحابه انكشافاً ، وثبت هاشم في أهل الحفاظ منهم والنجدة ، فحمل عليهم الحارث بن المنذر التَّوْخِيُّ ، فطعن طعنة جائفة^(٣) ، فلم ينته عن القتال ، ووافاه رسول عليّ يأمره أن يقدم رايته ، فقال للرسول : « انظر إلى ما بي » فنظر إلى بطنه ، فرآه منشقاً ، فرجع إلى عليّ ، فأخبره ، ولم يلبث هاشم أن سقط ، وجال أصحابه عنه ، وتركوه بين القتلى ، فلم يلبث أن مات . وحال الليل بين الناس وبين القتال .

٢٠

(١) عض بعضهم بعضاً . (٢) باكرهم .

(٣) قاتلة ، وجأفه أي صرعه ، لفه في جفنه .

فلما أصبح على غَلَسٍ^(١) بالصلاة، وزحف بجموعه نحو القوم على التَّعْبِيَةِ الأولى ،
ودفع الراية إلى ابنه عبد الله بن هاشم بن عتبة ، وتزاحف الفريقان فاقتتلوا . فرُوى
عن القَعْقَاعِ الظَّفَرِيِّ أنه قال : « لقد سمعت في ذلك اليوم من أصوات السيوف ما
الرعد القاصف دونه » وعلى رضى الله عنه واقف ينظر إلى ذلك ، ويقول : « لا حول
ولا قوة إلا بالله ، والله المُسْتَعْمَانُ ، ربَّنَا افتح بيننا وبين قومنا بالحق ، وأنت خير
الفاتحين » .

ثم حمل على نفسه على أهل الشام حتى غاب فيهم ، فانصرف مُخَضَّبًا بالدماء ، فلم
يزالوا كذلك يومهم كله والليل حتى مضى ثلثه ، وجرح على خمس جراحات ، ثلاث
في رأسه واثنان في وجهه ، ثم تفرقوا وغدوا على مصافهم ، وعمر بن العاص يقدم
أهل الشام ، فحمل عبد الله بن جعفر ذو الجناحين في قريش والأنصار في وجه عمرو
فاقتتلوا ، وحمل غلامان أخوان من الأنصار على جموع أهل الشام حتى انتهىا إلى
سرادق معاوية ، فقتلا على باب السرادق ، ودارت رحى الحرب إلى أن ذهب ثلث
الليل ، ثم تحاجزوا ؛ ولما أصبح الناس اختلط بعضهم ببعض ، يستخرجون قتلاهم ،
فيدفنونهم .

وكتب معاوية إلى عليّ : « أمّا بعد ، فإنى إنما أقاتلك على دم عثمان ، ولم أرَ
المُداَهَنَةَ في أمره وإسلام حَقِّه ، فإن أدرك بثأرى فيه فذاك ، وإلا فالوت على
الحق أجمل من الحياة على الضئيم ، وإنما مثلى ومثل عثمان ، كما قال المخارق :
فَمَهْمَا تَسَلَّ عَنْ نُصْرَتِي السَّيِّدَ لَا تَجِدْ

لَدَى الْحَرْبِ يَتُّ السَّيِّدِ عِنْدِي مُدَمَّمًا

فكتب إليه عليّ : « أمّا بعد ، فإنى عارض عليك ما عرض مخارق على
بنى فالج ، حيث قال :

(١) الغلس : ظلمة آخر الليل إذا اختلطت بضوء الصباح ، والمراد أنه صلى الصبح في
أول وقته .

يَا رَاكِبًا إِمَّا عَرَضْتَ فَبَلَّغًا بَنَى فَالِجٍ حَيْثُ اسْتَقَرَّ قَرَارُهَا
هَلُمُّوا إِلَيْنَا لَا تَكُونُوا كَأَنَّاكُمْ بَلَاقِعُ أَرْضٍ طَارَ عَنْهَا غُبَارُهَا
سَلِيمٌ بَنُ مَنْصُورٍ أَنَاسُ أَعِزَّةٍ وَأَرْضُهُمْ أَرْضٌ كَثِيرٌ وَبَارُهَا^(١)
فكتب إليه معاوية : إنا لم نزل للحرب قادة ، وإنما مثلى ومثلك ما قال
أوس بن حَجَر :
٥

إِذَا الْحَرْبُ حَلَّتْ سَاحَةَ الْحَيِّ أَظْهَرَتْ
عُيُوبَ رِجَالٍ يُعْجِبُونَكَ فِي الْأَمْنِ
وَالْحَرْبِ أَقْوَامٌ يُحَامُونَ دُونَهَا
وَكَمْ قَدْ تَرَى مِنْ ذِي رُوءٍ وَلَا يُغْنِي

- ١٠ ثم غَدَوْا على الحرب ، وراية أهل الشام العُظمى مع عبد الرحمن بن خالد
ابن الوليد ، وكان يحمل بها فلا يلقاه شيء إلا هَدَّه ، وكان من فرسان العرب ؛
وكانت من أهل العراق جَوَلَةٌ شديدة ، فنَادَى الناس الأَشْتَر ، وقالوا : « أَمَا تَرَى
اللَّوَاءَ أَيْنَ قَدْ بَلَغَ ؟ » ، فتناول الأَشْتَر لواء أهل العراق ، فتقدَّم به ، وهو يرتجز :
إِنِّي أَنَا الْأَشْتَرُ مَعْرُوفُ الشَّتْرِ إِنِّي أَنَا الْأَفْعَى الْعِرَاقِيُّ الذِّكْرُ^(٢)
١٥ فقاتل أهل الشام حتى رَدَّ اللِّوَاءَ ، وَرَدَّهم على أعقابهم ؛ ففي ذلك يقول النَّجَّاشِيُّ :
رَأَيْتُ اللَّوَاءَ كَظِلِّ الْعُقَابِ يُقَحِّمُهُ الشَّامِيُّ الْأَخْزَرَ^(٣)
دَعَوْنَا لَهُ الْكَبْشَ كَبْشَ الْعِرَاقِ وَقَدْ خَالَطَ الْعَسْكَرَ الْعَسْكَرُ
فَرَدَّ اللَّوَاءَ عَلَى عَقْبِهِ وَفَازَ بِحُظُوتِهَا الْأَشْتَرُ

[مقتل حوشب ذي ظليم]

- ٢٠ قالوا : وأخذ الراية جُنْدُب بن زُهَيْر ، فخرج إليه حَوْشَبُ ذُو ظَلِيمٍ ، وكان
من عظماء أهل الشام ، وفرسانهم ، فأخذ الراية وجعل يمضي بها قدما ، وينكأ

(١) أى شجرها . (٢) الشتر بالتحريك انقلاب جفن العين من أعلى وأسفل ، أو استرخاء
أسفله ، والأشتر لقب اشتهر به إبراهيم بن مالك بن الحارث .
(٣) العقاب طائر عظيم ، والخزر بالتحريك انكسار بصر العين خلقة ، أو ضيقها وصغرها .

في أهل العراق ، فخرج إليه سليمان بن صُرَد ، وكان من فرسان عليّ ، فاقتتلوا ، فقتل حَوْشَب ، وجال أهل العراق جولة انتقضت صفوفهم ، وانحاز أهل الحفاظ منهم مع عليّ رضي الله عنه إلى ناحية أخرى يقاتلون ؛ وأقبل عديّ بن حاتم يطلب عليّاً في موضعه الذي خلفه فيه ، فلم يجده ، فسأل عنه ، فدلّ عليه ، فأقبل إليه ، فقال :

« يا أمير المؤمنين ، أمّا إذ كنتَ حيا فالأمر أمّ^(١) ، واعلم أنّي مامشيتُ إليك إلا على أشلاء القتلى ، وما أبقى هذا اليوم لنا ولا لهم عميدا . »

وكان أكثر من صبر في تلك الساعة مع عليّ وقاتل ربيعة ، فقال عليّ رضي الله عنه : « يامعشر ربيعة ، أنتم درعي وسيفي » ثم ركب الفرس^(٢) الذي كان لرسول الله ﷺ - يسمى الريح - وجنب بين يديه بغلة رسول الله ﷺ الشهباء ، وتعمّم بهامته ﷺ السوداء ، ثم أمر مناديه ، فنادى : « أيها الناس ، مَنْ يشرى نفسه لله ؟ » فاندب له الناس ، وانضموا إليه ، فأقبل بهم على أهل الشام حتى أزال راياتهم ، وجالوا جولة قبيحة حتى دعا معاوية بفرسه ليركبها ، ثم نادى مناديه في أهل الشام : « إلى أين أيها الناس ؟ أئيبوا ، فإن الحرب سجال » فثاب إليه الناس ، وكرّوا على أهل العراق .

وقال معاوية لعمره : قدّم عكّ والأشعرين ، فإنهم كانوا أول من انهزم في هذه الجولة . فأتاهم عمرو ، فبلغهم قول معاوية ، فقال رئيسهم مسروق العكّي : « انتظروني حتى آتي معاوية » فأتاه ، فقال : « افرض لقومي في ألفين ألفين ، ومن هلك منهم ، فابن عمه مكانه » ، قال : « ذلك لك » ؛ فانصرف إلى قومه ، فأعلمهم ذلك ، فتقدّروا ، فاضطربوا هم وحمدان بالسيوف اضطراباً شديداً ، فأقسمت عكّ لا ترجع حتى ترجع حمدان ، وأقسمت حمدان على مثل ذلك .

فقال عمرو لمعاوية : « لَقِيتُ أُسْدًا أُسْدًا ، لم أرَ كاليوم قط . » فقال معاوية : « لو أن معك حيّاً آخر كمك ، ومع عليّ كهمدان لكان الفناء . »

(١) أي يسير وهين . (٢) الفرس للذكر والأُنثى من الخيل .

وكتب معاوية إلى عليّ :

« بسم الله الرحمن الرحيم ، من معاوية بن أبي سفيان إلى عليّ بن أبي طالب ،
أما بعد ، فإنّي أحسبك أن لو علمت وعلمنا ، أن الحرب تبلغ بك وبنا ما بلغت لم نجنّها
على أنفسنا ، فإنّا وإن كنا قد غلبنا على عقولنا ، فقد بقى لنا منها ما ينبغي أن نندم على
ما مضى ونصلح ما بقى ، فإنك لا ترجو من البقاء إلا ما أرجو ، ولا أخاف من القتل
إلا ما تخاف ، وقد والله رقت الأجناد ، وتفانى الرجال ، ونحن بنو عبد مناف
ليس لبعضنا على بعض فضل إلا ما يُستدلّ به العزير ، ولا يُسترقّ به الحرّ ،
والسلام . »

فكتب إليه عليّ رضي الله عنه :

« بسم الله الرحمن الرحيم ، أما بعد ، فقد أتاني كتابك ، تذكر أنك لو علمت
وعلمنا أن الحرب تبلغ بك وبنا ما بلغت لم نجنّها على أنفسنا ، فاعلم أنك وإيّانا منها
إلى غاية لم نبلغها بعد ، وأما استواؤنا في الخوف والرجاء ، فإنك لست أمضى على
الشك مني على اليقين ، وليس أهل الشام بأحرص على الدنيا من أهل العراق على
الآخرة ، وأما قولك إنا بنو عبد مناف ، وليس لبعضنا على بعض فضل ، فليس
كذلك ، لأن أُمّية ليس كهاشم ، ولا حرّبا كعبد المطلب ، ولا أبا سفيان كأبي طالب ،
ولا المهاجر كالطليق ، وفي أيدينا فضل النبوة التي بها قتلنا العزير ، ودان لنا
بها الدليل . »

ثم إن عليّاً رضي الله عنه غلّس بالصلاة صلاة الفجر ، وزحف بمجموعه نحو
أهل الشام ، فوقف الفريقان تحت راياتهم ، وخرج الأشر على فرس كُميت ذنوب^(١)
مقنعا بالحديد ، وبيده الرمح ، فحمل على أهل الشام ، فاتّبعه الناس ، وكسر فيهم
ثلاثة أرماع ، واضطرب الناس بالسيوف وعمد الحديد ؛ وبرز رجل من أهل
الشام مقنعا بالحديد ، ونادى : « يا أبا الحسن ، اذنُ مني ، أكلك » فدنا منه عليّ

(١) طويل الذنب .

حتى اختلفت أعناق فرسيهما بين الصفتين ، فقال : « إن لك قدماً في الإسلام ليس لأحد ، وهجرة مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وجهاداً ، فهل لك أن تحقن هذه الدماء ، وتأخر هذه الحرب برجوعك إلى عراقك ، ورجع إلى شامنا إلى أن تنظر وننظر في أمرنا ؟ » .

فقال عليّ : « يا هذا ، إني قد ضربت أنف هذا الأمر وعينه ، فلم أجده يسمى إلا القتال أو الكفر بما أنزل الله على محمد ، إن الله لا يرضى من أوليائه أن يمسي في الأرض ، وهم سُكُوتٌ ، لا يأمرون بمعروفٍ ولا ينهون عن منكر ، فوجدت القتال أهون من معالجة الأغلال في جهنم » .

قال : فانصرف الشامي ، وهو يسترجع ؛ ثم اقتتلوا حتى تكسرت الرماح ، وتقطعت السيوف ، وأظلمت الأرض من القتام^(١) ، وأصابهم البهر^(٢) ، وبقى بعضهم ينظر إلى بعض بهيراً . فتحاجزوا بالليل ، وهو ليلة الهريز . ثم أصبحوا غداة هذه الليلة ، واختلط بعضهم ببعض يستخرجون قتلاهم ويدفنونهم .

ثم إن عليّاً قام من صبيحة ليلة الهريز في الناس خطيباً ، فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال : « أيها الناس ، إنه قد بلغ بكم وبمدوكم الأمر إلى ما ترون ، ولم يبق من القوم إلا آخر نفس ، فتأهبوا رحمكم الله لمناجزة عدوكم غداً ، حتى يحكم الله بيننا وبينهم ، وهو خير الحاكمين » .

وبلغ ذلك معاوية ، فقال لعمره : « ماترى ، فإنما هو يومنا هذا وليتنا هذه ؟ » ، فقال عمره : « إني قد أعددت بحيلتي أمراً آخرته إلى هذا اليوم ، فإن قبلوه اختلفوا ، وإن ردوه تفرقوا ، قال معاوية : « وما هو ؟ » قال عمره : « تدعوهم إلى كتاب الله حكماً بينك وبينهم ، فإنك بالغ به حاجتك » . فعلم معاوية أن الأمر كما قال .

قالوا : وإن الأشعث بن قيس قال لقومه ، وقد اجتمعوا إليه : « قد رأيتم ما كان في اليوم الماضي من الحرب المبيرة^(٣) وإنا والله إن التقينا غداً ، إنه لبوار العرب وضيفة الحرمات » .

(١) الغبار . (٢) البهر : انقطاع النفس أو تنابعه من الإعياء ، وهو مبهور وبهير . (٣) السرفة في إهلاك الناس .

قالوا : « قانطلقت العيون إلى معاوية بكلام الأشعث ، فقال : صدق الأشعث ،
لئن التقينا غدا ليميلن الروم على ذراري أهل الشام ، وليميلن دهاقين فارس على
ذراري أهل العراق ، وما يبصر هذا الأمر إلا ذوو الأحلام ، اربطوا المصاحف على
أطراف القنا^(١) . »

قالوا : فربطت المصاحف ، فأول ما ربط مصحف دمشق الأعظم ، ربط على
خمس أرماع ، يحملها خمسة رجال ، ثم ربطوا سائر المصاحف ، جميع ما كان معهم ،
وأقبلوا في الغلس ، ونظر أهل العراق إلى أهل الشام قد أقبلوا ، وأمامهم شبيهة
بالرايات ، فلم يدروا ما هو ، حتى أضاء الصبح ، فنظروا ، فإذا هي المصاحف .

ثم قام الفضل بن أدهم أمام القلب ، وشريخ الجذاعي أمام الميمنة ، وورقاء
ابن المعمر أمام اليسرة ، فنادوا : « يامعشر العرب ، الله . الله في نسائكم وأولادكم
من فارس والروم غدا ، فقد فنيتم ، هذا كتاب الله بيننا وبينكم » . فقال على رضي
الله عنه : « ما الكتاب تريدون ، ولكن المكر تحاولون » .

ثم أقبل أبو الأعور السلمي على بردون أشهب ، وعلى رأسه مصحف ، وهو
ينادي : « يا أهل العراق ، هذا كتاب الله حكما فيما بيننا وبينكم » .

فلما سمع أهل العراق ذلك قام كُرْدوس بن هاني البكري ، فقال : « يا أهل
العراق ، لا يهدئكم ما ترون من رفع هذه المصاحف ، فإنها مكيدة » . ثم تكلم
سفيان بن ثور النكري^(٢) ، فقال : « أيها الناس ، إنا قد كنا بدأنا بدعاء أهل الشام
إلى كتاب الله ، فردوا علينا ، فاستحللنا قتالهم ، فإن رددناه عليهم حل لهم قتالنا ،
ولسنا نخاف أن يحيف الله علينا ولا رسوله » .

ثم قام خالد بن المعمر ، فقال لعلي : « يا أمير المؤمنين ، ما البقاء إلا فيما دعا
القوم إليه إن رأيت ، وإن لم تره فرأيك أفضل » . ثم تكلم الحضيض بن المنذر ،
فقال : « أيها الناس ، إن لنا داعيا قد حمدا وردّه وصدّره ، وهو المأمون على ما فعل ،
فإن قال : لا ، قلنا : لا ؛ وإن قال : نعم ، قلنا : نعم » .

(١) جمع قناة وهي الرمح . (٢) في الأصل : البكري .

فتكلم عليّ ، وقال : « عباد الله ، إنا أخرى من أجاب إلى كتاب الله ، وكذلك أنتم ؛ غير أن القوم ليس يريدون بذلك إلا المكر ، وقد عضّتهم الحرب ؛ والله ، لقد رفعوها وما رأيتهم العمل بها ، وليس يسمنى مع ذلك أن أدعى إلى كتاب الله فأبى ، وكيف وإنما قاتلناهم ليدينوا بحكمه » .

فقال الأشعث : « يا أمير المؤمنين نحن لك اليوم على ما كنا عليه لك أمس ، غير أن رأى ما رأيت من إجابة القوم إلى كتاب الله حكما » . فأما عديّ بن حاتم وعمر بن الحنم فلم يهوى ذلك ، ولم يشيروا على عليّ به .

ولما أجاب عليّ رضى الله عنه ، قالوا له : « فابعث إلى الأشتر ليمسك عن الحرب ويأتيك » . وكان يقاتل في ناحية اليمنة ؛ فقال عليّ ليزيد بن هاني : « انطلق إلى الأشتر ، فمره أن يدع ما هو فيه ، ويقبل » ، فأتاه ، فأبلغه ، فقال : « ارجع إلى أمير المؤمنين ، فقل له إن الحرب قد اشتجرت بيني وبين أهل الناحية ، فليس يجوز أن أنصرف » .

فانصرف يزيد إلى عليّ ، فأخبره بذلك ، وعكّت الأصوات من ناحية الأشتر ، وثار النّقع ^(١) ، فقال القوم لعليّ ، « والله ما نحسبك أمرته إلا بالقتال » .

فقال : « كيف أمرته بذلك ، ولم أسأره سراً ؟ ! » ثم قال ليزيد : « عد إلى الأشتر ، فقل له . أقبل ، فإن الفتنة قد وقعت » . فأتاه ، فأخبره بذلك .

فقال الأشتر : « أرفع هذه المصاحف ؟ » ، قال : « نعم » . قال : « أما والله لقد ظننتُ بها حين ، رفعتُ ، أنها ستوقع اختلافا وفرقة » .

فأقبل الأشتر حتى انتهى إليهم ، فقال : « يا أهل الوهن والذلّ ، أحين علوتم القوم تُنكّلون لرفع هذه المصاحف ؟ أمهلوني فوّاقاً ^(٢) » ، قالوا : « لا ندخل معك في خطيئتك » ، قال : « ويحكم ، كيف بكم وقد قتل خياركم وبقى أراذلكم ، فمتى كنتم مُحقّقين ؟ أحين كنتم تقاتلون أم الآن حين أمسكنكم ؟ فما حال قتلاكم الذين

(١) الغبار الساطع .

(٢) الفواق بضم الفاء وفتحها ما بين الحلبتين من الوقت ، فالناقة تحلب ثم تترك سبعة يرضعها الفصيل لتدر ، ثم تحلب .

لَا تُنْكِرُونَ فَضْلَهُمْ ، أَفَى الْجَنَّةِ أَمْ فِي النَّارِ ؟ » . قَالُوا : « قَاتَلْنَاكُمْ فِي اللَّهِ ، وَنَدْعُ قِتَالَهُمْ فِي اللَّهِ » . فَقَالَ : « يَا أَصْحَابَ الْجَبَاهِ السَّوْدِ ، كُنَّا نَظُنُّ أَنَّ صَلَاتَكُمْ عِبَادَةَ وَشَوْقَ إِلَى الْجَنَّةِ ، فَنَرَاكُمْ قَدْ فَرَرْتُمْ إِلَى الدُّنْيَا ، قَبُولًا لَكُمْ » . فَسَبَّوْهُ ، وَسَبَّوْهُمْ ، وَضَرَبُوا وَجْهَ دَابَّتِهِ بِسَيَاطِهِمْ ، وَضَرَبَ هُوَ وَجْهَهُ دَوَابَّهُمْ بِسَوْطِهِ . وَكَانَ مُسْتَعْرَبُ بْنُ قَدِيكٍ وَابْنُ الْكَوَّاءِ وَطَبَقْتُهُمُ مِنَ الْقُرَّاءِ الَّذِينَ صَارُوا بَعْدُ خَوَارِجَ كَانُوا مِنْ أَشَدِّ النَّاسِ فِي الْإِجَابَةِ إِلَى حُكْمِ الْمُصْحَفِ .

وَإِنْ مَعَاوِيَةُ قَامَ فِي أَهْلِ الشَّامِ ، فَقَالَ : « أَيُّهَا النَّاسُ ، إِنْ الْحَرْبُ قَدْ طَالَتْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ هَؤُلَاءِ الْقَوْمِ ، وَإِنْ كُلُّ وَاحِدٍ مَنَا يَظُنُّ أَنَّهُ عَلَى الْحَقِّ وَصَاحِبُهُ عَلَى الْبَاطِلِ ، وَإِنَّا قَدْ دَعَوْنَاهُمْ إِلَى كِتَابِ اللَّهِ وَالْحُكْمِ بِهِ ، فَإِنْ قَبِلُوهُ ، وَإِلَّا كُنَّا قَدْ أَعْذَرْنَا إِلَيْهِمْ » .

ثُمَّ كَتَبَ إِلَى عَلِيٍّ : « إِنْ أَوَّلُ مَنْ يُحَاسِبُ عَلَى هَذَا الْقِتَالِ أَنَا وَأَنْتَ ، وَأَنَا أَدْعُوكَ إِلَى حَقِّ هَذِهِ الدِّمَاءِ وَأَلْفَةِ الدِّينِ وَاطِّرَاحِ الضَّغَائِنِ ، وَأَنْ يَحْكُمَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ حَكَمَانِ ، أَحَدُهُمَا مِنْ قَبْلِي وَالْآخَرُ مِنْ قَبْلِكَ ، مَا يَجِدَانِهِ مَكْتُوبًا مُبَيَّنًا فِي الْقُرْآنِ يَحْكُمَانِ بِهِ ، فَأَرْضَ بِحُكْمِ الْقُرْآنِ إِنْ كُنْتَ مِنْ أَهْلِهِ » .

فَكَتَبَ إِلَيْهِ عَلِيٌّ : « دَعَوْتِ إِلَى حُكْمِ الْقُرْآنِ ، وَإِنِّي لَأَعْلَمُ أَنَّكَ لَيْسَ حُكْمُهُ تَحَاوُلٌ ، وَقَدْ أَجَبْنَا الْقُرْآنَ إِلَى حُكْمِهِ لَا إِيَّاكَ ، وَمَنْ لَمْ يَرْضَ بِحُكْمِ الْقُرْآنِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا » .

وَكَتَبَ إِلَى عَمْرِو بْنِ الدَّاصِ : « أَمَّا بَعْدُ ، فَإِنَّ الدُّنْيَا مَشْغَلَةٌ عَنْ غَيْرِهَا ، وَلَمْ يُصِْبْ صَاحِبُهَا مِنْهَا شَيْئًا إِلَّا انْفَتَحَ لَهُ بِذَلِكَ حِرْصٌ يَزِيدُهُ فِيهَا رَغْبَةً ، وَلَنْ يَسْتَفْنِيَ صَاحِبُهَا بِمَا نَالَ مِنْهَا عَمَّا لَمْ يَنْلِهِ ، وَمِنْ وَرَاءِ ذَلِكَ فِرَاقٌ مَا جَمَعَ ، فَلَا تُحْبِطْ عَمَلُكَ بِمَجَارَاةِ مَعَاوِيَةَ عَلَى بَاطِلِهِ ، وَإِنْ لَمْ تَنْتَوِ لَمْ تَضُرَّ بِذَلِكَ إِلَّا نَفْسُكَ ، وَالسَّلَامُ » .

فَأَجَابَهُ عَمْرُو : « أَمَّا بَعْدُ ، فَإِنَّ الَّذِي فِيهِ صَلَاحُنَا وَأَلْفَةُ مَا بَيْنَنَا الْإِنَابَةُ إِلَى الْحَقِّ ، وَقَدْ جَعَلْنَا الْقُرْآنَ حَكَمًا بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ لِنَرْضَى بِحُكْمِهِ ، وَيَعْذَرْنَا النَّاسُ عِنْدَ الْمُنَاجَزَةِ ، وَالسَّلَامُ » .

فكتب إليه عليّ : « أما بعد ، فإنّ الذي أعجبك مما نازعتك نفسك إليه من طلب الدنيا مُنْقَلِبٌ عنك ، فلا تطمئنّ إليها ، فإنها غرّارة ، ولو اعتبرت بما مضى انتفعت بما بقى ، والسلام » .

فكتب إليه عمرو : « أمّا بعد ، فقد أنصفَ مَنْ جعل القرآنَ حَكَمًا ، فاصبر يا أبا الحسن ، فإنّا غير مُنِيلِيكَ إلّا ما أنالك القرآن ، والسلام » .

فاجتمع قُرّاء أهل العراق وقراء أهل الشام ، فقدموا بين الصفيين ، ومعهم المصحف يتدارسونّه ، فاجتمعوا على أن يُحْكَمُوا حَكَمَيْنِ ، وانصرفوا .

فقال أهل الشام : « قد رَضِينَا بعمرو » .

وقال الأشعث ومَنْ كان معه من قُرّاء أهل العراق : « قد رَضِينَا نحنُ بأبي موسى » .

فقال لهم عليّ : « لست أثق برأى أبي موسى ، ولا بحزْمِهِ ، ولكن أجعل ذلك لعبد الله بن عباس » .

قالوا : « والله ما نفرّق بينك وبين ابن عباس ، وكأنك تريد أن تكون أنتَ الحاكم ، بل اجعله رجلاً هو منك ومن معاوية سواء ، ليس إلى أحد منكما بأدنى منه إلى الآخر » .

قال عليّ رضي الله عنه : « فَلِمَ تَرْضَوْنَ لأهل الشام بـابن العاص ، وليس كذلك ؟ » .

قالوا : « أولئك أعلم ، إنّما علينا أنفسنا » .

قال : « فإني أجعل ذلك إلى الأَشْتَرِ » .

قال الأشعث : « وهل سَعَرَ هذه الحرب إلا الأَشْتَرُ ، وهل نحن إلا في حُكْم الأَشْتَرِ ؟ » .

قال عليّ : « وما حكمه ؟ » .

قال : « يضرب بعضٌ وجوه بعضٍ حتى يكون ما يريد الله » .

قال : « فقد أيتّم إلّا أن تجعلوا أبا موسى » .

قالوا : « نعم » .

قال : « فاصنعوا ما أحببتكم » .

قالوا : فأرسلوا رَسُولًا إلى أبي موسى ، وقد كان اعتزل الحرب ، وأقام

بِعَرْضٍ^(١) من أعراض الشام ؛ فدخل عليه مَوْلى له ، فقال : « قَدْ اصْطَلَحَ
الناس » ، قال : « الحمد لله رب العالمين » . قال : « وقد جعلوك حَكَمًا » .
قال : « إنا لله وإنا إليه راجعون » .

فأقبل أبو موسى حتى دخل عسكر على ، فولّوه الأمر ، ورضوا به ، فقبّله .

فقال الأحنف بن قيس لعلّ : « إنك قد مُنيتَ بِحَجَرِ الأرض ، وداهية

العرب ؛ وقد عجمت أبا موسى ، فوجدته كليل الشفرة ، قريب المقر ، وأنه
لا يصلح لهذا الأمر إلا رجل يدنو من صاحبه حتى يكون في كفّه ، ويبعد منه
حتى يكون مكان النجم ، فإن شئت أن تجعلني حَكَمًا فافعل ، وإلا فثانيا أو ثالثا ،
فإن قلت : إني لست من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فابعث رجلا
من صحابته ، واجعلني وزيرًا له ومُشيرًا » .

فقال على : « إن القوم قد أبوا أن يرضوا بغير أبي موسى ، والله بالبع أمره » .

قالوا : فقال أئمن بن خريم الأسديّ من أهل الشام ، وكان مُعْتَرِلاً للقوم :

لَوْ كَانَ لِلْقَوْمِ رَأْيٌ يَهْتَدُونَ بِهِ بَعْدَ الْقَضَاءِ رَمَوْكُمْ بِابْنِ عَبَّاسٍ
لَكِنْ رَمَوْكُمْ بِشَيْخٍ مِنْ ذَوِي يَمَنٍ لَمْ يَدْرِ مَا ضَرَبُ أَخْمَاسٍ لِأَسْدَاسٍ^(٢)

(١) العرض : الجانب من كل شيء .

(٢) تقول العرب لمن خاتل ، ضرب أخماسا لأسداس ، وهو مثل ، أصله أن شيخا كان في
إبله ومعه أولاده رجلا يرعونها ، قد طالت غربتهم عن أهلهم ، فقال لهم ذات يوم : ارعوا إبلكم
بربما ، فرعوا ربما نحو طريق أهلهم ، فقالوا له : لو رعيناها خمسا ، فزادوا يوما قبل أهلهم ،
فقالوا : لو رعيناها سدسا ، ففطن الشيخ لما يريدون ، فقال : ما أتم إلا ضرب أخماس لأسداس ،
ما همتمكم رعيها ، إنما همتمكم أهلهم .

قالوا : وقد كان معاوية جمل لأئمن بن خريم ناحية من فلسطين على أن يُبايعه ،
فأبى ، وقال :

لَسْتُ بِقَاتِلِ رَجُلٍ يُصَلِّي عَلَى سُلْطَانٍ آخَرَ مِنْ قُرَيْشٍ
لَهُ سُلْطَانُهُ وَعَلَى إِثْمِي مَعَاذَ اللَّهِ مِنْ سَفَهٍ وَطَيْشٍ
أَقْتُلُ مُسْلِمًا فِي غَيْرِ حَقٍّ فَلَيْسَ بِنَافِعِي مَا عِشْتُ عَيْشِي ٥

[وثيقة التحكيم]

قالوا : فاجتمع أهل العراق وأهل الشام وأتوا بكتاب ، وقالوا : « اكتب
بسم الله الرحمن الرحيم ، هذا ما تقاضى عليه أمير المؤمنين ». فقال معاوية « بئس
الرجل أنا إن أقررت بأنه أمير المؤمنين ثم أقاتله ». قال عمرو « بل أكتب اسمه واسم
أبيه ». فقال الأحنف بن قيس : « يا أمير المؤمنين ، لا تمنحُ اسمَ إمرة المؤمنين ،
فإنى أخاف إن محوَّتْها لم ترجع إليك أبداً ، ولا تبجهم إلى ذلك » . ١٠

فقال علي : الله أكبر ، سُنَّةُ بَسَنَةٍ ، أما والله لقد جرى على يدي نظير هذا -
يعنى القضية - يوم الحُدَيْبِيَّةِ (١) ، وامتناع قريش أن يُكْتَبَ محمد رسول الله ،
فقال النبي صلى الله عليه وسلم لا كتاب ، اكتب محمد بن عبد الله ، فكتبوا .

« هذا ما تقاضى عليه علي بن أبي طالب ومعاوية بن أبي سفيان وشيعتهما فيما تراضيا
به من الحكم بكتاب الله وسُنَّةِ نَبِيِّهِ صلى الله عليه وسلم ، قضية علي بن أهل العراق
شاهدهم وغائبهم ، وقضية معاوية على أهل الشام شاهدهم وغائبهم ، إنا تراضينا أن
نقف عند حكم القرآن فيما يحكم من فاتحته إلى خاتمته ، نُحْيِي ما أَحْيَا ، ونُمِيت ما أَمَات ،
على ذلك تقاضيا وبه تراضيا ، وإن عَلِيًّا وشيعته رضوا بعبد الله بن قيس ناظرا
وحاكما ، ورضى معاوية وشيعته بعمر بن العاص ناظراً وحاكماً ؛ على أن عَلِيًّا
ومعاوية أخذوا على عبد الله بن قيس وعمر بن العاص عهد الله وميثاقه ، وذِمَّتُهُ وذِمَّةُ ٢٠

(١) قرية قريبة من مكة ، سميت بيثر فيها ، وقد ورد ذكرها في الحديث كثيرا .

رسوله أن يتخذ القرآن إماماً ، ولا يعدّوا به إلى غيره في الحكم بما وجداه فيه مسطوراً ، وما لم يجدوا في الكتاب رداه إلى سنة رسول الله الجامعة ، لا يعتمدان لها خلافاً ، ولا يبينان فيها بشبهة .

- « وأخذ عبد الله بن قيس وعمرو بن العاص على عليّ ومعه أوية عهد الله وميثاقه بالرّضى بما حكّم به مما في كتاب الله وسنة نبيّه ، وليس لهما أن ينقضا ذلك ، ولا يخالفاه إلى غيره ، وهما آمنان في حكومتهم على دماءهما وأموالهما وأشعارهما وأبشارهما وأهاليهما وأولادهما ما لم يعدّوا الحق ، رضى به راض أو سخطه ساخط ، وأن الأمة أنصارهما على ما قضيا به من الحق مما هو في كتاب الله ؛ فإن توفى أحد الحكمين قبل انقضاء الحكومة ، فليشيته وأصحابه أن يختاروا مكانه رجلاً من أهل المعدلة والصلاح على ما كان عليه صاحبه من العهد والميثاق ، وإن مات أحد الأمرين قبل انقضاء الأجل المحدد في هذه القضية فليشيته أن يولوا مكانه رجلاً يرضون عدله ، وقد وقعت القضية بين الفريقين والمفاوضة ، ورفع السلاح ، وقد وجبت القضية على ماسمين في هذا الكتاب من موقع الشرط على الأمرين والحكمين والفريقين ، والله أقرب شهيد ، وكفى به شهيداً ؛ فإن خالفاً وتعدّياً فالأمة بريئة من حكمهما ولا عهد لهما ولا ذمّة ، والناس آمنون على أنفسهم وأهاليهم وأولادهم إلى انقضاء الأجل ، والسلاح موضوعة والسبل آمنة ، والغائب من الفريقين مثل الشاهد في الأمر ، وللاحكمين أن ينزلا منزلاً متوسطاً عدلاً بين أهل العراق وأهل الشام ، ولا يحضرهما فيه إلا من أحبّ عن ترّاضٍ منهما ، والأجل إلى انقضاء شهر رمضان ، فإن رأى الحكماء تعجيل الحكومة عجزاً لها ، وإن رأيا تأخيرها إلى آخر الأجل أخرّاها ، فإن هما لم يحكما بما في كتاب الله وسنة نبيّه إلى انقضاء الأجل ، فالفريقان على أمرهم الأول في الحرب ، وعلى الأمة عهد الله وميثاقه في هذا الأمر ، وهم جميعاً يدّ واحد على من أراد في هذا الأمر إلحاداً أو ظُلماً أو خلافاً . »

«شهد على ما في هذا الكتاب الحسن والحسين ابنا عليّ بن أبي طالب ، وعبد الله ابن عباس ، وعبد الله بن جعفر بن أبي طالب ، والأشعث بن قيس ، والأشتر

ابن الحارث ، وسعيد بن قيس ، والحصين والطفيّل ابنا الحارث بن عبد المطلب ،
وأبو سعيد بن ربيعة الأنصاري ، وعبد الله بن خباب بن الأرت ، وسهل بن حنيف ،
وأبو بشر بن عمر الأنصاري ، وعوف بن الحارث بن عبد المطلب ، ويزيد بن
عبد الله الأسلمي ، وعقبة بن عامر الجهني ، ورافع بن خديج الأنصاري ،
وعمر بن الحَقّ الخزاعي ، والنعمان بن النجّال الأنصاري ، وحُجر بن عديّ
الكندي ، ويزيد بن حُجّة السكري ، ومالك بن كعب الهمداني ، وربّعة بن
شُرّحبيل ، والحارث بن مالك ، وحُجر بن يزيد ، وعُلبّة بن حُجّة .

ومن أهل الشام : حبيب بن مسلمة الفهري ، وأبو الأعور السلمي ، وبُسر
ابن أرطاة القرشي ، ومعاوية بن خديج الكندي ، والمُخارق بن الحارث ، ومسلم
ابن عمرو السكسكي ، وعبد الرحمن بن خالد بن الوليد ، وهمة بن مالك ، وسُبّيع
ابن يزيد الحضرمي ، وعبد الله بن عمرو بن العاص ، وعَلَقَمَة بن يزيد الكلبي ،
وخالد بن الحصين السكسكي ، وعَلَقَمَة بن يزيد الحضرمي ، ويزيد بن أبجر
العنسي ، ومسروق بن جبلة العسكي ، وبُسر بن يزيد الحميري ، وعبد الله بن
عامر القرشي ، وعُتْبَة بن أبي سفيان ، ومحمد بن أبي سفيان ، ومحمد بن عمرو بن
العاص ، وعمّار بن الأخوص الكلبي ، ومسعدة بن عمرو العبّسي ، والصَّبّاح
ابن جُلهمة الحميري ، وعبد الرحمن بن ذى الكلاع ، وثُمّامة بن حَوْشَب ،
وعَلَقَمَة بن حَكَم .

«وَكُتِبَ يَوْمَ الْأَرْبَعَاءِ لثَلَاثَ عَشْرَةَ لَيْلَةً بَقِيَتْ مِنْ صَفَرٍ سَنَةِ سَبْعٍ وَثَلَاثِينَ» .

[الخلاف بعد التحكيم]

وإن الأشعث أخذ الكتاب فقرأه على الفريقين ، يمر به على كل ، راية راية ،
وقبيلة قبيلة ، فيقرؤه عليهم ، فمرّ برايات عَزْرة ، وكان مع عليّ منهم أربعة آلاف
رجل ، فلما قرأه عليهم قال أخوان منهم ، اسمهما جَعْد ومَعْدَان : « لا حُكْمَ إِلَّا
لِلَّهِ » ثم شدا على أهل الشام ، فقاتلا حتى قُتِلَا ، وهما أول من حَكَم .

ثم مرّ على رايات مراد ، فقرأ عليهم ، فقال صالح بن شقيق ، وكان من أفاضلهم « لا حُكْمَ إلا لله ، وإن كرهَ المشركون ، ثم مر به على رايات بنى راسب ، فتنادوا « لا يحكمكم الرجال في دين الله » ، ثم مر به على رايات بنى تميم ، فقالوا مثل ذلك ، فقال عُرْوَةُ بن أُدِيَّة : « اتَّجَكَّوْا في دين الله الرجال ، فأين قتلنا يا أشعث ؟ » ثم حمل بسيفه على الأشعث ، فأخطاه ، وأصاب السيف عجز دابته ، فانصرف الأشعث إلى قومه ، فمضى إليه سادات تميم ، فاعتذروا إليه ، فقبل وصفح .

وأقبل سليمان بن صُرد إلى عليّ مضروباً في وجهه بالسيف ، فقال : « يا أمير المؤمنين ، أما لو وجدت أعواناً ما كتبت هذه الصحيفة » . وقام مُجَرِّز بن خُنَيْس بن ضَلِيع إلى عليّ ، فقال : « يا أمير المؤمنين ، أما إلى الرجوع عن هذا الكتاب سبيل ، فوالله إني لخائف أن يُورِّثَكَ ذُلًّا ؟ » . قال عليّ : « أبعد أن كتبناه ننقضه ؟ هذا لا يجوز »

ثم إن علياً ومعاوية اتفقا على أن يكون مجتمع الحكمين بدوامة الجندل ، وهو النصف بين العراق والشام . ووجه عليّ مع أبي موسى شريح بن هانئ في أربعة آلاف من خاصته ، وصير عبد الله بن عباس على صلاتهم ؛ وبعث معاوية مع عمرو بن العاص أبا الأعور السلمي في مثل ذلك من أهل الشام .

فساروا من صفين حتى وافوا دَوَّمة الجندل ، وانصرف عليّ بأصحابه حتى وافى الكوفة ، وانصرف معاوية بأصحابه حتى وافى دِمَشْق ، ينتظران ما يكون من أمر الحَكَمَيْن .

وكان عليّ إذا كتب إلى ابن عباس في أمرٍ اجتمع إليه أصحابه ، فقالوا : « ما كتَبَ إليك أمير المؤمنين ؟ » فيَكْتُمُهُمْ ، فيقولون : « لِمَ كَتَمْتَنَا ؟ وإنما كتب إليك في كذا وكذا » ، فلا يزالون يزكون^(١) حتى يَقِفُوا على ما كتَب .

(١) زكن الخبر زكنا بالتحريك علمه ، وقيل الزكن : التفرس والظن الذي هو كاليقين .

وثأني كُتِب معاوية إلى عمرو بن العاص ، فلا يأتيه أحد من أصحابه ، يسأله عن شيء من أمره .

قبر : وكتب معاوية إلى عبد الله بن عمر بن الخطاب ، وإلى عبد الله بن الزُّبَيْر ، وإلى أبي الجهم بن حذيفة ، وإلى عبد الرحمن بن عبد يَفُوثَ : « أمّا بعد ، فإنّ الحرب قد وَضَعَتْ أوزارها ، وصار هذان الرجلان إلى دَوْمَةِ الجَنْدَل ، فاقدِمُوا عليهما إن كنتم قد اعتزلتم الحرب ، فلم تدخلوا فيما دخل فيه الناس ، لتشهدوا ما يكون منهما ، والسلام » .

فلما أتاهم كتابه ساروا جميعاً إلى دَوْمَةِ الجَنْدَل ، فأقاموا ينتظرون ما يكون من الرجلين ، وحضر معهم سعد بن أبي وقاص ؛ وسار المغيرة بن شُعْبَةَ ، وكان مُقيماً بالطائف لم يشهد شيئاً من تلك الحروب حتى أتى دَوْمَةَ الجَنْدَل ، فأقام ينتظر ما يكون منهما ؛ فلما طال مقامه سار من هناك حتى أتى معاوية بدمشق ، فقال له معاوية : « أَشِرُّ عَلَىِّ بما تَرَى » ، فقال له المغيرة : « لو أَشَرْتُ عليك لَقَاتَلْتُ معك ، ولكني قد أَتَيْتُكَ بخبر الرجلين » .

قال : « وما خبرُهُما ؟ » .

قال : « إِنِّي خَلَوْتُ بِأبي موسى لِأَبْلُؤَ ما عنده ، فقلت : « ما تقول فيمن اعتزل عن هذا الأمر ، وجلس في بيته كَرَاهِيَّةً لِلدِّمَاءِ ؟ » ، فقال : « أولئك خيار الناس ، خَفَّتْ ظهورهم من دماء إخوانهم ، وبطونهم من أموالهم » .

قال : « فخرجت من عنده ، وأتيت عمرو بن العاص ، فقلت : « يا أبا عبد الله ، ما تقول فيمن اعتزل هذه الحروب ؟ » ، فقال : « أولئك شِرَار الناس ، لم يعرفوا حقّاً ، ولم ينكروا باطلاً » . « وأنا أحسب أبا موسى خالِعاً صاحبه ، وجاعِلها لرجل لم يشهد ، وأحسب هَوَاهُ في عبد الله بن عمر بن الخطاب . وأمّا عمرو بن العاص فهو صاحبك الذي عرفته ، وأحسب سيطلبها لنفسه أو لابنه عبد الله ، ولا أراه يظن أنّك أحقّ بهذا الأمر منه » . فأقلق ذلك معاوية .

[مداولة الحكمين]

قالوا : ثم إن عمرو بن العاص جمل يُظهر تبجيل أبي موسى وإجلاله ، وتقديسه في الكلام وتوقيره ، ويقول : « صحبت رسول الله صلى الله عليه وسلم قبلي ، وأنت أكبر سنًا مني » . ثم اجتمعا لِيَتَنَظَّرَا في الحكومة ، فقال أبو موسى : « يا عمرو ، هل لك فيما فيه صلاح الأمة ورضى الله ؟ » .

قال : « وما هو ؟ » .

قال : « نُوَلِّي عبد الله بن عمر ، فإنه لم يدخل نفسه في شيء من هذه الحروب » . قال له عمرو : « أين أنت من معاوية ؟ » .

قال أبو موسى : « ما معاوية موضعاً لها ، ولا يستحقها شيء من الأمور » .

قال عمرو : « أأست تعلم أن عثمان قُتِلَ مظلوماً ؟ » .

قال : « بلى » .

قال : « فإن معاوية وليّ عثمان ، وبيته بعد في قريش ما قد عَلِمْتَ ، فإن قال الناس : لِمَ وُلِّي الأمر وليست له سابقة ؟ فإن لك في ذلك عُذْرًا ؛ تقول : إني وجدته وليّ عثمان ، والله تعالى يقول : « وَمَنْ قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لَوْلِيٍّ سُلْطَانًا » وهو مع هذا أخو أم حَبِيبَةَ زوج النبي صلى الله عليه وسلم ، وهو أحد أصحابه » .

قال أبو موسى : « اتق الله يا عمرو ، أمّا ما ذكرت من شرف معاوية ، فلو كان يُسْتَوْجَب بالشرف الخلافة ، لكان أحق الناس بها أبرهة بن الصَّبَّاح ، فإنه من أبناء ملوك اليمن التَّبَائِعَةِ الذين مَلَكُوا شرق الأرض وغربها ، ثم أيّ شرف لمعاوية مع علي بن أبي طالب ؟ ، وأمّا قولك إن معاوية وليّ عثمان ، فأوّل منه ابنه عمرو بن عثمان ، ولكن إن طاوَعْتَنِي أحيانًا سنة عمر بن الخطاب وذكره بَقَوٍ لِيَتَنَا ابنه عبد الله الْحَجَرُ ^(١) » .

(١) الرجل العالم الصالح، وجمعه أخبار .

قال عمرو : « فما يمنعك من ابني عبد الله مع فضله وصلاحه وقديم هجرته وصحبته ؟ » .

فقال أبو موسى : « إن ابنك رجل صديق ، ولكنك قد غمسته في هذه الحروب غمسا ، ولكن هلم نجعلها للطيب ابن الطيب عبد الله بن عمر » .
قال عمرو : « يا أبا موسى ، إنه لا يصلح لهذا الأمر إلا رجل له خسران ، يأكل بأحدهما ، ويؤطعم بالآخر » .

قال أبو موسى : « ويحك يا عمرو ، إن المسلمين قد أسندوا إلينا أمراً بعد أن تقارعوا بالسيوف وتشاكروا بالرماح ، فلا نردّهم في فتنة » .
قال : « فما ترى ؟ » .

قال : « أرى أن نخلع هذين الرجلين ، علياً ومعاوية ، ثم نجعلها شورى بين المسلمين ، يختارون لأنفسهم من أحبوا » .
قال عمرو : « فقد رضيت بذلك ، وهو الرأي الذي فيه صلاح الناس » .

قال : فافترقا على ذلك ، وأقبل ابن عباس إلى أبي موسى ، فخلاً به ، وقال :
« ويحك يا أبا موسى ، أحسب والله عمراً قد اختدعك ، فإن كنتم قد اتفقنا على شيء فقدمه قبلك ليتكلم ، ثم تكلم بعده ، فإن عمراً رجل غدار ، ولست آمن أن يكون قد أعطاك الرضى فيما بينك وبينه ، فإذا قت به في الناس خالفك » ،
قال أبو موسى : « قد اتفقنا على أمر لا يكون لأحدنا على صاحبه فيه خلاف إن شاء الله » .

[إعلان الحكم]

فلما أصبحوا من غد خرجوا إلى الناس ، وهم مجتمعون في المسجد الجامع ، فقال أبو موسى لعمرو :

« اصعد المنبر ، فتكلم » .

فقال عمرو : « ما كنت أتقدمك وأنت أفضل مني فضلًا ، وأقدم هجرة وسنًا » .

فبدأ أبو موسى ، فصعد المنبر ، فحمد الله وأثنى عليه ثم قال :
« أيها الناس ، إنا قد نظرنا فيما يجمع الله به ألفة هذه الأمة ويصلح أمرها ،
فلم نرَ شيئًا هو أبلغ في ذلك من خلع هذين الرجلين ، عليٍّ ومعاوية ، وتصييرها
شورى ليختار الناس لأنفسهم من رأوه لها أهلاً ، وإنى قد خلعت عليًّا ومعاوية ،
فاستقبلوا أمركم ، وولّوا عليكم من أحببتكم » ثم نزل .

وصعد عمرو ، فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال :
« إن هذا قد قال ما سمعتم ، وخلع صاحبه ، ألا وإنى قد خلعت صاحبه كما
خلعته ، وأثبتت صاحبي معاوية ، فإنه وليّ أمير المؤمنين عثمان ، والطالب بدمه ،
وأحق الناس بمقامه » .

فقال له أبو موسى : « مالك ، لا وفقتك الله ، غدرت وفجرت ، وإنما
مثلك مثل الكلب ، إن تحمّل عليه يلهث أو تتركه يلهث » . فقال له
عمرو : « ومثلك كمثّل الحمار يحمّل أسفارًا » .

١٥ وحمل شريح بن هانيء على عمرو فقتله^(١) بالسّوط ، وحجّز الناس بينهما ،
وكان شريح يقول : « ما ندمتُ على شيء قط كندامتى ألا أكون ضربته
مكان السّوط بالسيف ، أتى الدهرُ في ذلك بما أتى » .

وانسلّ أبو موسى ، فركب راحلته ، وهرب ، حتى لحق بمكة ، فكان ابن
عباس يقول : « لحيّ الله أبا موسى ، لقد نبهته فما اتبه ، وحذّرتُه بما صار إليه فما
انحاش^(٢) » . وكان أبو موسى يقول : « لقد حذّرتني ابن عباس غدرَ عمرو ،
فاطمأنت إليه ، ولم أظن أنه يؤثّر شيئًا على نصيحة المسلمين » .

(١) علاه به . (٢) ما ينحاش لشيء أى ما يكثر له .

[مبايعة معاوية]

ثم انصرف عمرو وأهل الشام إلى معاوية ، فسلموا عليه بالخلافة .
وأقبل ابن عباس وشريح بن هانئ ومن كان معهما من أهل العراق إلى عليّ
فأخبروه الخبر ، فقام سعيد بن قيس الهمداني ، فقال : « والله لو اجتمعنا على الهدى
ما زادنا على ما نحن عليه بصيرة » . ثم تكلم عامة الناس بنحو من هذا . ٥

[فتنة الخوارج]

قالوا : « ولما بلغ أهل العراق ما كان من أمر الحَكَمَيْن لقيت الخوارج بعضها
بعضاً ، واتعدوا أن يجتمعوا عند عبد الله بن وهب الراسبيّ ؛ فاجتمع عنده عظماءهم
وعبّادهم ، فكان أول من تكلم منهم عبد الله بن وهب ، فحمد الله وأثنى عليه ، ثم
قال : « معاشر إخواني ، إن متاع الدنيا قليل ، وإن فراقها وشيك ، فاخرجوا بنا
مُنكرين لهذه الحَكومة ، فإنه لا حكم إلا لله ، وإن الله مع الذين اتَّقَوْا والذين هم
محسنون » . ١٠

ثم تكلم حمزة بن سيّار ، فقال : « الرأى ما رأيتم ، ومنهج الحق فيما قلتم ، فولّوا
أمركم رجلاً منكم ، فإنه لا بد لكم من قائد وسائس وراية تحفّون بها ، وترجعون
إليها » . ١٥

فعرضوا الأمر على يزيد بن الحُصَيْن ، وكان من عبّادهم ، فأبى أن يقبلها ، ثم
عرضوها على ابن أبي أوفى العبّسيّ ، فأبى أن يقبلها ، ثم عرضوها على عبد الله
ابن وهب الراسبيّ ، فقال : « هاتوها ، فوالله ما أقبلها رَغْبَةً في الدُّنيا ، ولا
فِرَاراً من الموت ، ولكن أقبلها لما أرجو فيها من عظيم الأجر » . ثم مدّ يده ،
فقاموا إليه ، فبايعوه ، فقام فيهم خطيباً ، فحمد الله وأثنى عليه ، وصلى على
النبيّ صلى الله عليه وسلم ، ثم قال : « أمّا بعد ، فإنّ الله أخذ عهودنا ومواريقنا
على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والقول بالحق والجهاد في سبيله » إنّ الذين

يَضِلُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ « ، وقال الله عز وجل : « وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ » ، وأشهد على أن أهل دعوتنا من أهل ديننا أن قد اتَّبَعُوا الْهَوَى وَنَبَذُوا حُكْمَ الْكِتَابِ وَجَارُوا فِي الْحُكْمِ ، وَإِنْ جِهَادَهُمْ لِحَقِّ ، فَأُقْسِمُ بِنِ تَعْنُو لَهُ الْوُجُوهُ وَتَخْشَعُ لَهُ الْأَبْصَارُ ، لَوْ لَمْ أَجِدْ عَلَى قِتَالِهِمْ مُسَاعِدًا لِقَاتِلَتِهِمْ وَحْدِي حَتَّى أَلْقَى رَبِّي شَهِيدًا .

٥

فلما سمع ذلك عبد الله بن السَّخْبَرِ ، وكان من أصحاب البرانس^(١) استعبر باكيا ، ثم قال : « لحي الله امرءًا لا يكون تشریح ما بين عظمه ولحمه وعصبه أيسر عنده من سَخَطِ اللَّهِ عَلَيْهِ فِي لَحْظَةٍ يَسْعَى بِهَا عَلَى مَقْتِهِ ، فكيف وإنما يريدون بذلك وجه الله ، يا إخواني ، تَقَرَّبُوا إِلَى اللَّهِ بِبُغْضِ مَنْ عَصَاهُ ، وَاخْرَجُوا إِلَيْهِمْ ، فَاضْرِبُوا وَجُوهَهُمْ بِالسُّيُوفِ حَتَّى يُطَاعَ اللَّهُ يُثَبِّتَكُمْ ثَوَابَ الْمُطِيعِينَ الْعَامِلِينَ بِمَرْضَاتِهِ ، الْقَائِمِينَ بِحَقُوقِهِ ، فَإِنْ تَظَفَرُوا فَالْغَنِيمَةُ وَالْفَتْحُ ، وَإِنْ تُغْلَبُوا فَأَيُّ شَيْءٍ أَفْضَلُ مِنَ الْمَصِيرِ إِلَى رِضْوَانِ اللَّهِ وَجَنَّتِهِ » ثم افترقوا يومهم ذلك .

١٠

فلما كان من الغد أقبل عبد الله بن وهب الراسبي في نفرٍ من أصحابه حتى دخل على شُرَيْحِ بْنِ أَبِي أُوْفَى الْعَبْسِيِّ ، وكان من عظمائهم ، فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال : « أَمَّا بَعْدُ ، فَإِنَّ هَذَيْنِ الْحَكَمَيْنِ قَدْ حَكَمَا بغير ما أنزل الله ، وقد كَفَرَا إِخْوَانَنَا حِينَ رَضُوا بِهِمَا ، وَحَكَّمُوا الرِّجَالَ فِي دِينِهِمْ ، وَنَحْنُ عَلَى الشُّخُوصِ مِنْ بَيْنِ أَظْهَرِهِمْ ، وَقَدْ أَصْبَحْنَا وَالْحَمْدُ لِلَّهِ وَنَحْنُ عَلَى الْحَقِّ مِنْ بَيْنِ هَذَا الْخَلْقِ » .

١٥

فقال شُرَيْحُ : « أَنْذِرْ أَصْحَابَكَ . وَاعْلِمِهِمْ خُرُوجَكَ ، ثُمَّ اخْرُجْ بِنَا عَلَى بَرَكَةِ اللَّهِ حَتَّى نَأْتِيَ الْمَدَائِنَ ، فَتَنْزِلُهَا ، وَنُرْسِلَ إِلَى إِخْوَانِنَا الَّذِينَ بِالْبَصْرَةِ ، فَيَقْدِمُوا عَلَيْنَا ، فَتَكُونَ أَيْدِيهِمْ مَعَ أَيْدِينَا » .

٢٠

(١) البرنس كل ثوب رأسه منه ملتق به ، دراعة كان أو ممطرا أو جبة ، وقال الجوهري ، البرنس : قلنسوة كبيرة ، وكان النساك يلبسونها في صدر الإسلام .

فقال يزيد بن حصّين الطائي : « إنكم إن خرجتم بجماعتكم طلبتم ، ولكن اخرجوا فرادى مستخفين ؛ فأما المدائن فإن بها من يمنع منها ، ولكن تواعدوا أن توافوا جسر النهر وان ، فتقيموا هناك ، وتكتبوا إلى إخوانكم من أهل البصرة أن يوافوكم بها » . قالوا : « هذا الرأي » . فاتفقوا على ذلك ، وأنذروا جميعا أصحابهم ، فاستعدوا للخروج فرادى ، وكتبوا إلى من كان منهم بالبصرة : « بسم الله الرحمن الرحيم ، من عبد الله بن وهب ، ويزيد بن الحصّين ، وخرقوص بن زهير ، وشريح ابن أبي أوفى إلى من بلغه كتابنا بالبصرة من المؤمنين المسلمين ، سلام عليكم ، فإننا نحمد الله إليكم الذي لا إله إلا هو ، الذي جعل أحبّ عباده إليه أعلمهم بكتابهم ، وأقومهم بالحق في طاعته ، وأشدّهم اجتهادا في مرضاته ، وإن أهل دعوتنا حكموا الرجال في أمر الله ، فحكموا بغير ما في كتاب الله ولا في سنة نبيّ الله ، فكفروا لذلك ، وصدّوا عن سواء السبيل ، وقد نابذناهم على سواء ، إن الله لا يحب الخائنين ، أما بعد ، فقد اجتمعنا بجسر النهر وان ، فسيروا إلينا رحمكم الله لتأخذوا نصيبكم من الأجر والثواب ، وتأمرؤا بالمعروف وتنهؤا عن المنكر ، وكتابنا هذا إليكم مع رجل من إخوانكم ذي أمانة ودين ، فسأوه عما أحببتهم ، واكتبوا إلينا بما رأيتم ، والسلام » . ثم وجّهوا كتابهم مع عبد الله بن سعد العبّسيّ ، فسار حتى البصرة ، وأوصل الكتاب إلى أصحابه ، فاجتمعوا فقرأوه ، ثم كتبوا إليهم بوشك موافاتهم .

ثم إن القوم خرجوا من الكوفة عباديد ، الرجل والرجلين والثلاثة ، وخرج يزيد بن الحصّين على بغلة يقود فرسا ، وهو يتلو هذه الآية ^(١) : « فَخَرَجَ مِنْهَا خَائِفًا يَتَرَقَّبُ ، قَالَ رَبِّ نَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ، وَلَمَّا تَوَجَّهَ تِلْقَاءَ مَدْيَنَ ، قَالَ عَسَى رَبِّي أَنْ يَهْدِيَنِي سَوَاءَ السَّبِيلِ » . وسار حتى انتهى إلى السبّ ^(٢) ، فاجتمع

(١) سورة القصص الآية العشرون .

(٢) السبّ : مجرى الماء ويطلق لفظ السبّة الآن على ناحية في العراق على الضفة اليسرى من شط العرب قبالة مدينة عبادان الإيرانية .

إليه جمع كثير من أصحابه ، وفيهم زيد بن عدي بن حاتم ، فخرج عدي في طلب ابنه حتى انتهى إلى المدائن ، فلم يلحقه ، فأتى سعد بن مسعود الثقفي ، وكان سعد عامل على المدائن ، فأخذ حذره ، وتحاماه القوم .

- وخرج عبد الله بن وهب الراسبي في جوف الليل ، والتأم إليه جميع أصحابه ، فصاروا جمعا كبيرا منهم ، فأخذوا على الأنبار ، وتبطنوا شط الفرات حتى عبروا من قبل « دَيْرِ الماقول » فاستقبله عدي بن حاتم ، وهو منصرف إلى الكوفة ، فأراد عبد الله أخذه ، فمنعه منه عمرو بن مالك النبهاني وبشير بن يزيد البولاني ، وكانا من رؤساء الخوارج ، فاستخلف سعد بن مسعود على المدائن ابن أخيه ، المختار ابن أبي عبيد ، وخرج في طلب عبد الله بن وهب وأصحابه ، فلقاهم بكرخ بغداد مع مغيب الشمس ، وسعد في خمسمائة فارس ، والخوارج ثلاثون رجلا ، فتناوشوا ساعة ، فقال أصحاب سعد لسعد : « أيها الأمير ، ما تريد إلى قتال هؤلاء ، ولم يأتك فيهم أمر ؟ خلّ سبيلهم ، واكتب إلى أمير المؤمنين تعلمه أمرهم » ، فمضى وتركهم .

- وسار عبد الله بن وهب ، فر ببغداد ، وأخذ دهاقينها بالمعابر ، وذلك قبل أن تبني بغداد ، فأتاه الدهقان بها ، فمير إلى أرض « جوحى » ثم مضى من هناك حتى انضم إلى أصحابه ، وهم بنهروان^(١) ، ووافاهم من كان على رأيهم من أهل البصرة ، وكانوا خمسمائة رجل .

[قتال الخوارج^(٢)]

- وكان على البصرة يومئذ عبد الله بن العباس ، فلما بلغه خروجهم وجه في طلبهم أبا الأسود الديلي في ألف فارس ، فلحقهم بجسر تُسْتَر ، وحال بينهم الليل ، ففاتوه

(١) بلد في العراق واقعة بين بغداد وواسط ، وقد حدثت فيها الواقعة بين علي بن أبي طالب والخوارج سنة ٦٥٨ م .

(٢) كان في سنة ٣٩ هـ (٦٥٩) .

وكانوا في جميع مسيرهم لا يلقون أحدا إلا قالوا له : « ما تقول في الحكمين ؟ » فإن تبرأ منهما تركوه ، وإن أبى قتلوه .

ثم أقبلوا حتى انتهوا إلى دجلة ، فعبروها من ناحية صريفيين^(١) حتى وافوا نهروان ، فكتب إليهم على رضى الله عنه : « بسم الله الرحمن الرحيم ، من عبد الله على أمير المؤمنين إلى عبد الله بن وهب الراسبيّ وزيد بن الحُصَيْن وَمَنْ قبلهما ، سَلَامٌ عليكم ، فإن الرجائين الذين ارتضيناها للحكومة خالفا كتاب الله ، واتبعوا هواها بغير هُدًى من الله ، فلما لم يعملوا بالسنة ولم يحكموا بالقرآن تبرأنا من حكمهما ، ونحن على أمرنا الأول ، فأقبلوا إلى رحمتكم الله ، فإننا سائرنا إلى عدونا وعدوكم ، لنمود لمحاربتهم حتى يحكم الله بيننا وبينهم ، وهو خير الحاكمين » .

فلما وصل إليهم كتابه ، كتبوا إليه : « أما بعد ، فإنك لم تغضب لربك ، ولكن غضبت لنفسك ، فإن شهدت على نفسك أنك كفرت فيما كان من تحكيمك الحكمين ، واستأنفت التوبة والإيمان نظرنا فيما سألتنا من الرجوع إليك ، وإن تكن الأخرى ، فإننا نناشدك على سواء ، إن الله لا يهدي كيد الخائنين » .

فلما قرأ على كتابهم ، يئس منهم ، ورأى أن يدعهم على حالهم ، ويسير إلى الشام ، ليعاود معاوية الحرب ، فسار بالناس حتى عسكر بالأنخيلة ، وقال لأصحابه : « تأهبوا للمسير إلى أهل الشام ، فإنى كاتب إلى جميع إخوانكم ليقدموا عليكم ، فإذا وافوا شخصنا إن شاء الله » .

ثم كتب كتابه إلى جميع عماله أن يخلفوا خلفاءهم على أعمالهم ، ويقدموا عليه ، وكتب إلى عبد الله بن عباس ، وكان على البصرة : « أما بعد ، فإننا قد عسكرنا بالأنخيلة ، وقد أزمعنا على المسير إلى عدونا ، إلى أهل الشام ، فاشخص إلى فيمن قبلك حين يأتيك كتابي والسلام » .

فقدم عليه عبد الله بن عباس في فرسان البصرة ، وكانوا زهاء سبعة آلاف رجل

(١) قرية من قرى الكوفة .

فلما تهيأ للمسير أتاه عن الخوارج أخبار فظيعة، من قتلهم عبد الله بن خَبَّابٍ وامرأته .
وذلك أنهم لقوها، فقالوا لهما : « أَرْضَيْتَا بِالْحَكَمَيْنِ ؟ » قالا : « نعم » . فقتلوهما،
وَقَتَلُوا أُمَّ سِنَانِ الصَّيِّدَاوِيَّةَ ، واعتراضهم الناس يقتلونهم . فلما بلغه ذلك بعث إليهم
الحارث بن مرة الفَقْعَمَسِيُّ ليأتيه بخبرهم ، فأخذوه ، فقتلوه .

فلما بلغ الناس ذلك اجتمعوا إلى عليّ ، فقالوا : « يا أمير المؤمنين ، أندع هؤلاء
على ضلالتهم وتسير ، فيفسدوا في الأرض ، ويعترضوا الناس بالسيف ؟ سِرُّ إِلَيْهِمْ
بِالنَّاسِ ، وادعهم إلى الرجوع إلى الطاعة والجماعة ، فإن تابوا وقبلوا فإن الله
يحب التَّوَّابِينَ ، وإن أبَوْا فَآذَنِهِمْ بِالْحَرْبِ ، فَإِذَا أَرَحْتَ الْأُمَّةَ مِنْهُمْ سَرَتْ إِلَى
الشَّامِ » .

فنادى في الناس بالرحيل ، وسار حتى ورد عليهم نَهْرُوَانُ ، فمسكروا على فرسخ
منهم ، وأرسل إليهم قَيْسُ بْنُ سَعْدِ بْنِ عُبَادَةَ ، وَأَبَا أَيُّوبَ الْأَنْصَارِيَّ ، فَأَتِيَاهُمَا ،
فَقَالَا : « عِبَادَ اللَّهِ ، إِنَّكُمْ قَدْ ارْتَكَبْتُمْ أَمْرًا عَظِيمًا بِاسْتِعْرَاضِكُمُ النَّاسَ تَقْتُلُونَهُمْ ،
وَشَهَادَتَكُمْ عَلَيْنَا بِالشَّرْكِ ، وَالشَّرْكَ ظُلْمٌ عَظِيمٌ » .

فأجابهما عبد الله بن السَّخْبَرِ ، فَقَالَ : « إِلَيْكُمَا عَنَّا ، فَإِنَّ الْحَقَّ قَدْ أَضَاءَ لَنَا كَالصَّبْحِ ،
وَلَسْنَا بِمُتَابِعِيكُمْ وَلَا رَاجِعِينَ إِلَيْكُمْ ، أَوْ تَأْتُوا بِمِثْلِ عَمْرِ بْنِ الْخَطَّابِ » . فَقَالَ قَيْسُ بْنُ
سَعْدٍ : « مَا نَعْرِفُهُ فِينَا إِلَّا عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ فَهَلْ تَعْرِفُونَهُ فَيْكُمْ ؟ » قَالَا : « لَا » . قَالَ :
« فَأَنْشِدْكُمْ اللَّهُ فِي أَنْفُسِكُمْ أَنْ تَهْلِكُوها ، فَإِنِّي أَرَى الْفِتْنَةَ قَدْ دَخَلَتْ قُلُوبَكُمْ » .

ثُمَّ تَكَلَّمَ أَبُو أَيُّوبَ بِنَجْوَى هَذَا ، فَقَالُوا : « يَا أَبَا أَيُّوبَ ، إِنَّا إِن بَايَعْنَاكُمْ
الْيَوْمَ حَكَمْتُمْ غَدًا آخِرَ » .

قَالَ : « فَإِنَّا نَنْشِدْكُمْ اللَّهُ أَنْ تَعْبَجُوا فِتْنَةَ الْعَامِ بِخَافَةٍ مَا نَأْتِي بِهِ فِي قَابِلٍ » .
قَالُوا : « إِلَيْكُمَا عَنَّا ، فَقَدْ نَابَذْنَاكُمْ عَلَى سَوَاءٍ » .

فانصرفا إلى عليّ ، فأخبراه حتى وقف عليهما بحيث يسمعون كلامه ، فنَادَى :
« أَيُّهَا الْعَصَابَةُ الَّتِي أَخْرَجْتَهَا الْأَجَاذِبَةُ ، وَصَدَّهَا عَنِ الْحَقِّ الْهَوَى ، فَأَصْبَحَتْ

في لبس وخطأ ، إني نذير لكم أن تتمادوا في ضلالتكم فتلفوا مصرعين من غير بينة من ربكم ولا برهان ، ألم تعلموا أني شرطت على الحكّمين أن يحكما بما في كتاب الله؟ وأخبرتكم أن طلب القوم الحكومة مكيدة ، فلما أيتّم إلا الحكومة شرطت عليهم أن يُحييا ما أحيا القرآن ، ويميتا ما أمت القرآن ، نخالفًا الكتاب والسنة ، وعملا بالهوى ، فنبدنا أمرها ، ونحن على أمرنا الأول ، فأين يتأه بكم ، ومن أين أتيتم ؟ » .

فقالوا : « إنا كفرنا حين رَضينا بالحكّمين ، وقد تبنا إلى الله من ذلك ، فإن تبّت كما تبنا فنحن معك ، وإلا فائذن بحرب ، فإننا مُنا بذوك على سواء » . فقال لهم عليّ : « أشهدُ على نفسي بالكفر ..؟! لقد ضللتُ إذن وما أنا من المهتدين » . ثم قال : « ليخرج إلى رجل منكم ترضون به حتى أقول ويقول ، فإن وجبت على الحجة أقررت لكم وتبّت إلى الله ، وإن وجبت عليكم فاتقوا الذي مرّدكم إليه » .

فقالوا لعبد الله بن الكواء ، وكان من كبراءهم : « اخرج إليه حتى تحاجّه » ، فخرج إليه .

فقال عليّ : « هل رضيتم ؟ » .

قالوا : « نعم » .

قال : « اللهم اشهد ، فكفى بك شهيدا » .

فقال عليّ رضي الله عنه : « يا ابن الكواء ، ما الذي تقمّم عليّ بعد رضاكم بولايتي وجهادكم معي وطاعتكم لي ؟ فهلّا برئتم مني يوم الجمل ؟ » .

قال ابن الكواء : « لم يكن هناك تحكيم » .

فقال عليّ : « يا ابن الكواء ، أنا أهدى أم رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ » .

قال ابن الكواء : « بل رسول الله صلى الله عليه وسلم » .

قال : « فما سمعت قول الله عز وجل : « قُلْ تَمَلَّؤْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ ، وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ ، وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ » . أكان الله يشك أنهم هم الكاذبون ؟ » .

قال : « إن ذلك احتجاج عليهم ، وأنت شككت في نفسك حين رضيت بالحكمين ، فنحن أخرى أن نشك فيك » .

قال : « وإن الله تعالى يقول : فائتوا بكتاب من عند الله ، هو أهدى منهما ، أتبعه » .

قال ابن الكواء : « ذلك أيضاً احتجاج منه عليهم » .

فلم يزل على عليه السلام يُحاجّ ابن الكواء بهذا وشبهه ؛ فقال ابن الكواء : « أنت صادق في جميع ما تقول ، غير أنك كفرت حين حكمت الحكمين » .

قال عليّ : « ويحك يا ابن الكواء ، إني إنما حكمت أبا موسى وحده وحكم معاوية عمرأ » .

قال ابن الكواء : « فإن أبا موسى كان كافراً » .

فقال عليّ : « ويحك ، متى كفر ، أحين بعثته أم حين حكم ؟ » .
قال : « لا ، بل حين حكم » .

قال : « أفلا ترى أني إنما بعثته مسلماً ، فكفر في قولك بعد أن بعثته ؟
أرايت لو أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث رجلاً من المسلمين إلى أناس من الكافرين ، ليدعوهم إلى الله ، فدعاهم إلى غيره ، هل كان على رسول الله صلى الله عليه وسلم من ذلك شيء ؟ » .

قال : « لا » .

قال : « ويحك ، فما كان عليّ إن ضلّ أبو موسى ؟ أفيجلّ لكم بضلالة أبي موسى أن تضعوا سيوفكم على عواتقكم فتعترضوا بها الناس ؟ » .

فلما سمع عظماء الخوارج ذلك قالوا لابن الكواء : « انصرف ودع مخاطبة الرجل » .

فانصرف إلى أصحابه ، وأبى القوم إلا التماس في الغي .

وأمر على بالنداء في الناس أن يأخذوا أهبّة الحرب ، ثم عتّى جنوده ، فوّلى
اليمنى حُجْر بن عديّ ، ووّلّى اليسرة شَبّث بن رُبَيْع ، ووّلّى الخيل أبا أيوب
الأنصاريّ ، ووّلّى الرّجالة أبا قتادة .

واستعدّ الخوارج فجعلوا على ميمنتهم يزيد بن حصّين ، وعلى ميسرتهم شُرَيْح
ابن أبي أوفى العبّسيّ - وكان من نسّاكهم - وعلى الرّجالة حرقوص بن زهير ،
وعلى الخيل كلها عبد الله بن وهب .

ورفع على راية ، وضمّ إليها ألف رجل ، ونادى : « من التجأ إلى هذه الرّاية
فهو آمن » .

ثم تواقف الفريقان ، فقال فرّوة بن نوّفل الأشجعيّ - وكان من رؤساء
الخوارج - لأصحابه : « يا قوم ، والله ما ندرى ، علامَ يُقاتل علينا ، وليست لنا في
قتله حُجّة ولا بيان ، يا قوم ، انصرفوا بنا حتى تنفذ لنا البصيرة في قتاله أو اتّباعه » .

فترك أصحابه في مواقفهم ، ومضى في خمسمائة رجل حتى أتى إلى البندِ نِجَين^(١) ،
وخرجت طائفة أخرى حتى لحقوا بالكوفة ، واستأمنَ إلى الرّاية منهم ألف رجل ،
فلم يبق مع عبد الله بن وهب إلا أقلُّ من أربعة آلاف رجل .

فقال على لأصحابه : « لا تبتدءوهم بالقتال حتى يبدؤكم » ؛ فتنادت الخوارج :
« لا حُكْمَ إلا لله ، وإن كرهَ المشركون » . ثم شدّوا على أصحاب على شدة
رجل واحد ، فلم تثبُت خيل على لشدّتهم ، واقتربت الخوارج فرقتين ، فرقة
أخذت نحو الميمنة ، وفرقة أخرى نحو اليسرة .

وعطف عليهم أصحاب على ، وحملَ قيس بن معاوية البرجميّ من أصحاب على
على شُرَيْح بن أبي أوفى ، فضربه بالسيف على ساقه ، فأبانها ، فجعل يُقاتل برجله
واحدة وهو يقول : « الفحل يحمي شَوْله ممّقولاً »^(٢) ، فحملَ عليه قيس
ابن سعد فقتله ، وقتلت الخوارج كلها رِبضة^(٣) واحدة .

(١) بلدة مشهورة في طرف النهر وان من ناحية الجبل ، وهي من أعمال بغداد .

(٢) عقل الفحل : ثنى وظيفه مع زراعه وشدّها في وسط الذراع والشول : جمع شائل وهو

الناقة اللافح التي تشول بذنبها آية لقاحها . (٣) مقتل كل قوم قتلوا في بقعة واحدة .

قال : وأمر عليّ بمن كان منهم ذا رَمَقٍ أن يُدْفَعُوا إلى عشاثرهم ، وأمر
بأخذ ما كان في معسكرهم من سلاح ودواب ، فقسمه في أصحابه ، وأمر بما سوى
ذلك ، فدفع إلى ورّائهم .

فلما أراد عليّ الانصراف من النهروان قام في أصحابه ، فقال : « أيها الناس ،
إن الله قد نصركم على المارقين ، فتوجهوا من فوركم هذا إلى القَاسِطِينَ » يعني
أهل الشام ، فقام إليه رجال من أصحابه ، فيهم الأشعث بن قيس ، فقالوا :
« يا أمير المؤمنين ، نفدت نبأنا ، وكنت سيوفنا ، ونصّلت أسنة رماحنا ،
فارجع بنا إلى مصرنا ، لنستعدّ بأحسن عدّتنا » .

فرحل بالناس حتى نزل النخيلة ، فمسكر بها ، فأقاموا أياماً ، فجعلوا يتسلّلون
إلى الكوفة ، فلم يبق معه في المعسكر إلا زهاء ألف رجل من الوجوه .
فلما رأى ذلك دخل الكوفة ، فأقام بها ، وسار فروة بن نوفل بمن كان
معه إلى خلوان ، فجعل ينجي خراجها ويقسمه في أصحابه .

[نهاية علي بن أبي طالب]

قالوا ولما رأى عليّ رضي الله عنه تناقل أصحابه أهل الكوفة عن السير معه إلى
قتال أهل الشام ، وانتهى إليه ورود خيل معاوية الأنبار ، وقتلهم مسلحة على بها
والنارة عليها ، كتب كتاباً ، ودفعه إلى رجل ، وأمره أن يقرأه على الناس يوم الجمعة
إذا فرغوا من الصلاة ، وكانت نسخته :

« بسم الله الرحمن الرحيم من عبد الله عليّ أمير المؤمنين إلى شيعته من أهل الكوفة ،
سلامٌ عليكم ، أما بعد ، فإن الجهاد باب من أبواب الجنة ، من تركه ألّسه الله الذلّة
وشمله بالصغار ، وسيم الحسف وسيل^(١) الضيم ، وإني قد دعوتكم إلى جهاد هؤلاء القوم
ليلاً ونهاراً وسراً وجهاراً ، وقلت لكم ، اغزّوهم قبل أن يغزّوكم ، فما غزى قوم في
عقر دارهم إلا ذلّوا واجترأ عليهم عدوّهم ، هذا أخو بني عامر قد ورد الأنبار ، وقتل

(١) كذا في الأصل ، وفي روايات أخرى « ومنع النصف » .

ابن حسان البكري ، وأزال مسالحكم عن مواضعها ، وقتل منكم رجالا صالحين ، وقد بلغني أنهم كانوا يدخلون بيت المرأة المسلمة والأخرى المأهدة^(١) ، فينزع حجبها^(٢) من رجلها ، وقلائدُها من عنقها ، وقد انصرفوا موفورين ، ما كَلِمَ رجل منهم كَلِمًا ، فلو أن أحدا مات من هذا أسفا ما كان عندي مَلُومًا ، بل كان جديرًا ؛ يا عجبًا من أمر يميت القلوب ، ويحتلب الهمم ويسمر الأحران من اجتماع القوم على باطلهم ، وتفرقكم عن حقكم ، فبُعْدًا لكم وسُخْقًا ، قد ضرتهم غَرَضًا ، تَرُمُونَ ولا تَرُمُونَ ، ويُغَارُّ عليكم ولا تُغَيِّرُونَ ، وَيُعَصَى الله فتَرْضَوْنَ ، إذا قلت لكم سيروا في الشتاء قاتم كيف نفزوا في هذا القر والصر^(٣) . وإن قلت لكم سيروا في الصيف قاتم حتى ينصرم عنا حمارة القيظ ، وكل هذا فرار من الموت ، فإذا كنتم من الحر والقر تَفِرُّون فأنتم والله من السيف أفرّ ، والذي نفسى بيده ، ما من ذلك تهربون ، ولكن من السيف تحيدون ، يأشباه الرجال ولا رجال ، ويا أحلام الأطفال وعقول ربّات الحِجَال ، أما والله لو دِدْتُ أن الله أخرجني من بين أظهركم وقبَضَنِي إلى رحمته من بينكم ، ووددت أن لم أركم ولم أعرفكم ، فقد والله ملأتم صدرى غيظًا ، وجَرَّ عَتَمُونِي الأمرَيْن أنفاسًا ، وأفسدتم عليّ رأيي بالمِصْيان والخِذلان ، حتى قالت قُرَيْشُ : إن ابن أبي طالب رجل شجاع ، ولكن لا عِلْمَ له بالحرب . لله أبوهم ، هل كان فيهم رجل أشد لها مِرَاسًا وأطول مُقَاساةً مني ؟ ولقد نهضت فيها وما بلغت العشرين ، وها أنا [ذا] اليوم قد جنفتُ الستين . لا ، ولكن لا رَأَى لمن لا يُطَاع .

فقام إليه الناس من كل ناحية ، فقالوا : « سِرْ بنا ، فوالله لا يتخلف عنك إلا ظنين » . فأمر الحارث الهمداني بالنداء في الناس أن يُصْبِحُوا غداً في الرَّحْبَةِ^(٤) ، ولا يأتينا إلا صادق النية .

فلما أصبح صَلَّى الغداة ، وأقبل إلى الرَّحْبَةِ ، فلم يُرَ فيها إلا نحو من ثلاثمائة

(١) هي التي لها عهد من أهل الذمة . (٢) الحجل بالكسر الخلل .

(٣) القر والصر شدة البرد . (٤) الرحبة : مدينة موقعها على الفرات الأوسط .

رجل ، فقال : « لو كانوا أوفاء لكان لي فيهم رأي » .

فكث بعد ذلك يومين ، بأد حزنه ، شديد كآبته .

فقام إليه حُجْر بن عَدِيّ ، وسميد بن قيس الهمدانيّ ، فقالا : « اجبر

الناس على السير ، وناد فيهم ، فَمَنْ تَخَلَّف ، فَمُرْ بِمُعَابَتِهِ » . فأمر مناديا ،

فنادى في الناس : « لا يتخلفن أحد » ، وأمر معقل بن قيس أن يسير في الرّساتيق^(١)

فلا يدع أحداً من جنوده فيها إلا حشره . فلم ينصرف معقل بن قيس إلا بعدما

قُتِلَ على رضى الله عنه .

[مقتل على بن أبي طالب]

قالوا : واجتمع في العام^(٢) الذي قُتِلَ فيه على رضى الله عنه بالموسم عبد الرحمن

ابن مُلْجَم المرادى ، والنّزال بن عامر ، وعبد الله بن مالك الصّيداوى ، وذلك

بعد وقعة النهر بأشهر ، فتذكروا ما فيه الناس من تلك الحروب ، فقال بعضهم

لبعض : « ما الراحة إلا في قتل هؤلاء نفر الثلاثة : على بن أبي طالب ، ومعاوية

ابن أبي سفيان ، وعمرو بن العاص » .

فقال ابن مُلْجَم : « على قتل على » .

وقال النّزال : « وعلى قتل معاوية » .

وقال عبد الله : « وعلى قتل عمرو » .

فاتّمدوا الليلة واحدة ، يقتلونهم فيها .

وأقبل عبد الرحمن حتى قدم الكوفة ، فخطب إلى قَظَام ابنتها الرّباب ،

وكانت قَظَام ترى رأى الخوارج ، وقد كان على قتل أبها وأخاها وعمها يوم النهر ،

فقال لابن مُلْجَم :

« لا أزوّجك إلا على ثلاثة آلاف درهم ، وعبد ، وقينة ، وقتل على »

ابن أبي طالب .

فأعطاها ذلك وأملكها .

(١) كلمة فارسية معربة جمع رستاق وهو السواد من الأرض .

(٢) سنة ٤٠ هـ (٦٦٠ م) .

وكان ابن مُلْجَم يجلس في مجلس تيم الرباب من صلاة الغداة إلى ارتفاع النهار ،
والقوم يفيضون في الكلام ، وهو ساكت ، لا يتكلم بكلمة ، للذي أجمع عليه
من قتل عليّ .

نفرج ذات يوم إلى السوق متقلدا سيفه ، فمرت به جنازة يشيعها أشراف
العرب ، ومعها القسيسون يقرءون الإنجيل ، فقال : « ويحكم ، ماهذا ؟ » فقالوا :
« هذا أبجر بن جابر العجليّ مات نصرانيا ، وابنه حجار بن أبجر سيّد بكر
ابن وائل ، فاتبعها أشراف الناس لسؤدد ابنه ، واتبعها النصارى لدينه » .

فقال : « والله لولا أني أبق نفسي لأمر هو أعظم عند الله من هذا لاستعرضتهم بسيفي » .
فلما كانت تلك الليلة تقلد سيفه ، وقد كان سمّه ، وقعد مغلّسا ينتظر أن يمرّ به
عليّ رضي الله عنه مقبلا إلى المسجد لصلاة الغداة .

فبينما هو في ذلك إذ أقبل عليّ ، وهو ينادي : « الصلاة أيها الناس » فقام إليه
ابن مُلْجَم ، فضربه بالسيف على رأسه ، وأصاب طرف السيف الحائط ، فثأم فيه ،
ودهِش ابن مُلْجَم ، فانكبّ لوجهه ، وبدر السيف من يده ، فاجتمع الناس ،
فأخذوه ، فقال الشاعر في ذلك :

وَلَمْ أَرْ مَهْرًا سَاقَهُ ذُو سَمَاحَةٍ كَمَهْرٍ قَطَامٍ مِنْ فَصِيحٍ وَأَعْجَمٍ
ثَلَاثَةَ آلَافٍ وَعَبْدًا وَقِيْنَةً وَضَرْبَ عَلِيٍّ بِالْحُسَامِ الْمُصَمِّمِ
فَلَا مَهْرَ أَغْلَى مِنْ عَلِيٍّ وَإِنْ غَلَا وَلَا فَتْكَ إِلَّا دُونَ فَتْكِ ابْنِ مُلْجَمٍ
وحمل عليّ رضي الله عنه إلى منزله ، وأدخل عليه ابن مُلْجَم .

فقال له أم كلثوم ابنة عليّ : « يا عدوّ الله ، أقتلت أمير المؤمنين ؟ » .
قال : « لم أقتل أمير المؤمنين ، ولكني قتلت أباك » .
قالت : « أما والله إنني لأرجو ألا يكون عليه بأس » .

قال : « فعلام تبكين إذن ؟ أما والله لقد سمت السيف شهرا ، فإن أخلفني
أبعده الله » .

فلم يمّس عليّ رضي الله عنه يومه ذلك حتى مات رحمه الله ورضي عنه .

[القِصَاص]

فدعا عبد الله بن جعفر بابن مُلْجَم ، فقطع يديه ورجليه وسمل عينيه ، فجعل يقول :

« إناك يا ابن جعفر لتكحل عينيَّ بِمُلْمُولٍ مَضٍّ ^(١) » .

ثم أمر بلسانه أن يُخْرَجَ لِيُقَطَعَ ، فجزع من ذلك .

فقال له ابن جعفر :

« قطعنا يديك ورجليك ، وسملنا عينيك ، فلم تجزع ، فكيف تجزع من قطع لسانك ؟ » .

قال : « إني ما جزعت من ذلك خوفا من الموت ، ولكنني جزعت أن أكون حَيًّا في الدنيا ساعة لا أذكر الله فيها » ، ثم قُطِعَ لسانه ، فمات .

[محاولة قتل معاوية]

وأقبل النَّزَّال بن عامر في تلك الليلة حتى قام خلف معاوية وهو يُصَلِّي بالناس الغداة ، ومعه خنجر ، فَوَجَّاهُ ^(٢) به في إليته ، وكان معاوية عظيم الإليتين ، فَأُخِذَ ، فقال لمعاوية : « أَهْلُ قَتَلَتِكَ يا عدوَّ الله ؟ » .

فقال معاوية : « كلا ، يا ابن أخي » .

فأمر به معاوية ، فَقُطِعَتْ يداه ورجلاه ، ونُزِعَ لسانه ، فمات .

ودعا بطبيب فأمره أن يقطع ما حَوْلَ الوَجَّاهِ من اللحم ، خوفا من أن يكون الخنجر مسموما .

فَمِنْ يَوْمَئِذٍ اتَّخَذَتِ القاصير في الجوامع ، فكان لا يدخلها إلا ثقاته وأحراسه ، واتَّخَذَ أيضا من يومئذ حُرَّاس الليل ، وكان إذا سجد بالناس جعل على رأسه عشرة من ثقات أحراسه ، يقومون من خلفه بالسيوف والعمد .

[محاولة قتل عمرو بن العاص]

وأما عبد الله بن مالك الصَّيْدَاوِيُّ فإنه أتى مصر ، فلما كان في تلك الليلة قام

(١) أي بمكحل حار محرق . (٢) ضربه .

حيال المحراب ، ومعه مشمل^(١) قد اشتعل عليه بتيابه ، فأصاب عمراً في تلك الليلة
منفس^(٢) في بطنه ، فأمر رجلاً من بني عامر بن لؤي أن يخرج فيصلي بالناس .
فتقدم مغلساً ، فلم يشكّ عبد الله أنه عمرو ، فلما سجد ضربه بالسيف من ورائه
فقتله ، فقليل له : « إنك لم تقتل الأمير » ، قال : « فما ذنبي ، والله ما أردت
غيره » . فأمر به عمرو فقتل .

[مبايعة الحسن بن علي]

قال : ودُفنَ عليّ رضي الله عنه ، وصلى عليه الحسن ، وكبرَ خمساً ،
فلا يعلم أحد أين دُفنَ .

قالوا : ولما توفي عليّ رضي الله عنه خرج الحسن إلى المسجد الأعظم ، فاجتمع
الناس إليه ، فبايعوه ؛ ثم خطب الناس ، فقال : « أفعلتموها ؟ قتلتم
أمير المؤمنين ، أما والله لقد قُتلَ في الليلة التي نزل فيها القرآن ، وُدُفِعَ فيها
الكتاب ، وجفّ القلم ، وفي الليلة التي قبضَ فيها موسى بن عمران ، وعُرجَ فيها
بعميسى » .

[زحف جيوش معاوية]

قالوا : ولما بلغ معاوية قتل عليّ تجهّز ، وقَدَّمَ أمامه عبد الله بن عامر بن كرّيز ،
فأخذ على عين التمر^(٣) ، ونزل الأنبار يريد المدائن ، وبلغ ذلك الحسن بن عليّ ،
وهو بالكوفة ، فسار نحو المدائن لمحاربة عبد الله بن عامر بن كرّيز ، فلما انتهى
إلى ساباط رأى من أصحابه فشلاً وتواكلاً عن الحرب ، فنزل ساباط ، وقام فيهم
خطيباً ، ثم قال : « أيها الناس ، إني قد أصبحت غير محتمل على مسلم ضغينة ،

(١) المشمل : السيف القصير ، يشتعل عليه الرجل فيغطيه بثوبه .

(٢) المنفس : لغة في المنفس ، وهو جمع وتقطيع يأخذ في البطن .

(٣) ناحية في العراق من أعمال قضاء كربلاء .

وإني ناظرٌ لكم كنظري لنفسي ، وأرى رأياً فلا تردُّوا عليّ رأيي ، إن الذي تكرهون من الجماعة أفضل مما تحبون من الفرقة ، وأرى أكثركم قد نكل عن الحرب ، وفشل عن القتال ، ولست أرى أن أحلكم على ما تكرهون .

فلما سمع أصحابه ذلك نظر بعضهم إلى بعض ، فقال من كان معه ممن يرى رأي الخوارج : « كَفَرَ الحسن كما كفر أبوه من قبله » ، فَشَدَّ عليه نفر منهم ، فانزعوا مُصَلَّاه من تحتهم ، وانتهبوا ثيابه حتى انتزعوا مطرفه ^(١) عن عاتقه ، فدعا بقرسه ، فركبها ، ونادى : « أين ربيعة وهمدان ؟ » فتبادروا إليه ، ودفعوا عنه القوم . ثم ارتحل يريد المدائن ، فكمن له رجل ممن يرى رأي الخوارج ، يسمى الجراح بن قبيصة من بني أسد بمظلم ساباط ، فلما حاذاه الحسن قام إليه بِمِقْوَلٍ ^(٢) فطعنه في فخذه . وحمل على الأسدى عبد الله بن خَظَل وعبد الله بن ظبيان ، فقتلاه .

ومضى الحسن رضي الله عنه مُتَخَنًا حتى دخل المدائن ، ونزل القصر الأبيض ، وعُورِجَ حتى برأ ، واستعد للقاء ابن عامر .

وأقبل معاوية حتى وَاَقَى الأنبار ، وبها قَيْس بن سعد بن عُبَادَة من قَبَل الحسن ، فحاصره معاوية ، وخرج الحسن فواقف عبد الله بن عامر ، فنادى عبد الله بن عامر : « يا أهل العراق ، إني لم أرَ القتال ، وإنما أنا مقدِّمة معاوية ، وقد وَاَقَى الأنبار في جموع أهل الشام فأقرئوا أبا محمد - يعني الحسن - مني السلام ، وقولوا له : أنشدك الله في نفسك وأنفس هذه الجماعة التي معك » .

فلما سمع ذلك الناس انخدلوا وكرهوا القتال ، وترك الحسن الحرب ، وانصرف إلى المدائن ، وحاصره عبد الله بن عامر بها .

(١) الطرف واحد المطارف وهي أردية من خز مربعة لها أعلام .

(٢) المِقْوَل : سوط في جوفه سيف دقيق يشده الفاتك على وسطه ليقتال به الناس .

[مبايعة معاوية بالخلافة]

ولما رأى الحسن من أصحابه الفشل أرسل إلى عبد الله بن عامر بشرائط اشترطها على معاوية على أن يسلم له الخلافة ، وكانت الشرائط : ألا يأخذ أحداً من أهل العراق بإخنة ، وأن يؤمن الأسود والأحمر ، ويحتمل ما يكون من هفواتهم ، ويجعل له خراج الأهواز مسلماً في كل عام ، ويحمل إلى أخيه الحسين بن علي في كل عام ألفي ألف ، ويفضل بني هاشم في العطاء والصلوات على بني عبد شمس .

فكتب عبد الله بن عامر بذلك إلى معاوية ، فكتب معاوية جميع ذلك بخطه ، وختمه بخاتمه ، وبذل عليه له العهود المركبة والأيمان المغلظة ، وأشهد على ذلك جميع رؤساء الشام ، ووجه به إلى عبد الله بن عامر ، فأوصله إلى الحسن رضي الله عنه ، فرضى به ؛ وكتب إلى قيس بن سعد بالصلح ، ويأمره بتسليم الأمر إلى معاوية ، والانصراف إلى الدائن .

فلما وصل الكتاب بذلك إلى قيس بن سعد قام في الناس ، فقال : « أيها الناس ، اختاروا أحد الأمرين ، القتال بلا إمام ، أو الدخول في طاعة معاوية » . فاختاروا الدخول في طاعة معاوية .

فسار حتى وافي الدائن ، وسار الحسن بالناس من الدائن حتى وافي الكوفة ، ووافاه معاوية بها ، فالتقيا ، فوكد عليه الحسن رضي الله عنه تلك الشروط والأيمان . ثم سار الحسن بأهل بيته حتى وافي مدينة الرسول صلى الله عليه وسلم . وأخذ معاوية أهل الكوفة بالبيعة ، فبايعوا ، واستعمل عليهم المغيرة بن شعبه ، وسار منصوراً في جموعه إلى الشام ، فكث المغيرة بن شعبه على الكوفة من قبل معاوية تسع سنين حتى مات بها .

[زياد بن أبيه]

وكان زياد بن أبيه إنما يعرف بزياد بن عبيد ، وكان عبيد مملوكا لرجل من ثقيف ، فتزوج سُمَيَّة ، وكانت أمة للحارث بن كَلْدَةَ ، فأعتقها ، فولدت له زيادا ، فصار حُرًّا ، ونشأ غلاما لقنا ذهنا ، عاقلا أدبيا ، فأخرجه المغيرة بن شعبة معه إلى البصرة حين وليها من قبل عمر بن الخطاب ، فاستكتبه المغيرة .

فلما ولي علي بن أبي طالب ولي زيادا أرض فارس ، فلما توجه إلى صفين كتب معاوية إلى زياد يتوعده ، فقام زياد في الناس ، فقال : « إن ابن آكلة الأكباد ورأس النفاق كتب إلي يتوعدني ، ويبنى وبينه ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم في تسمين ألف مدجج من شيعته ، أما والله لئن رامني ليجدني ضرابا بالسيف » .

فلما قُتِلَ علي ، واستدفع الأمر لمعاوية تحصن زياد بقلعة مدينة إصطخر ، وكتب معاوية له أمانا على أن يأتيه ، فإن رضى ما يعطيه ، وإلا رده إلى متحصنه بتلك القلعة .

فسار إلى معاوية ، وترقت به الأمور إلى أن ادّعاه معاوية ، وزعم للناس أنه ابن أبي سفيان ، وشهد له أبو مريم السُّلُوي - وكان في الجاهلية خمارا بالطائف - أن أبا سفيان وقع على سُمَيَّة بعد ما كان الحارث أعتقها ، وشهد رجل من بني المصطلق ، اسمه يزيد ، أنه سمع أبا سفيان يقول : « إن زيادا من نطفة أقرها في رحم أمة سُمَيَّة ، فتم ادعاؤه إياه . وكان في ذلك ما كان .

وأمر معاوية زيادا أن يسير إلى الكوفة إلى أن يرد عليه أمره ، فسار زياد حتى قدم الكوفة ، وعليها المغيرة بن شعبة ، فنزل دار سلمان بن ربيعة الباهلي ، ووافاه كتاب معاوية بولاية البصرة ، فسار إليها .

فلما وافاها قصد المسجد الجامع ، فصعد المنبر ، فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال : « إنه قد كانت بيني وبين قوم أحقاد ، وقد جعلتها تحت قدمي ، ولست أؤاخذ أحدا

بعداوة ، ولا أهلك له قناعا حتى يبدى لى صفحته ، فإذا أبداها لم أنظِره ، فمن كان منكم مُحْسِنًا فليزدد إحسانا ، ومن كان منكم مُسِيئًا فليقلع عن إساءته ، وأعينونا رحمكم الله بالسمع والطاعة » . ثم نزل .

فلبث على البصرة حَوْلَيْنِ حتى مات المغيرة ، فكتب إليه معاوية بولاية الكوفة مع البصرة ، فسار إليها .

قالوا : وكان أول من لقي الحسن بن عليّ رضي الله عنه ، فندّمه على ما صنع ، ودعاه إلى رد الحرب حُجْرُ بن عَدِيٍّ ، فقال له « يا ابن رسول الله ، لوددت أنّي مُتَّ قَبْلَ ما رأيت ، أخرجتنا من العَدَلِ إلى الجور ، فتركنا الحق الذي كنا عليه ، ودخلنا في الباطل الذي كنا نهرب منه ، وأعطينا الدِّينِيَّةَ من أنفسنا ، وقبلنا الخَسِيْسَةَ التي لم تَلِقْ بنا » .

فاشتد على الحسن رضي الله عنه كلام حُجْرٍ ، فقال له « إني رأيت هوى عَظُمَ الناس في الصّٰلِح ، وكرهوا الحرب ، فلم أحبّ أن أحملهم على ما يكرهون ، فصالحت بُقْيَا على شيعتنا خاصّة من القتل ، فرأيت دفع هذه الحروب إلى يومٍ ما ، فإن الله كل يومٍ هو في شأن » .

قال : فخرج من عنده ، ودخل على الحسين رضي الله عنه مع عُبَيْدَةَ بن عمرو ، فقالا : « أبا عبد الله ، شريتم الذُّلَّ بِالْعِزِّ ، وقبلتم القليل ، وتركتم الكثير ، أطمئنا اليوم ، وأعصينا الدهر ، دَعِ الحسن وما رأى من هذا الصّٰلِح ، واجمع إليك شيعتك من أهل الكوفة وغيرها ، ووَلِّني وصاحبي هذه المقدمة ، فلا يشعر ابن هند إلا ونحن نُقَارِعُه بالسيوف » .

فقال الحسين : « إنا قد بايعنا وعاهدنا ، ولا سبيل إلى نقض بيعتنا » .

وزوى عن عليّ بن محمد بن بشير الهمدانيّ ، قال : خرجتُ أنا وسفيان ابن ليلى حتى قدمنا على الحسن المدينة ، فدخلنا عليه ، وعنده المسيّب بن نَجَبَةَ و

وعبد الله بن الوَدَّاعِ التَّمِيمِيَّ ، وسراج بن مالك الخَثْعَمِيَّ ، فقلت : « السلام عليك يا مُذِلَّ المؤمنين » ، قال : « وعليك السلام ، اجلس ، لست مُذِلَّ المؤمنين ، ولكني مُعَزِّمٌ ، ما أردت بمصالحتي معاوية إلا أن أدفع عنكم القتل عند ما رأيت من تباطؤ أصحابي عن الحرب ، ونكولهم عن القتال ، ووالله لئن سِرْنَا إليه بالجبال والشجر ما كان بُدٌّ من إفضاء هذا الأمر إليه » .

قال : ثم خرجنا من عنده ، ودخلنا على الحسين ، فأخبرناه بما رَدَّ علينا ، فقال : « صدق أبو محمد ، فليكن كل رجل منكم جَلِيسًا ^(١) من أحلاس بيته ، ما دام هذا الإنسان حيًّا » .

[موت الحسن بن علي]

- ١٠ ثم إن الحسن رضي الله عنه اشتكى بالمدينة ، فثَقُلَ ، وكان أخوه محمد بن الحنفية في ضيعة له ، فأرسل إليه ، فَوَافَى ، فدخل عليه ، فجلس عن يساره ، والحسين عن يمينه ، ففتح الحسن عينه ، فرآها ، فقال للحسين : يا أخي ، أوصيك بمحمد أخيك خيرًا ، فإنه جلدة ما بين العينين » ثم قال : « يا محمد ، وأنا أوصيك بالحسين ، كَانْفَهُ وَوَارِزُهُ » .
- ثم قال « ادفنوني مع جدِّي صلى الله عليه وسلم ، فإن مُنْعَتُمُ الْبَقِيعِ » ^(٢) .
- ١٥ ثم تَوَفَّى ، فَمَنَعَ مروان أن يُدْفَنَ مع النبي صلى الله عليه وسلم ، فَدُفِنَ في البقيع . وبلغ أهل الكوفة وفاة الحسن ، فاجتمع عظماءهم فكتبوا إلى الحسين رضي الله عنه يعزونه .

- وكتب إليه جَعْدَةُ بن هُبَيْرَةَ بن أبي وهب ، وكان أمحضهم ^(٣) حُبًّا وَمَوَدَّةً : « أما بعد ، فإن مَن قَبَلْنَا من شيعتك مُتَطَلِّعَةٌ أَنْفُسُهُمْ إِلَيْكَ ، لَا يَعْدِلُونَ بِكَ أَحَدًا ، وقد كانوا عرفوا رأي الحسن أخيك في دفع الحرب ، وعرفوك باللين لأوليائك ، والغِلْظَةَ على أعدائك ، والشَّدَّةَ في أمر الله ، فإن كنت تحب أن تطلب هذا الأمر فاقدم علينا ، فقد وطنَّا أنفسنا على الموت معك »

(١) الرجل الحلو هو الحريس الملازم ، ويقال فلان جلس من أحلاس البيت الذي لا يبرح

البيت . (٢) موضع فيه أروم شجر من ضروب شتى ، وهو مقبرة بالمدينة .

(٣) في نسخة محضهم ، وأعضه الود ومحضه له أخضه وصدقته .

فكتب إليهم : « أما أخى فأرجو أن يكون الله قد وفقه ، وسدّده فيما يأتى ؛
وأما أنا فليس رأيت اليوم ذلك ، فالصقوا رحمكم الله بالأرض ، واكنّوا فى البيوت ،
واحترسوا من الظنة ما دام معاوية حيّاً ، فلن يُحدث الله به حدّاً وأنا حيٌّ ؛ كتبت
إليكم برأى والسلام » .

وانتهى خبر وفاة الحسن إلى معاوية - كتب به إليه عامله على المدينة مروان -
فأرسل إلى ابن عباس ، وكان عنده بالشام - قدم عليه وافداً - فدخل عليه ، فعزّاه ،
وأظهر الشّامة بموته ، فقال له ابن عباس : « لا تَشْمُتَنَّ بموته ، فوالله لا تلبث
بعده إلا قليلاً » .

[بين معاوية وعمر بن العاص]

قالوا : وكتب معاوية إلى عمرو بن العاص ، وهو على مصر ، قد قبضها
بالشرط الذى اشترطه على معاوية : « أما بعد ، فإن سؤال أهل الحجاز ، وزوّار
أهل العراق قد كثروا علىّ ، وليس عندى فضل من أعطيات الجنود ، فأعنيّ
بخراج مصر هذه السنة » .

فكتب إليه عمرو :

مُأْوَىٰ إِن تُدْرِكْكَ نَفْسٌ شَحِيحَةٌ فَمَا وَرَثَتْنِي مِصْرَ أُمِّي وَلَا أَبِي
وَمَا نِلْتُمَا عَفْوًا وَلَكِنْ شَرَطْتُمَا وَقَدْ دَارَتْ الْحَرْبُ الْعَوَانَ عَلَى قُطْبِ
وَلَوْلَا دِفَاعِي الْأَشْعَرِيَّ وَصَحْبِهِ لَأَلْفَيْتُمَا تَرْغُو كَرَاغِيَةَ السَّقْبِ^(١)

فلما رجع الجواب إلى معاوية تذكّم ، فلم يُعاوِده فى شيء من أمرها .

(١) السقب : ولد الناقة الذكر ساعة تضعه أمه .

قالوا : وقد كان معاوية خلفاً على الكوفة حين شخص منها المغيرة بن شعبة ، فصعد المنبر يوم الجمعة ليخطب فحَصَبَهُ حُجْرُ بْنُ عَدِيٍّ ، وكان من شيعة عليٍّ ، في نفر من أصحابه ، فنزل مُسْرِعاً من المنبر ، ودخل قصر الإمارة ، وبعث إلى حُجْرٍ بخمسة آلاف درهم ترَضَّاهُ بها . فقيل للمغيرة : « لِمَ فعلت هذا ، وفيه عليك وَهَنٌ وَغَضَاضَةٌ ؟ » فقال : « قد قتلته بها » .

فلما مات المغيرة وجمع معاوية لزياد الكوفة إلى البصرة ، كان يقيم بالبصرة ستة أشهر ، وبالكوفة مثل ذلك ، فخرج في بعض خُرُجَاتِهِ إلى البصرة ، وخلف على الكوفة عمرو بن حُرَيْثُ الْمَدَوِيِّ ، فصعد عمرو بن حُرَيْثُ ذات جمعة المنبر ليخطب ، وقعد له حُجْرُ بْنُ عَدِيٍّ وَأَصْحَابُهُ فَحَصَبُوهُ^(١) ، فنزل من المنبر ، فدخل القصر ، وأغلق بابه .

وكتب إلى زياد يخبره بما صنع حُجْرٌ وَأَصْحَابُهُ ، فركب زياد البريد حتى وافى الكوفة ، ودخل المسجد ، وأخرج له سريرته من القصر ، فجلس عليه ، فكان أول من دخل عليه من أشرف الكوفة محمد بن الأشعث بن قَيْسٍ ، فسلم عليه بالإمرة . فقال زياد : « لاسلم الله عليك ، انطلق فَأَتِنِي بَابِنِ عَمِكَ السَّاعَةَ » .

قال محمد بن الأشعث : « مالي وَلِحُجْرٍ ، إنك لتعلم التَّبَاعُدَ بَيْنَنَا » . فقال له جرير بن عبدالله : « أنا آتيك بِحُجْرٍ أَيُّهَا الْأَمِيرُ ، على أن تجعل له الأمان ، وألا تعرض له حتى يلتقي معاوية ، فيرى فيه رأيه » . قال : « قد فعلت » .

فأقبل به إلى زياد ، فأمر بحبسهِ ، وأمر بطلب أصحابه الذين كانوا معه ، فَأَتَى بِهِمْ ، فوجههم جميعاً إلى معاوية مع مائة رجل من الجند ، فأنشأت أم^(٢) حُجْرٍ تقول :

تَرْفَعُ أَيُّهَا الْقَمَرُ الْمُنِيرُ	تَرْفَعُ هَلْ تَرَى حُجْرًا يَسِيرُ
أَلَا يَا حُجْرُ حَجْرُ بَنِي عَدِيٍّ	تَلَقَّتْكَ الْبَشَارَةُ وَالشُّرُورُ
وَإِنْ تَهْلَكَ فَكُلُّ عَمِيدٍ قَوْمٍ	مِنْ الدُّنْيَا إِلَى هُلْكَ يَصِيرُ

(١) رموه بالحصاة ، الحجارة والحصى .

(٢) وقيل : ابنته هي التي قالت الأبيات (في نسخة أخرى) .

وبعث زياد بثلاثة نفر من الشهود ، ليشهدوا عنده بما فعل حُجْر وأصحابه ، منهم أبو بُرْدَة بن أبي موسى ، وشُرَيْح بن هاني الحارثي ، وأبو هُنَيْدَة (١) القينى .

فأتوا معاوية ، وشهدوا عليهم بحضبتهم عمرو بن حُرَيْث ، فأمر معاوية بهم ، فَقَتَلُوا ، فدخل مالك بن هُبَيْرَة على معاوية فقال : « يا أمير المؤمنين ، أسأت في قتلك هؤلاء النفر ، ولم يكونوا أخذتوا ما استوجبوا به القتل » . فقال معاوية : « قد كنت هممت بالعفو عنهم إلا أن كتاب زياد ورد على يعلمنى أنهم رؤساء الفتنه ، وأنى متى قتلهم اجتثت الفتنه من أصلها »

ولما قتل حُجْر بن عَدِي وأصحابه استفظع أهل الكوفة ذلك استفظاعاً شديداً ، وكان حُجْر من عظماء أصحاب علي ، وقد كان علي أراد أن يؤليه رياسة كنده ، ويعزل الأشعث بن قيس ، وكلاهما من ولد الحارث بن عمرو آكل المرار (٢) ، فأبى حُجْر بن عَدِي أن يتولى الأمر والأشعث حتى .

فخرج نفر من أشراف أهل الكوفة إلى الحسين بن علي ، فأخبروه الخبر ، فاسترجع وشق عليه ، فأقام أولئك النفر يختلفون إلى الحسين بن علي ، وعلى المدينة يومئذ مروان بن الحكم ، فترقى الخبر إليه ، فكتب إلى معاوية يعلمه أن رجلاً من أهل العراق قدموا على الحسين بن علي رضى الله عنهما ، وهم مُقِيمُونَ عنده يختلفون إليه ، فاكتب إلى بالذى ترى .

فكتب إليه معاوية : « لا تعرض للحسين في شيء ، فقد بايعنا ، وليس بناقض بيعتنا ولا مُخَفِر ذمتنا » .

وكتب إلى الحسين : « أما بعد ، فقد انتهت إلى أمور عنك لست بها حريّاً ،

(١) في نسخة : هبيدة .

(٢) المرار : شجر صر ، وآكل المرار كان في نفر من أصحابه في سفر ، فأصابهم الجوع ، فأما هو فأكل من المرار حتى شبع ونجا ، وأما أصحابه فلم يطيقوا ذلك حتى هلك أكثرهم .

لأنَّ مَنْ أُعْطِيَ صَفْقَةً يَمِينَهُ جَدِيرٌ بِالْوَفَاءِ ؛ فاعلم رحمك الله أني متى أنكرتك تستنكرني ، ومتى تكذبتني أكذبتك ، فلا يستغفرَنَّكَ السُّفَهَاءُ الَّذِينَ يَحِبُّونَ الْفِتْنَةَ وَالسَّلَامَ .

فكتب إليه الحسين رضي الله عنه : « ما أريد حربك ، ولا الخلاف عليك » .

قالوا : ولم ير الحسن ولا الحسين طول حياة معاوية منه سوءاً في أنفسهما ولا مكروها ، ولا قَطَعَ عنهما شيئاً مما كان شرطاً لهما ، ولا تَغَيَّرَ لهما عن يَرٍ .

قالوا : ومكث زياد على المِصْرَيْنِ أربع سنين ، فحضرته الوفاة عند ما مضى من خلافة معاوية ثلاث عشرة سنة ، وذلك سنة ثلاث وخمسين .

فكتب إلى معاوية : « أما بعد ، فإني كتبتُ إليك وأنا في آخر يوم من الدنيا وأول يوم من الآخرة ، وقد وليت الكوفة عبد الله بن خالد بن أسيد ، ووليت البصرة سمرة بن جندب الفزارى ، والسلام »

ف قيل له : « لِمَ لَا تُؤَلِّي ابْنَكَ عُبَيْدَ اللَّهِ أَحَدَ الْمَصْرَيْنِ ؟ وَلَيْسَ بِدُونِ وَاحِدٍ مِنْ هَذَيْنِ » .

فقال : « إِنْ يَكُ فِيهِ خَيْرٌ فَيَسْبِقُ إِلَى ذَلِكَ عَمَّهَ مُعَاوِيَةُ » ، ثُمَّ مَاتَ ، وَصَلَّى عَلَيْهِ ابْنُهُ عُبَيْدُ اللَّهِ بْنُ زِيَادٍ ، وَدُفِنَ فِي مَقَابِرِ قَرِيشٍ .

فتولى عبد الله بن خالد بن أسيد الكوفة ثمانية أشهر ، وكتب معاوية إلى عُبَيْدِ اللَّهِ بْنِ زِيَادٍ بِوَلَايَةِ الْبَصْرَةِ ، وَعَزَلَ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ خَالِدٍ عَنِ الْكُوفَةِ ، وَاسْتَعْمَلَ عَلَيْهَا النَّمَانَ بْنَ بَشِيرٍ الْأَنْصَارِيَّ .

[موت معاوية]

قالوا : ولما دخلت سنة ستين مرض معاوية مرضه الذي مات فيه ، فأرسل إلى ابنه يزيد ، وكان غائباً عن مدينة دمشق ، فلما أبطأ عليه دعا الضحَّاكَ بْنَ قَيْسٍ

الفهرري ، وكان على شرطه ، ومسلم بن عتبة ، وكان على حرسه ؛ فقال لها :
 « أبلغا يزيد وصيتي ، وأعلماه أني أمره في أهل الحجاز أن يُكرِّم من قَدَّمَ عليه
 منهم ، ويتعهَّد من غاب عنه من أشرافهم ، فإنهم أصله ؛ وإني أمره في أهل العراق
 أن يرفُقَ بهم ويُدارِيهم ويتجاوز عن زلاتهم ؛ وإني أمره في أهل الشام أن يجعلهم
 عينيه وبطانتته ، وألا يُطِيلَ حبسهم في غير شامهم ، لئلا يجرؤا^(١) على أخلاق غيرهم .
 وأعلماه أني لست أخاف عليه إلا أربعة رجال : الحسين بن علي ،
 وعبد الله بن عمر ، وعبد الرحمن بن أبي بكر ، وعبد الله بن الزبير . فأما الحسين
 ابن علي فأحسب أهل العراق غير تاركيه حتى يُخرجوه ، فإن فعل ، فظفرت به ،
 فاصفح عنه ، وأما عبد الله بن عمر فإنه رجل قد وقَّدتُه العِبادَةُ ، وليس بطالب
 للخِلافة إلا أن تأتيه عفواً ؛ وأما عبد الرحمن بن أبي بكر فإنه ليس له في نفسه
 من النبَاهَةِ والذِّكْرِ عند الناس ما يمكنه طلبها ، ويحاول التماسها إلا أن تأتيه عفواً ؛
 وأما الذي يحتم لك جُثُومَ الأسد ، ويُرَاوِعُكَ رَوَّانُ الثعلب ، فإن أمكنته فرصة
 وثب فذاك عبد الله بن الزبير ، فإن فعل وظفرت به ، فقطعه إرباً إرباً إلا أن
 يلتبس منك صلحاً ، فإن فعل فاقبل منه ، واحقن دماء قومك بجهدك ، وكفَّ
 عاديتهم بنوالك ، وتغمَّدْهم بحلمك » .

ثم قدم عليه يزيد ، فأعاد عليه هذه الوصية ؛ ثم قضى .
 فأقبل الضحَّاك بن قيس حتى أتى المسجد الأعظم ، فصعد المنبر ، ومعه
 أكفان معاوية ، فقال : « أيها الناس ، إن معاوية بن أبي سفيان كان عبداً
 من عباد الله ، ملكه على عبادته ، فماش بقدر ومات بأجل ، وهذه أكفانه
 كما ترون ، نحن مُدرِجوه فيها ومُدْخِلوه قبره ، ومُخلَّونَ بينه وبين ربه ، فمن
 أحبَّ منكم أن يشهد جنازته فليخضر بعد صلاة الظهر » . ثم نزل .
 وتفرَّقَ الناس حتى إذا صلوا الظهر اجتمعوا وأصلحوا جهازه ، وحملوه حتى
 واروه .

(١) في الأصل : يجسروا .

[مبايعة يزيد]

وانصرف يزيد فدخل الجامع ، ودعا الناس إلى البيعة ، فبايعوه ، ثم انصرف إلى منزله .

ومات معاوية وعلى المدينة الوليد بن عُتْبَةَ بن أبي سفيان ، وعلى مكة يحيى بن حكيم بن صفوان بن أمية ، وعلى الكوفة النعمان بن بشير الأنصاري ، وعلى البصرة عُبيد الله بن زياد .

فلم تكن ليزيد همّة إلا ببيعة هؤلاء الأربعة نفر ، فكتب إلى الوليد بن عُتْبَةَ يأمره أن يأخذهم بالبيعة أخذاً شديداً لا رخصة فيه ؛ فلما ورد ذلك على الوليد قطع به وخاف الفتنة ، فبعث إلى مروان ، وكان الذي بينهما متباعدا ، فأتاه ، فأقرأه الوليد الكتاب واستشاره .

فقال له مروان : « أما عبد الله بن عمر وعبد الرحمن بن أبي بكر فلا تخافن ناحيتهما ، فليسا بطالين شيئا من هذا الأمر ، ولكن عليك بالحسين بن عليّ وعبد الله بن الزبير ، فابعث إليهما الساعة ، فإن بايعا وإلا فاضرب أعناقهما قبل أن يُعلن الخبر ، فيثب كل واحد منهما ناحية ، ويظهر الخلاف » .

فقال الوليد لعبد الله بن عمرو بن عثمان ، وكان حاضرا - وهو حينئذ غلام حين رآه - : « انطلق يا بُنيّ إلى الحسين بن عليّ وعبد الله بن الزبير ، فادعُهما » . فانطلق الغلام حتى أتى المسجد ، فإذا هو بهما جالسين ، فقال : « أجبيا الأمير » . فقالا للغلام : « انطلق ، فإننا صائران إليه على إثرك » . فانطلق الغلام . فقال ابن الزبير للحسين رضي الله عنه : « فيم تراه بعث إلينا في هذه الساعة ؟ » . فقال الحسين : « أحسب معاوية قد مات ، فبعث إلينا للبيعة » . قال ابن الزبير : « ما أظن غيره » . وانصرفا إلى منازلهما .

فأتا الحسين فجمع نفرا من مواليه وعلمائه ، ثم مشى نحو دار الإمارة ، وأمر فتيانه أن يجلسوا بالباب ، فإن سمعوا صوته اقتحموا الدار .

ودخل الحسين على الوليد ، وعنده مروان ، فجلس إلى جانب الوليد ، فأقرأه الوليد الكتاب ، فقال الحسين : « إن مثلي لا يعطى بيمته سراً ، وأنا طَوَّع يديك ، فإذا جمعت الناس لذلك حضرت ، وكنتُ واحداً منهم » .
وكان الوليلاً رجلاً يُحِبُّ العافية ، فقال للحسين : « فأنصرف إذن حتى تأتينا مع الناس » ، فأنصرف .

فقال مروان للوليد : « عَصَيْتَنِي ، ووالله لا يمكنك من مثله أبداً » .
قال الوليد : « ويحك ، أتشير عليّ بقتل الحسين بن فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم وعليهما السلام ؟ والله إن الذي يُحَاسِبُ بدم الحسين يوم القيامة الخفيف الميزان عند الله » .

١٠ وتحرَّزَ ابن الزبير في منزله ، ورأَوْغَ الوليد حتى إذا جَنَّ عليه الليل سار نحو مكة ، وتَنَكَّبَ الطريق الأعظم فأخذ على طريق الفرع .

ولما أصبح الوليد بلغه خبره ، فوجَّه في إثره حبيب بن كُوَيْن في ثلاثين فارساً ، فلم يَقْعُوا له على أثر ، وشغلوا يومهم ذلك كله بطلب ابن الزُّبَيْر .

١٥ فلما أمسوا ، وأظلم الليل مضى الحسين رضى الله عنه أيضاً نحو مكة ، ومعه أختاه : أم كلثوم ، وزينب وولد أخيه ، وإخوته أبو بكر ، وجعفر ، والعبَّاس ، وعامة من كان بالمدينة من أهل بيته إلا أخاه محمد بن الحنفية ، فإنه أقام .
وأما عبد الله بن عباس فقد كان خرج قبل ذلك بأيام إلى مكة .

وجعل الحسين رضى الله عنه يعطوى المنازل ، فاستقبله عبد الله بن مُطِيع ، وهو منصرف من مكة يريد المدينة ، فقال له : « أين تريد ؟ » .

٢٠ قال الحسين : « أما الآن فمكة » .

قال « خار^(١) الله لك ، غير أنى أحب أن أشير عليك برأى » .

قال الحسين « وما هو ؟ » .

قال : إذا أتيت مكة فأردت الخروج منها إلى بلد من البلدان ، فأياك والكوفة ، فإنها بلدة مشثومة ، بها قُتِلَ أبوك ، وبها خُذِلَ أخوك ، واغْتِيلَ بطعنة كادت

(١) جعل لك الخير .

تأتى على نفسه ؛ بل الزم الحَرَم ، فإن أهل الحجاز لا يعدلون بك أحدا ، ثم ادعُ إليك شيعتك من كل أرض ، فسيأتونك جميعا .

قال له الحسين : « يقضى الله ما أحب » .

- ثم أطلق عنانه ، ومضى حتى وافتى مكة ، فنزل شعب على ، واختلف الناس إليه ، فكانوا يجتمعون عنده حلقاً حلقاً ، وتركوا عبد الله بن الزبير ، وكانوا قبل ذلك يتحفلون إليه ؛ فساء ذلك ابن الزبير ، وعلم أن الناس لا يحفلون به والحسين مقيم بالبلد ، فكان يختلف إلى الحسين رضى الله عنه صباحا ومساء .
- ثم إن يزيد عزل يحيى بن حكيم بن صفوان بن أمية .

[أهل الكوفة والحسين]

- ١٠ قالوا : ولا بلغ أهل الكوفة وفاة معاوية وخروج الحسين بن على إلى مكة اجتمع جماعة من الشيعة في منزل سليمان بن صرد ، واتفقوا على أن يكتبوا إلى الحسين يسألونه القدوم عليهم ، ليسلموا الأمر إليه ، ويطردوا النعمان بن بشير ، فكتبوا إليه بذلك ؛ ثم وجهوا بالكتاب مع عبيد الله بن سبيع الهمداني وعبد الله بن وداك السلمي ، فوافوا الحسين رضى الله عنه بمكة لعشر خلون من شهر رمضان ، فأوصلوا الكتاب إليه .

١٥

ثم لم يمض الحسين يومه ذلك حتى ورد عليه بشر بن مسهر الصيداوى ، وعبد الرحمن بن عبيد الأرحبي ، ومعهما خمسون كتابا من أشرف أهل الكوفة ورؤسائها ؛ كل كتاب منها من الرجلين والثلاثة والأربعة بمثل ذلك .

فلما أصبح وافاه هانىء بن هانىء السبتي وسعيد بن عبد الله الخثعمي ، ومعهما أيضا نحو من خمسين كتابا .

٢٠

فلما أمسى أيضا ذلك اليوم ورد عليه سعيد بن عبد الله الثقفي ومعه كتاب واحد من شبث بن ربعي ، وحجاج بن أبيجر ، ويزيد بن الحارث ، وعزرة بن قيس ، ومرو ابن الحجاج ، ومحمد بن عمير بن عطار - وكان^(١) هؤلاء الرؤساء من أهل الكوفة - فتناوبت عليه في أيام رُسل أهل الكوفة [و] من الكتب ما ملأ منه خرجين^(٢) .

(١) في الأصل : وكانوا . (٢) الخرج بالضم وعاء ذو شقين ، يوضع على ظهر الدابة ، ويتخذ المسافر ليضع فيه أحماله ؛ والجمع أخراج .

فكتب الحسين إليهم جميعا كتابا واحدا ، ودفعه إلى هاني بن هاني ، وسعيد ابن عبد الله ، نسخته :

« بسم الله الرحمن الرحيم ، من الحسين بن علي إلى من بلغه كتابي هذا ، من أوليائه وشيعته بالكوفة ، سلامٌ عليكم ، أما بعد ؛ فقد أتتني كتبكم ، وفهمت ما ذكرت من محبتكم لقدمي عليكم ، وإني بآئتي إليكم بأخي وابن عمي وثقتي من أهلي « مسلم بن عقيل » ليعلم لي كُنه أمركم ، ويكتب إلي بما يتبين له من اجتماعكم ، فإن كان أمركم على ما أتتني به كتبكم ، وأخبرتني به رسلكم أسرع القدوم عليكم إن شاء الله ، والسلام » .

وقد كان مسلم بن عقيل خرج معه من المدينة إلى مكة ، فقال له الحسين عليه السلام : « يا ابن عمي ، قد رأيت أن تسير إلى الكوفة ، فتتظروا ما اجتمع عليه رأي أهلها ، فإن كانوا على ما أتتني به كتبهم ، فمَجَّلْ علي بكتابك لأسرع القدوم عليك ، وإن تسكن الأخرى ، فمَجَّلْ الانصراف » .

فخرج مسلم على طريق المدينة ليُعلم بأهله ، ثم استأجر دليَيْن من قيس ، وسار ، فضلاً ذات ليلة ، فأصبحا ، وقد تأها ، واشتد عليهما العطش والحر ، فانقطعا ، فلم يستطيعا المشي ، فقالا لمسلم : « عليك بهذا السم ، فالزمه لعلك أن تنجو » . فتركهما مسلم ومن معه من خدمه بحشاشة الأنف حتى أفضوا إلى طريق فلزموه ، حتى وردوا الماء ، فأقام مسلم بذلك الماء .

وكتب إلى الحسين مع رسول استأجره من أهل ذلك الماء ، يخبره خبره ، وخبر الدليَيْن ، وما من الجهد ، ويُعلمه أنه قد تطير من الوجه الذي توجه له ، ويسأله أن يُعفيه ويوجه غيره ، ويخبره أنه مقيم بمنزله ذلك من بطن الحُرْب^(١) .

فسار الرسول حتى وافي مكة ، وأوصل الكتاب إلى الحسين ، فقرأه وكتب في جوابه : « أما بعد ، فقد ظننت أن الجُبْنَ قد قصر بك عما وجهتُك به ، فامض لما أمرتك فإني غير مُعفيك ، والسلام » .

(١) البطن : الموضع الفاض من الوادي ، والبطون كثيرة ؛ والحرب نبت أسود وزهرته بيضاء ، وهو من أطيب المراعى .

[مسلم في الكوفة]

فسار مسلم حتى وَاَقَى الكوفة ، ونزل في الدار التي تُعرَف بدار المختار بن أبي عُبَيْدَة ، ثم عرفت اليوم بدار السَّيْب .

- فكانت الشيعة تختلف إليه ، فيقرأ عليهم كتاب الحسين ؛ ففَشَأ أمره بالكوفة حتى بلغ ذلك النعمان بن بشير أميرها ، فقال : « لا أَقَاتِلْ إِلَّا مَنْ قَاتَلَنِي ، ولا أَثْبُ إِلَّا عَلَى مَنْ وَثَبَ عَلَيَّ » ، ولا آخذ بالقرِفة^(١) والظنة ، فَمَنْ أبدى صفحته ونكث بيعته ضربته بسيفي ما ثبت قائمه في يدي ، ولو لم أكن إلا وحدي . وكان يحب العافية ويفتنم السلامة .

- فكتب مسلم بن سعيد الحضرمي وعمار بن عُقْبَة - وكانا عَيْنِي يزيد بن معاوية - إلى يزيد يُعلمانه قدوم مسلم بن عَقِيل الكوفة دَاعِيًا للحسين بن علي ، وأنه قد أَفْسَدَ قلوب أهلها عليه ، فإن يكن لك في سلطانك حاجة فبادرْ إليه من يقوم بأمرك ، ويعمل مثل عملك في عدوك ؛ فإن النعمان رجل ضعيف أو مُتضاعف ، والسلام .

- فلما ورد الكتاب على يزيد أمر بهمه ، فكتب لِعُبَيْدِ اللَّهِ بن زياد على الكوفة ، وأمره أن يبادر إلى الكوفة ، فيطالب مسلم بن عَقِيل طلب الحرَزة حتى يظفر به ، فيقتله ، أو ينفيه عنهما ؛ ودفع الكتاب إلى مسلم بن عمرو الباهليّ أبي قُتَيْبَة بن مسلم ، وأمره بإفْخَازِ السَّيْرِ . فسار مسلم حتى وَاَقَى البصرة ، وأوصل الكتاب إلى عُبَيْدِ اللَّهِ بن زياد . وقد كان الحسين بن علي رضي الله عنه كتب كتابا إلى شيعته من أهل البصرة مع مَوْلى له يسمى « سَلْمَان » نسخته :

- « بسم الله الرحمن الرحيم ، من الحسين بن علي إلى مالك بن مِسْمَع ، والأحنف ابن قَيْس ، والمنذر بن الجارود ، ومسعود بن عمرو ، وقيس بن الهيثم ، سلام عليكم ؛ أما بعد ، فإنني أدعوكم إلى إحياء معالم الحق وإماتة البدع ، فإن تَجِيبُوا تهتدوا سُبُل الرِّشَاد ، والسلام . »

فلما أتاهم هذا الكتاب كَتَمُوهُ جميعا إلا المنذر بن الجارود ، فإنه أَفْشَاهُ ، لتزويجه ابنته هنداً من عُبَيْدِ اللَّهِ بن زياد ، فأقبل حتى دخل عليه ، فأخبره

(١) التهمة.

بالكتاب ، وحكى له ما فيه ، فأمر عبيد الله بن زياد بطلب الرسول ، فطلبوه ، فأتوه به ، فضربت عنقه .

ثم أقبل حتى دخل المسجد الأعظم ، فاجتمع له الناس ، فقام ، فقال : « أَنْصَفَ الْقَارَةَ ^(١) مَنْ رَامَاهَا ، يَا أَهْلَ الْبَصْرَةِ إِنَّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ قَدْ وَلَّانِي مَعَ الْبَصْرَةِ الْكُوفَةِ ، وَأَنَا سَائِرُ إِلَيْهَا ، وَقَدْ خَلَفْتُ عَلَيْكُمْ أَخِي عُثْمَانَ بْنَ زِيَادٍ ، فَإِيَّاكُمْ وَالْخِلَافَ وَالْإِرْجَافَ ، فَوَاللَّهِ الَّذِي لَا إِلَهَ غَيْرُهُ ، لَنْ بُلَغْنِي عَنْ رَجُلٍ مِنْكُمْ خَالَفَ أَوْ أَرْجَفَ لِأَقْتُلَنَّهُ وَوَلِيَّهُ ، وَلَا أَخَذَنَّ الْأَذَنِي بِالْأَقْصَى ، وَالْبَرِيءُ بِالسَّقِيمِ حَتَّى تَسْتَقِيمُوا ، وَقَدْ أَعْذَرْتُ مِنْ أَنْذَرِ » . ثم نزل ، وسار .

وخرج معه من أشرف أهل البصرة شريك بن الأعور والنذر بن الجارود ، فسار حتى وافى الكوفة ، فدخلها ، وهو مُتَلَثِّمٌ . ١٠

وقد كان الناس بالكوفة يتوقعون الحسين بن عليّ عليهما السلام ، وقدومه ، فكان لا يمرّ ابن زياد بجماعة إلا ظنوا أنه الحسين فيقومون له ، ويدعون ويقولون : « مَرْحَبًا بِابْنِ رَسُولِ اللَّهِ ، قَدِمْتَ خَيْرَ مُقَدِّمٍ » .

فنظر ابن زياد من تباشيرهم بالحسين إلى ما ساءه ، وأقبل حتى دخل المسجد الأعظم ، ونوّدَى في الناس ، فاجتمعوا ، وصعد المنبر ، فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال : ١٥

« يَا أَهْلَ الْكُوفَةِ ، إِنَّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ قَدْ وَلَّانِي مَصْرَكُمْ ، وَقَسَمَ فَيْشُكُمْ فِيكُمْ ، وَأَمَرَنِي بِإِنْصَافِ مَظْلُومِكُمْ ، وَالْإِحْسَانِ إِلَى سَامِعِكُمْ وَمَطِيعِكُمْ ، وَالشَّدَّةِ عَلَى

(١) القارة : قوم رُماة من العرب ، وفي المثل : قد أنصف القارة من رامها ، وقد زعموا أن رجلين التقيا ، أحدهما قارى والآخر أسدى ، فقال القارى : إن شئت صارعتك ، وإن شئت سابتك ، وإن شئت راميتك ، فقال اخترت المراماة ، فقال القارى : قد أنصفتني وأنشد :

قد أنصف القارة من رامها إنا إذا ما فشة نلقاها

نرد أولاهنا على أخراها

ثم انتزع له سهبا فشك فؤاده .

عاصيكم ومُريبكم ، وأنا مُنتَه في ذلك إلى أمره ، وأنا لمُطيعكم كالوالد الشفيق ،
ولمُخالفكم كالسُمِّ النقيع ، فلا يبقين أحد منكم إلا على نفسه .

ثم نزل ، فأتى القصر ، فنزله ، وارتحل النعمان بن بشير نحو وطنه بالشام .

وبلغ مسلم بن عَقِيل قدوم حُبَيْدِ اللَّهِ بن زياد وانصراف النعمان ، وما كان من
خطبة ابن زياد ووعيده ، فخاف على نفسه .

فخرج من الدار التي كان فيها بعد عتمة حتى أتى دار هانيء بن وَرْقَةَ المَذْحِجِيّ ،
وكان من أشرف أهل الكوفة ، فدخل داره الخارجة ، فأرسل إليه وكان في دار
نسائه ، يسأله الخروج إليه ، فخرج إليه .

وقام مسلم ، فسلم عليه ، وقال :

« إني أتيتك لتجبرني وتضييفني » .

فقال له هانيء :

« لقد كلفتنى شَطَطًا بهذا الأمر ، ولولا دخولك منزلي لأحببت أن تنصرف
عني ، غير أنه قد لزمني ذمامٌ لذلك » .

فأدخله دار نسائه ، وأفرد له ناحية منها .

وجعلت الشيعة تختلف إليه في دار هانيء .

وكان هانيء بن عُرْوَةَ مواصلاً لشريك بن الأعور البصري الذي قام مع
ابن زياد ، وكان ذا شرف بالبصرة وخطر ، فانطلق هانيء إليه حتى أتى به منزله ،
وأنزله مع مسلم بن عَقِيل في الحُجْرة التي كان فيها .

وكان شريك من كبار الشيعة بالبصرة ، فكان يحث هانيءًا على القيام بأمر مسلم ،

وجعل مسلم يبائع من أتاه من أهل الكوفة ، ويأخذ عليهم العهد والمواثيق
المؤكدّة بالوفاء .

ومرض شريك بن الأعور في منزل هانيء بن عروة مرضاً شديداً ، وباع ذلك عبئد الله بن زياد ، فأرسل إليه يعلمه أنه يأتيه عائداً .

فقال شريك لمسلم بن عقيل : « إنما غايتك وغاية شيعتك هلاك هذا الطاغية ، وقد أمكنك الله منه ، هو صائرٌ إلى ليعودني ، فقم ، فادخل الخزانة حتى إذا اطمأن عندى ، فاخرج إليه ، فقاتله ، ثم صر إلى قصر الإمارة ، فاجلس فيه ، فإنه لا ينازعك فيه أحد من الناس ، وإن رزقني الله العافية صرت إلى البصرة ، فكففتك أمرها ، وبايع لك أهلها » .

فقال هانيء بن عروة : « ما أحب أن يقتل في داري ابن زياد » .

فقال له شريك : « ولم ؟ فوالله إن قتله لقرَّبَ إلى الله » .

ثم قال شريك لمسلم : « لا تُصِّر في ذلك » .

فبينما هم على ذلك إذ قيل لهم : « الأمير بالباب » .

فدخل مسلم بن عقيل الخزانة ، ودخل عبئد الله بن زياد على شريك ، فسلم عليه ، وقال :

« ما الذى تجد وأشكو ؟ » .

فلما طال سؤاله إياه استبطأ شريك خروج مسلم ، وجعل يقول ، ويسمع مسلماً :

مَا تَنْظُرُونَ بِسَامَى عِنْدَ فُرْصَتَيْهَا فَقَدْ وَفَى وَدَّهَا ، وَاسْتَوْسَقَ الصَّرَمُ^(١) وجعل يردد ذلك .

فقال ابن زياد لهانيء : « أَيْهَجُرُ ؟ » - يعنى يهذى - .

قال هانيء : « نعم ، أصلح الله الأمير ، لم يزل هكذا منذ أصبح » .

ثم قام عبئد الله وخرج ، فخرج مسلم بن عقيل من الخزانة ، فقال شريك :

« ما الذى منعك منه إلا الجبن والفشل ؟ » .

(١) استوسق الأمر إذا أمكن ، والصرم : الطائفة المجتمعة من القوم .

قال مسلم : « منعني منه خِلَتَان : إحداها كراهية هاني لقلقه في منزله ،
والأخرى قول رسول الله صلى الله عليه وسلم « إن الإيمان قيد الفتك ، لا يفتك
مؤمن » .

فقال شريك : « أما والله لو قتلته لاستقام لك أمرك ، واستوسق لك
سلطانك » .

ولم يعيش شريك بعد ذلك إلا أياما ، حتى توفي ، وشيَّع ابن زياد جنازته ،
وتقدم فصلى عليه .

ولم يزل مسلم بن عقيل يأخذ البيعة من أهل الكوفة حتى بايعه منهم ثمانية عشر
ألف رجل في ستر ورفق .

وَحَفِيَ عَلَى عُبَيْدِ اللَّهِ بْنِ زِيَادٍ مَوْضِعُ مُسْلِمِ بْنِ عَقِيلٍ ، فَقَالَ لَمَوْلَى لَهُ مِنْ أَهْلِ الشَّامِ
يَسْمَى مِعْقَلًا ، وَنَاوَلَهُ ثَلَاثَةَ آلَافِ دِرْهَمٍ فِي كَيْسٍ ، وَقَالَ : « خُذْ هَذَا الْمَالَ ، وَانْطَلِقْ ،
فَالْتَمِسْ مُسْلِمَ بْنَ عَقِيلٍ ، وَتَأْتِ لَهُ بِنَايَةِ الثَّانِي » .

فَانْطَلَقَ الرَّجُلُ حَتَّى دَخَلَ الْمَسْجِدَ الْأَعْظَمَ ، وَجَعَلَ لَا يَدْرِي كَيْفَ يَتَأَنَّى الْأَمْرَ .
ثُمَّ إِنَّهُ نَظَرَ إِلَى رَجُلٍ يَكْثُرُ الصَّلَاةَ إِلَى سَارِيَةِ مِنْ سَوَارِي الْمَسْجِدِ ، فَقَالَ فِي
نَفْسِهِ : « إِنْ هَؤُلَاءِ الشَّيْعَةُ يَكْثُرُونَ الصَّلَاةَ ، وَأَحْسَبُ هَذَا مِنْهُمْ » .

فَجَلَسَ الرَّجُلُ حَتَّى إِذَا انْفَتَلَ مِنْ صَلَاتِهِ قَامَ ، فَدَنَا مِنْهُ ، وَجَلَسَ ، فَقَالَ :
« جُعِلَتْ فِدَاكَ ، إِنِّي رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الشَّامِ ، مَوْلَى لَذَى الْكَلَاعِ ، وَقَدْ أَنْعَمَ اللَّهُ
عَلَى بِحُبِّ أَهْلِ بَيْتِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَحُبِّ مَنْ أَحَبَّهُمْ ، وَمِمَّنْ هَذِهِ
الثَّلَاثَةُ الْآلَافُ ^(١) دِرْهَمٍ ، أَحَبُّ إِلَيَّهَا إِلَى رَجُلٍ مِنْهُمْ ، بَلَّغْنِي أَنَّهُ قَدْ قَدِمَ هَذَا الْمِصْرَ
دَاعِيَةً لِلْحُسَيْنِ بْنِ عَلِيٍّ عَلَيْهِ السَّلَامُ ، فَهَلْ تَدُلُّنِي عَلَيْهِ لِأَوْصَلَ هَذَا الْمَالَ إِلَيْهِ ؟
لَيْسْتَعِينُ بِهِ عَلَى بَعْضِ أُمُورِهِ ، وَيَضَعُهُ حَيْثُ أَحَبَّ مِنْ شِيعَتِهِ » .

قَالَ لَهُ الرَّجُلُ : « وَكَيْفَ قَصَدْتَنِي بِالسُّؤَالِ عَنْ ذَلِكَ دُونَ غَيْرِي مِمَّنْ هُوَ
فِي الْمَسْجِدِ ؟ » .

(١) في الأصل : آلاف .

قال : « لأنى رأيت عليك سِما الخير ، فَرَجَوْتُ أن تكون ممن يَتَوَلَّى أهل بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم » .

قال له الرجل : « ويحك ، قد وقعت على بعينك ، أنا رجل من إخوانك ، واسمى مُسلم بن عَوْسَجَةَ ، وقد سِرَرْتُ بك ، وساءنى ما كان من حسى قبلك ، فإنى رجل من شيعة أهل هذا البيت ، خَوْفًا من هذا العَلَامِيَّة ابن زياد ، فأعطينى ذِمَّة الله وعهده أن تَكْتُمَ هذا عن جميع الناس » .
فأعطاه من ذلك ما أراد .

فقال له مُسلم بن عَوْسَجَةَ : « انصرف يومك هذا ، فإن كان غد فائتني فى منزلى حتى أنطلق معك إلى صاحبنا - يعنى مُسلم بن عَقِيل - فأوصلك إليه » .
فمضى الشامى ، فبات ليلته ، فلما أصبح غَدَا إلى مُسلم بن عَوْسَجَةَ فى منزله ، فانطلق به حتى أدخله إلى مُسلم بن عَقِيل ، فأخبره بأمره ، ودفع إليه الشامى ذلك المال ، وبأيمه .

فكان الشامى يَغْدُو إلى مُسلم بن عَقِيل ، فلا يُحْجَب عنه ، فيكون نهاره كله عند ، فيَتَعَرَّفَ جميع أخبارهم ، فإذا أَمْسَى وأظلم عليه الليل دخل على عُبيد الله ابن زياد ، فأخبره بجميع قصصهم ، وما قالوا وفعلوا فى ذلك ، وأعلمه نزول مُسلم فى دار هانىء بن عُرْوَةَ .

ثم إنَّ محمد بن الأشعث وأسماء بن خارجة دخلا على ابن زياد مُسلمين ، فقال لهما :

« ما فعل هانىء بن عُرْوَةَ ؟ » .

فقالا : « أيها الأمير ، إنه عَليْلٌ منذ أيام » .

فقال ابن زياد : « وكيف ؟ وقد بلغنى أنه يجلس على باب داره عامَّة نهاره ، فما يمنعه من إتياننا ، وما يجب عليه من حق التسليم ؟ » .
قالا : « سنعلمه ذلك ، ونخبره باستبطائك إياه » .

فخرجوا من عنده ، وأقبلوا حتى دخلا على هاني بن عروة ، فأخبراه بما قال لهما
ابن زياد ، وما قالوا له ، ثم قالوا له :

« أقسمنا عليك إلا قت معنا إليه الساعة لتسل سخيمة ^(١) قلبه » .

فدعا بيغلته ، فركبها ، ومضى معهما ، حتى إذا دنا من قصر الإمارة خبثت
نفسه .

فقال لهما :

« إن قلبي قد أوجس من هذا الرجل خيفة » .

قالا : « ولِمَ تُحدِّث نفسك بالخوف وأنت برىء الساحة ؟ » .

فمضى معهما حتى دخلا على ابن زياد ، فأنشأ ابن زياد يقول متمثلاً :

أَرِيدُ حَيَاتَهُ وَيُرِيدُ قَتْلِي عَذِيرَكَ مِنْ خَلِيلِكَ مِنْ مُرَادٍ
قال هاني : « وما ذاك أيها الأمير ؟ » .

قال ابن زياد : « وما يكون أعظم من مجيئك بمسلم بن عقيل ، وإدخالك إياه
منزلك ، وجمك له الرجال ليبياعوه ؟ » .

فقال هاني : « ما فعلت ، وما أعرف من هذا شيئاً » .

فدعا ابن زياد بالشامي ، وقال : « يا غلام ، ادع لي معقلاً » .
فدخل عليهم .

فقال ابن زياد لهاني بن عروة : « أتعرف هذا ؟ » .

فلما رآه علم أنه إنما كان عَيْنًا عليهم .

فقال هاني : « أَمَدُّكَ وَاللَّهِ أَيُّهَا الأمير ، إني والله ما دَعَوْتُ مسلم بن عَقِيل ،

وما شعرت به » . ثم قصَّ عليه قصته على وجهها .

ثم قال : « فأما الآن فأنا نُخْرِجُه من داري لينطلق حيث يشاء ، وأعطيك
عهداً وثيقاً أن أرجع إليك » .

(١) السخيمة : الحقد والضغينة والموجدة في النفس -

قال ابن زياد : « لا والله ، لا تفارقني حتى تأتيني به » .
فقال هاني : « أَوْ يَجْمُلُ بِي أَنْ أَسْلَمَ ضَيْفِي وَجَارِي لِلْقَتْلِ ؟ وَاللَّهِ لَا أَفْعَلُ
ذَلِكَ أَبَدًا » .

فاعرضه ابن زياد بالخيزرانة ، فضرب وجهه ، وهشم أنفه ، وكسر حاجبه ،
وأمر به ، فَأَدْخَلَ بَيْتًا .

وبلغ مُذْحِجًا أَنَّ ابْنَ زِيَادٍ قَدْ قَتَلَ هَانِيًا ، فَاجْتَمَعُوا بِيَابِ الْقَصْرِ ، وَصَاحُوا .
فقال ابن زياد لَشُرَيْحِ الْقَاضِي - وَكَانَ عِنْدَهُ - : « ادْخُلْ إِلَى صَاحِبِهِمْ ، فَانْظُرْ
إِلَيْهِ ، ثُمَّ اخْرُجْ إِلَيْهِمْ ، فَأَعْلِمِهِمْ أَنَّهُ سَحَى » . ففعل .

فقال لهم سيدهم عمرو بن الحجاج : « أَمَا إِذَا كَانَ صَاحِبُكُمْ حَيًّا فَمَا يُعْجِلُكُمْ
الْفِتْنَةُ ؟ انْصَرَفُوا » . فانصرفوا .

فلما علم ابن زياد أنهم قد انصرفوا أمر بهاني ، فَأَتَى بِهِ السُّوقَ ، فَضَرَبَتْ
عُنُقَهُ هُنَاكَ .

ولما بلغ مسلم بن عَقِيل قَتْلَ هَانِيٍّ بِنِ عُرْوَةَ نَادَى فِيمَنْ كَانَ بَايِعَهُ ، فَاجْتَمَعُوا ؛
فَمَقَدَّ لِعَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ كُرَيْزٍ الْكِنْدِيِّ عَلَى كِنْدَةَ وَرَيْمَةَ ، وَعَقَدَ لِمُسْلِمِ بْنِ
عَوْسَجَةَ عَلَى مَذْحِجٍ وَأَسَدٍ ، وَعَقَدَ لِأَبِي ثُمَامَةَ الصَّيْدَاوِيِّ عَلَى تَيْمٍ وَهَمْدَانَ ، وَعَقَدَ
لِلْعَبَّاسِ بْنِ جَعْدَةَ بْنِ هُبَيْرَةَ عَلَى قَرِيْشٍ وَالْأَنْصَارِ ؛ فَتَقَدَّوْا جَمِيعًا حَتَّى أَحَاطُوا بِالْقَصْرِ ،
وَاتَّبَعَهُمْ هُوَ فِي بَقِيَّةِ النَّاسِ .

وَتَحَصَّنَ عُبَيْدُ اللَّهِ بْنُ زِيَادٍ فِي الْقَصْرِ مَعَ مَنْ حَضَرَ مَجْلِسَهُ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ مِنْ
أَشْرَافِ أَهْلِ الْكُوفَةِ وَالْأَعْوَانِ وَالشُّرَطِ ، وَكَانُوا مِقْدَارَ مِائَتَيْ رَجُلٍ ، فَقَامُوا
عَلَى سُورِ الْقَصْرِ يَرْمُونَ الْقَوْمَ بِالْمَدَرِ^(١) وَالنُّشَابِ ، وَيَعْنَعُونَهُمْ مِنَ الدُّنُوِّ مِنَ الْقَصْرِ ،
فَلَمْ يَزَالُوا بِذَلِكَ حَتَّى أَمْسَوْا .

(١) رماح كانت تركب فيها القرون المهددة مكان الأسنة .

وقال عبيد الله بن زياد لمن كان عنده من أشرف أهل الكوفة : ليُشرف كل رجل منكم في ناحية من السور ، نخوفوا القوم .

فأشرف كثير بن شهاب ، ومحمد بن الأشعث ، والقمقاع بن شور ، وشبث ابن ربعي ، وحجّار بن أبجر ، وشمر بن ذى الجوشن ، فتنادوا : « يا أهل الكوفة ، اتقوا الله ولا تستعجلوا الفتنة ، ولا تشقوا عصا هذه الأمة ، ولا توردوا ٥ على أنفسكم خيول الشام ، فقد ذقتموهم ، وجربتم شوكتهم » .

فلما سمع أصحاب مسلم مقاتلهم قترّوا ببعض الفتور .

وكان الرجل من أهل الكوفة يأتي ابنه ، وأخاه ، وابن عمه فيقول : انصرف ، فإن الناس يكفونك . وتجي المرأة إلى ابنها وزوجها وأخيها فتتعلق به حتى يرجع .

١٠ فصلى مسلم العشاء في المسجد ، ومامعه إلا زهاء ثلاثين رجلا .

فلما رأى ذلك مضى منصرفا ماشيا ، ومشوا معه ، فأخذ نحو كندة ، فلما مضى قليلا التفت فلم ير منهم أحدا ، ولم يُصب إنسانا يدله على الطريق ، فمضى هائما على وجهه في ظلمة الليل حتى دخل على كندة .

فإذا امرأة قائمة على باب دارها تنتظر ابنها - وكانت ممن خفّ مع مسلم - فأوته

١٥ وأدخلته بيتها ؛ وجاء ابنها ، فقال : من هذا في الدار ؟ فأعلمته ، وأمرته بالسكمان .

ثم إن ابن زياد لما فقد الأصوات ظن أن القوم دخلوا المسجد ، فقال : انظروا ، هل ترون في المسجد أحدا ؟ - وكان المسجد مع القصر - .

٢٠ فنظروا فلم يروا أحدا ، وجعلوا يشعلون [أطناب] القصب^(١) ، ثم يقدفون بها في رحة المسجد ليضئ لهم ، فتبينوا ، فلم يروا أحدا .

فقال ابن زياد : إن القوم قد خذلوا ، وأسلموا مسلما .

وانصرفوا .

(١) أطناب القصب : عروقه التي تنسحب من أرومتها . وفي الأصل أطناب ، والصواب ما ذكر .

فخرج فيمن كان معه ، وجلس في المسجد ، ووضعت الشموع والقناديل ، وأمر مناديا فنادى بالكوفة « ألا برئت الذمة من رجل من العرفاء والشرط والحرس لم يحضر المسجد » .

فاجتمع الناس ، ثم قال : « يا حصين بن نمير - وكان على الشرطة - ثكلتك أمك إن ضاع باب سكة من سبك الكوفة ، فإذا أصبحت فاستقر الدور ، دارا ، دارا ، حتى تقع عليه .

وصلى ابن زياد العشاء في المسجد ، ثم دخل القصر . فلما أصبح جلس للناس ، فدخلوا عليه ، ودخل في أوائلهم محمد بن الأشعث ، فأقدمه معه على سريره .

وأقبل ابن تلك المرأة التي مسلم في بيتها إلى عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث - وهو حينئذ غلام حين راهق - فأخبره بمكان مسلم عنده . فأقبل عبد الرحمن إلى أبيه محمد بن الأشعث ، وهو جالس مع ابن زياد ، فأسر إليه الخبر .

فقال ابن زياد : ما سار به ابنك ؟

قال : « أخبرني أن مسلم بن عقيل في بعض دورنا » . فقال : « انطلق ، فأنني به الساعة » .

وقال لعبيد بن حريث : « ابث مائة رجل من قريش وكره أن يبعث إليه غير قريش خوفا من العصبية أن تقع .

فأقبلوا حتى أتوا الدار التي فيها مسلم بن عقيل ، ففتحوها ، فقاتلهم ، فرمى ، فكسر فؤه ، وأخذ ، فأتى ببغلة فركبها ، وصاروا به إلى ابن زياد .

[قتل مسلم بن عقيل]

فلما أدخل عليه ، وقد اكتنفه الجلاوزة قالوا له : « سلم على الأمير » .

قال : « إن كان الأمير يريد قتلي ، فما أنتفع بسلام عليه ، وإن كان لم يريد فسيكثر عليه سلامي » .

قال ابن زياد : كأنك ترجو البقاء .

فقال له مسلم : فإن كنت مُزِمًا على قتلى ، فدعني أوص إلى بعض من هاهنا

من قومي .

قال له : أوص بما شئت .

٥ فنظر إلى عمر بن سعد بن أبي وقاص ، فقال له : اخلُ معي في طرف هذا البيت حتى أوصي إليك ، فليس في القوم أقرب إليّ ولا أوْلَى بي منك .

فتنحى معه ناحية ، فقال له : أتقبل وصيتي ؟

قال : نعم .

قال مسلم : إن عليّ هاهنا دينًا ، مقدار ألف درهم ، فاقض عني ، وإذا أنا

١٠ قُتِلْتُ فاستَوْهَب من ابن زياد جُثتي لثلاث يُمَثَّل بها ، وابعث إلى الحسين بن عليّ رسولاً قاصداً من قبلك ، يُعلمه حالي ، وما صِرت إليه من غدر هؤلاء الذين يزعمون أنهم شيعة ، وأخبره بما كان من نكبتهم بعد أن بايعني منهم ثمانية عشر ألف رجل ، لينصرف إلى حرّم الله ، فيقيم به ، ولا يَغْتَرّ بأهل الكوفة .

وقد كان مسلم كتب إلى الحسين أن يقدم ولا يلبث .

١٥ فقال له عمر بن سعد : لك على ذلك كله ، وأنا به زعيم .

فانصرف إلى ابن زياد ، فأخبره بكل ما أوصى به إليه مسلم .

فقال له ابن زياد : قد أسأت في إفشائك ما أسره إليك ، وقد قيل « إنه

لا يخونك إلا الأمين ، وربما ائتمنك الخائن » .

وأمر ابن زياد بمسلم فرُقّ به إلى ظهر القصر ، فأشرف به على الناس ، وهم

٢٠ على باب القصر مما يلي الرّحبة ، حتى إذا راوه ضربت عنقه هناك ، فسقط رأسه إلى الرّحبة ، ثم أتبع الرأس بالجسد .

وكان الذي تولى ضرب عنقه أخمر بن بكير .

- وفي ذلك يقول عبد الرحمن بن الزبير الأسدي :
- فَإِنْ كُنْتَ لَا تَذَرِينَ مَا الْمَوْتُ فَانْظُرِي
إِلَى هَانِيءٍ فِي الشُّوقِ وَابْنِ عَقِيلٍ
إِلَى بَعْلٍ قَدْ هَشَمَ السَّيْفُ أَنْفَهُ
وَأَخَرَهُ، يَهْوِي مِنْ طَمَارٍ، قَتِيلٍ^(١)
أَصَابَهُمَا رَبُّ الزَّمَانِ ، فَأُصْبَحَا
أَحَادِيثَ مَنْ يَسْمَى بِكُلِّ سَبِيلٍ
تَرَى جَسَدًا قَدْ غَيَّرَ الْمَوْتُ لَوْنَهُ
وَنَضَحَ دَمٌ قَدْ سَالَ كُلُّ مَسِيلٍ
ثم بعث عبيد الله برءوسهما إلى يزيد ، وكتب إليه بالنبأ فيهما . ٥
- فكتب إليه يزيد : لم نَعُدْ الظَّنَّ بك ، وقد فعلتَ فِعْلَ الْحَازِمِ الْجَلِيدِ ،
وقد سألتُ رَسُولِيكَ عَنِ الْأَمْرِ ، فَرَشَاهُ لِي ، وَهَذَا كَمَا ذَكَرْتَ فِي النَّصْحِ ،
وَفَضَلَ الرَّأْيِ ، فَاسْتَوْصِ بِهِمَا .
- وقد بلغني أن الحسين بن عليّ قد فصلَ من مكة متوجّهاً إلى ما قبلك ، فأذكرك
العيونَ عليه ، وَضَعَ الْأَرْصَادَ عَلَى الطَّرِيقِ ، وَقُمُ أَفْضَلَ الْقِيَامِ ، غَيْرَ إِلَّا تُقَاتِلَ
إِلَّا مَنْ قَاتَلَكَ ، وَابْتَغِ الْإِلَاحَ بِالْخَبَرِ فِي كُلِّ يَوْمٍ . ١٥
- وكان أنفذ الرّأسين إليه مع هانيء بن أبي حَيَّة الهمدانيّ ، والزبير بن الأروج
التميميّ .
- وكان قتلُ مُسلم بن عَقِيل يوم الثلاثاء لثلاث خَوَونٍ مِنْ ذِي الْحِجَّةِ سَنَةِ سِتِينَ^(٢) ،
وهي السنة التي مات فيها معاوية . ٢٠

[خروج الحسين إلى الكوفة]

وخرج الحسين بن عليّ عليه السلام من مكة في ذلك اليوم .
ثم إن ابن زياد وجهه بالحصين بن نمير - وكان على شرطه - في أربعة آلاف
فارس من أهل الكوفة ، وأمره أن يُقيم بالقادسيّة^(١) إلى القطقطانة^(٢) ، فيمنع
مَنْ أراد النفوذ من ناحية الكوفة إلى الحجاز إلّا مَنْ كان حاجّاً أو مُعْتَمِراً
وَمَنْ لَا يَتَمَهَّمُ بِمُأَلَاةِ الحسين .

قالوا : ولما وَرَدَ كتاب مُسلم بن عَقِيل على الحسين عليه السلام :
« إِنَّ الرَّائِدَ^(٣) لَا يَكْذِبُ أَهْلَهُ ، وقد بايعني من أهل الكوفة ثمانية عشر ألف
رجل ، فاقْدَمْ ، فَإِنَّ جَمِيعَ النَّاسِ مَعَكَ ، وَلَا رَأْيَ لَهِمْ فِي آلِ أَبِي سَفِيَّانٍ » .
فلما عزم على الخروج ، وأخذ في الجهاز بلغ ذلك عبد الله بن عباس ، فأقبل
حتى دخل على الحسين ، رضى الله عنه ، فقال :
يا ابن عمّ ، قد بلغني أنك تريد السير إلى العراق .
قال الحسين : أنا على ذلك .

قال عبد الله : أعيذك بالله يا ابن عم من ذلك .
قال الحسين : قد عزمتم ، ولا بد من السير .
قال له عبد الله : أتسير إلى قوم طردوا أميرهم عنهم ، وضبطوا بلادهم ؟ فإن كانوا
فعلوا ذلك فسرّ إليهم ، وإن كانوا إنما يدعونك إليهم ، وأميرهم عليهم ، وعُمَلَاهُ
يَجْبُونُهُمْ ، فإنهم إنما يدعونك إلى الحرب ، ولا آمنهم أن يخذلوك كما خذلوا أباك
وأخاك .

قال الحسين : يا ابن عم ، سأُنْظِرُ فِيمَا قُلْتَ .

(١) قرية بين الكوفة وعذيب في قضاء الديوانية .

(٢) موضع بقرب الكوفة .

(٣) الرائد هو الذي يتقد القوم يبصر لهم السكّالاً ومساقط الغيث .

وبلغ عبد الله بن الزبير ما يهيم به الحسين ، فأقبل حتى دخل عليه ، فقال له :
لو أقت بهذا الحرم ، وبثت رسلك في البلدان ، وكتبت إلى شيعتك بالعراق أن
يقدّموا عليك ، فإذا قويت أمرك نفيت عمّال يزيد عن هذا البلد ، وعلى لك السكّانة
والمؤازرة ، وإن عملت بمشورتي طلبت هذا الأمر بهذا الحرم ، فإنه منجم أهل
الآفاق ، ومورد أهل الأقطار لم يُعْدمك بإذن الله إدراك ما تريد ، ورجوت أن تناله .

قالوا : ولما كان في اليوم الثالث عاد عبد الله بن عباس إلى الحسين ، فقال له :
— يا بن عم لا تقرب أهل الكوفة ، فإنهم قوم غدر ، وأقم بهذه البلدة ،
فإنك سيد أهلها ، فإن أبيت فسر إلى أرض اليمن ، فإن بها حصونا وشعابا ، وهي
أرض طويلة عريضة ، ولأبيك فيها شيعه ، فتكون عن الناس في عزلة ، وتبت
دُعائك في الآفاق ، فإني أرجو إن فعلت ذلك أتاك الذي تحب في عافية .

قال الحسين عليه السلام : يا بن عم ، والله إني لأعلم أنك ناصح مُشفق ، غير
أنني قد عذمت على الخروج .

قال ابن عباس : فإن كنت لاهالة سائرا ، فلا تُخرج النساء والصبيان ، فإني
لا آمن أن تُقتل كما قتل ابن عفان ، وصبيته ينظرون إليه .
قال الحسين : عمّ ، ما أرى إلا الخروج بالأهل والولد .

فخرج ابن عباس من عند الحسن فمرّ بابن الزبير ، وهو جالس ، فقال له :
قررت هينك يا بن الزبير بخروج الحسين .
ثم تمثّل :

خَلَّالِكَ الْجَوِّ ، فَبَيْضِي وَاصْفِرِّي وَتَقَرِّي ، مَا شِئْتُ أَنْ تُنْقَرِّي
قالوا : ولما خرج الحسين من مكة اعترضه صاحب شرطة أميرها ، عمرو بن سعيد
ابن العاص في جماعة من الجند ، فقال : إن الأمير يأمرك بالانصراف ، فانصرف ،
وإلا منعتك .

فامتنع عليه الحسين ، وتدافع الفريقان ، واضطربوا بالسياط .
وبلغ ذلك عمرو بن سعيد ، فخاف أن يتفاقم الأمر ، فأرسل إلى صاحب شرطه ،
يأمره بالانصراف .

قالوا « ولما فصل الحسين بن علي من مكة سائرا ، وقد وصل إلى التَّنْعِيم ^(١) لحق
غيراً مقبلة من اليمن ، عليهما ورس ^(٢) وحِفاء ، ينطلق به إلى يزيد بن معاوية ،
فأخذها وما عابها .

• وقال لأصحاب الإبل : من أحب منكم أن يسير معنا إلى العراق أَوْفِينَاهُ كِرَاهُ ،
وأَحْسَنَّا صَحْبَتَهُ ؛ ومن أحب أن يفارقنا من هاهنا أعطيناه من الكِرَى ^(٣) بقدر
ما قطع من الأرض .

ففارقه قوم ، ومضى معه آخرون .

ثم سار حتى إذا انتهى إلى الصَّفَّاح ^(٤) لقيه هناك الفرزدق الشاعر مقبلاً
من العراق ، يريد مكة ، فسلم على الحسين .

فقال له الحسين : كيف خلّفت الناس بالعراق ؟

قال : خلّفتهم ، وقلوبهم معك ، وسيوفهم عليك .
ثم ودّعه .

ومضى الحسين عليه السلام حتى إذا صار ببَطْن الرِّمَّة ^(٥) كتب إلى أهل الكوفة .

١٥ « بسم الله الرحمن الرحيم ، من الحسين بن علي إلى إخوانه من المؤمنين بالكوفة ،
سلامٌ عليكم ، أما بعد ، فإن كتاب مسلم بن عقيل ورد عليّ باجتماعكم لي ، وتشوّفكم
إلى قدومي ، وما أنتم عليه مُنْطَوُونَ من نصرنا ، والطلب بحقنا ، فأحسن الله لنا
ولكم الصنيع ، وأثابكم على ذلك بأفضل الذُّخر ، وكتّابي إليكم من بطن الرمة ، وأنا
قادم عليكم ، وحيث السير إليكم ، والسلام . »

(١) مكان بين مكة والمدينة بالقرب من مكة .

(٢) الورد : نبت أصفر يكون باليمن تتخذ منه الغمرة للوجه . (٣) الأجر

(٤) موضع بين حنين وأنصاب الحرم يسرة الداخل إلى مكة ، وصفاح نهران جبال بين مكة
والطائف .

(٥) قاع عظيم بنجد تصب فيه جماعة أودية .

ثم بعث بالكتاب مع قيس بن مسهر ، فسار حتى وافى القادسية^(١) .
فأخذه حصين بن نمير ، وبعث به إلى ابن زياد ، فلما أدخل عليه أفلط لمبيد
الله ، فأمر به أن يُطرح من أعلى سور القصر إلى الرخبة ، فطرح ، فات .
وسار الحسين عليه السلام من بطن الرمة^(٢) ، فلقيه عبد الله بن مطيع ،
وهو منصور من العراق ، فسلم على الحسين ، وقال له :

بأبي أنت وأمي يا ابن رسول الله ، ما أخرجك من حرم الله وحرم جدك ؟
فقال : إن أهل الكوفة كتبوا إليّ يسألونني أن أقدم عليهم لا رجوا من إحياء
معالم الحق ، وإماتة البدع .

قال له ابن مطيع : أنشدك الله أن [لا] تأتي الكوفة ، فوالله لئن أتيتها
لَتُقْتَلَنَّ . ١٠

فقال الحسين عليه السلام : « لَنْ يُصِيبَنَا إِلَّا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا » .
ثم ودّعه ومضى .

ثم سار حتى انتهى إلى زُرُود^(٣) ، فنظر إلى فسطاط^(٤) مضروب ، فسأل عنه ،
ف قيل له : هو لزُهَيْر بن القَيْن .

وكان حاجاً أقبل من مكة يريد الكوفة . ١٥
فأرسل إليه الحسين ، أن اقبلي أكلّمك .
فأني أن يلتقاه .

وكانت مع زهير زوجته ، فقالت له : سبحان الله ، يبعث إليك ابن رسول الله
صلى الله عليه وسلم فلا تجيبه .

فقام يمشي إلى الحسين عليه السلام ، فلم يلبث أن انصرف ، وقد أشرق وجهه ، ٢٠

(١) القادسية ، قرية قرب الكوفة من جهة البرية ، بينها وبين العذيب أربعة أميال ،
وعندها كانت الوقعة الكبرى بين المسلمين والفرس ، وقد فتحت بلادهم على المسلمين .

(٢) بطن الرمة : منزل لأهل البصرة إذا أرادوا المدينة ، بها يجتمع أهل البصرة والكوفة .

(٣) موضع بطريق مكة بعد الرمل . (٤) الفسطاط : بيت من الشعر .

فأمر بفُسطاطه فُقْلِعَ ، وضُرب إلى رِزْق فسطاط الحسين .
ثم قال لامرأته : أنتِ طَارِيقٌ ، فتقدّمي مع أخيكِ حتى تَصِلِي إلى منزلِك ،
فإني قد وطّنت نفسي على الموت مع الحسين عليه السلام .
ثم قال لمن كان معه من أصحابه : مَنْ أَحَبَّ مِنْكُمْ الشَّهَادَةَ فَلْيُيَقِّمْ ، وَمَنْ كَرِهَهَا
فليَتَقَدَّم .
فلم يَقم معه منهم أحد ، وخرجوا مع المرأة وأخيها حتى لحقوا بالكوفة .

قالوا : ولما رحل الحسين من زُرُودَ تَلَقَّاهُ رجل من بني أسد ، فسأله عن الخبر .
فقال : لم أخرج من الكوفة حتى قُتِلَ مُسْلِمُ بْنُ عَقِيلٍ ، وهَانِيٌّ بْنُ عُرْوَةَ ،
ورأيت الصَّبِيَّانِ يَجْرُونَ بِأَرْجُلِهِمَا .
فقال : إنا لله ، وإنا إليه راجعون ، عند الله نَحْتَسِبُ أَنْفُسَنَا .
فقال له : أَنَشِدْكَ اللهُ يَا بَنَ رَسُولِ اللهِ فِي نَفْسِكَ ، وَأَنْفُسُ أَهْلِ بَيْتِكَ ،
هَؤُلَاءِ الَّذِينَ نَرَاهُمْ مَعَكَ ، انصرف إلى موضعك ، ودَعِ الْمَسِيرَ إِلَى الْكُوفَةِ ،
فوالله مَالِكٌ بِهَا نَاصِرٌ .
فقال بنو عَقِيلٍ : وَكَانُوا مَعَهُ - : مَا لَنَا فِي الْعَيْشِ بَعْدَ أَخِينَا مُسْلِمٍ حَاجَةٌ ،
وَلَسْنَا بِرَاجِعِينَ حَتَّى نَمُوتَ .

فقال الحسين : « فَمَا خَيْرٌ فِي الْعَيْشِ بَعْدَ هَؤُلَاءِ » ، وسار .
فلما وَافَى زُبَّالَةَ^(١) وافاه بها رسول محمد بن الأشعث ، وعمر بن سعد بما كان
سأله مسلم أن يكتب به إليه من أمره ، وخذلان أهل الكوفة إياه ، بعد أن بايعوه ؛
وقد كان مُسْلِمٌ سَأَلَ مُحَمَّدَ بْنَ مُحَمَّدٍ بْنِ الْأَشْعَثِ ذَلِكَ .

(١) موضع بطريق مكة ، وبها بركتان ، قال الشماخ :

وَرَاخَتْ رَوَاحًا مِنْ زُرُودٍ فَنَازَعَتْ زُبَّالَةَ جَلْبَابًا مِنَ اللَّيْلِ أَخْضَرَا

فلما قرأ الكتاب استيقن بصحة الخبر ، وأفظمه قتل مسلم بن عقيل ، وهاني
ابن عروة .

ثم أخبره الرسول بقتل قيس بن مسهر رسوله الذي وجهه من بطن
الرمّة .

وقد كان صحبه قوم من منازل الطريق ، فلما سمعوا خبر مسلم ، وقد كانوا ظنوا
أنه يقدم على أنصار وعصّد تفرقوا عنه ، ولم يبق معه إلا خاصته .

فسار حتى انتهى إلى بطن المقيق^(١) ، فلقى رجل من بني عكرمة ، فسلم
عليه ، وأخبره بتوطيد ابن زياد الخليل ما بين القادسيّة إلى العذيب^(٢) رسداً له .

ثم قال له : « انصرف بنفسى أنت ، فوالله ما تسير إلا إلى الأسنة والسيوف ،
ولا تتكلمن على الذين كتبوا لك ، فإن أولئك أول الناس مُبادرة إلى حربك » .
فقال له الحسين : « قد ناصحت وبالنت ، فجُزيت خيراً » .

ثم سلم عليه ، ومضى حتى نزل بشرأة^(٣) بات بها ، ثم ارتحل وسار .
فلما انتصف النهار ، واشتدت الحرّ ، وكان ذلك في القيظ ، تراءت لهم
الخليل .

فقال الحسين لزهير بن القين :
أما ها هنا مكان يُلجأ إليه ، أو شرف ، نجعله خلف ظهورنا ، ونستقبل القوم
من وجه واحد ؟ » .

قال له زهير : بلى ، هذا جبل ذى جشم ، يسرة منك ، فيل بنا إليه ، فإن سبقت
إليه فهو كما تحب .

فسار حتى سبق إليه ، وجعل ذلك الجبل وراء ظهره .

(١) موضع بالقرب من ذات عرق قبلها بمرحلة ، وذات عرق منزل معروف من منازل الحاج ،
ويحرم أهل العراق بالحج منه .

(٢) ماء لبني تميم على مرحلة من الكوفة ، سمي بذلك لأنه طرف أرض العرب .

(٣) مرتفع من الأرض بالقرب من عسفان .

وأقبلت الخيل ، وكانوا ألف فارس مع الحرّ بن يزيد التيمي ، ثم اليربوعي ، حتى إذا دنوا أمر الحسين عليه السلام فتياه أن يستقبلوهم بالماء ، فشرّبوا ، وتعمّرت خيلهم ، ثم جلسوا جميعاً في ظل خيولهم ، وأعنتها في أيديهم حتى إذا حضرت الظهر قال الحسين عليه السلام للحُرّ : أتصلي معنا ، أم تصلي بأصحابك وأصلي بأصحابي ؟

٥

قال الحرّ : « بل نُصلي جميعاً بصلاتك » .

فتقدّم الحسين عليه السلام ، فصلى بهم جميعاً .

فلما انقضى من صلاته حوّل وجهه إلى القوم ، ثم قال :

« أيها الناس ، معذرة إلى الله ، ثم إليكم ، إني لم آتكم حتى أتنى كتبكم ،

وقدمت على رسلكم ، فإن أعطيتموني ما أطمئن إليه من عهودكم ومواثيقكم دخلنا معكم مضرّكم ، وإن تكن الأخرى انصرفت من حيث جئت » .

فأسكت القوم ، فلم يردّوا عليه ، حتى إذا جاء وقت العصر نادى مؤذن الحسين ، ثم أقام ، وتقدّم الحسين عليه السلام ، فصلى بالفريقين ، ثم انقضى إليهم ، فأعاد مثل القول الأول .

١٥ فقال الحرّ بن يزيد : « والله ما ندري ما هذه السكتب التي تدّكر » .

فقال الحسين عليه السلام : « إيتني بالخُرَجَيْن ^(١) اللذين فيهما كتبهم » .

فأتى بخُرَجَيْن مملوءين كتباً ، فنثرت بين يدي الحرّ وأصحابه ، فقال له الحرّ : « يا هذا ، لسنا ممن كتب إليك شيئاً من هذه السكتب ، وقد أمرنا ألا نفارقك إذا لقيناك أو نقدم بك الكوفة على الأمير عبّيد الله بن زياد » .

٢٠ فقال الحسين عليه السلام : « الموت دون ذلك » .

(١) وعاء معروف ذو جانين .

ثم أمر بأثقاله ، فحُمِلَتْ ، وأمر أصحابه ، فركبوا ، ثم ولى وجهه منصرفا نحو الحجاز ، فحال القوم بينه وبين ذلك .

فقال الحسين للحرّ : ما الذى تريد ؟

قال : أريد والله أن أنطلق بك إلى الأمير عُبيد الله بن زياد .

قال الحسين : إذن والله أنا بذك الحرب .

فلما كثر الجدل بينهما قال الحرّ : « إني لم أؤمر بقتالك ، وإنما أمرت ألا أفارقك ، وقد رأيت رأيا فيه السلامة من حربك ، وهو أن تجعل بينى وبينك طريقا ، لا تدخلك الكوفة ، ولا تردك إلى الحجاز ، تكون نصفنا بينى وبينك حتى يأتينا رأى الأمير » .

قال الحسين : « نأخذ هاهنا ، فأخذ متيسرا من طريق العذيب ^(١) ، ومن ذلك المكان إلى العذيب ثمانية وثلاثون ميلا » .

فسارا جميعا حتى انتهوا إلى عذيب الحمامات ، فنزلوا جميعا ، وكل فريق منهما على غلوة ^(٢) من الآخر .

ثم ارتحل الحسين من موضعه ذلك متيامنا عن طريق الكوفة حتى انتهى إلى قصر بنى مقاتل ، فنزلوا جميعا هناك ، فنظر الحسين إلى فسطاط مضروب ، فسأل عنه ، فأخبر أنه لعبيد الله بن الحرّ الجعفي ، وكان من أشرف أهل الكوفة ، وفرسانهم .

فأرسل الحسين إليه بعض مواليه يأمره بالمصير إليه ، فأتاه الرسول ، فقال :

— هذا الحسين بن علي يسألك أن تصير إليه .

فقال عبيد الله : والله ما خرجت من الكوفة إلا لكثرة من رأيت خرج لمحاربتة

(١) العذيب : تصغير العذب ، ماء على يمين القادسية ، بينه وبين القادسية أربعة أميال ، منه

إلى مفازة القرون في طريق مكة . (٢) الغلوة قدر رمية بسهم .

وخذلان شيعته ، فعلمت أنه مقتول ولا أقدر على نصره ، فلست أحب أن يرانى ولا أراه .

فانتحل الحسين حتى مشى ، ودخل عليه قُبَّته ، ودعاه إلى نُصْرته .
فقال عبید الله : « والله إني لأعلم أن من شايئك كان السعيد في الآخرة ، ولكن ما عسى أن أغنى عنك ، ولم أخلف لك بالكوفة ناصرا ، فأنشدك الله أن تحمِلَنِي على هذه الخُطَّة ، فإن نفسي لم تسمح بعدُ بالموت ، ولكن فرسى هذه المُلْحَقَّة ، والله ما طلبت عليها شيئا قط إلا لحقته ، ولا طابني وأنا عليها أحد قط إلا سبقته ، فخذها ، فهي لك » .

قال الحسين : « أمّا إذا رغبت بنفسك عنا فلا حاجة لنا إلى فرسك » .

١٠ [نهاية الحسين]

وسار الحسين عليه السلام من قصر بني مقاتل ، ومعه الحرّ بن يزيد ، كلما أراد أن يميل نحو البادية منعه ، حتى انتهى إلى المكان الذي يسمى « كَرْهَ بَلَاءٍ » ^(١) فقال قليلا متيامنا حتى انتهى إلى (نَيْنَوَى) ^(٢) ، فإذا هو براكب على نَجِيب ، مقبل من القوم ، فوقفوا جميعا ينتظرونه .

١٥ فلما انتهى إليهم سلّم على الحرّ ، ولم يسلم على الحسين .
ثم ناول الحرّ كتابا من عبید الله بن زياد ، فقرأه ، فإذا فيه :
« أما بعد ، فَجَمَعَجِجٌ ^(٣) بالحسين بن علي وأصحابه بالمكان الذي يوافقك كتابي ، ولا تحلّه إلا بالمرء على غير خَرٍّ ^(٤) ولا ماء ، وقد أمرت حامل كتابي هذا أن يخبرني بما كان منك في ذلك ، والسلام » .

(١) موضع في طرف البرية بالقرب من الكوفة .

(٢) قرية قديمة لا تزال آثارها باقية قبالة مدينة الموصل ، ويروى بعض المؤرخين أنها قرية النبي يونس عليه السلام .

(٣) جمع القوم أي أناخوا بالجمعجاج وهو ما غلظ من الأرض .

(٤) أي شجر .

فقرأ الحرّ الكتاب ثم ناوله الحسين ، وقال :
لا بد من إنفاذ أمر الأمير عبيد الله بن زياد ، فانزل بهذا المكان ، ولا تجعل
للأمير على علة .

فقال الحسين عليه السلام « تقدّم بنا قليلا إلى هذه القرية التي هي منا على غاوة ،
وهي الناضرية ^(١) » أو هذه الأخرى التي تسمى « السقبة » فنزل في إحداهما .
قال الحرّ « إن الأمير كتب إلى أن أحلك على غير ماء ، ولا بد من الانتهاء
إلى أمره .

فقال زهير بن القين للحسين : « بأبي وأمي يا ابن رسول الله ، والله لو لم يأتنا
غير هؤلاء لكان لنا فيهم كفاية ، فكيف بمن سيأتينا من غيرهم ؟ فهلّم بنا
نناجز هؤلاء ، فإن قتال هؤلاء أيسر علينا من قتال من يأتينا من غيرهم » .

قال الحسين عليه السلام : فإني أكره أن أبدأهم بقتال حتى يبدأوا .
فقال له زهير : فهنا قرية بالقرب منا على شطّ الفرات ، وهي في عاقول ^(٢)
حصينة ، الفرات يحدّق بها إلّا من وجه واحد .

قال الحسين : وما اسم تلك القرية ؟

قال : العقر ^(٣) .

قال الحسين : نعموذ بالله من العقر .

فقال الحسين للحرّ : سير بنا قليلا ، ثم نزل .

فسار معه حتى أتوا كربلاء ، فوقف الحرّ وأصحابه أمام الحسين ومنعهم من

المسير ، وقال :

انزل بهذا المكان ، فالفرات منك قريب .

قال الحسين : وما اسم هذا المكان ؟

(١) الناضرية : قرية من نواحي الكوفة ، قريبة من كربلاء .

(٢) عاقول الوادي ما اعوج منه ، والأرض العاقول التي لا يهتدى إليها .

(٣) مكان قرب كربلاء من نواحي الكوفة .

قالوا له : كَرَبْلَاءَ .

قال : ذات كَرَبٍ وَبَلَاءَ ، ولقد مرّ أبي بهذا المكان عند مسيره إلى صفّين ،
وأنا معه ، فوقف ، فسأل عنه ، فأخبر باسمه ، فقال : « هاهنا محط ركابهم ،
وهاهنا مهراق دمائهم » ، فسُئِلَ من ذلك ، فقال : « ثَقُلَ لآل بيت محمد ،
ينزلون هاهنا » .

ثم أمر الحسين بأثقاله ، فَحُطَّتْ بذلك المكان يوم الأربعاء غرّة المحرم من سنة
إحدى وستين^(١) ، وَقُتِلَ بعد ذلك بعشرة أيام ، وكان قتله يوم عاشوراء .

فلما كان اليوم الثاني من نزوله كربلاء وافاه عمر بن سعد في أربعة آلاف فارس .
وكانت قصة خروج عمر بن سعد ، أن عبيد الله بن زياد ولّاه الرىّ وثغر دَسْتَجِي^(٢)

والدَّيْلَمَ ، وكتب له عهدا عليها ، فمسكر للمسير إليها ، فحدث أمر الحسين ، فأمره
ابن زياد أن يسير إلى محاربة الحسين ، فإذا فرغ منه سار إلى ولايته .

فتكاثّر عمر بن سعد على ابن زياد ، وكره محاربة الحسين .

فقال له ابن زياد : « فارُدُّ علينا عهدنا » .

قال : « فأسير إذن » .

فسار في أصحابه أولئك الذين ندبوا معه إلى الرىّ ودَسْتَجِي ، حتى وافى الحسين ،
وانضم إليه الحرّ بن يزيد فيمن معه .

ثم قال عمر بن سعد لقرّة بن سفيان الحنظلي « انطلق إلى الحسين ، فسكّه
ما أقدمك » . فأتاه ، فأبلغه .

فقال الحسين : « أبلغه عني أن أهل هذا المصر كتبوا إليّ يذكرون أن لا إمام لهم ،

ويسألونني القدوم عليهم ، فوثقت بهم ، فغدروا بي ، بعد أن بايعني منهم ثمانية عشر
ألف رجل ، فلما دنوت ، فعلمت غرور ما كتبوا به إليّ أردتُ الانصراف إلى حيث

(١) أكتوبر ٦٨٥

(٢) كورة كبيرة ، كانت مشتركة بين الرىّ وهمدان ، فقسمت كورتين ، وتشتمل على قريب

تسعين قرية .

منه أقبأت ، فمنعني الحر بن يزيد ، وسار حتى جَمَعَ بي في هذا المكان ، ولى بك قرابة قريبة ، ورَحِمَ ماسّة ، فأطلقني حتى أنصرف .
فرجع قُرّة إلى عمر بن سعد بجواب الحسين بن علي .
فقال عمر : « الحمد لله ، والله إنى لأرجو أن أعفى من محاربة الحسين » .
ثم كتب إلى ابن زياد يخبره بذلك .

فلما وصل كتابه إلى ابن زياد كتب إليه في جوابه :
« قد فهمت كتابك ، فاعرض على الحسين البيعة ليزيد ، فإذا بايع في جميع من معه ، فأعلمني ذلك ليأتيك رأيي » .

فلما انتهى كتابه إلى عمر بن سعد قال : ما أحسب ابن زياد يريد العافية .
فأرسل عمر بن سعد بكتاب ابن زياد إلى الحسين ، فقال الحسين للرسول :
« لا أجيب ابن زياد إلى ذلك أبداً ، فهل هو إلا الموت ، فرحباً به » .
فكتب عمر بن سعد إلى ابن زياد بذلك ، فغضب ، فخرج بجميع أصحابه إلى النخيلة^(١) .

ثم وجه الحصين بن نمير ، وحجّار بن أبجر ، وشبث بن ربعي ، وشمر ابن ذى الجوشن ، ليعاونوا عمر بن سعد على أمره .
فأما شمر فنفذ لما وجهه له ؛ وأما شبث فاعتلّ بمرض .

فقال له ابن زياد : أئتمّارض ؟ إن كنت في طاعتنا فاخرج إلى قتال عدونا .
فلما سمع شبث ذلك خرج ، ووجه أيضاً الحارث بن يزيد بن رُويم .
قالوا : « وكان ابن زياد إذا وجه الرجل إلى قتال الحسين في الجمع الكثير، يصلون إلى كربلاء ، ولم يبق منهم إلا القليل ، كانوا يكرهون قتال الحسين ، فيرتدعون ، ويتخلفون .

فبعث ابن زياد سُويد بن عبد الرحمن النخعي في خيل إلى الكوفة ، وأمره أن يطوف بها ، فمن وجدته قد تخلف أتاه به .

(١) موضع قرب الكوفة على سمت الشام .

فبينا هو يطوف في أحياء الكوفة إذ وجد رجلا من أهل الشام قد كان قدم الكوفة في طلب ميراث له ، فأرسل به إلى ابن زياد ، فأمر به ، فضربت عنقه .. فلما رأى الناس ذلك خرجوا .

قالوا : وورد كتاب ابن زياد على عمر بن سعد ، أن امنع الحسين وأصحابه الماء ، فلا يذوقوا منه حُسوة^(١) كما فعلوا بالتقى عثمان بن عفان .

فلما ورد على عمر بن سعد ذلك أمر عمرو بن الحجاج أن يسير في خمسمائة راكب ، فينبيخ على الشريعة ، ويحولوا بين الحسين وأصحابه ، وبين الماء ، وذلك قبل مقتله بثلاثة أيام ، فكث أصحاب الحسين عطاشى .

قالوا : ولما اشتد بالحسين وأصحابه العطش أمر أخاه العباس بن علي - وكانت أمه من بنى عامر بن صعصعة - أن يمضى في ثلاثين فارسا وعشرين راجلا ، مع كل رجل قربة حتى يأتوا الماء ، فيحاربوا من حال بينهم وبينه .

فضى العباس نحو الماء وأمامهم نافع بن هلال حتى دنوا من الشريعة ، فمنعهم عمرو بن الحجاج ، فجالدهم العباس على الشريعة بمن معه حتى أزالوهم عنها ، واقتحم رجاله الحسين الماء ، فملأوا قربهم ، ووقف العباس في أصحابه يذُبُّون عنهم حتى أوصلوا الماء إلى عسكر الحسين .

ثم إن ابن زياد كتب إلى عمر بن سعد :
أما بعد ، فإنى لم أبعثك إلى الحسين لتطاوله الأيام ، ولا لتمنيه السلامة والبقاء ، ولا لتكون شفيعه إلى ، فاعرض عليه ، وعلى أصحابه النزول على حكمى ، فإن أجابوك فابعث به وبأصحابه إلى ، وإن أبوا فازحف إليه ، فإنه عاق شاق ، فإن لم تفعل فاعتزل جندنا ، واخل بين شمر بن ذى الجوشن وبين العسكر ، فإننا قد أمرناك بأمرنا .
فنادى عمر بن سعد في أصحابه أن انهضوا إلى القوم .

(١) الحسوة بالضم الجرعة بقدر ما يحس مرة واحدة .

فنهض إليهم عشية الخميس وليلة الجمعة لتسع ليال خلون من المحرم ، فسألهم الحسين ! تأخير الحرب إلى غد ، فأجابوه .

قالوا : وأمر الحسين أصحابه أن يضموا مضاربهم بعضهم من بعض ، ويكونوا أمام البيوت ، وأن يحفروا من وراء البيوت أخدوداً ، وأن يضرموا فيه حطباً وقصباً كثيراً ، لئلا يؤتوا من أدبار البيوت ، فيدخلوها .

قالوا : ولما صلى عمر بن سعد الغداة نهّد بأصحابه ، وعلى ميمنته عمرو بن الحجاج ، وعلى ميسرته شمر بن ذى الجوشن - واسم شمر شَرْخَبِيل بن عمرو بن معاوية ، من آل الوحيد ، من بني عامر بن صعصعة - وعلى الخيل عَزْرَة بن قيس ، وعلى الرّجالة شُبث ابن رُبَيْع ، والراية بيد زيد مولى عمر بن سعد .

وعسى الحسين عليه السلام أيضاً أصحابه ، وكانوا اثنين وثلاثين فارساً وأربعين راجلاً ، فجعل زهير بن القين على ميمنته ، وحبيب بن مظهر على ميسرته ، ودفع الراية إلى أخيه العباس بن علي ، ثم وقف ، ووقفوا معه أمام البيوت .

وانحاز الحرّ بن يزيد الذي كان جمّيع بالحسين إلى الحسين ، فقال له : « قد كان مني الذي كان ، وقد أتيتك مؤاسياً لك بنفسى ، أفترى ذلك لى توبة مما كان منى ؟ » . قال الحسين : نعم ، إنها لك توبة ، فابشّر ، فأنت الحرّ فى الدنيا ، وأنت الحرّ فى الآخرة ، إن شاء الله .

قالوا : ونادى عمر بن سعد مولاه زيدا أن قدّم الراية ، فتقدّم بها ، وشبّت الحرب .

فلم يزل أصحاب الحسين يُقاتلون ويُقتلون ، حتى لم يبق معه غير أهل بيته . فكان أول من تقدّم منهم ، فقاتل على بن الحسين ، وهو على الأكبر ، فلم يزل يُقاتل حتى قُتل ، طعنه مرّة بن مُنقذ العبديّ ، فصرعه ، وأخذته السيوف فقتل .

ثم قُتِلَ عبد الله بن مُسلم بن عَقِيل ، رماه عمرو بن صَبَّح الصَّيْدَاوِيّ ، فصرعه .
 ثم قُتِلَ عَدِيّ بن عبد الله بن جعفر الطَّيَّار ، قتله عمرو بن نَهْشَل التَّمِيمِيّ .
 ثم قُتِلَ عبد الرحمن بن عَقِيل بن أبي طالب ، رماه عبد الله بن عُرْوَة الخَثْعَمِيّ
 بسهم ، فقتله .

ثم قُتِلَ محمد بن عَقِيل بن أبي طالب ، رماه لَقِيْط بن نَاشِر الجُهَنِيّ بسهم ، فقتله .
 ثم قُتِلَ القاسم بن الحسن بن عليّ بن أبي طالب ، ضربه عمرو بن سعد بن مقبل
 الأسدِيّ .

ثم قُتِلَ أبو بكر بن الحسن بن عليّ ، رماه عبد الله بن عُقْبَة الغَنَوِيّ بسهم ،
 فقتله .

قالوا : ولما رأى ذلك العباس بن عليّ قال لإخوته عبد الله ، وجعفر ، وعثمان ،
 بني عليّ ، عليه وعليهم السلام ، وأُمُّهم جميعاً أم البنين العامرية من آل الوحيد :
 « تقدّموا ، بنفسى أنتم ، فحاموا عن سيّدكم حتى تموتوا دونه » .
 فتقدّموا جميعاً .

فصاروا أمام الحسين عليه السلام ، يَقُونَهُ بوجوههم ونحوهم .
 فحمل هانيء بن ثَوَيْب الحَضْرَمِيّ عليّ عبد الله بن عليّ ، فقتله .
 ثم حمل عليّ أخيه جعفر بن عليّ ، فقتله أيضاً .
 ورمى يزيد الأصْبَحِيّ عثمان بن عليّ بسهم ، فقتله ، ثم خرج إليه ، فاخترَ رأسه ،
 فأتى عمر بن سعد ، فقال له : « أثبني » .

فقال عمر :

عليك بأمرِك - يعني عُبيد الله بن زياد - فسَلَهُ أَنْ يُثَبِّك .
 وبقى العباس بن عليّ قائماً أمام الحسين يُقاتل دونه ، ويميل معه حيث مال ،
 حتى قُتِلَ ، رحمة الله عليه .

وبقي الحسين وحده، فحمل عليه مالك بن بشر الكندي، فضربه بالسيف على رأسه، وعليه برؤس خنز، فقطعه، وأفضى السيف إلى رأسه، فجرحه.

فالتقى الحسين البرؤس، ودعا بقلنسوة، فلبسها، ثم اعتم بهامة، وجلس، فدعا بصبي له صغير، فأجلسه في حجره، فرماه رجل من بني أسد، وهو في حجر الحسين بمشقص^(١)، فقتله.

٥

وبقي الحسين عليه السلام مَلِيًّا جالسا، ولو شاءوا أن يقتلوه قتلوه، غير أن كل قبيلة كانت تتكىل على غيرها، وتكره الإقدام على قتله. وعطش الحسين، فدعا بقدح من ماء.

فلما وضعه في فيه رماه الحُصَيْن بن نُمير بسهم، فدخل فيه، وحال بينه وبين شرب الماء، فوضع القدح من يده.

١٠

ولما رأى القوم قد أحجموا عنه قام يَتَمَشَّى على السنّة^(٢) نحو الفرات، فخالوا بينه وبين الماء، فانصرف إلى موضعه الذي كان فيه.

فانتزع له رجل من القوم بسهم، فأثبتته في عاتقه، فنزع عليه السلام السهم. وضربه زُرْعَة بن شريك التيمي بالسيف، واثقاه الحسين بيده، فأسرع السيف في يده.

١٥

وحمل عليه سنان بن أوس النخعي، فطعنه، فسقط. ونزل إليه حوئي بن يزيد الأصبحي ليحز رأسه، فأرعدت يده. فنزل أخوه شبيل بن يزيد، فاحتر رأسه، فدفعه إلى أخيه حوئي. ثم مال الناس على ذلك الورس الذي كان أخذه من العير، وإلى ما في المضارب،

فانتهبوه.

٢٥

(١) المشقص نصل السهم إذا كان طويلا غير عريض.

(٢) ضفيرة تبني للسيل لترد الماء.

ولم ينج من أصحاب الحسين عليه السلام وولده وولد أخيه إلا أبناء ، علي الأصغر ، وكان قد رآه ق ، وإلا عمر ، وقد كان بلغ أربع سنين .
ولم يسلم من أصحابه إلا رجلان ، أحدهما الرقعة بن ثمامة الأسدي ، بعث به عمر بن سعد إلى ابن زياد فسيره إلى الربرة (١) ، فلم يزل بها حتى هلك يزيد ، وهرب عبيد الله إلى الشام ، فانصرف الرقعة إلى الكوفة ؛ والآخر مولى لرباب ، أم سكينه ، أخذوه بعد قتل الحسين ، فأرادوا ضرب عنقه ، فقال لهم : « إني عبد مملوك » . فخلّوا سبيله .

- وبعث عمر بن سعد برأس الحسين من ساعته إلى عبيد الله بن زياد مع حوّل
ابن يزيد الأصبحي .
وأقام عمر بن سعد بكر بلاء بعد مقتل الحسين يومين ، ثم آذن في الناس بالرحيل ، وحملت الرؤوس على أطراف الرماح ، وكانت اثنين وسبعين رأسا ، جاءت هوازن منها باثنين وعشرين رأسا ، وجاءت تميم بسبعة عشر رأسا مع الحصين بن نمير ، وجاءت كندة بثلاثة عشر رأسا مع قيس بن الأشعث ، وجاءت بنو أسد بستة رؤوس مع هلال الأعور ، وجاءت الأزدي بخمس رؤوس مع عيثة بن زهير ، وجاءت ثقيف باثني عشر رأسا مع الوليد بن عمرو .
وأمر عمر بن سعد بحمل نساء الحسين وأخواته وبناته وجواريه وحشمه في المحامل المستورة على الإبل . وكانت بين وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم وبين قتل الحسين خمسون عاما .
قالوا : ولما أدخل رأس الحسين عليه السلام على ابن زياد فوضع بين يديه جعل ابن زياد ينكت بالخيزرانة ثنايا (٢) الحسين ، وعنده زيد بن أرقم ، صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال له :

(١) من قرى المدينة على ثلاثة أميال منها . وهي قرية من ذات عرق .

(٢) ثنايا الإنسان في فم الأربع التي في مقدم فيه ، ثنتان من فوق وثنان من أسفل .

« مَهْ ، ارفع قضيبك عن هذه الثنايا ، فلقد رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يلثمها » .

ثم خنقته المبرة ، فبكى .

فقال له ابن زياد : « مِمَّ تبكى ؟ أبكى الله عينيك ، والله لولا أنك شيخ قد خرفت لضربت عنقك » .

قالوا : وكانت الرؤوس قد تقدم بها شمر بن ذى الجوشن أمام عمر بن سعد .
قالوا : واجتمع أهل الغاصرية فدفنوا أجساد القوم .

وروى عن محمد بن مسلم قال : كان عمر بن سعد لى صديقا ، فأتيته عند منصرفه من قتال الحسين ، فسألته عن حاله ، فقال : « لا تسأل عن حالى ، فإنه ما رجع غائب إلى منزله بشر مما رجعتُ به ، قطعت القرابة القرية ، وارتكبتُ الأمر العظيم » .

قالوا : ثم إن ابن زياد جهز على بن الحسين ومن كان معه من الحرَم ، ووجه بهم إلى يزيد بن معاوية مع زحر بن قيس ومحقن بن ثعلبة ، وشمر بن ذى الجوشن . فساروا حتى قدموا الشام ، ودخلوا على يزيد بن معاوية بمدينة دمشق ، وأدخل معهم رأس الحسين ، فرمى بين يديه .

ثم تكلم شمر بن ذى الجوشن ، فقال :

« يا أمير المؤمنين ، ورد علينا هذا فى ثمانية عشر رجلا من أهل بيته ، وستين رجلا من شيعته ، فصرنا إليهم ، فسألناهم النزول على حكم أميرنا عبيد الله بن زياد ، أو القتال ، فعدونا عليهم عند شروق الشمس ، فأحطنا بهم من كل جانب ، فلما أخذت السيوف منهم مأخذها جعلوا يلوذون إلى غير وَزَر^(١) ، لَوَذَانَ الحمام من الصقور ، فما كان إلا مقدار جَزَر^(٢) جَزُوز ، أو نوم قاتل^(٣) حتى أتينا على آخرهم ، فهاتيك

(١) ملجأ . (٢) ذبح ناقة .

(٣) القيلولة : النوم فى الظهيرة والقائلة نصف النهار .

أجسادهم مجرّدة ، وثيابهم مُرمّلة ، وخدودهم مُعفّرة ، تسفى عليهم الرياح ، زوّارهم
المقبان ^(١) ، ووفودهم الرّخم ^(٢) .

فلما سمع ذلك يزيد دمت عينه وقال :

« ويحكم ، قد كنت أَرْضَى من طاعتكم بدون قتل الحسين ، لعن الله ابن مرجان ،
أما والله لو كنت صاحبه لعفوت عنه ، رحم الله أبا عبد الله » .

ثم تمثّل :

نُفْلِقُ هَامًا مِنْ رِجَالٍ أَعِزَّةٍ عَلَيْنَا ، وَهُمْ كَانُوا أَعَقَّ وَأُظْلَمًا

ثم أمر بالذّرية فأدخلوا دار نسائه .

وكان يزيد إذا حضر غذاؤه دعا علىّ بن الحسين وأخاه عمر فيأكلان معه ، فقال
ذات يوم لعمر بن الحسين :

« هل تصارع ابني هذا ؟ » يعنى خالدًا ، وكان من أقرانه .

فقال عمر : بل اعطنى سيفًا ، واعطه سيفًا حتى أقاتله ، فتنظر أيّنا أُصبر .

فضمّه يزيد إليه ، وقال : « شِنْشِنَة أعرفها من أخزم ^(٣) ، هَلْ تَلِدُ الْحَيَّةُ

إِلَّا حَيَّةً » .

قال : ثم أمر بتجهيزهم بأحسن جهاز ، وقال لعلّى بن الحسين : « انطلق مع
نسائك حتى تبلغهنّ وطنهنّ » .

ووجه معه رجلا في ثلاثين فارسا ، يسير أمامهم ، وينزل حَجَرَةً عنهم ، حتى
انتهى بهم إلى المدينة .

(١) المقبان : عتاق الطير وسباعه التي لا تصيد الحشاش .

(٢) نوع من الطير موصوف بالغدر .

(٣) الشنشة : الطبيعة والسجية ، وأخزم كان ولدا عاقا لأبيه ، فأت وترك بنين عقسوا جدّه
وضربوه وأدموه ، فقال إنما هو شنشة أعرفها من أخزم ، فصار مثلاً .

قالوا : وإن عُبيد الله بن الحرّ ندم على تركه إجابة الحسين حين دعاه بقصر
بنى مقاتل إلى نصرته ، وقال :

فِيَا لَكَ حَسْرَةً مَا دُمْتُ حَيًّا تَرَدَّدُ بَيْنَ حَلْقِي وَالتَّرَاقِي
حُسَيْنٌ حِينَ يَطْلُبُ بَذَلَ نَصْرِي عَلَى أَهْلِ الْمَدَاوَةِ وَالشُّقَاقِ
فَمَا أُنْسَى غَدَاةَ يَقُولُ حُزْنًا أَتَتْرُكُنِي وَتُزِمُّعُ لَا نَظِيقَ ؟
فَلَوْ فَلَقَ التَّلَهُّفُ قَلْبَ حَيٍّ لَهُمَّ الْقَلْبُ مِنِّي بِانْفِلاقِ

ثم مضى نحو أرض الجبل مُغاضِبًا لابن زياد ، واتبعه أناس من صماليك
الكوفة .

[عبد الله بن الزبير]

قالوا : وإن ابن الزبير لما سار إلى مكة وخرج الحسين عنها سائرًا إلى الكوفة
كان يقول : « إني في الطاعة ، غير أني لا أبايع أحدا ، وأنا مستجير بالبيت الحرام » .
فبعث إليه يزيد بن معاوية رجلا في عشرة نفر من حرسه ، وقال :
« انطلق ، فانظر ما عنده ، فإن كان في الطاعة نخذه بالبيعة ، وإن أبي فضع في
عنقه جامعة ^(١) واتنني به » .

فلما قدم الحرس عليه ، وأخبره بما أتاه فيه تمثل ابن الزبير :
مَا إِنْ أَلَيْنُ لِمَيْرِ الْحَقِّ أَسْأَلُهُ حَتَّى يَلِينَ لِفِرْسِ الْمَاضِعِ الْحَجَرِ
وقال للحرس : « انصرف إلى صاحبك ، فأعلمه أنني لا أجيبه إلى شيء مما
يسألني » .

قال الحرس : أأست في الطاعة ؟
قال : بلى ، غير أني لا أمكنك من نفسي ، ولا أكاد .
فانصرف الحرس إلى يزيد ، فأخبره بذلك .

(١) الجامعة : الفل لأنها تجمع اليدين إلى العنق .

فوجه يزيد بعشرة نفر من أشرف أهل الشام ، فيهم النعمان بن بشير ،
وعبد الله بن عَصَاة الأشعريّ - وكان له صلاح - ، ومسلم بن عقبة - لعنه الله -
فقال لهم :

«انطلقوا ، فأعيدوه إلى الطاعة والجماعة وأعلموه ، أن أحب الأمور إلى ما فيه
السلامة » .

فساروا حتى وافوا مكة ، ودخلوا على ابن الزبير في المسجد ، فدعوه إلى الطاعة
وسألوه البيعة .

فقال ابن الزبير لابن عَصَاة :

- أتستحل قتال في هذا الحرم ؟

قال : نعم ، إن أنت لم تجب إلى طاعة أمير المؤمنين .

قال ابن الزبير : وتستحلّ قتل هذه الحمامة ؟ وأشار إلى حمامة من حمام المسجد .

فأخذ ابن عَصَاة قَوْسَهُ ، وفَوَّقَ فيها سَهْمًا ، فَبَوَّأَهُ^(١) نحو الحمامة ، ثم قال :

يا حمامة ، أتمصين أمير المؤمنين ؟

والتفت إلى ابن الزبير ، وقال : « أما لو أنها قالت نعم لقتلتها » .

وأن ابن الزبير خَلَا بنعمان بن بشير ، فقال : أنشدك الله ، أنا أفضل عندك
أم يزيد ؟

فقال : بل أنت .

فقال : فوالدي خَيْرٌ أم والده ؟

قال : بل والدك .

قال : فأُمِّي خَيْرٌ أم أمّه ؟

قال : بل أمك .

قال : فخالتي خَيْرٌ أم خالته ؟

قال : بل خالتك .

(١) سدده نحو الحمامة .

قال : فعمتي خير أم عمته ؟

قال : بل عمتك ؛ أبوك الزبير ، وأمك أسماء ابنة أبي بكر ، وخالتك عائشة ، وعمتك خديجة بنت خويلد .

قال : أقتشير على مبايعة يزيد ؟

قال النعمان : « أما إذا استشرتني فلا أرى لك ذلك ، ولست بعائد إليك بعد هذا أبدا » .

ثم إن القوم انصرفوا إلى الشام ، فأعلموا يزيد أن ابن الزبير لم يجب إلى شيء .
قال مسلم بن عقبة المُرِّي ليزيد : « يا أمير المؤمنين ، إن ابن الزبير خلا بالنعمان ابن بشير ، فكلمه بشيء ، لم ندر ماهو ، وقد انصرف إليك بغير رأيه الذي خرج من عندك » .

ولما انصرف القوم من عند ابن الزبير جمع ابن الزبير إليه وجوه أهل تهامة والحجاز ، فدعاهم إلى بيعته ، فبايعوه جميعا ، وامتنع عليه عبد الله بن عباس ، ومحمد بن الحنفية .

وأن ابن الزبير أمر بطرد عمال يزيد من مكة والمدينة ، وارتحل مروان من المدينة بولده وأهل بيته حتى لحق بالشام .

ولما انتهى إلى يزيد بن معاوية مبايعة أهل تهامة والحجاز لعبد الله بن الزبير ندب له الحصين بن نمير السَّكُونِيّ ، وحُبَيْش بن دُلْجَةَ القَيْنِيّ ، ورواح بن زنباع الجُدَامِيّ ، وضم إلى كل واحد منهما جيشا ، واستعمل عليهم جميعا مسلم بن عقبة المُرِّيّ ، وجعله أمير الأمراء ، وشيئهم حتى بلغ ماء ، يقال له « وبرة » ، وهي أقرب مياه الشام إلى الحجاز .

فلما ودعهم قال يا مسلم :

« لا تردن أهل الشام عن شيء يريدونه بعدوهم ، واجعل طريقك إلى المدينة ، فإن حاربوك فخاربهم ، فإن ظفرت بهم ، فانهبها ثلاثة أيام » .
ثم أنشأ يقول :

أُبْلِغَ أَبَا بَكْرٍ إِذَا الْخَيْلُ أَنْبَرَى وَسَارَتْ الْخَيْلُ إِلَى وَادِي الْقُرَى ^(١)
أَجْمَعَ سَكَرَانَ مِنَ الْخَمْرِ تَرَى
وذلك أن ابن الزبير كان يسمي يزيد « السكران » .

ولما بلغ أهل المدينة وصول الجيش تأهبوا للحرب ، فولت قريش عليها عبد الله
ابن مطيع المدوي ، وولت الأنصار عليها عبد الله بن حنظلة الراهب - وهو غسيل
الملائكة - ثم خرجوا إلى الحرّة ، فمكروا بها .
ففي ذلك يقول شاعرهم :

إِنَّ فِي الْخَنْدَقِ الْمَكَلَّلِ بِالْجُودِ كَضَرْبًا يَفُورُ بِالسَّنَوَاتِ
لَسْتُ مِنَّا ، وَلَيْسَ خَالِكٌ مِنَّا يَأْمُضِيعُ الصَّلَاةَ لِلشَّهَوَاتِ
ووافاهم الجيش ، فقاتلوه حتى كثرت القتلى .

وأقبلت طائفة من أهل الشام ، فدخلوا المدينة من قبل بني حارثة ، وهم الذين
قالوا « إِنَّ بِيوتَنَا عَوْرَةٌ » ^(٢) ، فلم يشعر القوم ، وهم يقاتلون من يليهم ، إلا وأهل الشام
يضربونهم من أذبارهم ، فقتل عبد الله بن حنظلة أمير الأنصار ، وقتل عمرو بن حزم
الأنصاري قاضي المدينة ، واستباح أهل الشام المدينة ثلاثة أيام بلياليها .

فلما كان اليوم الرابع جلس مسلم بن عقبة ، فدعاهم إلى البيعة ، فكان أول من
آتاه يزيد بن عبد الله بن ربيعة بن الأسود ، وجدته أم سلمة زوج النبي صلى الله عليه وسلم .
فقال له مسلم : « بايعني » .

قال : « أبايك على كتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم » .

فقال مسلم « بل بايع على أنكم في » لأمر المؤمنين ، يفعل في أموالكم
وذرائعكم ما يشاء » .

فأبى أن يبايع على ذلك ، فأمر به ، فضربت عنقه .

(١) وادي مكة .

(٢) سورة الأحزاب الآية رقم ١٣ .

ثم تقدم محمد بن أبي الجهم بن حذيفة العدوي ، فقال له مسلم :
« أنت الذي وفدت على أمير المؤمنين ، فأكرمك وحباك ، فرجعت إلى المدينة
تشهد عليه بشرب الخمر ، والله لا تشهد بشهادة زور أبدا ، اضربوا عنقه » .
فضربت عنقه .

ثم تقدم معقل بن سنان الأشجعي ، وكان حليفا لبني هاشم ، فقال له مسلم :
« أتذكر يوما مررت بي بطبرية^(١) ، فقلت لك ، من أين أقبلت؟ فقلت ، سرنا
شهرآ ، وأنضينا ظهرا ، ورجعنا صيفرا ، وسنأتى المدينة فنخلع الفاسق يزيد بن معاوية ،
ونبايع رجلا من أولاد المهاجرين ؟

فاعلم إنى كنت آليت ذلك اليوم ألا أقدر عليك في موطن يمكنني فيه قتلك إلا قتلتك ،
وقد أمكنني الله منك يا أحمق ، ما أشجع والخلافة ؟! فتعزل وتولى ؟ اضربوا عنقه » .

ثم تقدم عمرو بن عثمان ، فقال له :
« أنت الخبيث ابن الطيب ، الذي إذا ظهر أهل الشام قلت أنا ابن عثمان بن عفان ،
وإذا ظهر أهل الحجاز قلت أنا واحد منكم ، وأنت في ذلك تبغى أمير المؤمنين
الغوائل ؟ انتفوه » .

فنتفت لحيته ، حتى ما تركت فيها شمرة .
فقام إليه عبد الملك بن مروان ، فاستوهبه ، فوهبه له .
ثم أتاه على بن الحسين بن علي بن أبي طالب ، فأجلسه معه على ثيابه وفراشه ،
وقال :

— إن أمير المؤمنين قد أوصاني بك .
فقال على : « إنى كنت لِمَا فعل أهل المدينة كارها » .
قال : « أجل » .

ثم حمّله على بغلة ، وصرفه إلى منزله .

(١) بلد مطل على البحيرة المعروفة بها ، في الإقليم الشمالي من الجمهورية العربية المتحدة ، وهي
مستطيلة ، تنتهي إلى جبل صغير ، عنده آخر العمارة ، وفيها عيون ملحة حارة ، قد بنيت عليها حمامات .

وبعث إلى علي بن عبد الله بن عباس ليؤتي به البيعة ، فأخرج من منزله ،
فأقبلوا به .

فلقيه الحصين بن نمير ، فانتزعه من يد الجلادزة^(١) .
وكان الحصين من أخوال علي بن عبد الله .

فقال مسلم : « إني إنما بعثت إليه للبيعة ، فأنتني به » .
فأرسل إليه الحصين ، فجاء حتى بايع .

وأرسلت بنت الأشعث بن قيس ، وكانت امرأة الحسين بن علي ، إلى مسلم
ابن عقبة تعلمه أن منزلها انتهب ، فأمر برد جميع ما أخذ لها .

ثم شخص بالجيش إلى مكة ، وكتب إلى يزيد بما صنع بالمدينة ، فتمثل يزيد .

لَيْتَ أَشْيَاخِي بَيِّدُوا شَهْدُوا جَزَعَ الْخَزْرَجِ مِنْ وَقَعِ الْأَسْلُ
حِينَ حَكَّتْ بِقَبَاءِ بَرِّ كَهَا وَاسْتَحَرَّ الْقَتْلُ فِي عَبْدِ الْأَسْلُ

فلما بلغ ابن عقبة هرشي^(٣) اعتل ، واشتدت علته ، ونزل به الموت ، فقال :

اسندوني . فأسند ؛ فقال :

« إن أمير المؤمنين أمرني إن حدث بي في وجهي هذا حدث أن أستخلف الحصين

ابن نمير على الجيش ، ولو كان الأمر إلى ما استخلفته ، لأن من شأن اليمانية الرقة ،
غير أني لا أعصى أمير المؤمنين » .

ثم قال : « يا حصين ، إذا وافيت مكة فناجز ابن الزبير الحرب من يومك ، ولا

ترد أهل الشام عن شيء يريدونه بعدوهم ، ولا تجعل أذنك وعاء لقريش فيخدعوك » .
ثم مات ، وكانت به الذئبة .

فتولى أمر الجيش الحصين بن نمير ، فسار حتى وافى مكة .

وتحصن منه ابن الزبير في المسجد الحرام في جميع من كان معه ، ونصب

(١) جمع جلواز بالكسر ، وهم الشرطة .

(٢) الرماح . (٣) هرشي : ثنية في طريق مكة قريبة من الجحفة .

الحُصَيْنِ الجَارِيقِ عَلَى جَبَلِ أَبِي قُبَيْسٍ^(١) ، وَكَانُوا يَرْمُونَ أَهْلَ الْمَسْجِدِ .

فَبَيْنَا هُمْ كَذَلِكَ إِذْ وَرَدَ عَلَى الْحُصَيْنِ بْنِ نُسَيْرٍ مَوْتُ يُزَيْدِ بْنِ مَعَاوِيَةَ ، فَأَرْسَلَ إِلَى عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الزَّيْبِرِ : « أَنْ الَّذِي وَجَّهْنَا لِمُحَارَبَتِكَ قَدْ هَلَكَ ، فَهَلْ لَكَ فِي الْمُوَادَعَةِ ؟ وَتَفْتَحَ لَنَا الْأَبْوَابَ ، فَتَطُوفُ بِالْبَيْتِ ، وَتُخْتَلِطُ النَّاسَ بِمَعْضِهِمْ بَعْضٌ » .
فَقَبِلَ ذَلِكَ ابْنُ الزَّيْبِرِ ، وَأَمَرَ بِأَبْوَابِ الْمَسْجِدِ ، فَفُتِّحَتْ ، فَجَمَعَ الْحُصَيْنِ وَأَصْحَابَهُ يَطُوفُونَ بِالْبَيْتِ .

فَبَيْنَا الْحُصَيْنِ يَطُوفُ بَعْدَ الْمَشَاءِ إِذْ اسْتَقْبَلَهُ ابْنُ الزَّيْبِرِ ، فَأَخَذَ الْحُصَيْنِ بِيَدِهِ ، فَقَالَ لَهُ سِرًّا :

١٠ - هَلْ لَكَ فِي الْخُرُوجِ مَعِيَ إِلَى الشَّامِ ؟ فَأَدْعُو النَّاسَ إِلَى بَيْعَتِكَ ، فَإِنَّ أَمْرَهُمْ قَدْ مَرَجَ^(٢) ، وَلَا أَرَى أَحَدًا أَحَقَّ بِهَا الْيَوْمَ مِنْكَ ، وَلَسْتُ أُعْصِي هُنَاكَ .

فَاجْتَذَبَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الزَّيْبِرِ يَدَهُ مِنْ يَدِهِ ، وَقَالَ ، وَهُوَ يَجْهَرُ بِقَوْلِهِ : « دُونَ أَنْ أَقْتُلَ بِكُلِّ رَجُلٍ مِنْ أَهْلِ الْحِجَازِ عَشْرَةَ مِنْ أَهْلِ الشَّامِ » .

فَقَالَ الْحُصَيْنُ : لَقَدْ كَذَبَ مَنْ زَعَمَ أَنَّكَ مِنْ دُهَاةِ الْعَرَبِ ، أَكَلَمَكَ سِرًّا ، وَتَكَلَّمَنِي عَلَانِيَةً ، وَأَدْعُوكَ إِلَى الْخِلَافَةِ وَتَدْعُونِي إِلَى الْحَرْبِ .
١٥

ثُمَّ انْصَرَفَ فِي أَصْحَابِهِ إِلَى الشَّامِ ، وَمَرَّ بِالْمَدِينَةِ ، فَبَلَغَهُ أَنَّهُمْ عَلَى مُحَارَبَتِهِ ثَانِيًا . فَجَمَعَ إِلَيْهِ أَهْلَهَا ، وَقَالَ : « مَا هَذَا الَّذِي بَلَغَنِي عَنْكُمْ ؟ » فَاعْتَذَرُوا إِلَيْهِ ، وَقَالُوا : « مَا هَمَمْنَا بِذَلِكَ » .

وَذَكَرَ أَبُو هُرَيْرَةَ الْعَبْدِيُّ ، قَالَ : رَأَيْتُ أَبَا سَعِيدٍ الْخُدْرِيَّ ، وَلَحِيَّتَهُ بَيَاضًا ، وَقَدْ خَفَّ جَانِبَاهَا ، وَبَقِيَ وَسْطُهَا ، فَقُلْتُ : « يَا أَبَا سَعِيدٍ ، مَا حَالُ لَحِيَّتِكَ ؟ »
٢٠

(١) الْجَبَلُ الْمُشْرِفُ عَلَى مَكَّةَ مِنْ غَرْبِهَا ، وَكَانَ يُسَمَّى فِي الْجَاهِلِيَّةِ « الْأَمِينِ » لِأَنَّهُ اسْتَوْدَعَ فِيهِ الْحَجَرَ الْأَسْوَدَ .
(٢) اخْتَلَطَ وَفَسَدَ .

فقال : « هذا فَعَلَ ظَلَمَةُ أَهْلِ الشَّامِ يَوْمَ الْحَرَّةِ ، دَخَلُوا عَلَى بَيْتِي ، فَانْتَهَبُوا مَا فِيهِ حَتَّى أَخَذُوا قَدَحِي الَّذِي كُنْتُ أَشْرَبُ فِيهِ الْمَاءَ ، ثُمَّ خَرَجُوا ، وَدَخَلَ عَلَى بَعْدِهِمْ عَشْرَةُ نَفَرٍ ، وَأَنَا قَائِمٌ أَصَلِّي ، فَطَلَبُوا الْبَيْتَ ، فَلَمْ يَجِدُوا فِيهِ شَيْئًا ، فَاسْتَفَوْا لَدُنْكَ ، فَاحْتَمَلُونِي مِنْ مُصَلَّيٍّ ، وَضَرَبُوا بِي الْأَرْضَ ، وَأَقْبَلَ كُلُّ رَجُلٍ مِنْهُمْ عَلَى مَا يَلِيهِ مِنْ لَحِيَّتِي ، فَتَنَفَّهُ ، فَتَرَى مِنْهَا خَفِيفًا فَهُوَ مَوْضِعُ النَّتْفِ ، وَمَا تَرَاهُ عَافِيًا فَهُوَ مَا وَقَعَ فِي التَّرَابِ ، فَلَمْ يَصِلُوا إِلَيْهَا ، وَسَادَّعُهَا كَمَا تَرَى حَتَّى أُؤَافِيَ بِهَا رَبِّي . »

[الحوارج]

قالوا : وفي سنة ثمانين تفاقم أمر الأزارقة الحوارج ؛ وإنما سُمُّوا أزارقة برئيسهم نافع بن الأزرق .

١٠

وكان أول خروجهم في أربعين رجلا ، وفيهم من عظمائهم نافع بن الأزرق ، وعطيّة بن الأسود ، وعبد الله بن صَبَّار ، وعبد الله بن إِبَاض ، وحنظلة بن بَيْهَس ، وعُبَيْد الله بن مَاحُوز ، وذلك في سلطان يزيد .

وعلى البصرة يومئذ عبید الله بن زياد ، فوجه إليهم عبید الله أسلم بن ربيعة في ألفي فارس ، فلحقهم بقرية من الأهواز تدعى « آسك » (١) مما يلي فارس ، فواقهم ، فقتلت الحوارج من أصحاب ابن ربيعة خمسين رجلا ، فانهزم أسلم ؛ فأنشأ رجل من الحوارج يقول :

أَلَفْنَا مُؤْمِنِينَ مِنْكُمْ زَعَمْتُمْ وَيَهْزِمُكُمْ بِأَسْكَ أَرَبَعُونَ؟
كَذَبْتُمْ ، لَيْسَ ذَاكَ كَمَا زَعَمْتُمْ وَلَكِنَّ الْخَوَارِجَ مُؤْمِنُونَ
هُمْ الْفِئَةُ الْقَلِيلَةُ قَدْ عَلِمْتُمْ عَلَى الْفِئَةِ الْكَثِيرَةِ يُنْصَرُونَ
أَطَعْتُمْ أَمْرَ جَبَّارٍ عَنِيدٍ وَمَا مِنْ طَاعَةٍ لِلظَّالِمِينَ

٢٠

(٢) بلد من نواحي الأهواز ، قرب أَرَجَان .

فاغتاظ ابن زياد من ذلك ، فكان لا يدع بالبصرة أحدا ممن يتهم برأى الخوارج إلا قتله ، حتى قتل بالتهمة والظنة تسعمائة رجل .

ولم يزل يتفاقم أمر الخوارج ، ويتحلب إليهم من كان على رأيهم وهوام من أهل البصرة حتى كثروا بعد موت يزيد ، وهرب عبيد الله بن زياد من العراق . وخاف أهل البصرة الخوارج على أنفسهم ، ولم يكن يومئذ عليهم سلطان ، فاجتمعوا على مسلم بن عبيس القرشي ، ووجهوا معه خمسة آلاف فارس من أبطال البصرة ، فسار إليهم ، فلحقهم بمكان يسمى « الدولاب » ^(١) فالتقوا واقتتلوا ، وصبر بعضهم لبعض ، حتى تكسرت الرماح وتقطعت السيوف ، وصاروا إلى المكادمة ، فقتل مسلم بن عبيس ، وانهزم أصحابه .

فقال رجل من الأزد :

قَدْ رَمَيْنَا الْعَدُوَّ إِذْ عَظُمَ الْخَطُّ بُ بِذِي الْجُودِ مُسْلِمُ بْنُ عُبَيْسٍ
فَانْظُرُوا غَيْرَ مُسْلِمِ بْنِ عُبَيْسٍ فَاطْلُبُوهُ مِنْ حَيْثُ أَيْنَ وَلَيْسَ ^(٢)
لَوْ رُمُوا بِالْمُهْلَبِ بْنِ أَبِي صُفٍّ رَةً كَانُوا لَهُ كَأَسْكَلَةٍ حَيْسٍ ^(٣)

وكان المهلب يومئذ بخراسان على ولايتها .

نفخاف أهل البصرة حين قُتِلَ مُسْلِمُ بْنُ عُبَيْسٍ خوفاً شديداً من الخوارج ، فاختاروا عثمان بن معمر القرشي ، وانتدب معه زهاء عشرة آلاف رجل من أبطالهم ، فسار بهم عثمان في طلب الخوارج ، فلحقهم بفارس ، فاقتتلوا ، فقتل عثمان ، وانهزم أصحابه .

فكتب أهل البصرة إلى عبد الله بن الزبير يعلمونه أنه لا إمام لهم ، ويسألونه أن يوجه إليهم رجلا من قبله يتولى الأمر .

(١) من قرى الرى . (٢) أى من حيث هو ولا هو .

(٣) الحيس تمر يخلط بسمن ويخض غنم ، فيعجن شديدا ، ثم يندر منه نواه .

فوجه إليهم الحارث بن عبد الله بن أبي ربيعة المخزومي ، فقدم البصرة ، وتولى
الأمر بها ، فدعا وجوه أهل البصرة ، فاستشارهم في رجل يوليه حرب الخوارج ،
فكلهم قالوا : « عليك بالمهلب بن أبي صفرة » .

وقام رجل من أهل البصرة يُعرف بابن عرادة ، فأنشده :

- مَضَى ابْنُ عُبَيْسٍ مُسْلِمٌ لِسَبِيلِهِ قَامَ لَهَا الشَّيْخُ الْحِجَازِيُّ عُثْمَانُ ٥
فَارْعَدَ مِنْ قَبْلِ اللَّقَاءِ ابْنُ مَعْمَرٍ وَأَبْرَقَ ، وَالْبَرَقُ الْحِجَازِيُّ خَوَّانُ
وَلَمْ يُنْكِ عُثْمَانُ جَنَاحَ بَعُوضَةٍ وَأَضْحَى عَدُوَّ الدِّينِ مِثْلَ الَّذِي كَانُوا
وَلَيْسَ لَهَا إِلَّا الْمُهَلَّبُ إِنَّهُ مَلَى بِأَمْرِ الْحَرْبِ ، شَيْخٌ لَهُ شَانُ
إِذَا قِيلَ مَنْ يَحْمِي الْمِرَاقِينَ أَوْمَاتُ إِلَيْهِ مَعْدٌ ، إِلَّا كُفَّ ، وَقَحْطَانُ
فَذَاكَ امْرُؤٌ إِنْ يَلْقَهُمْ يُطْفِئُ نَارَهُمْ وَلَيْسَ لَهَا إِلَّا الْمُهَلَّبُ إِنْسَانُ ١٠

[حرب المهلب مع الخوارج]

فقال الأخنف بن قيس للحارث بن عبد الله : أيها الأمير ، اكتب إلى
أمير المؤمنين عبد الله بن الزبير ، وسله أن يكتب إلى المهلب بأن يخلف على خراسان
رجلا ، ويسير إلى الخوارج ، فيتولى محاربتهم . فكتب .

- ١٥ فلما انتهى كتابه إلى عبد الله بن الزبير كتب إلى المهلب :

« بسم الله الرحمن الرحيم ، من عبد الله عبد الله أمير المؤمنين إلى المهلب بن
أبي صفرة ؛ أما بعد ، فإن الحارث بن عبد الله كتب إلي يخبرني أن الأزارقة
المارقة قد سمرت نارها ، وتفاقم أمرها ، فرأيت أن أولئك قتالهم لما رجوت
من قيامك ، فتكفي أهل مضرك شرهم ، وتؤمن روعتهم ، نخلف بخراسان
من يقوم مقامك من أهل بيتك ، وسر حتى توافي البصرة ، فتستعد منها بأفضل
عُدَّتِكَ ، وتخرج إليهم ، فإني أرجو أن ينصرك الله عليهم ، والسلام » .

فلما وصل كتابه إلى المهلب خلف على خراسان .

وأقبل حتى وافي البصرة ، فصعد على المنبر ، وكان نزر الكلام وجيزه ،
فقال :

«أيها الناس ، إنه قد غشيتكم عدو جاحد ، يسفك دماءكم ، وينتهب أموالكم ،
فإن أعطيتموني خيالا أسألكموها قت لكم بحربهم ، واستعنت بالله عليهم ،
وإلا كنت كواحد منكم لمن تجتمعون عليه في أمركم » .

قالوا : وما الذي تريد ؟

قال : أنتخب منكم أوساطكم ، لا الغني الثقل ، ولا الشبروت^(١)
المخيف ، وعلى أن لي ما غلبت عليه من الأرض ، وألا أخالف فيما أدبر من رأيي
في حربهم ، وأترك ورأي الذي أراه ، وتديري الذي أدبره .

فناداه الناس : لك ذلك ، وقد رضىنا به .

فزل من المنبر ، وأتى منزله ، وأمر بديوان الجند ، فأخضر ، فانتخب
من أبطال أهل البصرة عشرين ألف رجل ، فيهم من الأزدي ثمانية آلاف رجل ،
وبقيتهم من سائر العرب ؛ وولى ابنه المغيرة مقدمته في ثلاثة آلاف رجل .

وسار حتى أتى الخوارج ، وهم « بنهر تستر »^(٢) ، فواقمهم ، فهزمهم ،

حتى بلغوا الأهواز ، فقال زياد الأعجم في ذلك :

جَزَى اللهُ خَيْرًا ، وَالْجَزَاءُ بِكَفِّهِ أَخَا الْأَزْدِ عَنَّا مَا أَذَبَ وَأُخْرَبَا
وَلَمَّا رَأَيْنَا الْأَمْرَ قَدْ جَدَّ جِدُّهُ وَأَلَّا تُوَارِي دُونَنَا الشَّمْسُ كَوْكَبَا
دَعَوْنَا أَبَا غَسَّانَ ، فَاسْتَكَّ سَمْعُهُ وَأُحْنَفَ طَاطَا رَأْسَهُ ، وَتَهَيَّبَا
وَكَانَ ابْنُ مَنْجُوفٍ لِكُلِّ عَظِيمَةٍ فَقَصَّرَ عَنْهَا حَبْلَهُ وَتَذَبَّدَا
فَلَمَّا رَأَيْنَا الْقَوْمَ قَدْ كَلَّ حَدُّهُمْ لَدَى حَرَبِهِمْ فِيهَا دَعَوْنَا الْمُهَلَّبَا

(١) الفقير .

(٢) أعظم أنهار خوزستان ، بنى عليه سابور الملك شاذروان بياست ، حتى ارتفع ماؤه
إلى المدينة ، لأن تستر على مكان مرتفع من الأرض ، وهذا الشاذروان كان من عجائب الأبنية ،
طوله ميل ، مبنى بالحجارة المحكمة ، والصخر وأعمدة الحديد .

وأقام المهلب بالجسر بعد أن هزم الخوارج أربعين يوما ، ثم ارتحل سائرا
في آثارهم .

فبلغ ذلك نافع بن الأزرق ، فأقام بالأهواز حتى وافاه المهلب ، فواقمهم بمكان
يسمى « يسلي »^(١) ، فقاتلهم يوما إلى الليل ، وأصابته ضربة في وجهه ، أغمى
عليه منها ؛ فقال الناس « قتل الأمير » ، فازدادوا لذلك حنقا وجدا ، وقتلوا
من الخوارج بشرا كثيرا ، وقتل رئيسهم نافع بن الأزرق ، وانهزمت الخوارج
نحو فارس .

وبلغ أهل البصرة أن المهلب قتل ، فرج المصرب بأهله ، وهم أميرهم الحارث
ابن أبي ربيعة أن يهرب ، فكتب إليه رجل من بني يشكر :

أيا حار ، يا ابن السادة الصييد ، هب لنا
فإن كان أودى بالمهلب يومه
وما لك من بعد المهلب عرجة
فدونك ، فالحق بالحيجاز ، ولا تقيم
وإن كان حيا كنت بالمصير آمنا
ومما لك بالمصيرين سمع ولا بصير
يبلدتنا ، إن المقام بها خطر
وكان بقاء المرء فينا هو الظفر

وقال رجل من بني سعد :

ألا كل ما يأتي من الأمر هين
فإن بك قد أودى فما نحن بعده
نعوذ بمن أرسى ثيبا مكانه
من الخبر الملقى على الحور خدرها
علمنا يسير عند قد المهلب
بأمنع من شاء يحاف لأذوب^(٢)
ومرسي حراء والقديد وكبكب^(٣)
ويشجى به ما بين بصرى ويثرب

(١) موضع بالأهواز قرب منادر .

(٢) جمع ذئب . (٣) الكبكب كجعفر جبل بمرقات خلف ظهر الإمام إذا وقف .

فأقبل البشير إلى أهل البصرة بسلامة المهلب ، فاستبشروا بذلك ، واطمأنوا ،
وأقام أميرها بعد أن همّ بالهرب .

فقال رجل من بني ضبّة :

إِنَّ رَبًّا أَنْجَى الْمُهَلَّبَ ذَا الطَّوِّ لِ لِ أَهْلٍ أَنْ تَحْمَدُوهُ كَثِيرًا
لَا يَزَالُ الْمُهَلَّبُ بْنُ أَبِي صَفْ رة مَا عَاشَ بِالْعِرَاقِ أَمِيرًا
فَإِذَا مَاتَ فَالْجَالُ نِسَاءً مَا يُسَاوِي مِنْ بَعْدِهِ قَطْمِيرًا^(١)
قَدْ أَمِنَّا بِكَ الْعَدُوَّ عَلَى الْمِصْ وَوَقَرْتَ مِنْبَرًا وَسِرِيرًا

وقال رجل من الخوارج في قتل نافع بن الأزرق :

شِمَتَ الْمُهَلَّبُ ، وَالْحَوَادِثُ جَمَّةٌ وَالشَّامِتُونَ بِنَافِعِ بْنِ الْأَزْرَقِ
إِنْ مَاتَ غَيْرَ مُدَاهِنٍ فِي دِينِهِ وَمَتَى يَمُرُّ بِذِكْرِ نَارٍ يَصْمَقُ
وَالْمَوْتُ أَمْرٌ لَا مَحَالَةَ وَاقِعٌ مَنْ لَا يُصَبِّحُهُ نَهَارًا يَطْرُقُ
فَلَنْ مُنِينًا بِالْمُهَلَّبِ إِنَّهُ لِأَخُو الْحُرُوبِ وَلَيْثُ أَهْلِ الْمَشْرِقِ
وَلَعَلَّهُ يَشْجِي بِنَا وَلَعَلَّنَا نَشْجِي بِهِ فِي كُلِّ مَا قَدْ نَلْتَقِي
بِالسُّمْرِ نَخْتِطِفُ النُّفُوسَ ذَوَابِلًا وَبِكُلِّ أَيْبَسَ صَارِمٍ ذِي رَوْنَقِ
فَيُذِيقُنَا فِي حَسْرَتِنَا ، وَنَذِيقُهُ كُلُّ مَقَالَتُهُ لِصَاحِبِهِ ذُقِ

وبلغ عبد الله بن الزبير ما كان من عزم عامله بالبصرة على الهرب ، فعزله ،
وولي أخاه مضعبا ؛ فسار مضعب حتى قدمها ، وتولى أمر جميع المراقين ، وفارس ،
والأهواز .

(١) القطمير شق النواة أو القشرة التي فيها ، أو القشرة الرقيقة بين النواة والثمرة .

ولما قُتل نافع بن الأزرق اجتمعت الخوارج ، فولوا على أنفسهم عبد الله
ابن ماحور^(١) ، وكان من نساء^(٢) كهم .

وبلغ ذلك المهلب ، فسار من الأهواز في طلبهم حتى وافاهم بمدينة « سابور »
من أرض فارس ، فالتقوا ، فاقتتلوا ، وانهزمت الخوارج في آخر النهار حتى انتهوا
إلى مكان يدعى « كركان »^(٣) .

واتبعهم المهلب ، فوافاهم ، فالتقوا به في يوم شديد المطر ، فقاتلهم ، فهزمهم ،
فأخذوا نحو كرمان^(٣) .

فلم يزل المهلب يسير في طلبهم من بلد إلى بلد ، ويواقعهم وقعة بعد وقعة طول
ماملك عبد الله بن الزبير إلى مقتله ، وخلص الأمر لعبد الملك بن مروان .

فلما استهدف الأمر لعبد الملك ، وولى الحجاج المراقين استبطأ المهلب في استئصال
الخوارج ، وظن أنه يهوى مطاوتهم ، فبعث إليه عبد الأعلى بن عبد الله العامري ،
وعبد الرحمن بن سبرة ، وقال لهما « احملاه على مناجرة القوم وترك مطاوتهم » .
فقدما عليه ، فأخبراه بما بمشاله ، فقال لهما :

« أقيمّا حتى نعلمّا ما نحن فيه ، فإن الحجاج أتاه السّماع فقبله ، وأتاه العيان

فرده ، وقد حملني على خلاف الرأي ، وزعم أنه الشاهد وأنا الغائب »

ثم سار نحو الخوارج فلحقهم بإداني أرض كرمان ، فواقعهم . وأمامه ابنه
المفضل ، فقتل رئيس الخوارج عبد الله بن ماحور ، وانهزموا حتى توسطوا أرض
كرمان ، وولوا على أنفسهم رجلا من نساء^(٢) كهم ، يسمى « قطري بن الفجاءة » .
ثم إن المهلب انصرف إلى بلد سابور ، فوافاهم يوم النحر ، ففرج بالناس
إلى المصلى .

(١) في الأصل : ماحوز .

(٢) مدينة مشهورة بين طبرستان وخراسان .

(٣) ولاية مشهورة ، وناحية معبورة ، ذات بلاد وقرى ، ومدن واسعة ، وهي بلاد كثيرة

النخل والزرع ، ومن مدنها المشهورة جيرفت .

فبينما هو يخطب الناس على المنبر ، وقد صلى بهم إذ أقبلت الخوارج ، فقال :
سبحان الله ، أفي مثل هذا اليوم يأتوننا ؟ ما أبغضَ إلى المحاربة فيه ، ولكن
الله تعالى يقول : « الشَّهْرُ الْحَرَامُ بِالشَّهْرِ الْحَرَامِ ، وَالْحُرُمَاتُ قِصَاصٌ ،
فَمَنْ اعْتَدَى عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ » (١) .

ثم نزل عن المنبر ، ونادى في أصحابه ، فركبوا واستلأموا ، واستقبلوا الخوارج ،
فحملت عليهم الخوارج ، وأمامهم عظيم منهم يسمى « عمرو القنا » وكان من فرسانهم ،
وهو يرتجز :

نَحْنُ صَبَحْنَاكُمْ غَدَاةَ النَّحْرِ بِالْخَيْلِ أَمْثَالَ الْوَشِيجِ تَسْرِي (٢)
يَقْدُمُهَا عَمْرُو الْقَنَا فِي الْفَجْرِ إِلَى أَنْاسٍ لَهَجُوا بِالْكَفْرِ
الْيَوْمَ أَقْضَى فِي الْمَدُوِّ نَذْرِي

ثم اقتتلوا ، وصبر بعضهم لبعض ، وكثرت بينهم القتل ، فلم يزل كل فريق
منهما على مكانه حتى حال بينهم الليل ، وانحازت الخوارج إلى كازرون (٣) .

وسار إليهم المهلب فواقعهم بكازرون ، فأسرع المهلب في الخوارج ،
[ففترقوا] (٤) في تلك الوقعة ، وصاروا سيّارة ، وخرجوا إلى تخوم إصطخر ،
واتبعهم المهلب .

فتواقف الفريقان ، وحمل بعضهم على بعض ، وأمام الخوارج رجل يرتجز :
حَتَّى مَتَى يَتَّبِعُنَا الْمُهَلَّبُ لَيْسَ لَنَا فِي الْأَرْضِ مِنْهُ مَهْرَبُ
وَلَا السَّمَاءُ ، أَيْنَ أَيْنَ الْمَذْهَبُ ؟

(١) سورة البقرة الآية : ١٩٤ .

(٢) الوشيج : شجر الرماح .

(٣) مدينة بفارس بين البحر وشيراز ، ويقال إنها هي دمياط الأعاجم ، وكلها قصور وبساتين

ممتدة عن يمن وشمال .

(٤) في الأصل : فرقوا .

فلما سمع قطري ذلك بكى ، ووطن نفسه على الموت ، وبأشَر الحرب بنفسه ،
وهو يرتجز :

حَتَّى مَتَى تُخْطِئُنِي الشَّهَادَةُ وَالْمَوْتُ فِي أُغْنَانِكَ قِلَادَةً
لَيْسَ الْفِرَارُ فِي الْوَعَى بِعَادَةٍ يَا رَبِّ زِدْنِي فِي التَّقَى عِبَادَةً
وَفِي الْحَيَاةِ بَعْدَهَا زَهَادَةً

فاقتتلوا يومهم حتى حال بينهم الليل .
ومضى قطري في أصحابه نحو « جيرفت »^(١) ، وهم بالهرب إلى كرمان ،
فقال رجل من أصحابه :

أَيَا قَطْرِي الْخَيْرُ إِنْ كُنْتَ هَارِبًا سَتُبْسِنَا عَارًا وَأَنْتَ مُهَاجِرُ
إِذَا قِيلَ قَدْ جَاءَ الْمُهَلَّبُ أَسْلَمْتَ لَهُ شَفَتَاكَ الْفَمُ ، وَالْقَلْبُ طَائِرُ
فَحَتَّى مَتَى هَذَا الْفِرَارُ مَخَافَةً وَأَنْتَ وَلِيٌّ ، وَالْمُهَلَّبُ كَافِرُ

ولما رأت الخوارج نكول قطري عن الحرب ، وما هم به من الفرار خلموه
عنهم ، وولّوا « عبد ربه » وكان من نساكهم ، فسار بهم إلى قومس^(٢) ،
فأقام بها .

١٥

[المهلب والحجاج]

وأن الحجاج كتب إلى المهلب :
« أما بعد ، فقد طاولت القوم وطاولوك ، حتى ضرت وابتك وصرنوا على حرّيك ،
ولعمري لو لم تطاولهم لا نحسم الداء وانقصم القرن ، وما أنت والقوم سواء ، إن

(١) مدينة بكرمان ، من أعيان مدنها وأنزلها ، بها نخل وفواكه ، قال سهيل بن عدى :

ولم تر عيني مثل يوم رأيته بجيرفت من كرمان أوهى وأحقرا

(٢) تعريب كومس : كورة كبيرة واسعة ، بها مدن وقرى ومزارع فذيل جبل طبرستان ،

قصبتها دامغان ، بين الري وقيسا بور ، ومن مدنها بسطام .

خلفك رجلا وأموالا ، والقوم لا رجال عندهم ولا أموال ، ولن يدركك
الوحييف^(١) بالديب ، ولا الجدة بالتعذير ، وقد بعث إليك عبيد الله بن موهب ،
ليأخذك بمناجزة القوم وترك مطاولتهم ، والسلام .

فلما قدم عبيد الله بن موهب على المهلب بكتاب الحجاج كتب إليه في جوابه :
«أما بعد ، فإنه أتاني من قبلك رجلان ، لم أعطهما على الصدق ثمنا ، ولم أحتج
مع العيان إلى التقدير ، ولم يكذبا فيما أنبأك به من أمرى وأمر عدوى ، والحرب لا
يدركها إلا المكث ، ولا بد لها من فرجة يستريح فيها الغالب ، ويحتال فيها المغلوب ،
فأما أن أنساهم وينسوني فبهيات من ذلك ، والقوم سُدَى ، فإن طمعوا أقاموا ، وإن
يئسوا هربوا ، فعلى في مقامهم القتال والحرب ، وفي هربهم الجدة والطلب ، وأنا
إذا طاولتهم شاركتهم في رأيهم ، وإذا عاجلتهم شركوني في رأيي ، فإن خلّيتني
ورأيي فذاك داء محسوم وقرن مفصوم ، وإن عجّلتنى لم أطمعك ولم أعصيك ،
وكان وجهي إليك يأذن منك ، وأنا أعوذ بالله من سخط الأمراء ومقت الأئمة ،
والسلام .

فلما قرأ الحجاج كتابه كتب إلى المهلب : «إني قد رددت الرأي إليك ، فدبر
ما ترى ، واعمل ما تريد .»

فلما أتاه كتاب الحجاج بذلك نشط لطلب الخوارج .
وسار في طلبهم إلى أرض قومس ، فهربوا منه ، فأتوا «جيرفت» وتحصنوا
في مدينة هناك ، فخرج خلفهم ، وحاصروهم في تلك المدينة حتى أكلوا خيلهم .
وأمر المهلب ابنه يزيد أن يقيم عليهم أياما ، ثم يخلى لهم عن الباب ، فإذا
خرجوا وأصحروا اتبعهم .

وتنحى المهلب فمسك على خمسة فراسخ ، وأقام عليهم يزيد أياما ، ثم خلى لهم
عن الباب ، فخرجوا ، واتبعهم المهلب .

(١) الوحييف : ضرب من سيرة الإبل والحيل .

فسار في طلبهم يومين حتى لحقهم ، فوقفوا له ، فاقتتلوا يوماً كله ، ثم غدوا في اليوم الثاني على الحرب ، فناداهم عبد ربّه : « يا معشر المهاجرين ، زوّحوا بنا إلى الجنة ، فإنّ القوم رائحون إلى النار » .

فاطعنوا بالرماح حتى تكسّرت ، واضطربوا بالسيوف حتى تقطعت ، ثم صاروا إلى المعانقة ، فترجّل المهلب في محمّاته ، وحمل عليهم ، وهو يتلو قول الله عز وجل : « وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ ، وَيَكُونَ الدِّينُ لِلَّهِ » (١) .

فلم يزالوا يقتتلون حتى حال بينهم الليل ، ثم غدّوا على الحرب ، وقد كسرت الخوارج جفون سيوفهم ، وحلّقوا رؤوسهم ، فاقتتلوا ، فقتل عبد ربّه ، وجميع أبطاله ، ولم يبق إلا ضعفاؤهم ، فدخلوا في عسكر المهلب ، وانضم كل رجل إلى عشيرته من أصحاب المهلب .

فزل المهلب عن فرسه ، وقال « الحمد لله الذي ردّنا إلى الأمن ، وكفانا مثونة الحرب ، وكفى أمر هذا العدو » .

ووجه بشر بن مالك الحرسيّ إلى الحجاج يبشّره بالفتح ، وكتب معه كتاب الظفر .

فلما وصل الكتاب إلى الحجاج وجّه به إلى عبد الملك ، وقام بشر بن مالك ، فأنشأ يقول :

قَدْ حَسَمْنَا دَاءَ الْأَزَارِقَةِ الدَّهْرِ — رَ ، فَأَضْحَوْا طُرّاً ، كَالِ ثَمُودِ
بطمان الكُماة في تُفَرِّ القَوِّ مَ وَضَرِبَ يُشِيبُ رَأْسَ الْوَلِيدِ
كُلَّمَا شِئْتُ رَاعِنِي قَطْرِيٌّ فَوْقَ عَيْلِ الشَّوَى أَقْبَ عَنُودِ (٢)
مُعِلِّمًا يَضْرِبُ الْكِتَابَةَ بِالسَّيْفِ فِ ، وَعَمَرُو كَالنَّارِ ذَاتِ الْوَقُودِ

(١) سورة البقرة الآية : ١٩٣ .

(٢) عبل الشورى أى قوى الدين والرجلين والفرس الأقب هو الضامر البطن والعنود من

الإبل والدواب المتقدمة في السير .

وكتب الحجاج إلى المهلب يأمره بالقدوم عليه .

فسار حتى قدم على الحجاج ، فاستقبله الحجاج ، وأظهر برّه وإكرامه ، وأمر له بالجوائز والصلوات ، وأمر لوُلِّدَه — وكانوا سبعة — المغيرة ، وحبيب ، ويزيد ، والفضل ، ومُدرِك ، ومحمد ، وعبد الملك ، وعبد الله ؛ وأكرم أصحاب المهلب .

[قتل قطرى بن الفجاءة]

ولحق قطرى بالرى ، فوجه الحجاج سفيان بن الأبرد حتى أتى الرى ، وعليها إسحق بن محمد بن الأشعث ، فركب معه فى مائة فارس من جنده ، وسارا حتى لحقاه ، وهو فى مائة فارس بتخوم طبرستان ، فنزل عن دابته ، ونام متوسداً يده ، ثم استيقظ ، وقال لِعَلِجٍ ^(١) من أهلها : إيتنى بشربة من ماء . فأتاه بالماء ؛ ولحقه القوم ، فقتلوه قبل أن يشرب ذلك الماء ، واحتزّ رأسه ، وأخذهُ سفيان بن الأبرد ، وانصرف إلى الحجاج ، فرمى بالرأس بين يديه ، فوجه الحجاج بالرأس إلى عبد الملك .

[ولاية خراسان]

وأقام المهلب بعد انصرافه بالبصرة فى منزله حتى وافاه عهده من عند عبد الملك على خراسان ، فسار إليها فكث عليها خمس سنين ، ثم مات .
فجعل عبد الملك أمر خراسان إلى الحجاج ، فأقرّ الحجاج عليها يزيد ابن المهلب .

وكان يزيد أجل ولد المهلب جمالا وأكثرهم عقلا ، وأفضلهم رأيا ، وأذربهم لسانا ؛ وكان المهلب استخلفه عليها عند وفاته ، فكث عليها أعواما ، ثم عزله الحجاج ، واستعمل عليها قُتَيْبَةُ بن مُسلم ، فافتتح كل ما وراء النهر ، ولم يزل هناك إلى أن هاج به أصحابه ، فقتلوه .

(١) العليج : الرجل الشديد الفليظ ، وقيل هو من خرجت لحيته ، واشتد بدنه ، أو هو الرجل من كفار العجم .

وأفضى الملك بعد ذلك إلى الوليد بن عبد الملك ، ثم إلى سليمان بن عبد الملك ،
فولى سليمان على العراق خالد بن عبد الله القسري ، فولى خالد أخاه أسد بن عبيد الله
خراسان ، فلم يزل بها حتى ظهر فيها دُعاة الإمام محمد بن علي بن عبد الله بن عباس .

[العراق بعد موت يزيد]

قالوا ، ومات يزيد بن معاوية ، وعبيد الله بن زياد بالبصرة ، فكتب إليه
الحارث بن عباد بن زياد بهذه الأبيات :

أَلَا يَا عَبِيدَ اللَّهِ قَدْ مَاتَ مَنْ بِهِ مَلَكَتْ رِقَابَ الْعَالَمِينَ يَزِيدُ
أَتَنَبَّأُ لِلْقَوْمِ الَّذِينَ وَتَرْتَهُمْ ؟ وَذَاكَ مِنَ الرَّأْيِ الزَّيْنِقِ بَعِيدُ^(١)
وَمَالِكَ غَيْرُ الْأَزْدِ جَارُ فَانَّهُمْ أَجَارُوا أَبَاكَ ، وَالْبِلَادُ تَمِيدُ

١٠ فتعجب عبيد الله من رأى ابن أخيه ، وكان ذا رأى .

ثم إن عبيد الله دعا بولاه يسمى مهران ، وكان يُعَدَّلُ في الدهاء والأدب والعقل
يُورَدَانُ غلام عمرو بن العاص ، وهو الذي يُنسَبُ إليه البراذين المهرانية ، فقال
يامهران :

— إن أمير المؤمنين يزيد قد هلك ، فما رأى عندك ؟

١٥ — فقال مهران : أيها الأمير ، إن الناس إن ملكوا أنفسهم لم يوتوا عليهم أحدا
من ولد زياد ، وإنما ملكتم الناس بمعاوية ، ثم يزيد ، وقد هلكا ، وإنك
قد وتَّرت الناس ، ولست آمن أن يثبوا بك ، والرأى لك أن تستجير هذا الحى من
الأزد ، فإنهم إن أجارك منعوك ، حتى يبلغوا بك مأمنك ، والرأى أن تبعث إلى
الحارث بن قيس ، فإنه سيد القوم ، وهو لك محب ، ولك عنده يد ، فتخبره
بموت يزيد ، وتسأله أن يجيرك .

٢٠

(١) الزنقي بضمين : العقول الثامة .

فقال عبيد الله : أصبت الرأي يا مهران .

ثم بعث من ساعته إلى الحارث بن قيس ، فأتاه فأخبره بموت يزيد ، واستشاره ، فقال :

المستشار مؤتمن ، فإن أردتَ المقام منعمناك معاشر الأزد ، وإن أردت الاستخفاء اشتعلنا عليك حتى يسكن عنك الطلب ، ويخفى على الناس موضعك ، ثم توجه معك من بينك مأمناك .

فقال عبيد الله : هذا أريد .

فقال له الحارث : فأنا أقيم عندك ، إلى أن تمسى ويختلط الظلام ، ثم أنطلق بك إلى الحى .

فأقام الحارث عند عبيد الله .

فلما أمسى واختلط الظلام أمر عبيد الله أن تؤقد السرج في منزله ليلته كلها ، ليظن من يطلبه أنه في منزله ، ثم قام فلبس ثيابه ، واعمى بهامته وتلثم . فقال له الحارث : « التلثم بالنهار ذل ، وبالليل ريبة ، فاحسِرْ عن وجهك ، وسِرْ خلفي ، فإن المقدم وقاية للمؤخر » ، فسار .

فقال للحارث : تَخَلَّلْ بنا - فذاك أبى وأمى - الطرق ، ولا تأخذ بنا طريقا واحدا ، فإنى لا آمن أن يطلب أثرى .

فقال الحارث : لا بأس عليك ، إن شاء الله ، فاطمئن .

ثم سارا هَوِيًّا .

فقال للحارث : أين نحن ؟

قال : فى بنى مسلم .

قال : سلمنا إن شاء الله .

ثم سارا جميعا ساعة ، فقال : أين نحن ؟

قال الحارث فى بنى ناجية .

قال : نجونا إن شاء الله .

ثم سارا حتى انتهيا إلى الأزد ، وأقحم الحارث بعبيد الله دار مسعود بن عمرو ،

وكان رئيس الأزد كلها بعد المهلب بن أبي صفرة ، وكان المهلب في هذا الوقت
بخراسان بعد .

فقال الحارث لمسمود : يا ابن عم ، هذا عبيد الله بن زياد ، قد أجرته عليك
وعلى قومك .

٥ قال مسمود : أهلكت قومك يا ابن قيس ، وعرضتنا لحرب جميع أهل
البصرة ، وقد كنا أجرنا أباه من قبله فما كانت عنده مكافأة .

وكان سبب إجارتهم زيادا ، أن علي بن أبي طالب رضى الله عنه ، في خلافته ولّى زيادا
البصرة عند خروجه إلى صفين ، وإنما كان يعرف بزياد بن عبيد ، فوجه معاوية إلى
البصرة عامر بن الحضرمي في جمع ، فغلب على البصرة ، وهرب منه زياد ، فلبجأ إلى
الأزد ، فأجاروه ، ومنعوه حتى تاب الناس إلى زياد ، واجتمعوا ، فطرد عامر بن
١٠ الحضرمي عن البصرة ، وأقام على عمله فيها .

ثم إن مسمود بن عمرو أدخل عبيد الله دار نسائه ، وأفرده في بيت من بيوته ،
ووكّل به امرأتين من خدمه ، وجمع إليه قومه ، فأعلمهم ذلك .

١٥ ولما أصبح الناس ، واستحقّ عندهم الخبر أتوا داره ، فاقتحموها ليقتلوه ، فلم
يصادفوا فيها أحدا ، فانطلقوا إلى الحبس ، فكسروه ، وأخرجوا من كان فيه ، وبقي
أهل البصرة تسعة أيام بغير وال .

فاتفقوا على عبد الله بن الحارث بن نوفل بن الحارث بن عبد المطلب بن هاشم ،
فولّوه أمرهم لصلاحه ، وقرابته من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فتولّى الأمر ، وقام
٢٠ بالتدبير .

ولما أتى على عبيد الله أيام ، وأمين الطلب ، قال لمسمود بن عمرو ، والحارث بن
قيس : إن الناس قد سكنوا ، ويئسوا مني ، فأعملا في إخراجي من البصرة لألحق
بالشام .

فاكترى له رجلا من بني يشكر أمينا هاديا بالطريق ، وحمله على ناقة
مهرية^(١) ، وقالا للشكري : عليك به لا تفارقه حتى توصله إلى مأمنه بالشام .
فخرج ، وخرجا معه مشيعين له في نفر من قومهما ثلاثة أيام ، ثم ودّعا
وانصرفا .

قال الشكري : فيينا نحن نسير ذات ليلة إذ استقبلنا عيرٌ واحدٌ يحدو فيها ،
ويقول :

يَا رَبِّ ، رَبَّ الْأَرْضِ وَالْعِبَادِ اَلْمَنْ زِيَادًا ، وَبَنِي زِيَادِ
كَمْ قَتَلُوا مِنْ مُسْلِمٍ عَبَادِ جَمَّ الصَّلَاةِ خَاشِعِ الْفُؤَادِ
يُكَابِدُ اللَّيْلَ مِنَ السُّهَادِ

فلما سمع عبّيد الله ذلك فزع ، وقال : عُرفَ مكاني .

فقلت : لا تتخف ، فليس كل من ذكرَكَ يعلم موضعك .

ثم سرنا فاطرق طويلا ، وهو على ناقته ، فظننت أنه نائم ، فناديته : يَا نَوْمَان .
فقال : ما أنا بنائم ، ولكني مُفكّر في أمري .

قلت : إني لأعلم الذي كنت مفكراً فيه .

فقال : هاتِهِ إِذَنْ .

قلت : ندمت على قتلِكَ الحسين بن عليّ ، وفكرت في بنائك القصر الأبيض
بالبصرة ، وما أنفقت عليه من الأموال ، ثم لم يُقَضَ لك التمتع به ، وندمت
على ما كان من قتلِكَ الخوارج من أهل البصرة بالظنة والتوهم .

قال عبّيد : ما أصبت يا أخا بني يشكر شيئا مما كنت مفكراً فيه ؛
أمّا قتلي الحسين فإنه خرج على إمام وأمة مجتمعة ، وكتب إلى الإمام يأمرني بقتله ،
فإن كان ذلك خطأ كان لازماً ليزيد ؛ وأمّا بنائي القصر الأبيض ، فإفكرتني

(١) نوع من الإبل ينسب إلى حي مهرة بن حيدان .

في قصر بنيته للإمام بأمره وماله ؛ وأما قتلى مَنْ قُتِلَتْ من الخوارج فقد قتلهم قبلي مَنْ هو خير مني ، عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه . غير أني فكرت في بني أبي ، وأولادهم ، فندمت على تركي إخراجهم من البصرة قبل وقوع ما وقع ، وفكرت في بيوت الأموال بالكوفة والبصرة ألا أكون فرقتها وبددتها في الناس عندما ورد عليّ من وفاة الخليفة ، فكنت أكتب بذلك حمداً في الناس وذكراً .
قلت : فما تريد أن تصنع الآن ؟

قال : إن وافيت دمشق ، وقد اجتمع الناس على إمام دخلت فيما دخلوا فيه ، وإن لم يكونوا اجتمعوا على أحد كانوا غنماً ، قلبتها كيف شئت .

[خلافة مروان بن الحكم]

- قال : فسرنا حتى دخلنا دمشق ، والناس مختلفون ، لم يملكوا عليهم أحداً ، وقد كان مروان بن الحكم همّ بالحقاق بعبد الله بن الزبير ليبياعه ، ويكون معه .
فدخل عبيد الله ، وعنفه في ذلك ، وقال :
- أنت سيد قومك ، وأحق الناس بهذا الأمر ، فدّ يدك أبايعك .
فقال مروان : وما تبلغ بيعتك وحدك ؟ أخرج إلى الناس وناظرهم في ذلك .
فخرج من عنده ، ولقي جماعة بني أمية ، فعنفهم في ذلك ، وفي تخاذلهم ، وجملكهم علىبيعة مروان ، فاجتمعوا ، وبايعوه .
وتزوج مروان أم خالد بنت هاشم بن عتبة ، التي كانت امرأة يزيد بن معاوية ، فلما تم لملك مروان بن الحكم تسعة أشهر قتلت أم خالد .
وذلك أن مروان نظر يوماً إلى ابنها خالد بن يزيد بن معاوية ، وهو غلام من أبناء سبع سنين ، يمشي مشية أنكرها ، فقال له : ما هذه المشية يا ابن الرطبة ؟
فشكا الغلام ذلك إلى أمه ، فقالت له : إنه لا يقول بعد هذا .
فسقته السم ، فلما أحس بالموت جمع بني أمية وأشراف أهل الشام ، فبايع لابنه عبد الملك .

[خلافة عبد الملك بن مروان]

وامتنع عمرو بن سعيد من البيعة ، ومات مروان ، وله ثلاث وستون سنة ،
ثم ملك عبد الملك بن مروان سنة ست وستين ، فخرج عمرو بن سعيد بن العاص
عليه ، فصار أهل الشام فرقتين : فرقة مع عبد الملك ، وفرقة مع عمرو بن سعيد .
فدخلت بنو أمية وأشرف أهل الشام بينهما حتى اصطلحا ، على أن يكونا
مشاركين في الملك ، وأن يكون مع كل عامل لعبد الملك شريك لعمرو بن سعيد ،
وعلى أن اسم الخلافة لعبد الملك ، فإن مات عبد الملك فالخليفة من بعده عمرو بن
سعيد ، وكتباً فيما بينهما كتاباً ، وأشهدا عليه أشرف أهل الشام .

وكان رَوْحُ بن زِنْبَاعٍ من أخص الناس بعبد الملك بن مروان ، فقال له ،
وقد خلا به يوما : يا أمير المؤمنين ، هل من رأيك الوفاء لعمرو ؟
قال : ويحك يا ابن زِنْبَاعٍ ، وهل اجتمع فحلان في هجمة قطّ إلا قتل أحدهما
صاحبه ؟

وكان عمرو بن سعيد رجلاً مُعْجَباً بنفسه ، مُتَهَوِّناً في أمره ، مُتَغْتَرّاً بأعدائه .

[قتل عمرو بن سعيد بن العاص]

ثم إنَّ عَمْرَأً دخل على عبد الملك يوماً ، وقد استعدَّ عبد الملك للندِّ به ، فأمر به ،
فأخذ ، فأضجع ، وذبح ذبحاً ، وأُفِّ في بساط .

وأحسن أصحاب عمرو بذلك ، وهم بالباب ، فتنادوا ، فأخذ عبد الملك خمسمائة
صُرَّة ، قد هيئت ، وجعل في كل صُرَّة ألفاً درهم ، فأمر بها ، فأصعدت إلى أعلى
القصر ، فألقيت إلى أصحاب عمرو بن سعيد مع رأس عمرو ، فترك أصحابه الرأس
مُلْقَى ، وأخذوا المال ، وتفرقوا .

فلما أصبح عبد الملك أخذ من أصحاب عمرو ومواليه خمسين رجلاً ، فضرب
أعناقهم ، وهرب الباقون ، فلحقوا بعبد الله بن الزبير .

وفي ذلك يقول قائلهم :

غَدَرْتُمْ بِعَمْرٍو يَا لَ مَرْوَانَ ضِلَّةً وَمِثْلُكُمْ يَبْنِي الْبُيُوتَ عَلَى الْغَدْرِ
فَرُحْنَا ، وَرَاحَ الشَّامِتُونَ بِقَتْلِهِ كَأَنَّ عَلَى أَكْتَافِنَا فَلَاقُ الصَّخْرِ
وَمَا كَانَ عَمْرُو عَاجِزًا ، غَيْرَ أَنَّهُ أَتَتْهُ الْأَمْنَايَا بَغْتَةً ، وَهُوَ لَا يَدْرِي
كَأَنَّ بَنِي مَرْوَانَ إِذْ يَقْتُلُونَهُ بَغَاثٌ مِنَ الطَّيْرِ اجْتَمَعْنَ عَلَى صَفَرٍ (١)

٥

قالوا : ولما خرج عُبَيْدُ اللَّهِ مِنَ الْبَصْرَةِ شَاعَ بِهَا أَنَّ عُبَيْدَ اللَّهِ كَانَ عِنْدَ الْأَزْدِ ،
فَأَقْبَلَ رَجُلٌ مِنَ الْخَوَارِجِ لَيْلًا ، فَجَلَسَ لِمَسْعُودِ بْنِ عَمْرٍو ، فَلَمَّا خَرَجَ لَصَلَاةِ الْفَجْرِ ،
وَتَبَّ عَلَيْهِ بِسَكْنِ فَقْتَلَهُ .

فاجتمعت الْأَزْدُ ، وقالوا : والله ما قتلناه إِلَّا بَنُو تَمِيمٍ ، ولنقتلنَّ سَيِّدَهُمُ
الْأُحْنَفَ بْنَ قَيْسٍ .

١٠

فقال الْأُحْنَفُ لِقَوْمِهِ : إِنَّ الْأَزْدَ قَدْ أَتَهُمُوكُمْ فِي قَتْلِ صَاحِبِهِمْ ، وَقَدْ اسْتَمْتَنُوا
بِالظَّنِّ عَنِ الْيَقِينِ ، وَلَا بَدَّ مِنْ غُرْمِ عَقْلِهِ (٢) .

فَجَمَعُوا أَلْفَ نَاقَةٍ ، وَوَجَّهُوا بِهَا إِلَى الْأَزْدِ - وَكَانَتْ دِيَّةُ الْمُلُوكِ - فَرَضِيَتْ
الْأَزْدُ ، وَكَفُّوا .

١٥

وَقَوَّى أَمْرَ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الزَّيْرِ ، وَأَعْطَاهُ أَهْلَ الْكُوفَةِ الطَّاعَةَ .

فَوَلَّى الْكُوفَةَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مُطِيعِ الْعَدَوِيِّ .

وَوَجَّهَ أَخَاهُ مُصْعَبَ بْنَ الزَّيْرِ إِلَى الْبَصْرَةِ ، وَأَمَرَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مُطِيعٍ بِمَكَاتِبَتِهِ .

وَوَجَّهَ عُمَّالَهُ إِلَى الْيَمَنِ ، وَالْبَحْرَيْنِ ، وَهُمَّانَ ، وَسَائِرِ الْحِجَازِ .

وَدَانَتْ لِابْنِ الزَّيْرِ الْبِلَادَانِ إِلَّا الشَّامَ وَمِصْرَ . فَإِنَّ مَرْوَانَ بْنَ الْحَكَمِ كَانَ حَمَاهَا .

٢٠

وَانْحَلَبَتْ عَلَى ابْنِ الزَّيْرِ الْأَمْوَالُ ، فَهَدَمَ الْكُمَيْةَ وَجَدَّدَ بِنَاءَهَا ، وَذَلِكَ فِي

(١) الْبَغَاثُ مِثْلَةُ : طَائِرٌ ضَعِيفٌ مِنْ شِرَارِ الطَّيْرِ ، لَوْنُهُ أَغْبَرُ . وَمِنْ أَمْثَلَةِ الْعَرَبِ ، إِنَّ الْبَغَاثَ
بِأَرْضِنَا يَسْتَنْسِرُ ، أَيْ مِنْ جَاوِرِنَا عِزًّا بِنَا .

(٢) الْعَقْلُ الدِّيَّةُ .

سنة خمس وستين ، وألف الحجر الأسود في حرير وجمله في تابوت وختم عليه ،
واستودعة الحَجَّبة مع جميع ما كان معلقا في الكعبة من ذهب وجوهر ؛ ولما بناها
أدخل الحجر في البيت .

فلما قُتِلَ ابن الزبير نَقَضَها الحجاج ، وأعاد بناءها على ما كان ، فهي على ذلك
إلى اليوم .

[الدعوة إلى العلويين]

قالوا : وإن المختار^(١) بن أبي عُبَيْدِ الثَّقَفِيِّ جمل يختلف بالكوفة إلى شيعة
بنى هاشم ، ويختلفون إليه ، فيدعوه إلى الخروج معه والطلب بدم الحسين ؛
فاستجاب له بشره كثير ، وكان أكثر من استجاب له همدان ، وقوم كثير من
أبناء العجم الذين كانوا بالكوفة ، فقرَضَ لهم معاوية - وكانوا يُسمَوْنَ الحَمَرَاءَ -
وكان منهم بالكوفة زهاء عشرين ألف رجل .

وكان على الكوفة يومئذ من قِبَل عبد الله بن الزبير عبدُ الله بن مُطِيع ،
فأرسل ابن مُطِيع إلى المختار : ما هذه الجماعات التي تندو وتروح إليك ؟
فقال المختار : مريض ، يُعاد .

فلم يزل كذلك حتى قال له نصحاؤه : عليك بإبراهيم بن الأشتر ، فاستمِلهُ
إليك ، فإنه متى شايحك على أمرٍ ظفرت به ، وقضيت حاجتك .
فأرسل المختار إلى جماعة من أصحابه ، فدخلوا عليه ، وبيده صحيفة مختومة
بالرصاص .

فقال الشعبي : وكنت فيمن دخل عليه ، فرأيت الرصاص أبيض يلوح ،
فظننتُ أنه إنما خُتِمَ من الليل ، فقال لنا : انطلقوا بنا حتى نأتى إبراهيم
ابن الأشتر .

(١) كان خروج المختار في صفر سنة ٦٦ (سبتمبر ٦٨٥) .

قال : فمضينا معه ، وكنت أنا ويزيد بن أنس الأسدي ، وأحمر بن سليط ،
وعبد الله بن كامل ، وأبو عمرة كيسان ، مولى بجيلة ، الذي يقول الناس : قد جاوره
أبو عمرة ؛ وكان من بعد ذلك على شرط المختار .

قال الشعبي : فأتينا إبراهيم بن الأشتر ، وهو جالس في صحن داره ، فسلمنا
عليه ، فتناول يد المختار ، وأجلسه معه على مقدمة كان عليها .

وتكلم المختار وكان مفوهاً ، فحمد الله وأثنى عليه ، وصلى على النبي صلى الله
عليه وسلم ، ثم قال :

إن الله قد أكرمك ، وأكرم أباك من قبلك بموالاة بني هاشم ونصرتهم ،
ومعرفة فضلهم ، وما أوجب الله من حقهم ، وقد كتب إليك محمد بن علي بن أبي
طالب - يعني ابن الحنفية - هذا الكتاب بحضرة هؤلاء نفر الذين معي .

فقال القوم جميعاً : نشهد أن هذا كتابه ، رأيناه حين كتبه .

ثم ناوله ، ففتحه وقرأه ، فإذا فيه :

بسم الله الرحمن الرحيم ، من محمد بن علي إلى إبراهيم الأشتر ، أما بعد ، فإن
المختار بن أبي عبيد على الطلب بدم الحسين ، فساعدته في ذلك ، وآزره يثبك الله ثواب
الدنيا ، وحسن ثواب الآخرة .

فلما قرأ إبراهيم بن الأشتر الكتاب قال للمختار :

سمما وطاعة لمحمد بن علي ، فقل ما بدا لك ، وادع إلى ماشئت .

فقال المختار : أتأتينا ، أو نأتيك في أمرنا ؟

فقال إبراهيم : بل أنا آتيك كل يوم إلى منزلك .

قال الشعبي : فكان إبراهيم بن الأشتر يركب إلى المختار في كل يوم في نفر من
مواليه وخدمه .

قال الشعبي : ودخاتني وحشة من شهادة نفر الذين كانوا معي ، على أنهم رأوا

محمد بن الحنفية حين كتب ذلك الكتاب إلى إبراهيم بن الأشتر ، فأتيتهم في منزلهم
رجلا رجلا ، فقلت :

هل رأيت محمد بن الحنفية حين كتب ذلك الكتاب ؟

فكلُّ يقول : نعم ، وما أنكرتَ من ذلك ؟

فقلت في نفسي : إن لم أستمعها من المعجى ، يعني أبا عمرة ، لم أطمع فيها
من غيره .

فأتيته في منزله ، فقلت :

ما أخوفنى من عاقبة أمرنا هذا أن ينصبَّ الناس جميعاً لنا ، فهل شهدت
محمد بن الحنفية حين كتب ذلك الكتاب ؟

فقال : والله ما شهدتُه حين كتبه ، غير أن أبا إسحق - يعني المختار -
عندنا ثقة ، وقد آتانا بعلامات من ابن الحنفية ، فصَدَّقْنَاهُ .

قال الشعبي : فعرفت عند ذلك كذب المختار ، وتمويهه ، فخرجت من
الكوفة حتى لحقت بالحجاز ، فلم أشهد من تلك المشاهد شيئاً .

قالوا : وكان على شرطة عبد الله بن مطيع بالكوفة إياس بن نضار العجلي ، وكان
طريق إبراهيم بن الأشتر إذا ركب إلى المختار على باب داره ، فأرسل إلى إبراهيم :
إنه قد كثرت اختلافك في هذا الطريق ، فاقصر عن ذلك .

فأخبر إبراهيم المختار بما أرسل إليه إياس ، فقال له المختار : « تجنب ذلك الطريق ،
وخذ في غيره » . ففعل .

وبلغ إياس أن إبراهيم بن الأشتر لا يُقْلَعُ عن إتيان المختار كل يوم ، فأرسل إليه :
إن أمرك يرينى ، فلا أرينك راكباً ، ولا تبرحن منزلك ، فأضرب عنقك .
فأخبر إبراهيم المختار بذلك . واستأذنه في قتله ، فأذن له .

وأن إبراهيم ركب في جماعة من أهل بيته وما يليه ، وجعل طريقه على مجلس
إياس ، فقال له إياس :

يا ابن الأشر ، ألم آمرك ألا تبرح من منزلك ؟

فقال له إبراهيم : أنت والله - ما علمت - أحق .

فقال للجلاوزة : نكسوه .

فانتضى إبراهيم سيفه ، وشدّ على إياس ، فضربه حتى قتله . ثم حمل على

٥ الجلاوزة ، فأنحرفوا عنه ، ومضى إبراهيم .

وبلغ عبد الله بن مطيع الخبر ، فأمر بطلب إبراهيم ، ووجه إلى منزله .

وبلغ ذلك المختار ، فوجه إلى إبراهيم بمائة فارس ، فلما وافوه حمل على أصحاب

ابن مطيع ، فانهزموا عنه ، فأقبل إبراهيم نحو دار الإمارة ، ووافاه المختار في سبعة آلاف فارس .

١٠ فتحصّن ابن مطيع في القصر ، وبعث إلى الحرس والجند .

فوافاه منهم نحو ثلاثة آلاف رجل ، فنادى « يَا لثَارَاتِ الْحُسَيْنِ » فوافاه زهاء

عشرة آلاف رجل ممن بايعه على الطلب بدم الحسين .

وفي ذلك يقول عبد الله بن همام :

١٥ وَفِي لَيْلَةِ الْمُخْتَارِ مَا يُذْهِلُ الْفَتَى وَيَزْوِيهِ عَنْ رُودِ الشَّبَابِ شَمُوعِ
دَعَا ، يَا لثَارَاتِ الْحُسَيْنِ فَأَقْبَلْتُ كَتَائِبُ مِنْ هَمْدَانَ بَعْدَ هَزِيعِ
وَمِنْ مَذْحِجٍ جَاءَ الرَّئِيسُ ابْنُ مَالِكٍ يَقُودُ جُمُوعًا أُرْدِفَتْ بِجُمُوعِ
وَمِنْ أَسَدٍ وَافَى يَزِيدُ لِنَصْرِهِ بِكَلِّ فَتَى مَاضِي الْجَنَانِ مَنِيعِ

وخرج ابن مطيع من القصر ، واجتمع إليه الجنود ، ونهد^(٢) إليه المختار في

أصحابه ، وعلى مقدمته ابن الأشر ، فالتقوا ، فاقتتلوا ، فقتل من أصحاب ابن مطيع

٢٠ بشر كثير ، فانهزموا .

وبادر ابن مطيع إلى القصر ، فتحصّن فيه في طائفة من أصحابه ، وأقبلت همدان

حتى تسلّقوا القصر بالحبال من ناحية دار عمارة بن عُقبة بن أبي مُعَيْط .

فلما رأى ابن مطيع ضعفه عن القوم سأل الأمان على نفسه ومن معه من أصحابه ،
فأجابه المختار إلى ذلك ، فأمنه .

فخرج ابن مطيع ، وأظهر المختار إكرامه ، وأمر له من بيت المال بمائة ألف ألف درهم ،
وحفظ فيه قرابته من عمر بن الخطاب ، وقال له : « ارحل إذا شئت » .

ثم إن المختار غلب على الكوفة ودانت له العراق وسائر البلاد إلا الجزيرة والشام
ومصر ، فإن عبد الملك قد كان حماها ، ووجه عماله في الآفاق .

فاستعمل عبد الرحمن بن سعيد بن قيس الهمداني على الموصل ، ومحمد بن عثمان
التميمي على أذربيجان ، وعبد الله بن الحارث أبا الأشتر على الماهين وهمدان ، ويزيد
ابن معاوية البجلي على أصبهان وقم وأعمالها ، وابن مالك البكراني على حلوان^(١)
وماسبذان ، ويزيد بن أبي نجبة الفزاري على الري ودستبي ، وزخر بن قيس
على جوخى . وفرق سائر البلدان على خاصته .

وولى الشرطة كيسان أبا عمرة ، وأمره أن يجمع ألف رجل من الفعلة
بالمعاول ، وتتبع دور من خرج إلى قتال الحسين بن علي ، فيهدمها .
وكان أبو عمرة بذلك عارفا ، فجعل يدور بالكوفة على دورهم ، فيهدم الدار في
لحظة ، فمن خرج إليه منهم قتل ، حتى هدم دورا كثيرة ، وقتل أناسا كثيرا ،
وجعل يطلب ويستقصي ، فمن ظفر به قتل ، وجعل ماله وعطاءه لرجل من أبناء
المعجم الذين كانوا معه .

ثم إن المختار عقد ليزيد بن أنس الأسدي في عشرين ألف رجل ، وقواتهم
بالسلاح والمدة ، وولاه الجزيرة وما غلب عليه من أرض الشام .
فسار يزيد حتى نزل نصيبين .

(١) بلد في العراق ، آخر حدود السواد مما يلي الجبال ، سميت باسم حلوان بن عمران بن
قضاة ، وكان أقطعه إياها بعض الملوك ، وكانت مدينة عامرة ، لم يكن بالعراق بعد البصرة
والكوفة وواسط أكبر منها ، وحواليها عيون كبريتية ينتفع بها من عدة أدواء .

وبلغ ذلك عبد الملك بن مروان ، فخرج بأهل الشام فوافى نصيبين ، وقاتل يزيد ابن أنس ، فهزمه ، وقتل من أصحابه مقتلة عظيمة .

وبلغ المختار ذلك ، فقال لإبراهيم بن الأشتر :

أيها الرجل ، إنما هو أنا وأنت ، فسر إليهم ، فوالله لتقتلن الفاسق عبيد الله ابن زياد ، أو لتقتلن الحصين بن نمير ، وليهزم من الله بك ذلك الجيش ، أخبرني بذلك من قرأ الكتاب ، وعرف الملاحم .

قال إبراهيم :

ما أحسبك أيها الأمير بأحرص على قتال أهل الشام ، ولا أحسن بصيرة في ذلك مني ، وأنا سائر .

فانتخب له المختار عشرين ألف رجل ، وكان جلهم أبناء الفرس الذين كانوا بالكوفة ، ويسمون الحمراء .

وسار نحو الجزيرة ، ورد من كان انهزم من أصحاب يزيد بن أنس ، فصار في نحو من ثلاثين ألف رجل .

وبلغ ذلك عبد الملك ، فعقد للحصين بن نمير في فرسان أهل الشام ، وكانوا نحواً من أربعين ألفاً ، وفيهم عبيد الله بن زياد ، وفيهم من قتلة الحسين : عمير بن الحباب ، وفرات بن سالم ، ويزيد بن الحضيض ، وأناس سوى هؤلاء كثير .

فقال فرات لعمير : قد عرفت سوء ولاية بني مروان ، وسوء رأيهم في قومنا من قيس ، ولئن خلص الأمر ، وصفا لعبد الملك ليستأصلن قيساً ، أو ليقتلينهم ، ونحن منهم ، فأنصرف بنا للنظر ما حال إبراهيم بن الأشتر .

فلما جنهما الليل ركبا فرسيهما ، وبينهما وبين عسكر إبراهيم أربعة فراسخ ، وكانا يمران بمسالح أهل الشام ، فيقولون لها : [من] ^(١) أنتم ؟ فيقولان : طليعة للأمير الحصين بن نمير .

فأقبلا حتى أتيا عسكر إبراهيم بن الأشتر ، وقد أوقد النيران ، وهو قائم يعتي

(١) في الأصل : ما أنتم .

أصحابه ، وعليه قبص أصفر هَرَوِي^(١) ، وملاءة ماردة متوشحا بها ،
متقلدا سيفه .

فدنا منه عمير بن الحباب ، فصار خلفه ، وإبراهيم لا يابيه له ، فاحتضنه من
ورائه ، فما تحلحل^(٢) إبراهيم عن موضعه ، غير أنه أمال رأسه ، وقال :

— من هذا ؟

قال : أنا عمير بن الحباب .

فأقبل بوجهه إليه ، وقال :

— اجلس حتى أفرغ لك .

فتنحى عنه ، وقعدا مُنْسِكَيْنِ بِأَعْنَةِ فرسيهما .

فقال عمير لصاحبه : هل رأيت رجلاً أربط جأشاً ، وأشدّ قلباً من هذا ؟ تراه ؟

تحلحل من مكانه ، أو اكرث لي ، وأنا محتضنه من خلف .

فقال له صاحبه : ما رأيت مثله .

فلما فرغ إبراهيم من تعبئة أصحابه أتاها ، فجلس إليهما ، ثم قال لعمير :

ما أعملك إلى يا أبا المغلس ؟

قال عمير : لقد اشتد غمّي منذ دخلتُ عسكرك ، وذلك أني لم أسمع فيه كلاماً

عريباً حتى انتهيت إليك ، وإنما معك هؤلاء الأعاجم ، وقد جاءك صناديد^(٣)

أهل الشام وأبطالهم ، وهم زهاء أربعين ألف رجل ، فكيف تلقاهم بمن معك ؟

فقال إبراهيم :

والله لو لم أجد إلا النمل لقاتلتهم بها ، فكيف وما قومٌ أشدّ بصيرة في قتال

أهل الشام من هؤلاء الناس الذين تراهم مي ؟ وإنما هم أولاد الأساورة من أهل

(١) من صنع هراة ، بلدة بفارس .

(٢) أي ما تحرك عن موضعه ، وفي نسخة تخلخل .

(٣) السيادة الشجمان ، وجماعات العسكر .

فارس ، والمرآزية ، وأنا ضارب الحيل بالخيـل ، والرجال بالرجال ، والنصر من عند الله .

قال عمير : إن قومي قيسا . إذا التقى الجبلان غدًا في ميسرة أهل الشام فلا تحفل بنا ، فإننا منهزمون لنكسر الجيش بذلك ، فإننا لا نحب ظهور بني مروان لسوء صنيعهم إلينا معاشر قيس ، وإننا إليك لأئـمـل .

قال إبراهيم : وذلك .

ثم انصرفا إلى معسكرهما .

ولما أصبح الفريقان زحف بعضهم إلى بعض ، فتواقفوا بمكان يُدعى خـازـر^(١) فنادى إبراهيم بن الأشتر حمّاة عسكره « عليكم بالميسرة » ، وفيها قيس .

فقال عمير بن الحباب لصاحبه : هذا وأبيك الحزم ، لم يثق بقولنا وخاف مكرنا .
وصاح عمير بن الحباب في قيس ، يـالـثـكـرات مـرـج رـاهـط^(٢) ، فنكسوا أعلامهم ، وانهزموا ، فانكسر أهل الشام .

وحمل عليهم إبراهيم بن الأشتر ، فأكثر فيهم القتل ، وانهزم أهل الشام ، فاتبعهم إبراهيم يقتلهم إلى الليل ، وقتل أميرهم الحصين بن نمير - وكان من قتلة الحسين - وشرحبيل بن ذى الكلاع ، وعظماء أهل الشام .

فلما وضعت الحرب أوزارها قال إبراهيم بن الأشتر : إنى قتلت في الوقعة رجلا من أهل الشام ، كان يقاتل في أوائـلـهم قتـالـا شـديـدا ، وهو يقول : « أنا الغلام القرشى » . فلما سقط شمت منه ريح السك ، فاطلبوه بين القتلى .

فطلب حتى أصابوه ، فإذا هو عبيد الله بن زياد ، فأمر به إبراهيم ، فحز رأسه ، فوجه به إلى المختار ، فوجه به المختار إلى محمد بن الحنفية .

واحتوى إبراهيم بن الأشتر على عسكر الشام ، فغنم ما كان فيه .

(١) كورة بين الموصل واربـل ، على نـهـر سـمـى به

(٢) المرج الموضع ترعى فيه الدواب ، ومرج راهط : ناحية من نواحي دمشق .

فأنته هند ابنة أسماء بن خارقة الفزاري ، امرأة عبيد الله بن زياد ، فأخبرته
بأنه ما كان معها من مالها ، فقال لها :
— كم ذهب لك ؟

قالت : قيمة خمسين ألف درهم .
فأمر لها بمائة ألف درهم ، ووجه معها مائة فارس حتى أتوا بها أباه البصرة .
ودخل عبيد الله بن عمرو الساعدي ، وكان شاعرا على إبراهيم بن الأشتر ،
فأنشده :

اللهُ أَعْطَاكَ الْمَهَابَةَ وَالتَّقَى وَأَحَلَّ بَيْتَكَ فِي الْعَدِيدِ الْكَثْرَ
وَأَقَرَّ عَيْنَكَ يَوْمَ وَقْعَةِ خَازِرٍ وَالْخَيْلُ تَعْتُرُ بِالْقَنَا التَّكْسَرَ
مِنْ ظَالِمِينَ كَفَّتَهُمْ آثَامُهُمْ تَرَكُوا لِعَافِيَةٍ وَطَيْرٍ حُسْرَ
مَا كَانَ أَجْرَاهُمْ ، جَزَاهُمْ رَبَّهُمْ شَرَّ الْجَزَاءِ عَلَى ارْتِكَابِ الْمُنْكَرِ
إِنِّي أَتَيْتُكَ إِذْ تَدْنَى مَنْزِلِي وَذَمَمْتُ إِخْوَانَ الْغِنَى مِنْ مَعْشَرِي
وَعَلِمْتُ أَنَّكَ لَا تُضِيعُ مِدْحَتِي وَمَتَى أَكُنْ بِسَبِيلِ خَيْرٍ أَشْكُرُ
فَهَلْكُمْ نَحْوِي ، مِنْ يَمِينِكَ نَفْحَةٌ إِنَّ الزَّمانَ أَلَحَّ يَا ابْنَ الْأَشْتَرِ
فَأَعْطَاهُ عَشْرَةَ آلَافِ دَرَاهِمٍ .

وأن إبراهيم بن الأشتر أقام بالموصل ، ووجه عماله إلى مدن الجزيرة ، فاستعمل
إسماعيل بن زُفر على قرقيسيا^(١) ، وحاتم بن النعمان الباهلي على حران^(٢) والرُّها^(٣)

(١) في الأصل قرقيسيا ، وهي بلد على نهر الخابور عند مصبه ، ومنها جانب على نهر الفرات ،
فوق رحبة مالك بن طوق .

(٢) مدينة قديمة ، قصبة ديار مضر ، قيل لأنها أول مدينة بنيت بعد الطوفان ، وكانت منزل
الصابئة ، وهي مهاجر الخليل إبراهيم عليه السلام .

(٣) مدينة بأرض الجزيرة في العراق فوق حران .

- وَسُمِّيَ سَاطَ (١) ، وَعُمَيْرُ بْنُ الْحُبَابِ السُّكْمِيُّ عَلَى [كَفَرْتُونًا] (٢) ، وَالسَّفَاحُ
ابْنُ كُرْدُوسٍ عَلَى سِنْجَارٍ (٣) ، وَعَبِيدُ اللَّهِ بْنُ مُسْلِمٍ عَلَى مَيَّافَرْقِينَ (٤) ، وَمُسْلِمُ
ابْنِ رَبِيعَةَ الْعُقَيْلِيُّ عَلَى آمَدٍ (٥) ، وَسَارُ هُوَ إِلَى نَصِيبِينَ ، فَأَقَامَ بِهَا .
وَأَنَّ الْمُخْتَارَ كَتَبَ إِلَى عَبِيدِ اللَّهِ بْنِ الْحَرِّ الْجُعْفِيِّ ، وَكَانَ بِنَاحِيَةِ الْجَبَلِ يَتَطَرَّفُ
وَيُغِيرُ : « إِنَّمَا خَرَجْتَ غَضْبًا لِلْحُسَيْنِ ، وَنَحْنُ أَيْضًا مِنْ غَضَبٍ لَهُ ، وَقَدْ تَجَرَّدْنَا
لِنَطْلُبَ بَثَّارَهُ ، فَأَعِنَّا عَلَى ذَلِكَ » . فَلَمْ يَجِبْهُ عَبِيدُ اللَّهِ إِلَى ذَلِكَ .
فَرَكِبَ الْمُخْتَارُ إِلَى دَارِهِ بِالْكُوفَةِ فَهَدَمَهَا ، وَأَمَرَ بِأَمْرَأَتِهِ أُمِّ سَلَمَةَ ، ابْنَةِ عَمْرِ
الْجُعْفِيِّ ، فَخَبَسَتْ فِي السِّجْنِ ، وَانْتَهَبَ جَمِيعَ مَا كَانَ فِي مَنْزِلِهِ ؛ وَكَانَ الَّذِي تَوَلَّى ذَلِكَ
عَمْرُو بْنُ سَعِيدِ بْنِ قَيْسِ الْهَمْدَانِيِّ .
وَبَلَغَ ذَلِكَ عَبِيدُ اللَّهِ بْنِ الْحَرِّ ، فَقَصَدَ إِلَى ضَيْعَةِ لَعْمَرُونَ سَعِيدَ بِالْمَاهِئِينَ ، فَأَغَارَ عَلَيْهَا ،
وَاسْتَأَقَ مَوَاشِيَهَا ، وَأَحْرَقَ زَرْعَهَا ، وَقَالَ :
وَمَا تَرَكَ الْكَذَّابُ مِنْ جُلٍّ مَالِنَا وَلَا الرِّءْ مِنْ هَمْدَانَ غَيْرَ شَرِيدٍ
أَفِي الْحَقِّ أَنْ يُجْتَاخَ مَالِي كُلُّهُ وَتَأْمَنَ عِنْدِي ضَيْعَةُ ابْنِ سَعِيدٍ ؟
ثُمَّ اخْتَارَ مِنْ أَبْطَالِ أَصْحَابِهِ مِائَةَ فَارِسٍ ، فِيهِمْ مُحَشَّرُ التَّمِيمِيِّ ، وَذَلَّهِمْ بْنُ زِيَادِ
الرُّادِيِّ ، وَأَحْمَرُ طَبِيءٍ ، وَخَلَفَ بَقِيَّةَ أَصْحَابِهِ بِالْمَاهِئِينَ .
وَسَارَ نَحْوَ الْكُوفَةِ حَتَّى انْتَهَى إِلَى جِسْرِهَا لَيْلًا ، فَأَمَرَ بِقُؤَامِ الْجِسْرِ ،
فَكَتِفُوا ، وَوَكَّلَ بِهِمْ رَجُلًا مِنْ أَصْحَابِهِ ، ثُمَّ عَبَرَ .

(١) مدينة على شاطئ الفرات في طرف بلاد الروم ، وكان بها قلعة ، يسكن في شق منها الأرمن .

(٢) في الأصل « كفر تونا » والصحيح ما ذكر ، وهي قرية كبيرة ، من أعمال الجزيرة بالعراق .

(٣) مدينة مشهورة من نواحي الجزيرة .

(٤) أشهر مدينة بديار بكر ، وقد بناها الروم .

(٥) أفضة رومية ، وهي بلد قديم حصين ، يحيط بأكثره نهر دجلة .

ودخل الكوفة ، فلقية أبو عمرّة كيسان ، وهو يمسّ بالكوفة ، فقال : من أنتم ؟
قالوا : نحن أصحاب عبد الله بن كامل ، أقبلنا إلى الأمير المختار .
قال : امضوا في حفظ الله .

فمضوا حتى انتهوا إلى السجن ، فكسروه ، نفّرج كل من فيه ، وحمل أم سلمة
على فرس ، ووكل بها أربعين رجلا ، وقدمها ، ثم مضى .

وبلغ الخبر المختار ، فأرسل راشدا مولى بجيلة في ثلاثة آلاف رجل ، وعطف
عليهم أبو عمرّة من ناحية بجيلة في ألف رجل .

وخرج عليهم عبد الله بن كامل من ناحية النّخع في ألف رجل ، فأحاطوا بهم .
فلم يزل عبّيد الله يكشفهم ، ويسير والحجارة تأخذه [هو] وأصحابه من سطوح
الكوفة حتى عبر الجسر ، وقد قتل من أصحاب المختار مائة رجل ، ولم يُقتل من
أصحابه إلا أربعة نفر .

وسار عبّيد الله حتى انتهى إلى « بَانَقِيَا »^(١) فزلوا ، وداووا جروحهم ،
وعلّفوا دوائهم ، وسقوها ، ثم ركبوا ، فلم يخلّوا عُقْدَهَا حتى انتهوا إلى « سُورَا »^(٢)
فأراحوا بها ، ثم ساروا حتى أتوا المدائن ، ثم لحق بأصحابه بالماهين .

ولما تجرّد المختار لطلب قتلة الحسين هرب منه عمر بن سعد ومحمد بن الأشعث ،
وهما كانا المتولّيين للحرب يوم الحسين ، وأتى بعبد الرحمن بن إزى الخزاعي ،
وكان ممن حضر قتال الحسين ، فقال له :

— يا عدوّ الله ، أكنت ممن قاتل الحسين ؟

قال : لا ، بل كنت ممن حضر ، ولم يُقاتل .

قال : كذبت ، اضربوا عنقه .

فقال عبد الرحمن : ما يمكنك قتلي اليوم حتى تُعطى الظفر على بني أميّة ،

(١) ناحية من نواحي الكوفة ، كانت على شاطئ الفرات .

(٢) مدينة تحت الحلة ، لها نهر ينسب إليها .

وَيَصْفُو لَكَ الشَّامَ ، وَتَهْدِمُ مَدِينَةَ دِمَشْقَ حَجَرًا حَجَرًا ، فَتَأْخُذْنِي عِنْدَ ذَلِكَ ،
فَتَصْلُبْنِي عَلَى شَجَرَةٍ بِشَاطِئِ نَهْرٍ ، كَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَيْهَا السَّاعَةَ .
فَالْتَفَتَ الْمَخْتَارُ إِلَى أَصْحَابِهِ [وَقَالَ] : أَمَا إِنَّ هَذَا الرَّجُلَ عَالِمٌ بِالْمَلَأِجِمِ . ثُمَّ أَمَرَ بِهِ
إِلَى السَّجْنِ .

- فلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ بَعَثَ إِلَيْهِ مَنْ أَتَاهُ بِهِ ، فَقَالَ لَهُ :
- يَا أَخَا خِرَاعَةَ ، أَظَرَفًا عِنْدَ الْمَوْتِ ؟
فَقَالَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ إِبْرَاهِيمَ : أَنْشُدْكَ اللَّهَ أَيُّهَا الْأَمِيرُ أَنْ أَمُوتَ هَاهُنَا ضَيْعَةً .
قَالَ : فَمَا جَاءَ بِكَ مِنَ الشَّامِ ؟
قَالَ : بِأَرْبَعَةِ آلَافِ دِرْهَمٍ لِي عَلَى رَجُلٍ مِنْ أَهْلِ الْكُوفَةِ ، أَتَيْتُهُ مُتَقَاضِيًا .
١٠ فَأَمَرَ لَهُ الْمَخْتَارُ بِأَرْبَعَةِ آلَافِ دِرْهَمٍ ، وَقَالَ لَهُ : إِنْ أَصْبَحْتَ بِالْكُوفَةِ قَتَلْتُكَ .
فَخَرَجَ مِنْ لَيْلَتِهِ حَتَّى لَحِقَ بِالشَّامِ .

- وَمَكَثَ الْمَخْتَارُ بِذَلِكَ يُطَلِّبُ قَتْلَةَ الْحُسَيْنِ ، وَتُجْبَى إِلَيْهِ الْأَمْوَالُ مِنَ السَّوَادِ ،
وَالْجَبَلِ ، وَأَصْبَهَانَ ، وَالرَّيِّ ، وَأَذَرَ بِيْجَانَ ، وَالْجَزِيرَةَ ثَمَانِيَةَ عَشَرَ شَهْرًا ؛
١٥ وَقَرَّبَ أَبْنَاءَ الْعِجَمِ ، وَفَرَضَ لَهُمْ وَلِأَوْلَادِهِمُ الْأَعْطِيَّاتِ ، وَقَرَّبَ مَجَالِسَهُمْ ،
وَبَاعَدَ الْعَرَبَ وَأَقْصَاهُمْ ، وَحَرَمَهُمْ . فَغَضِبُوا مِنْ ذَلِكَ .
وَاجْتَمَعَ أَشْرَافُهُمْ فَدَخَلُوا عَلَيْهِ ، فَعَاثَبُوهُ ، فَقَالَ : لَا يُبْعَدُ اللَّهُ غَيْرَكُمْ ،
أَكْرَمْتُكُمْ فَشَمَخْتُمْ بَأَنَافِكُمْ ، وَوَلَّيْتُكُمْ فَكَسَرْتُمْ الْخِرَاجَ ، وَهَؤُلَاءِ الْعِجَمُ
أَطْوَعُ لِي مِنْكُمْ ، وَأَوْفَى ، وَأَسْرَعُ إِلَى مَا أُرِيدُ .
٢٠ قَالُوا : فَدَنَّتِ الْعَرَبُ ، بَعْضُهَا إِلَى بَعْضٍ ، وَقَالُوا : هَذَا كَذَّابٌ ، يَزْعُمُ
أَنَّهُ يُوَالِي بَنِي هَاشِمٍ ، وَإِنَّمَا هُوَ طَالِبُ دُنْيَا .

فَاجْتَمَعَتِ الْقَبَائِلُ عَلَى مُحَارَبَتِهِ ، وَصَارُوا فِي ثَلَاثَةِ أَمْكَنَةٍ ، وَوَلَّوْا أَمْرَهُمْ رُقَاعَةَ
ابْنِ سَوَّارٍ ، فَاجْتَمَعَتِ كِنْدَةُ ، وَالْأَزْدُ ، وَبُجَيْلَةُ ، وَالنَّخَعُ ، وَخَثْعَمٌ ، وَقَيْسٌ ،

وتيمُّ الرّباب في جَبَّانة مُراد^(١) ، واجتمعت ربيعة وتميم ، فصاروا في جَبَّانة الحَشَّاشين^(٢) .

وأرسل المختار إلى همدان - وكانوا خاصته - واجتمع إليه أبناء العجم .
فقال لهم : أَلَا تَرَوْنَ ما يصنع هؤلاء ؟
قالوا : بلى .

قال : فإنهم لم يفعلوا ذلك إلّا لتقديمي إيتاكم ، فكونوا أحرارا كراما .
فخرّضهم بذلك ، وأخرجهم إلى ظَهْر الكوفة ، فأخصّصهم ، فبلغوا أربعين ألف رجل .

وأن شمر بن ذى الجَوْشَن ، وعمر بن سعد ، ومحمد بن الأشعث ، وأخاه قَيْس بن الأشعث قدموا الكوفة عند ما بلغهم خروج الناس على المختار وخلعهم طاعته ، وكانوا هُرَّابا من المختار طول سلطانه ، لأنهم كانوا الرؤساء في قتال الحسين ، فصاروا مع أهل الكوفة ، وتولّوا أمر الناس .

وتأهب الفريقان للحرب ، واجتمع أهل الكوفة جميعاً في جَبَّانة الحَشَّاشين ، وزَحَفَ المختار نحوهم ، فاقتتلوا ، فقتل بينهم بَشَرٌ كثير ، فنَادَى المختار :
يا معشر ربيعة ، أَلَمْ تُبَايعُونِي ؟ فَلِمَ خَرَجْتُمْ عَلَيَّ ؟

قالت ربيعة : قد صَدَقَ المختار ، فقد بَايَعْنَاهُ وأَعْطَيْنَاهُ صَفْقَةَ أَيْماننا ؛ فاعزَّلُوا ، وقالوا : لا نكون على واحد من الفريقين . وثَبَّتَ سائر القبائل ، فقاتلوا .

وأن أهل الكوفة انهزموا ، وقد قتل منهم نحو خمسمائة رجل ، وأسر منهم

(١) محلة بالكوفة ، وأهل الكوفة يسمون المقبرة جَبَّانة .

(٢) يطلق لفظ الحَشَّاشين على فريق من طائفة الإسماعيلية الذين كانوا يحتلون الحصون الجبلية في الشام وفي غيرها من ربوع المسلمين ، ولا يميزهم عن سائر الإسماعيلية مبدأ خاص بقدر ما يميزهم تحول نظامهم السياسى إلى جماعة سرية يطيع أفرادها أئمتهم طاعة عمياء ، وقد اتخذوا القتل وسيلة للتخلص من أعدائهم . (دائرة المعارف الإسلامية المجلد السابع ، ص ٤٣٤) .

مائتا رجل ، فهرب أشراف الكوفة ، فلاحقوا بالبصرة ، وبها مُصْعَبُ بْنُ الزَّيْرِ ، فانضموا إليه .

وبلغ المختار أن شَبَّثَ بْنَ رَبِيعٍ ، وعمر بن الحجاج ، ومحمد بن الأشعث مع عمر بن سعد قد أخذوا طريق البصرة في أناس معهم من أشراف أهل الكوفة ، فأرسل في طلبهم ٥ رجلاً من خاصته يسمى « أبا القلوص الشبامي » في جريدة خيل ، فلاحقهم بناحية المذار ، فواقعوهُ ، وقتلوه ساعة ، ثم انهزموا ، ووقع في يده عمر بن سعد ونجا الباقيون .

فأتى به المختار ، فقال : الحمد لله الذي أمكن منك ، والله لأشفين قلوب آل محمد بسفك دمك ، يا كَسِيَّانَ ، اضرب عنقه . ١٠ فضربَ عنقه .

وأخذ رأسه ، فبعث به إلى المدينة ، إلى محمد بن الحنفية . وقال أعشى همدان ، وكان من أهل الكوفة :

وَلَمْ أَنْسَ هَمْدَانًا غَدَاةَ تَجُوسُنَا بِأَسْيَافِهَا ، لَا أُسْقِيَتْ صَوْبَ هَاضِبٍ (١)
فَقَتَّلَ مِنْ أَشْرَافِنَا فِي مَحَالِّهِمْ عَصَائِبُ مِنْهُمْ أُرْدِفَتْ بِعَصَائِبِ ١٥
فَكَمْ مِنْ كَمِيٍّ قَدْ أَبَارَتْ سَيُوفُهُمْ إِلَى اللَّهِ أَشْكُو رُزْءَ تِلْكَ الْمَصَائِبِ
يُقَتِّلُنَا الْمُخْتَارُ فِي كُلِّ غَائِطٍ فَيَا لَكَ دَهْرٌ مُرْصَدٌ بِالْمَجَائِبِ

وبلغ المختار أن شمر بن ذى الجوشن مقيم [بدستِ ميسان] (٢) في أناس من بني عامر بن صعصعة ، يكرهون دخول البصرة لشماتة أهل البصرة بهم ، فأرسل المختار إليهم زُرَيْبِيًّا ، مولى بَيْحِيلَةَ ، في مائة فارس على الخيل العتاق (٣) ، فسار بهم بالحث ٢٠

(١) الهاضب : المطرة .

(٢) في الأصل : دست ميسان ، وهي كورة بين واسط البصرة والأهواز ، وقيل لأنها الأبله ، فتكون البصرة منها .

(٣) نجائب الخيل .

الشديد ، فقطع أصحابه عنه إلا عشرة فوارس ، فلحقهم وقد استمدوا له ، فطعنه شمر ، فقتله ، وانهزم أصحابه العشرة حتى لحق بهم الباقون ، فطلبوا شمرًا وأصحابه ، فلم يلحقوهم .

ومضى شمر حتى نزل قريبا من البصرة بمكان يدعى « سادماه » فأقام به .
وأن قيس بن الأشعث أنف من أن يأتي البصرة فيشمت به أهلها ، فانصرف إلى الكوفة مستجيرا بعبد الله بن كامل ، وكان من أخص الناس عند المختار .
فأقبل عبد الله إلى المختار ، فقال : أيها الأمير ، إن قيس بن الأشعث قد استجار بي وأجرته ، فأنفذ جوارى إياه .

فسكت عنه المختار مَلِيًّا ، وشغله بالحديث ، ثم قال : أرني خاتمك ، فناوله إياه ، فجعله في إصبعه طويلا .

ثم دعا أبا عمرة ، فدفع إليه الخاتم ، وقال له سرا : انطلق إلى امرأة عبد الله بن كامل ، فقل لها : هذا خاتم بملك علامة ، لتدخليني إلى قيس بن الأشعث ، فإنني أريد مناظرته في بعض الأمور التي فيها خلاصه من المختار ؛ فأدخلته إليه .

فانتضى سيفه ، فضرب عنقه ، وأخذ رأسه ، فأتى به المختار ، فألقاه بين يديه .

فقال المختار : هذا بقِطِيفة الحسين .
وذلك أن قيس بن الأشعث أخذ قطيفة كانت للحسين حين قتل ، فكان يسمى « قيس قطيفة » .

فاسترجع عبد الله بن كامل ، وقال للمختار : قتلت جاري وضيئي وصديقي في الدهر ؟

قال له المختار : لله أبوك ، اسكت ، ألتحل أن تُجِيرَ قَتْلَةَ ابن بنت نبيك ؟

ثم إن المختار دعا بالأشري الذين أسره من أهل الكوفة في الوقعة التي كانت
بينه وبين أهل الكوفة ، فجعل يضرب أعناقهم حتى انتهى إلى سُرَاقَة البارقي ،
وكان فيهم ، فقام بين يديه ، وأنشأ يقول :

أَلَا مَنْ مُبْلِغُ الْمُخْتَارِ أَنَا نَزَوْنَا نَزْوَةً كَانَتْ عَلَيْنَا

خَرَجْنَا لَا نَرَى إِلَّا شِرَاكَ دِينَا وَكَانَ خُرُوجُنَا بَطْرًا وَحَيْنًا^(١)

ثم قال للمختار : أيها الأمير ، لو أنكم أنتم الذين قاتلتمونا لم تطعموا فينا .
فقال له المختار : فَمَنْ قَاتَلَكُمْ ؟

قال سُرَاقَة : قَاتَلْنَا قَوْمَ بَيْضِ الْوَجْهِ عَلَى خَيْلِ شُهْب .

قال له المختار : تلك الملائكة ، وَيَسْلُكَ ، أَمَا إِذْ رَأَيْتَهُمْ فَقَدْ وَهَبْتُكَ لَهُمْ .

ثم خَلَّى سَبِيلَهُ ، فَهَرَبَ ، فَلَحِقَ بِالْبَصْرَةِ ، وَأَنْشَأَ يَقُولُ :

أَلَا أَبْلِغُ أَبَا إِسْحَاقَ أَنِّي رَأَيْتُ الشُّهْبَ كُفْتًا مُضْمِتَاتٍ^(٢)

أَرَى عَيْنِي مَا لَمْ تَرَ أَبَاهُ كِلَانًا عَالِمٌ بِالتُّرَاهَاتِ

كَفَرْتُ بِدِينِكُمْ وَبَرِثْتُ مِنْكُمْ وَمِنْ قَتْلَاكُمْ حَتَّى الْمَمَاتِ

وهرب أسماء بن خارجة الفزاري ، وكان شيخ أهل الكوفة وسيدهم من المختار

خوفا على نفسه ، فنزل على ماء لبني أسد يسمى ذَرْوَة : في نفر من مواليه وأهل بيته
فأقام به .

وهرب عمرو بن الحجاج ، وكان من رؤساء قتلة الحسين ، يريد البصرة ، تخاف

الشماتة فعدل إلى « سَرَاة » .

فقال له أهل الماء : ارحل عنا ، فإننا لا نأمن المختار ، فارتحل عنهم ، فتلواوموا ،

وقالوا : قد أسأنا .

فركبت جماعة منهم في طلبه ليردوه ، فلما رأهم من بعيد ظن أنهم من أصحاب

(١) الحين : الهلاك .

(٢) الكتة : لون بين السواد والحمرة .

المختار ، فسلك الرَّمْل في مكان يُدعى « البَيْيُضَة » ^(١) وذلك في حِمَارَةِ القَيْظ ، وهي فيما بين بلاد كلب وبلاد طي ، فَقَالَ ^(٢) فيها ، فقتله ومن معه العطش . ولم يزل أسماء مقيماً بِذِرْوَةِ ^(٣) إلى أن قتل المختار ، ودخل مصعب بن الزبير الكوفة ، فانصرف أسماء إلى منزله بالكوفة .

٥ ولما تَتَبَعَ المختار أهل الكوفة جعل عظماءهم يتسللون هُرَّاباً إلى البصرة حتى وافاها منهم مقدار عشرة آلاف رجل ، وفيهم محمد بن الأشعث ، فاجتمعوا ، ودخلوا على مصعب بن الزبير .

فتكلم محمد بن الأشعث ، وقال : أيها الأمير ، ما يمنعك من السير لمحاربة هذا الكذاب الذي قتل خيارنا ، وهدم دورنا ، وفرّق جماعتنا ، وحمل أبناء المعجم على رقابنا ، وأباحهم أموالنا ؟ سِرْ إليه ، فإننا جميعاً معك ، وكذلك من خلفنا بالكوفة من العرب ، هم أعوانك .

قال مصعب : يا ابن الأشعث ، أنا عارف بكل ما ارتكبكم به ، وليس يمنعني من السير إليه إلا غيبة فرسان أهل البصرة وأشرافهم ، فإنهم مع ابن عمك المهلب ابن أبي صُفْرَةَ في وجوه الأزارقة بناحية كِرمَان ، غير أني قد رأيت رأياً .

قال : وما رأيت أيها الأمير ؟

قال : رأيت أن أكتب إلى المهلب ، أمره أن يُؤَدِعَ الأزارقة ، ويُقْبِلَ إلى فيمن معه ، فإذا وَافَى تجهزنا لمحاربة المختار .

قال ابن الأشعث : نَعَمْ ما رأيت ، فاكتب إليه ، واجعلني الرسول .

فكتب مُصْعَبُ بن الزبير إلى المهلب كتاباً ، يَدْعُو له ما فيه أهل الكوفة من القتل والحرب ، ويفسر فيه أمر المختار .

فسار محمد بن الأشعث بكتابه حتى ورد كِرمَان ، وأَوْصَلَ الكتاب إلى المهلب ،

(١) اسم ماء في بادية حلب ، بينها وبين تدمر . (٢) القائلة : نصف النهار .

(٣) أرض بادية الشام .

وقال له : يا ابن عمّ ، قد بلغك ما لقي أهل الكوفة من المختار ، وقد كتب إليك الأمير مُصَنَّب بما قد قرأته .

فكتب المهلب إلى قَطْرِيّ ، وكان رئيس الأزارقة يومئذ ، يسأله المُوَادعة إلى أَجَلٍ سَمَاء ، وَيَكْتُبُ بينهما كتاباً في ذلك ، وَيَضْمَانُ الحرب إلى ذلك الأَجَل .

فأجابه قَطْرِيّ إلى ذلك ، وكتباً بينهما كتاباً وَجَمَعَا الأَجَل ثمانية عشر شهراً .
وسار المهلب بمن معه حتى وَافَى البصرة ، فوضع مُصَنَّب لأهل البصرة العطاء وتهيئاً للمسير .

وبلغ المختار ذلك فَعَقَدَ لأحمر بن سَلِيط في ستين ألف رجل من أصحابه ، وأمره أن يستقبل القوم ، فيناجزهم الحرب .

فسار أحمر بن سَلِيط في الجيوش حتى وَافَى المَذَار ، وقد انصرف إليها شمر
ابن ذى الجَوْشَن أَنَفَّةً من أن يأتى البصرة هارباً ، فيشمتوا به ، فوجه أحمر بن
سَلِيط إلى المكان الذى كان متحصّناً فيه خمسين فارساً ، وأمامهم نَبِيطِيٌّ^(١) يدلّهم
على الطريق ، وذلك في ليلة مقمرة .

فلما أَحَسَّ بهم دعا بفرسه فركبه ، وركب مَنْ كان معه ليهربوا ، فأدركهم القوم ،
فقاتلواهم ، فَقُتِلَ شَمْرٌ وَجَمِيعُ مَنْ كان معه ، واحتزوا رؤوسهم ، فأتوا بها أحمر
ابن سَلِيط ، فوجهها إلى المختار ، فوجه المختار برأس شمر إلى محمد بن الحَنْفِيَّة
بالمدينة .

وسار مُصَنَّب بن الزبير بجماعة أهل البصرة نحو المَذَار ، وتخلّف عنه المنذر
ابن الجارود ، وهرب منه نحو كِرْمَان في جماعة من أهل بيته ، ودعا لعبد الملك
ابن مروان .

٢٠

(١) من الأنباط وهم أهل البطائح بين العراقين .

وأقبل مُصْعَبُ حَتَّى وَافَى الْمَذَارَ^(١) ، وَأَمَامَهُ الْأَخْنَفُ بْنُ قَيْسٍ فِي تَيْمٍ .
وَزَحَفَ الْفَرِيقَانِ ، بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ ، فَاقْتَتَلُوا ، فَانْهَزَمَ أَصْحَابُ الْمُخْتَارِ ،
وَاسْتَحَرَّ الْقِتَالُ فِيهِمْ ، وَمَضُوا نَحْوَ الْكُوفَةِ ، وَاتَّبَعَهُمْ مُصْعَبُ يُقَاتِلُهُمْ فِي جَمِيعِ طَرِيقِهِ ،
فَلَمْ يُفْلِتْ مِنْهُمْ إِلَّا الْقَلِيلُ .

فَقَالَ أَعْتَشَى هَمْدَانَ فِي ذَلِكَ :

أَلَمْ يَبْلُغْكَ مَا لَقِيتَ شِبَامَ^(٢) وَمَا لَاقَتْ عُرَيْنَةَ بِالْمَذَارِ
أَتَبَحَّ لَهُمْ بِهَا ضَرْبُ طَلْحَقٍ وَطَعْنُ بِالْمُتَقَفَةِ الْحِرَارِ
كَأَنَّ سَحَابَةَ صُبُغٍ عَلَيْهِمْ فَعَمَّتَهُمْ هُنَالِكَ بِالْأَمَارِ
وَمَا إِنْ سَاءَ لِي مَا كَانَ مِنْهُمْ لَدَى الْإِسَارِ مِنِّي وَالْيَسَارِ
وَلَكِنِّي فَرَحْتُ وَطَابَ نَوِي وَقَرَّ لِقَاتِلُهُمْ مِنِّي قَرَارِي

وَأَنْ مُصْعَبًا سَارَ بِالْجِيُوشِ نَحْوَ الْكُوفَةِ ، فَدَبَّرَ دَجْلَةَ ، وَخَرَجَ إِلَى أَرْضِ
كَسْرٍ ، ثُمَّ أَخَذَ عَلَى حَدِيثَةِ الْفُجَّارِ ، ثُمَّ أَخَذَ عَلَى النَّجْرَانِيَّةِ حَتَّى قَارَبَ
الْكُوفَةَ .

[قتل المختار]

وَبَلَغَ الْمُخْتَارُ مَقْتَلَ أَصْحَابِهِ ، فَنَادَى فِي بَقِيَّةِ مَنْ كَانَ مَعَهُ مِنْ جُنُودِهِ ، فَقَوَّاهُمْ
بِالْأَمْوَالِ وَالسَّلَاحِ ، وَسَارَ بِهِمْ مِنَ الْكُوفَةِ مُسْتَقْبِلًا لِمُصْعَبِ بْنِ الزَّيْبِرِ ، فَالْتَقَوْا
بِنَهْرِ الْبَصْرِيِّينَ ، فَاقْتَتَلُوا ، فَقُتِلَ مِنْ أَصْحَابِ الْمُخْتَارِ مَقْتَلَةٌ عَظِيمَةٌ ، وَقُتِلَ مُحَمَّدُ بْنُ
الْأَشْعَثِ ، وَقُتِلَ عُمَرُ بْنُ عَلِيٍّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ ، عَلَيْهِمَا السَّلَامُ .

وَذَلِكَ أَنَّهُ قَدِمَ مِنَ الْحِجَازِ عَلَى الْمُخْتَارِ ، فَقَالَ لَهُ الْمُخْتَارُ :

— هَلْ مَعَكَ كِتَابُ مُحَمَّدِ بْنِ الْحَنْفِيَّةِ ؟

(١) بلدة في ميسان بين واسط والبصرة ، بها مشهد عظيم ، به قبر عبد الله بن علي بن أبي طالب .
(٢) شبام : حَيٍّ مِنْ هَمْدَانَ .

فقال عمر : لا ، ما مى كتابه .

فقال له : انطلق حيث شئت فلا خير لك عندى .

فخرج من عنده ، وسار إلى مُصْعَب ، فاستقبله فى بعض الطريق ، فوصله بمائة ألف درهم ، وأقبل مع مُصْعَب حتى حضر الوقعة ، فُقُتِلَ فيمن قُتِلَ من الناس .

وانهزم المختار حتى دخل الكوفة ، وتبعه مُصْعَب ، فدخل فى إثره ، وتحصَّن المختار فى قصر الإمارة ، فأقبل مُصْعَب حتى أناخ عليه ، وحاصره أربعين يوما .

ثم إن المختار قلق [بالحصار قلعا عظيما ، فقال] ^(١) للسائب بن مالك الأشعرى ، وكان من خاصته :

١٠ - أيها الشيخ ، اخرج بنا نُقاتِلْ على أحسابنا لا على الدين .

فاسترجع السائب ، وقال : يا أبا إسحق ، لقد ظنَّ الناس أن قيامك بهذا الأمر دينونة .

فقال المختار : لا ، لعمري ما كان إلا لطلب دُنْيَا ، فإني رأيت عبد الملك ابن مروان قد غلبَ على الشام ، وعبد الله بن الزبير على الحجاز ، ومُصْعَبًا على البصرة ، ونَجْدَةَ الحَرُورِيِّ على العَرُوض ^(٢) ، وعبد الله بن خازم على خراسان ، ولست بدون واحد منهم ، ولكن ما كنت أقدر على ما أردتُ إلا بالدعاء إلى الطَّلَبِ بثار الحسين .

ثم قال :

- يا غلام ، على بفرسى ولأمتي .

فأتى بدرعه ، فتدَرَّعَها ، وركب فرسه .

٢٠

ثم قال : قَبَّحَ الله العيشَ بعد ما أرى ، يا بَوَّاب ، افتح .

ففتح له الباب .

(١) محو فى الأصل . (٢) العروض : المدينة ومكة واليمن ، وقال ابن الكلبي : بلاد

اليامة والبحرين وما والاها العروض .

وخرج معه حماة أصحابه ، فقاتل القوم قتالاً شديداً ، وانهزم أصحابه ، ومضى هو نحو القصر ، وهو في حامية أصحابه ، فدخل القصر من أصحابه ستة آلاف رجل ، وبقي مع المختار نحو من ثلاثمائة رجل ، فأخذ أصحاب مصعب عليه باب القصر ، فلجأ المختار فيمن معه إلى حائط القصر ، وأقبل يذمر أصحابه ، ويحمل .

فلم يزل يقاتل حتى قتل أكثر من كان معه .
فحمل عليه أخوان من بني حنيفة من أصحاب المهلب ، فضرباه بالسيف حتى سقط ، وبادرا إليه ، فاحتزأ رأسه ، فأثاب به مصعباً ، فأعطاهما ثلاثين ألف درهم .

فقال سويد بن أبي كاهل يذكر قتل المختار :
يَا لَيْتَ شِمْرِي مَتَى تَغْدُو مُخَيَّبَةً^(١) مِنَّا فَتُبْلِغُ أَهْلَ الْمَوْسِمِ الْخَبْرَا
أَنَا جَزَوْنَا عَنِ الْكَذَّابِ هَامَتُهُ مِنْ بَعْدِ طَعْنٍ وَضَرْبٍ يَكْشِفُ الْخُمْرَا

ووجه مصعب برأس المختار إلى عبد الله بن الزبير مع عبد الله بن عبد الرحمن .
قال عبد الله : فوافيت مكة بعد العشاء الآخرة ، فأثيت المسجد ، وعبد الله ابن الزبير يصلي ، قال : فجلست أنتظره ، فلم يزل يصلي إلى وقت السحر ، ثم انفلت من صلاته ، فدنوت منه ، فناولته كتاب الفتح ، فقرأه ، وناولته غلامه ، وقال :

— أمسكه معك .

فقلت : يا أمير المؤمنين ، هذا الرأس مي .

قال : فأتريد ؟

قلت : جازني .

قال : خذ الرأس الذي جئت به بجازتك .

فتركته ، وانصرفت .

(١) جماعة من راكبي الإبل الخبيسة وهي التي لم تسرح .

[سلطان عبد الله بن الزبير]

قالوا : ولما قتل المختار ، واستتب الأمر لعبد الله بن الزبير ، أرسل إلى عبد الله ابن عباس ومحمد بن الحنفية : « إما أن تبايعاني أو تخرجنا من جوارى » .
فخرجنا من مكة ، فنزلا الطائف ، وأقاما هناك .

وتوفي عبد الله بن عباس بالطائف ، وصلى عليه محمد بن الحنفية .
وخرج محمد بن الحنفية حتى أتى أَيْلَةَ^(١) ، وكتب إلى عبد الملك بن مروان ، يستأذنه في القدوم عليه ، والنزول في جواره ، فكتب إليه : وراءك أوسع لك ، ولا حاجة لي فيك .

فأقام محمد بن الحنفية عامه ذلك بأَيْلَةَ ، ثم توفي بها .
وقُتِل المختار ، وإبراهيم بن الأشتر عامله على كورة الجزيرة ، فكتب إلى مصعب يسأله الأمان ، وكتب إليه يأمره بالقدوم عليه ، فقدم وبايعه ، وفوض مصعب إليه جميع أمره ، وأظهر برّه وألطافه ، ولم تزل الستة الآلاف^(٢) الذين دخلوا القصر متحصنين فيه شهرين ، حتى نفذ جميع ما كان المختار أعدّه فيسه من الطعام ، فسألوا الأمان ، فأبى مصعب أن يعطيهم الأمان إلا على حكمه .
فأرسلوا إليه : إنا نزل على حكمك .

فنزّلوا عند ما بلغ إليهم الجوع .
فضرب أعناقهم كلها ، وكانوا ستة آلاف : ألفين من العرب ، وأربعة آلاف من العجم .

ودعا مصعب بامرأت المختار ، أم ثابت ابنة سمرة بن جندب ، وعمرة بنت النعمان بن بشير ، فدعاها إلى البراءة من المختار ، فأما أم ثابت فإنها تبرأت منه ، وأبت عمرة أن تتبرأ منه .

فأمر بها مصعب ، فأخرجت إلى الجبّانة ، فضربت عنقها .

(١) مدينة كانت على ساحل البحر الأحمر مما يلي الشام ، وهي مدينة اليهود الذين اعتدوا في السبت ، وكان حجاج مصر يجتازونها . (٢) في الأصل : آلاف .

فقال بعض الشعراء في ذلك :

إِنَّ مِنْ أَعْجَبِ الْمَجَائِبِ عِنْدِي قَتَلَ بَيْضَاءَ حُرَّةٍ عَطْبُولُ^(١)
قَتَلُوهَا بِغَيْرِ ذَنْبٍ سَفَاهًا إِنَّ لِلَّهِ دَرَّهَا مِنْ قَتِيلٍ
كُتِبَ الْقَتْلُ وَالْقِتَالُ عَلَيْنَا وَعَلَى الْمُحْصَنَاتِ جُرُّ الذُّيُولِ

وقال سعيد بن عبد الرحمن بن حسان بن ثابت في ذلك :

أَلَمْ تَعْجَبِ الْأَقْوَامُ مِنْ قَتْلِ حُرَّةٍ مِنْ الْخَلِصَاتِ الدِّينِ مَحْمُودَةِ الْأَدَبِ؟
مِنْ الْعَافِيَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ بَرِيَّةٍ مِنْ الزُّورِ وَالْبُهْتَانِ وَالشُّكِّ وَالرَّيْبِ
عَلَيْنَا كِتَابُ اللَّهِ فِي الْقَتْلِ وَاجِبٌ وَهُنَّ الضَّعَافُ فِي الْحِجَالِ وَفِي الْحُجُبِ
قَتَلْتُ وَلَمْ أَظْلِمِ ، أَعْمَرُوا بَنِي مَالِكٍ يُقْتَلُ ظُلْمًا ، لَمْ يُخَالِفْ وَلَمْ يَرِبْ
وَيَسْبِقُنَا آلُ الزَّيْرِ بَوْتَرْنَا وَنَحْنُ حَمَاءُ النَّاسِ فِي الْبَارِقِ الْأَشْبِ^(٢)
فَإِنْ تُعْقِبِ الْأَيَّامُ مِنْهُمْ نَجَازِمُ عَلَى حَنْقٍ بِالْقَتْلِ وَالْأَسْرِ وَالْحَنْبِ^(٣)

ثم إن مصعب بن الزبير نزل القصر بالكوفة ، واستعمل المال ، وجبى الخراج ،
فولى البصرة عبيد الله بن معمر التميمي ، ورد المهدب إلى قتال الأزارقة .

قالوا : ولما صفا الأمر لعبد الله بن الزبير ودانت له البلدان إلا أرض الشام ،
جمع عبد الملك بن مروان إخوته ، وعظماؤه أهل بيته ، فقال لهم : إن مصعب بن الزبير
قد قتل المختار ، ودانت له أرض العراق ، وسائر البلدان ، ولست آمنه أن
يفزركم في عُتْر بلادكم ، وما من قوم غزوا في عقر دارهم إلا ذلّوا ، فأترون ؟ .

فتكلم بشر بن مروان ، فقال :

يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، أَرَى أَنْ تَجْمَعَ إِلَيْكَ أَطْرَافَكَ ، وَتَسْتَجِيشَ جُنُودَكَ ،
وَتَضُمَّ إِلَيْكَ قَوَاصِيكَ ، وَتَسِيرَ إِلَيْهِ ، وَتَلْفَ الْخَيْلَ بِالْخَيْلِ ، وَالرِّجَالَ بِالرِّجَالِ ،
وَالنَّصْرَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ .

(١) المرأة العطبول هي الفتية الجميلة المتلثة الطويلة العنق . (٢) البارق : موضع قرب
الكوفة ، والأشب : كثير الشجر . (٣) الحنب والتحنيب : اعوجاج في الضلوع .

فقال القوم : هذا الرأي ، فاعمل به ، فإن بنا قوة ونهوضا .
فوجه رسله إلى كور الشام ليجتمع إليه ، فاجتمع له جميع أجناد الشام ؛ ثم
سار وقد احتشد ، ولم ينزل .

[خضوع العراق لجند الشام]

وبلغ مُصعب بن الزبير خروجه ، فضم إليه أطرافه ، وجمع إليه قواصيه ،
واستمد ، ثم خرج لمحاربته ، فتوآفى العسكران بدير الحانات ، فقال عدي بن
زيد بن عدي ، وكان مع عبد الملك :

لَعَمْرِي لَقَدْ أَصْحَرَتْ خَيْلُنَا بِأَكْنَفٍ دَجَلَةٍ لِلْمُصْعَبِ^(١)
يَجْرُونَ كُلُّ طَوِيلٍ الْكُؤُ بٍ مُتَدَلِّ النَّصْلِ وَالشَّعْلَبِ^(٢)
يَكُلُّ فَتَى وَاضِحٍ وَجْهَهُ كَرِيمِ الضَّرَائِبِ^(٣) وَالْمَنْصِبِ^(٤)

ولما نظر أصحاب مُصعب إلى كثرة جموع عبد الملك تواكلوا ، وشملهم الرعب ،
فقال مصعب لعروة بن المغيرة ، وهو يسيره :
اذنُ يا عُرْوُ أَكَلَمْتُكَ .
فَدَنَا مِنْهُ .

فقال : أخبرني عن الحسين ، كيف صنع حين نزل به الأمر ؟
قال عروة : فجعلت أحدثه بحديث الحسين ، وما عرض عليه ابن زياد من
النزول على حكمه ، فأبى ذلك ، وصبر للموت .

فضرب مصعب معرفة^(٤) دابته بالسوط ، ثم قال :
فَإِنَّ الْأَلَى بِالطَّفِّ^(٥) مِنْ آلِ هَاشِمٍ تَأَسَّوْا فَسَنُوا لِلْكَرَامِ التَّأْسِيَا
وأن عبد الملك كتب إلى رؤساء أصحاب مصعب يستميلهم إليه ، ويعرض
عليهم الدخول في طاعته ، ويبذل لهم على ذلك الأموال .

(١) أصحرت الخيل : برزت في الصحراء ، والأكناف جمع كنف (بفتحين) وهو الجانب .

(٢) المقصود بالشعلب طرف الرمح الداخل في جبة السنان .

(٣) الضرائب : جمع ضريبة ، وهي الطبيعة والسجية ، أو السيف وحده ، كالضرب .

(٤) المعرفة موضع العرف من الفرس . (٥) الطف : موضع قرب الكوفة .

وكتب إلى إبراهيم بن الأشتر فيمن كتب .

فأقبل إبراهيم بالكتاب مختماً فنأوله مُصَنَّباً ، وقال :

- أيها الأمير ، هذا كتاب الفاسق عبد الملك بن مروان .

قال له مُصَنَّب : فَهَلَّا قَرَأْتَهُ .

قال : ما كنت لِأَفُضِّه ، ولا أَقْرَأهُ إِلَّا بَعْدَ قِرَاءَتِكَ لَهُ .

فَفَضَّه مُصَنَّب ؛ وَإِذَا فِيهِ :

« بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ، من عبد الله عبد الملك أمير المؤمنين إلى إبراهيم

ابن الأشتر ؛ أَمَّا بَعْدُ ، فَإِنِّي أَعْلَمُ أَنَّ تَرْكَكَ الدُّخُولَ فِي طَاعَتِي لَيْسَ إِلَّا عَنْ مَعْتَبَةٍ ،

فَلَكَ الْفُرَاتُ وَمَا سَقَى ، فَانْجِزْ إِلَى فِيمَنْ أَطَاعَكَ مِنْ قَوْمِكَ ، وَالسَّلَامُ » .

فقال مصعب : فَمَا يَمْنَعُكَ يَا ابْنَ النِّعْمَانِ ؟

قال : لَوْ جَعَلَ لِي مَا بَيْنَ الْمَشْرِقِ إِلَى الْمَغْرِبِ مَا أَعْنَتُ بَنِي أُمَيَّةٍ عَلَى وَلَدِ صَفِيَّةٍ .

فقال مصعب : جُزِيتَ خَيْرًا أَبَا النِّعْمَانِ .

فقال إبراهيم لمصعب : أَيُّهَا الْأَمِيرُ ، لَسْتُ أَشُكُّ أَنَّ عَبْدَ الْمَلِكِ قَدْ كَتَبَ إِلَى

عِظَاءِ أَصْحَابِكَ بِنَحْوِ مَا كَتَبَ إِلَيَّ ، وَأَنَّهُمْ قَدْ مَالُوا إِلَيْهِ ، فَائْذَنْ لِي فِي حَبْسِهِمْ

إِلَى فَرَاعِكَ ، فَإِن ظَفَرْتُ مَنَنْتَ بِهِمْ عَلَى عِشَائِرِهِمْ ، وَإِن تَكُنْ الْأُخْرَى كُنْتُ

قَدْ أَخَذْتُ بِالْحَزْمِ .

قال مصعب : إِذْنٌ يَحْتَجُّوهُ عَلَى عِنْدَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ .

فقال إبراهيم : أَيُّهَا الْأَمِيرُ ، لَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ وَاللَّهِ لَكَ الْيَوْمَ ، وَمَا هُوَ إِلَّا

الْمَوْتُ ، فَمَتُّ كَرِيمًا .

فقال مصعب : يَا أبا النِّعْمَانِ ، إِنَّمَا هُوَ أَنَا وَأَنْتَ فَتَقَدِّمَ لِلْمَوْتِ .

قال إبراهيم : إِذْنٌ ، وَاللَّهِ أَفْعَلُ .

قال : وَلَا تَزَلُوا بِدَيْرِ الْجَائِلِيْقِ^(١) بَاتُوا لِيْلَتِهِمْ .

(١) الجائلق رئيس للنصارى في بلاد الاسلام بمدينة السلام، ويكون تحت يد بطريق أنطاكية،

ثم المطران تحت يده ، ثم الأسقف يكون في كل بلد من تحت المطران ، ثم القسيس ، ثم الشماس .

فلما أصبحوا نظر إبراهيم بن الأشتر ، فإذا القوم الذين اتهمهم قد ساروا تلك الليلة ، فلاحقوا بعبد الملك بن مروان ، فقال لمصعب :
— كيف رأيت رأيي ؟ .

ثم زحف بعضهم إلى بعض ، فاقتتلوا ، فاعتزلت ربيعة ، وكانوا في ميمنة مصعب ، وقالوا لمصعب : لا نكون معك ولا عليك .

وثبت مع مصعب أهل الحِفاظ ، فقاتلوا ، وأمامهم إبراهيم بن الأشتر ، فقتل إبراهيم .

فلما رأى مصعب ذلك ، استمات ، فترجل ، وترجل معه حُماة أصحابه ، فقاتلوا حتى قتل عامتهم ، وانكشف الباكون عن مصعب .

فحمل عليه عبد الله بن ظبيان ، فضربه من ورائه بالسيف ، ولا يشعر به مصعب ، نفخ صريعا ، فنزل وأجهز عليه ، واختر رأسه .

فأتى به عبد الملك ، فحزن عليه حزنا شديداً ، وقال : متى تغدو قريش مثل مصعب ؟ وددت لو أنه قبل الصلح ، وأنى قاسمته مالى .

ولما قتل مصعب بن الزبير استأمن من بقي من أصحابه إلى عبد الملك ، فأمنهم . فقال عبد الله بن قيس الرقييات :

لَقَدْ وَرَدَ الْمِصْرَيْنِ خِزْيٌ وَذِلَّةٌ قَتِيلٌ بِدَيْرِ الْجَائِلِقِ مُقِيمٌ
فَمَا صَبَرَتْ فِي الْحَرْبِ بَكْرُ بْنُ وَائِلٍ وَلَا ثَبَّتَتْ عِنْدَ الْمَقَاءِ نَعِيمٌ
وَلَكِنَّهُ ضَاعَ الدَّمَارُ فَلَمْ يَكُنْ رِبَاهَا عَرَبِيٌّ عِنْدَ ذَاكَ كَرِيمٌ
وكان قتل مصعب يوم الخميس للنصف من جمادى الأولى سنة اثنتين وسبعين^(١) .

فارتحل عبد الملك بالناس حتى دخل الكوفة ، فدعاهم إلى البيعة ، فبايعوه . ثم جهز الجيوش إلى تهامة لمحاربة عبد الله بن الزبير ، وولى الحرب قدامة ابن مظهر ، وأمره بالسير .

وانصرف عبد الملك إلى الشام .

(١) سنة ٦٩١ م .

[مقتل عبد الله بن الزبير]

ثم وجه الحجاج بن يوسف لمحاربة عبد الله بن الزبير ، وعزل قدامة بن مظعون ، فسار الحجاج حتى نزل الطائف ، وأقام شهرا .

ثم كتب إلى عبد الملك : « إنك يا أمير المؤمنين متى تدع ابن الزبير يُعمل فكره ، ويستجيش ويجمع أنصاره ، وتثوب إليه فُلاله كان في ذلك قوة له ، فأذن في معاجلته لي » .

فأذن له .

فقال الحجاج لأصحابه : تجهزوا للحج .

وكان ذلك في أيام الموسم .

ثم سار من الطائف حتى دخل مكة ، ونصب المنجنيق على أبي قُبَيْس (١) .

فقال الأقيشر الأسدي :

لَمْ أَرَّ جَيْشًا غُرَّ بِالْحَجِّ مِثْلَنَا وَلَمْ أَرَّ جَيْشًا مِثْلَنَا غَيْرَ مَا خُرُسِ

دَلَفْنَا لِبَيْتِ اللَّهِ نَرْمِي سُتُورَهُ بِأَحْجَارِنَا زَفَنَ الْوَلَايِدِ فِي الْعُرُسِ (٢)

دَلَفْنَا لَهُ يَوْمَ الثَّلَاثَاءِ مِنْ مَنَى بِجَيْشٍ كَصَدْرِ الْفِيلِ لَيْسَ بِذِي رَأْسِ

فَبَلَّا تَرُخْنَا مِنْ تَقِيفٍ وَمُلْكِيهَا نُصَلُّ لِأَيَّامِ السَّبَّاسِ وَالنَّحْسِ (٣)

فطلبه الحجاج ، فهرب ، وأناخ الحجاج بابن الزبير .

وتحصن منه ابن الزبير في المسجد .

واستمحل الحجاج على المنجنيق ابن خزيمة الخثعمي ، فجعل يرمي أهل المسجد ويقول :

خَطَّارَةٌ مِثْلُ الْفَنِيقِ الْمُلْبِدِ نَرْمِي بِهَا عُوَاذَ أَهْلِ الْمَسْجِدِ (٤)

(١) أبو قبيس جبل بمكة سمي باسم رجل من مذحج حدّاد ، لأنه أول من بنى فيه .

(٢) زفن كضرب : رقص . (٣) السباسب هي أيام السعانيين ، والسعانيين ، أو الشعانيين :

عيد للنصارى قبل عيد الفصح بأسبوع ، يخرجون فيه بصلبانهم .

(٤) الخطارة : المقلع والمنجنيق ، والفنيق الفعل المكرم .

فلما اشتد على ابن الزبير وأصحابه الحصار ، خرجت بنو سهم من بابهم ، فقال ابن الزبير :

فَرَّتْ سَلَامَانُ ، وَفَرَّتِ النَّمِيرُ وَقَدْ تَكُونُ مَعَهُمْ فَلَا تَفِرْ

وجعل أهل الشام يدخلون عليه المسجد ، فيشد عليهم ، فيخرجهم من المسجد حتى

رمى بحجر ، فأصاب جبهته ، فسقط لوجهه ، ثم تحامل ، فقام ، وهو يقول :

فَلَسْنَا عَلَى الْأَعْقَابِ تَدْمَى كُلُومُنَا وَلَكِنْ عَلَى أَقْدَامِنَا تَقْطُرُ الدِّمَاءُ

ثم قال لأصحابه : « اخرجوا إلى من الباب ، واحملوا ، ولا يلهينكم طلبي ،

والسؤال عني ، فإني في الرّيعيل الأول » .

نخرج ، وخرجوا معه ، فقاتل قتالا شديدا حتى قُتل عامة من كانوا معه ، وأخذوا

به من كل جانب ، فضربوه بأسيا ففهم حتى قتلوه .

فأمر به الحجاج ، فصُلب .

فمرّ به عبد الله بن عمر ، فقال :

« رحمك الله أبا بكر ، أما والله لقد كنت صوّاما قوّاما ، غير أنك رفعت الدنيا

فوق قدرها ، وليست لذلك بأهل ، وإن أمة أنت شرّها لأمة صدق » .

وكان مقتل ابن الزبير يوم الثلاثاء لسبع عشرة ليلة خلت من جمادى الآخرة ،

سنة ثلاث وسبعين^(١) .

ولما قتل عبد الله بن الزبير خرج أخوه عروة بن الزبير هاربا من الحجاج

حتى أتى الشام ، فاستجار ببند الملك بن مروان ، فأجاره ، وأظهر إكرامه ،

وأقام عنده .

فكتب الحجاج إلى عبد الملك : أن أموال عبد الله بن الزبير عند أخيه عروة ،

فرده إلىّ لأستخرجها منه .

فقال عبد الملك لبعض أحراسه :

- انطلق بعروة إلى الحجاج .

فقال عُرْوَة :

- يا بني مروان ، ما ذلَّ مَنْ قَتَلْتُمُوهُ ، بل ذلَّ مَنْ مَلَكَتُمُوهُ .
فتقدم عبد الملك ، وخلق سبيل عُرْوَة .
وكتب إلى الحجاج : « ألهُ عن عُرْوَة ، فلن أسلَّطك عليه » .
فأقام الحجاج بمكة حتى أقام للناس الحج .
وأمر بالكعبة فنُقِضَتْ ، وأعاد بناءها ؛ وهو هذا البناء القائم اليوم .
وفي ذلك العام توفى عبد الله بن عمر ، وله أربع وسبعون سنة . فدُفِنَ
« بذي طوى »^(١) في مقبرة المهاجرين .
وكان يكنى « أبا عبد الرحمن » .
وفيها مات أبو سعيد الخدري ، واسمه سعد بن مالك .
وفيها مات رافع بن خديج ، وله ست وثمانون سنة ، وكان يكنى « أبا عبد الله » .

[سك النقود العربية]

- قالوا : وأمر عبد الملك بضرب الدراهم سنة ست وسبعين ، ثم أمر بعد ذلك
بضرب الدنانير ، وهو أوَّل من ضربها في الإسلام .
وإنما كانت الدراهم والدنانير قبل ذلك مما ضربت المجمع .
وفي تلك السنة مات جابر بن عبد الله ، وله سبع وتسعون سنة .

[ابن الأشعث وفتنته]

- ثم خرج عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث بن قيس على الحجاج .
وكان سبب خروجه أنه دخل على الحجاج يوماً ، فقال له الحجاج :
— إنَّكَ لَمَنْظَرَانِي .
قال عبد الرحمن : أي والله ، ومخبراني .
وقام عبد الرحمن ، فخرج .

(١) ذو طوى ، مثلث الطاء موضع قرب مكة .

فقال الحجاج لمن كان عنده :

— ما نظرت إلى هذا قط ، إلا اشتيت أن أضرب عنقه .

وكان عامر الشعبي حاضراً .

وإن عبد الرحمن لما خرج قعد بالباب حتى خرج الشعبي ، فقام عبد الرحمن إليه .

فقال له : هل ذكرني الأمير بعد خروجي من عنده بشيء ؟

فقال الشعبي : اعطى عهداً وثيقاً ألا يسمعه منك أحد .

فأعطاه ذلك .

فأخبره بما كان الحجاج قال فيه .

فقال عبد الرحمن :

— والله لأجهدن في قطع خيط رقبتك .

ثم إن عبد الرحمن دب في عبّاد أهل الكوفة وقرأهم ، فقال :

« أيها الناس ، ألا ترون هذا الجبار — يعني الحجاج — وما يصنع بالناس ؟

ألا تغضبون لله ؟ ألا ترون أن السنة قد أميتت ، والأحكام قد عطّلت ، والنكر

قد أعلن ، والقتل قد فشا ؟ اغضبوا الله ، واخرجوا مني ، فما يحمل لكم الشكوت . »

فلم يزل يدب في الناس بهذا وشبهه حتى استجاب له القراء والمعبّاد ، وواعدتهم

يوماً يخرجون فيه .

فخرجوا على بكرة أيهم ، واتبعهم الناس ، فساروا حتى نزلوا الأهواز ،

ثم كتبوا إلى الحجاج :

خَلَعَ الْمُلُوكَ وَسَارَ تَحْتَ لَوَائِهِ شَجَرُ الرُّمَى وَعُرَاعِرُ الْأَقْوَامِ^(١)

فأرسل الحجاج كتابه إلى عبد الملك بن مروان .

فكتب عبد الملك في جوابه :

وَإِنِّي وَإِيَّاهُمْ كَمَنْ نَبَّهَ الْقَطَا وَلَوْ لَمْ يُنَبِّهْ بَاتَ الطَّيْرُ لَا تَسِرُ^(٢)

إِخَالُ صُرُوفِ الدَّهْرِ لِلْحَيْنِ مِنْهُمْ سَخِمِلُهُمْ مِنِّي عَلَى مَرْكَبٍ وَغَرِ

(١) جمع عرور بضم الأول والثاني وهو الأجر . (٢) القطا : طائر ومفرده قطاة .

قالوا : وأُهديت لعبد الملك في ذلك اليوم جارية إفريقية ، أهداها إليه موسى ابن نصير ، عامله على أرض المغرب ، وكانت من أجمل نساء دهرها ، فباتت عنده تلك الليلة ، فلم ينل منها شيئا أكثر من أن غمزَ كَفِّها ، وقال لها : إنَّ دُونَكَ أُمْنِيَّةُ الْمُتَمَنَّى .

قالت : فما بمنك ؟

قال : بمنى بيت مُدِخْنابه ، وهو :

قَوْمٌ إِذَا حَارَبُوا شَدُّوا مَكَزَرَهُمْ دُونَ النِّسَاءِ وَلَوْ بَاتَتْ بِأَطْهَارٍ

فزعوا أنه مكث سبعة أشهر لا يَقْرُبُ امرأة حتى أتاه قتلُ عبد الرحمن بن محمد .

ثم إنَّ الحجاج بعث أيوب بن القريّة إلى عبد الرحمن بن محمد ، وقال :

انطلق ، فادْفَعْهُ إِلَى الطَّاعَةِ ، وله الأمان على ما سَأَفَ مِنْ ذَنْبِهِ .

فانطلق إليه ابن القريّة ، فدعاه ، فأبلغ في الدعاء ، فقال له عبد الرحمن :

— ويحك يا ابن القريّة ، أَجِلُّ لَكَ طَاعَتُهُ مَعَ ارْتِكَابِهِ الْعِظَائِمِ ، واستحلاله

المحرم ؟ اتق الله يا ابن القريّة ، وَوَالِ عِبَادَ اللَّهِ فِي الْبَرِيَةِ .

ولم يزل عبد الرحمن بابن القريّة يَحْتَدِّعُهُ حتى ترك ما أرسل فيه ، وأقام مع

عبد الرحمن ، فقال له عبد الرحمن :

— إني أريد أن أكتب إلى الحجاج كتابا مُسَجِّعًا ، أعرفه فيه سوء فعله ،

وأبصره قُبْحَ سِرِّيَّتِهِ ، فأمّله على .

فقال أيوب : إنَّ الحجاج يعرف ألفاظي .

قال : وما عليك ، إني لأرجو أن نقتله عن قريب .

فأملى عليه ، فكتب :

« بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ، من عبد الرحمن بن محمد ، إلى الحجاج بن يوسف ،

سلام على أهل طاعة الله ، الذين يحكمون بما أنزل الله ، ولا يفسكون دما حراما ،

ولا يُمَظِّلُونَ لِلَّهِ أَحْكَامًا ، فإني أحمد الله الذي بعثنى لِنَازِلَتِكَ ، وقوّانى على محاربتك

حين تهتكت سُتُورُكَ ، وتحيرت أمورُكَ ، فأصبحت حيرانَ تأمُّها ، لهفان
لا تعرف حقاً ، ولا تلائم صدقاً ، ولا ترتقُ فتقاً ، ولا تفتقُ رتقا ، وطالما تناولت
فيما تناولت ، فصرت في النقي مُذبذباً ، وعلى الشرارة مُركباً ، فتدبر
أمرُكَ ، وقِسْ شِرْكَكَ بِفِتْرِكَ^(١) ، فإنك مَرَّاقٌ عَرَّاقٌ^(٢) ، ومعك عصابة فُسَّاق ،
جملوك مثاهم ، كحذوهم نعاظم ، فاستعدّ للأبطال بالسيوف والعوال^(٣) ، فستذوق
وبال أمرُكَ ، ويرجع عليك غيثُكَ ، والسلام .

فلما قرأ الحجاج الكتاب عرف ألفاظ ابن القريّة ، وعلم أنه من إملائه .

فكتب إلى عبد الرحمن في جوابه .

« بسم الله الرحمن الرحيم ، من الحجاج بن يوسف ^{إلى} بن عبد الرحمن بن الأشعث ،
سلام على أهل التورّع لا التبذّع ، فإنني أحمد الله الذي حَيَّرَكَ بعد البصيرة ، فمَرَّقَتْ
عن الطاعة ، وخرجت عن الجماعة ، فمسكرت في الكفر ، وذَهَلَتْ عن الشكر ،
فلا تحمد الله في سراء ، ولا تصبر لأمره في ضراء ؛ قد أتاني كتابك بلفظات فاجر ،
فاسق غادر ، وسيئ مَكْنٍ الله منه ، ويهتِك سُتُورَهُ ؛ أما بعد فهَلُمُّ إلى فِعل وفَعَال ،
ومعانقة الأبطال بالبيض والعوال ، فإن ذلك أخرى بك من قيل وقال ، والسلام على
من اتبع الهدى ، وخشى الله ، واتيّق . »

وإن عبد الملك وجه إلى الحجاج عشرة آلاف رجل من فرسان أهل الشام لمحاربة

عبد الرحمن بن محمد .

فلما قدموا عليه تجهّز ، وسار نحو عبد الرحمن ، فالتقوا بالأهواز ، فاقتتلوا ،
فانهزم عبد الرحمن ، ومضى على وجهه ، فرّ على رجل من أصحابه مَسْلُوبٍ حَافٍ ،
يمشي ويمتثر .

(٢) الشبر : ما بين أعلى الإبهام وأعلى الخنصر ، والفتر بالكسر ما بين طرف الإبهام وطرف

المشيرة .

(٢) المرق : لكثارة مرقعة القدر والعرق العظم بلحمه .

(٣) الرماح .

فأنشأ عبد الرحمن يقول :

مُنْخَرِقُ الْخُفَّيْنِ يَشْكُو الْوَجَى تَنْكِتُهُ أَطْرَافُ مَرٍ حِدَادٍ (١)
أَخْرَجَهُ الْخِذْلَانُ عَنْ أَرْضِهِ كَذَلِكَ مَنْ يَكْرَهُ حَرَّ الْجِلَادِ
إِنْ كَانَ فِي الْمَوْتِ لَهُ رَاحَةٌ فَالْمَوْتُ حَتْمٌ فِي رِقَابِ الْعِبَادِ

فقال الرجل :

— فَهَلَا ثَبَتَ ، فنقاتل معك .

فقال له عبد الرحمن :

— أَوْ بِمِثْلِكَ تَسُدُّ الثُّغُورَ ؟ !

ومضى عبد الرحمن حتى استجار بملك الأتراك ، فأقام عنده .

فكتب عبد الملك إلى ملك الأتراك ، يُخبره بِشِقَاقِ عبد الرحمن ، وِخْلَمِهِ

الطاعة ، وخروجه عليه ، ويسأله أَنْ يردّه عليه .

فقال ملك الأتراك لَطْرَ أَخْنِيتَهُ (٢) :

— إِنَّ ابْنَ الْأَشْعَثِ هَذَا رَجُلٌ مُخَالِفٌ لِلْمُلُوكِ ، فَلَا يَنْبَغِي لِي أَنْ آوِيَهُ ، بَلْ أُبْعَثْ
بِهِ إِلَى مَلِكِهِ ، فَيَتَوَلَّى مِنْ أَمْرِهِ مَا أَحَبَّ .

فوجه به مع مائة رجل من ثِقَاتِهِ ، فَأَنْزَلُوهُ فِي طَرِيقِهِ قَصْرًا فِي قَرْيَةٍ ، فَرَقَى
إِلَى ظَهْرِ الْقَصْرِ ، وَرَمَى بِنَفْسِهِ مِنَ السُّورِ ، فَمَاتَ .

وإنَّ أَيُّوبَ بْنَ الْقُرَيْبَةِ أَمِيرَ فَيَظَنِّ أَمِيرَ مِنْ أَصْحَابِ عبد الرحمن ، فَأَدْخَلَ بِهِ
عَلَى الْحِجَّاجِ .

فلما أُدْخِلَ عَلَيْهِ ، قَالَ لَهُ :

— يَا عَدُوَّ اللَّهِ ، بَعَثْتُكَ رَسُولًا إِلَى عبد الرحمن ، فَتَرَكْتَ مَا بُعِثْتَ لَهُ ، وَصِرْتَ
وَزِيرًا وَمُشِيرًا ، تَصْدُرُ لَهُ الْكُتُبَ ، وَتُسْجَعُ لَهُ الْكَلَامُ ، وَتُدَبِّرُ لَهُ الْأُمُورَ .

(١) الوجى : الحفا ، أو أشد منه ، ونكى : جرح ، والمرو : حجارة بيض توري النار .

(٢) جمع طرخان بالفتح وهو اسم للرئيس العريف .

فقال ابن القريّة :

أصلح الله الأمير ، كان شيطاناً في مَسْكِ إنسان ، استمألني بسحره ، وخبّني بالظه ، فكان اللسان ينطق بغير ما في القلب .

قال الحجاج :

كذبت يا ابن اللّخناء^(١) ، بل كان قلبك مُناقماً ، ولسانك مُداحجاً ،
فكتمت أمراً أظهره الله ، وأطمت فاسقاً خذله الله ، فما بقي من نعمك ؟

قال ابن القريّة : ذهني جديد ، وجوابي عتيّد .

قال : كيف علمك بالأرض ؟

قال : ليسألني الأمير عما أحبّ .

قال : أخبرني عن الهند .

قال : بحرّها دُرٌّ ، وجبلها ياقوت ، وشجرها عطر .

قال : فأخبرني عن مكران .

قال : ماؤها وشل^(٢) ، وتمرّها دقل^(٣) ، وسهلها جبل ، وليشها بطل ،

إن كثر الجيش بها جاعوا ، وإن قلّوا ضاعوا .

قال : فخراسان .

قال : ماؤها جامد ، وهدوها جامد ؛ بأسهم شديد ، وشرّهم عتيّد ،

وخيرهم بعيد .

قال : فاليم .

قال : أرض العرب ، ومعدن الذهب .

قال : فُهمان .

قال : حرّها شديد ، وصيدها موجود ، وأهلها عبيد .

(١) اللخن محرّكة : قبح ريح الفرج ، والمرأة اللخناء التي لم تمنح .

(٢) الوشل محرّكة : الماء القليل .

(٣) الدقل : أردأ التمر .

- قال : فالبَحْرَيْن .
- قال : كُنَّاسَة ^(١) بين مِصْرَيْن ، وَجَنَّة بين بَحْرَيْن .
- قال : فَكَّة .
- قال : قوم ذَوُو جَفَاء ، ومن سَجَّيْتَهُم الوَفَاء .
- قال : فالدِينَة .
- قال : ذَوُو لُطْفٍ وَبِرٍّ ، وخير وَبَرٍّ .
- قال : فالبَصْرَة .
- قال : حرَّها فادح ، وماؤُها مالح ، وفيضها سائح .
- قال : فالكُوفَة .
- قال : جَنَّة بين سَحَاة وَكَنَّة ^(٢) ، العراق تحشُد لها ، والشام يُدرّ عليها ،
سَفَلَتْ عن برْد الشام ، وارتفعت عن حرِّ الحِجَاز .
- قال : فالشام .
- قال : تلك عَرُوس بين نِسْوَة جلوس ، تُجَلِّب إليها الأموال ، وفيها
الضَّرَاعِمَة الأبطال .
- قال له الحِجَّاج : نَكَلْتِكَ أُمَّكَ ، أَنْتَ المُضْدرِ الكُتَبَ لابن الأَشْمَث ،
ألم تعلم أَنِّي لا أَصاحِب على الشَّقَّاق ، ولا أَجامع على النِّفَّاق ؟
- قال ابن القُرَيْبَة : استَبَقْنِي أيها الأمير .
- قال : لماذا ؟
- قال : لِنَبْوَةٍ بعد هَفْوَةٍ .
- قال الحِجَّاج : لا ، بل لَمَدْرَةٍ بعد نَسْكَنَةٍ ، يا غلام ، ناوِلْنِي الحَرَبَة .
- وقد أَمْسَكَ ابن القُرَيْبَة أربعة رجال فلا يستطيع تحريكها ، وهَزَّ الحِجَّاج
الحَرَبَة ثلاثا .

(١) الكُنَّاسَة : المرأة الحسناء . (٢) موضعان أولهما بالشام والثاني بفارس .

فقال ابن القريّة : اسمع مني ثلاث كلمات ، تكن بعدى مثلاً .

قال : هات .

قال : لكلّ جَوَادٍ كَبُوءَةٌ ، ولكلّ حَلِيمٍ هَفُوءَةٌ ، ولكلّ شُجَاعٍ نَبُوءَةٌ .

فوضع الحجاج الحرّبة في ثُنْدُوءَةِ ابن القريّة ، ودَفَعَهَا حتّى خالطت جوفه ،

ثم خَضَخَفَهَا^(١) ، وأخرجها ، فاتَّبَعَهَا دم أسود .

فقال الحجاج :

هكذا تَشْخُبُ أوداجُ الإبل .

وفحص ابن القريّة رجله وشخص بصره ، وجعل الحجاج ينظر إليه

حتى قضى .

فَحُمِلَ في النَّطْعِ^(٢) .

فقال الحجاج :

لله درّك يا ابن القريّة ، أئى أدبٍ فقدنا منك ، وأئى كلامٍ رَصِينٍ سمعنا منك .

ودخل بعد ذلك أنس بن مالك .

فقال له الحجاج :

هيه يا أنس ، يوماً مع المختار ، ويوماً مع ابن الأشعث ، جَوَّالٍ في الفتن ،

والله لقد هممتُ أن أطحنك طَحْنِ الرَّحَى بالثُّفَالِ^(٣) ، وأجعلك غَرَضاً للنِّبَالِ .

قال أنس : مَنْ يَعْنِي الأمير ؟ أصلحه الله .

قال : إِيَّاكَ أعْنِي ، أَسَكَ اللهُ سَمْعَكَ .

فانصرف أنس إلى منزله ، وكتب من ساعته إلى عبد الملك بن مروان :

« بسم الله الرحمن الرحيم ، لعبد الله عبد الملك أمير المؤمنين من أنس بن مالك ؛

(١) الخضخضة : تحريك الماء . (٢) النطع : بساط من الأديم .

(٣) الثفال ككتاب الحجر الأسفل من الرحى .

أما بعد ، فإن الحجاج قال لي نكرا ، وأستمعني هُجرا ، ولم أكن لذلك أهلا ،
فخذني على يدي ، وأعدني عليه ، والسلام .

فلما قرأ عبد الملك كتاب أنس استشاط غضبا ، ثم كتب إليه .

« هيه يا ابن يوسف ، أردت أن تعلم رأي أمير المؤمنين في أنس ، فإن سؤغك
مضيت قدما ، وإن لم يسؤغك رجعت القهقرى ، يا ابن المستفهمة بمعجم
الزبيب^(١) ، أنسيت مكاسب آبائك بالطائف في حفر الآبار ، وسد السكور^(٢) ،
وحمل الصخور على الظهور ؟ أبلغ من جرأتك على أمير المؤمنين أن تمننت بأنس
ابن مالك ، خادم رسول الله صلى الله عليه وسلم ست سنين ، يطلعني على سريته ،
ويفشي إلي الأخبار التي كانت تأتيه عن ربه ؟ فإذا أتاك كتابي هذا فامش إليه
على قدميك حتى تأخذ كتابه إلى الرضى ، والسلام . »

فلما وصل كتاب عبد الملك إلى الحجاج قال لمن حوله من أصحابه : قوموا بنا إلى
أبي حمزة . فقام ماشيا .

ومضى معه أصحابه حتى أتى أنسا ، فأقرأه كتاب عبد الملك إليه .

فقال أنس : جزى الله أمير المؤمنين خيرا ، كذلك كان رجائي فيه .

قال له الحجاج : فإن لك العتبي ، وأنا صائر إلى مسرتك ، فاكتب إلى أمير
المؤمنين بالرضى .

فكتب إليه أنس بالرضى عنه .

ودفعه إلى الحجاج ، فأنقذه الحجاج على البريد إلى عبد الملك .

[نهاية عبد الملك بن مروان]

قالوا : ولا حضرت عبد الملك الوفاة ، وذلك في سنة ست وثمانين أخذ البيعة

(١) العجم كل ما كان في جوف ما كول كالزبيب ، واستفهمت المرأة بمعجم الزبيب يعني أنها
عالجت به فرجها ليضيق .

(٢) السكور جمع سكر وهو ما يسد به النهر .

لابنه الوليد ؛ وكان ولده : الوليد ، وسليمان ، يزيد ، وهشام ، ومسلمة ، وعبد .

ثم قال للوليد : يا وليد ، لا أَلْفِينَك إِذَا وَضَعْتَنِي فِي حَفْرَتِي أَنْ تَمْصُرَ عَيْنِيكَ
كَالْأُمَةِ الْوَرْهَاءِ^(١) بَلْ اقْتَرِرْ وَشْتَرِ ، وَالبسِ جِلْدَ النَّمْرِ ، وَادْعُ النَّاسَ إِلَى الْبَيْعَةِ
ثَانِيًا ، فَمَنْ قَالَ بِرَأْسِهِ كَذًا ، فَقُلْ بِالسَّيْفِ كَذًا . وَوَعِكَ وَغَكَ شَدِيدًا .

فلما أصبح جاء الوليد ، فقام بباب المجلس ، وهو غاصّ بالنساء ، فقال :

كَيْفَ أَصْبَحَ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ؟

قِيلَ لَهُ : يُرْجَى لَهُ الْعَافِيَةُ .

وسمع عبد الملك ذلك ، فقال :

وَكَمْ سَائِلٍ عَنَّا يُرِيدُ لَنَا الرَّدَى وَكَمْ سَائِلَاتٍ وَالدَّمُوعُ ذَوَارِفُ

ثم أمر بالنساء ، فخرجن .

وأذن لبني أمية فدخلوا عليه وفيهم خالد وعبد الله ابنا يزيد بن معاوية فقال لهما :

يَا بَنِي يَزِيدَ ، أَتُحِبَّانِ أَنْ أُقِيلَكُمَا بَيْعَةَ الْوَلِيدِ ؟

قَالَا : مَعَاذَ اللَّهِ ، يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ .

قال : لَوْ قَلْتُمَا غَيْرَ ذَلِكَ لَأَمَرْتُ بِقَتْلِكُمَا عَلَى حَالَتِي هَذِهِ .

ثم خرجوا عنه ، واشتدَّ وَجَعُهُ ، فَتَمَثَّلَ بَيْتُ أُمَيَّةَ بْنِ أَبِي الصَّلَاتِ :

لَيْتَنِي كُنْتُ قَبْلَ مَا قَدْ بَدَأَ لِي فِي قِلَالِ الْجِبَالِ أَرْعَى الْوُغُولَا

فَلَمْ يُمْسِرْ يَوْمَهُ ذَلِكَ حَتَّى قَضَى .

وكان سلطانه إحدى وعشرين سنة وستة أشهر ؛ وكان له يوم مات ثمان

وخمسون سنة ، من ذلك سبع سنين ، كان فيها مُحَارِبًا لِعَبْدِ اللَّهِ بْنِ الزُّبَيْرِ ، ثُمَّ صَفَا لَهُ

الْمُلْكُ بَعْدَ قَتْلِهِ ابْنِ الزُّبَيْرِ ثَلَاثَةَ عَشَرَ سَنَةً وَنِصْفًا .

[الوليد بن عبد الملك]

ولما انصرف الوليد من قِبَل أبيه قصد المسجد الأعظم ، واجتمع إليه الناس ، فبايعوه .

وعَقَدَ لعمر بن عبد العزيز بن مروان على الحرَمَيْنِ .

فَنَزَلَ المدينة ، فدعا بعشرة نفر من أفاضل أهلها ، منهم عُرْوَةُ بن الزبير ، وعُبَيْدُ اللَّهِ بن عُتْبَةَ ، وأبو بكر بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام ، وأبو بكر ابن سليمان بن أبي حَثَمَةَ ، وسليمان بن يَسَار ، والقاسم بن محمد ، وسالم بن عبد الله ، فاجتمعوا ، فدخلوا عليه ، فقال :

اعلموا أنني لست أقطع أمرا إلا برأيكم ومشورتكم ، فأشيروا عليّ .

قالوا : نفعل أيها الأمير ، جُزِيت على ما تنوى خير ما جزى مؤثِرٌ لمرضاة ربه .
ثم خرجوا .

[إصلاح الحرم النبوي]

ثم كتب الوليد إلى عمر بن عبد العزيز ، أن يشتري الدور التي حول مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فيزيدها في المسجد ، ويجدد بناء المسجد .

وكتب إلى ملك الروم يعلمه ما همَّ به من ذلك ، ويسأله أن يبعث إليه ما استطاع من الفسيفساء^(١) .

فوجه إليه منها أربعين وسقا^(٢) .

فبعث به إلى عمر بن عبد العزيز ، فهدم عمر المسجد ، وزاد فيه ، وبناه ، وزيّنه بالفسيفساء .

(١) الفسيفساء : ألوان من الخرز تتركب في حيطان البيوت من داخل .

(٢) الوسق : ستون صاعا أو حمل بعير .

[فتح بخارى و سمرقند]

- وكان على خراسان من قبل الحجاج قتيبة بن مسلم الباهلي .
فكتب إليه الحجاج يأمره بعبور النهر - نهر بلخ - ، وأن يفتح تلك البلاد .
فاستعد قتيبة ، وسار في المفازة التي بين مدينة مرو وبين مدينة آموية ، وهي
ذات رمال وغضى^(١) ، فصار إلى آموية ، ثم عبر النهر وسار إلى بخارى .
وكان ملك تلك الأرضين يسمى « صول » وكان ملكه على جميع ما وراء النهر ،
فلقيه الملك ، فخاربه قتيبة ، فهزمه ، وهرب صول نحو الصغاريان .
فاحتوى قتيبة على بخارى وحيزها ، فولى عليها رجلا .
وسار حتى وافى بلاد السغد^(٢) ، فأناخ على مدينتها المظمية ، وهي سمرقند ،
فحاصرها أشهراً .
فوجه إليه دُهقانها^(٣) : إنك لو أقت على مدينتي هذه عمرك لم تصل إليها ، لأننا نجد في
كتب آبائنا ، أنه لا يقدر عليها إلا رجل اسمه « بالان » ، لست إياه ، فامض لشأنك .
فزعموا أن قتيبة احتال لما يئس من مكابرتها ، فهيأ صناديق ، وجعل لها أبواباً
من أسافلها ، تغلق من داخل ، وتفتح ، وجعل في كل صندوق رجلاً مُستلثماً ،
معه سيفه ، وأقفل أبوابها العليا .
ثم أرسل إلى الدهقان : « أما إذا كان هذا هكذا ، فإني راحل عنك إلى
الصغاريان ، وناحيتهما ، وممى فضول أموال وسلاح ، فوادعني ، واحرز هذه
الصناديق عندك إلى عودى إن سلمت .
فأجابه إلى ذلك ، وتقدم قتيبة إلى الرجال أن يفتحوا أبواب الصناديق في جوف
الليل ، فيخرجوا ، ثم يصيروا إلى باب المدينة فيفتحوه .
وأمر الدهقان بالصناديق ، فأدخلت المدينة .

(١) مفردة غضة وهي الشجرة ، والأرض النضياء كثيرة الشجر .
(٢) السغد بالضم : بساتين نزهة وأماكن مثمرة ، حول سمرقند ، ومنها على بن الحسين وكامل
ابن مكرم وأحمد بن حاجب المحدثون . (٣) الدهقان بالضم وبالكسر لغة ، القوى على
التصرف مع حدة ، وهو زعيم فلاحى العجم ، ورئيس الإقليم ، لفظ معرب .

فلما جن الليل ، وهدأ الناس خرج الرجال مستائمين ، معهم السيوف ، لا يستقبلهم أحد إلا قتلوه ، حتى أتوا باب المدينة ، فقتلوا الحرس ، وفتحوا الباب .
ودخل قتيبة بالجيش ، ووقعت الواعية ، وهرب الدهقان في سَرَب^(١) ، فلاحق بالملك ، وصارت ممرقند في قبضة قتيبة ، فخاف عليها رجلا .

وسار حتى أتى الصغانيان ، فهرب الملك منهم حتى صار في بلاد الترك ، ووغل فيها ، وخلّى الملكة لقتيبة .

فدخل قتيبة الصغانيان ، ووجه عماله إلى كَش^(٢) ونَسَف^(٣) ، وافتتح جميع ماوراء النهر ، وجميع تخارستان ، ولم يبق من خراسان شيء إلا افتتحه .
ولم يزل قتيبة بخراسان سنين حتى شغب عليه أجناده ، فقتلوه .
فاستعمل الوليد بن عبد الملك عليها الجراح بن عبد الله الحكيم .

وحجّ الوليد بن عبد الملك في سنة إحدى وتسعين ، وقد فرغ عمر بن عبد العزيز من بناء مسجد الرسول صلى الله عليه وسلم ، فدخله ، وطاف به ، ونظر إلى بنائه .
ولم يكن بقى في زمن الوليد من الصحابة إلا نفر يسير ، منهم بالمدينة ، سهل ابن سعد الساعدي ، وكان يُكنى أبا العباس ، توفي في آخر خلافة الوليد ، وكان يوم مات ابن مائة سنة ، ومنهم جابر بن عبد الله .

وبالبصرة أنس بن مالك .
وبالكوفة عبد الله بن أبي أوفى .
وبالشام أبو أمّانة الباهلي .

[موت الحجاج]

وفي السنة الخامسة من خلافة الوليد مات الحجاج بواسط ، وله أربع وخمسون سنة ، وكانت إمرته على العراق عشرين سنة .

(١) السرب : الحفير تحت الأرض ، والقناة يدخل منها الماء الحائط .
(٢) مدينة في بخارى بين سمرقندوبلخ ، وتسمى اليوم شهرى سبز ، أي المدينة الخضراء ، لخصب ريفها ، ومنها خرج تيمورلنك الذي زينها بالبنايات الفخمة .
(٣) مدينة بفارس ، فيها نشأ الفقيه المحدث النسفي ، صاحب التفسير المشهور .

منها في خلافة عبد الملك خمس عشرة سنة ، وفي خلافة الوليد خمس سنين .

وقد كان قتل سميد بن جبير قبل موته بأربعين يوما .

قالوا : وكان يقول في طول مرضه إذا هجر : مالي ولك يا ابن جبير ؟

وقُتِلَ ابن جبير وهو ابن تسع وأربعين سنة ، وكان يكنى أبا عبد الله ، وكان

ولاؤه لبني أمية .

[سليمان بن عبد الملك]

ولما تمّ للوليد بن عبد الملك تسع سنين وستة أشهر حضرته الوفاة ، فأُسند الملك

إلى أخيه سليمان بن عبد الملك .

فبويع سليمان في جمادى الآخرة سنة ست وتسعين ، وسليمان يومئذ من أبناء

سبع وثلاثين سنة .

فلَمَّا سَلِمَ سليمان سنتين وثمانية أشهر ، ثم مرض مَرَضَتَهُ التي مات فيها .

فلما ثَقُلَ كَتَبَ كتابا ، وَخَتَمَهُ ، ولم يَدْرِ أحد ما كَتَبَ فِيهِ ، ثم قال

لصاحب شُرَطِهِ :

« اجمع إليك إخواني ، وعمومتي ، وجميع أهل بيتي ، وعظماء أجناد الشام ، واخيلهم

على البَيْعَةِ لِمَنْ سَمَّيْتُ فِي هَذَا الْكِتَابِ ، فَمَنْ أَبَى مِنْهُمْ أَنْ يُبَايِعَ ، فَاضْرِبْ عُنُقَهُ » ،

فَفَعَلَ .

فلما اجتمعوا في المسجد أمرهم بما أمر به سليمان .

فقالوا : أَخْبِرْنَا ، مَنْ هُوَ ؟ لِنُبَايِعَهُ عَلَى بَصِيرَةٍ .

فقال : وَاللَّهِ مَا أَذْرى مِنْ هُوَ ، وقد أمرني أَنْ أَضْرِبَ عُنُقَ مَنْ أَبَى .

قال رَجَاءُ بْنُ حَيَوَةَ : فَدَخَلْتُ عَلَى سُلَيْمَانَ ، فَأَكْبَيْتُ عَلَيْهِ ، وَقَالَ :

يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، مَنْ صَاحِبُ الْكِتَابِ الَّذِي أَمَرْتَنَا بِمُبَايَعَتِهِ ؟

فقال : إِنَّ أَخَوَيَّ يَزِيدَ وَهَشَامًا لَمْ يَبْلُغَا أَنْ يُؤْتَمَنَّا عَلَى الْأُمَّةِ ، فَجَعَلْتُمَا لِلرَّجُلِ

الصَّالِحِ ، عَمْرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ ، فَإِذَا تَوَفَّى عَمْرُ رَجَعَ الْأَمْرُ إِلَيْهِمَا .

فخرج رَجَاءُ بْنُ خَيْثَمَةَ ، فَأَخْبَرَ يَزِيدَ وَهَيْشَامًا بِذَلِكَ ، فَرَضِيًا ، وَسَلَامًا ، وَبَايَعًا ،
ثُمَّ بَايَعَ بَعْدَهَا جَمِيعَ النَّاسِ .

وَكَانَ أَكْبَرُ وَلَدِهِ يَوْمَئِذٍ مُحَمَّدُ بْنُ سُلَيْمَانَ ، فَكَانَتْ لَهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ سَنَةً .
وَجَمَلَ يَقُولُ ، وَهُوَ يَجُودُ بِنَفْسِهِ :

إِنَّ بَنِيَّ صَبِيَّةٌ صَيِّفِيُّونَ أَفْلَحَ مَنْ كَانَ لَهُ رُبْعِيُّونَ

وَذُكِرَ عَنِ الْكَلْبِيِّ أَنَّهُ قَالَ : بَعَثَ إِلَى سُلَيْمَانَ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ ، فَدَخَلَتْ عَلَيْهِ ،
وَقَدْ انْتَفَخَ سَخْرِي^(١) ، فَسَلَّمَتْ عَلَيْهِ بِالْخِلَافَةِ ، فَرَدَّ عَلَى السَّلَامِ .

ثُمَّ أَوْمَأَ إِلَى ، فَجَلَسَتْ ، فَسَكَتَ عَنْهُ حَتَّى إِذَا سَكَنَ جَأَشِي ، قَالَ لِي :
يَا كَلْبِيُّ ، إِنَّ ابْنِي مُحَمَّدًا قُرَّةُ عَيْنِي وَثَمَرَةُ قَلْبِي ، وَقَدْ رَجَوْتُ أَنْ يَبْلُغَ اللَّهَ بِهِ
أَفْضَلَ مَا بَلَغَ رَجُلًا مِنْ أَهْلِ بَيْتِهِ ، وَقَدْ وَلَّيْتُكَ تَأْدِيبَهُ ، فَمَلَّمَهُ الْقُرْآنُ ، وَرَوَّهَ
الْأَشْعَارَ ، فَإِنَّ الشَّعْرَ دِيْوَانُ الْعَرَبِ ، وَفَهْمُهُ أَيَّامُ النَّاسِ ، وَخُذُّهُ بَعْلَمُ الْفَرَائِضِ ،
وَفَهْمُهُ السَّنَنُ ، وَلَا تَقْتَرْ عَنْهُ لَيْلًا وَنَهَارًا ، فَإِذَا أَخْطَأَ بِكَلِمَةٍ ، أَوْ زَلَّ بِحَرْفٍ ،
أَوْ هَفَا بِقَوْلٍ ، فَلَا تُؤَنِّبْهُ بَيْنَ يَدَيِ جَلْسَانِهِ ، وَلَكِنْ إِذَا خَلَا لَكَ مَجْلِسُكَ ،
لَثَلَا تَمَحَّكَهُ^(٢) ، وَإِذَا دَخَلَ عَلَيْهِ النَّاسُ لِلتَّسْلِيمِ ، تُفْخِذُهُ بِالْإِطَافِهِمْ وَإِظْهَارِ بَرٍّهُمْ ،
وَإِذَا حَيَّوْهُ فَلْيُحْيِيهِمْ بِأَحْسَنِ مِنْهَا ، وَأَطْيَبِيًّا لِمَنْ حَضَرَ بِمَائِدَتِكَ الْطَعَامَ ، وَاحْمِلْهُ
عَلَى طَلَاقَةِ الْوَجْهِ ، وَحُسْنِ الْبَشْرِ ، وَكَظْمِ الْغَيْظِ ، وَقَلَّةِ الْقَدْرِ ، وَالتَّثَبُّتِ فِي الْمَنْطِقِ ،
وَالْوَفَاءِ بِالْمَعْدِ ، وَتَنْكِبِ الْكَذْبِ ، وَلَا يَرْكَبَنَّ فَرَسًا مَحْذُوفًا^(٣) ، وَلَا مَهْلُوبًا^(٤)
وَلَا يَرْكَبَنَّ بَسْرَجَ صَغِيرٍ ، فَتَبْدُو أَلْيَتَاهُ مِنْهُ .

قَالَ : فَلَمْ يَلْبَثْ سُلَيْمَانُ بَعْدَ ذَلِكَ إِلَّا قَلِيلًا حَتَّى مَاتَ .

(١) السَّحَرُ : الرُّثَّةُ ، وَانْتَفَخَ سَحَرُهُ عَمَّا طَوَّرَهُ وَجَاوَزَ تَدْرَهُ .

(٢) حَتَّى لَا تَنْغَضِبَهُ ، وَالْمَحْكُ : اللَّجَجُ .

(٣) الْفَرَسُ الْمَحْذُوفُ الَّذِي تَحْرُكُ جَنْبَيْهِ فِي مَشْيِهِ .

(٤) الْفَرَسُ الْمَهْلُوبُ الَّذِي تَتَابَعُ الْجُرَى .

[عمر بن عبد العزيز]

وأُسند الأمر إلى عمر بن عبد العزيز .

قالوا : فلما استخلف قعد للناس على الأرض .

ف قيل له : لو أمرت ببساط يُسَطُّ لك ، فتجلس ، ويجلس الناس عليه كان

ذلك أهيب لك في قلوب الناس .

فتمثل :

قَضَى مَا قَضَى فِيمَا مَضَى ، ثُمَّ لَا تَرَى لَهُ صَبُوءَةً إِحْدَى اللَّيَالِي الْغَوَايِرِ
وَلَوْ لَا التَّقَى مِنْ خَشْيَةِ الْمَوْتِ وَالرَّدَى لَمَاصَيْتُ فِي حُبِّ الصَّبَا كُلَّ زَاجِرِ

وكان إذا جلس للناس قال « بسم الله ، وبالله ، وصلى الله على رسول الله ،

أَفَرَأَيْتَ إِنْ مَتَّعْنَاهُمْ سِنِينَ ، ثُمَّ جَاءَهُمْ مَا كَانُوا يُوعَدُونَ ، مَا أَغْنَى عَنْهُمْ
مَا كَانُوا يَمْتَعُونَ » (١) .

ثم تمثل بهذه الأبيات :

نُسْرُ يَمَّا يَبْلَى ، وَنُشْغَلُ بِالْمَنَى كَمَا سُرَّ بِالْأَخْلَامِ فِي النَّوْمِ حَالِمُ
نَهَارِكَ يَا مَغْرُورُ سَهُوٌ وَغَفْلَةٌ وَلَيْلِكَ نَوْمٌ ، وَالرَّدَى لَكَ لَا زِمُ

وَسَعْيُكَ فِيمَا سَوْفَ تَكْرَهُ غِبَّةٌ كَذَلِكَ فِي الدُّنْيَا تَعِيشُ الْبَهَائِمُ
ثم نصب نفسه لرد المظالم .

وبدأ ببني أمية ، وأخذ ما كان في أيديهم من الغُصُوب (٢) ، فردّها على أهلها .

ودخل عليه أناس من خاصته ، فقالوا :

يا أمير المؤمنين ، ألا تخاف غوائل قومك ؟

فقال : أَيْيَوْمٍ سِوَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ تَخْوِفُونَنِي ؟ فَكُلْ خَوْفَ أَتَقِيهِ قَبْلَ يَوْمِ الْقِيَامَةِ
لَا وَقِيَّتُهُ .

فلما تم لخلافته سنتان وخمسة أشهر مات .

(١) الآية رقم ٢٠٥ من سورة الشعراء .

(٢) المال والعقار والضياع مما أخذوه من أصحابه غضبا وقهرا .

[يزيد بن عبد الملك]

وأفضى الأمر إلى يزيد بن عبد الملك في أول سنة مائة وإحدى .
فولى المصيرين أخاه مسلمة بن عبد الملك .
وكان مسلمة ذا عقل كامل وأدب فاضل ، فاستعمل مسلمة على خراسان سعيد
ابن عبد العزيز بن الحكم بن أبي العاص بن أمية . ٥

[ظهور الدعوة إلى العباسيين]

قالوا : وفي ذلك العام^(١) توافدت الشيعة على الإمام محمد بن علي بن عبد الله
ابن عباس بن عبد المطلب بن هاشم ، وكان مستقره بأرض الشام ، بمكان يسمى
« الحَمِيْمَة » وكان أول من قدم من الشيعة ميسرة العبدى ، وأبو عكرمة
السراج ، ومحمد بن خنيس ، وحيّان العطار . ١٠
فقدم هؤلاء عليه ، فأرادوه على البعة ، وقالوا له :
« أبسط يدك لنبايعك على طاب هذا السلطان ، لعل الله أن يحيى بك العدل ،
ويعيت بك الجور ، فإن هذا وقت ذلك ، وأوانه ، والذي وجدناه مأثورا عن
علمائكم » .

فقال لهم محمد بن علي : « هذا أوان ما نأمل ونرجو من ذلك ، لانقضاء مائة من
التاريخ ، فإنه لم تنقض مائة سنة على أمة قط إلا أظهر الله حق المحقين ، وأبطل
باطل المبطلين ، لقول الله جل اسمه « أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَى قَرْيَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى
عُرُوشِهَا ، قَالَ ، أَلَيْسَ هَٰذَا هَٰذِهِ »^(٢) الله بَعَثَ مَوْتَهَا فَأَمَاتَهُ اللهُ مِائَةَ عَامٍ ،
ثُمَّ بَعَثَهُ^(٣) » فانطلقوا أيها النفر ، فادعوا الناس في رفق وستر ، فإنى أرجو أن
يتعمد الله أمركم ، ويظهر دعوتكم ، ولا قوة إلا بالله » . ٢٠

(١) في سنة ٧٢٠ م .

(٢) في الأصل أثر رطوبة مكان مابين الحاصرتين . (٣) الآية رقم ٢٥٩ من سورة البقرة .

ثم وجه ميسرة العبدى ، ومحمد بن خنيس إلى أرض العراق ، ووجه أبا عكرمة ،
وحيان المطار إلى خراسان ، وعلى خراسان يومئذ سعيد بن عبد العزيز بن الحكم
ابن أبي العاص .

فجعلنا يسيران في أرض خراسان من كورة إلى أخرى ، فيدعوان الناس إلى
بيعة محمد بن على ، ويهدانهم في سلطان بنى أمية لخبث سيرتهم ، وعظيم جورهم ،
فاستجاب لهما بخراسان أناس كثير ، وفشا بعض أمرهم وعلن .
فبلغ أمرهما سعيدا ، فأرسل إليهم ، فأتى بهم ، فقال :
- من أنتم ؟

قالوا : نحن قوم تجار .

قال : فما هذا الذى يذكر عنكم ؟
قالوا : وما هو ؟

قال : أخبرنا أنكم جئتم دعاة لبني العباس .

قالوا : أيها الأمير ، لنا في أنفسنا وتجارتنا شغل عن مثل هذا .
فأطلقهما .

فخرجنا من عنده ، يدوران كور خراسان ورسايتيها في عداد التجار ،
فيدعوان الناس إلى الإمام محمد بن على ، فشكلنا بذلك عامين .

ثم قدما على الإمام محمد بن على بأرض الشام ، فأخبراه أنهما قد غرسا بخراسان
غرسا يرجوان أن يثمر في أوانه ، وألفياه قد ولد له أبو العباس ابنه .
فأمر بإخراجه إليهم ، وقال : هذا صاحبكم .

فقبلوا أطرافه كلها .

وكان مع الجنيد بن عبد الرحمن عامل السند رجل من الشيعة ، يسمى بكثير
ابن مآهان ، فانصرف إلى موطنه من الكوفة ، وقد أصاب بأرض السند مالا
كثيرا ، فلقية ميسرة العبدى وابن خنيس ، وأخبراه بأمرهما ، وسألاه أن
يدخل في الأمر معهما ، فأجابهما إليه ، وقام معهما ، وأتفق جميع ما استفاد
بأرض السند من الأموال بذلك السبب .

ومات ميسرة بأرض العراق .

وكتب الإمام محمد بن علي إلى بكير بن مآهان ، أن يقوم مقام ميسرة ، وكان
بكير يكنى بأبي هاشم ، وبها كان يُعرف في الناس .

وكان رجلاً مُفَوَّهاً ، فقام بالدُّعاء ، وتَوَلَّى الدعوة بالعِراقَيْن ، وكانت كتب
الإمام تآنيه ، فيفسلها بالهاء ويمجن بمسالتها الدقيق ، ويأمر ، فيُخْتَبَرُ منه قُرُصٌ ،
فلا يبقى أحد من أهله وولده إلا أطمعه منه .

ثم إنه مرض مرضه الذي مات فيه ، فأوصى إلى أبي سلمة الخلال ، وكان
أيضاً من كبار الشيعة .

وكتب إلى الإمام يُعَلِّمه ذلك .

فكتب محمد بن علي إلى أبي سلمة ، فَوَلَّاه الأمر ، وأمره بالقيام بما كان
يقوم به أبو هاشم .

ثم كتب إلى أبي عكرمة وحيّان ، وكانا صاحبي الأمر بخراسان ، يأمرهما أن
يُكَاتِبَا أبا سلمة ، فدعاهما إلى الدخول معه في أمره ، فأجاباه، ودخلا معه ، وكافاه .

ثم إن يزيد بن عبد الملك عَزَلَ أخاه مسكمة عن العراق وخراسان ، واستعمل
مكانه خالد بن عبد الله القسري ، واستعمل خالد أسد بن عبد الله على خراسان ،
فانتهى خبر أبي عكرمة ، وحيّان إلى أسد بن عبد الله ، فأمر بطلبهما ، فأخذاً ،
وأتى بهما ، فضربت أعناقهما ، وصُلِبَا .

وبلغ ذلك محمد بن علي ، فقال : الحمد لله الذي صحح هذه العلامة ، وقد بقي من شيعتي
رجال سوف يفوزون بالشهادة .

فلما تم الملك يزيد بن عبد الملك أربع سنين وأشهر توفي بالبلقاء من أرض
دمشق .

وكانت وفاته سنة خمس ومائة ، وله يوم مات ثمان وثلاثون سنة .

[هشام بن عبد الملك]

ثم استخلف هشام بن عبد الملك ، وهو ابن أربع وثلاثين سنة .
فمزل أسد بن عبد الله عن خراسان ، وولاهما الجنيد بن عبد الرحمن ، وكان
رجلا من اليمانية ، ذا فضل وسخاء .

وهو الذي يقول فيه الشاعر :

ذَهَبَ الْجُودُ وَالْجُنْدُ جَمِيعًا قَتَلَ الْجُودِ وَالْجُنْدِ السَّلَامُ

ولما قتل أبو عكرمة وحيان وجه الإمام محمد بن علي إلى خراسان خمسة نفر من
شيعة : سليمان بن كثير ، ومالك بن المهيشم ، وموسى بن كعب ، وخالد بن المهيشم ،
وطالحة بن زريق ، وأمرهم بكتان أمرم ، وألا يَفْشُوهُ إلى أحد إلا بعد أن يأخذوا
عليه العهد المؤكدة بالكتمان .

فساروا حتى أتوا خراسان ، فكانوا يأتون كورة بعد كورة ، فيدعون الناس
سرا إلى أهل بيت نبيهم ، ويبغضون إليهم بني أمية ، لما يظهر من جورهم واعتدائهم ،
وركوبهم القبايح ؛ حتى استجاب لهم بشر كثير في جميع كور خراسان .
وبلغ الجنيد أمرم ، فأمر بطلبهم ، وأخذوا ، وأتى بهم الجنيد .
فقال : يا فسقة ، قد قدمت هذه البلاد ، فأفسدت قلوب الناس على بني أمية ،
ودعوتهم إلى بني العباس .

فتكلم سليمان بن كثير ، وقال : أيها الأمير ، أتناذن لي في الكلام ؟
قال : تكلم

قال : إنا وإياك كما قال الشاعر :

لَوْ بَقِيَ الْمَاءُ خَلْقِي شَرِقٌ لَا سَتَفَثْتُ الْيَوْمَ بِالْمَاءِ الْقَرَّاحِ
نملك أيها الأمير ، أنا أناس من قومك اليمانية ، وأن هؤلاء المضرة تمصبوا
علينا ، فرقوا إليك فينا الزور والبهتان ، لأننا كنا أشد الناس على قتيبة ، فهم الآن
يطلبون بثأره بكل علة .

فقال الجنيد لمن كان حوله من أصحابه : « ما ترون ؟ » .
فتكلم عبد الرحمن بن نعيم رئيس ربيعة ، وكان من خاصته :
- نرى أن تمنّ بهم على قومك ، فلعل الأمر كما يقولون .
فأمر بإطلاقهم .

فخرجوا ، وكتبوا بقصصهم إلى الإمام .

فكتب إليهم : « إن هذا أقل ما لكم ، فاكتبوا أمركم ، وترفقوا في دعوتكم » .

فساروا من مدينة مرو إلى بخارى ، ومن بخارى إلى سمرقند ، ومن سمرقند إلى كاش و نَسَف ، ثم عطفوا على الصغانيان ، وجازوا منها إلى ختلان ^(١) ، وانصرفوا إلى مرو الروذ ^(٢) ، والطارقان ^(٣) ، وعطفوا إلى هراة ^(٤) ، وبوشنج ^(٥) ، وجازوا إلى سجستان .

ففرسوا في هذه البلدان غرسا كثيرا ، وفشا أمرهم في جميع أقطار خراسان .
وبلغ ذلك الجنيد ، فأسف على تركهم ، ووجه في طلبهم ، فلم يقدر عليهم .
فكتب إلى خالد بن عبد الله القسري ، وكان على المراق ، يُعلمه ابتشار خراسان وما حدث فيها من الدعاة إلى محمد بن علي .
فكتب خالد بن عبد الله إلى هشام يُعلمه بذلك .
فكتب إليه هشام ، يأمره بالكتاب إلى الجنيد ، ألا يرغب في الدماء ، وأن يكفّ عن كفه عنه ، ويُسكن الناس بجُهدهم ، وأن يطلب النفر الذين يدعون الناس حتى يبدّم ، فينفيمهم .

(١) في نسخة أخرى « جيلان » والصواب ما ذكر ، وهي بلاد مجتمعة وراء النهر قرب

سمرقند .

(٢) في الأصل : مرووذ ، وهي مدينة من مدن خراسان .

(٣) قال الإسطخري في كتابه : إن طالقان أكبر مدن خراسان .

(٤) مدينة من أمهات المدن في خراسان ، وقد خربها التتار .

(٥) بليدة حصينة من لواحي هراة .

فلما انتهى ذلك إلى الجُنَيْد بعث رسله في أقطار خراسان .
وكتب إلى عُمَّاله في الكور يطلب القوم ، فطلبوا ، فلم يُدْرِك لهم أثر .

[أبو مسلم الخراساني]

قالوا : وكان بدء أمر أبي مسلم أنه كان مملوكا لميسى ، ومَعْقِل ، ابْنَيْ إدریس ،
ابن عيسى العِجْلِيِّين ، وكان مسكنهما بيماء البصرة ، مما يلي أصبهان .
وكان أبو مسلم وُلد عندها ، فنشأ غلاما ، فهِمَا ، أدبيا ، ذهنا ، فأحبَّاه حتى نزل
منهما منزلة الولد .

وكانا يتوليان بني هاشم ، ويكاتبان الإمام محمد بن علي ؛ فكنا بذلك
ما شاء الله .

ثم إن هشاما عزل خالد بن عبد الله القسري من العراق ؛ وولى مكانه يوسف
ابن عمر الثقفي ، فكان يوسف بن عمر لا يدع أحدا يُعرف بموالاة بني هاشم ، ومودة
أهل بيت رسول الله إلا بعث إليه ، فحبسه عنده بواسط .
فبلغه أمر عيسى ، ومَعْقِل ابني إدریس ، فأشخصهما ، وحبسهما بواسط
فيمين حبس من الشيعة .

وكانا أخرجنا معهما أبا مسلم فكان يخدمهما في الحبس .
وإن سليمان بن كثير ، ومالك بن الهيثم ، ولأهز بن قُرط ، وهم كانوا الدُّعاة
بخراسان قدموا للحج ، وقدم معهم قحطبة بن شبيب ، وكان ممن بايعهم ، وشايهم
على أمرهم ، فجعلوا طريقهم على مدينة واسط ، ودخلوا الحبس ، فلقوا من كان فيه
من الشيعة ؛ فرأوا أبا مسلم ، فأعجبهم مارأوا من هيئته ، وفهمه ، واستبصاره في
حب بني هاشم .

ونزل هؤلاء النفر بمض الفنادق بواسط ؛ فكان أبو موسى يختلف إليهم طول
مقامهم حتى أنس بهم ، وأنسوا به ، فسألوه عن أمره .

- فقال : إن أُمِّي كانت أُمَّة لثُمَيْرِ بْنِ بُطَيْنِ الْعَجَلِيِّ ، فَوَقَعَ عَلَيْهَا ، فَحَمَلَتْ بِي ،
فَبَاعَهَا ، وَهِيَ حَامِلٌ ، فَاشْتَرَاهَا عَيْسَى ، وَمَعْقِلٌ ، ابْنَا إِدْرِيسَ ، فَوَلَدَتْ عَنْدهمَا ،
فَأَنَا كَهَيْثَةُ الْمُلُوكِ لَهَا .
- ثم إن النفر شخصوا من واسط ، وأخذوا نحو مكة على طريق البصرة ، فوصلوا
إلى مكة ، وقد وافاها الإمام محمد بن علي حاجًا ، فلقوه ، وسلموا عليه ، وأخبروه بما غرسوا
به في جميع خراسان من الفرس ، ثم أخبروه بممرهم بواسط ، ودخولهم على إخوانهم
المحبسين بها .
- ووصفوا له صفة أبي مسلم ، وما رأوا من ذكاء عقله وفهمه ، وحسن بصره ،
وجودة ذهنه ، وحسن منطقته .
- فسألهم : أحرُّ هو أم مملوك ؟
- فقالوا : أما هو ، فيزعم أنه ابن عمير بن بطين العجلي ، وكانت قصته كَيْتَ
وكَيْتَ ، ثم فسروا له ما حكى لهم من أمره .
- فقال : إن الولد [تبعٌ للأُم ، فإذا انصرفتم فاجعلوا]^(١) ممرَّكم بواسط ،
فاشتروه ، وابعثوا به إلى الحَمِيْمَةِ^(٢) من أرض الشام ، لأجعله الرسول فيما بيني
وبينكم ، على أني أحسبكم لاتقونني بعد عامي هذا ، فإن حدث بي حدثٌ فصاحبُكم
ابني هذا - يعني إبراهيم - فاستوصُوا به خيرا ، فإنني سأوصيه بكم خيرا .
- فانصرف القوم نحو خراسان ، ومَرُّوا بواسط ، ولقوا عيسى ، ومعقل
ابني إدريس ، فأخبروها بحاجة الإمام إلى أبي مسلم ، وسألوها ببيعة منهم .
فزعموا ، أنهما وهباه له .
- فوجَّه به القوم إلى الإمام ، فلما رآه تفرَّس فيه الخير ، ورجا أن يكون هو القيم
بالأمر ، لعلامات رآها فيه ، قد كانت بلغته .
- فجعله الرسول فيما بينه وبينهم ، فاختلف إليهم مرارا كثيرة .

(١) مكان ما بين الحاصرتين أثر أرضة في الأصل . (٢) بلد في أطراف الشام ، كان منزل
بنو العباس .

[وفاة الإمام]

- ثم توفي الإمام محمد بن عليّ ، فقام بالأمر بعده ابنه إبراهيم بن محمد ، وكان أكبر ولده ، فأمر أبا مسلم أن يسير إلى الدعاة بالعراق ، وخراسان ، فيعلمهم وفاة الإمام ، وقيامه بالأمر من بعده .
- ٥ فسار حتى وافي العراق ، ولقي أبا سلمة ، ومن كان معه من الشيعة ، فأخبرهم بما أمره به .
- ثم سار إلى خراسان ولقي الدعاة بها ، فأخبرهم بذلك .
- وبلغ وفاة الإمام جميع من بايع في أقطار خراسان ، فسودّوا ثيابهم حزناً لمصابه ، وتسكّبوا عليه .
- ١٠ وكان أوّل من سودّ منهم ثيابه حريش مولى خراعة ، وكان عظيم أهل نسا^(١) ، ثم سودّها من بعده قحطبة بن شبيب ، ثم سودّ القوم جميعا ، وكثرت الشيعة بخراسان كلها ، وعلن أمرهم .
- وكتب يوسف بن عمر ، وكان على العراقين ، إلى هشام ، يُخبره بذلك ؛ فكتب هشام إلى يوسف ، يأمره أن يبعث إليه رجلا ، له علم بخراسان ، ومعرفة بمن فيها من قوّادها ، وجنودها .
- ١٥ وقد كان يوسف بن عمر عزّل عنها الجنيد بن عبد الرحمن ، واستعمل عليها جعفر بن حنظلة البهرانيّ .
- فكتب جعفر إلى يوسف بن عمر مع عبد الكريم بن سليط بن عطية الحنفيّ ، يُخبره بتفاقم أمر السودّة بخراسان ، وكثرة من أجاب الدعاة بها .
- ٢٠ فلما أتاه كتاب هشام يأمره أن يوجّه إليه رجلا ، له علم بخراسان ، حمل عبد الكريم بن سليط إليه على البريد .

(١) بلد بخراسان تقع بين مرو ونيسابور وقد عرفت بجودة خيلها ، وفيها قبور الأولياء من الشيوخ والأعلام ، وإليها ينسب الشيخ أحمد النسائي المحدث صاحب كتاب السنن أحد الكتب الستة المشهورة في علم الحديث .

قال عبد الكريم : فَسِرْتُ حَتَّى وَافَيْتُ دِمَشْقَ ، فَدَخَلْتُ عَلَى هِشَامَ ، فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ بِالْخِلاَفَةِ .

فَقَالَ لِي : مَنْ أَنْتَ ؟

قُلْتُ : أَنَا عَبْدُ الْكَرِيمِ بْنِ سَلِيطَ بْنِ عَطِيَّةِ الْحَنْفِيِّ .

قَالَ : كَيْفَ عَمَلُكَ بِخِرَاسَانَ وَأَهْلِهَا ؟

قُلْتُ : أَنَا بِهَا جِدَّةٌ عَالِمٌ .

ثُمَّ أَخْبَرْتُهُ أَنَّ وَجْهِي كَانَ مِنْهَا بِكِتَابِ أَمِيرِهَا جَعْفَرِ بْنِ حَنْظَلَةَ الْبَهْرَانِيِّ إِلَى يَوْسُفَ بْنِ عَمْرِو يُخْبِرُهُ بِمَا حَدَّثَ فِيهَا .

قَالَ : إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أُؤَلِّيَ أَمْرَهَا رَجُلًا مِنَ الْقَوَادِ ، الَّذِينَ هُمْ مُرْتَبُونَ بِهَا ،

فَمَنْ تَرَى أَنْ أُؤَلِّيَ أَمْرَهَا مِنْهُمْ ، وَأَيُّهُمْ أَقْوَمُ بِهَا ؟

قَالَ عَبْدُ الْكَرِيمِ : — وَكَانَ هَوَايَ فِي الْيَمَانِيَّةِ — فَقُلْتُ :

يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، أَيْنَ أَنْتَ مِنْ رَجُلٍ مِنْ قَوَادِمِهَا ذِي حَزْمٍ ، وَبَأْسٍ ، وَمَكِيدَةٍ ، وَقُوَّةٍ ، وَمُكَافَأَةٍ مِنْ قَوْمِهِ ؟

قَالَ : وَمَنْ هُوَ ؟

قُلْتُ : جُدَيْعُ بْنُ عَلِيٍّ الْأَزْدِيُّ الْمَعْرُوفُ بِالْكَرْمَانِيِّ .

قَالَ : وَكَيْفَ يُسَمَّى الْكَرْمَانِيُّ ؟

قُلْتُ : وَلِدَ بَكْرِمَانَ ، كَانَ أَبُوهُ مَعَ الْمُهَلَّبِ عِنْدَ مُحَارَبَتِهِ الْأَزَارِقَةَ ، فَوُلِدَ هَذَا هُنَاكَ .

قَالَ : لَا حَاجَةَ لِي فِي الْيَمَانِيَّةِ — وَكَانَ هِشَامُ يَبْغِضُ الْيَمَانِيَّةَ ، وَكَذَلِكَ سَائِرُ

بَنِي أُمَيَّةٍ — .

قُلْتُ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، فَأَيْنَ أَنْتَ مِنَ الْمَجْرَبِ الْبَطْلِ الْوَاقِدِ اللَّسَنِ ؟

قَالَ : وَمَنْ هُوَ ؟

قُلْتُ : يَحْيَى بْنُ نَعِيمٍ ، الْمَعْرُوفُ بِأَبِي الْمَيْلَاءِ ، وَهُوَ ابْنُ أَخِي مَصْقَلَةَ بْنِ هُبَيْرَةَ .

قَالَ : لَا حَاجَةَ لِي فِيهِ ، لِأَنِّي رُبِعَةٌ لَا تُسَدُّ بِهَا الثُّغُورُ .

قلت : يا أمير المؤمنين ، فمليك بالماجد اللبيب الأريب ، الكامل الحسيب ،
عَقِيل بن مَعْقِل الليثي .

قال ، فكأنه هَوِيَه .

قلت : إن اغتفرت منه هَنَّةً فيه .

قال : وما هي ؟

قلت : ليس بمغيف البطن والفرج .

قال : لا حاجة لي فيه .

قلت : فالكمال النافذ ، الفارس المجرب ، مُحَسِّن بن مُزاحم السُّلَمي .

قال ، فكأنه هَوِيَه ، لِلْمُضَرِّيَّة .

قلت : إن اغتفرت هَنَّةً فيه .

قال : وما هي ؟

قلت : أ كَذِبٌ ، ذِي لَهْجَةٍ .

قال : لا حاجة لي فيه .

قلت : فذو الطاعة لكم ، التمسك بعهديكم ، المقتدى بقدوتكم ، يحيى بن
الحُضَيْن بن المنذر بن الحارث بن وَغَلَّة .

قال : ألم أخبرك أن ربيعة لا تُسد بها الثُّغُور ؟

قلت : فالكمال النافذ الشجاع البطل ، قَطَن بن قُتَيْبَة بن مسلم .

قال : فما لي إليه بالمُضَرِّيَّة .

قلت : إن اغتفرت منه هَنَّة .

قال : وما هي ؟

قلت : لا آمَنُهُ إِنْ أَفْضَى إِلَيْهِ السُّلْطَانُ أَنْ يَطْلُبَ جُنُودَ خِرَاسَانَ بِدَمِ أَبِيهِ قُتَيْبَةَ ،
فإنهم جميعاً تظاهروا عليه .

قال : لا حاجة لي فيه .

قلت : فأين أنت من العفيف المجرب ، الباسل المحنك ، نَصْر بن سَيَّار الليثي ؟

قال : فكأنه تفاعل به ، ومال إليه ، بالضرية .

قلت : إن اغتفرت منه خصلة .

قال : وما هي ؟

قلت : ليست له بخراسان عشيرة من جنودها ، وإنما يقوى على ولاية خراسان من كانت له بها عشيرة من جنودها .

قال : فأى عشيرة أكثر منى ، لا أبا لك ، يا غلام ؟ انطلق إلى الكتّاب ، فمرهم بإنشاء عهده ، واثبتوني به .

فكتب له عهده ، وأتى به .

فناولنيه ، وقال : انطلق حتى توصّله إليه .

ثم أمر أن أحمل على البريد .

فسيرت حتى وافيت خراسان ، فأتيته في منزله ، فناولته العهد ، فأمر لي بعشرة آلاف درهم .

ثم تناول العهد ، فانطلق إلى جعفر بن حنظلة ، الأمير كان بها ، فدخل عليه ، وهو جالس على سريره ، فناولته العهد .

فلما قرأه أخذ بيد نصر ، فرفعه حتى أجلسه معه على سريره ، وقال : سمّاً وطاعةً لأمر المؤمنين .

فقال له نصر : أبا خلف ، السلطان سلطانك ، فمر بأمرك .

ودعاه جعفر بن حنظلة ، وسلم الأمر إليه .

وإن سليمان بن كثير ، ولأهز بن قرط ، ومالك بن الهيثم ، وقحطبة

ابن شبيب أرادوا الحج ، فخرجوا مع الحاج متتكرين حتى أتوا مكة ، وقد وافاها

في ذلك العام إبراهيم بن محمد الإمام ، فأخبروه بما اجتمع له الناس بخراسان .

وقد كانوا حملوا إليه ما بعثت به إليه الشيعة .

فقالوا : قد حملنا إليك مالا .

قال : وكم هو ؟

قالوا : عشرة آلاف دينار ، ومائتا ألف درهم .

فقال : سلّموه إلى مولاي عُروّة ؛ فدفموه إليه .

فقال لهم إبراهيم : إني قد رأيت أن أوّل الأمر هناك أبا مُسلم ، لما جرّبت من عقله ، وبلّوت من أمانته ، وأنا مُوجّه معكم ، فاسمعوا له ، وأطيعوا أمره ، فإنّ والدي - رحمة الله عليه - قد كان وَصَفَ لنا صِفَتَه ، وقد رجّوت أن يكون هو الذي يسوق إلينا المُلك ، فمّا ونوه ، وكانفوه ، وانتهوا إلى رأيه ، وأمره .
قالوا : ممّا وطاعة لك أيها الإمام .

فانصرفوا ، وأبو مسلم معهم ، حتى صاروا إلى خراسان ، فتشمرّ أبو مسلم للدعاء ، وأخذ القوم بالبيعة ، ووجّه كل رجل من أصحابه إلى ناحية من خراسان ، فكانوا يدورون بها كورة كورة ، وبلدا بلدا ، في زىّ التجار .

فاتبعه عالمٌ من الناس عظيم ، فواعدهم لظهوره يوما سَمّاه لهم ، وولّى على من بايعه في كل كورة رجلا من أهلها ، وتقدّم إليهم بالاستمداد للخروج من ذلك اليوم الذي سَمّاه لهم حتى أجاب جميع أرض خراسان ، سهّلها وجبّلها ، وأقصاها وأدناها .

وبلغ في ذلك مالم يبلغه أصحابه من قبله ، واستتبّ له الأمر على محبّته ، وصار من أعظم الناس منزلا عند شيعته ، حتى كانوا يتحالفون به ، فلا يحشون ، ويذكرونه ، فلا يملّون .

وقد كان خالد بن عبد الله ولى العراقين عشر سنين ، أربعا في خلافة يزيد ابن عبد الملك ، وستا في خلافة هشام .

فلما عزله هشام ، وولّى مكانه يوسف بن عمر حاسبه يوسف ، فخرج عليه عشرة آلاف درهم ، قد كان وهبها للناس ، وبذرّها - وكان من أسخى العرب - فحبسه يوسف بن عمر عنده في العراق .

وكتب إلى هشام يتقاعد خالد بالمال الذي خرج عليه .

فكتب إليه هشام بالبُسط عليه^(١) .

فدعا به يوسف بن عمر وقال :

ما هذا التقاعد بمال السلطان يا ابن الكاهن ؟ - يعني شقيق^{بن} صعب المعروف

بالكهانة - وكان خالد بن عبد الله من ولده .

فقال له خالد بن عبد الله .

أُتِيتُ بِشَرِّ فِئَةٍ يَا ابْنَ الْحَمَارِ ؟ وإنما كان أبوك وجدك بالطائف أصحاب حانة .

وبلغ هشام أن خالدًا بذّر ذلك المال في الناس ، فكتب إلى يوسف يأمره

بإطلاقه ، والكف عنه .

فلم يزل خالد مقيمًا بالكوفة حتى خرج زيد بن عليّ ، بن الحسين ، بن علي بن أبي

طالب عاينهم السلام بالكوفة .

وكان خروجه في صفر سنة ثمانى عشرة ومائة .

فسار إليه يوسف بن عمر ، فالتقوا بالكُنَاسة^(٢) .

فانهزم أصحاب زيد ، وخذلوه .

فأخذه يوسف بن عمر ، فضرب عنقه .

وبعث برأسه إلى هشام ، وصلب جسده بالكُنَاسة .

وإن خالدًا كتب إلى هشام يستأذنه في الخروج إلى طرسوس^(٣) فإذنا متطوعا ،

فأذن له هشام في ذلك ؛ فسار حتى وافى طرسوس فأقام بها مرابطا .

(١) كذا في الأصل ، وفي اللغة ، بسط فلان من فلان ، أزال منه الاحتشام ، ويقال بسطت

يده عليه أى سُلط عليه . (٢) محلة مشهورة بالكوفة .

(٣) مدينة بغير الشام ، يشقها نهر بردان ، وبها قبر المأمون .

[وقعة بين خالد وهشام]

وإن رجلاً من أهل العراق كان يتلصص ، ويكنى أبا المرّس ، قدم من الكوفة نحو أرض الشام ، في جماعة من لصوص الكوفة ، حتى وافوا مدينة دمشق ، فكان إذا جنته الليل أشعل في ناحية من السوق النار ، فإذا تصايح الناس ، واشتغلوا بإطفاء الحريق ، أقبل في أصحابه إلى ناحية أخرى من السوق ، فكسر الأقفال ، وأخذ ما قدر عليه ، ثم هرب .

فدخل كُثُوم بن عِيَّاض القسريّ على هشام ، وكان معادياً لخالد بن عبد الله ؛ ثمّ وهو ابن عمه ، فقال لهشام :

يا أمير المؤمنين ، إن هذا الحريق لم يكن بدمشق ، وقد حدث ، وما هو إلا عمل محمد بن خالد بن عبد الله القسريّ وغلماؤه .

فأمر هشام بطلب محمد بن خالد ، فأتوه به ، وبغلماؤه ، فأمر بحبسهم ، وحبس غلماؤه .

وبلغ ذلك خالد ، وهو بطرسوس ، فسار حتى وافى دمشق ، فنزل في داره بها ، وغدا عليه الناس مسلمين ، حتى إذا اجتمعوا عنده قال :

« أيها الناس ، خرجت غازياً بإذن هشام وأمره ، فحبس ابني وغلماؤه ، أيها الناس ، مالي ولهشام ؟ والله ليكفّنّ عني هشام - يسمّيه في كل مرة باسمه ولا يقول أمير المؤمنين - أو لأدعونّ إلى عراق الهوى ، شامى الدار ، حجازى الأصل ، إبراهيم بن محمد بن علي بن عبد الله بن عباس ، ألا وإنى قد أذنت لكم أن تبلغوا هشاماً » .

وبلغ هشاماً ذلك فقال : خَرِفَ أبو الهيثم ، وأنا حَرِيٌّ باحتماله ، لقديم حُرْمته ، وعظيم حقه .

فأقام خالد بن عبد الله بمدينة دمشق عاتباً لهشام ، مصارماً له ، لا يركب إليه ، ولا يعبأ به ، وهشام في كل ذلك يحتمله ، ويخلم عنه .

وإن رجلاً يسمى عبد الرحمن بن ثويب السكبي دخل على خالد بن عبد الله ،
فسلم عليه ، وعنده نفر من أشرف أهل الشام ، فقال له :
« يا أبا الهيثم ، إني أحبك [لعشر خصال فيك يحبها] ^(١) الله منك : كرمك ،
وعفوك ، ودينك ، وعدلك ، ورأفتك ، ووقارك في مجلسك ، ونجدةك ، ووفائك ،
وصلتك ذوى رحمك ، وأدبك » .

فأثنى عليه خالد ، وقال له خيراً .

وبلغ هشاماً ذلك فقال :

أبلغ من أمر الفاسق عبد الرحمن بن ثويب أن يصف خالدًا بمحاسن لم تجتمع
في أحد من الخلفاء المؤمنين على عباد الله وبلاده ؟
ثم أمر به ، فأحسن أدبه ، ونفى عن دمشق .

وبلغ ذلك خالدًا ، وعنده أناس من وجوه أهل الشام ، فقال لهم :

« ألا تعجبون من صنيع هشام برجل ذكر مني خصالاً ؟ زعم أنه يحبني لها ،
فضربه وطرده ، وإن أعظم مما قال في عبد الرحمن بن ثويب قول عبد الله بن صيفي
حين قال له : يا أمير المؤمنين ، أخليفتك في أهلك أحب إليك وآثر عندك أم
رسولك ؟ » .

قال هشام : بل خليفتي في أهلي .

قال : فأنت خليفة الله في أرضه وخلقه ، ومحمد رسول الله صلى الله عليه وسلم
إليهم ، فأنت أكرم على الله منه ، فلم ينكر هذه المقالة من عبد الله بن صيفي ، وهي
تضارع الكفر ، ويغضب على عبد الرحمن بن ثويب ، وينكر عليه ما وصفني به
من خصال ، يحبها الله ، فأحبني لها .

فلم يحفل هشام حين بلغه ذلك من قول خالد ، ولم يؤاخذ به شيء من مقالته ؛
فلما تم لخلافة هشام تسع عشرة سنة وسبعة أشهر مرض مرضته التي ماتت ، فأسند
الخلافة إلى ابن أخيه الوليد بن يزيد بن عبد الملك .

(١) محو في الأصل .

[الوليد بن يزيد]

فلما استخلف الوليد بن يزيد أمر صاحب شرطه سعيد بن غيلان بأخذ خالد
بالمال الذي عليه من بقايا خراج العراقين والبسط عليه ، وقال : « أسمعني
صياحه » .

٥ فأقبل سعيد بن غيلان إلى خالد وهو في منزله ، فأخرجه ، فانطلق به إلى
السَّجْنِ ، فعدَّ به يومه ذلك بألوان العذاب ، فلم يكلمه خالد بحرف .
وقال الأشعث بن القيني فيما نال خالداً :

أَلَا إِنَّ خَيْرَ النَّاسِ نَفْسًا وَوَالِدًا
أَسِيرُ قُرَيْشٍ عِنْدَهَا فِي السَّلَاسِلِ
لَعَمْرِي ، لَقَدْ أَغْمَرْتُمُ السَّجْنَ خَالِدًا
وَأَوْطَأْتُمُوهُ وَطْأَةً الْمُتَشَاكِلِ
فَإِنْ تَخَبَسُوا الْقَسْرَى لَا تَخَبَسُوا اسْمَهُ
وَلَا تَخَبَسُوا مَعْرُوفَهُ فِي الْقَبَائِلِ

١٥ وقدم يوسف بن عمر الثقفي بمال العراقين على الوليد ، فجلس الوليد للناس ،
وأذن لهم إذنا عاما .

فتكلم زياد بن عبد الرحمن الضمري ، وكان مُمانداً لخالد ، فقال : يا أمير
المؤمنين ، على محاسبة خالد بخمسة آلاف ألف درهم ، فسلمته إلى .

فأرسل الوليد إلى خالد - وهو في السَّجْنِ - أن زياد بن عبد الرحمن قد أعطى
بمحاسبتك خمسة آلاف ألف درهم ، فإن صحَّحتَها لنا ، وإلا دَفَعْنَاكَ إِلَيْهِ .

٢٠ فأرسل له خالد : إن عهدي بالعرب لا تباع ، وبالله لو سألتني أن أضمن لك
هذا ، ورفع عُودٍ من الأرض ، ما فعلتُ .

فلما رأى الوليد بن زيد تقاعُد خالد بما عليه من المال أمر به ، فسلم إلى يوسف
ابن عمر ، وقال : « انطلق به إلى العراق ، واستأدِّهِ جميع ما عليه من المال » ،

فحملة يوسف بن عمر معه إلى واسط^(١) ، فكان يخرج به كل يوم ويمدّ به ،
ثم يردّه إلى الحبس ، فأخرجه ذات يوم ، وقال : ما هذا التّقاء يا ابن المائقة^(٢) .
فقال له خالد : ما ذكرك الأمّهات ، لعنك الله ؟ والله لا أكلمك بكلمة أبدا .
فغضب يوسف بن عمر من ذلك ، فوضع على خالد المضرّسة^(٣) ، وجعل يمدّ به
بها حتى قتله ، فدفنه ليلا في عباءة كانت عليه .

فأنشأ الوليد بن يزيد :

أَلَمْ تَهْتَجِ فَتَذَكَّرُ الْوَصَالَ وَحَبَلًا كَانَ مُتَصِلًا فَرَا لَا
بَلَى ، فَالِدُّمُ مِثْلُكَ لَهُ سِجَالُ كَمَاءِ الذَّرْبِ يَنْهَمِلُ انْهِمَالًا
فَدَعِ عَنْكَ إِذَا كَارَكَ آلُ سَعْدَى فَتَحْنُ الْأَكْثَرُونَ حَصَى وَمَا لَا
وَنَحْنُ الْمَالِكُونَ النَّاسَ قَسْرًا نَسُومُهُمُ الْمَذَلَّةَ وَالنَّكَالَا
وَنُورِدُهُمْ حِيَاضَ الْخَسْفِ ذُلًّا وَمَا نَأْلُوهُمْ إِلَّا خَبَالًا^(٤)
وَطِئْنَا الْأَشْعَرِينَ بِكُلِّ أَرْضٍ وَلَمْ يَكُ وَطُونًا أَنْ يُسْتَمَالَ
وَكَئِدُهُ وَالسَّكُونُ قَدْ اسْتَمَادُوا نَسُومُهُمُ الْمَذَلَّةَ وَالْخَبَالَا
شَدَدْنَا مُلْكَنَا بَيْنِي زَارٍ وَقَوَّمْنَا بِهِمْ مَنْ كَانَ مَالَا
وَهَذَا خَالِدٌ فِينَا قَتِيلًا أَلَا مَنَعُوهُ إِنْ كَانُوا رِجَالَا
وَلَوْ كَانَتْ بَنُو قَحْطَانَ عُرْبًا لَمَا ذَهَبَتْ صَنَائِعُهُ ضَلَالَا
وَلَا تَرَكَوهُ مَسْلُوبًا أُسِيرًا نَحْمَلُهُ سَلَا سِلَانَا الثَّقَالَا
وَالَكِنَّ الْمَذَلَّةَ ضَعُفَتُهُمْ فَلَمْ يَجِدُوا لِدَلَّتِهِمْ مَقَالَا

فلما سمع مَنْ كان بأقطار الشام من اليمانية هذا الشعر أنفوا أنفا شديدا ،

فاجتمعوا من مدن الشام ، وساروا نحو الوليد بن يزيد .

(٢) الموق هو الحق في غباوة .

(٤) الخبال هو الهلاك والناء .

(١) موضع بين البصرة والكوفة .

(٣) حجر غليظ جدا خشن الوطء .

- وبلغ الوليد مسيرهم ، فأمر بمحمد بن خالد بن عبد الله فحبس بدمشق .
وأقبلت اليمانية ، وخرج إليهم الوليد بمُضَرَّ مستمداً للحرب ، فالتقوا ، واقتتلوا ،
وأثخنت اليمانية القتل في مُضَرَّ ، فانهزمت مُضَرَّ ، وأخذوا نحو دمشق ، ودخل
الوليد قصره ، فتحصن فيه .
وأقبلت اليمانية حتى دخلت دمشق ، وأخرجوا محمد بن خالد من محبسه ،
ورأى سوءه عليهم .
فأرسل محمد بن خالد إلى ابن عم الوليد بن يزيد ، وهو يزيد بن الوليد بن
عبد الملك ، فجاء به ، فبايعوه جميعاً ، وأرسل إلى أشرف المضريين ، فبايعوه
طوعاً وكرهاً .
وخلعوا الوليد بن يزيد ، فلبث مخلوعاً أياماً كثيرة ، وهو خلیع بنی أمیة .

[يزيد بن الوليد]

- فقام يزيد بن الوليد بالخلافة ، ووضع للناس المطاء ، وفرّق في اليمانية
الصلّات والجوائز .
وأقبل محمد بن خالد إلى قصر الوليد بن يزيد ، وأمر بالأوّهاق^(١) ، فألقيت
في شرف القصر ، وتسلقوا ، فعكّوه ، ونادوا : « يا وليد ، يا لوطي » ،
يا شارب الخمر » ، ثم نزلوا إليه ، فقتلوه .
واستد^(٢) الملك ليزيد بن الوليد .
وإن محمد بن خالد وجه منصور بن جهمور في خيل إلى العراق ، وأمره أن يقصد إلى
مدينة واسط ، فيأخذ الناس بالبيعة ليزيد بن الوليد ، فإذا بايعوا دعا بيوسف بن عمر ،
فضرب عنقه .

(١) الحبال جمع وهمى .

(٢) استتب واستقام .

فسار منصور بن جمهور ، فبدأ بالكوفة وأخذهم بالبيعة ليزيد بن الوليد ، فلما
بايعوا سار منها إلى واسط ، فاجتمع إليه الناس ، فبايعوا ليزيد ، فلما فرغ دعا ييوسف
ابن عمر ، فقال له :

أنت القاتل سيد العرب خالد بن عبد الله ؟

قال يوسف : كنت مأمورا ، ومالي في ذلك من ذنب ، فهل لك أن تُعفيني من القتل ،
وأعطيك ديتي عشرة آلاف درهم ؛

فضحك منه ، ثم حمله حتى أتى به محمد بن خالد بالشام ، فقال له محمد :
أما زعمك أنني كنت مأمورا فقد صدقت ، وقد قتلت قاتل أبي ، وإنما أقتلك
بعده غزوان ، ثم قدمه ، فضرب عنقه .
فلما يزيد بن الوليد ستة أشهر ، ثم مات .

[إبراهيم بن الوليد]

وقام بالملك من بعده أخوه إبراهيم بن الوليد ، فبايعه الناس بالشام ، وجميع
الآفاق ، وجعل ولي العهد من بعده عبد العزيز بن الحجاج بن عبد الملك بن مروان ،
واستعمل على العراق يزيد بن عمر بن هُبيرة ، فسار ابن هُبيرة حتى نزل المكان الذي
إلى اليوم يسمى « قصر ابن هُبيرة » وبني فيه قصرا ، واتخذ ذلك المكان منزلا له
ولجنوده .

قالوا : وإن المضرية تَلَاوَمَتُ فيما كان من غلبة اليمانية عليها ، وقتلهم الخليفة
الوليد بن يزيد ، فدب بعضهم إلى بعض ، واجتمعوا من أقطار الأرض وساروا
حتى وافوا مدينة حمص^(١) ، وبها مروان بن محمد بن مروان بن الحكم ، وكان
يومئذ شيخ بني أمية وكبيرهم ، وكان ذا أدبٍ كامل ورأيٍ فاضل ، فاستخرجوه

(١) بلد مشهور في الإقليم الشمالي من الجمهورية العربية المتحدة ، في طرفه القبلي قلعة حصينة
على تل عال كبير ، بين دمشق وحلب ، في نصف الطريق ، وقد سمي باسم من أحدثه ، وهو حمص
ابن مكنف العمليق ، وبه قبر خالد بن الوليد .

من داره ، وبايعوه ، وقالوا له : « أنت شيخ قومك وسيدهم ، فاطلب بثأر ابن عمك الوليد بن يزيد » .

فاستمد مروان بجنوده في تميم ، وقيس ، وكنانة ، ونسائر قبائل مضر ، وسائر نحو مدينة دمشق .

٥ وبلغ ذلك إبراهيم بن الوليد ، فتحصن في قصره .

ودخل مروان بن محمد دمشق ، فأخذ إبراهيم بن الوليد وولى عهده عبد العزيز ابن الحجاج فقتلها ، وهرب محمد بن خالد بن عبد الله القسري نحو العراق حتى أتى الكوفة ، فنزل في دار عمرو بن عامر البجلي ، فاستخفى فيها ، وعلى الكوفة يومئذ زياد بن صالح الحارثي ، عاملاً ليزيد بن عمر بن هبيرة .

١٠ [مروان بن محمد]

واستدفع الملك مروان بن محمد ، وأعطاه أهل البلدان الطاعة ؛ ثم إن العصبية وقعت بخراسان بين المضرية واليمانية .

وكان سبب ذلك ، أن جديع بن علي المروفي بالكرماني كان سيده من بارض خراسان من اليمانية ، وكان نصر بن سيار متعصباً على اليمانية ، مُبغضاً لهم ، فكان لا يستعين بأحد منهم ، وعادى أيضاً ربيعة ليلها إلى اليمانية ، فمات به ١٥ الكرماني في ذلك .

فقال له نصر : ما أنت وذاك ؟

قال الكرماني : إنما أريد بذلك صلاح أمرك ، فإني أخاف أن تُفسد عليك سلطانتك ، وتحمل عليك عدوك هذا المظلل ، يعني السوددة^(١) .

٢٠ قال له نصر : أنت شيخ قد خرفت .

فأسمعه الكرماني كلاماً غليظاً ، فغضب نصر ، وأمر بالكرماني إلى الحبس ، فحبس في القهndز ، وهي القلعة العتيقة .

(١) السوددة هم المباسيون ، لسواد أغطية رؤوسهم .

فغضب أحياء العرب للكرمانيّ ، فاعتزلوا نصر بن سيّار ، واجتمع إلى نصر
المصريّة ، فطابقوه وشايعوه .

وكان للكرمانيّ مَوْلى من أبناء العجم ، ذودهاء وتجربة ، وكان يخدمه
في محبسه ، وكان الكرمانيّ رجلاً ضخماً عظيم الجثّة ، عريض ما بين المنكبين ،
فقال له مولاه :

— أَتَوَطَّنُ نَفْسَكَ عَلَى الشَّدَّةِ وَالْخَاطَرَةِ حَتَّى أَخْرِجَكَ مِنَ الْحَبْسِ ؟

قال له الكرمانيّ : وكيف تخرجني ؟

قال : إني قد عيّنتُ على ثقب ضيّق ، يخرج منه ماء المطر إلى الفارقين ، فَوَطَّنْ
نَفْسَكَ عَلَى سَلْخِ جِلْدِكَ لَضِيقِ الثَّقْبِ .

قال الكرمانيّ : لا بد من الصَّبْرِ ، فأعمل ما أردت .

فخرج مولاه إلى اليمانية ، فوَاطَّأهم ، ووطنهم في طريقه ، فلما جَنَّ الليل ،
ونام الأحراس أقبل مولاه من خارج السور ، فوقف له على باب الثقب ، وأقبل
الكرمانيّ حتى أدخل رأسه في الثقب ، وَبَسَطَ فِيهِ يَدَيْهِ حَتَّى نَالَتْ يَدَاهُ كَفَيُّ
مولاه ، فاجتذبه اجتذابة شديدة ، سَاخَ بِهَا بَعْضُ جِلْدِهِ ، ثم اجتذبه ثانية حتى
انتهى به إلى النِّصْفِ ، فإذا هو بِحَيَّةٍ فِي الثَّقْبِ ، فنَادَى الكرمانيّ مولاه :
« بَذِّبْنِي ، مَارَ مَارَ » أَيْ « حَيَّةٌ قَدْ عَرَضَتْ » ، فقال مولاه : « بَكَزْ بَكَزْ »
أَيْ « عُضَّهَا » ، ثم اجتذبه الثالثة ، فأخرجه ، فقال لمولاه : « أُمِّهْلْنِي سَاعَةً ،
حَتَّى أَفِيقَ ، وَيَسْكُنَ مَا بِي مِنْ وَجَعِ الْإِنْسِلَاحِ » .

فلما رجعت إلى الكرمانيّ نفسه نزل من ذلك التَّلِّ ، وَأَتَى بِدَابَةِ رَكْبِهَا حَتَّى
انتهى إلى منزله ، واجتمعت إليه الأزد ، وسائر مَنْ بِخِرَاسَانَ مِنَ الْيَمَانِيَةِ ،
وَانْحَازَتْ رِيبَعَةٌ مَعَهُمْ .

وبلغ نصر بن سيّار الخبر ، فدعا بصاحب الحبس فضرب عنقه ، وَظَنَّ أَنَّ
ذَلِكَ كَانَ بِمُؤَاطَاةٍ مِنْهُ .

ثم قال لِسَلَم بن أَخُوَز المازني ، وكان على شُرطِه : « انطلق إلى الكرمانى » ، فأعلمه : أتى لم أرد به مكروها ، وإنما أردت تأديبه لما استقبلنى به ، ومُرّه أن يصير إلى آمناء ، لأننا ظره فى بعض الأمر .

فصار سَلَم إليه ، فإذا هو بمحمد بن المُثَنَّى الرَّبَعىّ جالساً على الباب فى سبعمائة رجل من ربيعة ، فدخل عليه ، فأبلغه الرسالة ، فقال الكرمانى : لا ، ولا كرامة ، ماله عندى إلا السيف .

فأبلغ ذلك نصرا .

فأرسل نصر بعِصْمَة بن عبد الله الأزديّ ، وكان من خاصته ، فقال له : انطلق إلى ابن عمك ، فأمنه ، ومُرّه أن يصير إلى آمناء ، لأننا ظره فى بعض ما قد دهمنا من هذا المدو .

فقال الكرمانى لعصمة ، حين أبلغه رسالة نصر : « يا ابن الخبيثة ، وما أنت وذاك ؟ وقد ذكر لى عمك ، أنك لغير أبيك الذى تُنسب إليه ، وإنما تريد أن تقترب إلى ابن الأقطع - يعنى نصرا - أما لو كنت صحيح النسب لم تفارق قومك ، وتميل إلى من لا رحم بينه وبينك » .

فانصرف عصمة إلى نصر ، وأبلغه قوله .

ثم إن الكرمانى كتب إلى عمر بن إبراهيم ، من ولد أبرهة بن الصبّاح ، ملك حمير ، وكان آخر ملوكهم ، وكان مستوطناً الكوفة ، يسأله أن يوجه إليه بنسخة حِلَف اليمين وربيعة ، الذى كان بينهم فى الجاهلية ، ليُخَيِّمه ، ويجدّده ، وإنما أراد بذلك أن يستدعى ربيعة إلى مكافئته .

فأرسل به إليه .

فجمع الكرمانى إليه أشراف اليمين وعظماء ربيعة ، وقرأ عليهم نسخة الحِلَف . وكانت النسخة :

« بسم الله العلىّ الأعظم ، الماجد النعم ، هذا ما احتلف عليه آل قحطان وربيعة

الأخوان ، اختلفوا على السَّواء السَّوا ، والأواصر والإخا ، ما احتذى رجل
 حِذا ، وما راح راكب وانغمدى ، يحمله الصغار عن الكبار ، والأشرار عن
 الأخيار . آخر الدهر والأبد ، إلى انقضاء مدة الأمد ، وانقراض الآباء والولد ،
 حلف يوطأ ويثب ، ماطلع نجم وغرب ، خلطوا عليه دماهم ، عند ملك أرضاهم ،
 خلطها بخمر وسقام ، جز من نوصيهم أشعارهم ، وقلّم عن أناملهم أظفارهم ،
 فجمع ذلك في صرّ ، ودفنه تحت ماء غمر ، في جوف قعر بحر آخر الدهر ،
 لا سهو فيه ولا نسيان ، ولا غدر ولا خذلان ، بعقد مؤكّد شديد ، إلى آخر الدهر
 الأبيد ، مادعا صبيّ أباه ، وما حلب عبد في إناه ، تحمل عليه الحوامل ، وتقبل عليه
 القوابل ، ما حل بعد عام قابل ، عليه المَحيا والمات ، حتى يئبس الفرات ، وكتب
 في الشهر الأصم^(١) عند ملك أخى ذِمَم ، تبّع بن ملكيّكرب ، معدن الفضل
 والحسب ، عليهم جميعا كفل ، وشهد الله الأجل ، الذى ماشاء فبل ، عقّله من
 عقل ، وجهله من جهل .

فلما قرىء عليهم هذا الكتاب توافقوا على أن ينصر بعضهم بعضا ، ويكون
 أمرهم واحدا .

فأرسل الكرّماني إلى نصر : « إن كنت تريد المحاربة فأبرز إلى خارج المدينة » .
 فنادى نصر في جنوده من مضر .

وخرج ، فمسكرا ناحية من الصحراء ، وفعل الكرّماني مثل ذلك . وخندق
 كل واحد منهما في عسكره ، ويسمى ذلك المكان إلى اليوم « الخندقين » .

ووجه الكرّماني محمد بن المشني ، وأبا الميلاء الرّبيعيّين ، في ألف فارس ،
 من ربيعة ، وأمرهما أن يتقدما إلى عسكر نصر بن سيار .

فأقبلا ، حتى إذا قاربا عسكره قال نصر لابنه تميم :

— اخرج إلى القوم في ألف فارس من قيس وتميم .

(١) الشهر الأصم : هو رجب ، وسمى بذلك في الجاهلية لعدم سماع السلاح فيه .

فانتخب ألف فارس ، ثم خرج ، فالتقوا ، واقتتلوا ، وحمل محمد بن المثنى
الرَّبْعَى على تميم بن نصر ، فتضاربا بسيفيهما ، فلم يصنع السيفان شيئا ، لكمال
لأُمَتَيْهِمَا ، فلما رأى محمد بن المثنى ذلك حمل بنفسه على تميم ، فماتته ، فسقطا
جميعا إلى الأرض ، وصار محمد فوق تميم ، فأنحى على حلقه بالسيف ، فذبحه .

وقال نصر بن سيار يرثي ابنه تيميا :

نَفَى عَنِّي الْعَزَاءُ وَكُنْتُ جَلْدًا غَدَاةُ جَلَى الْفَوَارِسُ عَنْ تَيْمِيمِ
وَمَا قَصُرَتْ يَدَاهُ عَنِ الْأَعَادِي وَلَا أَضْحَى بِمَنْزِلَةِ اللَّثِيمِ
وَفَاءَ لِلْخَلِيفَةِ وَابْتِدَا لِمُهْجَتِهِ يُدَافِعُ عَنْ حَرِيمِ
فَمَنْ يَكُ سَائِلًا عَنِّي فَإِنِّي أَنَا الشَّيْخُ الْغَضَنْفَرُ ذُو الْكَلِيمِ
نَمْتَنِي مِنْ خُزَيْمَةَ بَاذِخَاتٍ بَوَاسِقُ يَنْتَمِينَ إِلَى صَمِيمِ

قالوا : فكشوا بذلك عشرين شهرا ، ينهض بعضهم إلى بعض كل أيام ،
فيقتتلون هَوِيًّا ، ثم ينصرفون ، وقد انتصف بعضهم من بعض .

وشغلهم ذلك عن طلب أبي مسلم وأصحابه حتى قوى أمره ، واشتد ركنه ،
وعُلم شأنه في جميع كُور خراسان .

فقال عقيل بن مَعْقِل الليثي لنصر بن سيار : إن هذه العَصَبِيَّة قد تبادت بيننا
وبين هؤلاء القوم ، وقد شَغَلَتْكَ عن جميع أعمالك ، وضبط سلطانك ، وقد
أظلك هذا العدو الكلب ، فأنشدك الله أن تَشَامَ (١) نفسك وعشيرتك ، قَارِبُ
هذا الشيخ - يعني الكرمانى - بعض المقاربة ، فقد انتقض الأمر على الإمام
مروان بن محمد .

فقال نصر : يا ابن عم ، قد فهمت ما ذكرت ، ولكن هذا الملاح قد ساعده

(١) يعني أن تأخذ بهم نحو الشام .

عشيرته ، وظافرتهم على أمرهم ربيعة ، فقد عدا من أجل ذلك طوره ، فلا ينسوي
صلحا ، ولا ينيب إلى أمان ، فانطلق يا ابن عم إن شئت ، فسأله ذلك ، وأعطه
عنى ما أراد .

فضى عقيل بن معقل حتى استأذن على الكرمانى ، فدخل فسلم .
ثم قال له :

٥ - إنك شيخ العرب وسيدها بهذه الأرض ، فأبق عليها ؛ قد تبادت هذه
المصيبة بيننا وبينكم ، وقد قتل منا ومنكم ما لا يحصيه أحد ، وقد أرسلنى نصر
إليك ، وجعل لك حُكم الصبي على أبويه ، على أن ترجع إلى طاعته ، لتتأزرا
على إطفاء هذه النار المضطربة فى جميع كور خراسان ، قبل أن يكاشفوا - يعنى
المُسودة - .

قال الكرمانى : قد فهمت ما ذكرت ، وكنت كاريها لهذا الأمر ، فأبى
ابن عمك - يعنى نصرا - إلا البذخ والتطاؤل حتى حبسنى فى سجنه ، وبمنى
على نفسه وقومه .

قال له عقيل : فما الذى عندك فى إطفاء هذه النَّارِرة^(١) ، وحَقْن هذه الدماء ؟
١٥ قال الكرمانى : عندى من ذلك أن نتمزل أنا وهو الأمر ، ونؤلى جميعاً
أمرنا رجلاً من ربيعة ، فيقوم بالتدبير ، ونساعده جميعاً ، وتشمر لطلب هؤلاء
المُسودة قبل أن يجتمعوا ، فلا تقوى بهم ، ولو أخاب عليهم معنا جميع العرب .
قال عقيل : إن هذا ما لا يرضى به الإمام مروان بن محمد ، ولكن الأمير
نصراً يجعل الأمر لك ، تؤلى من شئت ، وتمزل من شئت ، وتدبر فى هؤلاء
٢٠ المُسودة ما شئت ، ويتزوج إليك ، ويتزوج إليه .

قال الكرمانى : كيف يتزوج إلى . وليس لى بكفء ؟

قال عقيل : أتقول هذا لرجل له بيت كنانة ؟

(١) النَّارِرة : الحقد والعداوة ، تقع بين القوم .

قال الكرمانى : لو كان من مُصاص^(١) كِنانة ما فعلتُ ، فكيف وهو مُلصق فيهم ؟ فأما قولك ، إنه يجعل الأمر إلى ، أوّل ، وأُزِل من أريد ، فلا ، ولا كرامة ، أن أكون تبعاً له ، أو أقارؤه على السلطان .

فانصرف عقيل إلى نصر ، فقال : « إنك كنت بهذا الملاح أبصر منى » .
ثم أخبره بما دار بينهما كله .

فكتب نصر بن سيار ، إلى الإمام مروان بن محمد ، يُخبره بخروج الكرمانى عليه ، ومحاربتة إياه ، واشتغاله بذلك عن طَلَب أبي مسلم وأصحابه ، حتى قد عَظُم أمرهم ، وأن المُخَصَّى المُقَلَّل لهم يزعم ، أنه قد بايعه مائتا ألف رجل ، من أقطار خراسان ، فتدارك يا أمير المؤمنين أمرك ، وابعث إلى بجنود من قبلك يَقُو بهم ركنى ، وأستعين بهم على محاربة من خالفنى .

ثم كتب فى أسفل كتابه :

أَرَى تَحْتَ الرَّمَادِ وَمِیْضَ جَمْرٍ وَيُوشِكُ أَنْ يَكُونَ لَهُ ضِرَامُ
فَإِنَّ النَّارَ بِالْمُودِينَ تَذْكَى وَإِنَّ الشَّرَّ مَبْدُوءُهُ كَلَامُ
وَقُلْتُ مِنَ التَّعَجُّبِ ، لَيْتَ شِعْرِى أَلْيَقَاطُ أُمَيَّةُ أَمْ نِيَامُ ؟
فَإِنْ يَقِظْتُ ، فَذَاكَ بَقَاءُ مُلْكٍ وَإِنْ رَقَدْتُ ، فَإِنِّى لَا أَلَامُ
فَإِنْ يَكُ أَصْبَحُوا ، وَثَوُوا نِيَامًا فَقُلْ قَوْمُوا ، فَقَدْ حَانَ الْقِيَامُ

فلما وصل كتابه إلى مروان كتب إلى معاوية بن الوليد ، بن عبد الملك ، وكان عامله على دمشق ، ومروان حينئذ بمدينة حمص ، يأمره أن يكتب إلى عامله بالبلقاء^(٢) ، أن يسير إلى الحُمَيْمَةِ^(٣) ، فيأخذ إبراهيم بن محمد بن على ، فيشده وثاقا ، ويرسل به إليه .

(١) مصاص القوم : أصل منبتهم .

(٢) أرض بالشام .

(٣) بلد من أعمال عمان فى أطراف الشام كانت منزل بنى العباس .

فأتى إبراهيم ، وهو جالس في مسجده ، فلف رأسه ، وحمل إلى مروان ،
واتبعه من أهل بيته عبد الله بن علي ، وعيسى بن موسى بن علي ، ونفر
من مواليه .

فلما دخل على مروان قال له : ما هذه الجموع التي خرجت بخراسان تطلب لك
الخلافة ؟

قال له إبراهيم : مالي بشيء من ذلك علم ، فإن كنت إنما تريد التجني علينا
فدونك وما تريد .

ثم بسط لسانه على مروان ، فأمر به ، فحبس .

قال الهيثم : « فأخبرني أبو عبيدة ، قال : كنت آتى إبراهيم في محبسه ،
ومعه فيه عبد الله بن عمر بن عبد العزيز ، فأسلم عليه ، وأظل عامة نهاري عنده ،
وربما جئني الليل عنده ، فأبيت معه ؛ فبينما أنا ذات ليلة عنده ، وقد ربت معه
في الحبس ، فأنا نائم في سقيفة فيه ، إذ قيل ، مؤلى لمروان ، فاستفتح الباب ،
ففتح له ، فدخل ومعه نحو من عشرين رجلا من موالي مروان ، فلبثوا ساعة ،
ثم خرجوا ، ولم أسمع لأحد صوتا .

فلما أصبحت دخلت البيت لأسلم عليهما ، فإذا هما قتيلان ، فظننت أنهما
خُنقا .

ولما قتل إبراهيم بن محمد خاف أخواه : أبو جعفر ، وأبو العباس على أنفسهما ،
فخرجوا من الحيمة هاربين من العراق ، ومعهما عبد الله ، وإسماعيل ، وعيسى ، وداود .
بنو علي بن عبد الله بن عباس ، حتى قدموا الكوفة ، ونزلوا على أبي سلمة الداعي ،
الذي كان داعية أبيهما ، محمد بن علي بأرض العراق .

فأنزلهم جميعاً دار الوليد بن سعد ، التي في بني أؤد ، وألزمهم مُساورة
القصاب ، ويقطينا الأزارقي ، وكانا من كبار الشيعة ، وقد كانا لقياً محمد بن علي
في حياته ، فأمرهما أن يُعينا أبا سلمة على أمره .

وكان أبو سلمة خالاً^(١) ، فكان إذا أمسوا أقبل مُساور بشِقَّة لحم ، وأقبل أبو سلمة بخُل ، وأقبل يَقِطِين بالأبزار ، فيطبخون ، ويأكلون .
وفي ذلك يقول أبو جعفر :

لَحْمٌ مُسَاوِرٌ ، وَخُلٌ أَبِي سَلَمَةَ وَأَبْزَارُ يَقِطِينٍ ، وَطَابَتِ الْمَرْقَةُ
فلم يزل أبو العباس ، وأبو جعفر مستخفين بالكوفة إلى أن قدم قُحطبة
ابن شبيب العراق .

قالوا : وبلغ أبا مسلم قتل الإمام إبراهيم بن محمد ، وهرب أبي العباس ، وأبي جعفر
من الشام ، واستخفاؤهما بالكوفة عند أبي سلمة .
فسار من خراسان حتى قدم الكوفة ، ودخل عليهما ، فعزاها بأخيها ،
إبراهيم الإمام .

ثم قال لأبي العباس : مُدَّ يَدُكَ أَبَايَكَ .
فمدَّ يده ، فبايعه .
ثم سار إلى مكة .
ثم انصرف إليهما .

فتقدم إليه أبو العباس ، ألا يدع بخراسان عريباً لا يدخل في أمره إلا ضرب
عنقه .

ثم انصرف أبو مسلم إلى خراسان ، فجعل يدورها ، كُورَةَ كُورَةٍ ، وَرِسْتَقَا
رِسْتَقَا ، فَيُؤَادِعُهُم اليوم الذي يظهرون فيه ، ويأمرهم بتهيئة السَّلاح والدواب
لمن قدر .

قالوا : ولما أُعِيَتْ نصر بن سَيَّار الحِجَلُ في أمر الكِرماني ، وخاف أُرُوفَ
أبي مسلم كتب إلى مروان :

(١) يمتن بيع الخُل .

يَا أَيُّهَا الْمَلِكُ الْوَلَانِي بِنُصْرَتِهِ قَدْ آتَى الْأَمْرُ أَنْ يَأْتِيكَ مِنْ كَثْبِ
أَضْحَتْ خُرَّاسَانُ ، قَدْ بَاضَتْ صُقُورَتُهَا وَفَرَّخَتْ فِي نَوَاحِيهَا بِلَا رَهَبٍ
فَإِنْ يَطْرُنَ ، وَلَمْ يُحْتَلْ لَهُنَّ بِهَا يُلْهِبْنَ نِيرَانَ حَرْبٍ أَيْمًا لَهَبٍ
فلما وصلت هذه الأبيات إلى مروان كتب إلى يزيد [بن عمر بن هبيرة عامله] (١)

٥ على العِراقَيْنِ ، يأمره أن ينتخب من جنوده اثنا عشر رجلا ، مع فَرَضٍ يفرضه
بالعراق من عرب الكوفة والبصرة ، ويُوَلِّي عليهم رجلا حازما ، يرضى عقله
واقدامه ، ويوجه بهم إلى نصر بن سيار .

فكتب يزيد بن عمر بن هبيرة إلى مروان : « أن من معه من الجنود لا يَقُونَ
بِاثْنَيْ عَشَرَ أَلْفًا ، ويُعلمه أن فَرَضَ الشَّامِ أَفْضَلُ مِنْ فَرَضِ الْعِرَاقِ ، لِأَنَّ عَرَبَ
١٠ الْعِرَاقِ لَيْسَتْ لَهُمْ نَصِيحَةٌ لِلْخُلَفَاءِ مِنْ بَنِي أُمَيَّةَ ، وَفِي قُلُوبِهِمْ إِحْسَنُ » .

ولما أبطأ عن نصر الغوثُ أعاد إلى مروان :

مَنْ مُبْلَغٌ عَنِّي الْإِمَامَ الَّذِي قَامَ بِأَمْرِ بَيْنٍ سَاطِعٍ
أَتَى نَذِيرُهُ لَكَ مِنْ دَوْلَةٍ قَامَ بِهَا ذُو رَحْمٍ قَاطِعٍ
وَالثَّوْبُ إِنْ أَنْهَجَ فِيهِ الْبَلَى أَعْيَى عَلَى ذِي الْحِيَلَةِ الصَّانِعِ
١٥ كُنَّا نُدَارِيهَا ، فَقَدْ مُزِّقَتْ وَاتَّسَعَ الْخَرْقُ عَلَى الرَّاقِعِ

فلم يجد عند مروان شيئا .

[ظهور دعوة أبي مسلم]

وحان الوقت الذي واعد فيه أبو مسلم مُسْتَجِيبِيهِ ، فخرجوا جميعا في يوم واحد
من جميع كُور خراسان حتى وافوه ، وقد سودوا ثيابهم ، تسلُّوا على إبراهيم
٢٠ ابن محمد بن علي بن عباس الذي قتله مروان ، فكان أول من وَرَدَ عَلَيْهِ مِنَ الْقَوَادِ ،

(١) في الأصل نحو مكان ما بين الحاصرتين .

وقد لبس السواد ، أُسَيْدُ بن عبد الله ، ومُقاتل بن حكيم ، ومُحَقَّن بن غَزْوَان ،
والحرش مولى خَزَاعَةَ ، وتنادوا : عِد ، يامنصور . يعنون عِد بن علي بن عبد الله
ابن عباس . وهو أول من قام بالأمر ، وبثَّ دعايته في الآفاق .

وانجفل الناس على أبي مسلم من هَرَاة ، وبُوشَنج ، ومَرَوَ الرُّوذ ، والطارقان ،
وَمَرَوَ ، وَنَسَا ، وأَبِيوَرْدَ (١) ، وطُوس (٢) ، ونَيْسَابُور ، وسَرَخْس ، وبلغ ،
والصَّغَانِيَان ، والطُّخَارِسْتَان ، وَخُتْلَان ، وكَش (٣) ، ونَسَف ، فتوافوا جميعا
مَسَوْدَى الثِيَابَا ، وقد سَوَدُوا أيضا أنصاف الخشب التي كانت معهم ، وسموها
« كَافِرَ كُوبَات » (٤) .

وأقبلوا فرسانا ، وحمّارة ، ورجالة ، يسوقون حميرهم ويزجرونها ، هَرَمَرُوَان ،
يسمونها مروان ، ترغيا لمروان بن عِد ، وكانوا زهاء مائة ألف رجل .
فلما بلغ نصر بن سيار ظهور أبي مسلم سَقَطَ في يديه ، وخاف على نفسه ، ولم
يَأْمَنُ أن ينحاز الكرمانى في اليمانية ، والرَبِيعَةَ إليهم ، فيكون في ذلك اصطلامه ،
فأراد أن يستعطف من كان مع الكرمانى من ربيعة .

فكتب إليهم ، وكانوا جميعا بمرو :

أَبْلِغْ رَبيْعَةَ في مَرَوِ وإِخْوَتَهَا أن يَغْضِبُوا قَبْلَ أن لَا يَنْفَعَ الْغَضَبُ
مَا بَالَكُمْ تُلْحِقُونَ الْحَرْبَ بَيْنَكُمْ كَأَنَّ أَهْلَ الْحِجَاةِ عَنْ فِعْلِكُمْ غُيِّبُ
وَتَتْرُكُونَ عَدُوًّا قَدْ أَظْلَمَكُمْ مِمَّنْ تَأْتَسِبُ ، لَا دِينَ وَلَا حَسَبَ
لَيْسُوا إِلَى عَرَبٍ مِنَّا ، فَنَعْرِفَهُمْ وَلَا صَمِيمَ الْمَوَالِي ، إِنْ هُمْ نُسَبُوا
قَوْمًا يَدِينُونَ دِينًا مَا سَمِعْتُ بِهِ عَنْ الرَّسُولِ ، وَلَا جَاءَتْ بِهِ الْكُتُبُ

(١) مدينة بخراسان تقع بين سرخس ونسا .

(٢) مدينة تشتمل على بلدين بالقرب من نيسابور ، بها قبر هرون الرشيد ، وعلى بن موسى
الرضا في بستان كان له بها ، وكان بينهما وبين نيسابور قصر عظيم بناه بعض التبابعة لما قصد الصين ،
ورأى أن حرمة وكنوزه وذخائره .

(٣) قرية من قرى أصفهان .

(٤) كذا في الأصل ، وصوابه « كافر كوباد » أى مضرب الكافر .

فَمَنْ يَكُنْ سَائِلِي عَنْ أَصْلِ دِينِهِمْ فَإِنَّ دِينَهُمْ أَنْ تُقْتَلَ الْعَرَبُ
فلم تحفل ربعة بهذه الأبيات .

وبلغ أبا العباس الإمام ، وهو مستخف بالكوفة أن أبا مسلم لو أراد أن
يسطم^٣ عسكر نصر والكرماني^٢ لفعل ، غير أنه يدافع الحرب ، فكتب إليه يؤنبه^٥
في ذلك .

وكان أبو مسلم يحب أن يستميل أحدَ الرجلين ، ليفصم به شوكة الآخر ،
فأرسل إلى الكرماني ، يسأله أن ينضم^٣ إليه ، لينتقم له من نصر بن سيار ، فعزم
على المسير إليه ، وأقبل أبو مسلم في عساكره إلى أرض مرو ، فعسكر على ستة
فراسخ من المدينة . ١٠

وخرج إليه الكرماني ليلا في نفر من قومه ، فاستأمن لجميع أصحابه ، فآمنهم
أبو مسلم ، وأكرم الكرماني^٢ ، فأقام معه ، وشق ذلك على نصر بن سيار ،
وأيقن بالهلكة .

فكتب إلى الكرماني يسأله الرجوع إليه ، على أن يعتزلا ، ويوليا الأمر رجلا
من ربعة ، يرضيانه ، وهو الأمر الذي كان سألَه إياه . ١٥

فأصنى الكرماني إلى ذلك ، وتحمل ليلا من معسكر أبي مسلم ، حتى انصرف إلى
معسكره ، واسترسل الكرماني^٢ إلى نصر ، فلما أصاب منه غرة^٣ دس^٤ عليه من^٥
قتله .

ويقال : بل وجه إليه نصر رجلا من قواده في ثلاثمائة فارس ، فكنوا له ليلا
عند منصرفه من معسكر أبي مسلم ، فلما حاذاهم ، وهو غافل عنهم ، حملوا عليه ،
فقتلوه . ٢٠

وبلغ ذلك أبا مسلم فقال « لا يُبْعَدُ اللهُ غيره ، لو صبر معنا لقمنا معه ، ونصرناه
على عدوه » .

وقال نصر في ظفره بالكرمانى :

لَعَمْرِي ، لَقَدْ كَانَتْ رَبِيعَةٌ ظَافَرَتْ عَدُوِّي بِفَدْرِ حِينَ خَابَتْ جُودُهَا
وَقَدْ غَمَزُوا مِنِّي قَنَاءَ صَلِيبَةٍ شَدِيدًا عَلَى مَنْ رَامَهَا الْكُشْرَ عُودَهَا
وَكُنْتُ لَهَا حِصْنًا ، وَكَهْفًا ، وَجَنَّةً يُوُولُ إِلَيَّ ، كَهْلَهَا ، وَوَلِيدَهَا
فَمَأَلُوا إِلَى السَّوْءَاتِ ، ثُمَّ تَعَذَّرُوا وَهَلْ يَفْعَلُ السَّوْءَاتِ إِلَّا مُرِيدُهَا ؟
فَأَوْرَدْتُ كَرْمَانِيهَا الْمَوْتَ عَنُوءَةً كَذَلِكَ مَنَآيَا النَّاسِ يَدْنُو بَعِيدُهَا
قَالُوا : وَلَا تُقْتَلِ الْكَرْمَانِي مَضَى ابْنُهُ عَلَى مَنْ خَنَدَقَهُ إِلَى أَبِي مُسْلِمٍ ، فَسَأَلَهُ أَنْ
يَطْلُبَ لَهُ بَشَارَ أَيْيِهِ .

فَأَمْرُ قَحْطَبَةَ بْنِ شَيْبٍ أَنْ يَسْتَعِدَّ ، وَيَسِيرَ حَتَّى يُنْبِخَ عَلَى نَصْرِ فِي خَنَدَقِهِ ، فَيَنَابِذَهُ
الْحَرْبَ ، أَوْ يُنِيبَ إِلَى الطَّاعَةِ .

فَسَارَ قَحْطَبَةُ ، فَبَدَأَ بِالْمَدِينَةِ ، فَدَخَلَهَا ، وَاسْتَوَلَى عَلَيْهَا ، وَأَرْسَلَ إِلَى نَصْرِ
يُوْذَنَهُ بِالْحَرْبِ .

فَكَتَبَ نَصْرٌ إِلَى أَبِي مُسْلِمٍ ، يَسْأَلُهُ الْأَمَانَ ، عَلَى أَنْ يَدْخُلَ مَعَهُ فِي أَمْرِهِ ؛
فَأَجَابَهُ إِلَى ذَلِكَ ، وَأَمْرُ قَحْطَبَةَ أَنْ يُمَسِّكَ عَنْهُ .

فَلَمَّا أَصَابَ نَصْرٌ مِنْ قَحْطَبَةَ غَفْلَةً تَحْمَلُ فِي حَشَمِهِ وَوَلَدَهُ ، وَحَاشِيَتِهِ لَيْلًا ،
نَخَرَ مِنْ مَعْسُكِهِ مَنْ غَيْرِ أَنْ يُعْلَمَ أَحْبَابُهُ ، وَسَارَ نَحْوَ الْعِرَاقِ ، وَجَعَلَ طَرِيقَهُ
عَلَى جُرْجَانٍ ، فَأَقَامَ بِهَا ، فَرَضَ فِيهَا ، فَسَارَ مِنْهَا إِلَى سَاوَةِ^(١) ، فَأَقَامَ بِهَا أَيَّامًا
ثُمَّ تَوَفَّى بِهَا .

فَاسْتَأْمَنَ جَمِيعُ أَصْحَابِهِ وَأَصْحَابُ الْكَرْمَانِي إِلَى أَبِي مُسْلِمٍ إِلَّا أَنْاسًا كَرِهُوا أَمْرَ
أَبِي مُسْلِمٍ ، فَسَارُوا مِنْ مَدِينَةِ مَرْوْهُرَآبَا ، حَتَّى أَتَوْا طُوسَ ، فَأَقَامُوا بِهَا .

(١) وَهِيَ سَاوَى ، مَدِينَةٌ فِي بِلَادِ فَارَسِ الْوَسْطَى ، وَاقِعَةٌ عَلَى الطَّرِيقِ بَيْنَ قَزْوِينَ وَالْقَرَمِ ،
وَقَدْ ضَرَبَهَا الْمَغُولُ سَنَةِ ١٢٢٠ ، وَكَانَ سَكَانُهَا سَنِينَ عَلَى مَذْهَبِ أَبِي حَنِيفَةَ ، وَالْآنَ كُلُّهُمْ شِيعِيُونَ .

- وأن أبا مسلم استولى على خراسان ، واستعمل عمّاله عليها .
- فكان أول من عقده منهم زينباع بن النعمان ، على سمرقند ، وولّى خالد بن إبراهيم ، على طخارستان ، وولّى محمد بن الأشعث ، الطَّبَسَيْنِ ^(١) ، ثم وجه أصحابه إلى سائر تلك البلاد ، وضمّ إلى قحطبة بن شبيب أبا عَوْن ، مقاتل بن حكيم العَكِّي ، وخالد بن برمك ، وحارثة بن خزيمة ، وعبد الجبار بن نَهِيك ، وجهور بن مُراد العَجَلِيّ ، والفضل بن سليمان ، وعبد الله بن النعمان الطائِيّ ، وضمّ إلى كل واحد من هؤلاء القوَّاد صناديد الجنود وأبطالهم .
- وأمر قحطبة أن يسير إلى طوس ، فبقي من قد اجتمع بها من جنود نصر ابن سيّار ، والكرمانيّ ، فيحاربهم حتى يطردهم عنها ، ثم يتقدم ، قُدُماً قُدُماً ، حتى يرد العراق . ٥
- فسار قحطبة حتى إذا دنا من طوس هرب أولئك الذين قد كانوا تجمّعوا بها ، فتفرّقوا ، وسار قحطبة من طوس إلى جُرْجان ، فافتتحها .
- وسار منها إلى الرّبيّ ، فواقع عامل مروان عليها ، فهزمه ، ثم سار من الرّبيّ إلى أصبهان حتى وافاها ، وبها عامر بن ضُبارة ، من قِبَل يزيد بن عمر ، فهرب منه ، ودخلها قحطبة ، واستولى عليها . ١٥
- ثم سار حتى أتى نهاوند ، وبها مالك بن أدهم الباهليّ ، فتحصّن أياها ، ثم استأمن إلى قحطبة ، فأمنه ، فخرج إليه ، وسار قحطبة حتى نزل حُلُوان ، فأقام بها .
- وكتب إلى أبي مسلم يُعلمه خبره ، وأن مروان بن محمد قد أقبل من الشام حتى وافى « الزّابيين » ^(٢) فأقام بها في ثلاثين ألفاً ، وأن يزيد بن عمر بن هبيرة قد استعد بواسط . ٢٠

(١) كورتان بخراسان .

(٢) كورة على نهر بقرب واسط .

فأتاه كتاب أبي مسلم ، يأمره أن يوجه أبا عؤن العكبي في ثلاثين ألف فارس
من أبطال جنوده إلى مروان بن محمد بالزَّابئين ، فيحاربه ، ويسير هو في بقية
الجنود إلى واسط ، فيحارب يزيد بن عمر ، ليشغله عن توجيه المدد إلى مروان .
ففعل قحطبة ذلك .

وبلغ مروان فُصُولَ أبي عون إليه باجيوش من حُلوان فاستقبله ، فالتقيا
بشَهْرَ زُور ، فاقتتلوا ، فانهزم أهل الشام حتى صاروا إلى مدينة حرَّان .

قال الهيثم : فحدثني إسماعيل بن عبد الله القسري ، أخو خالد بن عبد الله قال :
« دعاني مروان عند وصوله إلى حرَّان ، وكنت أخص الناس عنده ، فقال لي :
« يا أبا هاشم » - وما كنتُاني قبل ذلك - .

فقلت : « لبيك يا أمير المؤمنين » .
قال : « ترى ما قد نزل من الأمر ، وأنت الموثوق برأيه ، فما ترى ؟ » .
قلت : « وعلام أجمعت يا أمير المؤمنين ؟ » .

قال : « أجمعت على أن أرتحل بأهلي ، وولدي ، وخاصة أهل بيتي ، ومن
اتبعني من أصحابي حتى أقطع الدرب ، وأصير إلى ملك الروم ، فأستوثق منه بالأمان ،
ولا يزال يأتيني الخائف من أهل بيتي وجنودي حتى يكثف أمرى ، وأصيب قوة
على محاربة عدوى » .

قال إسماعيل : وذلك ، والله ، كان الرأي له عندي ، غير أنني ذكرتُ سوء أثره في
قومي ، ومعاداته إياهم ، وتحامله عليهم ؛ فصرفت الرأي عنه .

وقلت له : « يا أمير المؤمنين ، أعيذك بالله ، أن تحكم أهل الشرك في نفسك
وحرَمَك ، لأن الروم لا وفاء لهم » .

قال : فما الرأي عندك ؟

قلت : الرأي أن تقطع الفرات ، وتستقرى مدن الشام ، مدينة مدينة ، فإن
لك بكل مدينة صنائع ونصحاء ، وتضمهم جميعا إليك ، وتسير حتى تنزل
ببلاد مصر ، فهي أكثر أهل الأرض مالا ، وخيلا ، ورجالا ، فتجعل الشام أمامك ،

وإفريقية^(١) خلفك ، فإن رأيت ما تحب انصرفت إلى الشام ، وإن تكن الأخرى
اتسع لك المهرب نحو إفريقية ، فإنها أرض واسعة ، نائية منفردة .
قال : صدقت ، لعمري ، وهو الرأي .

فسار من حرّان حتى قطع الفرات ، وجعل يستقرى مدب الشام ، فيستنهضهم ،
فيروغون عنه ، ويهايون الحرب ، فلم يسر معه منهم إلى قليل .
وسار أبو عون صاحب قحطبة في إثر مروان حتى انتهى إلى الشام ، وقصد
دمشق ، فقتل من أهلها مقتلة عظيمة ، فيهم ثمانون رجلا من ولد مروان
ابن الحكم .

[نهاية بني أمية]

ثم عبر الشام سائرا نحو مصر حتى وافاها ، واستعد مروان فيمن كان معه ، من
أهل الوفاء له ، وكانوا نحو من عشرين ألف رجل ، وسار مستقبلا أبا عون حتى
التقى الفريقان ، فاقتتلوا .

فلم يكن لأصحاب مروان ثبات ، فقتل منهم خلق ، وانهمزم الباقون ، فتبددوا ،
وهرب مروان على طريق إفريقية ، وطابته الخيل ، فحال بينها وبينه الليل ، فعب
مروان النيل في سفينة ، فصار في الجانب الغربي ، وكان منجما^(٢) ، فقال
لغلامه :

— إني إن سلمت هذه الليلة رددت خيل خراسان على أعقابها حتى أبلغ خراسان .
ثم نزل ، ودفع دابته إلى غلامه ، وخلع درعه ، فتوسدها ، ونام لشدة ماقد
كان مرّبه من التعب ، ولم يكن معه دليل يدلّه على الطريق ، وخاف أن يُوغل في تلك
المفاوز ، فيضلّ .

(١) تذكر إفريقية في كتب التاريخ العربي ، ويقصد بها بلاد شمال إفريقية .

(٢) له دراية بعلم النجوم والفلك .

وأقبل رجل من أصحاب أبي عون، يسمى «عامر بن إسماعيل» في طلب مروان،
حتى أتى المكان الذي عبر فيه مروان، فدعا بسفينة، فجلس فيها، وعبر، فأنتهى
به السير إلى مروان، وهو مُستقل نوماً، فضربه بالسيف حتى قتله.

قالوا: ولما بلغ محمد بن خالد بن عبد الله القسري، وكان مستترا بالكوفة في
بجيلة، موافاة قحطبة بن شبيب خلوان بجموع أهل خراسان جمع إليه نفرا من
أشراف قومه، ثم ظهر، ودعا لأبي العباس الإمام، فطلبه زياد بن صالح، عامل
يزيد بن عمر، فاجتمع إليه قومه، فمنعوه، وقاموا دونه.

وبلغ ذلك يزيد بن عمر بن هبيرة، فأمدّ زياد بن صالح بالرجال، واجتمع إلى
محمد جميع من كان بالكوفة من اليمانية والربمية، فهرب زياد بن صالح حتى لحق
بيزيد بن عمر بواسط.

وكتب محمد بن خالد إلى قحطبة، وهو بخلوان، يسأله أن يؤليه أمر الكوفة،
ويبعث إليه عهده عليها، ففعل.

فأتى المسجد الأعظم في جمع كثير من اليمانية، وقد أظهروا السواد، وذلك
يوم عاشوراء من المحرم سنة اثنتين وثلاثين ومائة^(١).

وقال محمد بن خالد فيما كان من قتله الوليد بن يزيد بن عبد الملك:

قَتَلْنَا الْفَاسِقَ الْمُخْتَالَ لَمَّا أَضَاعَ الْحَقَّ، وَاتَّبَعَ الضَّلَالَا
يَقُولُ إِيْخَالِدٍ أَلَّا حَمَتُهُ بَنُو قَحْطَانَ إِنْ كَانُوا رِجَالَا
فَكَيْفَ رَأَى غَدَاةَ غَدَتٍ عَلَيْهِ كَرَادِيسٌ يُشَبِّهُهَا الْجِبَالَا^(٢)
أَلَّا أَبْلِغُ بَنِي مَرْوَانَ عَنِّي بِأَنَّ الْمَلِكَ قَدْ أُوْدَى، فَزَالَا

وسار يزيد بن عمر بن هبيرة إلى الكوفة يريد محمد بن خالد، فدخل محمد على

(١) الموافق أغسطس من سنة ٧٤٩ م.

(٢) الكردسة بالضم عظيمة من الخيل، وكل عظيمين التقيا في مفصل، والكردوسان

قيس ومعاوية، ابنا مالك بن حنظلة.

أبي سلمة الداعي ، فأخبره بفصول ابن هبيرة نحوه ، وتخوفه أن لا يقوى بكثرة جموعه .

فقال له أبو سلمة : إنه قد كان منك من الدعاء إلى الإمام أبي العباس ما لا ينسأ لك ، فلا تُفسد ذلك بقتلك نفسك ، ومن معك ، ودع الكوفة ، فإنها في يديك ، وسير بمن معك حتى تنضم إلى قحطبة .

قال محمد : لست بخارج من الكوفة حتى أبلغ عذرا في محاربة ابن هبيرة . فاستعد بمن كان معه بالكوفة من اليمين واليسار مستقبلا لابن هبيرة حتى التقى .

فنادى محمد بن خالد من كان مع ابن هبيرة من قومه : « تبتا لكم ، أنسيتم قتل أبي خالد ، وتحامل بني أمية عليكم ، ومنعهم إياكم أعطياتكم ؟ يا بني عم ، قد أزال الله ملك بني أمية ، وأدال منهم ، فانضموا إلى ابن عمكم ، فإن هذا قحطبة بخلوآن في جموع أهل خراسان ، وقد قتل مروان ، فلم تقتلون أنفسكم ؟ وإن الأمير قحطبة قد ولاني الكوفة ، وهذا عهدي عليها ، فليكن لكم أثر في هذه الدولة » .

فلما سمعوا ذلك مألوا إليه جميعا ، ولم يبق مع ابن هبيرة إلا قيس وثمان . فلما رأى ذلك ولّى منهزما بمن معه حتى وافي واسط ، ووجه في نقل الميرة^(١) إليها ، واستعد للحصار .

وانصرف محمد بن خالد إلى الكوفة ، فخطب الناس ، ودعا لأبي العباس ، وأخذ بيعة أهل الكوفة .

وأقبل قحطبة من خلوآن حتى وافي العراق ، فنزل « ديمما »^(٢) - وهي فيما بين بغداد والأنبار - وذلك قبل أن تُبنى بغداد ، وإنما كانت قرية ، يقوم بها سوق في كل شهر مرة ، فأقام معسكرا بها .

(١) الطعام . (٢) كانت قرية كبيرة على فم نهر عيسى قرب الفرات .

فقال علي بن سليمان الأزدي يذكر محمد بن خالد وسبقه إلى الدعاء إلى بني هاشم :

يَا حَادِيَيْنَا بِالطَّرِيقِ قَوْمًا بِمِعْمَلَاتٍ كَالْقِسِيِّ رُسَمًا^(١)
تَنْجُو بِأُخْوَانِ الْفَلَاةِ مَقْدَمًا إِلَى أَمْرِئٍ أَكْرَمَ مَنْ تَكَرَّمَا
مُحَمَّدٍ لَمَّا سَمَا وَأَقْدَمَا ثَارَ بِكُوفَانِ بِهَا مُعَلَّمَا
فِي عُصْبَةٍ تَطْلُبُ أَمْرًا مُبْرَمًا حَتَّى عَلَا مِنْبَرَهَا مُعَمَّمَا
أَكْرَمَ بِمَا فَازَ بِهِ وَأُظْمَا إِذْ كَانَ عَنْهَا النَّاسُ كُلُّهُ نُوَّمَا

وإن قحطبة عند مسيره إلى العراق استخلف على أرض الجبل يوسف بن عقيل الطائي ، وأقبل ابن هبيرة حتى صار على شاطئ الفرات الغربي ، وهو في نحو من ثلاثين ألف رجل .

وأقبل قحطبة حتى نزل في الجانب الشرقي ، فأقام ثلاثاً ، ثم نادى في جنوده ، أن أقحموا خيلكم الماء ؛ فافتحموها ، وقحطبة أمام أصحابه .
ولما عبر أصحاب قحطبة قاتلهم ابن هبيرة ، فلم يبق لهم ، فانهزم حتى أتى واسطاً ، فتحصن فيها ، وقعد قحطبة بن شبيب فلم يُدْرَ أين ذهب .
ويزعم بعض الناس أن فرسه غاص به فغرق ، وتوالت أصر الناس ابنه الحسن ابن قحطبة .

ولما تحصن ابن هبيرة بواسط خلف الحسن بن قحطبة عليه بعض قواده في عشرين ألف رجل ، وسار نحو الكوفة ، وقد أخذها محمد بن خالد ، فوافاها الحسن بن قحطبة ، وبها الإمام أبو العباس .

(١) اليملة الناقة النجبية المعتملة المطبوعة ، والجل يعمل ، وناقة عملة بينة العمالة فارمة .

[مبايعة أبي العباس]

فأظهر أبا العباس ، وأقبل به حتى دخل المسجد الأعظم ، واجتمع له الناس ، فصعد المنبر ، فحمد الله وأثنى عليه ، وصلى على نبيه ، عليه السلام ، ثم ذكر انتهاك بنى أمية المحارم ، وهدمهم الكعبة ، ونصبهم عليها المجانيق ، وما أبدعوا من خبيث السير ، ثم نزل .

فأكثر الناس له من الدعاء ، وأقبل نحو دار الإمارة ، فنزلها .
وأمر الحسن بن قحطبة بالانصراف إلى واسط ، والإنابة يزيد بن عمر ابن هبيرة .

فسار الحسن وحاصر يزيد أشهراً كثيرة .

قال الهيثم بن عدي : بُويِعَ لأبي العباس بالخلافة ، ولأبي جعفر بولاية العهد من بعده ، في رجب ، من سنة اثنتين وثلاثين ومائة^(١) .

فلما استدف لأبي العباس الإمرة ولّى أبا سلمة الداعي جميع ما وراء بابه ، وجعله وزيره ، وأسند إليه جميع أموره ، فكان يسمى وزير آل محمد ، فكان ينفذ الأمور من غير مؤامرة .

وبلغ ذلك أبا مسلم وهو بخراسان ، فدعا مروان الضبيّ ، وكان أحد قوّاده ، وقال له : « انطلق إلى الكوفة ، فأخرج أبا سلمة من عند الإمام أبي العباس ، فاضرب عنقه ، وانصرف من ساعتك » ، ففعل الضبيّ ذلك .

فقال الشاعر يرثي أبا سلمة :

إِنَّ الْوَزِيرَ وَزِيرَ آلِ مُحَمَّدٍ أَوْدَى فَمَنْ يَشْنَاكَ كَانَ وَزِيرًا^(٢)

ثم إن الإمام أبا العباس رأى أن يوجه أخاه أبا جعفر المنصور إلى واسط ، ليتولى

(١) الموافق فبراير سنة ٧٥٠ م .

(٢) شناه أي أفضه .

محاربة ابن هبيرة ، فوجهه ، وكتب إلى الحسن بن قحطبة يعلمه أن العسكر عسكره ،
و[أنه] أحب أن يكون أخوه المتولى للأمر .

فلما وافى أبو جعفر واسطاً تحول الحسن بن قحطبة عن سرداقه ، وخلاه بما فيه
له ، فنزله أبو جعفر بحريمه وحشمه .

وكتب أبو جعفر إلى قواد يزيد بن عمر وأشرف من العرب ، يستميلهم
بالأطعام ، وينبئهم على حظوظهم ، ويعرفهم انصرام دولة بني أمية ، فأجابوه جميعاً .
وكان أول من أجابه وانحرف إليه زياد بن صالح الحارثي ، وكان عامل ابن هبيرة
على الكوفة ، وأخص أصحابه عنده ، وقد كان ابن هبيرة ولّاه حراسة مدينته
بالليل ، ودفع إليه مفاتيح أبوابها .

قال الهيثم : فحدثني أبي ، قال : لما هم زياد باللاحق بأبي جعفر أرسل إلى ،
وكان وصي أبي ، فكنت أدعوه أبا وعمّاً ، وقد كان رسوله أتانى عند اختلاط
الظلام ، يأمرني بالمصير إليه ، فأتيته ، فخلاني ، وقال :

« يا ابن أخي ، إنك لست ممن أكتبه شيئاً ، وقد أتانى كتاب أبي جعفر ،
يدعوني إلى اللاحق به ، ويبدل لي على ذلك منزلة سنّية ، وأعلم في كتابه أنه راع
للخثولة - وكانت أم أبي العباس حارثية - .

قال والدي : « فقلت له ، يا عم ، إن لابن هبيرة أيادي جميلة ، وأكره لك
الغدر به » .

فقال : « يا ابن أخي ، أنا من أشكر الناس له ، غير أنني لا أرى أن أقيم على
ملك ، قد انقضت قواه ، ووهت عُراه ، وأنا لابن هبيرة اليوم عند أبي جعفر أنقع
مني له هاهنا ، وأرجو أن يصلح الله أمره بي وعلى يدي ، فأقم عندي إلى وقت
خروجي لأسلم لك المفاتيح » .
فأقت عنده .

فلما مضى ثلث الليل أمر غلماناه ، فحملوا أثقاله ، وأسرجوا دوابه ، ثم ركب ،

وخرج من منزله ، وأنا أمشي معه ، حتى أنتهى إلى باب المدينة الذى على دِجْلَةٍ ، وكانت المفاتيح معه ، وأمر الأحراس أن يفتحوا الباب ، وقال لهم : « أريد الخروج لاستطلاع بعض الأمور ، وأنا منصرف بعد ساعة » .

ثم خرج ، وأمرنى بإغلاق الباب وأخذ المفاتيح .

فقال لى فيما بينى وبينه : إذا أصبحتَ فانطلق بالمفاتيح حتى تدفعها إلى ابن هبيرة من يدك إلى يده ، وأعلمه أنى له هناك أفضل منى له هاهنا ، ثم ودّعنى ، ومضى ، وانصرفت إلى منزلى .

فلما أصبحت أتيت باب قصر الإمارة ، فاستأذنت على ابن هبيرة .

فقال لى الحاجب : هو قاعد فى مصلاه ، لم يقم عنه .

قلت : أعلمه أنى أتيت فى مهم .

فأذن لى .

فدخلت ، وهو قاعد فى محرابه ، وعليه كساء برّ كَانِي^(١) مُعَلَّم ، فسلمت عليه بالإمرة .

فرد السلام .

وقال : مهم .

فخديته بأمر زياد بن صالح ، فدمعت عيناه .

وقال : بمن تنق اليوم بعد زياد ، وتولى إياه الكوفة ، ويرى به ؟

فقلت : أيها الأمير : إن الله ربنا جمل فى الكره خيرا ، وأرجو أن ينفعك الله بمكانه هناك .

فقال : لا حول ولا قوة إلا بالله .

ثم قال : يا غلام ، على بطارق بن قدامة التّسرى .

فدخل عليه ، وأنا جالس عنده ، فدفع إليه تلك المفاتيح .

(١) الكساء البركائى هو ذو اللون الأسود .

وقال : يا طارق ، إني قد اخترتك لحراسة هذه المدينة على جميع أصحابك
من خاصتنا ، فكن كنحو ثقتي بك .

ولما طال على ابن هُبَيْرَةَ الحصار بحث إلى المنصور يسأله الأمان ، فأرسل إليه :
« إن أردت أن أوثمنك على حكم أمير المؤمنين أبي العباس فعلت » .
فشاور ابن هبيرة نصحاءه ، فأشاروا عليه أن يفعل .
فأرسل إلى أبي جعفر يُعلمه : أني راضٍ بذلك .
فكتب إليه أبو جعفر ذلك بخطه ، وأشهد على نفسه بذلك القواد .

فخرج ابن هبيرة إلى أبي جعفر في نفر من بطاقته ، فدخل عليه ، وهو في
سُرادقه ، وحول السُّرادق عشرة آلاف نفر من أهل خراسان مستلثمين في السِّلَاح ؛
فأمر أبو جعفر بوسادة ، فجلس عليها قليلا ، ثم نهض ، ودُعِيَ له بدابته ، فركب ،
وانصرف إلى منزله ، وفتحت أبواب المدينة ، ودخل الناس بعضهم في بعض .
قالوا : وأُخْصِيَ ما في الخزائن من الأموال والسِّلَاح ، وما بقى من الطعام
والعَلَف الذي كان ابن هبيرة قد ادَّخَرَ ، وأعدَّ للحصار ، فكان المال ثلاثة آلاف
ألف درهم ، ومن السِّلَاح شيء كثير ، وطعام ثلاثين ألف رجل ، وعلف عشرين
ألف رأس من الدواب سنة .

وإن أبا جعفر كتب إلى أبي العباس يُخبره بخروج ابن هُبَيْرَةَ على حكمه ،
ويسأله أن يُعلمه الذي يرى فيه .

فكتب أبو العباس : لا حكم لابن هبيرة عندي إلا السيف .
فلما انتهى الكتاب بذلك إلى أبي جعفر كتبه عن جميع الناس .
وقال لحاجبه : مُرْ ابن هبيرة إذا ركب إلينا ألا يركب إلا في غلام واحد ،
ويدع عنه هذه الجماعات .

فلما كان من غدٍ ركب ابن هبيرة إلى أبي جعفر في موكب عظيم

فقال له سلام الحاجب : « أبا خالد ، كأنك إنما تأتي ولي العهد مُبَاهِيًا ، ولا تأتيه مُسَلِّمًا » .

قال ابن هبيرة : إن كنتم كرهتم ذلك لم آتكم إلا في غلام واحد .
قال : فلا تأتونا إلا في [غلام] واحد ، فإنني لم أقل ذلك استخفافاً بحقوقك ،
إلا أن أهل خراسان يُنْكِرُونَ كثرة من يركب معك .
فكان ابن هبيرة بعد ذلك لا يأتيهم إلا في غلام واحد ، فيدخل ، ويسلم ،
وينصرف .

ثم إن أبا جعفر قال للحسن بن قحطبة : « اجمع إليك أبا بكر العَقِيلِيَّ ،
والْحَوْثَرَةَ بن سَهْلٍ ، ومحمد بن بُنَانَةَ ، وعبد الله بن بِشْرٍ ، وطارق بن قُدَامَةَ ،
وسُوَيْدَ بن الحارث الزَنْجِيَّ ، وهؤلاء كانوا قَوَادِ يَزِيدَ بن عمر ، فإذا اجتمعوا
عندك فاضرب أعناقهم ، واثنتي بخواتيمهم ، ووجه حرساً يحرسون ابن هبيرة ،
لأنفذ فيه أمر الإمام أبي العباس .

فانطلق الحسن بن قحطبة ، فأنفذ أمره في أولئك ، وأتاه بخواتيمهم .
قال : « فما نطق منهم أحد عند قتله ، وما كان منه جزع ولا امتناع » .
فلما كان في اليوم الثاني دعا أبو جعفر خازمَ بن خُزَيْمَةَ ، وإبراهيم بن عقيل ، فقال
لهما : « انطلقا في عشرة نفر من الحرس حتى تدخلوا على ابن هبيرة فقتلاه » .
فأقبلا حتى دخلا عليه عند طالع الشمس ، وهو جالس في مسجده في القصر
مسندٌ ظهره إلى المحراب ، ووجهه إلى رحبة القصر .

فلما نظر إليهم قال لحاجبه : « يا أبا عثمان ، أحلف بالله أن في وجوه القوم لشرًا .
فضى أبو عثمان مستقبلًا لهم ، وقال لهم : « ما تريدون ؟ » .
فبمجه إبراهيم بن عقيل بالسيف ، فقتله ، وقام إبراهيم ابنه في وجوه القوم ، فقتل ،
ثم قام ابنه داود في وجوههم ، فقتل ، ثم قام كاتبه عمرو ، فقتل .

وأقبلوا نحو ابن هبيرة ، فلما دنوا منه حوّل وجهه إلى القبلة ، وسجد ،
فصربوه بأسيا فمهم حتى نحد .
ثم انصرفا إلى أبي جعفر ، فأخبراه بذلك ، فأمر أبو جعفر مناديا ، فنادى « أيها
الناس ، أنتم آمنون إلا الحكم بن عبد الملك بن بشر ، ومحمد بن ذرّ ، وخالد
ابن سلمة المخزومي .

قال الهيثم : فحدثني أبي قال : قال محمد بن ذرّ ، فضاقت على الأرض برحبها ،
فخرجت ليلا من مدينة واسط على قدمي ، وأنا أقرأ آية الكرسي ، فما عرض لي
أحد من الناس حتى نجوت ، فلم أزل خائفا حتى استأمن لي زياد بن عبد الله من
الإمام أبي العباس ، فأمنني .

قال « وهرب الحكم بن عبد الملك إلى كسكر ، فاستخفى بها » .
وضاقت بخالد بن سلمة المخزومي الأرض ، فأثى باب أبي جعفر المنصور ليلا ،
فاستأمن له ، فأمنه .
ثم نودى « أيها الناس ، أنتم جميعا آمنون ، يا أهل الشام ، ألحقوا بشامكم ،
ويا أهل الحجاز ، ألحقوا بحجازكم ، فسكن الناس ، وآمنوا ، واطمأنوا .

١٥

واستعمل المنصور على واسط الهيثم بن زياد الخُزاعيّ في خمسة آلاف من أهل
خراسان ، ثم انصرف بسائر الناس حتى قدم على الإمام أبي العباس ، وهو
بالحيرة .

ثم إن الإمام سار من الحيرة في جموعه حتى أتى الأنبار ، فاستطابها ، فابتنى بها
مدينة بأعلى المدينة عظيمةً لنفسه وجموعه ، وقسمها خِطَطًا بين أصحابه من أهل
خراسان ، وبني لنفسه في وسطها قصرا عاليا مُنيفا ، فسكنه ، وأقام بتلك المدينة
طول خلافته ، وتسمى إلى اليوم مدينة أبي العباس .
ثم إن أبا العباس وجه أخاه أبا جعفر المنصور إلى خراسان ، وأمره أن يأتي

٢٠

أبا مسلم ، فيناظره في بعض الأمور ، ووجهه معه ثلاثين رجلاً من وجوه القواد ،
وفيهم الحجاج بن أرطاة الفقيه ، وإسحق بن الفضل الهاشمي .

فلما قدم المنصور على أبي مسلم لم يبالغ أبو مسلم في بره وإكرامه ، ولم يظهر
السرور التام بقدومه . ٥

فانصرف إلى أبي العباس ، وقال : « لست بخليفة مادام أبو مسلم حيّاً ، فاحتلّ
لقتله قبل أن يفسد عليك أمرك ، فلقد رأيته وكأنه لا أحد فوقه ، ومثله لا يؤمن
غدره ونكته » .

فقال أبو العباس : وكيف يمكن ذلك ، ومعه أهل خراسان ؟ وقد أُشربت
قلوبهم حبه ، واتباع أمره ، وإيثار طاعته . ١٠

فقال أبو جعفر : فذاك والله أحرى أن لا تأمنه ، فاحتلّ له .

فقال أبو العباس : يا أخي ، اضرب عن هذا ، ولا تعلمن رأيك في ذلك
أحدا .

وإن أبا العباس قال ذات يوم للحجاج بن أرطاة ، وقد خلا معه : ما تقول
في أبي مسلم ؟ ١٥

فقال : يا أمير المؤمنين ، إن الله تعالى يقول في كتابه : « لَوْ كَانَ فِيهِمَا
آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا » .

قال أبو العباس : امسك ، فقد فهمت ما أردت .

ثم إن أبا مسلم وجهه محمد بن الأشعث بن عبد الرحمن أميراً على فارس .

ورأى أبو العباس أن يستعمل عليها عمه عيسى بن عليّ ، فعقد له عليها ، وأمره
بالمسير إليها . ٢٠

فلما قدم عيسى على محمد بن الأشعث أبى أن يسلم إليه .

فقال له عيسى : يا ابن الأشعث ، أأست في طاعة الإمام أبي العباس ؟

قال : بلى ، غير أن أبا مسلم أمرني ألا أسلم العمل إلى أحد من الناس .

قال عيسى : فإنما أبو مسلم عبد الإمام ، وإن الإمام لا يَرْضَى أن يُرَدَّ أمره .
قال محمد : دَعَّ عنك هذا ، لست أسلم العمل إليك إلا بكتاب أبي مسلم .
فانصرف عيسى إلى أبي العباس ، فأخبره ذلك ، فكظم ، وأمر عمة بالمقام
عنده ، فأقام .

- ٥ وإن أبا مسلم عقد للمنفس بن السري على أرض طخارستان حتى وافاها ، فخرج
إليه منصور مستعداً للحرب ، فالتقوا ، فاقتتلوا ، فكان الظفر للمنفس ، وهرب
منصور في نفر من أصحابه حتى وقعوا في الرمال ، فماتوا عطشاً .
وأقام المنفس على باب بلاد السند .

- ١٠ وإن أبا مسلم كتب إلى الإمام أبي العباس يستأذنه في القدوم عليه ، والمقام
عنده إلى أوان الحج ليحج ، فأذن له أبو العباس في ذلك ، فسار أبو مسلم حتى
إذا قارب الإمام أمر أبو العباس جميع من كان معه بالحضرة من القواد والأشراف
أن يستقبلوه ، فاستقبلوا بالكرامة ، وترجل له الأشراف والقواد .
وأقبل حتى وافي مدينة أبي العباس ، فأنزله معه في قصره ، ولم يألُ جهده
في برّه وإكرامه ، حتى إذا حان وقت الحج استأذنه في الحج .
١٥ فقال له أبو العباس : لولا أن أخى أبا جعفر قد عزم على الحج لوكّيتك الموسم ،
فكونا جميعاً .

قال أبو مسلم : وذاك أحبّ إلي .

ثم خرجا .

- ٢٠ فكان يرتحل أبو جعفر ، وينزل أبو مسلم حتى وافيا مكة ، فقضيا حجّهما ،
وانصرفا .

[أبو جعفر المنصور]

- فلما وصل أبو جعفر إلى « ذات عرق » في منصرفه أتاه نعيم الإمام [أبي العباس]^(١) ، فأقام بمكانه حتى وافاه أبو مسلم ، فأخبره بوفاة أبي العباس .
فخفت أبا مسلم [العبرة]^(١) ، وقال : « رحم الله أمير المؤمنين ، إنا لله وإنا إليه راجعون » .
- فقال أبو جعفر : إني قد رأيت أن تخلّف أثقالك ومن معك من جنودك على ، فيكونوا معي ، وترك أنت في عشرة نفرٍ البريد حتى ترد الأنبار ، فتضبط العسكر ، وتسكن الناس .
قال أبو مسلم : أفعل .
- فركب في عشرة نفرٍ من خاصته ، وسار بالحث الشديد حتى وافى العراق ، وانتهى إلى مدينة أبي العباس بالأنبار ، فوجد عيسى بن علي بن عبد الله بن عباس قد دعا الناس إلى بيعته ، وخلع ولاية العهد عن أبي جعفر .
فلما رأوا أبا مسلم مألوا معه ، وتركوا عيسى .
فلما وافى أبو جعفر اعتذر إليه عيسى ، وأعلمه أنه إنما أراد بذلك ضبط العسكر ، وحفظ الخزائن ، وبيوت الأموال .
- فقبل أبو جعفر منه ذلك ، ولم يؤاخذه بما كان منه .
 واجتمع الناس ، وبايعوا المنصور أبا جعفر .
ثم أتاه انتفاض الشام ، وقد كان أبو العباس يستعمل عليها عمه عبد الله بن علي ، فلما بلغه وفاة أبي العباس دعا لنفسه ، واستمال من كان معه من جنود خراسان ، فمالوا معه .
- فلما بلغ أبا جعفر ذلك قال لأبي مسلم « أيها الرجل ، إنما هو أنا أو أنت ، فإما أن تسير إلى الشام فتصلح أمرها ، أو أسير أنا » .

(١) رطوبة مؤثرة في الأصل مكان ما بين الحاصرتين .

قال أبو مسلم ، بل أسير أنا .
 فاستعدت ، وسار في اثني عشر ألفا من أبطال جنود خراسان حتى إذا وافى الشام
 انحاز إليه من كان بها من الجنود جميعهم ، وبقي عبد الله بن علي وحده .
 فغفا أبو مسلم عنه ، ولم يؤاخذه بما كان منه .
 وكانت خلافة أبي العباس أربع سنين وستة أشهر .

- وإن أبا جعفر عند مسير أبي مسلم نحو الشام وجه يقطين بن موسى في إثر
 أبي مسلم ، وقال : « إن تسكن هناك غنائم فتول قبضها » .
 وبلغ ذلك أبا مسلم ، فشق عليه ، وقال : « إن أمير المؤمنين لم يأتني على ماها هنا
 حتى استظهر عليّ بأمين » . ودخلته من ذلك وحشة شديدة .
 ولما بلغ المنصور إصلاح الشام كره انقام بمدينة أبي العباس التي بالأنبار ، فسار
 بمسكركه إلى المدائن ، فنزل إلى المدينة التي تدعى « الرومية » وهي من المدائن على
 فرسخ ، وهي المدينة التي بناها كسرى أنوشروان ، وأنزلها السبي الذي سباه من
 بلاد الروم ، فأقام المنصور بتلك المدينة .
 وإن أبا مسلم انصرف فأخذ على الفرات حتى وافى العراق على الأنبار ، وجاز
 حتى وافى كرخ بغداد^(١) ، وهي إذ ذاك قرية ، ثم عبر دجلة من بغداد ، وأخذ
 طريق خراسان ، وترك طريق المدائن .
 وبلغ ذلك أبا جعفر .
 فكتب إلى أبي مسلم : أريد مناظرتك في أمور لم يحتملها الكتاب ، فخلّف
 عسكريك حيث ينتهي إليك كتابي ، فأقدم عليّ .
 فلم يلتفت أبو مسلم إلى كتاب المنصور ، ولم يعبأ به .
 وكان مع المنصور رجل من ولد جرير بن عبد الله البجليّ ، واسمه « جرير بن يزيد
 ابن عبد الله » ، وكانت له خلافة ، وتأت في الأمور ، ومكيدة .
 فقال له أبو جعفر : « اركب البريد حتى تلحق أبا مسلم ، فتحاول ردّه إلى ،

(١) مكان بين المصرة ونهر عيسى ، اتخذ سوقا ، ورتب فيه كل صنف موضعه ، وذلك أن
 أبا جعفر المنصور لما بنى مدينة بغداد أمر أن تجعل الأسواق في طاقات المدينة بإزاء كل باب سوقا ،
 ثم أشير على المنصور بإخراج الأسواق من المدينة حتى لا يوافي الجواسيس من الأطراف بعلّة التجارة
 فيتجسسوا الأخبار ، فأمر ببناء السوق خارج المدينة ، وسمى الكرخ لذلك .

فإنه قد مضى مُغاضباً ، ولا آمن إفساده على ، وتأت في رده بأفضل التأتى .
فسار الرجل حتى لحقه في بعض الطريق ، وقد نزل بعض المنازل بعسكره ،
فدخل عليه مضربه .

فقال :

« أيها الأمير ، أجهدت نفسك ، وأسهرت ليلك ، وأنعبت نهارك
في نصرته مواليك ، وأهل بيت نبيك حتى إذا استحكمت لهم الأمور ، وتوطدت لهم
السلطان ، ونلت أمنيته فيهم تنصرف على هذه الحال ، فما تقول الناس ؟ ألا تعلم
أن ذلك مطمئة عليك ، ومسبة ، في حياتك ، وبعد وفاتك ؟ » .

فلم يزل به حتى عزم على الانصراف معه إلى النصور ، وخلف عسكره بمكانه
ذلك .

وسار منصوراً في ألف فارس من أفاضل من كان معه من جنود خراسان
والقواد ؛ وقد كان أبو مسلم يقول : إن النجسين أخبروني أن لا أقتل إلا بالروم .

[قتل أبي مسلم الخراساني]

حتى وافى أبا جعفر بالرؤمية ، فدخل عليه ، فقام إليه أبو جعفر ، وعانقه ،
وأظهر السرور بانصرافه .

وقال له : « كدت تمضي من قبل أن أراك ، وأفضى إليك بما أريد ، فقم ، فضع
عنك ثيابك ، وانزل حتى يذهب كلال السير عنك .
نخرج أبو مسلم إلى قصر قد أُعدَّ له .
ونزل أصحابه حوله .

فكث ثلاثة أيام ، يغدو كل يوم إلى أبي جعفر ، فيدخل على دابته ، حتى
ينتهي إلى باب المجلس الذي فيه الإمام ، فينزل ، ويدخل إليه ، فيجلس عنده ملياً ،
فيتناظران في الأمور .

فلما كان في اليوم الرابع وطمأن له أبو جعفر عثمان بن نهيك ، وكان على حرسه ،

وَسَبَّحَ بْنَ رَوْحٍ ، وَكَانَ عَلَى شُرْطَتِهِ ، وَأَبَا فُلَانٍ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ ، وَكَانَ عَلَى الْخَيْلِ ،
وَأَمَرَهُمْ أَنْ يَكُونُوا فِي بَيْتٍ إِلَى جَنْبِ الْمَجْلِسِ الَّذِي كَانَ فِيهِ .

وَقَالَ لَهُمْ : إِذَا أَنَا صَفَّقْتُ يَدَيَّ ثَلَاثًا فَاخْرُجُوا إِلَى أَبِي مُسْلِمٍ ، فَيَبْضُمُوهُ .

وَأَمَرَ الْحَاجِبَ إِذَا دَخَلَ أَبُو مُسْلِمٍ أَنْ يَأْخُذَ عَنْهُ سَيْفَهُ .

وَأَقْبَلَ أَبُو مُسْلِمٍ ، فَدَخَلَ ، وَأَخَذَ الْحَاجِبُ سَيْفَهُ .

فَدَخَلَ مُنْضَبًا ، وَقَالَ :

— يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، فُعِلَ بِي مَا لَمْ يُفْعَلْ بِي مِثْلَهُ قَطَّ ، أَخَذَ السَّيْفَ مِنْ عَاتِقِي .

قَالَ أَبُو جَعْفَرٍ : وَمَنْ أَخَذَهُ لَعَنَهُ اللَّهُ ؟ اجْلِسْ ، لَا عَلَيْكَ .

فَجَلَسَ ، وَعَلَيْهِ قَبَاءُ أَسْوَدَ خَزَّ ، وَوَضَعَ لَهُ مَتَكِنًا ، وَلَمْ يَكُنْ فِي الْبَيْتِ غَيْرُهُمَا .

فَقَالَ أَبُو جَعْفَرٍ :

« مَا أَرَدْتَ بِمُضِيَّتِكَ نَحْوَ خِرَاسَانَ قَبْلَ لِقَائِي ؟ »

قَالَ أَبُو مُسْلِمٍ :

« لِأَنَّكَ وَجَّهْتَ فِي إِثْرِي إِلَى الشَّامِ أَمِينًا فِي إِحْصَاءِ الْغَنَائِمِ ، أَمَا وَثَّقْتَ بِي فِيهَا ؟ » .

فَاغْلَظَ لَهُ أَبُو جَعْفَرٍ الْكَلَامَ .

فَقَالَ :

« يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، أَنْسَيْتَ حُسْنَ بَلَائِي ، وَفَضْلَ قِيَامِي ، وَإِتْمَانِي تَقْسِي

لَيْلِي وَنَهَارِي ؟ حَتَّى سَقَتْ هَذَا السُّلْطَانُ إِلَيْكُمْ » .

قَالَ أَبُو جَعْفَرٍ :

« يَا ابْنَ الْخَبِيثَةِ ، وَاللَّهِ لَوْ قَامَتْ مَقَامُكَ أُمَّةٌ سُودَاءُ لَأَغْنَتْ عَنْكَ ، إِنَّمَا تَأْتِي لَكَ

الْأُمُورُ فِي ذَلِكَ بِمَا أَحَبَّ اللَّهُ ، مِنْ إظهارِ دَعْوَتِنَا أَهْلَ الْبَيْتِ ، وَرَدِّ حَقِّنا إِلَيْنَا ، وَلَوْ

كَانَ ذَلِكَ بِحَوْلِكَ وَحِيلَتِكَ وَقُوَّتِكَ مَا قَطَعْتَ قَتِيلًا ، أَلَسْتَ يَا ابْنَ الْأَخْنَاءِ الَّذِي

كُتِبَتْ إِلَيْكَ تَخَطُّبُ عَمَّتِي آمَنَةَ بِنْتِ عَلِيِّ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ ؟ وَتَزْعُمُ فِي كِتَابِكَ أَنَّكَ ابْنُ سُلَيْطٍ

ابْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبَّاسٍ ، لَقَدْ ارْتَقَيْتَ مَرَاتِقَ صَعْبًا » .

فقال أبو مسلم :

يا أمير المؤمنين ، لا تدخل على نفسك الغم والغيظ بسببي ، فإنني أصغر قدرا من أن أبلغ منك هذا .

فصفق أبو جعفر بكفيه ثلاثا ، وخرج عليه القوم بالسيوف .

فلما رآهم أبو مسلم أيقن بالأمر ، فقام إلى أبي جعفر ، فتناول رجله ليقبّلها ، فرفسه أبو جعفر برجله ، فوقع ناحية ، فأخذته السيوف .

فقال أبو مسلم . أما من سلاح يحامي به المرء عن نفسه .

فضربوه حتى خمد .

وأمر به أبو جعفر ، فلُفّ في بساط ، ووُضع ناحية من البيت .

وقد كان أبو مسلم قبل دخوله على أبي جعفر قال لعيسى بن علي : « أدخل معي إلى

أمير المؤمنين ، فإنني أريد معاتبته في بعض الأمور » .

فقال له عيسى : « تقدّم فإنني على إترك » .

فأقبل عيسى حتى دخل على أبي جعفر ، فقال :

يا أمير المؤمنين ، أين أبو مسلم ؟

قال أبو جعفر : « هاهو ذاك ملفوف في ذلك البساط » .

قال عيسى : « أقتلته ؟ إنا لله ، فكيف تصنع بجنوده ؟ وهؤلاء قد جعلوه

ربّا » .

فأمر أبو جعفر فهَيَّئت ألف صرّة ، في كل صرّة ثلاثة آلاف درهم .

وأحس أصحاب أبي مسلم بالأمر ، فصاحوا ، وسأوا السيوف ، فأمر أبو جعفر

بتلك الصرر ، فقذفت إليهم مع رأس أبي مسلم .

وصعد عيسى بن علي إلى أعلى القصر ، وقال :

يا أهل خراسان ، إنما كان أبو مسلم عبدا من عبيد أمير المؤمنين ، وَجَدَ عليه ،

فقتله ، فليفرّخ روعكم ، فإن أمير المؤمنين بالغ آمالكُم » .

فترجل القوم وتناولوا تلك الضرر ، كل واحد صرة ، وترك الرأس مقدوفا .

ثم إن أبا جعفر وضع لأصحاب أبي مسلم العطاء ، ووجه الأموال إلى عسكر أبي مسلم حيث خلفه ، فأسنى لهم العطاء ، وكتب كتابا ، فقرأ عليهم ، يبسط فيه آمالهم ؛ وأجزل صلات القواد والأشراف منهم ، فأرضاهم ذلك .

واستدقت الخلافة لأبي جعفر المنصور سنة ثمان وثلاثين ومائة^(١) ، فوجه عماله إلى أقطار الأرض .

[مدينة بغداد]

وأن أبا جعفر أحب أن يبني لنفسه وجنوده مدينة ليتخذها دار الملكة .

- ١٠ فسار بنفسه يرتاد الأماكن حتى انتهى إلى بغداد ، وهي إذ ذاك قرية يقوم بها سوق في كل شهر ، فأعجبه المكان ، فخط لنفسه وحشمه ومواليه وولده وأهل بيته المدينة ، وسماها « مدينة السلام » ، وبني قصره وسطها إلى المسجد الأعظم .
- ثم خط لجنوده حول المدينة ، وجعل أهل كل بلد من خراسان في ناحية منها منفردة ، وأمر الناس بالبناء ، ووسّع عليهم في النفقات ، وأمر ، فحفر نهر الفرات من ثمانية فراسخ ، وفوهة النهر من ديم^(٢) ، فأجرى إلى بغداد ليأتي فيه مواد الشام والجزيرة ، كما تأتي مواد الموصل وما اتصل بالموصل في دجلة ، وكان بناؤه إياها في سنة تسع وثلاثين ومائة^(٣) .

ثم إن أبا جعفر حج بالناس سنة أربعين ومائة ، وجعل منصرفه على مدينة الرسول ، فوضع لأهلها العطاء ، فأسنى لهم في الرزق وفرق فيهم الجوائز .

- ٢٠ ومضى نحو الشام قاصدا لبيت المقدس حتى وافاها ، فأقام بها شهرا ، ثم سار إلى الرقة ، فأقام بها بقية عامه ذلك ، ثم سار من الرقة حتى وافى مدينة السلام ، فأقام بها حولا كاملا .

(١) سنة ٧٥٥ م . (٢) قرية كبيرة على فم نهر عيسى ، قرب الفرات ، وقد خربت .

(٣) سنة ٧٥٦ م .

[الراوندية]

ثم سار منها سنة اثنتين وأربعين ومائة نحو البصرة حتى وافاها ، قبله أن
الراوندية^(١) تداعوا ، وخرجوا يطلبون بئار أبي مسلم ، وخلصوا الطاعة ، فوجه
إليهم خازم بن خزيمة ، فقتلهم ، وبدد دم في الأرض ، ثم عقد ليمعن بن زائدة من البصرة
على اليمن ، وأقام عامه ذلك بالبصرة .

وزعموا أن عمرو بن عبيد دخل إليه ، فلما رآه أبو جعفر صاحفه ، وأجلسه إلى
جانبه ، فتكلم عمرو ، فقال :

يا أمير المؤمنين ، إن الله قد أعطاك الدنيا بأسرها ، فاشتر نفسك من الله
ببعضها ، واعلم أن الله لا يرضى منك إلا بما ترضاه منه ، فإنك لا ترضى من الله إلا
بأن يعدل عليك ، وإن الله لا يرضى منك إلا بالعدل في رعييتك ، يا أمير المؤمنين ،
إن من وراء بابك نيرانا تأجج من الجور ، وما يعمل من وراء بابك بكتاب الله
ولا بسنة رسول الله ، يا أمير المؤمنين : أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ ، إِرَمَ
ذَاتِ الْعِمَادِ ، حتى أتى على آخر السورة^(٢) ، ثم قال : وَلَنْ عَمَلُ وَاللَّهِ بِمَثَلِ عَمَلِهِمْ .
قالوا : فبكى أبو جعفر .

فقال ابن مجالد : مه يا عمرو ، قد شقت على أمير المؤمنين منذ اليوم .

قال عمرو : مَنْ هذا يا أمير المؤمنين ؟

قال : هذا أخوك ابن مجالد .

قال عمرو : يا أمير المؤمنين ما أَحَدٌ أَعْدَى لَكَ مِنْ ابْنِ مَجَالِدٍ ، أَيَطْوِي عَنْكَ
النَّصِيحَةَ ، وَيَمْنَعُكَ مَنْ يَنْصَحُكَ ؟ وَإِنَّكَ لَبِعُوثٌ وَمَوْقُوفٌ وَمَسْتُولٌ عَنْ
مَثَاقِيلِ الدَّرِّ مِنَ الْخَيْرِ وَالْشَّرِّ .

(١) الراوندية فئة تنسب إلى أحمد بن يحيى بن إسحق الراوندى المتوفى سنة ٣٠٣ هـ وقد كان
معتزليا ، ثم صار شيعيا ، ثم تغير إلى الزيغ والإلحاد ، وله مؤلفات تمثل ذلك الاضطراب الذى تقلب فيه
(تاريخ الإلحاد فى الإسلام للدكتور عبد الرحمن بدوى) .
(٢) الآية رقم ٦ من سورة الفجر .

قال : فرى أبو جعفر بخاتمته ، وقال :

- قد وليتكم ما وراء بابي ، فادع أصحابك ، فولّهم .

قال : إن أصحابي لن يأتوك حتى يروك قد عمات بالعدل ، كما قلت بالعدل .
ثم انصرف .

- وسار أبو جعفر من البصرة سنة ثلاث وأربعين نحو الجبل حتى وافى مدينة نهاوند ، وقد كان بلغه طيبها ، فأقام بها شهراً .

ثم انصرف حتى أتى المدائن ، فأقام بها بقية عامه ذلك ، وعقد منها لخزينة ابن خازم على جميع طبرستان ، حتى إذا آن أوان الحج خرج منها حاجاً سنة أربع وأربعين ومائة ، ونزل الربذة^(١) ، فلما قضى حجه انصرف ، ولم يدخل المدينة .

- ١٠ وفي ذلك العام خرج عليه محمد بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب عليه السلام ، الملقب بالنفس الزكية ، فوجه إليه أبو جعفر عيسى بن موسى بن علي بن خيل ، فقتل رحمه الله ، وخرج أخوه إبراهيم بن عبد الله بن الحسن بن الحسن ، فقتل رضوان الله عليهم .

[موت أبي جعفر المنصور]

- ١٥ وفي سنة ثمان وخمسين ومائة حجّ أبو جعفر ، فنزل الأبطح على بئر ميمون ، فرض بها ، وتوفي غداة السبت ، لست خلون من ذي الحجة .
فأقام الحج للناس في ذلك العام إبراهيم بن محمد بن يحيى بن محمد بن علي بن عبد الله ابن عباس ، وصلى على أبي جعفر عيسى بن موسى ، فكانت خلافته عشرين سنة ، وتوفي وله ثلاث وستون سنة ، ودُفن بأعلى مكة .

(١) الربذة قرية قرب المدينة المنورة ، وبها قبر أبي ذر الغفاري ، وقد خربها القرامطة

سنة ٨٣١٩ .

[تولية محمد المهدي]

ثم بُويعَ للمهدي بن النصور يوم السبت لسبع عشرة ليلة خلت من ذى الحجة^(١)؛ وفي ذلك العام أمر المهدي باتخاذ القاصير في جميع مساجد الجماعات، ثم حجَّ المهدي سنة ستين ومائة، فانصرف على المدينة، فأمر أن يُشترى ما حول المسجد من النازل والدُّور، فيُوسَّع به المسجد.

وفي سنة اثنتين وستين ومائة خرجت الحُجَّرة بِجُرْجَان، فسار إليهم عمر بن العلاء، ففرَّقهم.

وفي ذلك العام عقد المهدي ولاية العهد لابنه موسى الهادي، ومن بعده لابنه الرشيد.

وفي سنة تسع وستين خرج موسى بن المهدي إلى جُرْجَان، وخرج المهدي إلى « مَاسَبَذَان »^(٢) فأقام بها متنزّها.

ومات بها وهو ابن ثلاث وأربعين سنة، وكانت خلافته عشر سنين وشهرا ونصفا.

[ولاية موسى الهادي]

وأُتت الخلافة موسى الهادي، وهو بِجُرْجَان، وبُويِعَ بمدينة السلام لثمان بقين من المحرم.

وفي ذلك العام خرج الحسين بن علي بن الحسن بالمدينة، وسار نحو مكة، فلقه عيسى بن موسى والعبّاس بن علي، فقتلاه.

وفي سنة سبعين ومائة توفي الإمام موسى بن المهدي بعيساباذ^(٣) في النصف من شهر ربيع الأول، وكان له يوم توفي أربع وعشرون سنة، وكانت خلافته سنة وشهراً وأربعة وعشرين يوماً.

(١) الموافق ١٩ أكتوبر سنة ٧٧٤ م.

(٢) أصله ماه، سبذان، وهي مدن عدة وبها قبر المهدي، ولا أثر بها إلا بناء قد تنصت رسومه ولم يبق منه إلا الآثار (٣) كذا في الأصل، وهي عيساباذ محلة كانت بشرق بغداد، وقد بني بها المهدي قصره الذي سماه قصر السلام، وقد خربت.

[خلافة هرون الرشيد]

وفي ذلك العام استُخْلِفَ هرون الرشيد ، وَحَجَّ ، وانصرف إلى المدينة ،
فوضع لأهلها المطاء ، وأَجْزَلَ لهم .

وأقبل إلى العراق فوافى الكوفة ، وعقد لأبي العباس الطوسي على خراسان ،
فلبث عليها عامين ، ثم عزله .

واستعمل عليها محمد بن الأشعث .

وفي سنة أربع وسبعين ومائة وقعت العَصَبِيَّة بأرض الشام بين المضرية واليمانية ،
فتحاربوا حتى قُتِلَ من الفريقين بشرٌ كثير .

وَحَجَّ الرشيد في ذلك العام بالناس ومعه ابنه محمد ، وعبد الله ، وكتب بينهما
كتاباً بولاية العهد لمحمد ، ومن بعده لعبد الله المأمون ، وعلّق الكتاب في جَوْفِ
الكعبة ، ثم انصرف إلى مدينة السلام .

واستعمل على خراسان الفطريف بن عطاء .

قال علي بن حمزة الكسائي : وَلَإِنِّي الرشيد تأديبٌ محمد وعبد الله ، فكنت
أَشَدُّ عليهما في الأدب ، وآخذهما به أَخْذاً شديداً ، وبخاصةً محمداً ، فأتتني ذات يوم
خالصةٌ جارية أمّ جعفر .

فقلت : يا كسائي ، إن السيدة تقرأ عليك السلام ، وتقول لك ، حاجتي
إليك أن ترفق بابني محمد ، فإنه ثمره فؤادي وقرّة عيني ، وأنا أرقّ عليه رقةً شديدة .

فقلت لخالصة : إن محمداً مرشحٌ للخلافة بعد أبيه ، ولا يجوز التَّقْصِيرُ في تأديبه .

فقلت لخالصة : إن لركة السيدة سبباً ، أنا مُخْبِرُكَ به .

إنها في الليلة التي ولدته أُرِيَتْ في منامها كأن أربع نسوة أقبلن إليه ، فاكتنفنه

عن يمينه وشماله ، وأمامه وورائه ؛ فقلت التي بين يديه : « مَلِكٌ قليل العمر ،

ضيق الصدر ، عظيم الكبر ، واهي الأمر ، كثير الوزر ، شديد الغدر » ؛

وقالت التي من ورائه : « مَلِكٌ قَصَّافٌ ، مُبَذَّرٌ مُتَلَّافٌ ، قليل الإنصاف ، كثير الإسراف » ؛ وقالت التي عن يمينه : « مَلِكٌ ضَخَمٌ ، قليل الحِلْمِ ، كثير الإثم ، قَطُوعٌ لِلرَّحِمِ » ؛ وقالت التي عن يساره : « مَلِكٌ غَدَّارٌ ، كثير العِثَارِ ، سريع الدِّمَارِ » . ثم بكت خالصة ، وقالت : « يا كَسَائِي ، وهل يُغْنِي الحَذَرُ ؟ » .
وذكر عن الأصمعي قال : دخلت على الرشيد ، وكنت غبت عنه حَوْلَيْنِ بالبصرة ، فأومأ إلي بالجلوس قريباً منه ، فجلست قليلاً ، ثم نهضت ، فأومأ إلي أن اجلس ، فجلست ، حتى خفت الناس .

ثم قال لي :

— يا أصمعي ، ألا تحب أن ترى محمداً وعبد الله ؟

قلت : بلى يا أمير المؤمنين ، إني لأحب ذلك ، وما أردت القيام إلا إليهما ، لأسلم عليهما .

قال : تكفي .

ثم قال : علي بمحمد وعبد الله .

فانطلق الرسول .

وقال : أجيأ أمير المؤمنين .

فأقبلا ، كأنهما قرا أُنُق ، قد قاربا خطاهما ، وضربا ببصرهما الأرض حتى وقفّا على أبيهما ، فسلمّا عليه بالخلافة ، وأومأ إليهما ، فدنيا منه ، فأجلس محمداً من يمينه ، وعبد الله عن شماله .

ثم أمرني بمطارحتهما ، فكنت لا ألقى عليهما شيئاً من فنون الأدب إلا أجابا فيه وأصابا .

فقال : كيف ترى أديهما ؟

قلت : يا أمير المؤمنين ، ما رأيت مثلهما في ذكائهما وجودة ذهنهما ، فأطال الله بقاءهما ، ورزق الأمة من رأفتها ومعطفتهما .

فضمتهما إلى صدره ، وسبقته عززته حتى تحدّرت دموعه .

ثم أذن لهما ، حتى إذا نهضا وخرجا ، قال :
- كيف بكم إذا ظهر تعاديهما وبدآ تباغضيهما ، ووقع بأسهما بينهما حتى
تُسْفَكَ الدِّمَاء ، ويَوَدُّ كثير من الأحياء أنهم كانوا مَوْتَى ؟
فقلت : يا أمير المؤمنين ، هذا شيء قضى به المنجّمون عند مَوْلدهما ، أو شيء
أثرته العلماء في أمرهما ؟

قال : بل شيء يَأْثُرُهُ العلماء عن الأوصياء عن الأنبياء في أمرهما .
قالوا : فكان المأمون يقول في خلافته : « قد كان الرشيد سمع جميع ما جرى
بيننا من موسى بن جعفر بن محمد ، فلذلك قال ما قال .
قال الأصمعي : وكان الرشيد يحب السَّمَر ، ويشتهي [أحاديث] ^(١) الناس ،
فكان يرسل إلى إذا نشط لذلك ، وجَنَّ عليه الليل ، فأسامره ، فأثبت ذات ليلة ،
ولم يكن عنده أحد ، فسامرته ساعة ، ثم أطرق ، وفكر ، ثم قال :
يا غلام ، عليّ بالعباسيّ - يعني الفضل بن الربيع - .
فحضر ، ودخل ، فأذن له بالجلوس .

فقال : يا عباسيّ ، إني عَنَيْتُ بقولية العهد ، ومُثَبِّتِ الأمر في محمد وعبد الله ،
وقد علمت أني إن ولّيت محمداً مع ركوبه هَوَاهُ ، وإنهما كه في اللّهُمَّ واللَّذَاتِ
خَلَطَ على الرَّعِيَّةِ ، وضَيَّع الأمر ، نُحْتِى يطمع فيه الأقاصى من أهل البَغْيِ والمعاصي ،
وإن صرفتُ الأمر إلى عبد الله ليسلكن بهم الحجة ، وليصلحن المملكة ، وإن فيه
لِحَزْمُ المنصور وشجاعة المهدي ، فما ترى ؟

قال الفضل : يا أمير المؤمنين ، إن هذا أمر خطير عظيم ، والزلة فيه لا تُسْتَقَالُ ،
وللكلام فيه مكان غير هذا .

فعلمت أنهما يحبّان الخلوة ، فقامت عنهما ، وجلست ناحية من صحن الدّار ،
فما زالا يتناظران إلى أن أَصْبَحَا .

(١) يباض في الأصل مكان ماين الحاصرتين .

واتفق رأيهما على تولية محمد العهد ، وتصيير عبد الله من بعده ، وقِسْمة الأموال والجنود بينهما ، وأن يقيم محمد بدار الخلافة ، ويتولى المأمون خراسان .
فلما أصبح أمر بجميع القواد ، فاجتمعوا إليه ، فدعاهم إلى بيعة محمد ، ومن بعده إلى بيعة المأمون ، فأجابوا إلى ذلك ، وبايعوا .

وفي سنة ثمانين ومائة^(١) عقد الرشيد لعلّ بن عيسى بن ماهان على خراسان ، وفي ذلك العام خرج الرشيد إلى أرض الشام ، وأخذ على الموصل ، فلما وافاها أمر يهدم مدينتها ، وقد كانوا وثبوا بعامله .

وفي ذلك العام وثب أهل خراسان بعاملهم ، فقتلوه ، فأقام بالشام عامه ذلك ، ثم خرج حاجاً ، فلما انصرف قصد الأنبار ، فنزل به بمدينة أبي العباس ، وهي من الأنبار على نصف فرسخ ، وقد كانت بقي بها جمع عظيم من أبناء أهل خراسان ، توالدوا بها حتى كثروا ، فهم إلى الآن ، فأقام بها شهراً ، ثم توجه منها إلى الرقة^(٢) فأقام بها شهراً .

وخرج منها غازياً إلى أرض الروم ، فافتتح مدينة من مدنها ، تسمى « معصوف » . ثم انصرف إلى الرقة ، فأقام بها بقية عامه ذلك .

فلما كان أوان الحج ، حجّ ، ففضى نسكه ، وجعل منصرفه على الرقة ، فأقام بها ، وولّى يزيد بن مزيد أرمينية ، ثم قدم من الرقة سنة أربع وثمانين ومائة حتى وافى مدينة السلام ، ونزل قصره بالرصافة^(٣) ، وأخذ عماله بالبقايا ، ثم سار من مدينة السلام في سنة خمس وثمانين ومائة عائداً إلى الرقة ، وقد كان استظاها .

فلما كان أوان الحج حجّ ، فمرّ بالمدينة ، فأعطاهم ثلاث أعطيات ، وأعطى أهل مكة عطاءً ، ثم انصرف ، فقصد الأنبار ، فأقام بها شهراً ، ثم انصرف إلى مدينة السلام .

(١) سنة ٧٩٦ م .

(٢) مدينة على نهر الفرات كان بها قصران لهشام بن عبد الملك .

(٣) محلة بالجانب الشرقي من بغداد ، كان المهدي قد عسكر بها ، فأمره المنصور أن يبني فيها دوراً ، فالتحق بها الناس وعمروها ، وفيها قبور جماعة من الخلفاء العباسيين .

ثم عقد البيعة لابن القاسم ^{لربنه} بعد محمد وعبد الله ، وولاه الشام ، فوجه القاسم عليها عماله .

وحجّ الرشيد سنة ثمان وثمانين ومائة ، وانصرف فنزل الحيرة ^(١) ، فأقام بها أياما ، ثم دخل مدينة السلام .

وفي سنة تسع وثمانين سار إلى الرىّ فأقام بها شهرا ، ثم انصرف نحو مدينة السلام ، فضحى بقصر اللصوص ^(٢) ، ثم دخل بغداد ، ولم ينزلها ، ومضى حتى انتهى إلى السالحين ^(٣) ، وهى من مدينة السلام على ثلاثة فراسخ ، فبات بها ثم سار حامدا للركة حتى وافاها ، وأمر عند ممره ببغداد بخشبة جعفر بن يحيى أن تحرق ، وأقام بالركة بقية ذلك العام .

فلما دخلت سنة تسعين ومائة خرج غازيا لأرض الروم حتى أوغل فيها وانتهى إلى هرّقلة ^(٤) ، فافتتحها .

وفي ذلك العام خرج رافع بن نصر بن سيار مغاضبا بأرض خراسان ؛ وكان سبب خروجه أن على بن عيسى بن ماهان لما ولي خراسان أساء السيرة ، وتحامل على من كان بها من العرب ، وأظهر الجور ، فخرج عليه رافع ، فواقعه وقعات ، ثم انحاز فيمن اتبعه من أهل خراسان ، وكانوا زهاء ثلاثين ألف رجل في سمرقند ، وأقام بمدينةها . وبلغ ذلك الرشيد ، فعزل على بن عيسى عنها ، واستعمل عليها هرّثلة ابن أعين .

ثم انصرف الرشيد قافلا من الروم حتى نزل بمدينة السلام عامه ذلك ، واستخلف ابنه محمدا على دار المملكة ؛ وخرج حامدا لأرض خراسان ليتولى حرب رافع بنفسه . ودخلت سنة اثننتين وتسعين ومائة وفيها خرجت « الخرمية » ^(٥) بأرض الجبل

(١) مدينة كانت على ثلاثة أميال من الكوفة على النجف ، وكانت مسكن ملوك العرب في الجاهلية ، النعمان وآبؤه ، وسموها بالحيرة البيضاء لحسنها .

(٢) سمى بذلك لأن جيشا من المسلمين نزلوا به ، فسروا دوابهم .

(٣) قرية من نهر عيسى ببغداد ، وهى السليحين التى بات بها المثنى بن حارثة وصبح ، فأغار على سوق بغداد . (٤) مدينة ببلاد الروم ، قرب صفين فتحها الرشيد وسبى أهلها

وقد خربت ، ولم يبق منها آثار عمارة . (٥) طائفة تنسب إلى بابك الخرمي ، وتدين بما تدين الباطنية أولاد المجوس الذين تأولوا آيات القرآن وسنن النبي على موافقة أصواتهم .

في المرة الأولى ، فوجه إليهم عهد الأمين بعبد الله بن مالك الخزاعي ، فقتل منهم مقتلة عظيمة ، وشرّد بقيتهم في البلدان .

وسار الرشيد حتى وافى مدينة طوس^(١) ، فنزل في دار حميد الطوسي ، ومرض بها مرضا شديدا ، فجمع له الأطباء يماالجونه ، فقال :

٥
إِنَّ الطَّبِيبَ يَطْبَهُ وَدَوَائِهِ لَا يَسْتَطِيعُ دِفَاعَ مَخْذُورٍ جَرَى
مَا لِلطَّبِيبِ يَمُوتُ بِالْذَّاءِ الَّذِي قَدْ كَانَ يَشْفِي مِثْلَهُ فِيمَا مَضَى
فلما اشتد به الوجع قال للفضل بن الربيع :

ياعباسي ، ماتقول الناس ؟

قال :

يقولون ، إن شائئ أمير المؤمنين قد مات .

١٠
فأمر أن يُسْرَجَ له حمار ليركبه ، ويخرج ، فأُسرَجَ له ، ومُحْمَلٌ حتى وُضِعَ على السرج ، فاسترخت فخذه ولم يستطع الثبوت .
فقال : أرى الناس قد صدقوا .

ثم توفي .

١٥
وذلك في سنة ثلاث وتسعين ومائة يوم السبت ، لخمس ليال خلون من جمادى الآخرة^(٢) ، وكانت خلافته ثلاثا وعشرين سنة ، وشهرا ونصفا .

[تولية محمد الأمين]

فأتت الخلافة محمدا الأمين ببنداد ، يوم الخميس للنصف من جمادى الآخرة ، ونماه للناس يوم الجمعة ، ودعاهم إلى تجديد البيعة ، فبايعوا .

٢٠
ووصل الخبر بوفاة الرشيد إلى المأمون ، وهو بمدينة مرو ، يوم الجمعة لثمان خلون من الشهر ، فركب إلى المسجد الأعظم ، ونودي في الجنود وسائر الوجوه ، فاجتمعوا ، وصعد المنبر ، فحمد الله وأثنى عليه ، وصلى على النبي وآله ، ثم قال :

(١) مدينة بالقرب من نيسابور ، بها آثار إسلامية جلييلة ، وكان بها دار حميد قحطبة .

(٢) الموافق ٢٧ مارس سنة ٨٠٨ م .

أيها الناس ، أحسن الله عزاءنا وعزاءكم في الخليفة الماضي ، صلوات الله عليه ،
وبارك لنا ولكم في خليفتمكم الحادث ، مد الله في عمره .
ثم خنقته العبرة ، فمسح عينه بسواده .
ثم قال :

٥ - يا أهل خراسان ، جدّدوا البيعة لإمامكم الأمين .
فبايعه الناس جميعا .

ولما أتت الخلافة محمداً ، وبايعه الناس دخل عليه الشعراء ، وفيهم الحسن
ابن هاني^(١) ، فأنشدوه ، وقام الحسن في آخرهم ، فأنشده قوله :

أَلَا دَارَهَا بِالْمَاءِ حَتَّى تُتْلِيَهَا فَلَنْ تُكْرِمَ الصَّهْبَاءَ حَتَّى تُهِنَهَا
وَحُمْرَاءَ قَبْلَ الْمَرْجِ صَفْرَاءَ بَعْدَهُ كَأَنَّ شُعَاعَ الشَّمْسِ يَلْقَاكَ دُونَهَا
كَأَنَّ يَوَاقِيَتَا رَوَاكِدَ حَوْلَهَا وَزُرْقَ سَنَانِيرٍ تُدِيرُ عُيُونَهَا^(٢)
لَقَدْ جَلَّلَ اللَّهُ الْكَرَامَةَ أُمَّةً يَكُونُ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ أَمِينَهَا
حَمِيَّتَ حِمَاها بِالْقَنَابِلِ وَالْقَنَا وَوَفَّرَتْ دُنْيَاها عَلَيْهَا وَدِينَهَا
يَرَاكَ بَنُو الْمَنْصُورِ أَوْلَاهُمْ بِهَا وَإِنْ أَظْهَرُوا غَيْرَ الَّذِي يَكْتُمُونَهَا
فَوَصَلَهُمْ جَمِيعاً ، وَفَضَّلَهُ .

١٥

ثم إن محمداً الأمين دعا إسماعيل بن صبيح كاتب السرّ ، فقال :

- ما الذي ترى يا ابن صبيح ؟

قال : أرى دولة مباركة ، وخلافة مستقيمة ، وأمرًا مُقبلاً ، فتمم الله
ذلك لأمر المؤمنين بأفضله وأجزله .

٢٠

(١) وهو المشهور بأبي نواس .

(٢) السنانير جمع سنور وهو القط .

قال له محمد : إني لم أَبْغِكَ قَاصًّا ، إنما أردت منك الرَّأْيَ .

قال إسماعيل : إِنْ رَأَى أمير المؤمنين أَنْ يَوْضَحَ لِي الْأَمْرَ لِأَشِيرَ عَلَيْهِ بِمَبْلَغِ رَأْيِي وَنُصِيحِي فَعَلَّ .

قال : إني قد رأيتُ أَنْ أعزل أخِي عبد الله من خراسان ، وأستعمل عليها موسى ابن أمير المؤمنين . ٥

قال إسماعيل : أَعِيذُكَ بِاللَّهِ يَا أمير المؤمنين أَنْ تَنْقُضَ مَا أَسَّسَهُ الرَّشِيدُ ، وَمَهَّدَهُ ، وَشَيَّدَ أَرْكَانَهُ .

قال محمد : إِنْ الرَّشِيدَ مُوَّهَ عَلَيْهِ فِي أَمْرِ عَبْدِ اللَّهِ بِالزَّخْرَفَةِ ، وَيُحْكَمَ يَا بَنَ صَبِيحَ ، إِنْ عَبْدُ الْمَلِكِ بْنُ مَرْوَانَ كَانَ أَحْزَمَ رَأْيًا مِنْكَ ، حَيْثُ قَالَ : « لَا يَجْتَمِعُ فَخْلَانُ فِي هَجْمَةٍ إِلَّا قَتَلَ أَحَدَهُمَا صَاحِبَهُ » . ١٠

قال إسماعيل : أَمَا إِذَا كَانَ هَذَا رَأْيُكَ ، فَلَا تُجَاهِرْهُ ، بَلْ اكْتُبْ إِلَيْهِ ، وَأَعْلَمْهُ حَاجَتَكَ إِلَيْهِ بِالْحَضْرَةِ ، لِيُعِينَكَ عَلَى مَا قَلَّدَكَ اللَّهُ مِنْ أَمْرِ عِبَادِهِ وَبِلَادِهِ ، فَإِذَا قَدِمَ عَلَيْكَ ، وَفَرَّقَتْ بَيْنَهُ وَبَيْنَ جُنُودِهِ كَسَرْتَ حَدَّهُ ، وَظَفَرْتَ بِهِ ، وَصَارَ رَهْنًا فِي يَدَيْكَ ، فَأَتَتْ فِي أَمْرِهِ مَا أَرَدْتَ .

قال محمد : أَجَدَّتْ يَا بَنَ صَبِيحَ ، وَأَصَبْتَ ، هَذَا لَعَمْرِي الرَّأْيَ . ١٥

ثم كَتَبَ إِلَيْهِ يُعَلِّمُهُ أَنَّ الَّذِي قَلَّدَهُ اللَّهُ مِنْ أَمْرِ الْخِلَافَةِ وَالسِّيَاسَةِ قَدْ أَثْقَلَهُ ، وَيَسْأَلُهُ أَنْ يَقْدِمَ عَلَيْهِ لِيُعِينَهُ عَلَى أُمُورِهِ ، وَيُشِيرَ عَلَيْهِ بِمَا فِيهِ مَصْلَحَتُهُ ، فَإِنْ ذَلِكَ أَغْوَدٌ عَلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ مِنْ مَقَامِهِ بِخُرَاسَانَ ، وَأَعْمَرُ لِلْبِلَادِ ، وَأَدْرَ لِلْفَيْءِ ، وَأَكْبَتْ لِلْعُدُوِّ ، وَآمَنُ لِلْبَيْضَةِ .

ثم وَجَّهَ الْكِتَابَ مَعَ الْعَبَّاسِ بْنِ مُوسَى ، وَمُحَمَّدِ بْنِ عَيْسَى ، وَصَالِحِ صَاحِبِ الْمَصَلَّى . ٢٠

فَسَارُوا نَحْوَ خُرَاسَانَ ، فَاسْتَقْبَلَهُمْ طَاهِرُ بْنُ الْحُسَيْنِ مُقْبِلًا مِنْ عِنْدِ الْمَأْمُونِ عَلَى وِلَايَةِ الرَّيِّ ، حَتَّى انْتَهَوْا إِلَى الْمَأْمُونِ وَهُوَ بِمَدِينَةِ مَرْوٍ ، فَدَخَلُوا عَلَيْهِ ، وَأَوْصَلُوا الْكِتَابَ إِلَيْهِ ، وَتَكَلَّمُوا .

فذكروا حاجة أمير المؤمنين الأمين إليه ، وما يَرْجُو في قُرْبِهِ من بَسْطِ المِلْكَةِ ،
والقُوَّةِ على العدوِّ ، فَأَبْلَغُوا في مَقَالَتِهِمْ .
وأمر المأمون بإِزَالَتِهِمْ وإِكْرَامِهِمْ .

ولما جَنَّ عليه الليل بعث إلى الفضل بن سهل ، وكان أخصَّ وزرائه عنده ،
وأوثقهم في نفسه ، وقد كان جَرَّبَ منه وثاقَةً رَأْيِي وَفَضْلَ حَزْمٍ ، فلما أَنَاهُ
خَلَا بِهِ ، وأقرأه كتاب محمد ، وأخبره بما تكلَّم به الوفد من أمر التَّخْضِيعِ
على المسير إلى أخيه ومعاونته على أمره .

قال الفضل : ما يريد بك خيراً ، وما أَرَى لك إلا الامتناع عليه .
قال المأمون : فكيف يمكنني الامتناع عليه ، والرجال والأموال معه ،
والناس مع المال ؟

قال الفضل : أَجِّلْنِي لَيْلَتِي هَذِهِ لَأَتِيكَ غَدًا بما أَرَى .
قال له المأمون : امْضِ في حِفْظِ اللَّهِ .

فانصرف الفضل بن سهل إلى منزله ، وكان منجِّمًا ، فنظر ليلته كلَّهَا في حسابه
ونجومه ، وكان بها ماهراً .

فلما أصبح غَدًا على المأمون ، فأخبره أَنَّهُ يَظْهَرُ على محمد وَيُنْغِبُهُ ، ويستولي
على الأمر .

: فلما قال له ذلك ، بعث إلى الوفد ، فأحسن صِلَاتِهِمْ وجَوَازِهِمْ ، وسأَلَهُمْ أَنْ
يُحَسِّنُوا أَمْرَهُ عِنْدَ الْأَمِينِ ، وَيَسْطُوا مِنْ عُذْرِهِ .
وكتب معهم إِلَيْهِ :

« أَمَّا بَعْدُ ، فَإِنَّ الْإِمَامَ الرَّشِيدَ وَلَا نِيَّ هَذِهِ الْأَرْضِ عَلَى حِينِ كَلْبٍ مِنْ عَدُوِّهَا ،
وَوَهْيٍ مِنْ سَدِّهَا ، وَضَعْفٍ مِنْ جُنُودِهَا ، وَمَتًى أَخْلَلْتُ بِهَا ، أَوْ زُلْتُ عَنْهَا
لَمْ أَمِنْ انْتِقَاضِ الْأُمُورِ فِيهَا ، وَغَلَبَةِ أَعْدَائِهَا عَلَيْهَا ، بِمَا يَصِلُ ضَرَرُهُ إِلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ
حَيْثُ هُوَ ، فَرَأَيْ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ فِي أَنْ لَا يَنْقُضَ مَا أَبْرَمَهُ الْإِمَامُ الرَّشِيدُ » .
وسار القوم بالكتاب حتى وافوا به الْأَمِينَ ، وَأَوْصَلُوا الْكِتَابَ إِلَيْهِ ،

فلما قرأه جَمَعَ القُوَاد إليه ، فقال لهم :

إني قد رأيتُ صَرَفَ أَخِي عبد الله عن خراسان ، وتصييرِهِ مَعِيَ لِيُعَاوَنَنِي ،
فلا غِنَى بِي عَنْهُ ، فماترون ؟

فأسكت القوم .

فتكلم خازم بن خُزَيْمَةَ ، فقال : يا أمير المؤمنين ، لا تحمل قُوَادَكَ وجنودك
على النَّدَرِ فيغدروا بك ، ولا يرون منك ثَقُصَ العَهْدِ فينقضوا عَهْدَكَ .

قال محمد : ولكن شيخ هذه الدولة علي بن عيسى بن مَاهَانَ لَا يَرَى مَا رَأَيْتَ ،
بل يَرَى أَنَّ يَكُونُ عبد الله مَعِيَ لِيُوَازِرَنِي وَيَحْمِلَ عَنِّي ثَقْلَ مَا أَنَا فِيهِ بِصَدَدِهِ .

ثم قال لعلي بن عيسى : إني قد رأيتُ أَنَّ تَسِيرَ بِالْجِيُوشِ إِلَى خِرَاسَانَ ، فَتَلَى أَمْرَهَا
مِنْ تَحْتِ يَدَيَّ مُوسَى بْنُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ ، فَانْتَخَبَ مِنَ الْجُنُودِ وَالْجِيُوشِ عَلَى عَيْنِكَ .
ثم أمر بديوان الجُنْدِ ، فَدَفَعَ إِلَيْهِ ، فَانْتَخَبَ سِتِينَ أَلْفَ رَجُلٍ مِنْ أَهْلِ
الْجُنُودِ وَفُرْسَانِهِمْ ، وَوَضَعَ لَهُمُ الْعَطَاءَ ، وَفَرَّقَ فِيهِمُ السَّلَاحَ ؛ وَأَمَرَهُ بِالسَّيْرِ .

فخرج بالجيش ، وركب معه محمد ، فجعل يُوصِيهِ ، ويقول : أَكْرَمُ مَنْ هُنَاكَ مِنْ
قُوَادِ خِرَاسَانَ ، وَضَعَ عَنْ أَهْلِ خِرَاسَانَ نِصْفَ الْخِرَاجِ ، وَلَا تُبْقِ عَلَى أَحَدٍ يَشْهَرُ
عَلَيْكَ سَيْفًا ، أَوْ يَرْمِي عَسْكَرَكَ بِسَهْمٍ ، وَلَا تَدْعُ عَبْدَ اللَّهِ يَقِيمَ إِلَّا ثَلَاثًا مِنْ يَوْمٍ تَصِلُ
إِلَيْهِ ، حَتَّى تُشَخِّصَهُ إِلَى مَاقِبَلِي .

وقد كانت زُبَيْدَةُ تَقْدَمَتْ إِلَى عَلِيِّ بْنِ عِيْسَى ، وَكَانَ أَنَاهَا مُوَدَّعًا ، فَتَالَتْ لَهُ :

— إِنْ مُحَمَّدًا ، وَإِنْ كَانَ ابْنِي وَثْمَرَةُ فَوَادِي ، فَإِنْ لَعَبَدَ اللَّهُ مِنْ قَلْبِي نَصِييَا وَافِرًا مِنْ
الْحُبَّةِ ، وَأَنَا الَّتِي رَبَّيْتُهُ ، وَأَنَا أَحْنُو عَلَيْهِ ، فَأَيَّاكَ أَنْ يَبْدَأَ مِنْكَ مَكْرُوهُ ، أَوْ تَسِيرَ أَمَامَهُ ،
بَلْ سِرْ إِذَا سَرْتَ مَعَهُ مِنْ وَرَائِهِ ، وَإِنْ دَعَاكَ فَلْتَبْهُ ، وَلَا تَرْكَبْ حَتَّى يَرْكَبَ قَبْلَكَ ،
وَحِذْ بَرِكَابَهُ إِذَا رَكَبَ ، وَأَظْهَرْ لَهُ الْإِجْلَالَ وَالْإِكْرَامَ .

ثم دفعت إليه قيده من فضة وقالت :

إِنْ اسْتَمَصَى عَلَيْكَ فِي الشَّخْصِ فَقِيْدَهُ بِهَذَا الْقَيْدِ .

وإن محمد انصرف عنه بعد أن أوعز إليه ، وأوصاه بكل ما أراد .

وسار علي بن عيسى بن ماهان حتى صار إلى حلوان ، فاستقبله غير مقبله من
الري ، فسألهم عن خبر طاهر ، فأخبروه أنه يستعد للحرب ، فقال : وما طاهر ؟
ومن طاهر ؟ ليس بينه وبين إخلاء الري إلا أن يبلغه أني جاوزت عتبة همدان .
ثم سار حتى خلف عتبة همدان ورائه ، فاستقبله غير أخرى ، فسألهم عن الخبر .
فقالوا : إن طاهرا قد وضع العطاء لأصحابه ، وفرق فيهم السلاح ، واستعد للحرب .
فقال : في كم هو ؟

فقالوا : في زهاء عشرة آلاف رجل .
فأقبل الحسن بن علي بن عيسى على أبيه فقال :
— يا أبت ، إن طاهرا لو أراد الحرب لم يعم بالري يوما واحدا .
فقال : يا بُني ، إنما تستعد الرجال لأقرانها ، وإن طاهرا ليس عندي من الرجال
الذين يستعدون لمثل ، ويستعد له مثلي .

وذكروا أن مشايخ بغداد قالوا : لم نرجش أن أظهر سلاحا ، ولا أكل عُدّة ،
ولا أفرّة خيلا ، ولا أنبل رجلا من جيش علي بن عيسى يوم خرج ، إنما كانوا نُخبًا .
وإن طاهر بن الحسين جمع إليه رؤساء أصحابه فاستشارهم في أمره ، فأشاروا
عليه ، أن يتحصن بمدينة الري ، ويحارب القوم من فوق السور إلى أن يأتيه مدد
من المأمون .

فقال لهم : وَيُحْكَمْ ، إني أبصر بالحرب منكم ؛ إني متى تحصنت استضعفت
نفسى ، ومال أهل المدينة إليه لقوته ، وصاروا أشد علي من عدوى ، لخوفهم من علي
ابن عيسى ، ولعله أن يستميل بعض من منى بالأطباع ، والرأى أن أُلْفَ الخيل
بالخيل ، والرجال بالرجال ، والنصر من عند الله .

ثم نادى في جنوده بالخروج عن المدينة ، وأن يمسكروا بموضع يقال له
« القلوصة » .

فلما خرجوا عمد أهل الري إلى أبواب مدينتهم ، فأغلقوها .

فقال طاهر لأصحابه : يا قوم ، اشتغلوا بمن أمامكم ، ولا تلتفتوا إلى من وراءكم ،
واعلموا أنه لا وزر لكم ولا ملجأ إلا سيوفكم ورماحكم ، فاجعلوها
حصونكم .

وأقبل على بن عيسى نحو القاوسة ، فتواقف العسكران للحرب ، والتقوا ،
فصدقهم أصحاب طاهر الحملة .

٥

فانتقضت تعبئة على بن عيسى ، وكانت منهم جولة شديدة ، فناداهم على
ابن عيسى ، وقال :

— أيها الناس ، ثوبوا ، واحملوا .

فرماه رجل من أصحاب طاهر ، فأثبته ، وبعد أن دنا منه ، وتمكّن رماه بنشابة
وقعت في صدره ، فنفذت الدرع والسلاح حتى أفضت إلى جوفه ، وخر مغشياً
عليه ميتاً .

١٠

واستوت الهزيمة بأصحابه .

فما زال أصحاب طاهر يقتلونهم ، وهم مولّون حتى حال الليل بينهم ، وغنموا
ما كان في معسكرهم من السلاح والأموال .

وبلغ ذلك محمداً ، فعمد لعبد الرحمن الأبنؤى في ثلاثين ألف رجل من الأبناء ،
وتقدّم إليهم ، ألا يفتروا كافتزار على بن عيسى ، ولا يتهاونوا كتهاونه .
فسار عبد الرحمن حتى وافى همدان .

١٥

وبلغ ذلك طاهراً ، فتقدّم ، وسار نحوه ، فالتقوا جميعاً ، فاقتتلوا شيئاً من
قتال ، فلم يكن لأصحاب عبد الرحمن ثباتٌ ، فانهزم ، واتبعه أصحابه ، فدخلوا
مدينة همدان ، فتحصّنوا فيها شهراً حتى تقدّم ما كان معهم من الزاد .

٢٠

قال : فطلب عبد الرحمن الأبنؤى الأمان له ولجميع أصحابه ، فأعطاه
طاهر ذلك .

ففتح أبواب المدينة ، ودخل الفريقان بعضهم في بعض .

وسار طاهر حتى هبط العقبة ، فمسك بناحية « أسدآباد »^(١) .

(١) مدينة بهمدان إلى ناحية العراق .

ففكر عبد الرحمن ، وقال :
كيف أعتذر إلى أمير المؤمنين ؟
فمبأ أصحابه .

فلما طلع الفجر زحف بأصحابه إلى طاهر ، وهو غار ، فوضع فيهم السيوف ،
فوقفت طائفة من أصحاب طاهر رجالة ، يذبون عن أصحابهم حتى ركبوا ، واستعدوا ،
ثم حملوا على عبد الرحمن وأصحابه ، فأكثروا فيهم القتل .
فلما رأى ذلك عبد الرحمن ترجل في مِحنة أصحابه ، فقاتلوا حتى قُتل عبد الرحمن ،
وَقُتِلُوا معه .

وبلغ ذلك محمدا ، فسقط في يده ، وبرز جنوده ، فعقد لعبد الله الحرشي ، في
خمسة آلاف رجل ، وليحيي بن علي بن عيسى ، في مثل ذلك ، فسارا حتى وافيا
« قَرْمِيسِينَ » (١) .

وبلغ طاهرا ذلك ، فسار نحوها ، فانهزما من غير قتال حتى رجما إلى حلوان ،
فأقاما هناك .

فزحف طاهر نحو حلوان ، فانهزما حتى لحقا ببغداد ، وأقام طاهر بحلوان حتى وافاه
هرثمة بن أعين من عند المأمون ، في ثلاثين ألف رجل من جنود خراسان ، فأخذ
طاهر من حلوان نحو البصرة والأهواز .

وتقدم هرثمة إلى بغداد ، فلم تقم لمحمد قائمة حتى قُتل ، وكان من أمره
ما كان .

وأن طاهر بن الحسين صعد من البصرة ، وتقدم هرثمة حتى أهدقا ببغداد ،
وأحاطا بمحمد الأمين ، ونصبا المنجنيق على داره حتى ضاق محمد بذلك ذرعا .
وكان هرثمة بن أعين يحب صلاح حال محمد ، والإبقاء على حشاشة نفسه ، فأرسل

(١) بلد قرب الدينور بين همدان وحلوان على جادة العراق .

إليه محمد يسأله القيام بأمره ، وإصلاح ما بينه وبين المأمون ، على أن يخلع نفسه عن الخلافة ، ويسلم الأمر لأخيه .

فكتب إليه هرثة : « قد كان ينبغي لك أن تدعو إلى ذلك قبل تفاقم الأمر ، فأما الآن فقد بلغ السيل الزبى ، وشغل الحلى أهله أن يُعار^(١) ، ومع ذلك فإني مجتهد في إصلاح أمرك ، فصِرْ إلى ليلا ، لأكتب بصورة أمرك إلى أمير المؤمنين ، وأخذ لك عهدا وثيقا ، ولست آلو جهدا ولا اجتهدا في كل ما عاد بصلاح حالك ، وقربك إلى أمير المؤمنين » .

فلما سمع ذلك محمدا استشار نصحاءه ووزراءه ، فأشاورا بذلك عليه ، وطمعوا في بقاء مهجته .

فلما جنة الليل ركب في جماعة من خاصته وثقاته وجواريه ، يريد العبور إلى هرثة .

فأحس طاهر بن الحسين بالمراسلة التي جرت بينهما والوافقة التي اتفقا عليها . فلما أقبل محمد ، وركب بمن معه الماء شدة عليه طاهر ، فأخذه ومن معه ، ثم دعا به في منزله ، فأحتز رأسه ، وأنفذه من ساعته إلى المأمون .

وأقبل المأمون حتى دخل مدينة السلام ، وصفت له الملكة واستوسقت له الأمور .

وكان قتل محمد الأمين ليلة الأحد لخمس خلون من المحرم ، سنة ثمان وتسعين ومائة^(٢) ، وقتل ، وله ثمان وعشرون سنة ، وكانت ولايته أربع سنين وثمانية أشهر .

[الخليفة عبد الله المأمون]

وبويع المأمون ، وهو عبد الله بن الرشيد ، يوم الاثنين لخمس بقين من المحرم سنة ثمان وتسعين ومائة .

(٢) مثل عربى ، يضربه المستول شيئا هو أحوج إليه من السائل — مجمع الأمثال ج ٢ ص ٣٣٠

(٣) أى سنة ٩٠٣ م .

وكان شهياً ، بميد الهمة ، أبي النفس ، وكان نجم ولد العباس في العلم والحكمة ، وقد كان أخذ من جميع العلوم بقبسط ، وضرب فيها بسهم ، وهو الذي استخرج كتاب إقليدس من الروم ، وأمر بترجمته وتفصيله ، وعقد المجالس في خلافته للمناظرة في الأديان والمقالات ، وكان أستاذه فيها أبا الهذيل محمد بن الهذيل الملاف .

ودخل بلاد الجزيرة والشام ، فأقام بها مدة طويلة ، ثم غزا الروم ، وفتح فتوحا كثيرة ، وأبلى بلاء حسناً .

ثم توفي على نهر « البَذَنْدُون »^(١) ، ودُفِنَ بطرسوس يوم الأربعاء لثمان خلون من رجب سنة ثمان عشرة ومائتين^(٢) .

وكانت ولايته عشرين سنة وخمسة أشهر وثلاثة عشر يوما ، وقد كان بلغ من السن تسعاً وثلاثين سنة .

وقد كان بايع لابنه العباس بن المأمون بولاية العهد من بعده . وخلفه بالعراق .

[ولاية محمد المعتصم]

فلما مات هو على نهر البَذَنْدُون جمع أخوه أبو إسحق محمد بن هرون المعتصم بالله إليه وجوه القواد والأجناد ، فدعاهم إلى بيعته ، فبايعوه .

فسار من طرسوس حتى وافى مدينة السلام ، فدخلها ، وخلع العباس بن المأمون عنها ، وغلبه عليها ؛ وبايعه الناس بها .

وكان قدومه بغداد مستهل شهر رمضان سنة ثمان عشرة ومائتين ، فأقام بها سنتين ، ثم مرّ بأتراكه إلى « سُرَّ مَنْ رَأَى » فابتناها ، واتخذها داراً ومعسكراً .

(١) في الأصل نهر البدندون والصحيح ما ذكر ، وهو نهر سمي باسم البلد بدندون ، وهي قرية قريبة من طرسوس .

(٢) الموافقة سنة ٢٠٩ م .

وكانت في خلافته فتوحات لم تكن لأحد من الخلفاء الذين مضوا مثلها قبله .
فنها فتح بابك ، وأسره وقتله إياه ، وصلبه ؛ ومنها « مازيار » صاحب
قلعة طبرستان ، فإنه تحصن في القلاع والجبال ، فما زال به حتى أخذه ، فقتله ، وصلبه
إلى جنب بابك ؛ ومنها جعفر الكردي ، وقد كان أخرج البلاد وسبي الذراري ،
فوجه الخيول في طلبه ، ولم يزل به حتى أخذه وقتله ، وصلبه إلى جنب بابك ومازيار ،
ومن ذلك فتح « عمورية » وهي القسطنطينية الصغرى ، والأخرى فتحها الله
على يديه .

وكان ابتداء أمر بابك ، أنه تحرك في آخر أيام المأمون وقد اختلف الناس
في نسبه ومذهبه ، والذي صح عندنا ، وثبت ، أنه كان من ولد مطهر بن فاطمة
بنت أبي مسلم ، هذه التي ينتسب إليها الفاطمية من الحرمية ، لا إلى فاطمة بنت
رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فنشأ بابك ، والحبل مضطرب ، والفتن متصلة ،
فاستفتح أمره بقتل من حوله بالبذ^(١) ، وإخراجه تلك الأمصار والقرى التي حواليه ،
لتصفوله البلاد ، ويصعب مطلبه ، وتشتد الثورة في التوصل إليه ؛ واشتدت
شوكته ، واستفحل أمره .

وقد كان المأمون وجه إليه حين اتصل به خبره عبد الله بن طاهر بن الحسين
في جيش عظيم .

فسار إليه ، ونزل في طريقه الدينور^(٢) ، في ظاهرها ، في مكان يُعرف إلى يومنا
هذا بقصر عبد الله بن طاهر ، وهو كرم مشهور ، ومكان مذكور .
ثم سار منها حتى وافى البذ ، وقد عظم أمر بابك ، وتهيبه الناس ، فحاربوه ،
فلم يقدرُوا عليه ، ففضّ جمعهم ، وقتل صناديدهم .

(١) البذ: كورة بين إيران وأذربيجان .

(٢) بلد أبي حنيفة مؤلف الكتاب ، وإليها ينسب .

وكان ممن قُتل في تلك الوقعة محمد بن محمد الطوسي .

وهو الذي رثاه أبو تمام بقصيدته التي يقول فيها :

كَانَ بَنِي نَبَهَانَ يَوْمَ وَفَاتِهِ نَجُومُ سَمَاءٍ خَرَّ مِنْ بَيْنِهَا الْبَدْرُ
وفيها يقول:

فَأُثْبِتَ فِي مُسْتَنْقَعِ الْمَوْتِ رِجْلَهُ وَقَالَ لَهَا مِنْ تَحْتِ أَخْمَصِكَ الْحَشْرُ

فلما أفضى الأمر إلى أبي إسحق المعتصم بالله لم تكن همته غيره ، فأعد له الأموال والرجال ، وأخرج مولاة الأفشين حيدر بن كاوس ، فسار الأفشين بالعساكر والجيوش حتى وافى برزند^(١) ، فأقام بها حتى طاب الزمان ، وانحسرت الثلوج عن الطرقات ، ثم قدم خليفته [يوباره]^(٢) وجعفر بن دينار ، وهو المعروف بجعفر الخياط في جمع كثير من الفرسان إلى الموضع الذي كان فيه معسكرا ، وأمرها أن يحفرا خندقا حصينا ، فسارا حتى نزلا هناك ، واحتفرا الخندق .

فلما فرغا من حفر الخندق استخلف الأفشين بيرزند المرزبان ، مولى المعتصم في جماعة من القواد ، وسار هو حتى نزل الخندق ، ووجه يوباره ، وجعفر الخياط في جمع كثير إلى رأس نهر كبير ، وأمرها بحفر خندق آخر هناك . فسارا حتى احتفراه .

فلما فرغا وافاها الأفشين ، ثم خلف في موضعه محمد بن خالد بخارا خذاه ، وشخص إلى درود^(٣) في خمسة آلاف فارس وألفي راجل ، ومعه ألف رجل من الفعلة حتى نزل درود ، واحتفر بها خندقا عظيما وبني عليها سورا شاهقا ، فكان بابك وأصحابه يقفون على جبال شاهقة ، فيشرفون منها على العسكر ، ويولولون .

ثم ركب الأفشين يوم الثلاثاء لثلاث بقين من شعبان في تعبئة ، وحمل المجانيق ، وأمر بابك أذن أن يحصن تلامشرفا على المدينة ، ومعه ثلاثة آلاف رجل ، وقد كان احتفر حوله الآبار ليمنع الخيل منهم .

فانصرف الأفشين يوما إلى خندقه ، ثم غدا عليه يوم الجمعة في غرة شهر رمضان ،

(١) بلد من بلاد إرمينية .

(٢) في الأصل يوباره .

(٣) كذا في الأصل ، والصواب « درود » ، مكان في ثغر أذربيجان .

فُنصب المجانيق والمِرَّادات^(١) على المدينة ، وأُحدقت القواد والرؤساء .

وأقبل بابك في أنجاد أصحابه ، وعبَّاهم ، فقاتله^(٢) القواد قتالا شديدا إلى العصر ،
ثم انصرفوا ، وقد نكَّوا في أصحابه .

وأقام الأفشين ستة أيام ، ثم ناهضه يوم الخميس لسبع ليال خلون من
شهر رمضان ، واستمد له بابك ، فوضع على البذَّ عَجَلا عظيما ليرسله إلى أصحاب
الأفشين .

ثم أرسل بابك رجلا يقال له «موسى الأقطع» إلى الأفشين، يسأله أن يخرج إليه
ليشافه بما نفسه ، فإن صار إلى مراده وإلا حاربَه ، فأجابه الأفشين إلى ذلك ، فخرج
بابك حتى صار بالقرب من الأفشين في موضع بينهما واد .

فلما رأى الأفشين كفرَ له ، فبسطه الأفشين ، وأعلمه ما في الطاعة من السلامة
في الدنيا والآخرة ، فلم يقبل ذلك .

فانصرف إلى موضعه ، وأمر أصحابه بالحرب ، فقتلوا إلى ذلك ، ودهدوها^(٣)
العَجَل الذي كانوا أعدوه ، فانكسر العجل ، وثاب أصحاب الأفشين ، فدفعوهم إلى
رأس الجبل .

وقد كان يوباره وجعفر الخياط وقفا بجذاه عبد الله أخى بابك ، فحملا ، وحمل
عليهم القواد من جميع النواحي ، فقتلوا قتلا ذريعا ، وانهزموا حتى دخلوا المدينة ،
فدخلوا خلفهم في طلبهم ، وصارت الحرب في ميدان وسط المدينة .

وكانت حربا لم يُرَ مثلها شدة ، وقتلوا في الدور والبساتين ، وهرب عبيد الله
أخو بابك .

فلما رأى بابك أن المساكر قد أُحدقت به ، والمذاهب قد ضاقت عليه ، وأن
أصحابه قد قتلوا وفُتُّوا توجه إلى أرمينية ، وسار حتى عبر نهر الرّس متوجها إلى الروم .
فلما عبر نهر الرّس قصد نحوه سهل بن سُنْباط صاحب الناحية ، وقد كان

(١) جمع عرادة وهي آلة للحرب أصغر من المنجنيق .

(٢) في الأصل فقاتلوه القواد . (٣) دهده : دحرج .

الأفشين كتب إلى أصحاب تلك النواحي ، وإلى الأكراد بأرمينية ، والبطارقة بأخذ الطريق عليه .

فوافاه سهل بن سنباط ، وقد كان بابك غير لباسه ، وبدل زيّه ، وشدة الخرق على رجله ، وركب بغلة ياكاف^(١) ، فأوقع به سهل بن سنباط ، فأخذه أسيراً . ووجه به إلى الأفشين ، فاستوثق منه الأفشين ، وكتب إلى المعتصم بالفتح ، واستأذنه في القدوم عليه ، فأذن له ، فسار حتى قدم عليه ، ومعه بابك وأخوه ، فكان من قتل المعتصم لبابك وقطع يديه ورجليه وصلبه ما هو مشهور . قالوا : ولما قدم الأفشين ومعه بابك أجلسه المعتصم على سرير أمامه ، وعقد التاج على رأسه .

وفي ذلك يقول إسحق بن خلف الشاعر في قصيدته التي مدح فيها المعتصم بالله :
 مَا غَبَتَ عَنْ حَرْبٍ تَحَرَّقَ نَارُهَا بِالْبَدِّ كُنْتَ هُنَا وَأَنْتَ هُنَاكَ
 عَزَّتْ بِأَفْشِينَ حُسَامِكَ أُمَّةٌ وَالْدِّينُ مُمْتَسِكٌ بِهِ اسْتِمْسَاكَ
 لَمَّا أَتَاكَ بِبَابِكَ تَوَجَّهَتْ وَأَحَقُّ مَنْ أَضْحَى لَهُ تَاجًا كَا
 ثم إن أحمد بن أبي داود وجد على الأفشين لكلام بلغه عنه ، فأشار على المعتصم أن يجعل الجيش نصفين نصفاً مع الأفشين ، ونصفاً مع أشناس ، ففعل المعتصم ذلك .

فوجد الأفشين منه ، وطال حزنه ، واشتد حقه .

فقال أحمد بن أبي داود للمعتصم : يا أمير المؤمنين إن أبا جعفر المنصور استشار أنصح الناس عنده في أمر أبي مسلم ، فكان من جوابه أن قال « يا أمير المؤمنين إن الله تعالى يقول « لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا » فقال له المنصور :
 « حسبك » ؛ ثم قتل أبا مسلم .

(١) الإكاف : بردعة الحمار .

فقال له المعتصم : « أنت أيضا حسبك يا أبا عبد الله » ، ثم وجه إلى الأفسين ،
فقتله .

وزعموا ، أنهم كشفوا عنه فوجدوه غير مختون .

ومات المعتصم بالله يوم الخميس لإحدى عشرة ليلة بقيت من شهر ربيع الأول
سنة سبع وعشرين ومائتين^(١) ، وصلى عليه أبو عبد الله أحمد بن أبي داود ، وكان
المعتصم أوصى إليه بالصلاة عليه ، وكانت ولايته ثمانى سنين وثمانية أشهر وسبعة
عشر يوما ، وكان قد بلغ من السن تسعا وثلاثين سنة .

وهذا آخر كتاب الأخبار الطوال على ما جمعه أبو حنيفة أحمد بن داود
الدينورى رحمه الله تعالى ورضي عنه .



صواب أخطاء الطبع

الصفحة	السطر	الصواب	الصفحة	السطر	الصواب
١٤	١٦	هلاك	٢٠٨	١٣	« قل تماالوا
٢٥	١	زرادشت	٢١٠	٢٤	ذراعه
٢٦	٢٠	إيراخت	٢١٢	٣	قلائدّها
٤٥	١٥	قصبة الأهواز	٢٢٨	١٢	كُدّين
٥٥	١١	أصبهيد	٢٢٩	٢٢	عروة
٦٢	٨	ذمار	٢٣٠	١٩	وما ناله من الجهد
٦٦	٢٢	أبرقباد	٢٣٣	٦	هانيء بن عروة
٦٧	١	الجزيرة	٢٣٤	٢٢	والفشل
٦٨	٦	هرمزد	٢٣٥	١	لقتله
٦٩	١١	خزين	٢٤٤	١٦	الحسين
٦٩	١٦	والدخول	٢٥٦	٨	عروة
٨٣	١٧	ابن عم له	٢٦٦	٩	أنى
١٠٣	٤	البر	٢٧٣	٤	نِسلّى
١٠٦	٧	بوذ	٣٠٦	١٢	كُسْكَر
١٣٦	١١	يستنزل	٣١٩	٩	إلى عبد الرحمن
١٤١	٢١	فلم ير فيه شيئاً	٣٣٧	٢١	أبو مسلم
١٥٥	٨	هم قتلوا شيخكم	٣٤٤	٤	شق بن صعب
١٧٢	٢٠	ابن يزيد	٣٥٩	٥	مستخفيين
١٧٣	٥	جحل بن أثال	٣٦٥	٢٥	٢٥
			٣٩١	١	لابنه القاسم

الفهارس

١ — فهرس الموضوعات

صفحة	صفحة	صفحة
١٧	١	أولاد آدم
١٩	١	إدريس ونوح
٢٠	٢	اختلاف ألسنة الناس
٢٢	٣	الساميون
٢٢	٤	الضحاك بن علوان
٢٣	٥	الرسول هود بن خالد
٢٣	٦	نمرود بن كنعان
٢٥	٧	قحطان وأولاده
٢٦	٧	ثمود
٢٦	٨	الرسول إبراهيم بن آزر
٢٧	٨	هجرة جرم والمتمر
٢٨	٩	نمرود وأولاده
٢٨	٩	إسماعيل بن إبراهيم وأولاده
٢٨	٩	غلبة جرم على الحرم
٢٩	١٠	بنو قحطان
٢٩	١٠	نهاية ملك منوشهر
٣٠	١٠	خبر زاب بن بودكان
٣٢	١١	كيقباز بن زاب ملك بابل
٣٣	١٢	أبرهة بن اللطاط ملك اليمن
٣٣	١٣	ككاوس بن كيقباز ملك العجم
٣٤	١٣	ملك كيخسرو
٣٥	١٤	إفريقيس بن أبرهة واليمن
٣٧		ملك ابن إفريقيس وهلاك طسم
٣٨	١٤	وجدیس
٣٩	١٦	ملك القند ذى الإذعار
٣٩	١٦	هجرة ربيعة إلى اليمامة والبحرين
		داود الملك
		ملك بلقيس
		ملك سليمان
		أرخيم بن سليمان
		انقسام امبراطورية سليمان
		هدم مدينة إيليا
		ملك المعجم واليمن
		زرادشت ودعوته
		ملك اليمن
		ملك المعجم
		خمانى زوج بهمن
		دارا بن بهمن
		ملك تبس بن أبى مالك
		دارا والروم
		ملك داريوش
		نشأة الإسكندر
		غاية الإسكندر
		دارا والإسكندر
		فتوح الإسكندر
		خبر الإسكندر فى مكة
		خبر الإسكندر فى بلاد المغرب
		خبر الإسكندر وبلاد الشرق الأقصى
		يأجوج ومأجوج
		ملوك الطوائف
		نهاية الإسكندر
		ملوك اليمن

صفحة		صفحة	
٦٧	كسرى أنوشروان	٤٠	ملك أردوان بن أشه
٦٨	دولتنا الروم والفرس في عهد كسرى	٤١	خبر أسعد بن عمرو
٧١	الخراج في عهد كسرى	٤١	بعثة الرسول عليه السلام
٧٤	التاريخ الفارسي والتاريخ النبوي	٤٢	أردشير بن بابك
٧٤	ملك هرمزد	٤٥	ملك الموصل وجرجيس
٨٤	تولية كسرى أبرويز	٤٥	ملك كركب ملك اليمن
١٠٦	حرب أبرويز مع الروم	٤٦	ملك التباينة
١٠٧	تولية شيرويه بن أبرويز	٤٦	سابور
١٠٧	بين الأب والابن	٤٧	خبر ماني الزنديق
١١٠	تولية شيرزاد بن شيرويه	٤٧	هرمز بن سابور والزنديق ماني
١١١	حروب العرب مع المعجم	٤٧	أولاد هرمز
	الفتوحات الإسلامية في عهد عمر	٤٨	سابور ذو الأكتاف
١١٣	ابن الخطاب	٤٩	الروم وسابور
١١٩	وقعة القادسية	٥١	خبر بهرام ويزدجرد ابني سابور
١٢٧	وقعة جلولاء	٥٢	مقتل عمرو بن تبّع
١٣٠	يوم مدينة تستر	٥٢	صهبان والمدنانيون بتهامة
١٣٣	وقعة نهاوند	٥٤	ملوك اليمن والحيرة
١٣٩	ولاية عثمان بن عفان	٥٥	عمرو بن عدي
١٣٩	الفتوحات في عهد عثمان	٥٦	ملك بهرام جور
١٤٠	بيعة علي بن أبي طالب		خبر يزدجرد بن بهرام ، ونزاعه
١٤٤	وقعة الجمل	٥٨	مع أخيه فيروز
١٥٥	وقعة صفين	٦١	ذو نواس واليمن
١٧٨	مقتل عبيد الله بن عمر بن الخطاب	٦٢	الحبش واليمن
١٧٩	مقتل ذي الكلاع	٦٣	الحبشان والكعبة
١٨٣	مقتل هاشم بن عتبة بن أبي وقاص	٦٣	سيف بن ذي يزن
	المرقال	٦٤	الفرس واليمن
١٨٥	مقتل حوشب ذي ظليم	٦٥	الديانة المزدكية

صفحة	صفحة	صفحة
٢٦٩	الخوارج	١٩٤ وثيقة التحكيم
٢٧١	حروب المهاب مع الخوارج	١٩٦ الخلاف بعد التحكيم
٣٠٦	قتل المختار	١٩٩ مداولة الحكمين
٣٠٩	سلطان عبد الله بن الزبير	٢٠٠ إعلان الحكم
٣١١	خضوع العراق لجند الشام	٢٠٢ مبايعة معاوية
٣١٤	مقتل عبد الله بن الزبير	٢٠٢ فتنة الخوارج
٣١٦	سك النقود العربية	٢٠٩ قتال الخوارج
٣١٦	ابن الأشعث وفتنته	٢١١ نهاية علي بن أبي طالب
٣٢٤	نهاية عبد الملك بن مروان	٢١٣ مقتل علي بن أبي طالب
٣٢٦	الوليد بن عبد الملك	٢١٥ قتل ابن ملجم
٣٢٦	إصلاح الحرم النبوي	٢١٥ محاولة قتل معاوية بن أبي سفيان
٣٢٧	فتح بخارى وسمرقند	٢١٥ محاولة قتل عمرو بن العاص
٣٢٨	موت الحجاج بن يوسف	٢١٦ مبايعة الحسن بن علي
٣٢٩	سليمان بن عبد الملك	٢١٦ زحف جيوش معاوية
٣٣١	عمر بن عبد العزيز	٢١٨ مبايعة معاوية بالخلافة
٣٣٢	يزيد بن عبد الملك	٢١٩ زياد بن أبيه
٣٣٢	ظهور الدعوة إلى العباسيين	٢٢١ موت الحسن بن علي
٣٣٥	هشام بن عبد الملك	٢٢٢ بين معاوية وعمرو بن العاص
٣٣٧	أبو مسلم الخراساني	٢٢٥ موت معاوية
٣٣٩	وفاة الإمام محمد بن علي	٢٢٧ مبايعة يزيد
٣٤٥	وقعة بين خالد وهشام	٢٢٩ أهل الكوفة والحسين
٣٤٧	الوليد بن يزيد	٢٣١ مسلم بن عقيل في الكوفة
٣٤٩	يزيد بن الوليد	٢٤٠ قتل مسلم بن عقيل
٣٥٠	إبراهيم بن الوليد	خروج الحسين بن علي بن أبي طالب
٣٥١	مروان بن محمد	إلى الكوفة
٣٦٠	ظهور دعوة أبي مسلم	نهاية الحسين
٣٦٦	نهاية بني أمية	٢٦٢ عبد الله بن الزبير

صفحة	صفحة	
٣٨٦	٣٧٠	مبايعة أبي العباس
٣٨٦	٣٧٨	أبو جعفر المنصور
٣٨٧	٣٨٠	قتل أبي مسلم الخراساني
٣٩٢	٣٨٣	مدينة بغداد
٤٠٠	٣٨٤	الراوندية
٤٠١	٣٨٥	موت أبي جعفر المنصور
		تولية محمد المهدي
		ولاية موسى الهادي
		خلافة هرون الرشيد
		تولية محمد الأمين
		الخليفة عبد الله المأمون
		ولاية محمد المعتصم



ب - فهرس الأعلام

(أ)

ابن الأشتر = إبراهيم بن الأشتر	أبجر بن جابر المجلى ٦: ٢١٤
ابن الأشعث = عبد الرحمن بن محمد	إبراهيم النبي بن آزر بن تارخ ١: ٨
ابن الأشعث = محمد بن الأشعث بن عبد الرحمن	إبراهيم بن الأشتر أبو النعمان ٤: ٢٨٩
ابن الأشعث = محمد بن الأشعث بن قيس	١٦: ٢٩١، ٤: ٢٩٣، ٣: ٢٩٤، ٧: ٢٩٤
ابن الأقطع = نصر بن سيار	١٩: ٢٩٥، ١٣: ٢١، ٢٩٦: ١٧، ٣٠٩: ١٠، ٣١٢: ١٨: ١، ٢١: ٣١٣، ٦: ٣١٣
ابن آكلة الأكباد = معاوية	إبراهيم بن عبد الله بن الحسن بن الحسن ١٢: ٣٨٥
ابن بديل = عبد الله بن بديل بن ورقاء	إبراهيم بن عقيل ٢٢: ١٦: ٣٧٤
الخزاعي	إبراهيم بن الإمام محمد بن علي بن عبد الله
ابن جبير = سعيد بن جبير	ابن عباس ٣٣٩: ٢: ٣٤٣، ٣: ٣٥٧، ١٩: ٣٥٨
ابن جعفر = عبد الله بن جعفر	١٧: ٣٥٨
ابن حسان البكري ١: ٢١٢	إبراهيم بن محمد بن يحيى بن محمد بن علي بن عبد الله
ابن الحنفية = محمد بن علي بن أبي طالب	ابن العباس ٣٨٥: ١٧
ابن خزيمة الخثمي ١٨: ٣١٤	إبراهيم بن الوليد ١٢: ٣٥٠، ٥: ٣٥١، ٦: ٥
ابن الحمار = يوسف بن عمر	أرسام ٤٣: ٥
ابن خنيس = محمد بن خنيس	أبرهة الأشرم أبو يكسوم ١١: ١١: ١٥
ابن ربيعة = عبيد الله بن أسلم بن ربيعة	أبرهة بن الصباح ١٧: ١٩٩
ابن الزبير = عبد الله بن الزبير	أبرهة بن اللطاط (ذو المنار) ١١: ١٢
ابن زياد = عبيد الله بن زياد	أبريز = كسرى أبريز ٢: ٧٨
ابن الشرية ٧: ١٣	أريان الوزير ٣: ١٤
ابن صبيح = إسماعيل بن صبيح	أبضعة العقنقير ٣٩: ١٨، ٤٠: ٣
ابن صفية = الزبير	ابن أبي أوفى العبسي = شريح
ابن عامر = عبد الله بن عامر بن كريز	ابن أبي حذيفة = محمد بن أبي حذيفة
ابن عباس = عبد الله بن عباس	ابن أبي طالب = علي بن أبي طالب
ابن عبيس = مسلم بن عبيس القرشي	
ابن عثمان بن عفان = عمرو بن عثمان	

أبو أمامة الباهلي ١٧٠ : ١٠ ، ٣٢٨ : ١٨
 أبو أيوب الأنصاري ٢٠٧ : ١١ ، ٢١٠ : ٢
 أبو بردة بن أبي موسى ٢ : ٢٢٤
 أبو بشر بن عمر الأنصاري ١٩٦ : ٣
 أبو بكر = عبد الله بن الزبير
 أبو بكر الصديق ١٨ : ١١ ، ١١١ : ١٩ ،
 ١١٢ : ١٨
 أبو بكر العقيلي ٣٧٤ : ٩
 أبو بكر بن الحسن بن علي ٢٢٨ : ١٥ ،
 ٢٥٧ : ٨
 أبو بكر بن سليمان بن أبي حشمة ٣٢٦ : ٧
 أبو بكر بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام
 ٣٢٦ : ٦
 أبو تمام الشاعر ٤٠٣ : ٢
 أبو ثمامة الصيداوي ٢٣٨ : ١٦
 أبو ثور = عمر وأبو ثور
 أبو جعفر = المنصور بالله
 أبو الجهم بن حذيفة ١٩٨ : ٤
 أبو الحسن = علي بن أبي طالب
 أبو حمزة = أنس بن مالك
 أبو حنيفة = أحمد بن داود الدينوري
 أبو خالد = يزيد بن عمر بن هبيرة
 أبو خلف = جعفر بن حنظلة
 أبو الدرداء ١٧٠ : ١٠
 أبو زرعة بن عمرو البجلي ١٦١ : ١٦

ابن عمارة ٢٧١ : ٤
 ابن عضاء = عبد الله بن عضاء
 ابن عفان = عثمان بن عفان
 ابن عقبة = مسلم بن عقبة
 ابن عقيل = مسلم بن عقيل
 ابن القرية = أيوب بن القرية
 ابن قيس = الحارث
 ابن الكواء = عبد الله بن الكواء
 ابن الكيس النمرى ٧ : ١٠
 ابن مالك البكراوي ٢٩٢ : ١٠
 ابن مجالد ٣٨٤ : ١٥
 ابن مرجانة = عبيد الله بن زياد
 ابن معمر = عثمان بن معمر
 ابن مطيع = عبد الله بن مطيع
 ابن المقفع ٦ : ١٦
 ابن ملجم = عبد الرحمن بن ملجم
 ابن هبيرة = يزيد بن عمر بن هبيرة
 ابن هند = معاوية بن سفيان
 ابن يوسف = الحجاج
 أبو إسحاق محمد بن هرون = المعتصم بالله
 أبو إسحاق المختار = المختار بن أبي عبيد
 أبو الأسود الدبلي ١٦٦ : ١ ، ٢٠٥ : ٢٠
 أبو الأعور السلمي ١٦٧ : ١٢ ، ١٦٨ : ٣ ،
 ١٧٤ : ١١ ، ١٧٦ : ١ ، ١٨٠ : ١٨٩ ، ٥ :
 ١٣ ، ١٩٦ : ٨ ، ١٩٧ : ١٦

- أبو سعيد بن ربيعة الأنصاري ١٩٦ : ٢
أبو سعيد الخدري = سعد بن مالك
أبو سفيان ٢١٩ : ١٥ : ١٦
أبو سلمة الخلال ٣٣٤ : ٧ ، ٣٣٩ : ٥ ،
٣٥٨ : ١٩ ، ٣٦٨ : ١ ، ٣٧٠ : ١٢ : ١٦
أبو صرمة = الطفيل
أبو العباس = سهل بن سعد الساعدي
أبو العباس عبد الله بن محمد بن علي السفاح ٣٥٨ :
١٧ ، ٣٥٩ ، ١٢ ، ١٦ ، ٣٦٢ ، ٤ ،
٣٧٠ : ٢٠ ، ٣٧٣ : ١٩ ، ٣٧٥ : ٢٣ ،
٣٧٦ : ٩ : ٢٠ ، ٣٧٧ : ١١ : ١٦ ،
٣٧٨ : ١٨
أبو العباس الطوسي ٣٨٧ : ٤
أبو عبد الله = أحمد بن أبي داود
أبو عبد الله = الحسين بن علي بن أبي طالب
أبو عبد الله = رافع بن الخديج
أبو عبد الله = الزبير
أبو عبد الله = سعيد بن جبير
أبو عبد الله = عمرو بن العاص
أبو عبيد بن مسعود الثقفي وهو أبو المختار
١١٣ : ٣
أبو عبيدة بن الجراح ١١٢ : ٨ ، ١٢٠ : ١١
أبو عثمان حاجب بن هيرة ٣٧٤ : ٢٠
أبو عكرمة السراج ٣٣٢ : ٩
أبو عمرة كيسان ٢٨٩ : ٢ : ٢٩٠ : ٥ ،
٢٩٨ : ١
أبو عمرو = عثمان بن عفان
أبو فلان بن عبد الله ٣٨١ : ١
أبو قتادة ٢١٠ : ٣
أبو القلوص الشبامي ٣٠١ : ٦
أبو كرب = شمر
أبو مالك بن شمر ٢٨ : ٧
أبو محجن الثقفي ١١٣ : ١٤ ، ١٢١ : ٢٠ ،
١٢٢ : ١٤
أبو محمد = الحسن بن علي
أبو محمد بن سيرين ١١٢ : ١٤
أبو مريم السلوي ٢١٩ : ١٥
أبو مسعود الأنصاري ١٦٥ : ١٨
أبو مسلم الخولاني ١٦٢ : ٣ : ٩ : ٢١ ،
١٦٣ : ٦
أبو مسلم صاحب الدعوة للعباسيين ٣٣٧ : ٤ :
٢١ ، ٣٤٣ : ٣ : ٨ ، ٣٥٩ : ٨ : ١٨
٣٦٢ : ٧ : ٢٢ ، ٣٦٤ : ١ ، ٣٧٠ :
١٥ ، ٣٧٦ : ١ : ٤ ، ٣٧٧ : ٥ : ١٠ :
١٨ ، ٣٧٨ : ٤ : ٢١ ، ٣٧٩ : ١ : ٩ :
١٥ : ٢١ ، ٣٨٠ : ١٢ : ١٨ ، ٣٨١ :
١٢ ، ٣٨٢ : ١ : ٥ : ٧ : ١١ : ٢٣ ،
٣٨٤ : ٣
أبو المرس ٣٤٥ : ٢
أبو المغلس = عمير بن الحباب
أبو موسى الأشعري عبد الله بن قيس ١١٨ :
١٥ ، ١٣٩ : ٦ ، ١٤٥ : ٨ ، ١٩٢ : ١٠ ،
١٩٣ : ٨ ، ١٩٩ : ٢ : ٩ : ١٦ ، ٢٠٠ :
٣ : ٧ : ٢٢ ، ٢٠١ : ٣ : ١٢ : ١٩

- أرجاسف ٧٩ : ١٩
 أرخبم بن سليمان ٢٢ : ١٧ ، ٢٣ : ١١
 أردشير بن بابكان وهو أردشير بن بابك
 ابن ساسان الأصغر بن فافك بن مهر يس
 ابن ساسان الأكبر بن بهمن الملك ابن اسفندياذ
 ابن بشتاسف ٤٢ : ١ ، ٤٥ : ١٠ ، ٨٢ : ١٧
 أردوان بن أشه بن أشفان ٤٠ : ١٤
 أرسطاطاليس ٣٠ : ١٦ ، ٣٨ : ٦
 أرسناس ١١ : ٦ ، ٨٨ : ٦
 أرطاة بن عبد الله النخعي ١٢٢ : ١١
 أرغشذ بن سام بن نوح ١ : ١٥ ، ٢ : ٢ ،
 ٣ : ٢ ، ٧ : ١
 إرم بن سام ٣ : ٢ ، ١٤ : ١٤ ، ١٥ : ١
 أرميايل ٥ : ٢
 أرمين بن نورج بن سام ٣ : ١٢
 أروى بنت أم حكيم بن عبد المطلب بن هاشم
 ١٣٩ : ٥
 أرياط ٦٢ : ٦ ، ٧ : ١٤
 الأزارقة ٣٠٤ : ١٦ ، ٣٤٠ : ١٧
 الأزد ١٢٢ : ١١ ، ١٤٦ : ١٣ ، ٢١ :
 ١٤٩ : ١٠ ، ١٧٢ : ٣ ، ٢٥٩ : ١٥ ،
 ٢٨٧ : ٦ ، ٢٩٩ : ٢٣ ، ٣٥٢ : ٢٠
 آزر بن تارخ ٦ : ١٨ ، ٨ : ٦
 آزر ميدخت ١١٩ : ٤
 أسامة بن زيد ١٤٣ : ٧
 إسحاق بن خلف ٤٠٥ : ١٠
 إسحاق بن الفضل الهاشمي ٣٧٦ : ٢
- أبو اليلاء الربي = يحيى بن نعيم ٣٤٠ : ٢٣ ،
 ٣٥٤ : ١٩
 أبو النعمان = إبراهيم بن الأشر
 أبو هرون العبدى ٢٦٨ : ١٩
 أبو هاشم = إسماعيل بن عبد الله القسرى
 أبو هاشم = بكير بن ماهان
 أبو الهذيل = محمد بن الهذيل العلاف
 أبو هنيذة القيني ٢٢٤ : ٢
 أبو الهيثم = خالد بن عبد الله القسرى
 أثال أبو جحل ١٧٣ : ٧
 أحمد بن أبي داود أبو عبد الله ٤٠٥ : ١٨ ، ٤٠٦ : ٥
 أحمد بن أبي داود الدينورى أبو حنيفة ٤٠٦ : ٩
 أحمز بن بكير ٢٤١ : ٢٢
 أحمز بن سليط ٢٨٩ : ١ ، ٣٠٥ : ١٠
 أحمز طي ٢٩٧ : ١٥
 الأحنف بن قيس ١٤٨ : ١١ ، ١٦٥ : ٢٢ ،
 ١٧١ : ٢٠ ، ١٩٣ : ٩ ، ١٩٤ : ١٠ ،
 ٢٣١ : ١٩ ، ٢٧١ : ١٢ ، ٢٨٧ : ١٠ ،
 ٣٠٦ : ١
 الأحوص بن جعفر العاصري ٥٣ : ٧
 أخشوان خاقان ٦٠ : ٦ ، ١٣ : ١٣
 أخنوخ بن يرد بن مهليل = إدريس ١ : ٩
 إدريس ١ : ١٠
 آدم عليه السلام ١ : ٣ ، ٥ : ١٥ ، ١٨ :
 ١٨
 آذين ٤٠٣ : ١٩
 أربد الفزارى ١٦٤ : ١٠

الأشتر بن الحارث النخعي ١٢٠: ٤، ١٤٣:
١٤٧، ٩: ١٠، ١٤٩: ١٢، ١٥٠:
١٠: ١٨، ١٥٦: ١٧، ١٦١: ٧،
١٦٤: ٨، ٢٠: ١٣، ١٦٧: ١٣، ١٧٢: ٦،
١٧٧: ١٤، ١٨٢: ١٥، ١٩٠: ١٧

١٩، ١٩٥: ٢٤

الأشتر بن عوف ١٣١: ٨

الأشعث بن قيس ٥٢: ١٥، ١٢٠: ١٤،
١٢٢: ١٩، ١٣٤: ١٢، ١٥٦: ١١،
١٦٩: ١، ١٧١: ١٦، ١٧٤: ٧،
١٨٨: ٢١، ١٩٠: ٥، ١٩٥: ٢٤

١٩٦: ٢٠، ٢١١: ٦، ٢٢٤: ١١

الأشعث بن القيني ٣٤٧: ٧

الأشعرون = الأشعريون ١٤٦: ٩

الأشعري = أبو موسى

الأشغانيون ١٢: ٢

أشناس ٤٠٥: ١٥

الأصمعي ٣٨٨: ٥، ٣٨٩: ٩

الأعشى الشاعر ١٦: ٤

أعشى همدان ٣٠٦: ٥

أعين بن ضبيعة ١٥١: ١، ١٧٢: ٢

إفريقيش بن أبرهة ١٢: ١٦، ١٤: ١٠، ١٧:

الأفشين حيدر بن كاوس ٤٠٣: ٦، ١٤: ٢١،

٤٠٥: ٨، ٤٠٦: ١

إقليدس ٤٠١: ٣

الأقيشر الأسدي ٣١٤: ١١

الأكراد ٥: ٥، ١٣: ١٦، ٢٧: ١٢

إليريانوس ٤٦: ٢١، ٤٩: ١٧

إسحاق بن محمد بن الأشعث ٢٨٠: ٧

أسد (بنو) ٥٢: ١٨، ١٧١: ١٨، ٢٣٨:

١٦، ٢٥٩: ١٤

أسد بن عبد الله القسري ٢٨١: ٢، ٣٣٤:

١٥، ٣٣٥: ٣

الأسدي = الجراح بن قبيصة

إسرائيل (بنو) ١٧: ١٨، ١٨: ٢، ٧:

٢٢: ١٨، ٢٣: ١٦، ٢٦: ١٩، ٤١: ٢٠

أسعد بن عمرو بن ربيعة بن مالك بن صبح

ابن عبد الله بن زيد بن ياسر ينعم ملك اليمن

٤١: ٢

أسفندياذ ٢٥: ١١، ٢٦: ٣، ٧٩: ١٩

الإسكندر بن الفيلفوس الرومي ٤: ١٠،

١٩: ١٢، ٢٦: ١٣، ٢٨: ١٦، ٢٩:

١٢، ٣٠: ١٣، ٣١: ١، ٣٣: ١٨، ٦:

٣٤: ١٥، ٣٩: ٢

أسلم بن ربيعة ٢٦٩: ١٤

أسماء بن خارجة الفزاري ٢٣٦: ١٨، ٣٠٣: ١٤

أسماء بنت أبي بكر ٢٦٤: ٢

إسماعيل بن إبراهيم ٩: ١٦

إسماعيل بن زفر ٢٩٦: ١٨

إسماعيل بن صبيح ٣٩٣: ١٧، ٣٩٤: ٢، ١١:

إسماعيل بن عبد الله القسري أبو هاشم ٣٦٥:

٨: ١٨

إسماعيل بن علي بن عبد الله بن عباس ٣٥٨: ١٨

الأسود بن غفار ١٥: ١١، ٥:

الأسود بن سام ٣: ٣، ١٥: ١١

أسيد بن عبد الله ٣٦١: ١

- أم البنين العامرية من آل الوحيد ٢٥٧ : ١١
 أم ثابت ابنة سمرة بن جندب امرأة المختار
 ٣٠٩ : ١٩
 أم جعفر = زبيدة امرأة الرشيد
 أم حبيبة زوج النبي ١٩٩ : ١٥
 أم خالد بنت هاشم بن عتبة زوجة يزيد بن
 معاوية ٢٨٥ : ١٧
 أم سلمة زوج النبي ٢٦٥ : ١٦
 أم سلمة ابنة عمرو الجمحي امرأة عبيد الله بن
 الحر الجمحي ٢٩٧ : ٧ ، ٢٩٨ : ٤
 أم سنان الصيداوية ٢٠٧ : ٣
 أم كلثوم ابنة علي ٢١٤ : ١٩ ، ٢٢٨ : ١٥
 أم هاني ١٧٣ : ٢١
 آمنة بنت علي بن عبد الله ٢٨١ : ٢٢
 أميمة ١٢٤ : ١٧
 الأمين محمد بن هرون الرشيد ٣٩٢ : ١٨ ، ٣٩٣ : ٧
 ٣٩٤ : ١٧ ، ٣٩٦ : ٨ ، ٣٩٨ : ١٥
 ٣٩٩ : ١٠
 أمية بن أبي الصلت ٣٢٥ : ١٥
 أمية بنو ٣٤٠ : ٢٠
 أنس بن الشيخ بن النعمان ١١٨ : ٤
 أنس بن مالك أبو حمزة ١١٨ : ١٩ ، ١٣٠ : ١٥
 ٣٢٣ : ١٤ ، ٣٢٨ : ١٦
 أنس بن هلال ١١٤ : ٨
 الأنصار ١٤٦ : ١٥ ، ١٤٧ : ٥ ، ٢٣٨ : ١٧
 ٢٦٥ : ٥
 أنوش زاذ ٦٩ : ١٥ ، ٧٠ : ٣ ، ١٦ : ٢٠
 ٧١ : ١
 أنوشروان = كسرى أنوشروان ٦٧ : ١٢
 ٧٤ : ٢ ، ١٠٩ : ١٧
 أود (بنو) ٣٥٨ : ٢١
 أوس بن حجر ١٨٥ : ٥
 أوفى بن عنق الحية ٥٢ : ٢٠
 إلياس بن قبيصة الطائي ٩١ : ٩ ، ١٠٨ : ١٢
 إلياس بن نضار المجلي ٢٩٠ : ١٥
 إيراخت بنت سامال بن أرخبم بن سليمان
 ابن داود ٢٦ : ٢٠
 إيران = أرغشذ
 أيرج ٩ : ٩
 أيمن بن خريم الأسدي ١٩٣ : ١٦
 أيوب بن القرية ٣١٨ : ٩ ، ٣٢١ : ١ ، ٧ : ٧
 ٣٢٢ : ١٧ ، ٣٢٣ : ١ : ٨
 (ب)
 بابك ٧٢ : ٧٣ ، ٢٠ : ٤ ، ٤٠٢ : ٢ ، ٤٠٤ : ٤
 ٧ : ٥
 بابك بن النهروان ٧٢ : ٨
 باد بن فيروز ٨٦ : ١٨
 بادان ٦٤ : ١٨
 بجيلة ١١٥ : ١ ، ١٢٢ : ١١ ، ١٤٦ : ١٤ ،
 ١٧٢ : ١ ، ٢٩٩ : ٢٣
 بخت نصر بن كاجار بن كيانه بن كيقباز
 ٢١ : ٨ ، ٢٢ : ١٨ ، ٢٣ : ١٠ : ١٢ :
 ١٥ ، ٢٦ : ١٩ ، ٤١ : ٢٠
 البراء بن مالك ١١٨ : ٢٠ ، ١٣٠ : ١٤
 برايان = أبريان ١٣ : ١٣
 برزند المرزبان مولى المعتصم ٤٠٣ : ١١
 بزرجمهر بن البختكان ٧٢ : ٥
 بسر بن أبي أرطاة القرشي العامري ١٥٩ : ١٥
 ١٦٧ : ١٧ ، ١٧٢ : ١٥ ، ١٩٦ : ٨
 بسر بن يزيد الحميري ١٩٦ : ١٣

جرير بن يزيد بن عبد الله ٣٧٩ : ٢٢
جشنساذريش ٥٥ : ١٣
جعد العنزي ١٩٦ : ٢٢
جمدة بن هيرة بن أبي وهب القرشي ١٧٣ :
١٤ ، ٢٢١ : ١٨
جعفر بن حنظلة البهراني ٣٣٩ : ١٧ ، ٣٤٢ : ١٣
جعفر الخياط ٤٠٣ : ١٢
جعفر بن دينار ٤٠٣ : ٨ ، ٤٠٤ : ١٥
جعفر بن علي (بن أبي طالب) ٢٢٨ : ١٥ ،
٢٥٧ : ١٠ : ١٦
جعفر بن يحيى البرمكي ٣٩١ : ٨
جعفر الكردي ٤٠٢ : ٤
جهم بن ويو نجهان بن إيران ١ : ١٥ ، ٢ :
١٩ : ٣ ، ٥
جندب بن زهير الأزدي ١٤٦ : ١٧ ، ١٧٢ :
٤ ، ١٨٥ : ٢٠
الجنيد بن عبد الرحمن ٣٣٣ : ٢١ ، ٣٣٥ :
٣ : ١٥ ، ٣٣٦ : ١ ، ٣٣٧ : ١
جهور بن مراد المجلي ٣٦٤ : ٥
جوان شير بن كسرى ١١١ : ٦
جودرز ٧٩ : ٢١ ، ٨٨ : ٩
جودرز كاتب الجند ٥٥ : ١٢
جيلوس ١٢٣ : ١٦

(ح)

حابس بن ربيعة ١٧٢ : ١٨
حابس بن سعد الطائي ١٧١ : ٦
حابس بن سعد ١٥٩ : ١٦
حاتم بن النعمان الباهلي ٢٩٦ : ١٨

ثقيف ٢١٩ : ٢ ، ٢٥٩ : ١٦
ثمالة بن حوشب ١٩٦ : ١٦
ثمود ٣ : ٤ ، ٧ : ١٦
ثوير بن عامر ١٦١ : ١٨
ثيادوس (بن قيصر) ٩٢ : ٣ : ١٨ ، ٩٨ :
٦ ، ١٠٦ : ٣

(ج)

جابر بن عبد الله ٣١٦ : ١٦ ، ٣٢٨ : ١٥
جاسم بن إرم ٣ : ٤
جالوت الجبار ٤ : ٥ ، ١٨ : ٢ : ٧
جاماسف بن فيروز ٦٥ : ١٢ ، ٦٦ : ١٦
جحل بن أنال ١٧٣ : ٥
جديس بن ارم ٣ : ٤ ، ١٤ : ١٥ ، ١٥ : ١ :
١٦ : ٨
جديع بن علي الأزدي المعروف بالكرماني
٣٤٠ : ١٥ ، ٣٥١ : ١٣ : ٢١ : ٣٥٢ : ٣ :
١٠ : ٣٥٣ : ٥ : ٢١ : ٣٥٤ : ١٥ : ٣٥٦ :
١١ : ٢١ : ٣٥٧ : ١ : ٣٦٢ : ١١ : ١٦
جذيمة بن عمرو ٥٤ : ١٦ ، ٥٥ : ١
الجراح بن عبد الله الحكمي ٣٢٨ : ١٠
الجراح بن قبيصة الأسدي ٢١٧ : ٨
جرجيس ٤٥ : ٦
جرهم بن قحطان ٧ : ١١ ، ٨ : ١٧
جرير الشاعر ٥٣ : ١٢

جرير بن عبد الله البجلي ١١٤ : ٩ ، ١١٩ : ٩ ،
١٢٢ : ١١ : ١٩ ، ١٢٣ : ١٧ ، ١٢٩ : ٤ ،
١٣٥ : ١١ : ١٥٦ : ٨ : ١٦ ، ١٦١ : ٩ ،
٢٢٣ : ١٦

- الحارث بن أبي ربيعة = الحارث بن عبد الله
ابن أبي ربيعة ٢٧٣ : ٨
الحارث بن خالد الأزدي ١٧٢ : ١٧
الحارث بن زفر ١٥٥ : ١١
الحارث بن زهير الأزدي ١٥٠ : ٣
الحارث بن عباد بن زياد ٢٨١ : ٦
الحارث بن عبد الله بن أبي ربيعة المخزومي
٢٧١ : ١
الحارث بن عمرو الكندي (آكل الرار)
١١ : ٢٢٤ ، ١٧ : ١٢ : ٥٢
الحارث بن فهر بن مالك بن النضر ٣٩ : ٢٠
الحارث بن قيس ٢٨٢ : ٢ : ٨ : ١٥ ،
٢٨٣ : ٢١
الحارث بن كلدة ٢١٩ : ٣
الحارث بن مالك ١٩٦ : ٧
الحارث بن مرة العبدي ١٧١ : ١٧
الحارث بن مرة الفقمسي ٢٠٧ : ٤
الحارث بن المنذر التنوخي ١٨٣ : ١٦
الحارث بن يزيد بن رويم ٢٥٤ : ١٨
الحارث الهمداني ٢١٢ : ٢٠
حارثة (بنو) ٢٦٥ : ١١
حارثة بن خزيمة ٣٦٤ : ٤
حام بن نوح ١ : ١٦ ، ٢ : ١٤ ، ٤ : ١ ،
٣٤ : ٧
حبش بن حام ٢ : ١٥
حبيب بن كدين ٢٢٨ : ١٢
حبيب بن مسلمة الفهري ١٧٠ : ٢٠ : ٢٤ ،
١٧١ : ٢ : ١٧٢ ، ١١ : ١٧٤ ، ٨ : ١٨٢ ،
١٩٦ : ٨ : ٢
حبيب بن مظهر ٢٥٦ : ١٢
حبيب بن المهلب ٢٨٠ : ٣
حبيش بن دلجة القيني ٢٦٤ : ١٨
الحجاج بن أرطاة ٣٧٦ : ١٤
الحجاج بن خزيمة بن الصمة ١٥٥ : ٥ : ١٦
الحجاج بن غزوة الانصاري ١٤١ : ١٥
الحجاج بن يوسف ٢٧٧ : ١٦ ، ٢٧٨ :
١٤ ، ٢٨٠ : ١ : ٦ ، ٣١٤ : ٢ : ٣١٥ ،
١١ : ٣١٦ ، ١٩ : ٣٢١ ، ٤ : ٣٢٢ ،
١٥ : ٢٠ : ٣٢٤ ، ١٥ : ٣٢٨ ، ٢٠ :
حجّار بن أبجر ٢١٤ : ٦ ، ٢٢٩ : ٢٢ : ٢٣٩ ،
٤ : ٢٥٤ : ١٤
حجر بن عدي الكندي ١٢٨ : ٥ : ١٤٥ ،
١٠ : ١٤٦ ، ١٢ : ١٥٦ ، ٩ : ١٧٥ ، ١٧ :
١٩٦ : ٥ : ٢١٠ ، ٢ : ٢١٣ ، ٣ : ٢٢٠ ،
٨ : ٢٢٣ : ٢ : ٩
٩ : ٢٢٤
حجر بن عمرو ٥٢ : ١٤ : ١٨
حجر بن يزيد ١٩٦ : ٧
حجر الشر ١٧٥ : ١٦
حذيفة بن اليمان ١٣٤ : ١٠ : ١٣٦ ، ٢٢ :
الحمر بن يزيد التيمي اليربوعي ٢٤٩ : ١ : ١٥ ،
٢٥٠ : ٦ : ٢٥١ ، ١١ : ٢٥٢ ، ١ : ٢٥٠ ،
٢٥٦ : ١٤
حرقوص بن زهير ٢٠٤ : ٦ : ٢١٠ ، ٥ :
حريث (مولى معاوية) ١٧٦ : ١٠
حريث بن جابر الحنفي ١٧٨ : ١٦
حريش مولى خزاعة ٣٣٩ : ١٠ : ٣٦١ ، ٢ :

الحسين بن الحارث بن عبد المطلب ١٩٦ : ١

الحسين بن معبد بن زرارة ١١٤ : ٧

الحسين بن نمير السكوني ٢٤٠ : ٤ ، ٢٤٣ :

٣ ، ٢٤٦ : ٢ ، ٢٥٤ : ١٤ ، ٢٥٨ : ٩ ،

٢٥٩ : ١٣ ، ٢٦٤ : ١٨ ، ٢٦٧ : ٣ : ٢٠ ،

٢٦٨ : ٨ : ١٤ ، ٢٩٣ : ٥ : ١٤ ،

٢٩٥ : ١٤

حضر موت ١٤٦ : ١٢ ، ١٧٨ : ١٥

الحسين بن النذر ١٧١ : ٢٠ ، ١٨٩ : ٢١

الحكم بن أبي الماص ١٣٣ : ١٥

الحكم بن أزهر ١٧٥ : ١٨

الحكم بن عبد الملك بن بشر ٣٧٥ : ١٠

الحكم بن مسعود أخو أبي عبيد ١١٣ : ١٦

حكيم بن عبد المطلب بن هاشم ١٣٩ : ٥

الجرعاء (وهم أبناء العجم بالكوفة) ٢٨٨ :

١٠ ، ٢٩٣ : ١١

جران بن إبان مولى عثمان ١١٢ : ١٤

حمزة بن سيار ٢٠٢ : ١٣

حمزة بن مالك ١٥٩ : ١٦ ، ١٧٢ : ٢٣ ،

١٩٦ : ١٠

حميد بن مسلم ٢٦٠ : ٨

حميد الطوسي ٣٩٢ : ٣

حمير (القبيلة) ١٤٦ : ٨

حمير بن سبأ ١٠ : ١١ ، ٥ : ١٠

حمير بن قحطان ٧ : ١٢

الحميرية ٤٦ : ١١ ، ٥٢ : ٦

حنظلة ١٧٢ : ٢

حنظلة بن بهس ٢٦٩ : ١٢

حسان بن مجدل ١٧٢ : ١٩

حسان بن تبع ٤٦ : ١٠ ، ٥٢ : ٥

حسان بن تبع بن ملكيكر ٤٦ : ١٠

حسان بن عبد الله البكري ١٥٣ : ١٩

الحسن بن علي بن أبي طالب ، أبو محمد ١٤٤ :

١٨ ، ١٨٢ : ١١ ، ١٩٥ : ٢٣ ، ٢١٦ :

٧ : ٩ : ١٦ ، ٢١٧ : ٩ : ١١ : ١٤ ،

٢١٨ : ٢ : ٩ : ١٥ ، ٢٢٠ : ٦ : ٢٣ ،

٢٢١ : ١٠ : ١٢ ، ٢٢٢ : ٥

الحسن بن علي بن عيسى بن ماهان ٣٩٧ : ٩

الحسن بن قحطبة ٣٦٩ : ١٥ ، ٣٧٤ : ٩

الحسن بن هانيء ٣٩٣ : ٧

الحسن البصري ١١٨ : ٩

الحسين بن علي بن أبي طالب ١٤٥ : ٧ : ١٥ ،

١٨٢ : ١١ ، ١٩٥ : ٢٣ ، ٢١٨ : ٥ ،

٢٢٠ : ١٦ : ٢١ ، ٢٢١ : ١١ : ١٦ ،

٢٢٤ : ١٣ : ٢٠ ، ٢٢٥ : ٤ : ٢٢٦ : ٦ ،

٢٢٧ : ٢٢ : ٢٢٨ : ١ : ١٨ ، ٢٢٩ :

٣ : ١٦ : ٢٣٠ : ١ : ٩ ، ٢٣١ : ١٧ ،

٢٤٢ : ١٤ ، ٢٤٣ : ٢ : ١٥ : ٢٠ ،

٢٤٤ : ٢٣ ، ٢٤٥ : ٢ : ١١ : ١٤ : ١٥ ،

٢٤٦ : ٤ ، ٢٤٨ : ١٥ ، ٢٤٩ : ٧ :

١٦ : ٢٠ ، ٢٥٠ : ٥ : ١٠ : ١٥ ،

٢٥٢ : ٤ : ١١ ، ٢٥٣ : ٦ : ١٩ ،

٢٥٦ : ٣ : ١١ : ١٦ ، ٢٥٨ : ١ : ٦

الحسين بن علي بن الحسن ٣٨٦ : ١٧

الحسين بن فاطمة = الحسين بن علي بن أبي طالب

خالد بن المعمر السدوسي ١٧٢ : ٢٢ : ١٦٥

١٧٨ ، ٤ : ١٨٩ ، ٣ : ٢٠

خالد بن الهيثم ٩ : ٣٣٥

خالد بن الوليد ٢١ : ١١١

خالد بن يزيد بن معاوية ١٩ : ٢٨٥ ، ١١ : ٣٢٥

خالصة جارية أم جعفر ٢٠ : ١٦ : ٣٨٧

خشعم ٢٣ : ٢٩٩ ، ٥ : ١٦٧ ، ١٤ : ١٤٦

خديجة بنت خويلد ٣ : ٢٦٤

خراسان بن عالم بن سام ١١ : ٣

خرزاد بن هرمز ٩ : ١٢٦

الخرمية ٢١ : ٣٩١

خزّين ١١ : ٦٩

خزاعة ٢٠ : ١٧١ ، ٦ : ١٤٧ ، ١٧ : ٣٣

الخرز بن يافث ١٣ : ٢

الخرزج ١٠ : ٢٦٧

خزيمة ١٠ : ٣٥٥

خزيمة بن خازم ٧ : ٣٨٥ ، ٥ : ١٧٢

خسرو ١٥ : ٥٥

خليد بن كاس ١ : ١٥٤ ، ٢١ : ١٥٣

خنائي ابنة بهمن ١٧ : ١١ : ٥ : ٢٧ ، ١٧ : ١١

١٩ : ١٠٣

خندف ٩ : ١٧٩

الخوارج ٦ : ٢٧٣ ، ١٥ : ٤ : ٢١٠

١٢ : ٢٧٧ ، ١ : ٢٧٦ ، ١٦ : ٢٧٥

خولان ١٢ : ١٦٣

(د)

دارا بن بهمن ٢١ : ١٠٢ ، ١٩ : ٢٨ ، ١٧ : ٢٧

حنيفة (بنو) ٧ : ٣٠٨ ، ٨ : ١٧

الحوثة بن سهل ١٠ : ٣٧٤

حوشب ذو ظليم ٢٠ : ١٨٥ ، ١٥ : ١٧٢

٢ : ١٨٦

حولي بن يزيد الأصبحي ١٧ : ٢٥٨

حيان المطار ١٠ : ٣٣٢

حيلوس ٩ : ١٠٧

(خ)

خاتون امرأة خاقان ٨ : ٩٩ ، ١٤ : ٥٧

١١ : ١٠٠

خارجة بن الصلت ١٦ : ١٢٨

خارجة بن قدامة ٢١ : ١٧١

خازم بن خزيمه ٥ : ٣٩٦ ، ٤ : ٣٨٤ ، ١٦ : ٣٧٤

خاقان صاحب الترك ٥٧ : ١٩ : ١٧ : ٥٦

٤ : ٩٤ ، ٧ : ٦٨ ، ١٢ : ٧ : ٦٠

١٠ : ٩٦ ، ١٧ : ٩٧ ، ٢٠ : ٩٩ ، ٣ : ٩٩

١٦ : ١٣٩ ، ١٠ : ١٠٠

خالد بن إبراهيم ٢ : ٣٦٤

خالد بن برمك ٥ : ٣٦٤

خالد بن جبيلة الفساني ١٤ : ١٠ : ٦٨

١٤ : ٩١

خالد بن الحصين السكسكي ١٢ : ١٩٦

خالد بن زفر العبسي ٥ : ١٤٢

خالد بن سلمة المخزومي ١١ : ٣٧٥

خالد بن عبد الله القسري أبو الهيثم ٢ : ٢٨١

١٠ : ٣٣٧ ، ١٦ : ٣٣٦ ، ١٥ : ٣٣٤

٢٢ : ٣٤٣ ، ١٩ : ٣٤٤ ، ٦ : ٣٤٥ ، ١٣ : ٢٢

خالد بن عرفطة ٦ : ١٢٢ ، ١٧ : ١٢١

ذو ظليم = حوشب
ذو القرنين = الإسكندر
ذو الكلاع ١٧٢ : ١٤ ، ١٧٨ : ١ ، ١٧٩ :
١٠ : ٧ : ٤
ذو المنار = أبرهة بن اللطاط
ذو نواس = زرعة بن زيد بن كعب ٦١ :
٧ : ٦٢ ، ٦

(ر)

راسب (بنو) ١٩٧ : ٢
راشد مولى بجيلة ٢٩٨ : ٦
رافع بن خديج الأنصاري أبو عبدالله ١٩٦ : ٤
رافع بن نصر بن سيار ٣٩١ : ١٣
الراوندية ٣٨٤ : ١ : ٣
الرائش = اللطاط بن عمرو بن حمير بن سبأ
الرباب ابنة قطام ٢١٣ : ١٨
رباب أم سكينه ٢٥٩ : ٥
ربيع بن كاس ١٥٣ : ٢٠
الربمية = بنو ربمية
الربعيون = بنو ربمية
الربيع بن خثيم ١٦٥ : ٧
الربيع بن زياد الحارثي ١٤٧ : ٧
ربمية (بنو) ١٦ : ١٥ ، ١٤٧ : ٧ ، ١٧١ :
١٨ ، ١٧٨ : ٢ : ١٦ ، ٢٣٨ : ١٥ ،
٣٥٢ : ٤ ، ٣١٣ : ١٦ ، ٣٠٠ : ١ : ١٦ ،
٣٥٣ : ٥ ، ٣٦٢ : ٢ ، ٣٦٧ : ٩ ،
ربمية بن شرحبيل ١٩٦ : ٦

دارا بن دارا ٢٩ : ٦ ، ٣١ : ١٩ ، ٣٢ : ٢ ،
٣٦ : ١٠

داريوش ٢٩ : ٦
دانيال ٢٣ : ١٩ ، ٤٩ : ٨
داود (النبي) ١٧ : ١٤ ، ١٨ : ٥ : ٨ ،
١٩ : ٨ ، ٢٠ : ٨

داود بن علي بن عبدالله بن عباس ٣٥٨ : ١٨
دختنوس ابنة نرسی ٤٨ : ١٨
دقینوس ١٨ : ٩

دهم بن زياد المرادي ٢٩٧ : ١٤
دوس ذو ثعلبان ٦٢ : ٤
دينار ١٣٧ : ٢

(ذ)

ذبيان ١٤٦ : ١١
ذهل ١٧٢ : ١
ذو الأذعار = الفند بن ذى جیشان
ذو الأكتاف = سابور ذو الأكتاف
ذو ثعلبان = دوس
ذو الجناحين = عبد الله بن جعفر
ذو جیشان بن إفريقيس ١٤ : ١٧ ، ١٥ : ١٦ ،
١٦ : ٩ ، ١٧ : ٢ ، ١٩ : ١٤
ذو رعين ٤٦ : ١٣
ذو شرخ = الهدهاد بن شرحبيل بن عمرو
ابن مالك
ذو الشنائر ٤٠ : ١٠

زحر بن نهشل ١٨٢ : ٢٣	ربيعة بن نصر اللخمي ، وهو ربيعة بن نصر
زرادشت ٢٥ : ٢	ابن الحارث بن عمر بن نلح ٢ : ٥٤ ، ٤ : ٦١
زربي مولى بجيلة ٣٠١ : ٢٠	رجاء بن حيوة ٢٢٩ : ٢٠ ، ١ : ٣٣٠
زرعة بن شريك التميمي ٢٥٨ : ١٤	رستم الشديد ٤ : ١١ ، ١٢ : ٥ : ٢٥ ، ٦ : ٢٦
الزرقاء ١٦ : ٤	رستم بن هرمز ١١٩ : ٦ ، ٢١ : ١٢٢
زرمهر بن شوخر ٦٥ : ١٤ ، ١١ : ٦٦	الرشيد هرون ٣٩٠ : ٥ ، ١٧ : ٣ : ٣٩١
زفر بن الحارث السكابي ١٧٢ : ١٤ ، ٦ : ١٨٠	٣ : ٣٩٢
زنباع بن النعمان ٣٦٤ : ٢	رفاعة بن سوار ٢٩٩ : ٢٢
الزنج بن حام ٢ : ١٥	رفاعة بن شداد ١٧٢ : ١
زهير بن جوية ١٢٨ : ٥	رفاعة بن طليق ١٧٥ : ٢٠
زهير بن سليم الأزدي ١٢٣ : ٧ : ١٥	رمبوزان = بود
زهير بن القين ٢٤٦ : ١٤ ، ١٥ : ٢٤٨ ،	رويل ٢٦ : ٢١
٢٥٢ : ٨ ، ١٢ : ٢٥٦	روح بن زنباع الجذامي ٢٦٤ : ١٨ ، ٩ : ٢٨٦
زو ١٤ : ٣	روشنك بنت دارا ٣٣ : ٣
زياد بن أبيه وهو زياد بن عبيد ١١٨ :	الروم بن إليفر بن سام ٣ : ١٢
٢٣ ، ٢٢٥ : ٧ ، ٣٧١ : ٧	رويم الشيباني ١٧٢ : ١
زياد بن صالح الحارثي ٣٥١ : ٩ ، ٦ : ٣٦٧	رياح بن الحمق ١٥٠ : ١٥
زياد بن عبد الله ٣٧٥ : ٨	رياح بن مرة ١٥ : ١٥
زياد بن عبد الرحمن الضمري ٣٤٧ : ١٦	الريان بن الوليد عزيز مصر ٤ : ٤
زياد بن مرحب ١٥٦ : ١٤	(ز)
زياد بن النضر الحارثي ١٤٦ : ٩ ، ٤ : ١٦٦ ،	زاب بن بودكان بن منوشهر بن أيرج بن عمرو
١٦٧ : ٩	١٠ : ١٨ ، ١١ : ٩ ، ٧ : ٨٨
زياد الأعجم الشاعر ٢٧٢ : ١٥	زبيدة ٣٩٦ : ١٧
زياد بن عبيد ويعرف بزياد بن أبيه ٢١٩ : ٢ :	الزبير بن الأروح التميمي ٢٤٢ : ١٧
١٨ : ١٤ : ١١ : ٦ : ٢٢٣ ، ١٩ : ٧	الزبير أبو عبد الله ١٤٧ : ١٧
٢٢٤ : ١ ، ٨ : ٢٨٣	زحر بن قيس الجعفي ١٥٦ : ٩ ، ١٣ : ٢٦٠
زيد بن أرقم ٢٥٩ : ٢١	١١ : ٢٩٢
زيد بن الحارث ١٧٢ : ٢٤	

سبيع بن يزيد الحضرمي ١٩٦ : ١٠
 سراج بن مالك الخثعمي ٢٢١ : ١
 سراقه البارقي ٣٠٢ : ٢
 سعد (بنو) ١٤٤ : ١٢
 سعد بن أبي وقاص ١١٩ : ١١ : ١٣ : ١٢٨ :
 ١٤١ ، ١ : ١٤٢ : ٢٢ : ١٩٨ ، ٩ :
 سعد بن قيس الهمداني ١٧٢ : ٥ : ١٧٥ : ١٢ :
 سعد بن مالك ٣١٦ : ١٠
 سعد بن مسعود بن عمرو الثقفي = سميد
 ابن مسعود
 سعيد بن جبير أبو عبد الله ٣٢٩ : ٢
 سعيد بن عبد الله الثقفي ٢٢٩ : ٢١ : ٢٣٠ : ١
 سعيد بن عبد الله الخثعمي ٢٢٩ : ١٩
 سعيد بن عبد الرحمن بن حسان بن ثابت ٣١٠ : ٥
 سعيد بن عبد العزيز بن الحكم بن أبي العاص
 ابن أمية ٣٣٢ : ٥ : ٣٣٣ : ٢
 سعيد بن غيلان ٣٤٧ : ٥
 سعيد بن قيس الهمداني ١٤٦ : ٩ : ١٥٠ :
 ١٨ ، ١٩٦ : ١ : ٢٠٢ : ٤ : ٢١٣ : ٣
 سعيد بن مسعود الثقفي ١٤٦ : ١١ : ١٥٣ :
 ٢٠ ، ٢٠٥ : ٢ : ٨ :
 السفاح بن عمرو ٥٣ : ١٦
 السفاح بن كردوس ٢٩٧ : ١
 السفاح = أبو العباس عبد الله بن محمد بن علي
 سفيان بن الأبرد ٢٨٠ : ٦
 سفيان بن ثور النكري ١٨٩ : ١٧
 سفيان بن عمرو ١٥٩ : ١٥ : ١٦٧ : ١٦ ،
 ١٦٨ : ٣ : ١٧٢ : ١٤

زيد بن عبد الله النخعي ١٢٢ : ١٠
 زيد بن عدي بن حاتم ٢٠٥ : ١
 زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب
 ٣٤٤ : ١٠
 زيد بن وهب ١٨٢ : ١٠
 زيد مولى عمر بن سعد ٢٥٦ : ٩
 زينب أخت الحسين ٢٢٨ : ١٥
 (س)
 السائب بن الأقرع ١٣٣ : ١ : ١٣٥ : ٩
 السائب بن مالك الأشعري ٣٠٧ : ٨
 سابور بن أبركان ٨٦ : ١٧ : ٩٣ : ٢٢ ،
 ١٠٣ : ٢١ : ١٠٥ : ١٥
 سابور بن أردشير ٤٣ : ١٣ : ٤٤ : ٩ ،
 ٤٦ : ٦ : ١٧ : ٤٨ : ٢٠ : ٤٩ : ٢
 سابور بن خربنداد ١٠٢ : ١٨
 سابور بن سابور ٥٠ : ٢١
 سابور ذوالأكتاف بن هرمزدان ٤٧ : ١٧ ،
 ٤٩ : ٣ : ٨٨ : ٩
 سابور الرازي ٦٥ : ٢
 سارة امرأة إبراهيم ٨ : ٨
 ساسان بن بهمن ٢٧ : ٩
 ساسان الراعي ٢٧ : ١٤
 ساسان الكردي ٢٧ : ١٥
 الساسانية ١٠٢ : ١
 سالم بن عبد الله ٣٢٦ : ٧
 سام بن نوح ١ : ١٤ : ٣ : ٢ : ٣٤ : ٦
 سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان ٩ : ١٤ ،
 ١٠ : ٤

سنان بن أوس النخعي ٢٥٨ : ١٦
 سنجبو خاقان ملك الترك ٦٨ : ٣
 السند بن حام ٢ : ١٥
 سنطرق ملك البحرين ٤٣ : ١٦
 سهرق مرزبان فارس ١٣٣ : ١٧
 سهل بن حنيف ١٤١ : ٦ ، ١٨٢ : ٤ ،
 ١٩٦ : ٢
 سهل بن سعد الساعدي أبو العباس ٣٢٨ : ١٣
 سهل بن سنباط ٤٠٥ : ٣
 سهل بن العنقيير ٤٠ : ٦
 سهم (بنو) ٣١٥ : ١
 سويد بن أبي كاهل ٣٠٨ : ٩
 سويد بن الحارث المزني ٣٧٤ : ١١
 سويد بن عبد الرحمن المنقري ٢٥٤ : ٢٢
 سويد بن عمرو الأسدي ٥٣ : ٧
 سويد بن قطبة المعجلي ١١١ : ١٥ ، ١١٦ :
 ١٣ : ١٧
 سويد بن مقرن ١٣٦ : ١٨
 سياوش بن كيكاوس ١٣ : ٨ ، ١٤ : ٢ ،
 ٧٩ : ٢١
 سيف بن ذي يزن ٦٣ : ١٠ ، ٦٤ : ٤
 سينة ١٣١ : ٤

(ش)

شالخ ٢ : ٥
 شاهين ١٠٨ : ٥
 شبت بن ربيعي ١٧٢ : ٥ ، ٢١٠ : ٢ ، ٢٢٩ :
 ٢٢ ، ٢٣٩ : ٣ ، ٢٥٤ : ١٤ ، ٢٥٦ : ٨ ، ٣٠١ : ٤

سفيان بن ليلى ٢٢٠ : ٢٢
 سلام حاجب أبي جعفر ٢٧٤ : ١
 سلامان ٣١٥ : ٣
 سلم بن أحوز المازني ٣٥٣ : ١
 سلم بن عمرو ٩ : ٩
 سلمان الفارسي ١٢٦ : ١٤
 سلمان بن ربيعة الباهلي ٢١٩ : ٢٠
 سلمان مولى الحسين ٢٣١ : ١٨
 سلمة بن رجاء ١٣٠ : ١٥
 سليط بن عبد الله بن عباس ٣٨١ : ٢٢
 سليط بن قيس الأنصاري ١١٣ : ٦ : ١٧
 سليك بن عبد الله الطائي ١٢٦ : ١٤
 سليم بن منصور ١٨٥ : ٣
 سليمان بن داود ٦ : ١٦ ، ١٢ : ٢ ، ١٩ :
 ١٠ ، ٢٠ : ٨ ، ١٤ : ٢١ ، ٢٣ : ٧ ،
 ٤١ : ٣
 سليمان بن صرد ١٧١ : ١٧ ، ١٨٦ : ١ ،
 ١٩٧ : ٨ ، ٢٢٩ : ٢١
 سليمان بن عبد الملك بن مروان ٢٨١ : ١ ،
 ٣٢٥ : ١ ، ٣٢٩ : ٨ : ١١
 سليمان بن كثير ٣٣٥ : ٩ : ١٨ ، ٣٣٧ :
 ١٦ ، ٣٤٢ : ١٩
 سليمان بن يسار ٣٢٦ : ٧
 سمالك بن عبيد العباسي ١٣٧ : ٣
 سمرة بن جندب الفزاري ٢٢٥ : ١١ ، ٣٠٩ : ١٩
 السמידع بن عمرو بن منظور بن المعتز ..
 ٩ : ٥
 سمية أم زياد بن أبيه ٢١٩ : ٣ : ١٦

شمر بن ذى الجوشن ٤: ٢٣٩، ١٤: ٢٥٤،

١٣: ٦: ٢٦٠، ١٧: ٢٥٦، ٢١: ٢٥٥

١٥: ١٠: ٣٠٥، ٢: ٣٠٢، ٩: ٣٠٠

شمر بن الریان المعلى ١٧٨: ١٠

شهریار بن هرمزد ٣: ٩٠، ١١: ١٠٦، ١١: ١١١

شوخر ١٥: ٣: ٦٠، ٢١: ٦٤، ٥: ٤: ٦٥

شيبان (بنو) ١٣١: ٨

شيث ١٥: ٥، ٦: ١

شيرزاد بن البهوذان ١١: ١٠١

شيرزاد بن شيروية ١١١: ٢

شيروية بن كسرى ١٠٧: ٧

شيرين ١٠٩: ٣

(ص)

صالح (الرسول) ١٧: ٧

صالح بن شقيق ١٩٧: ١

صالح صاحب المصلى ٣٩٤: ٢٠

الصباح بن جلهمة الحميرى ١٩٦: ١٥

صحار بن إرم ٣: ٤

صمصمة بن صوحان ١٦٨: ١٠: ٢٠

صفية أم الزبير ٣١٢: ١١

صفية امرأة عبد الله بن خلف الخزاعى ١٥١: ١٥

صهبان بن ذى خرب ٥٢: ٦، ٥٣: ١٨

صول ٣٢٧: ٦

(ض)

ضبة (بنو) ١٤٩: ١٠

الضحاك بن علوان بن عمليق بن عاد وهو

البيوراسف ١٧: ٣، ٤: ٨، ١٦: ٥

الضحاك بن قيس الفهرى ١٥٤: ١٢، ١٧١:

شبت بن روح ٣٨١: ١

شبل بن يزيد الأصبحى ٢٥٨: ١٨

شداد بن عمليق بن عاد بن إرم ٧: ٥، ٢: ٦

شداد الهلالى ١٧٢: ٨

شديد بن عمليق بن عاد بن إرم ١٦: ٣، ٧: ٤

شرحبيل بن ذى الكلاع ٢٩٥: ١٥

شرحبيل بن السمط الكندى ١٢١: ١٨،

١٢٢: ١، ١٥٩: ١١، ١٦٠: ٥

١٧٠: ٢٠، ١٧١: ٢

شرحبيل بن عمرو الكندى ٥٢: ١٥

شرحبيل بن عمرو بن معاوية = شمر بن

ذى الجوشن ٢٥٦: ٧

شروين الدستباى ٦٩: ١٠

شروين بن كاجار ٨٦: ١٨

شريح بن أبى أوفى العبسى ٢٠٢: ١٧، ٢٠٣:

١٤: ١٩، ٢٠٤: ٦، ٢١٠: ٤: ٢٠

شريح بن هانىء الحارثى ١٦٦: ٤، ١٦٧:

١٠، ١٩٧: ١٤، ٢٠١: ١٦، ٢٠٢: ٣

٢: ٢٢٤

شريح الجذامى ١٨٩: ٩

شريح القاضى ٢٣٨: ٧

شريك بن الأعور البصرى ٢٣٢: ٩، ٢٣٣:

١٦، ٢٣٤: ١: ٣، ٢٣٥: ٤

الشعبى ٢٨٨: ١٩، ٢٨٩: ٤: ٢٠، ٢٩٠: ١٢

شميب النبى ٩: ١٩، ١٢: ٥، ١٧: ١٨

شق الكاهن بن صعب ٣٤٤: ٤

شمر بن إفريقيس بن أبرهة بن الرائش أبو كرب

١: ٢٤، ٢٦: ٩، ٤٦: ٣

عامر (بنو) ٢٢:٢١١	١٤ ، ٢:١٧٣ ، ٨:١٨٠ ، ٢١:٢٢٥
عامر بن إسماعيل ١: ٣٦٧	١٧: ٢٢٦
عامر بن الجضري ٩: ٢٨٣	الضيزن الغساني ١٦:٤٨ ، ٢:٤٩ ، ١٩:٥٤
عامر بن صعصعة (بنو) ١٩:٣٠١ ، ١٣:٥٢	(ط)
عامر بن ضبارة ١٤: ٣٦٤	طارق بن قدامة القسري ١٠:٣٧٤ ، ٢١:٣٧٢
عامر بن لؤي (بنو) ٢: ٢١٦	طالوت ١٧: ١٩ ، ٨: ١٨
عامر الشعبي = الشعبي ٦: ٣ : ٣١٧	ظاهر بن الحسين ٢١: ٣٩٤ ، ١٥: ٣٩٧ ، ١٢: ٤٠٠
عباد بن يزيد ١٩: ١٧٢	١٣: ٣٩٩ ، ٢٤: ١ : ٣٩٨
العباس ١٥: ١٦٩	طريف بن حابس ١٦: ١٧٢
العباس بنو ١٧: ٣٣٥ ، ١٢: ٣٣٣	طسم (بن إرم) ١٥: ١٤ ، ٤: ٣ ، ١٠: ١٥
العباس بن جمدة بن هبيرة ١٧: ٢٣٨	الطفيل أبو صرمة ٦: ١٧٢
العباس بن علي ١٠: ٢٥٧ ، ١٨: ٣٨٦	الطفيل بن الحارث بن عبد المطلب ١: ١٩٦
العباس بن علي بن أبي طالب ١٥: ٢٢٨ ، ٢١: ٢٥٥	طلحة ٧: ١٤٨
العباس بن المأمون ١٢: ٤٠١	طلحة بن رزيق ١٠: ٣٣٥
العباس بن موسى ٢٠: ٣٩٤	طلحة بن عبيد الله ١٢: ١٣٤
العباسي = الفضل بن الربيع	طليحة بن خويلد الأسدي ١٤: ١١٩ ، ١٢٨: ١٤
عبد الأشل (الأشهل) ١١: ٢٦٧	١٤: ١٣٥ ، ٦
عبد الأعلى بن عبد الله العامري ١١: ٢٧٥	طوس بن عمروذ ٩: ٩
عبد الجبار بن نهيك ٥: ٣٦٤	طيء (بنو) ١٠: ١٤٦
عبد ربه ٨: ٢ : ٢٧٨ ، ١٣: ٢٧٧	(ع)
عبد الرحمن بن أبزي الخزاعي ١٦: ٢٩٨	عائشة أم المؤمنين ١١: ١٤١ ، ١: ١٤٦
٧: ٢٩٩ ، ٢١	٢: ١٥١
عبد الرحمن الأنباوي ٧: ٣٩٩ ، ١٥: ٣٩٨	عابر بن شالح ١٢: ٥
عبد الرحمن بن أبي بكر ٧: ٢٢٦	عاد بن إرم ١: ١٨ ، ٢: ٦ ، ٤: ٣
عبد الرحمن بن الأشعث = عبد الرحمن	عاصم بن قحطان ١١: ٧
ابن محمد بن الأشعث	عاصي بن قحطان ١٢: ٧
	عالم بن سام ١٣: ٣

عبد القيس (بنو) ١١ : ١١٥

عبد الكريم بن سليط بن عطية الحنفى ٣٣٩ :

١٨ ، ٣٤٠ : ١

عبد الله بن إياض ١٢ : ٢٦٩

عبد الله بن أبي أوفى ٢٠٦ : ٥ ، ٣٢٨ : ١٧

عبد الله بن أبي سرح ١٣٩ : ٨ ، ١٦٨ : ١٨

عبد الله بن بديل بن ورقاء الخزاعى ١٥٠ :

١٩ ، ١٧١ : ١٤ ، ١٧٢ : ٣ ، ١٧٥ : ٢٢

عبد الله بن بشر ٣٧٤ ، ١٠ :

عبد الله بن التامر ٦١ : ٢٠

عبد الله بن جعفر بن ألى طالب ذوالجناحين

١٨٤ : ١٠ ، ١٩٥ : ٢٤ ، ٢١٥ : ٢

عبد الله بن جون السكسكى ١٧٢ : ٢٠

عبد الله بن الحارث بن نوفل بن الحارث

ابن عبد المطلب بن هاشم ٢٨٣ : ١٨

عبد الله بن الحارث أخوالأشتر ٢٩٢ : ٩

عبد الله بن حرام بن خويلد ١٤٦ : ٢١

عبد الله بن حنظلة الراهب ٢٦٥ : ٥ : ١٣

عبد الله بن خازم السلمى ١٤٠ : ١٠ ، ٣٠٧ : ١٥

عبد الله بن خالد بن أسيد ٢٢٥ : ١٠ : ١٦

عبد الله بن خباب بن الأرت ١٩٦ : ٢ ،

١ : ٢٠٧

عبد الله بن خطل ٢١٧ : ١٠

عبد الله بن خلف الخزاعى ١٤٧ : ٦ ، ١٥١ : ١٣

عبد الله بن الرشيد (الأمون) ٣٨٧ : ٩ ، ٣٨٩ :

٧ ، ٤٠٢ : ١٦

عبد الرحمن بن ثويب الكلبي ٣٤٦ : ١

عبد الرحمن بن جابر الراسبي ١٤٧ : ٦

عبد الرحمن بن جميل الجحى ١١٢ : ٨

عبد الرحمن بن الحارث بن هشام ١٤٧ : ١

عبد الرحمن بن خالد بن الوليد ١٥٤ : ١٥ ،

١٧٢ : ١٢ ، ١٧٧ : ١٨ ، ١٨٥ : ١٠ ،

١٩٦ : ١٠

عبد الرحمن بن ذى الكلاع ١٩٦ : ١٦

عبد الرحمن بن الزبير الأسدى ٢٤٢ : ١

عبد الرحمن بن سبرة ٢٧٥ : ١٢

عبد الرحمن بن سعيد بن قيس الهمداني ٢٩٢ : ٨

عبد الرحمن بن عبد يغوث ١٩٨ : ٤

عبد الرحمن بن عبيد الأرحبي ٢٢٩ : ١٧

عبد الرحمن بن عقاب بن أسيد ١٤٦ : ٢٢

عبد الرحمن بن عقيل بن أبي طالب ٢٥٧ : ٣

عبد الرحمن بن كرز الكندى ٢٣٨ : ١٥

عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث بن قيس ٢٤٠ : ١٠ ،

٣١٦ : ١٨ ، ٣١٨ : ٨ : ١١ ، ٣٢٠ :

٩ : ١٦

عبد الرحمن بن ملجم المرادى ٢١٣ : ٩ :

١٤ : ١٨ ، ٢١٤ : ١ : ١٢ : ١٣

عبد الرحمن بن نعيم ٣٣٦ : ٢

عبد الرحمن القينى ١٧٢ : ١٦

عبد شمس = سبأ بن يشجب ٩ : ١٤

عبد شمس (بنو) ٢١٨ : ٦

عبد العزى بن عمر العنزى ١٦ : ١٦ ، ١٧ : ١

عبد العزيز بن الحجاج بن عبد الملك بن مروان

٣٥٠ : ١٣ ، ٣٥١ : ٦

عبد الله بن الزبير أبو بكر ١٤٦ : ١٤٨ ، ٢٠ : ١٤٨ ، ٢٠ :

عبد الله بن الزبير أبو بكر ١٤٦ : ١٤٨ ، ٢٠ : ١٤٨ ، ٢٠ :

١٦ : ٢٦٤ ، ١٢ : ٣٠٩ ، ٥ : ٢ : ٣٠٩ ، ٥ :

١٤٩ ، ٦ : ١٥٠ ، ٧ : ٨ : ١٠ ، ١٠ :

عبد الله بن عبد الرحمن ٣٠٨ : ١٢ :

١٩٨ : ٣ : ٢٢٦ ، ٧ : ٢٢٨ ، ١٠ :

عبد الله بن عروة الخثعمي ٢٥٧ : ٣ :

٢٢٩ : ٥ : ٢٤٤ ، ١ : ٢٦٢ ، ١٠ :

عبد الله بن عضاة الأشعري ٢٦٣ : ٢ :

٢٦٣ : ١١ : ٢٦٤ ، ١٤ : ١١ : ٢٦٨ ، ٨ :

١٢ : ٨ :

١٢ : ٢٧٤ ، ١٥ : ٢٧١ ، ٢٠ : ٢٧٠ ، ١٦ :

عبد الله بن عقبة الغنوي ٢٥٧ : ٨ :

٢٨٥ : ١١ : ٢٨٦ ، ٢٢ : ٢٨٧ ، ١٥ : ٢٠ :

عبد الله بن علي بن أبي طالب ٢٥٧ :

٣٠٨ : ١٢ : ٣٠٩ ، ٢ : ٣١٥ ، ٢ :

١٥ : ١٠ :

عبد الله الحرشي ٣٩٩ : ١٠ :

عبد الله بن علي [بن عبد الله بن عباس] :

عبد الله بن السخبر ٢٠٣ : ٦ : ٢٠٧ ، ١٤ :

٣٥٨ : ٢ : ٣٧٨ ، ١٩ :

عبد الله بن سعد العبسي ٢٠٤ : ١٥ :

عبد الله بن عمر بن الخطاب أبو عبد الرحمن :

عبد الله بن سليم الأزدي ١١٥ : ٨ :

١٤١ : ٢ : ١٤٢ ، ٢٢ : ١٩٨ ، ٣ :

عبد الله بن الصامت ١٨ : ١١ :

١٩٩ : ٧ : ٢٢٦ ، ٧ : ٣١٥ ، ١٢ :

عبد الله بن صبار ٢٦٩ : ١٢ :

٧ : ٣١٦ :

عبد الله بن صيفي ٣٤٦ : ١٣ :

عبد الله بن عمر بن عبد العزيز ٣٥٨ : ١٠ :

عبد الله بن طاهر بن الحسين ٤٠٢ : ١٦ :

عبد الله بن عمرو بن العاص ١٥٧ : ١٧ ، ١٧٢ :

عبد الله بن الطفيل ١٧٢ : ٧ :

١٠ : ١٩٦ ، ١١ :

عبد الله بن عمرو بن عثمان ٢٢٧ : ١٥ :

عبد الله بن ظبيان ٢١٧ : ١٠ : ٣١٣ ، ١٠ :

عبد الله بن قيس أبو موسى الأشعري =

عبد الله بن عامر بن كريز القرشي ١٣٩ : ٦ :

أبو موسى

١٥ : ١٤٠ ، ١٠ : ١٤٧ ، ٥ : ١٩٦ ، ١٣ :

عبد الله بن قيس الرقيات ٣١٣ : ١٥ :

٢١٦ : ١٥ : ٢١٧ ، ١٤ : ١٩ ، ٢١٨ :

عبد الله بن كامل ٢٨٩ : ٢ : ٢٩٨ ، ٨ :

٢ : ٧ : ٩ :

٣٠٢ : ٧ : ١٩ :

عبد الله بن عباس ١٤١ : ٥ : ١٤٦ ، ١٦ :

عبد الله بن الكواء ١٩١ : ٥ : ٢٠٨ ، ١٣ :

١٥٢ : ٦ : ١٧١ ، ١٥ : ١٧٨ ، ١٦ :

٢٠ : ٥ : ٢٠٩ ، ١٠ :

١٧٩ : ٥ : ١٩٢ ، ١٢ : ١٩٥ ، ٢٣ :

عبد الله بن ماحور ٢٧٥ : ١ : ١٧ :

١٩٧ : ١٥ : ٢٠٠ ، ١٤ : ٢٠٢ ، ٣ :

عبد الله بن مالك ١٤٧ : ٧ :

٢٠٥ : ١٩ : ٢٠٦ ، ١٩ : ٢٢٢ ، ٢٣ :

٣١٠ : ١٥ ، ٣١١ : ٢٠ ، ٣١٣ : ٢٠ ،

٣١٥ : ١٩ : ٢٣ ، ٣١٦ : ١٣ ، ٣١٩ :

١٦ ، ٣٢٤ : ٣ : ٢٠

عبد الملك بن المهلب ٢٨٠ : ٤

عبد مناف (بنو) ١٨٧ : ٦ : ١٤

عبد مناف بن قصي ٥٥ : ٧

عيس (بنو) ٤٠ : ١٠ ، ١٤٢ : ١ ، ١٤٦ : ١١ ،

عبيد (أبو زياد)

عبيد بن الأبرص ٥٣ : ٧

عبيد بن حريث ٢٤٠ : ١٧

عبيد بن يربوع ١٧ : ٨

عبيد الله بن الحر الجعفي ٢٥٠ : ١٧ : ٢٢ ،

٢٥١ : ٤ ، ٢٦٢ : ١ ، ٢٩٧ : ٤ : ١٠ ،

٢٩٨ : ١٢

عبيد الله بن زياد ٢٢٥ : ١٢ : ١٥ ، ٢٢٧ :

٦ ، ٢٣١ : ١٣ : ١٦ : ٢٤ ، ٢٣٢ : ١٤ ،

٢٣٣ : ٤ ، ٢٣٤ : ٢ : ١٩ : ٢١ ،

٢٣٥ : ١٠ ، ٢٣٧ : ١٢ ، ٢٣٨ : ١٩ ،

٢٣٩ : ١ ، ٢٤١ : ١ ، ٢٤٢ : ١٠ ،

٢٥١ : ١٦ ، ٢٥٣ : ٩ ، ٢٥٩ : ٩ ،

٢٦٠ : ٤ : ١٢ ، ٢٦٩ : ١٤ ، ٢٧٠ : ٤ ،

٢٨١ : ٥ : ١١ ، ٢٨٢ : ١ : ٧ ، ٢٧٣ :

١٣ : ٢١ ، ٢٨٤ : ١٩ ، ٢٨٥ : ١٢ ،

٢٩٣ : ٤ ، ٢٩٥ : ١٩ ، ٢٣٨ : ١ : ٤ ،

٢٣٩ : ١٨ : ٢٢ ، ٢٤٠ : ٧ : ١٤ ،

٢٤١ : ١٧ ، ٢٤٣ : ٣ ، ٢٤٦ : ٢ ،

٢٥٣ : ١٣ ، ٢٥٤ : ٥ : ١٧ : ٢٢

عبد الله بن مالك الخزاعي ٣٩٢ : ١

عبد الله بن مالك الصيدواي ٢١٣ : ١٠ : ١٦ ،

٢١٥ : ٢٣

عبد الله بن محمد بن عليّ أبو العباس =

أبو العباس عبد الله ...

عبد الله بن مساور ٢٩٧ : ٢

عبد الله بن مسعود ١٢٩ : ٨ ، ١٣٠ : ٩

عبد الله بن مسلم بن عقيل ٢٥٧ : ١ ، ٢٩٧ : ٢

عبد الله بن مطيع العدوي ٢٢٨ : ١٨ ،

٢٤٦ : ٤ : ٩ ، ٢٦٥ : ٤ ، ٢٨٧ : ١٦ ،

٢٩٠ : ١٥ ، ٢٩١ : ٦ : ١٨ : ٢١ ،

٢٩٢ : ١

عبد الله بن المهلب ٢٨٠ : ٤

عبد الله بن النعمان الطائي ٣٦٤ : ٦

عبد الله بن هاشم بن عتبة ١٨٤ : ٢

عبد الله بن همام ٢٩١ : ١٣

عبد الله بن الوداك السلمي التيمي ٢٢١ : ١ ،

٢٢٩ : ١٣

عبد الله بن وهب الراسبي ٢٠٢ : ٨ : ١٧ ،

٢٠٣ : ١٣ ، ٢٠٤ : ٦ ، ٢٠٥ : ٤ ،

٢١٠ : ٦

عبد الله بن يزيد بن معاوية ٣٢٥ : ١١

عبد الله أخو بابك ٤٠٤ : ١٨

عبد الله الحبر = عبد الله بن عمر بن الخطاب

عبد الملك بن مروان ٢٢ : ١١ ، ٢٦٦ : ١٦ ،

٢٧٩ : ١٥ ، ٢٨٦ : ٣ : ١٧ ، ٢٩٢ : ٧ ،

٢٩٣ : ١ ، ٣٠٥ : ٢٠ ، ٣٠٩ : ٦ ،

- عبد الله بن سبيع الهمداني ٢٢٩ : ١٣
عبيد الله بن عتبة ٣٢٦ : ٦
عبيد الله بن عمر بن الخطاب ١٦١ : ٢٠ ،
١٦٩ : ١٤ : ١٧ : ١٧٢ ، ١١ : ١٧٤ ، ٢٠ :
١٧٧ : ١٣ : ١٧٨ ، ٤ : ١٢
عبيد الله بن عمرو الساعدي ٢٩٦ : ٦
عبيد الله بن ماحوز ٢٦٩ : ١٣
عبيد الله بن موهب ٢٧٨ : ٢
عبيد الله بن معمر التميمي ٣١٠ : ١٣
عبيدة السلماني ١٦٥ : ٣
عبيدة بن عمرو ٢٢٠ : ١٦
عتبة بن أبي سفيان ١٥٧ : ١٢ ، ١٥٨ :
٢٠ ، ١٧٣ : ١٣ ، ١٩٦ : ١٤
عتبة بن غزوان المازني ١١٦ : ١٥ ، ١١٧ :
١ : ١١
عثمان بن أبي العاص ١٣٣ : ١١ ، ١٣٩ :
١٥ : ١١
عثمان بن حنيف ١٤١ : ٣
عثمان بن زياد ٢٣١ : ٥
عثمان بن عفان ١١٢ : ١٥ ، ١٣٤ :
١٤ ، ١٣٩ : ٣ ، ١٤٠ : ١٣ ، ١٥٦ : ١٢
عثمان بن علي بن أبي طالب ٢٥٧ : ١٠ : ١٧
عثمان بن معمر القرشي ٢٧٠ : ١٦ : ١٧
عثمان بن نهيك ٣٨٠ : ٢٣
عدس بن زيد الحنظلي ٥٣ : ٨
عدي (بنو)
عدي بن حاتم الطائي ١١٤ : ٨ : ٢١ ،
١٤٦ : ١٠ : ١٤٩ : ١٢ ، ١٥٠ : ١٣ ،
١٧٢ : ٢ : ١٧٧ : ١٩ : ١٨٦ : ٣ : ٢٠٥ : ١ : ٦
- عدي بن الحارث ١٥٣ : ١٨
عدي بن ربيعة بن نصر ٥٤ : ١٧
عدي بن زيد بن عدي ٣١٠ : ٦
عدي بن عبد الله بن جعفر الطيار ٢٥٧ : ٢
عروة بن أدية ١٩٧ : ٤
عروة بن الزبير ٣١٥ : ١٨ ، ٣١٦ : ١ : ٣٢٦ : ٥
عروة بن زيد الخيل الطائي ١١٣ : ١٩ ، ١١٤ : ١ :
١١٥ : ٨
عروة بن قيس البجلي ١٣٠ : ٦ ، ٢٢٩ :
٢٢ ، ٢٥٦ : ٨
عروة بن المغيرة ٣١١ : ١٢ : ١٦
عروة بن مهمل ١٣٨ : ١٥
عروة بن الورد ١٢٥ : ٥
عروة مولى إبراهيم بن عبد الإمام ٣٤٣ : ٢
عريضة ٣٠٦ : ٦
عزوان ٣٥٠ : ٩
عصمة بن عبد الله الأزدي ٣٥٣ : ٨
عطية بن الأسود ٢٦٩ : ١٢
عفيرة بنت غفار ١٥ : ٥
عقبة بن عامر البدرى ١٤٣ : ١٥
عقبة بن عامر الجهني ١٩٦ : ٤
عقيل (بنو) ٢٤٧ : ١٥
عقيل بن معقل الليثي ٣٥٥ : ١٦ ، ٣٥٦ : ٤
عك (بنو) ١٧٩ : ٥
عكاشة بن محصن ١١٩ : ١٨
عكرمة (بنو) ٢٤٨ : ٧
علبة بن حجيّة ١٩٦ : ٧
علقمة بن حكم ١٩٦ : ١٧

علي الأصغر = علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب
علي الأكبر = علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب
عمار بن الأحوص الكلبي ١٩٦ : ١٥

عمار بن ياسر ١٢٩ : ٨ ، ١٣٠ : ٤ : ١٣٢ :
١٨ : ١٣٩ : ٤ : ١٤٤ : ١٨ : ١٤٥ :
١٤٧ : ١١ : ١٤٩ : ٣ : ١٦٥ :
١٩ : ١٧١ : ١٤ : ١٧٤ : ١٣ : ١٧٨ : ٥

عمارة بن حسان ١٤١ : ٤
عمارة بن عقبة بن أبي مبيط ٢٣١ : ٩ : ٢٩١ : ٢٢ :
الماليق ٧ : ١٠ : ٩ : ١

عمر بن إبراهيم من ولد أبرهة بن الصباح
٣٥٣ : ١٦

عمر بن أحمد بن هبة الله بن محمد بن أبي جرادة
عمر بن الحسين [بن علي بن أبي طالب]
٢٥٩ : ٢ : ٢٦١ : ١١

عمر بن الخطاب ١١٣ : ٢ : ١١٤ : ١ : ١١٦ :
١٤ : ١٢٣ : ٢١ : ١٣٩ : ٢ : ١٥٢ :
١٥ : ٢١٩ : ٥

عمر بن سعد بن أبي وقاص ٢٤١ : ٥ : ١٥ :
٢٤٧ : ١٨ : ٢٥٣ : ٩ : ١٢ : ١٧ :
٢٥٤ : ١٠ : ٢٥٥ : ٤ : ١٧ : ٢٢ :
٢٥٦ : ٦ : ٢٥٩ : ٩ : ١١ : ١٧ :
٢٩٨ : ١٥ : ٣٠٠ : ٩ : ٣٠١ : ٤ : ٧

عمر بن عبد العزيز بن مروان ٣٢٦ : ٤ :
٣٣١ : ٢

عمر بن العلاء ٣٨٦ : ٦
عمر بن علي بن أبي طالب ٣٠٦ : ١٨ : ٣٠٧ : ١ :
عمرة بنت النعمان بن بشير ٣٠٩ : ٢٠

عائمة بن يزيد الحضرمي ١٩٦ : ١٢

عائمة بن يزيد الكلبي ١٩٦ : ١١

علي بن أبي طالب أبو الحسن ١٣٤ : ٢٠ ،

١٤٠ : ١٤ : ١٨ : ١٤١ : ١٣ : ١٤٦ ،

١ : ١٤٧ : ٨ : ١٧ : ١٤٩ : ١ : ١٩ : ٥ ،

١٥١ : ١١ : ١٣ : ١٦ : ١٨ : ١٥٦ : ٨ ،

١٦١ : ١٥ : ١٦٣ : ٩ : ١٦٤ : ٥ ،

١٦٨ : ٧ : ١٠ : ١٦٩ : ١٥ : ١٩ ،

١٧٤ : ١٥ : ١٧٩ : ١٥ : ١٩ : ١٨١ ،

١٤ : ١٨٤ : ٧ : ٢٠ : ١٨٦ : ٨ ،

١٨٧ : ٩ : ١٨٨ : ١٣ : ٥ : ١٩٠ ،

١ : ١٩١ : ١٥ : ١٩٢ : ١ : ١١ : ١٦ : ٢٢ ،

١٩٤ : ١٢ : ١٩٧ : ١٣ : ٢٠٦ : ٤ ،

٢٠٨ : ٩ : ٢٠٩ : ٦ : ١١ : ٢١٠ : ١ ،

٧ : ٢١١ : ١ : ١٤ : ١٨ : ٢١٣ : ١٢ ،

٢١٤ : ١١ : ٢٤ : ٢١٦ : ٧ : ٢١٩ : ٦ ،

علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب وهو

علي الأكبر ٢٥٦ : ٢١

علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب الأصغر

٢٥٩ : ١ : ٢٦٠ : ١٢ : ٢٦٦ : ١٧

علي بن حمزة الكسائي ٣٨٧ : ١٤

علي بن سليمان الأزدي ٣٦٩ : ١

علي بن عبد الله بن عباس ٢٦٧ : ١

علي بن عيسى بن ماهان ٣٩٠ : ٥ : ٣٩١ :
١٤ : ١٧ : ٣٩٦ : ٧ : ٣٩٧ : ٢ ،

٣٩٨ : ٤

علي بن الكرمانى ٣٦٣ : ٧

علي بن محمد بن بشير الهمداني ٢٢٠ : ٢٢

١٨٠ : ٨ ، ١٨١ : ٢١ ، ١٨٤ : ٩ ،

١٨٦ : ٢٢ ، ١٨٨ : ١٩ ، ١٩١ : ٢٢ ،

١٩٢ : ٤ ، ١٩٤ : ٩ ، ١٩٧ : ١٥ ،

١٩٨ : ٢١ ، ١٩٩ : ٢ ، ٨ : ٨ ،

٢٠٠ : ١ ، ١٢ : ٥ ، ٢٠١ : ١ ، ٨ : ٨ ،

٢١٣ : ١٣ ، ٢١٦ : ١ ، ٢٢٢ : ١٠ ، ١٤ :

عمرو بن عامر البجلي ٣٥١ : ٨

عمرو بن عبيد ٣٨٤ : ٦ : ١٨

عمرو بن عثمان بن عفان ١٩٩ : ٢٠ ، ٢٦٦ : ١١

عمرو بن عدى ١٧ : ٥٤ ، ٤ : ٥٥ ، ١٠٩ : ٢٢

عمرو بن كلثوم ٥٣ : ١٩

عمرو بن مالك بن نجبة بن نوفل بن وهب

ابن عبد مناف بن زهرة ١٢٧ : ١٤

عمرو بن مالك النبهاني ٢٠٥ : ٧

عمرو بن مرحوم العبدى ١٦٥ : ٢٢

عمرو بن معدى كرب ١١٢ : ١ ، ١٢٨ : ٦ ،

١٣٥ : ١٣

عمرو بن نابل اللخمي ٥٢ : ١٩

عمرو بن نهشل التيمي ٢٥٧ : ٢

عمرو بن يثربى ١٤٧ : ٥ ، ١٤٩ : ١٣

عمرو الجعفي ٢٩٧ : ٧

عمرو القنا ٤٧٦ : ٦

عمرو كاتب ابن هبيرة ٣٧٤ : ٢٣

عمليق ١٥ : ٢ : ١١ ، ٤١ : ١١

عمير بن بطين المجلي ٣٣٨ : ١

عمير بن الحباب السلمي أبو الفلّس ٢٩٣ : ١٥ ،

٢٩٤ : ٣ : ١٠ ، ٢٩٥ : ٩ ، ٢٩٧ : ١

عمرو ١٢٥ : ٦

عمرو أبو ثور ١٢٥ : ٤

عمرو بن الأشرف ١٤٩ : ٢٠

عمرو بن ببيعة ١٢٢ : ٥

عمرو بن تبيع ٤٦ : ١٢ ، ٥٢ : ٥ : ٧

عمرو بن جرموز ١٤٨ : ١٣

عمرو بن الحارث ١٣٨ : ٩

عمرو بن الحجاج ٢٢٩ : ٢٢ ، ٢٣٨ : ٩ ،

٢٥٥ : ٦ ، ٢٥٦ : ٦ ، ٣٠١ : ٤ ،

٣٠٣ : ١٧

عمرو بن حريث العدوى ٢٢٣ : ٨ ، ٢٢٤ : ٤

عمرو بن حزم الأنصاري ١١٢ : ٩ ، ٢٦٥ : ١٣

عمرو بن الحق الخزاعي ١٤٩ : ١٣ ، ١٥٠ :

١٣ ، ١٦٥ : ٩ ، ١٧١ : ٢٠ ، ١٩٦ : ٥

عمرو بن حنظلة ١٧٢ : ٧

عمرو بن حنيف ١٢٩ : ٩

عمرو (بن ربيعة بن نصر) ٥٤ : ١٢

عمرو بن زياد بن حذيفة بن هشام بن المغيرة

١١٢ : ١١

عمرو بن سعد بن مقبل الأسدي ٢٥٧ : ٦

عمرو بن سعيد بن العاص بن أمية ٢٤٤ : ٢٠ ،

٢٨٦ : ٢ : ٤ : ١٣

عمرو بن سعيد بن قيس الهمداني ٢٩٧ : ٩

عمرو بن صبح الصيداي ٢٥٧ : ١

عمرو بن العاص أبو عبد الله ١٣٩ : ٧ ،

١٥٨ : ١ : ٧ : ١٠ : ١٦ ، ١٥٩ : ٨ ،

١٦٣ : ٢٠ ، ١٦٤ : ١ ، ١٦٩ : ٦ ،

١٧٣ : ١ ، ١٧٤ : ١٣ ، ١٧٧ : ٢ : ٤ ،

(ف)

فؤر - ملك الهند ٤ : ١٠ ، ٦ : ٣٣ ، ١٢ : ٣٦
 فارس بن الأسور بن سام ١١ : ٣
 فاطمة بنت أبي مسلم ١٠ : ٤٠٢
 فاطمة بنت رسول الله ١١ : ٤٠٢
 الفاطمية من الحرمية ١١ : ٤٠٢
 فالج (بنو) ٢١ : ١٨٤
 فالغ بن غابر ١٥ : ٦ ، ١٣ : ٥
 فرات بن سالم ١٦ : ٢٩٣
 فراسياب بن توذل بن الترك بن يافث =
 فراسياب بن فايش
 فراسياب بن فايش بن نوذسف بن الترك بن
 يافث ٧ : ٨٨ ، ٨ : ١٠ ، ٤ : ٨
 الفرخان ملك الجبل ٧ : ٤٢
 الفرزدق ٩ : ٢٤٥
 فرعون موسى ١١ : ١١
 فروة بن نوفل الأشجعي ١١ : ٢١١ ، ٩ : ٢١٠
 فريدون ٦ : ١١ ، ٨ : ٢ ، ٦٦ : ٢
 فزارة ١٠ : ١٦٤
 الفضل بن آدم ٩ : ١٨٩
 الفضل بن الربيع العباسي ٢ : ٣٨٩ ،
 ٧ : ٣٩٢
 الفضل بن سليمان ٦ : ٣٦٤
 الفضل بن سهل ١٣ : ٤ ، ٣٩٥
 فناخسرو ١٣ : ٥٥
 الفند بن ذي جيشان ذو الأذعار ١١ : ١٦ ،
 ١٤ : ١٩ ، ١٥ : ١٧

عمير بن عطار ٣ : ١٧٢

عذس ٧ : ٤١

العنقير = أبضعة

عوف بن أبضعة ٧ : ٤٠

عوف بن الحارث بن عبد المطلب ٣ : ١٩٦

عوف بن منقذ التميمي ٦ : ٥٣

عيسى بن إدريس بن عيسى العجلي ٤ : ٣٣٧

عيسى بن علي بن عبد الله بن عباس ٣٥٨ :

١٨ ، ٣٧٦ : ٢٠ ، ٣٧٨ : ١١ ، ٣٨٢ :

١١ : ١٤ : ٢٢

عيسى بن مريم المسيح ١١ : ١٩ ، ٤٠ : ٢٠ ،

١٨ : ٤١

عيسى بن موسى بن علي ٣٥٨ : ٢ ، ٣٨٥ :

١٨ : ٣٨٦ ، ١٨

عبيدة بن زهير ١٥ : ٢٥٩

(غ)

غابر بن شالح بن أرغشدد بن سام بن نوح

١٢ : ٥

الغافق ١٤ : ١٤٠

غانم بن علوان ٤ : ٦ ، ٧ : ٤

غسان ٢٣ : ١٧٢ ، ١٣ : ٤٩ ، ٥ : ٤٨

غسيل الملائكة = عبد الله بن حنظلة الراهب

الغطريف بن عطاء ١٢ : ٣٨٧

غفار ٥ : ١٥

قرة بن سفيان الحنظلي ١٧: ٢٥٣ ، ٣: ٢٥٤

قريش ١٤٦ : ١٥ : ٢٢ ، ١٨ : ١٧١ ، ٤

٢١٢ : ١٤ ، ١٧ : ٢٣٨ ، ٤ : ٢٦٥

القسري = خالد بن عبد الله

قصير ٢ : ٥٥

قضاة ١٤٦ : ١٢ ، ١٤٧ ، ٦ : ١٧٢ ، ٢

قطام ٢١٣ ، ١٨

القطامي بن قحطان ١١ : ٧

قطري بن القجاء ١٨ : ٢٧٥ ، ١٨ : ٢٧٧ ، ١

٣ : ٣٠٥ ، ٦ : ٢٨٠

قطن بن قتيبة بن مسلم ١٧ : ٣٤١

القمقاع بن أبرهة ١٧٣ : ١

القمقاع بن شور ٢٣٩ : ٣

القمقاع الظفري ١٨٤ : ٣

قنداقه ملكة المغرب ٣٤ : ١٥

قيذر بن إسماعيل ١٧ : ٩ ، ٢١

قيس (بنو) ١٤٦ : ١١ ، ١٤٧ ، ٤ : ٥ ، ٥

٢٢ : ٣٥٤ ، ٣ : ٣٥١ ، ٢٣ : ٢٩٩

قيس بن الأشعث ١٤ : ٢٥٩ ، ١٠ : ٣٠٠ ، ١٠

٥ : ٣٠٢

قيس بن حبيب ١١٣ : ١٧

قيس بن خريم ١٢١ : ١٩

قيس بن سعد بن عبادة ١٤١ : ٥ ، ١٨ : ١٥٠ ، ١٨

٢٠٧ : ١١ : ١٥ ، ٢١ : ٢١٠ ، ٢١ : ٢١٧

١٢ : ١٠ : ٢١٨ ، ١٣

قيس بن مسهر ٢٤٦ : ١

قيس بن معاوية البرجمي ٢١٠ : ١٩

فهر بن مالك بن النصر ٣٩ : ١٩

فيرك ٥٥ : ١٢

فيروز بن يزدجرد بن بهرام جور ٣٨ : ٢ ، ٢

٧ : ٦ : ٦٠ ، ٩ : ٥ : ٥٩ ، ١٤ : ١٢ : ٥٨

فيروزدخت ٦٠ : ٢

الفيلفوس ٢٨ : ٢٠

فيناوس ٣٦ : ٤

(ق)

قابوس بن كيقباز ١٢ : ١ ، ١٨ : ٧٩

قارن الجبلي الهاوندي ٩٤ : ١٤

القاسم بن الحسن بن علي بن أبي طالب ٢٥٧ : ٦

القاسم بن حنظلة الجهني ١٧٢ : ٨

القاسم بن الرشيد ٣٩١ : ١

القاسم بن محمد ٣٢٦ : ٨

قباذ بن فيروز ٦١ : ٤ ، ٦٤ : ١٩ ، ٦٥ : ٦٥

١١ : ٧ ، ١١ : ٦٦ ، ١٣ : ١ : ٦٧

القبط بن حام ٢ : ١٥

قتيبة بن مسلم الباهلي ٢٨٠ : ١٩ ، ٣٢٧ : ٢

٣ : ٣٢٨ ، ١٣

قحطان [بن غابر] ٥ : ١٣ ، ٦ : ١٥ ، ٧ : ٥

قحطان (بنو) ٢٧١ : ٩ ، ٣٤٨ : ١٦ ، ٣٥٣ : ٢٣

قحطبة بن شبيب ٣٣٧ : ١٧ ، ٣٣٩ : ١١

٣٤٢ : ١٩ ، ٣٥٩ : ٥ ، ٣٦٣ : ٩

١٤ : ٣٦٩ ، ١١ : ٣٦٤

قدامة بن عجلان الأزدي ١٥٣ : ١٨

قدامة بن مظمون ٣١٣ : ٢١

قرط بن كعب ١٥٣ : ١٧

قرميسيا ملك الهند ١٠٩ : ١

- قيس بن هبيرة الرازي ١٢٠ : ١٢ : ١٢١ : ١٨ : ١٢٢ : ١ : ١٢٣ : ١٥ : ١٢٥ : ١٢ : ١٢٨ : ٢ : ٢٣١ : ٢٠ : قيس بن الهيثم
قيس قطيفة = قيس بن الأشعث ٣٠٢ : ١٨ : قيسر ملك الروم ٦٣ : ١١ : ١٢ : ١٥٧ : ٢١ : القيطون بن سعد ٤١ : ٢٩ : قيوس ١٢ : ٢ :
(ك)
كثير بن شهاب ٢٣٩ : ٣ : كردوس بن هاني البكري ١٨٩ : ١٥ : كردى بن بهرام جشفس ٨٦ : ١٨ : ١٠٤ : ١١ : كردية أخت بهرام شويين ١٠٠ : ١٨ : ١٠٢ : ٢٠ : ١٠٥ : ١٧ :
كرمان بن تارح بن سام ٣ : ١٣ : الكرماني = جديع بن علي الأزدي
الكسائي = علي بن حمزة
كسرى ١٠٢ : ١ : ١٠٣ : ٩ : كسرى أبرويز بن هرمزد ٧٤ : ٨ : ١٠١ : ٦ : ١٧ : ١٠٦ : ٢ :
كسرى أنو شروان بن قباد ٦٦ : ١٠ : ٦٧ : ١٦ : ٦٨ : ١٢ : ١٤ : ٧١ : ٩ : ٧٣ : ١٦ : ٩٤ : ١٦ :
كسرى بن هرمزد = كسرى أبرويز
كعب بن جميل ١٦٠ : ١٢ : ١٧٨ : ١٦ : ١٨٠ : ١ :
كعب بن سور ١٤٤ : ١٤ : ١٤٦ : ٢١ : ١٤٩ : ٩ :
كلب ١٢٥ : ١٤ : ٣٠٤ : ٢ : الكلبى ٣٣٠ : ٦ : كلثوم بن عياض القسري ٣٤٥ : ٧ :
كليب بن ربيعة التغلبي وهو كليب وائل ٥٣ : ٩ : كليلة ودمنة ٨٦ : ٢ :
كمارى ٣٧ : ٧ : كنانة (بنو) ٣٩ : ١٩ : ١٤٦ : ٢٢ : ١٧١ : ١٨ : ٣٥١ : ٣ : ٣٥٧ : ١ :
كندة (بنو) ٤١ : ٨ : ١٢٢ : ٢٠ : ١٤٦ : ١٢ : ١٧١ : ١٩ : ٢٢٤ : ١٠ : ٢٣٨ : ١٥ : ٢٥٩ : ١٤ : ٢٩٩ : ٢٣ :
كنعان بن حام بن نوح ٢ : ١٥ : ٢٢ : ١ : كهلان بن سبأ بن يشجب بن يعرب ١٠ : ٤ : ٤١ : ٦ : ١٧ : ٥ :
كوكان ١٠٦ : ٤ : الكوهبارون ٨ : ٤ : كيا بنه ١٢ : ١ :
كيخسرو بن سياوش ١٣ : ١٥ : ١٤ : ١٨ : ١٦ : ٨ : ١٧ : ١٥ : ١٩ : ١٥ : ٢٠ : ٢٠ : ٧٩ : ٢٠ :
كيسان أبو عمرة ٢٩٢ : ١٣ : كيقباز بن زاب ١١ : ١٧ : ٢٣ : ٢٥ : ٨ : ٦ :
كيسكاوس بن كيقباز ١٣ : ٥ :
(ل)
لام بن غابر ٥ : ١٤ : لاهز بن قرط ٣٣٧ : ١٦ : ٣٤٢ : ١٩ :
ليبد بن النعمان الغساني ٥٢ : ٢٠ : ٥٣ : ١٠ :

ماني الزنديق ٤٧ : ٢
 ماهويه ١٣٩ : ١٧ ، ١٤٠ : ٩
 المتلمس بن قحطان ٧ : ١١
 المثني بن حارثة الشيباني ١١١ : ١٥ ، ١١٣ :
 ١١٩ ، ٩ : ١٢
 مجاشع بن مسعود ١٤٧ : ٤
 مجزأة بن ثور البكري ١٣٠ : ١٥
 محدوج الذهلي ١٤٦ : ١٥
 محرز بن خنيس بن ضليح ١٩٧ : ٩
 محسن بن مزاحم السلمي ٣٤١ : ٨
 محشر التميمي ٢٩٧ : ١٤
 محقن بن ثعلبة ١٢٨ : ١٢ ، ٢٦٠ : ١٣
 محقن بن غزوان ٣٦١ : ١
 محمد الأمين = الأمين محمد بن هرون الرشيد
 محمد بن أبي بكر ١٥٠ : ١٩ ، ١٥١ : ٣
 محمد بن أبي الجهم بن حذيفة المدوي ٢٦٦ : ١
 محمد بن أبي حذيفة ١٥٧ : ١٩
 محمد بن أبي سفيان ١٩٦ : ١٤
 محمد بن الأشعث بن قيس ٢٢٣ : ١٣ ، ١٥ :
 ٢٣٦ : ١٨ ، ٢٣٩ : ٣ ، ٢٤٠ : ١٢ ،
 ٢٤٧ : ٢٠ ، ٢٩٨ : ١٥ ، ٣٠٦ : ١٧ ،
 ٣٨٧ : ٦
 محمد بن الأشعث بن عبد الرحمن ٣٠٠ : ٩ ،
 ٣٠١ : ٤ ، ٣٠٤ : ٨ ، ٢١ : ٣ ، ٣٦٤ : ٣ ،
 ٣٧٦ : ١٩ : ٢٠
 محمد بن بنانة ٣٧٤ : ١٠
 محمد بن حذيفة = محمد بن أبي حذيفة
 محمد بن حميد الطوسي ٤٠٣ : ١

نلحم ١٧٩ : ٥
 نقيط بن ناشر الجهني ٢٥٧ : ٥
 لهازم ١٧٢ : ٣
 هراسف بن كيميس بن كيانته ١٢ : ٢ ،
 ٢٢ : ٨ : ٢٣
 لوط ٨ : ٨
 لؤي بن غالب ١٧٣ : ٢١
 (م)
 ماروت ١١٦ : ٢٠
 مارية ابنة الزباء الفسانية ٥٤ : ١٩
 مازيار ٤٠٢ : ٢
 مالك الأشتر = الأشتر بن الحارث النخعي
 مالك بن أدهم الباهلي ٣٦٤ : ١٦
 مالك بن بشر الكندي ٢٥٨ : ١
 مالك بن الحارث = الأشتر بن الحارث النخعي
 مالك بن حبيب اليربوعي ١٦٦ : ١٥
 مالك بن المجلان ٤١ : ١٢
 مالك بن عمرو الحضرمي ١٧٨ : ١٥
 مالك بن كعب الهمداني ١٩٦ : ٦
 مالك بن مسمع ٢٣١ : ١٩
 مالك بن هبيرة ٢٢٤ : ٥
 مالك بن الهيثم ٣٣٥ : ٩ ، ٣٣٧ : ١٦ ،
 ٣٤٢ : ١٩
 المأمون (عبد الله بن هرون الرشيد) ٣٩٢ :
 ٢٠ ، ٣٩٤ : ٤ ، ٢١ : ٣ ، ٣٩٥ : ٣ ،
 ٤٠٠ : ١٥ : ٢١
 مانوس ملك الروم ٤٩ : ١٠

- محمد بن الحنفية ١٤٧ : ١١ ، ١٤٩ : ٥ ،
 ١٧٤ : ٢٠ ، ٢٢١ : ١٠ ، ٢٦٤ : ١٣ ،
 ٢٩٥ : ٢٠
 محمد بن خالد بخاراخذاه ٤٠٣ : ١٤
 محمد بن خالد بن عبد الله القسري ٣٤٥ : ١٠ ،
 ٣٤٩ : ١٤ : ١٨ ، ٣٥٠ : ٧ ، ٣٥١ :
 ٧ ، ٣٦٧ : ٤ ، ٣٦٨ : ٦ : ٩ : ١٨ ،
 ٣٦٩ : ١
 محمد بن خنيس ٣٣٢ : ١٠
 محمد بن ذر ٣٧٥ : ٦
 محمد بن سليم ١٥٣ : ١٧
 محمد بن سليمان بن عبد الملك ٣٣٠ : ٣
 محمد بن طلحة ١٤٦ : ٢٠
 محمد بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي
 ابن أبي طالب ٣٨٥ : ١٢
 محمد بن عبد الله (الرسول محمد صلى الله عليه
 وسلم) ١٨ : ٢٢ ، ٧٤ : ٢ ، ١٤٧ : ٢٠ ،
 ٢٢١ : ١٥
 محمد بن عبد الملك بن مروان ٣٢٥ : ١
 محمد بن عثمان التيمي ٢٩٢ : ٨
 محمد بن عقيل بن أبي طالب ٢٥٧ : ٣
 محمد بن علي بن أبي طالب = محمد بن الحنفية
 ١٨٢ : ١١ ، ٢٨٩ : ٩ ، ٣٠١ : ١٢ ،
 ٣٠٥ : ١٦ ، ٣٠٩ : ٣
 محمد بن علي بن عبد الله بن عباس بن عبد المطلب
 ابن هاشم ٢٨١ : ٣ ، ٣٣٢ : ٧ : ١٥ ،
 ٣٣٤ : ٢ : ١٨ ، ٣٣٥ : ٨ ، ٣٣٧ : ٨ ،
 ٣٣٨ : ٥ ، ٣٣٩ : ٢ ، ٣٦٩ : ١٩
 محمد بن عمرو بن العاص ١٥٧ : ١٧ ، ١٩٦ : ١٤
 محمد بن عمير بن عطار ٢٢٩ : ٢٣
 محمد بن عيسى ٣٩٤ : ٢٠
 محمد بن الثني الربيعي ٣٥٣ : ٤ ، ٣٥٤ : ١٩ ،
 ٣٥٥ : ٣
 محمد بن مسلمة الأنصاري ١٢٤ : ١٣ ، ١٤١ :
 ٢ ، ١٤٢ : ٢٢
 محمد بن المهلب ٢٨٠ : ٤
 محمد بن هرون = الأمين محمد بن هرون الرشيد
 محمد بن هرون أبو اسحاق = المعتصم بالله
 محمد بن الهذيل العلاف أبو الهذيل ٤٠١ : ٤
 الحمرة ٣٨٦ : ٦
 محمود فيل أبرهة ٦٣ : ٢
 المخارق بن الحارث ١٥٩ : ١٥ ، ١٧٢ : ٢٢ ،
 ١٩٦ : ٩
 المخارق الشاعر ١٨٤ : ١٧
 المختار بن أبي عبيد الثقفي أبو إسحق ٢٠٥ :
 ٨ ، ٢٣١ : ٢ ، ٢٨٨ : ٧ : ١٧ ، ٢٨٩ :
 ٥ : ١٨ ، ٢٩٠ : ١٠ ، ٢٩١ : ٧ : ٢٩٢ ،
 ٢ : ٦ : ١٩ ، ٢٩٣ : ٣ ، ٢٩٥ : ٢٠ ،
 ٢٩٧ : ٤ : ٧ ، ٢٩٩ : ١٠ ، ٣٠٠ :
 ٣ : ١٤ ، ٣٠١ : ٤ ، ٣٠٢ : ١١ : ١٦ ،
 ٢١ : ٣٠٣ : ١ : ٩ ، ٣٠٥ : ٨ ، ٣٠٦ :
 ١٥ : ١٩ ، ٣٠٧ : ٥ : ١٣
 مخزوم ١٧٣ : ٢٢
 مخنف بن سليم الأزدي ١١٤ : ٦ ، ١٢٣ :
 ١٤ : ١٤٦ ، ٧

مسعود بن فدي ١٩١ : ٤
 مسعود بن حارثة ١١٤ : ١٩
 مسعود بن عمرو رئيس الأزدي ٢٣١ : ٢٠ ،
 ٢٨٢ : ٢٥ ، ٢٨٣ : ٥ : ١٣ ، ٢٨٧ : ٧
 مسلم بن ربيعة العقيلي ٢٩٧ : ٢
 مسلم بن سعيد الحضرمي ٢٣١ : ٩
 مسلم بن عبيس القرشي ٢٧٠ : ٦ : ٩
 مسلم بن عقبة المري ١٧٢ : ١٠ ، ٢٢٦ : ١ ،
 ٢٦٣ : ٢ ، ٢٦٤ : ٨ : ١٩ ، ٢٦٥ : ١٥
 مسلم بن عقيل ٢٣٠ : ٦ : ٩ : ١٣ ، ٢٣١ :
 ١ : ١٤ ، ٢٣٣ : ٤ : ١٨ ، ٢٣٤ : ٣ ،
 ٢١ : ٢١ ، ٢٣٥ : ١ : ٨ ، ٢٣٦ : ١٣ ،
 ٢٣٨ : ١٤ ، ٢٣٩ : ١٠ ، ٢٤١ : ٢ :
 ١٩ ، ٢٤٢ : ١٩ ، ٢٤٣ : ٧
 مسلم بن عمرو الباهلي ٢٣١ : ١٥
 مسلم بن عمرو السكسكي ١٩٦ : ٩
 مسلم بن عوسجة ٢٣٦ : ٤ : ٨ ، ٢٣٨ : ١٥
 مسلمة بن خالد ١٧٢ : ١٤
 مسلمة بن عبد الملك بن مروان ٣٢٥ : ١ ،
 ٣٣٢ : ٣ ، ٣٣٤ : ١٤
 المسودة ٣٣٩ : ١٩
 المسيب بن نجبة ٢٢٠ : ٢٣
 المسيح عيسى بن مريم ٤٠ : ٢٠ ، ٦١ : ١٩ ، ٨٢ :
 ١٠ : ١٠٦ ، ١٨
 مصر بن حام ١١ : ١٢
 مصر بن القبط بن حام ٤ : ٢
 المصطلق (بنو) ٢١٩ : ١٧
 مصعب بن الزبير ٢٧٤ : ١٧ ، ٢٨٧ : ١٧ ،
 ٣٠١ : ١ ، ٣٠٤ : ٨ : ١٩ ، ٣٠٥ : ١٨

مدرك بن الهلب ٢٨٠ : ٤
 مدين بن إسماعيل ٩ : ١٨
 مذحج ١٤٦ : ٩ ، ١٤٧ : ٧ ، ١٧٢ : ٦ ،
 ١٧٩ : ٦ ، ٢٣٨ : ٦
 مراد ١٩٧ : ١
 مرثد بن شداد ٦ : ١٣
 مردان به ١٠٢ : ١١
 مردان سينه الرويدشتي ٨٥ : ٢٢ ، ٩٣ : ٢٠ ،
 ١٠٠ : ٩ ، ١٠٢ : ١٤ : ١٧
 مردان شاه الحاجب ١١٣ : ١١
 مردان شاه بن هرمزد ١٣٤ : ٢
 المرزبان مولى المعتصم ٤٠٣ : ١٢
 المرقال = هاشم بن عتبة بن أبي وقاص
 المرقع بن ثمامة الأسدي ٢٥٩ : ٣
 مروة بن منقذ العبدى ٢٥٦ : ٢٢
 مروان (بنو)
 مروان بن الحكم ١٤٨ : ٨ ، ٢٢٢ : ٥ ،
 ٢٢٤ : ١٥ ، ٢٢٧ : ٩ : ١١ ، ٢٢٨ :
 ٦ ، ٢٨٥ : ١١ : ١٧ ، ٢٨٦ : ٢
 مروان بن محمد بن مروان بن الحكم ١٦٧ :
 ٤ ، ٣٥٠ : ١٩ ، ٣٥١ : ٣ : ٦ : ١١ ،
 ٣٥٧ : ٦ ، ٣٦٤ : ١٩ ، ٣٦٧ : ٣
 مروان الضبي ٢٧٠ : ١٥
 مزدك بن مازيار ٦٥ : ٩ ، ٦٧ : ١٢
 مساور القصاب ٣٥٨ : ٢١
 مسروق بن أبرهة ٦٣ : ٧ ، ٦٤ : ٥ : ٧
 مسروق بن جبلة المكي ١٨٦ : ١٧ ، ١٩٦ : ١٣
 مسعدة بن عمرو العتيبي ١٩٦ : ١٥

المتمر بن قحطان ٧ : ١١ ، ٩ : ٣
معد بن عدنان . معد (بنو) ١٤ : ١٤ ،
٩ : ٥٢ ، ٢ : ٣٤

معدان العنزي ١٩٦ : ٢٢
معدى كرب بن عمرو الكندي ٥٢ : ١٥
معقل بن إدريس بن عيس المجلي ٣٣٧ : ٤
معقل بن سنان الأشجعي ٢٦٦ : ٥
معقل بن قيس ١٦٧ : ٢ ، ٢١٣ : ٥
معقل مولى عبيد الله بن زياد ٢٣٥ : ١١
معن بن زائدة ٣٨٤ : ٤

معن بن يزيد بن الأخنس ١٧٠ : ٢٠
المناس بن السري ٣٧٧ : ٥
المنيرة بن شعبة ١١٨ : ٦ ، ٢٠ : ١٣٤ ، ١١ :
١٤٢ ، ٨ : ١٩٨ ، ٩ : ٢١٨ ، ١٨ :
٢١٩ : ٤ ، ٢٠ : ٢٢٠ ، ٤ : ٢٢٣ ، ٦ : ١

المنيرة بن المهلب ٢٨٠ : ٣
المفضل بن المهلب ٢٧٥ : ١٧ ، ٢٨٠ : ٤
مقاتل بن حكيم المكي أبو عون ٣٦١ : ١ ،
٣٦٤ : ٤

الملحقة فرس عبيد الله بن الحر الجعفي ٣٥١ : ٦
الملطاط بن عمرو بن حمير بن سبأ ١١ : ١٥
ملكيب بن عمرو بن مالك بن زيد بن سهل
ابن ذى الأظفار ٤٥ : ٢٠

مليكة بنت الضيزن النساني ٤٨ : ١٨
منجوف بن ثور ١٣٢ : ٢٢
المنذر أبو النعمان هو المنذر الأول ٥١ : ١٣
المنذر الثاني ٦٨ : ١١
المنذر بن الجارود ٢٣١ : ٢٠ ، ٢٣٢ : ٩ ، ٣٠٥ : ١٨

٣٠٦ : ١ ، ٣٠٨ : ١٢ ، ٣١٠ : ١٢ ،
٣١١ : ٥ : ١٨ ، ٣١٢ : ٤ : ٢٠ ،
٣١٣ : ١٤

مصقلة بن هبيرة ٣٤٠ : ٢٣
مصاص بن عمرو بن عبيد الله بن جرم بن
قحطان ٨ : ١٩

مضر ١٧١ : ١٨ ، ٣٤٩ : ٢ ، ٣٥١ : ٣
المضرية ٣٤١ : ٩ ، ٣٥٠ : ١٧ ، ٣٥١ :
١٢ ، ٣٨٧ : ٧

المضريون = المضرية

مطهر بن فاطمة بنت أبي مسلم ٤٠٢ : ١٠
معاوية بن أبي سفيان ١٣٩ : ١٣ ، ١٤٠ :
١٩ ، ١٤١ : ١٩ ، ١٥٤ : ١٣ ، ١٥٥ :
٢ ، ١٥٦ : ١٦ ، ١٥٧ : ١٢ ، ١٨ :
١٥٨ : ٦ : ١١ ، ٢٠ : ١٥٩ ، ٢٣ : ٢٠ :
١٦٠ : ١١ ، ١٦١ : ٢١ ، ١٦٧ : ١٦ ،
١٦٨ : ٤ : ١٦ ، ٢١ : ١٦٩ ، ٨ :
١٧٢ : ١٠ ، ١٧٧ : ١١ ، ١٨٠ : ١٠ ،
١٨١ : ١٨ ، ١٨٤ : ١٥ ، ١٨٦ : ٢٣ ،
١٨٧ : ١ : ١٩١ ، ٧ : ١٩٤ ، ٨ : ١٩٧ ،
١٩٨ : ٣ ، ٢٠٢ : ٢ ، ٢١٣ : ١٢ ،
٢١٥ : ١٥ ، ٢١٦ : ١٥ ، ٢١٧ : ١٣ ،
٢١٨ : ١٦ ، ٢١٩ : ٧ : ١٢ : ١٩ ،
٢٢٠ : ٤ ، ٢٢٢ : ٥ : ١٠ ، ٢٢٣ : ١ ،
٢٢٤ : ٤ : ٦ : ١٨ ، ٢٢٥ : ٩ : ٢٠

معاوية بن حديج الكندي ١٩٦ : ٩
معاوية بن الوليد بن عبد الملك ٣٥٧ : ١٧
المعتصم بالله أبو إسحق محمد بن هرون ٤٠١ :
٤٠٣ : ١٤ ، ٤٠٥ : ٥ ، ٤٠٦ : ٨ ، ٤٠٦ : ١ : ٤

موسى بن كعب ٩ : ٣٣٥	منسك ٧ : ٣٧
موسى بن نصير ١٢ : ٢٢	منصور بن جمهور ١٨ : ٣٤٩ ، ١ : ٣٥٠
موسى الأقطع ٧ : ٤٠٤	المنصور الخليفة أبو جعفر بن محمد ١٧ : ٣٥٨
موسى الهادى بن المهدي ١٩ : ٨ : ٣٨٦	٣٧٠ : ٢٠ : ٣٧١ ، ٥ : ٣٧٣ ، ١٧ : ٧
موسيل الأرمي ٦ : ٩٢ ، ٤ : ٩٠	٣٧٤ : ٩ : ٣٧٥ ، ١٦ : ٢٣ : ٣٧٦
ميسرة العبدي ١ : ٣٣٤ ، ٩ : ٣٣٢	٤ : ١١ : ٣٧٨ ، ٦ : ٢ : ٣٧٩ ، ٧
(ن)	٣٨٠ : ١٤ : ٣٨١ ، ٨ : ٣٨٢ ، ٩ : ١٩
نابت بن إسماعيل ٢١ : ١٧ : ٩	٣٨٣ : ٣ : ٩ ، ٥ : ٣٨٥ ، ١٥
نابل بن قيس ٢٢ : ١٧٢	منصور ٦ : ٣٧٧
ناجية (بنو) ٢٣ : ٢٨٢	منوشهر بن أريج ١٢ : ٩ ، ١١ : ١٠ ، ٦ : ٨٨
نافع بن الأزرق ٦ : ٣ : ٢٧٣ ، ١٠ : ٢٦٩	منيع بن قحطان ١١ : ٧
نافع بن الحارث بن كلدة الثقفي ٩ : ١١٧	المهدي بن المنصور ٤ : ٢ : ٣٨٦
نافع بن هلال ١٢ : ٢٥٥	مهران الأكبر ٢ : ٦٥
نبهان (بنو) ٣ : ٤٠٣ ، ٦ : ١٢٥	مهران بن مهروية الهمداني ١٤ : ١١٤ ، ٧ : ١١٥
النجار (بنو) ٦ : ١١٣	مهران مولى عبيد الله بن زياد ١٥ : ١١ : ٢٨١
النجاشي الشاعر ١٨ : ١٧٣	مهرة ١٢ : ١٤٦
النجاشي ملك الحبشة ٦ : ٦٢	المهلب بن أبي صفرة ١٥ : ٢٧١ ، ١ : ٢٧٣
نجدة الحروري ١٥ : ٣٠٧	٢٧٦ : ١٣ : ٢٧٩ ، ١١ : ٢٨٠ ، ١
النخارجان ١٧ : ٨٦ ، ١٠٤ : ١ ، ١٢٣ :	١٣ ، ٣ : ٣٠٥ ، ٦
١٤ : ١٣٧ ، ٦ : ٣	مهليل بن قينان بن أنوش بن شيث بن آدم ٤ : ١
النخع (بنو) ٢٣ : ٢٩٩ ، ٨ : ٢٩٨	موسى بن جعفر بن محمد ٨ : ٣٨٩
نرسي ٧ : ١٥٤	موسى بن أمير المؤمنين الرشيد ٥ : ٣٩٤
نرسي أخو بهرام بن بهرام ١٠ : ٤٧	موسى بن عمران (النبي) ٤ : ١٢ ، ١٤ : ١١
نزار (بنو) ١٤ : ٣٤٨	١٢ : ١٩ ، ٧ : ٢١٦ ، ١٢
النزال بن عامر ١٥ : ١٠ : ٢١٣ ، ١٢ : ٢١٥	
النسناس ١٩ : ١٢	

الوليد بن سعد ٣٥٨ : ٢١
الوليد بن عبد الملك ٢٨١ : ١ ، ٣٢٥ : ١ : ٥ ،
٣٢٦ : ٢ ، ٣٢٨ : ١٠ ، ٣٢٩ : ٧
الوليد بن عتبة بن أبي سفيان ١٦٨ : ١٤ ،
١٧٥ : ٨ ، ٢٢٧ : ٤ ، ٢٢٨ : ٤ : ٧
الوليد بن عقبة بن أبي معيط ١٣٩ : ٤
الوليد بن عمرو ٢٥٩ : ١٦
الوليد بن مصعب (فرعون موسى) ٤ : ٥ ،
١١ : ١١
الوليد بن يزيد بن عبد الملك ٣٤٧ : ٢ ، ٣٤٨ : ٦
وهرز بن الكاهن ٦٤ : ١ : ٤ : ٦

(ى)

ياسر بن نم ٢٠ : ٥ ، ٢٢ : ٢١ ، ٢٤ : ١
يافث بن نوح ١ : ١٦ ، ٢ : ١٢ ، ٤ : ٧ ،
٣٤ : ٨
يام (بن نوح) ١ : ١٧
يحيى بن نوح ٤٠ : ١٠ ، ٤١ : ٧
يحيى بن الحضير بن النذر بن الحارث بن وعل
٣٤١ : ١٤
يحيى بن حكيم بن صفوان بن أمية ٢٢٧ : ٥ ،
٢٢٩ : ٨

يحيى بن زكرياء ٤١ : ١٩
يحيى بن علي بن عيسى ٣٩٩ : ١١
يحيى بن نعيم أبو الميلاء الربيعي ٣٤٠ : ٢٣
يزدان جشنس ٨٢ : ١ ، ٨٣ : ١٣ ، ٨٤ :
١٠٧ : ٢٠ ، ١٠٨ : ١٥

هزان بن طسم ١٧ : ٤
هشام بن عبد الملك ٣٢٥ : ١ ، ٣٣٥ : ٢ ،
٣٣٦ : ١٧ ، ٣٣٧ : ١٠ ، ٣٣٩ : ١٤
٣٤٥ : ١١ : ٢٠
هلال الأعور ٢٥٩ : ١٥
هلال بن أبي هبيرة ١٧٢ : ١٨
هلال بن عقبة ١١٢ : ١٥
هام بن قبيصة ١٧٢ : ١٧
همدان (بنو) ١٤٦ : ٨ ، ١٧٢ : ٥ ، ١٧٨ :
١٤ ، ٢٣٨ : ١٦ ، ٢٩١ : ٢١ ، ٣٠٠ : ٣
الهند (بن حام) ٢ : ١٥
هند بنت أسماء بن خارجة الفزاري ٢٩٦ : ١
هند بنت المنذر بن الجارود ٢٣١ : ٢٤

هوازن (بنو) ٢٥٩ : ١٢
هود (النبي) بن خالد بن الخلود ...
٥ : ٩ ، ٦ : ١٢

الهيثم بن زياد الخزاعي ٣٧٥ : ١٦
الهيثم بن عدي ٣٥٨ : ٩ ، ٣٦٥ : ٨ ،
٣٧٠ : ١٠ ، ٣٧١ : ١١ ، ٣٧٥ : ٦
هيطل بن عالم بن سام ٣ : ١٣

(و)

وبار بن إرم بن سام بن نوح ٣ : ١٣ ، ٤ : ٣
الوحيد من بني عامر بن صعصعة ٢٥٦ : ٨
وردان غلام عمرو بن العاص ٢٨١ : ١١
ورقاء بن المعمر ١٨٩ : ٩
الوليد بن الريان بن عاد بن إرم ٤ : ١

- يزيد بن عمر بن هبيرة أبو خالد ١٧٢ : ٢١ ،
 ٣٥٠ : ١٤ ، ٣٥١ : ٩ ، ٣٦٠ : ٨ ،
 ٣٦٤ : ١٤ ، ٣٦٧ : ٢٠ ،
 يزيد بن قيس الأرحبي ١٥٣ : ١٦ ،
 يزيد بن مزيد ٣٩٠ : ١٧ ،
 يزيد من بني المصطلق ٢١٩ : ١٧ ،
 يزيد بن معاوية بن أبي سفيان ٦٦ : ٢٣ ،
 ١٢٥ : ٢١ ، ٢٢٦ : ١٦ ، ٢٢٧ : ٢ ،
 ٢٣١ : ٩ ، ٢٤٢ : ١١ ، ٢٤٥ : ٣ ،
 ٢٦٠ : ١٣ ، ٢٦١ : ٣ : ١٠ : ١٤ ،
 ٢٦٢ : ١٢ ، ٢٦٣ : ١ ، ٢٦٤ : ١٧ ، ٢٨١ :
 ٥ ، ٢٨٥ : ١٧ ،
 يزيد بن معاوية البجلي ٢٩٢ : ٩ ،
 يزيد بن المهلب ٢٨٠ : ٣ : ١٥ ،
 يزيد بن نجيبة الفزاري ٢٩٢ : ١١ ،
 يزيد بن هاني ١٩٠ : ٩ ،
 يزيد بن عمر بن هبيرة ٣٧٠ : ٧ ، ٣٧٤ : ٦ ،
 يزيد بن الوليد بن عبد الملك ٣٤٩ : ٧ : ١٢ ،
 ٣٥٠ : ١٠ ،
 يعرب بن قحطان ٧ : ٨ : ١١ ،
 أليف بن سام ٣ : ٣ ،
 يقطين الأزارى بن موسى ٣٥٨ : ٢٢ ،
 ٣٧٩ : ٧ ،
 يكسوم بن أبرهة ٦٣ : ٥ ،
 يلقين ٨١ : ٢ : ٥ : ١٢ ،
 اليمانية ٣٤٠ : ١١ ، ٣٤٨ : ١٩ ، ٣٤٩ :
 ٢ : ٥ : ١٧ : ٣٥٠ ، ٣٥١ : ١٢ ،
 ٣٥٢ : ٢٠ : ٣٦٧ : ٩ : ٣٨٧ : ٧ ،
- يزدان وزير أردشير ٨٢ : ١٩ ،
 يزديجرد بن بهرام جور ٥٨ : ١١ ،
 يزديجرد بن سابور بن بهرام جور ٥٤ : ١١ ،
 ٥٥ : ٥ ،
 يزديجرد الأثيم بن سابور بن سابور ٥١ : ٦ ،
 ٥٥ : ٨ ،
 يزديجرد بن شهریار بن كسرى أبرويز ١١٩ :
 ٣ : ١٢٦ : ٦ ، ١٣٩ : ١٤ ،
 يزديجشن بن الحلبيان ٨٥ : ٢٢ ، ٩٣ :
 ٢٠ : ١٠٢ : ١٧ ،
 يزديجشن قادوسفان الزوابي ٥٥ : ١١ ،
 يزدفنا ٦٩ : ٧ ،
 يزديك الكاتب ٨٣ : ١ : ٨٦ : ١٧ ،
 يزديك بن مردان شاه مرزبان بابل ١١٠ : ٧ ،
 يزيد الأصبحي ٢٥٧ : ١٧ ،
 يزيد بن أبجر العبسي ١٩٦ : ١٣ ،
 يزيد بن [أبي] أسد المجلي ١٥٥ : ١٠ ،
 ١٥٩ : ١٥ ، ١٧٢ : ٢١ ،
 يزيد بن أنس الأسدي ٢٨٩ : ١ : ٢٩٢ : ١٩ ،
 يزيد بن الحارث ٢٢٩ : ٢٢ ،
 يزيد بن حجة النكري ١٩٦ : ٦ ،
 يزيد بن الحصين الطائي ٢٠٢ : ١٦ ، ٢٠٤ :
 ١ : ٦ : ١٩ ، ٢٠٦ : ٥ ، ٢١٠ : ٤ ،
 يزيد بن الحصين ٢٩٣ : ١٦ ،
 يزيد بن عبد الله الأسلمي ١٩٦ : ٣ ،
 يزيد بن عبد الله بن ربيعة بن الأسود ٢٦٥ : ١٦ ،
 يزيد بن عبد الملك ٣٢٥ : ١ : ٣٣٢ : ٢ ،
 ٣٣٤ : ١٤ : ٢٠ ،

٣٤٣ : ٢٣ ، ٣٤٤ : ٣ : ١٥ ، ٣٤٧ :

١٤ ، ٣٤٨ : ١ ، ٣٤٠ : ٥

يوسف بن يعقوب (النبي) ١١ : ١٣ ،

١٧ : ١٩

يوشع بن نون ١٢ : ١٣

اليهود ٤١ : ١٨

يهوذا ١٨ : ١ : ٩

اليوبيانوس ٤٩ : ١٧ ، ٥٠ : ٨

يوباره ٤٠٣ : ٨ ، ٤٠٤ : ١٥

يوسف بن عقيل الطائي ٣٦٩ : ٨

يوسف بن عمر الثقفي ٣٣٧ : ١٠ ، ٣٣٩ : ١٣

ج - فهرس الأماكن والبلدان

الإسكندرية ٣٣ : ٢ ، ٣٩ : ٧ ، ١٠٦ : ٩	أبر شهر ٤٨ : ٤ : ١٤ ، ١٤٠ : ٩
اصبهان ٣٩ : ٨ ، ٦٧ : ١٧ ، ١٣٤ : ١ ، ٢٩٩ : ١٠ : ٢٩٢ ، ١٧ : ١٥٣	أبرقباذ ٦٦ : ٢٢ ، ١١٨ : ٣
١٤ : ٣٦٤ ، ٥ : ٣٢٧ ، ١٤	الأبطح ٣٨٥ : ١٥
اصطخر ٢٧ : ٢١ ، ٢٨ : ١ ، ٤٢ : ٥	الأبلة ٦٤ : ٤ ، ١١٦ : ٢٣
١٤ : ٥٠ ، ١٩ : ٦٥ ، ٩ : ١٣٣	أبو قيس ٣١٤ : ١٠
١١ : ٢١٩ ، ١٤ : ١٣٩ ، ١٤	أبيورد ٣٦١ : ٥
إفريقية ١٤ : ١٢ ، ٢١ : ١٩ ، ٣٤ : ١٣	الأتراك = الترك ٣٤ : ٩ ، ٨١ : ١ : ٣
١ : ٣٦٦ ، ١٢ : ١٣٩	أذربيجان ٥٦ : ١٢ : ١٤ ، ٥٩ : ٢٠ ، ١٨ : ٦٧ ، ٨ : ٢ : ٧٩ ، ٨٣ : ٩ : ٩٠
آمد ٦٦ : ٢٠ ، ٧٨ : ١٩ ، ١٥٤ : ١١ ، ٢٩٧ : ٣	٩٢ : ٩ ، ٥ : ١٥٦ ، ١١ : ٢٩٢ ، ٩
أمل خراسان وهي أموية ٣٧ : ١٥	١٤ : ٢٩٩
أموية ٣٧ : ١٥ ، ٥٧ : ١٦ ، ١٣٩ : ١٩ ، ٣٢٧ : ٤	أرجان ١٣٣ : ١٤
الأنبار ٤٩ : ٦ ، ١١٢ : ١٠ ، ١١٦ : ٥	أردبيل ٦٠ : ١
١٢٤ : ١٠ ، ١٦٧ : ١ ، ٢٠٥ : ٥	أردشير ١٣٣ : ١٣
٢١١ : ١٥ ، ٢١٦ : ١٦ ، ٢١٧ : ١٣	أردشير خرّ ٤٥ : ١٤
١١ : ٣٩٠ ، ٧ : ٣٧٨	الأردن ٨ : ١٣ ، ١٧٢ : ١٤
الأندلس ١٤ : ١١ ، ٢١ : ١٩ ، ٣٤ : ١٣	إرم ذات الحماد ٣٨٤ : ١٢
أنطاكية ٦٣ : ١١ ، ٦٩ : ٢	أرمشير ٦٥ : ١٥
الأهواز ٤٢ : ١٥ ، ٦٥ : ١٥ ، ٦٧ : ١٨	أرمينية ٣ : ١٢ ، ٦٧ : ١٨ ، ٧٩ : ١ : ٩
٧٠ : ٤ ، ١١٦ : ٢ ، ٢٧٣ : ٣ ، ٢٧٤ : ٣	٩٢ : ٥ ، ٣٩٠ : ١٧ ، ٤٠٥ : ١
١٧ : ٣٩٩ ، ١٨ : ٣١٩ ، ١٧ : ٣١٧ ، ١٨	أستاذ أردشير ٤٥ : ١٥
إيران ٢ : ٣	أستان الروابي ١٥٣ : ١٩
إيران شهر ٨٠ : ١٦	أستان العالي ١٥٣ : ١٩
أيلة ٣٠٩ : ٦	الإستانات ١١٦ : ١
إيلياء ٢١ : ٤ ، ٢٣ : ١٢ : ١٦ ، ٢٢ : ٢٦	أسداباذ ٣٩٨ : ٢٤
	الأسفندهان ١٣٥ : ١٩
	أسك ٢٦٩ : ١٥

بطن الحربث ٢٣٠ : ٢٠
 بطن الرمة ٢٤٥ : ١٤ ، ٢٤٦ : ٤
 بطن المقيق ٢٤٨ : ٧
 بغداد ٢٠٥ : ١٤ ، ٣٧٩ : ١٦ ، ٣٨٣ :
 ١٢ : ١٥ ، ٢١ : ٣٨٧ ، ١١ : ٣٩١
 ١٨ : ٣٩٢ ، ٤
 بقردى ١ : ١٣
 البقيع ٢٢١ : ١٤
 بلخ ٣ : ١٣ ، ٢٠ : ١٠ ، ١٤ : ٢٠ ، ١٤ :
 ٨١ : ١٧ ، ٣٦١ : ٥
 بلد سابور ٢٧٥ : ١٩
 البلقاء ٣٣٤ : ٢٠ ، ٣٥٧ : ١٩
 البليخ ١٦٧ : ٩
 البندنيجين ٢١٠ : ١٢
 بهر سير ٧٣ : ١٥ ، ١٥٣ : ١٨
 بهقباد الأسفل ٦٧ : ٢
 بهقباد الأوسط ٦٧ : ١
 بهقبادات ١٥٣ : ١٧
 بوشنج ٣٣٦ : ١٠ ، ٣٦١ : ٤
 البيت (بيت الله الحرام والبيت الحرام) ٩ : ٢١ ،
 ٢٦٢ : ٤ ، ٤٦ : ١٨ ، ٣٩ : ١٣ ، ٢١ :
 ١١ ، ٢٦٧ : ٢١ ، ٣١٤ : ١٣
 بيت المقدس ٢١ : ٣ ، ٢٢ : ١٩ ، ٢٣ : ١٥ ،
 ٣٨ : ٤ ، ٣٩ : ٤
 بئر الملك ٤١ : ١٥
 بئر ميمون ٣٨٥ : ١٥
 بينون ٢١ : ١٧
 البيضة ٣٠٤ : ١

(ب)

باب ماني (بجند سابور) ٤٧ : ٧
 بابل ٢ : ١٦ ، ٣ : ١٠ ، ٤ : ١٥ ، ٥ :
 ١٧ ، ٨ : ١١ ، ٣٣ : ٢ ، ٦٥ : ٢ ،
 ١١٠ : ٨ ، ١١٦ : ١٩ ، ١٦٦ : ١٨
 بادوريا ٦٧ : ١
 باذ فيروز ٦٠ : ١
 بازبدى ١ : ١٣
 باتقيا ٢٩٨ : ١٢
 البير ١٠٣ : ٤
 البحر الأخضر ٣٥ : ١٧
 البحرين ٣ : ٦ ، ١٤ : ١٥ ، ١٦ : ١٤ ،
 ١٧ : ٥ ، ٤٠ : ١١ ، ٤٣ : ١٥ ، ٤٨ :
 ٤ ، ٦٧ : ١٩ ، ١١٧ : ٧ ، ٢٨٧ :
 ١٨ ، ٣٢٢ : ١
 بخارى ٣٧ : ١٤ ، ٦٨ : ٥ ، ٣٢٧ : ٥ ،
 ٣٣٦ : ٨
 بدر ١٨ : ٤ ، ٢٦٧ : ١٠
 البدنون ٤٠١ : ٨
 البذ ٤٠٢ : ١٣
 برزند ٤٠٣ : ٧
 البصرة ١١٦ : ٤ ، ١٤٦ : ٧ ، ١٤٨ : ٧ ،
 ١٥١ : ١٨ ، ١٦٦ : ١ ، ٢٠٣ : ٢٠ ،
 ٢٠٥ : ١٩ ، ٢٠٦ : ١٩ ، ٢٣ : ٢١٩ ،
 ٢١ : ٢٢٠ ، ٤ : ٢٢٣ ، ٦ : ٢٣١ ،
 ٢٧١ : ١ ، ٢٨١ : ٥ ، ٣٠٠ : ١ ،
 ٣٠٤ : ٥ ، ٣٠٧ : ١٥ ، ٣٢٢ : ٧ ،
 ٣٨٤ : ٤ ، ٣٩٩ : ١٧
 بصرى ٢٧٣ : ١٩

(ت)

تاريس ٢ : ١٣

التبت ٢٨ : ١٢

تبوك ١٤١ : ٧

تخارستان ٥٨ : ١٥ ، ٦٨ : ١ ، ٣٢٩ : ٨

تدمر ٢٠ : ١٧

الترك ٢ : ١٣ ، ٢٠ : ١٥ ، ٣٦ : ٢ ، ٥٧ : ١١

١١ : ٩٨ ، ١١

ترمد ٥٩ : ٥

تستر ١٣٠ : ٢

التنميم ٢٤٥ : ٢

تهامة ١٠ : ٢ ، ٢١ : ١٣ ، ٣٣ : ١٧ ، ٤١ : ٩ ، ٥٢ : ٩ ، ٦٢ : ١٩ ، ٣١٣ : ٢١

توج ١٣٣ : ١٢

التيمة ٦٧ : ٤

(ث)

ثبير ٧٢٣ : ١٨

الثعلبية ١١٣ : ٢١ ، ١١٤ : ٩

ثمود ٣ : ٥ ، ٧ : ١٦ ، ٢٧٩ : ١٧

(ج)

جازر ٧٣ : ١٩

جبانة الحشاشين ٣٠٠ : ٢ : ١٣

جبانة مراد ٣٠٠ : ١

الجبيل ٦٧ : ١٨ ، ١٥٣ : ١٧ ، ٢٩٧ : ٤ ، ٢٩٩ : ١٤ ، ٣٦٩ : ٨ ، ٣٩٢ : ٢١

جبيل أبي قبيس = أبوقبيس ٣٦٨ : ١

جبيل ذى جشم = ذو جشم

٢٤٨ : ١٨

جبيل طيء ٣ : ٧

جدة ٣٤ : ٣

جنديس ٤١ : ١١

جرجان ٥٧ : ٣ ، ٩٤ : ١٥ ، ٩٨ : ٩ ، ١٠١ : ١٠

١٣٤ : ١ ، ٣٦٤ : ١٢ ، ٣٨٦ : ١٠

٣٨٦ : ١٠ ، ١٥

جروين ٣٩ : ٩

الجزيرة ١ : ١٣ ، ٦٧ : ١ ، ٦٨ : ١٧ ، ٢٩٢ : ٦ ، ٢٩٣ : ١٢ ، ٤٠١ : ٦

جزيرة العرب ٣٤ : ١٤

جسر تستر ٢٠٥ : ٢٠

جسر النهروان ٢٠٤ : ٣ : ١٢

جلولاء ٧٣ : ٢٠ ، ١٢٧ : ١١ ، ١٣٠ : ١١

جنديسابور ٤٦ : ٢٠ ، ٤٧ : ٦ ، ٧٠ : ٢

جوخى ٢ : ١ ، ١٥٣ : ١٦ ، ٢٠٥ : ١٥

٢٩٢ : ١٢

الجودى ١ : ١٣

جى ٣٩ : ٨ ، ٦٧ : ٣

جيحان ٣٤ : ٧

جيحون ١٤ : ٦

جيرفت ٢٧٧ : ٨ ، ٢٧٨ : ١٧

جيلان ١٠٣ : ٤

(ح)

الحبشة ٣٤ : ١١

الحجاز ٨ : ١٨ ، ١٠ : ٢ ، ٤١ : ٩ ، ١٤٦ : ١

٢٠ : ٣٥٢ ، ٢١ : ٣٤٢ ، ٧ : ٣٣٩

١٣ : ٣٨٣ ، ٢٣ : ٣٧٥ ، ١ : ٣٦٤

١٣ : ٣٩١ ، ٥ : ٣٩٠ ، ٤ : ٣٨٧

٢١ : ٤ : ٣٩٤

خرزاد أردشير ١٧ : ٤٥

الخرية ١١٧ : ٢ : ١٤٦ ، ١٩ :

خزازی ١٧ : ٥٣

الخزر ٢ : ١٣ ، ٣٤ : ١٠ ، ٣٥ : ١ :

خسروماه ١٧ : ٧٣

خطرنه ٦٥ : ٣ ، ١١٠ : ٨ :

الخوارجان ١٣٨ : ٣ :

خوارزم ١٤ : ٦ ، ٩٤ : ٩ ، ١٠٠ : ٢١ :

خوب ٤ : ١٦ :

الخورتق ٥٤ : ١٧ ، ٥٥ : ٩ :

(د)

دارا ٢٨ : ٤ ، ٧٩ : ١ ، ١٥٤ : ١١ :

دارا بجرد ٢٨ : ١ :

دای مرج ٥٨ : ٦ :

دجلة ٢ : ٢ ، ٣٤ : ٦ ، ٢٠٦ : ٣ ، ٣٧٢ : ١ ،

٣٧٩ : ١٦ ، ٣٨٣ : ١٦ :

دجيل ١٣١ : ١٩ :

دروذ ٤٠٣ : ١٦ :

دزيريد ١٣٦ : ٢١ :

دست ميسان ١١٨ : ١ ، ٣٠١ : ١٨ :

الدستي ١٠٣ : ٦ ، ٢٥٣ : ٩ ، ٢٩٢ : ١١ :

دمشق ١٥٩ : ٢٠ ، ١٧٢ : ١٥ ، ١٩٧ : ١٨ ،

٢ : ٢٥٠ ، ١ : ٢٢٩ ، ٧ : ١٤٨ ، ١٥

١٤ : ٣٠٧

الحجر الأسود ٣٩ : ١٨ ، ٢٨٨ : ١ :

الحديبية ١٩٤ : ١٣ :

حديثه الفجار ٣٠٦ : ١٢ :

حديثه الموصل ١٦٧ : ٣ :

حران ١٥٤ : ١٣ ، ٢٩٦ : ١٨ ، ٣٦٥ : ٧ :

الحرم ١ : ٣ ، ٣ : ٧ ، ٨ : ١٨ :

حلب ٦٩ : ١ ، ١٠١ : ٩ :

حلوان ٣٨ : ٣ ، ٤٠ : ١٥ ، ١٠٣ : ٧ ،

١٢٦ : ٩ ، ٢١١ : ١٢ ، ٢٩٢ : ١٠ ،

٣٦٤ : ١٧ ، ٣٩٧ : ٢ ، ٣٩٩ : ١٥ :

حص ٦٩ : ١٣ ، ١٧٢ : ١٥ ، ٣٥٠ : ١٩ ،

٣٥٧ : ١٨ :

الحمية ٣٣٢ : ٩ ، ٣٣٨ : ١٤ ، ٣٥٧ : ١٩ :

الحيرة ٥١ : ١٤ ، ٥٤ : ١٢ ، ١١٣ : ٩ ،

١١٤ : ١١ ، ١١٦ : ١٩ ، ٣٦١ : ٣ :

(خ)

خازر ٢٩٥ : ٨ :

خاتقین ١٢٧ : ١٣ :

ختلان ٣٣٦ : ٩ ، ٣٦١ : ٦ :

خراسان ٣ : ١١ ، ٢٠ : ١٠ ، ٢٥ : ٥ ،

٢٨ : ١ ، ٣٩ : ٨ ، ٤٢ : ١٢ ، ٥٦ :

١٠ : ١٧ ، ٨١ : ١٦ ، ٩٨ : ٩ ،

١٥٣ : ٢١ ، ١٥٤ : ١ ، ٢٨٠ : ١٤ ،

٣٠٧ : ١٥ ، ٣٢١ : ١٥ ، ٣٢٧ : ٢ ،

٣٣٤ : ١٥ ، ٣٣٥ : ٣ ، ٣٣٨ : ١٧ ،

الرسّ ٤٠٤ : ٢١	١٩٨ : ١١ ، ٢٢٥ : ٢١ ، ٢٨٥ : ٧
الرصفة ٣٩٠ : ١٨	٣٤٠ : ١ ، ٣٤٥ : ٣ ، ٣٥١ : ٤
الرقّة ٤٨ : ١٧ ، ١٥٤ : ١٤ ، ١٦٧ : ٣	٣٥٧ : ١٨ ، ٣٦٦ : ٧
٣٨٣ : ٢١ ، ٣٩٠ : ١٢ ، ٣٩١ : ٨	دعماً ٣٦٨ : ٢٠ ، ٣٨٣ : ١٥
الرها ٦٩ : ١ ، ٢٩٦ : ١٨	دنياوند ٦ : ٦ ، ١٣٤ : ١
الروم ٥ : ١٧ ، ٢٦ : ١٤ ، ٢٧ : ١٨	الدولاب ٢٧٠ : ٧
٣٤ : ١٢ ، ١٠٨ : ٨ ، ٣٩١ : ١٠	دومة الجندل ١٩٧ : ١٣ ، ١٩٨ : ٨
الرومية ٦٩ : ٥ ، ٣٧٩ : ١٢ ، ٣٨٠ : ١٤	دير الأعور ١١٩ : ١٣
الرتى ٣٨ : ١ ، ٤٢ : ١٢ ، ٥٩ : ٢٠ ، ٨٣ : ٩	دير الجائلق ٣١٢ : ٢٢
٤ : ١٣٤ ، ١ : ١٦٥ ، ٧ : ٢٥٣ ، ٩	دير الحانات ٣١٠ : ٦
٢٨٠ : ٦ ، ٢٩٢ : ١١ ، ٢٩٩ : ١٤	دير الماقول ٢٠٥ : ٦
٣٦٤ : ١٣ ، ٣٩١ : ٥ ، ٣٩٧ : ٣ ، ١٦	دير كعب ١٢٣ : ٢ ، ١٦٦ : ٢١

(ز)

الزبان ٣٦٤ : ٢٠
زابلستان ٦٨ : ١
الزابي الأسفل ١١ : ٤
الزابي الأعلى ١١ : ٣
الزابي الأوسط ١١ : ٤
زبالة ٢٤٧ : ١٨
زبر خسرو ٦٩ : ٥
زردود ٢٤٦ : ١٣
الزنج ٢ : ١٥
الزندورد ٧٣ : ١٦
الزوابي ١١ : ٣

(س)

ساباط (المدائن) ١٦٦ : ٢٢ ، ٢١٦ : ١٨

(ذ)

ذات عرق ٣٧٨ : ٢
ذروة ماء لبنى أسد ٣٠٣ : ٥ ، ٣٠٤ : ٣
ذمار ٦٢ : ٨
ذو چشم ٢٤٨ : ١٨
ذى طوى ٣١٦ : ٨
ذوقار ١٤٤ : ١١ ، ١٤٥ : ١٤

(ر)

رام أردشير ٤٥ : ١٤
رام فيروز ٥٩ : ٢٠
الربذة ٢٥٩ : ٤ ، ٣٨٥ : ٩
الرحبة ٢١٢ : ٢٠

سورا ١١٥ : ١٠ : ٢٩٨ : ١٣
سورية ٣٥ : ١٤
السوس ٢٣ : ٢٠ : ٤٩ : ٧ : ١٣٢ : ١٩
السيب ٢٠٤ : ٢١
سيحان ٣٤ : ٦

(ش)

الشاش ٦٨ : ٤
الشام ٣ : ٦ : ٢٠ : ٩ : ١٧ : ٢١ : ٤ : ٢٣ :
١٣ : ٢٦ : ١٩ : ١٠ : ٦ : ١١ : ٢١٨ : ١٩ :
٢٨٧ : ١٩ : ٢٩٢ : ٦ : ٣٠٧ : ١٤ : ٣١٥ :
١٩ : ٣٢٢ : ١٢ : ٣٦٥ : ٢٥ : ٣٦٦ : ٦ :
٣٧٩ : ٢ : ٣٨٣ : ١٥ : ٢٠ : ٣٩٠ :
٦ : ٩ : ٤٠١ : ٦
شراة ١٠٤ : ٨ : ٢٤٨ : ١٢
شعب على (بكة) ٢٢٩ : ٤
الشعمان ١٠ : ١
الشمرج ٧١ : ١٧
شهرزور ٣٦٥ : ٧

(ص)

صحار ٣ : ٧
صحراء الهرمز دجان ٤٢ : ٩
الصراة ١١٥ : ٢٠
صريفين ٢٠٦ : ٣
الصنانيان ٥٧ : ١٥ : ٦٦ : ٥ : ٦٨ : ٢ :
٣٢٧ : ٧ : ٣٣٦ : ٩ : ٣٦١ : ٦ :
صفين ١٤٦ : ١٦ : ١٦٧ : ١٦ : ٢١٩ :
٢ : ٢٥٣ : ٦

سابور ١٣٣ : ١٤ : ١٣٩ : ١١ : ٢٧٥ : ٣
سادانيال ٤٩ : ٨
سادمه ٣٠٢ : ٤
السالحين ٣٩١ : ٧
ساوة ٣٦٣ : ١٧

سجستان ٢٥ : ٥ : ١٠ : ٢٧ : ٢ : ٤٢ :

١٣ : ٦٧ : ١٧ : ١٤٠ : ١١ : ١٥٣ :

٢٠ : ٣٣٦ : ١١ :

سدوم ٨ : ١٠ : ١٣
سر من رأى ٤٠١ : ١٩
سراف ٣٠٣ : ١٨
سراى شمره ٧١ : ١٦
سرخص ١٤٠ : ١٠ : ٣٦١ : ٥
السفد ٣٢٧ : ٩

سفوان ٣ : ٧

السقبة ٢٥٢ : ٢

سلحين ٢١ : ١٧

سمرقند ٢٤ : ٢ : ٢٨ : ١١ : ٣٧ : ١٣ :

٦٨ : ٤ : ٣٢٧ : ٩ : ٣٣٦ : ٨ : ٣٦٤ :

٢ : ٣٩١ : ١٦ :

سمره ٣٤ : ١٩

سميساط ٢٩٧ : ١

السمينة ١٣٢ : ١٠

سنجار ١٥٤ : ١١ : ٢٩٧ : ٢

السند ٢ : ١٥ : ٣٤ : ١١ : ٣٧٧ : ٨

السواد ٤٨ : ٦ : ١١٤ : ١١ : ٢٩٩ : ١٣

السودان ١٢ : ١٦ : ٣٣ : ١١ : ٣٤ : ١١ :

٦٣ : ١١

سور الروم ١٦٧ : ١١

الصفاح ٢٤٥ : ٩

الصقالبة ٢ : ١٣ ، ٣٤ : ١٢ ، ٣٦ : ١

صنماء ١٩ : ٢٠ ، ٢١ : ١٤ ، ٣٣ : ١٥ ،

٣٩ : ١٨ ، ٦٢ : ٦٤ ، ٧ : ٧

صيدودا ٣٩ : ٩

الصيمرة ١٠٣ : ٧ ، ١٣٣ : ٢

الصين ٢ : ١٣ ، ٢٠ : ١٥ ، ٢٤ : ٢٨ ، ٢ :

١٠ : ٣٤ ، ١٠ : ٣٦ ، ٣ : ١١٧ ، ٧ :

(ط)

الطالقان ٣٣٦ : ١٠ ، ٣٦١ : ٤

الطائف ٣ : ١٩٨ ، ٧ : ١٠ ، ٣١٤ : ٣

طبرستان ٥٧ : ٢ ، ٩٨ : ٩ ، ١٠١ : ١ ،

١٣٤ : ١ ، ٣٨٥ : ٨

طبرية ٢٦٦ : ٦

الطيسان ٣٦٤ : ٣

طخارستان ٣٦١ : ٦ ، ٣٦٤ : ٣

طرسوس ٣٣٤ : ١٧ ، ٤٠١ : ٨

طسم ٤١ : ١١

الطف ٣١١ : ١٩

طنجة ١٤ : ١١ ، ٢١ : ١٩ ، ٣٤ : ١٣

طوس ٣٨ : ١ ، ٣٦١ : ٥ ، ٣٦٣ : ٢٠ ،

٣٦٤ : ١١ ، ٣٩٢ : ٣

طيسفون ١١ : ٤ ، ٣٨ : ٤ ، ٤٤ : ٢١ ،

١٨ : ٧٣ ، ١٤ : ٦٦ ، ١٧ : ٥٥ ، ٢ : ٥٠

طيسفونج ٧٣ : ١٩

الطيلسان ١٠٣ : ٤

(ع)

عاد ٥ : ١٠ ، ٧ : ١٩ ، ١٨ : ١

عالج ١٣ : ٢

عانات ٦٦ : ٢٣ ، ١٥٤ : ١٢

العجم ١١٣ : ١١ ، ٢٠ : ١١٤ ، ١٦ : ١١٥ :

١٧ : ١٢٣ ، ٢ : ١١٨ ، ٧

عدن ٦٢ : ٧ ، ٣٣ : ١٣

العذيب ٢٤٨ : ٨ ، ٢٥٠ : ١٠

عذيب الحمامات ٢٥٠ : ١٢

العروض ٣٠٧ : ١٥

العراق ١ : ١١ ، ١٤ : ٥ ، ١٦ : ٨ ، ٢٠ :

١٠ : ١٤ ، ٣٨ : ٣ ، ٤٢ : ١٥ ، ٤٩ :

١٤ : ٦٧ ، ١٩ : ١١٤ ، ٥ : ٢٤٥ :

١٠ : ٢٩٢ ، ٦ : ٣٤٩ ، ١٨ : ٣٥٠ :

١٤ : ٣٥١ ، ٧ : ٣٧٨ ، ١٠ : ٣٧٩ :

١٥ : ٣٨٧ ، ٤ : ٤٠١ ، ١٢ :

عمان ٣ : ٦ ، ١٤ : ١٥ ، ١١٧ : ٧ ، ٢٨٧ :

١٨ : ٣٢١ ، ٢١ :

العراقان ٣٣٩ : ١٣ ، ٣٦٠ : ٥

العرب ١١٦ : ٩ ، ١١٩ : ١ ، ١٢٣ : ٥

العروض ٣٠٧ : ١٥

العقبة ١٦٥ : ١٩

العقر ٢٥٢ : ١٥

عمان ٤٠ : ١١ ، ٤٣ : ١٥

عمورية ٤٠٢ : ٦

عيساباذ ٣٨٦ : ١٩

عين التمر ١١٢ : ١٠ ، ٢١٦ : ١٦

(غ)

الغاضرية ٢٥٢ : ٥

غمدان ٢١ : ١٧

غمر ذى كندة ٩ : ٢٢

(ف)

فارس ١٣ : ١٩ ، ١٤ : ٢ ، ١٨ : ١٩ ، ١٥ : ١٥

٢٧ : ٢٠ ، ٣٣ : ٣ ، ٤٢ : ١٤ ، ٦٧ : ٦٧

١٨ : ١١٣ ، ١٣ : ١١٦ ، ٢ : ١١٧ ، ٧ : ٧

٢١٩ : ٦ ، ٢٧٤ : ١٧ ، ٣٧٦ : ١٩

الفرات ٣٤ : ٦ ، ٣٧٩ : ١٥

فرات البصرة ١١٧ : ٢٢

الفرس ١١٣ : ١٥ ، ١١٩ : ١

فرغانة ٣٧ : ١٢ ، ٦٨ : ٤

فرنجة ٢١ : ١٩ ، ٣٤ : ١٣

فرنيه ٣٩ : ١٠

الفلايخ ١١٦ : ١

فلسطين ١٢ : ١٤ ، ٢٣ : ١٤ ، ١٥٧ : ١٤

١٧٢ : ١٤

فوران أردشير ٤٥ : ١٦

فيروز سابور ٤٩ : ٦

(ق)

القادسية ١١٩ : ٧ ، ١٢٠ : ١٧ ، ١٢١ : ١٢١

٢٠ : ٢٤٣ ، ٤ : ٢٤٦ ، ١ : ٢٤٨ ، ٨ : ٨

قاشان ١٢٨ : ٢١

قافونية ٣٥ : ١٤

قالوقية ٤٦ : ١٧

قبا ٢٦٧ : ١١

قباب حميد ٧٣ : ٨

قبدوقية ٤٦ : ١٨

قبرس ١٣٩ : ١٢

قديس ١٢٤ : ٢١

قديسجان ١٣٥ : ٢٠

قرقيسيا ٢٩٦ : ١٨

قرميسين ٣٢٩ : ١

قرنيه ٣٩ : ١٠

قزوين ١٠٥ : ١٥ ، ١٦٥ : ٧

قس الناطف ١١٣ : ١٠

القسطنطينية ١٨ : ١٣ ، ١٠٦ : ٧

القسطنطينية الصغرى = عمورية

قصر ابن هبيرة ٣٥٠ : ١٥

القصر الأبيض بالبصرة ٢٨٤ : ٢١

القصر الأبيض بالمداين ٢١٧ : ١١

قصر بني مقاتل ٢٥٠ : ١٦ ، ٢٥١ : ١١ ،

١ : ٢٦٠

قصر عبد الله بن طاهر ٤٠٢ : ١٩

قصر اللصوص ٣٩١ : ٦

القططانة ٢٤٣ : ٤

قميتمان ٩ : ٦

قلعة طبرستان ٤٠٢ : ٣

١٠ : ٣٧٥	قلوص ١٠٤ : ٥
كش ٦٨ : ٤ ، ٧ : ٣٢٨ ، ٩ : ٣٣٦ ، ٦ : ٣٦١	القلوصة ٣٩٨ : ٤
كشمين ٥٧ : ٤	قم ٦٧ : ١٨ ، ٢١ : ١٢٨ ، ٢١ : ٢٩٢ ، ١٠ :
الكعبة ٣٨٧ : ١١	القندهار ٢٠ : ١٦
كفرتوتا ٢٩٧ : ١	قسرین ٦٩ : ١ ، ١٧٢ : ١٦
كلواذی ٧٣ : ١٩	قنطرة جازر ٥٠ : ٣
كاری ٢ : ١٣	قنطرة جودرز ٥٠ : ٣ ، ٨٦ : ٢٢
الكناسة ١٦٤ : ١٤ ، ٣٣٤ : ١٣	القهندز ٣٥١ : ٢٢
کنمان ٣٤ : ١٣	قوس ٩٤ : ١٥ ، ٩٥ : ٩ ، ٩٨ : ٩ ، ١٠٢ : ١٠ ،
کوفان ١٥٢ : ٩ ، ٣٦٩ : ٤	١٣٤ : ١ ، ٢٧٧ : ١٣
الكوفة ١٤٤ : ١٨ ، ١٥٢ : ٤ : ٩ : ١٨ ،	القيروان ٢٢ : ١٤ ، ٣٥ : ٩
١٠٥٦ : ١٠ ، ١٦٥ : ١٧ ، ١٩٧ : ١٨ ،	قيسون ٣٤ : ٧
٦ : ٢٠٥ ، ٢١٠ : ١٣ ، ٢١١ : ١٠ ،	(≤)
١٧ : ٢١٦ ، ٢٠ : ٢١٩ ، ٢٢٠ : ٤ ،	کابل ١٥٤ : ٢
٦ : ١ : ٢٢٣ ، ١٦ : ٢٢٥ ، ٢٢٨ : ٢٣ ،	کابلستان ٥٨ : ١٥ ، ٦٨ : ٢
٢٣١ : ٢ : ١٤ ، ٢٣٢ : ١٠ ، ٢٥٤ :	کازرون ٢٧٦ : ١٢
٢٢ : ٢٩٢ ، ١٥ : ٢٩٧ ، ١٦ : ٣٢٢ ،	کاظمة ٩ : ٢٢ ، ٤٨ : ٤
٩ : ٣٤٥ ، ٢ : ٣٥٠ ، ١ : ٣٥١ ، ٨ :	کبک ٢٧٣ : ١٨
٣٥٨ : ١٩ ، ٣٦٩ : ١٨ ، ٣٨٧ : ٤	کربلاء ٢٥١ : ١٢ ، ٢٥٢ : ١٨ ، ٢٥٣ :
کویفة ابن عمر ١٢٤ ، ١١	١ : ٢٥٩ ، ١١
(م)	کرخ بغداد ٢٠٥ : ٩ ، ٣٧٩ : ١٦
مأجوج ٣٧ : ٣	کرخ میسان ٤٥ : ١٦
ماسبدان ٤٠ : ١٤ ، ١٠٣ : ٧ ، ١٣٤ : ١٠ ،	کركان ٢٧٥ : ٥
٢٩٢ : ١١ ، ٣٨٦ : ١١	کرمان ٤٢ : ١٣ ، ٥١ : ٤ ، ٦٧ : ١٧ ،
ماسفری = حصن ماسفری	١٤٠ : ١١ ، ٢٧٥ : ٧ : ١٨ ، ٢٧٧ :
ماه البصرة ٣٣٧ : ٥	٣٠٤ ، ٢١ : ٣٠٥ ، ١٩ :
ماه دينار ١٣٧ : ١٠	کسکر ٢٠ : ١٧ ، ٧٣ : ١٤ ، ١١٥ : ٢٠ ،
	١٣٥ : ٩ ، ١٥٣ : ١٨ ، ٣٠٦ : ١٢ ،

مسجد رسول الله ١٢:٣٢٨، ١٣:٣٢٦	الماهان ٤٠: ١٤، ٧٧: ٢٠، ١٣٤: ٢
مسفرا = ماسفري ١٨: ٧٩	٢٩٢: ٩، ٢٩٧: ١٠، ٢٩٨: ١٤
مسكن ١: ٦٧	الدائن ٤٣: ١، ٧٣: ١٧، ٨٠: ١
مصر ٨: ١٤، ٣٥: ٦، ١٠٦: ٧	٨١: ١٢، ٨٤: ١٩، ١١١: ٢
٢١٥: ٢٣، ٢٢٢: ١٠، ٢٨٧: ١٩	١١٥: ١٠، ١٢٣: ٢٠، ١٥٢: ١٦
٢٩٢: ٧، ٣٦٥: ٢٥	١٦٧: ١، ٢٠٣: ٢٠، ٢١٦: ١٦
المصران ٧: ٢٢٥	٢١٧: ٨، ٢١٨: ١٥، ٢٣٠: ٩
المطابخ ٦: ٩	٢٩٨: ١٤، ٣٧٩: ١٢، ٣٨٥: ٧
معصوف ١٥: ٣٩٠	مدين ٩: ١٨، ١٢: ٥
المغرب ١٢: ١٥، ١٤: ١١، ٣٤: ٣	الدينة ٧٤: ٦، ٨: ١٥٢، ٣: ٢٢٠، ٢٣: ٢٢٠
مقبرة وهرز ١٧: ٦٤	٢٢١: ١٠، ٢٢٨: ١٩، ٣٢٢: ٥
مقبرة المهاجرين ٨: ٣١٦	٣٨٣: ١٨، ٣٨٦: ١٧، ٣٨٧: ٢
مكران ١٢: ٣٢١	مدينة أبي العباس ٣٧٧: ١٤، ٣٧٨: ١١
مكة ٣٣: ١٧، ٣٩: ١٩، ٦٣: ١	مدينة الرسول - النبي = المدينة
٧٤: ٢، ٢٢٨: ١٩، ٢٣٠: ٩، ٢١: ٩	مدينة سابور ٣: ٢٧٥
٢٤٥: ٢، ١٠: ٢، ٢٦٣: ٦، ٣٢٢: ٣	مدينة السلام = بغداد
٣٧٧: ٢٠، ٣٨٥: ١٩، ٣٨٦: ١٧	الذار ١١٧: ١٧، ٣٠١: ٧، ٣٠٥: ١٠
منبج ١: ٦٩	٣٠٦: ١
منسك ١٣: ٢	المربد بالبصرة ٧: ١٥٢
منى ١٤: ٣١٤	الرج ١٥٤: ١٤
مهرجانتقذق ٤٠: ١٥، ١٣٣: ١	مرج راهط ٢٩٥: ١١
الموصل ٢: ٢، ٤٣: ١٤، ١٠٧: ٢	مرخانوس ٣٧: ١٨
١٥٤: ١١، ١٦٧: ٢، ٢٩٢: ٨	مرو ٢٠: ١٤، ٣٧: ١٨، ٣٩: ٨
٢٩٦: ١٧، ٣٨٣: ١٦، ٣٩٠: ٦	٥٧: ٣، ٤: ١٣٩، ١٦: ١٩
ميافارقين ٦٦: ٢١، ٧٨: ١٩، ١٥٤: ١١	٣٢٧: ٤، ٣٣٦: ٨، ٣٦١: ٥
٢: ٢٩٧	٣٦٣: ٢٠، ٣٩٢: ٢٠، ٣٩٤: ٢٢
ميسان ٧٣: ١٥، ١١٨: ١٢	مرو الروذ ٣٣٦: ١٠، ٣٦١: ٤
ميلانوس ١: ٣٨	المسجد الحرام ٢٦٧: ٢١

(ن)

نجد ١٠ : ٢
نجران ١٤ : ١٨ ، ٣٩ : ٨ ، ٦١ : ١٨
النجرانية ٣٠٦ : ١٢
النخيلة ١١٥ : ١٣ ، ١٦٥ : ١٧ ، ١٩ : ٢١١ ، ٩
نسا ٥٧ : ٣ ، ٣٣٩ : ١٠ ، ٣٦١ : ٥
نسف ٦٨ : ٤ ، ٣٢٨ : ٧ ، ٣٣٦ : ٩ ،
٣٦١ : ٦
نسلي ٢٧٣ : ٤
نصيبين ٥٠ : ١٦ ، ٧٨ : ١٨ ، ٧٩ : ١ ،
١٥٤ : ١١ ، ١٦٧ : ٢ ، ٢٩٢ : ٢١ ،
٢٩٧ : ٣
نهاوند ٤٠ : ١٩ ، ٤٢ : ١١ ، ١٣٣ : ١٩ ،
٣٦٤ : ١٦ ، ٣٨٥ : ٦
النهر = النهر وان ٢١١ : ٤
نهر البصريين ٣٠٦ : ١٧
نهر بلخ ٣٤ : ٧ ، ٥٧ : ١٦
نهر بوق ٧٣ : ١٩
نهر تستر ٤٦ : ٢١ ، ٢٧٢ : ١٤
نهر الرس = الرس
نهر الملك ٧٣ : ٢٠
النهر وان = النهر ٨٦ : ٧ ، ٢٠٥ : ١٦ ،
٢٠٦ : ٣
نيسابور ١٥٤ : ١ ، ٣٦١ : ٥
النيل ٣٤ : ٧
نيلاب ٤٦ : ٢٠
نيلاط ٤٦ : ٢٠
نينوى ٢٥١ : ١٣

(هـ)

هراة ٧٨ : ١٧ ، ٣٣١ : ١٠ ، ٣٦١ : ٤
هرشي ٢٦٧ : ١٢
هرقلة ١٠٦ : ١٥ ، ٣٩١ : ١١
هرمزدان أردشير ٤٥ : ١٥
الهرمزدجان ٤٢ : ٩
هرمزدخره ٧٣ : ١٥
همدان ٣٢ : ٤ ، ٣٣ : ٢ ، ٨٣ : ٢٠ ، ٨٥ :
٢٠ ، ١٠٤ : ٢ ، ١٣٤ : ١ ، ٢٩٢ : ٩
الهند ٣٣ : ٧ ، ٣٤ : ١١ ، ٣٢١ : ١٠
الهياطلة ٣ : ١٤ ، ٥٨ : ١٥
هيت ٦٦ : ٢٣ ، ٨٨ : ١٩ ، ١٥٤ : ١١

(و)

وادي الرمل ٢٣ : ٢
وادي القرى ١٢٥ : ١٤ ، ٢٦٥ : ١
واسط ٣٣٧ : ٢١ ، ٣٣٨ : ١٧ ، ٣٤٨ : ١ ،
٣٤٩ : ١٩ ، ٣٥٠ : ٢ ، ٣٦٤ : ٢١ ،
٣٦٩ : ١٤ ، ٣٧٠ : ٧ ، ٣٧٥ : ١٦
وبار ٣ : ٨
وبرة ٢٦٤ : ٢٠

(ي)

ياجوج ٣٧ : ٣
يثرب = المدينة ٤١ : ١٠
اليرموك ٩١ : ١٤
اليامة ٣ : ٦ ، ١٤ : ١٥ ، ١٦ : ٣ ، ١٦ :
١٤ ، ١٧ : ٦ ، ٤٠ : ١١ ، ٤٣ : ١٥
اليمين ٣ : ٥ ، ٨ : ١٨ ، ٢١ : ١٦ ، ٢٦ :
١٦ ، ٢٨٧ : ١٨ ، ٢٤٥ : ٣ ، ٣٣ : ١٣ ،
٣٢١ : ١٧ ، ٣٨٤ : ٥

د - فهرس الشعر

القافية	البحر	الصحيفة والسطر	القافية	البحر	الصحيفة والسطر
النعماء	الخفيف	١٨ : ١٥٢	تفر	الرجز	٣ : ٣١٥
الأدب	الطويل	٦ : ٣١٠	الخبز	الطويل	١٠ : ٢٧٣
الكذب	الرجز	٨ : ١٥٥	وزيرا	الكامل	١٩ : ٣٧٠
غلب	الرجز	٢ : ١٨٠	شمرا	الطويل	٨ : ١٧٦
أحربا	الطويل	١٦ : ٢٧٢	كثيرا	الخفيف	٤ : ٢٧٤
ولا أبي	الطويل	١٥ : ٢٢٢	الخبز	البسيط	١٠ : ٣٠٨
المهلب	الطويل	١٦ : ٢٧٣	انبرى	الرجز	٢ : ٢٦٥
هاضب	الطويل	١٤ : ٣٠١	جرى	الكامل	٥ : ٣٩٢
للمصعب	المتقارب	٨ : ٣١١	تسرى	الرجز	٨ : ٢٧٦
كشب	البسيط	١ : ٣٦٠	تفرى	الرجز	١٩ : ٢٤٤
مهرب	الرجز	١٧ : ٢٧٦	القدر	الطويل	٢ : ٢٨٧
الغضب	البسيط	١٥ : ٣٦١	لا تسرى	الطويل	٢٢ : ٣١٧
خلت	الطويل	١٢ : ١٣٨	الغوابر	الطويل	٧ : ٢٣١
مصمات	الوافر	١١ : ٣٠٣	الأكثر	الكامل	٨ : ٢٩٦
بالسنوات	الخفيف	٨ : ٢٦٥	بالمذار	الوافر	٦ : ٣٠٦
القراح	الرملي	٢١ : ٣٣٥	بأطهار	البسيط	٧ : ٣١٨
زياد	الرجز	٧ : ٢٨٤	الذكر	الرجز	١٤ : ١٨٥
حداد	السريع	٢ : ٣٢٠	المكر	الطويل	١٨ : ١٥
صاعدا	الرجز	١٩ : ١٦	تغور	الطويل	١٧ : ١٢٤
قلادة	الرجز	٣ : ٢٧٧	أدبروا	الطويل	٦ : ١٢٥
شريد	الطويل	١٢ : ٢٩٧	مهاجر	الطويل	٩ : ٢٧٧
المسجد	الرجز	١٩ : ٣١٤	البدر	الطويل	٣ : ٤٠٣
ثمود	الخفيف	١٧ : ٢٧٩	الأخزدر	المتقارب	١٦ : ١٨٥
مراد	الوافر	١٠ : ٢٢٧	يسير	الوافر	٢١ : ٢٢٣
يزيد	الطويل	٧ : ٢٨١	الحجر	البسيط	١٦ : ٢٦٢
أربد	الطويل	١٨ : ١٦٤	قرارها	الطويل	١ : ١٨٥
غبر	الرجز	٧ : ١٧٨	وقز	الرملي	١ : ١٥٩

القافية	البحر	الصحيفة والسطر	القافية	البحر	الصحيفة والسطر
بازر	الكامل	١ : ١٧٧	رسمًا	الرجز	٢ : ٣٦٩
خرس	الطويل	١٢ : ٣١٤	أعجم	الطويل	١٥ : ٢١٤
عباس	البسيط	١٧ : ١٩٣	الأقوام	الكامل	١٩ : ٣١٧
عُبَيْس	الخفيف	١١ : ٢٧٠	ترحم	رجز	١ : ١٥٠
جَمِيس	الرجز	١٣ : ١٥	تميم	الوافر	٦ : ٣٥٥
قريش	الوافر	٣ : ١٩٤	حامي	الوافر	١٣ : ١٢٥
صنما	البسيط	٥ : ١٦	مقيم	الطويل	١٦ : ٣١٣
شموع	الطويل	١٤ : ٢٩١	حالم	الطويل	١٣ : ٣٣١
ساطع	السريع	١٢ : ٣٦٠	الصَّرم	البسيط	١٧ : ٢٣٤
للصدف	الرجز	٥ : ١٧٧	عظيم	الخفيف	٢٠ : ١٧٣
واقف	الطويل	١٧ : ١٧٨	السلام	الخفيف	٦ : ٣٣٥
ذوارف	الطويل	٩ : ٣٢٥	ضرام	الوافر	١٢ : ٣٥٧
والصلف	البسيط	٢ : ١٧٤	يخن	المتقارب	١٠ : ٢٦
المرقة	الرجز	٤ : ٣٥٩	الطحن	الرجز	١٤ : ١٧٥
الأزرق	الكامل	٩ : ٢٧٤	الرحمن	الرجز	١٤ : ١٨٠
التراقى	الوافر	٣ : ٢٦٢	ربميون	الرجز	٥ : ٣٣٠
هنا كا	الكامل	١١ : ٤٠٥	الرافدينّا	الوافر	٢٠ : ٥٣
الأسل	الرمّل	١٠ : ٢٦٧	همدانّا	البسيط	١٢ : ١١٥
فزالا	الوافر	٧ : ٣٤٨	عُمانّا	الكامل	١٨ : ١٨٠
الضلالا	الوافر	١٦ : ٣٦٧	أربعونّا	الوافر	١٨ : ٢٦٩
الوعولا	الخفيف	١٦ : ٣٢٥	كارهونّا	المتقارب	١٣ : ١٦٠
عقيل	الطويل	٢ : ٢٤٢	تحذرونّا	المتقارب	٢٢ : ١٦٠
النمل	الطويل	٨ : ١٥	علينا	الرجز	٤ : ٣٠٣
السلاسل	الطويل	٩ : ٣٤٧	تهينها	الطويل	٩ : ٣٩٣
عطبول	الخفيف	٢ : ٣١٠	الأمن	الطويل	٦ : ١٨٥
طويل	الطويل	١٨ : ١٥٥	مكان	الكامل	١٣ : ٥٣
مخايلة	الطويل	٨ : ٤٠	ثمان	الوافر	٧ : ١٧١
أظلمّا	الطويل	٨ : ٢٦١	عثمان	الطويل	٥ : ٢٧١
مذمتا	الطويل	١٨ : ١٨٤	التأسيّا	الطويل	١٩ : ٣١١
الدمّا	الطويل	٦ : ٣١٥			

هـ — فهرس الشعراء

- | | |
|---------------------------------------|------------------------------------|
| سليمان بن عبد الملك ٣٣٠ : ٤ | ابن خزيمة الخثعمي ٣١٤ : ١٨ |
| سويد بن أبي كاهل ٣٠٨ : ٩ | ابن عرادة ٢٧١ : ٤ |
| شاعر ٢١٤ : ١٤ ، ٣١٠ : ١ ، ٣٣٥ : ٥ ، | أبو تمام ٤٠٣ : ٢ |
| ١٨ : ٣٧٠ | إسحاق بن خلف ٤٠٥ : ١٠ |
| شاعر من الأزدي ٢٧٠ : ١٠ | الأسود بن غفار ١٥ : ١١ |
| شاعر من تميم ١٦٤ : ١٦ | الأشتر ١٨٥ : ١٣ |
| شاعر من الخوارج ٢٦٩ : ١٤ ، ٢٧٤ : ٨ ، | الأشعث بن القيني ٣٤٧ : ٧ |
| ١٦ : ٢٧٦ | الأعشى ١٦ : ٥ ، ٢٦ : ١٠ |
| شاعر من بني سعد ٢٧٣ : ١٥ | أعشى همدان ٣٠١ : ١٣ |
| شاعر من أهل الشام ١٨٠ : ١٧ | الأقشير الأسدي ٣١٤ : ١١ |
| شاعر من الأنصار ٢٦٥ : ٧ | أم حجير بن عدي ٢٢٣ : ١٩ |
| شاعر من بني ضبة ٢٧٤ : ٣ | أمية بن أبي الصلت ٣٢٥ : ١٥ |
| شاعر من قيس ٤٠ : ٧ | أوس بن حجر ١٨٥ : ٥ |
| شاعر من أهل اليمامة ١٦ : ١٩ | أيمن بن خريم ١٩٣ : ١٦ ، ١٩٤ : ١ |
| شاعر من بني يشكر ٢٧٣ : ٩ | بشر بن أبي ربيعة ١٢٤ : ١٦ |
| الشنى ١٥٢ : ١٧ | بشر بن مالك ٢٧٩ : ١٥ |
| عبد الله بن الزبير ٣١٥ : ٢ : ٥ | حابس بن سعد الطائي ١٧١ : ٦ |
| عبد الله بن قيس الرقيات ٣١٣ : ١٥ | الحارث بن عباد بن زياد ٢٨١ : ٦ |
| عبد الله بن همام ٢٩١ : ١٣ | الحجاج بن خزيمة بن الصمة ١٥٥ : ٧ |
| عبد الرحمن بن محمد ٣٢٠ : ١ | الحسن بن هاني ٣٩٣ : ٨ |
| عبد الملك بن مروان ٣١٧ : ٢١ ، ٣٢٥ : ٨ | رياح بن مرة ١٥ : ١٨ |
| عبيد الله بن الحر ١٧٨ : ٦ ، ٢٦٢ : ٢ ، | زياد الأعجم ٢٧٢ : ١٥ |
| ١١ : ٢٩٧ | سراقة البارقي ٣٠٣ : ٣ : ١١ |
| عبيد الله بن عمرو الساعدي ٢٩٦ : ٦ | سعيد بن عبد الرحمن بن حسان بن ثابت |
| عتبة بن أبي سفيان ١٥٨ : ٢١ | ٥ : ٣١٠ |

كعب بن جعيل ١٦٠ : ١٢ ، ١٧٨ : ١٦ ،
١ : ١٨٠

محمد بن خالد بن عبد الله القسري ٣٦٧ : ١٥ ،
المخارق ١٨٤ : ١٧ : ٢٠

معاوية بن أبي سفيان ١٥٥ : ١٧ ،
النصور أبو جعفر ٣٥٩ : ٣

النجاشي ١٦٠ : ٢١ ، ١٧٣ : ١٨ ، ١٧٤ : ١ ،
١٤ : ١٨٥

نصر بن سيار ٣٥٥ : ٥ ، ٣٥٧ : ١١ ،
٣٥٩ : ٢٣ ، ٣٦٣ : ١

الوليد بن يزيد ٣٤٨ : ٦

يزيد بن معاوية ٢٦٥ : ١

عروة بن زيد الخيل ١١٥ : ١١ ، ١٣٨ : ١١

عروة بن الورد ١٢٥ : ٥

عفيرة بنت غفار ١٥ : ٥

علي بن سليمان الأزدي ٣٦٩ : ١

عمرو بن الأشرف ١٤٩ : ٢٠

عمرو بن العاص ١٧٥ : ١٣ ، ١٧٧ : ٤ ،

١٨٠ : ١٣ ، ٢٢٢ : ١٤

عمرو بن كلثوم ٥٣ : ١٩

عمرو القنا ٢٧٦ : ٦

الفرزدق ٥٣ : ١٢

قطري بن الفجاءة ٢٧٧ : ١

قيس بن هبيرة ١٢٥ : ١٢

و — فهرس الرواة والأسانيد

عبد الله بن عبد الرحمن ١٢: ٣٠٨	ابن الشريعة ١٣: ٧
عبد الكريم بن سليط ١٨: ٣٣٩ ، ١: ٣٤٠	ابن عباس ٥: ٣٤
عمرو بن المغيرة ١٦: ٣١١	ابن الكيس النمرى ١٠: ٧
علي بن حمزة الكسائي ١٤: ٣٨٧	ابن المقفع ١٦: ٦
علي بن محمد الهمداني ٢٢: ٢٢٠	أبو هرون العبدى ١٩: ٢٦٨
القمقاع الظفرى ٣: ١٨٤	الأصمى ٩: ٣٨٩ ، ٥: ٣٨٨
الكلبي ٦: ٣٣٠	حميد بن مسلم ٨: ٢٦٠
محقق بن ثعلبة ١١٨: ١٢ ، ١٣: ٢٦٠	رجاء بن حيوة ٢٠: ٢٢٩ ، ١: ٣٣٠
مخنف بن سليم ٦: ١١٤ ، ٧: ١٤٦ ، ١٤: ١٤٦	زيد بن وهب ١٠: ١٨٢
الهيثم بن عدي ٩: ٣٥٨ ، ٨: ٣٦٥ ، ٣٧٠ :	الشمعي ١٩: ٢٨٨ ، ٤: ٢٨٩ ، ١٢: ٢٩٠
١٠ ، ١١: ٣٧١ ، ٦: ٣٧٥	عبد الله بن الصامت ١١: ١٨

ز - فهرس المراجع

- | الرقم | الكتاب |
|-------|--|
| ١ - | آثار البلاد وأخبار العباد للقزويني . |
| ٢ - | أخبار الدول وآثار الأول للدمشقي . |
| ٣ - | أسد الغابة في معرفة الصحابة لابن الأثير . |
| ٤ - | الاشتقاق لابن دريد . |
| ٥ - | الإصابة في تمييز أسماء الصحابة لابن حجر . |
| ٦ - | الأغانى لأبي الفرج الأصبهاني . |
| ٧ - | إنباء الرواة على أنباء النحاة للقفطي . |
| ٨ - | البلدان لليعقوبي . |
| ٩ - | تاريخ الآداب العربية لبروكلان . |
| ١٠ - | تاريخ إيران لمهدي زاده الأصبهاني (فارسي) . |
| ١١ - | تاريخ بغداد للخطيب البغدادي . |
| ١٢ - | تاريخ الفرشته لملا قاسم هندوشاه (فارسي) . |
| ١٣ - | الجواهر المضية في طبقات الحنفية تصنيف عبدالقادر القرشي . |
| ١٤ - | حييب السير تأليف خوند مير (فارسي) . |
| ١٥ - | دائرة المعارف الإسلامية . |
| ١٦ - | روضة الصفا تأليف ميرخوند (فارسي) . |
| ١٧ - | شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد . |
| ١٨ - | ضحى الإسلام لأحمد أمين . |
| ١٩ - | طبقات الأمم لابن صاعد الأندلسي . |
| ٢٠ - | ظهر الإسلام لأحمد أمين . |
| ٢١ - | فارسنامه لابن بلخي (فارسي) . |
| ٢٢ - | فتوح البلدان للبلاذري . |

الرقم الكتاب

- ٢٣ - الفهرست لابن النديم .
- ٢٤ - فوات الوفيات تأليف محمد بن شاكر بن أحمد الكتبي .
- ٢٥ - القاموس المحيط للفيروزابادي .
- ٢٦ - قاموس الأعلام للزركلي .
- ٢٧ - الكامل في التاريخ لابن الأثير .
- ٢٨ - كتاب التوفيقات الإلهامية في مقارنة التواريخ تأليف اللواء أحمد مختار .
- ٢٩ - كتاب المعارف لابن قتيبة .
- ٣٠ - لسان العرب لابن منظور .
- ٣١ - معجم الأمثال للميداني .
- ٣٢ - معجم الأدباء لياقوت الحموي .
- ٣٣ - معجم البلدان لياقوت الحموي .
- ٣٤ - المعجم في اللغة الفارسية تأليف محمد موسى هنداوي .
- ٣٥ - المعجم الفارسي الفرنسي لديريزون .
- ٣٦ - الملل والنحل للشهرستاني .
- ٣٧ - المنجد تأليف لويس معلوف .
- ٣٨ - نسخ التواريخ تأليف ميرزا محمد تقى (فارسي) .
- ٣٩ - وفيات الأعيان لابن خلكان .
- ٤٠ - وقعة صفين لنصر بن مزاحم المنقري .

فهرس الفهارس

الصفحة	الفهرس
٤١٠	فهرس الموضوعات .
٤١٤	فهرس الأعلام .
٤٤٩	فهرس الأماكن والبلدان.
٤٦٠	فهرس الشعر .
٤٦٢	فهرس الشعراء .
٤٦٤	فهرس الرواة والأسانيد .
٤٦٥	فهرس المراجع .





General Organization Of the Alexan-
dria Library (GOAL)

Bibliotheca Alexandrina

[illegible]

